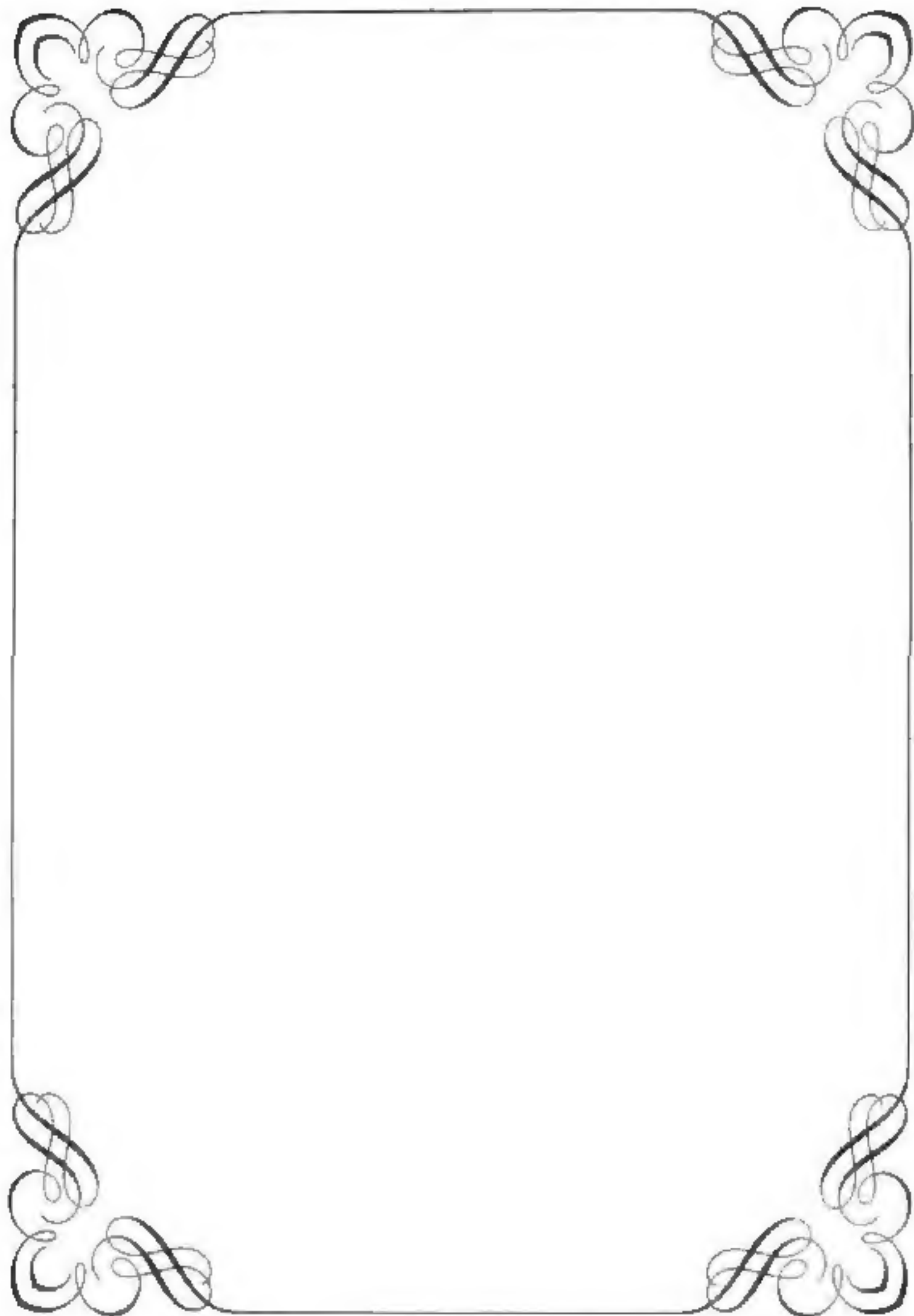


اعمال
محمد اقبال
الكامله

محمد اقبال

حَيَاتُهُ - شَخْصِيَّتُهُ - فِكْرُهُ - فَلَسَفَتُهُ





أسرته وولادته :

وُلد محمد إقبال في مدينة « سيالكوت » (الواقعة في ولاية « بنجاب ») سنة ١٨٧٧ م ، وهو سليل بيتٍ معروفٍ من أوسط بيوتات البراهمة في كشمير ، أسلم جدُّه الأعلى قبل مئتي سنة ، وعرف ذلك البيت منذ ذلك اليوم بالصلاح والتصوف ، وكان أبوه رجلاً صالحاً ، يغلب عليه التصوف .

نشأته ودراسته :

تعلَّم محمد إقبال في مدرسة إنكليزية في بلده ، وجاز الامتحان الأخير بامتياز ، ثم التحق بكلية في ذلك البلد ، حيث تعرف بالأستاذ السيد مير حسن ؛ أستاذ اللغة الفارسية والعربية في الكلية ، وكان من نوادر المعلمين الذي يطبعون تلاميذهم بطابعهم ، ويعثون فيهم ذوق العلم ، فأثر في الشابِّ الذكي كلُّ تأثير ، وغرس فيه حبَّ الثقافة والآداب الإسلامية ، ولم ينس إقبال فضله إلى آخر حياته .

ولما قضى وطره في الكلية سافر إلى لاهور ، عاصمة بنجاب ، وانضمَّ إلى كلية الحكومة ، حيث حضر الامتحان الأخير في الفلسفة ، وبرز في اللغة العربية ، والإنكليزية ، ونال وسامين ، وأخذ شهادة (B.A.)^(١) ، بامتياز ، وفي لاهور اتصلت أسبابه بالأستاذ الإنكليزي الشهير « سيرتامس أرنولد » صاحب كتاب « الدَّعوة إلى الإسلام » (The Preaching of Islam) وعميد الكلية الإسلامية في عليكره سابقاً ، وبالأستاذ عبد القادر المحامي والأديب الشهير وقاضي محكمة الاستئناف بعد ، وعضو مجلس الهند سابقاً ، ومنشئ أول مجلة علمية

(١) شهادة متوسطة في الآداب في النظام التعليمي الإنكليزي الهندي تعادل ليسانس في البلاد العربية .

أدبية في لغة أردو ، اسمها « مخزن » وكان إقبال قد نظم قصيدته الأولى البديعة « جبل هماله » وهي فارسية التركيب ، إنجليزية الأفكار ، ونشرها الأستاذ عبد القادر في مجلته سنة ١٩٠١م ، ونظم عدة قصائد أدبية توجد في مجموع شعره الأول ، وكان لها دوي في أندية الشعر والأدب ، واجتلبت العيون نحو الشاعر المبدع ، وفي هذه المدة أخذ محمد إقبال درجة (M.A.)^(١) في الفلسفة بامتياز ، ونال وساماً ، وعيّن على إثره أستاذاً للتاريخ ، والفلسفة ، والسياسة في الكلية الشرقية في لاهور ، ثم أستاذاً للإنجليزية ، والفلسفة في كلية الحكومة ، التي تخرج منها ، وشهد بكفاءته وغزير علمه الأساتذة والطلبة جميعاً ، وحاز ثقة وزارة المعارف ، ثم سافر إلى لندن سنة ١٩٠٥م حيث التحق بجامعة « كامبردج » وأخذ شهادة عالية في الفلسفة ، وعلم الاقتصاد ، ومكث في عاصمة الدولة البريطانية ثلاث سنين ، يلقي محاضرات في موضوعات إسلامية أكسبته الشهرة والثقة ، وتولّى في خلال تلك المدة تدريس آداب اللغة العربية في جامعة لندن ، مدة غياب أستاذه أرنولد ، ثم سافر إلى ألمانيا ، وأخذ من جامعة « ميونخ » الدكتوراه في الفلسفة ، ثم رجع إلى لندن ، وحضر الامتحان النهائي في الحقوق ، وانتسب إلى مدرسة علم الاقتصاد والسياسة في لندن ، وتخصّص في المادتين ، ورجع إلى الهند سنة ١٩٠٨م سالماً غانماً ، ولما مر بصقلية في طريقه إلى الهند ، سكب على ترابها دموعاً ، وقال قصيدة افتتحها بقوله : « ابك أيها الرجل أدمعاً لا دمعاً ، فهذا مدفن الحضارة الحجازية » .

نبوغه في الشعر :

ومن دواعي العجب أنّ كل هذا النجاح حصل لهذا النابغة ، وهو لم يتجاوز

(١) وهي تعادل « الماجستير » في البلاد العربية .

اثنين وثلاثين عاماً من عمره ، وأقام له أصدقاؤه والمعجبون بعبقريته حفلة تكريم ، واشتغل الشاعر الفيلسفي والاقتصادي الخبير ، والسياسي الحاذق في عدة لغات بالمحاماة ، لكن ما كان هواه في المحاماة ، فكان يقضي أكثر أوقاته « وجلُّ همّه في تأليف الكتب وقرض الشعر ، وكان يحضر حفلات جمعية « حماية الإسلام » السنوية ، وينشد فيها قصائده ، ومنها « العتاب والشكوى » التي اشتكى فيها إلى الله على لسان المسلمين ما حلَّ بهم ، وذكر أعمال المسلمين الخالدة في سبيله وفي سبيل الجهاد والإصلاح ، ثم نظم قصيدة أجاب فيها على لسان الحضرة الإلهية ، بيّن فيها تقصير المسلمين ، وإهمالهم للدين ، وعدم إتقانهم أمر الدنيا « تبريراً لما جزوا به من الخزي والهوان ، وسرعان ما سارت بهما الركبان ، وتغنّى بهما الأطفال والشبان ، وحفظهما الرجال والنساء ، وهما عندهم أشهر من « قفا نيك » وهما قصيدتان بديعتان مبتكرتان في الأسلوب ، والمعاني والغرض ، وقال « النشيد الوطني » و « أنشودة المسلم » وكلاهما سار مسير المثل « و صار الأول النشيد الوطني الوحيد الذي لا تزال ترتج به الحفلات المشتركة الشعبية في الهند ، والثانية أنشودة المسلم التي تفتتح بها اجتماعات المسلمين .

ثم نشبت الحرب البلقانية والطرابلسية سنة ١٩١٠م وما يوم حليلة بسر ، فكان لها في نفسية الشاعر أعظم أثر ، جرحت عواطفه وقلبه ، فتحرك ساكنه ، وهاج خاطره ، وجعلت منه عدواً لدوداً للحضارة الغربية ، والإمبراطورية الأوربية ، وأملأ حزنه ووجدته قصائد كلها دموع حارّة في سبيل المسلمين ، وسهام مسمومة في صدور الأوروبيين ، وتتجلى هذه الروح في جميع ما نظم وقال في هذه الفترة ، فمن قصائده « البلاد الإسلامية » رد على الوطنية ، و « دعوة إلى الجامعة الإسلامية » و « يا هلال العيد » و « المسلم » و « فاطمة بنت عبد الله » (وهي فتاة مسلمة استشهدت في جهاد طرابلس) و « محاصرة أدنة » و « الصديق » و « بلال » و « الحضارة الحديثة » و « الدين » و « شكوى

إلى الرسول « وقد نعى في هذ القصيدة على الزعماء والقادة ؛ الذين يتزعمون المسلمين ، وليست عندهم صلة روحية بالنبى ﷺ ، يقول : « أنا بريء من أولئك الذين يحجّون إلى أوربة ، ويشدّون إليها الرحال مرّة بعد مرّة ، ولا يتصلون بك أبداً في حياتهم ، ولا يعرفونك » و « هدية إلى الرسول » وقد قال فيها : « إنّهُ حضر عند النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ : ماذا حملت إلينا من هدية ؟ فاعتذر الشاعر عن هدايا الدُّنيا ، وقال : إنّها لا تليق بمقامكم الكريم ، ولكنّي جئت بهدية ، وهي زجاجة يتجلّى فيها شرف أمّتك ، وهو دم شهداء طرابلس » .

ثم انفجر البركان الأوروبي سنة ١٩١٤م ، وحدث ما حدث ، فانقلب الشاعر داعياً مجاهداً ، وحكيماً فيلسوفاً ، يتكهّن بالأخبار ، ويقول الحقائق ، وينظم الحكم ، ويشبّه من حماسته نيراناً ، ويفجّر إيمانه ، وثقته أنهاراً ، وجاش صدره ، وفاض خاطره ، وسالت قريحته ، وفي تلك المدة نظم غزراً قصائده منها : « خضر الطريق » وفيها قطع ، ومنها « الشاعر والتجول في الصحراء » و « الحياة » و « الحكومة » و « الرأسمالية » و « الأجير » و « عالم الإسلام » و « طلوع الإسلام » وكلّها آية في الشعر ، والحكمة ، والحماسة ، وحقائق الحياة ، أما « طلوع الإسلام » فهي بيت القصيد في شعره ، لا يوجد لها نظير في الشعر الإسلامي في القوة والانسجام ، وقد طبع سنة ١٩٢٤م أول مجموع شعره باسم « بانك درا » يعني جرس القافلة ، فكان إقبال الناس عليه عظيماً ، وحظي من القبول ما لم يحظ به شاعر ، وأعيد طبعه مراراً بعدد كبير .

ثم بدأ العهد الأخير الذي انتهى إلى وفاته ، وقد ازداد فكره نضجاً ، وأفق معارفه اتساعاً ، وقد انتظمت دعوته ، وأتضحت رسالته « فنشر له عدّة كتب فارسية ، وقد أثر اللغة الفارسية لشعره ؛ لأنها أوسع من الأردية ، وهي اللغة الإسلاميّة التي تلي اللغة العربية في الأهمية والانتشار في العالم الإسلامي ، ويتكلم بها قطران مهمّان : إيران ، وأفغانستان ، وتفهم في الهند ، ويحذقها كثير من أهلها ، وأهل تركستان ، وروسيا ، وتركيا ، ونشر مجموعتين

بالأردية ، فأما الدواوين الفارسية فهي « أسرار خودي » يعني (أسرار معرفة الذات) و « رموز بيهودي » (أسرار فتاة الذات) و « پیام مشرق » (رسالة الشرق) في جواب كتاب « جوته » « تحية الغرب » ، و « زبور عجم » و « جاويد نامه » و « بس جه بايد كرد أي أقوام شرق » (ماذا ينبغي أن تعمله لشعوب الشرقية) و « مسافر » و « أرمغان حجاز » (هدية الحجاز) وبالأردية « بال جبريل » (جناح جبريل) و « ضرب كلیم » (ضرب موسى) ، وغير هذه الكتب محاضرات ألقاها في مدينة « مدراس » طبعت باسم :

« Reconstruction of religious Thought in Islam » (تجديد الفكر الديني في الإسلام) .

ومحاضرات ألقاها في جامعة كامبردج ، وقد اعتنى بهذه المحاضرات المستشرقون ، وعلماء الفلسفة والدين اعتناءً عظيماً ، وعلقوا عليها أهميةً كبيرة ، وترجم أكثر كتبه إلى الإنكليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، والطيانية ، والروسية ، وممن تولى هذا النقل الأستاذ الإنكليزي الشهير الدكتور نكلسن ، فترجم بالإنكليزية « أسرار خودي » و « رموز بيهودي » وألفت في ألمانيا وإيطاليا مجامع وهيئات باسمه لدرس شعره وفلسفته ، وانتخب الدكتور رئيساً لحفلة الرابطة الإسلامية (Muslim League) السنوية التي عقدت في سنة ١٩٣٠م في « إله آباد » وعرض في خطبته فكرة باكستان أول مرة ، وانتخب عضواً في المجلس التشريعي في بنجاب ، وذهب مندوباً للمسلمين يمثل مؤتمر المسلمين (Muslim Conference) في مؤتمر المائدة المستديرة الثاني سنة ١٩٣٠م - ١٩٣١م .

رحلاته :

جاءته الدعوة في لندن من حكومة فرنسا ، وإسبانيا ، وإيطاليا ، فزار القطرين الأخيرين ، وألقى في « مجريط » محاضرات في الفن الإسلامي ، وزار مسجد قرطبة ، وصلى فيه لأول مرة في التاريخ بعد جلاء المسلمين ، وذرف

على تربته دموعاً غزيراً ، وتذكر العرب الأولين الذين حكموا هذه الأرض ثمانية قرون ، واستنشق في جوه وهوائه أريج حضارتهم ، وشعر كأن هذا المسجد العظيم يشكو إليه حرمانه من سجود المؤمنين ، وجو قرطبة يشكو إليه بعد عهده من الأذان ، وظمأه إلى ذلك ، فقال الشعر الرقيق الذي يعدُّ من القطع الأدبية الخالدة ، ونظم قصيدة من أبدع قصائده .

وكان في زيارته لهذه البلاد موضع حفاوة نادرة ، وإكرام بالغ ، وقابله السنيور موسولينى ، وكان من قراء كتبه ، والمعجبين بفلسفته ، وتحدث معه طويلاً ، وسأله حكومة فرنسا أن يزور مستعمراتها في شمال إفريقيا ، ولكن الشاعر الإسلامي الغيور رفض دعوتها ، وأبى أيضاً أن يزور جامع باريز ، وقال : إنَّ هذا ثمن بخس لتدمير دمشق وإحراقها ، وأثناء إقامته بأوربة أقيمت له عدَّة حفلات تكريم ، أقامها له أصدقاؤه ، وأساتذته في جامعة كامبردج ، وجامعة روما ، وجامعة السوربون ، وجامعة مجريط ، والمجمع الملكي في روما ، وفي طريقه إلى الهند عرَّج على القدس ، واشترك في المؤتمر الإسلامي الشهير ، وقال في أثناء الطريق قصيدته البديعة « ذوق وشوق » .

وفي سنة ١٩٣٢م لبَّى دعوة السلطان الشهير نادر خان ملك أفغانستان في بعثة تتألف من فقيه العلم والشرف سر رأس مسعود حفيد سر أحمد خان ورئيس جامعة عليكره الإسلامية ، والأستاذ الكبير السيد سليمان الندوي ، وتحدث إليه الملك الفقيه طويلاً ، وأفضى إليه بذات صدره ، وبكى طويلاً ، ولما زار قبر السلطان محمد الغزنوي فاتح الهند ، والحكيم سنائي لم يملك عينيه ، وافتضح باكياً ، وقال قصيدة حكيمة بديعة ، وعلى إثر رجوعه من كابل نظم منظومته « مسافر » .

وفاته :

وكان الشاعر يشتكي أدواء يغلبها وتغلبه ، وانحرفت صحته أخيراً ، وظل

أياماً طويلة رهين الفراش ، ولم يزل لسانه يفيض بالشعر ، ويملي الكتب والمقالات ، ويقابل الأصدقاء ، والزوّار ، والعواد ، ويحدثهم في شؤون إسلامية وعلمية ، ومما نشر له في هذه الأيام مقالة مستفيضة في الردّ على القومية ، تناقلتها الصحف ، وتحدّث بها الناس ، ومما قال قبل وفاته بأيام : « جنة لأرباب الهمم ، وجنة للعبّاد والزهاد ، قل للمسلم الهندي : أبشر ، فإنّ في سبيل الله جنة أيضاً » وقال قبل وفاته بعشر دقائق : « ليت شعري ! هل تعود النعمة التي أرسلتها في الفضاء ، وهل تعود النعمة الحجازية ، قد أظلّني موتي ، وحضرتي الوفاة ، فليت شعري ! هل حكيم يخلفني . . ؟ » ، وقال وهو يجود بنفسه : « أنا لا أخشى الموت ، أنا مسلم ، ومن شأن المسلم أن يستقبل الموت مبتهماً » ، وكان ذلك آخر برهانٍ أقامه على صدق الإسلام ، وإيمان المسلم وبقينه ، ولفظ نفسه الأخير في حجر خادمه القديم على حين غفلة من العواد ، والأصدقاء ، والتلاميذ ، والإخوان في سائر أنحاء العالم الإسلامي ، وغربت هذه الشمس التي ملأت القلوب حرارةً ، ونوراً قبل أن تطلع شمس ٢١ أبريل ١٩٣٨ م^(١) .

آثاره في الشعر والنثر :

بالفارسية

- ١ - أسرار الذات ١٩١٥ (أسرار خودي) .
- ٢ - رموز نفي الذات ١٩١٨ (رموز بيخودي) .
- ٣ - رسالة المشرق ١٩٢٣ (بيام مشرق) .

(١) روائع إقبال : للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، ٢٨ - ٣٧ . طبعة دار ابن كثير .

٤ - أناشيد فارسية ١٩٢٧ (زيور عجم) .

٥ - رسالة الخلود ١٩٣٢ (جاويد نامه) .

٦ - المسافر ١٩٣٦ (مسافر) .

٧ - ماذا ينبغي أن نفعل يا أمم الشرق ١٩٣٦ (بس جه بايد كرداي اقوام مشرق) .

٨ - هدية الحجاز ١٩٣٨ (أرمنان حجاز) .

بالأردية :

٩ - صلصة الجرس أو (جرس سفر القافلة) ١٩٢٤ (بانك درا) .

١٠ - جناح جبريل ١٩٣٦ (بال جبريل) .

١١ - عصا موسى ١٩٣٧ (ضرب كلیم) .

(ويتعلق ذلك بالربع الأخير من هذا الكتاب) .

١٢ - مراسلات إقبال ومقالاته (قد طبعت بعد وفاته) .

بالإنكليزية :

تطور ما وراء الطبيعة في فارس (رسالة ميونيخ) ١٩٠٢ .

تجديد الفكر الديني في الإسلام .

(Reconstruction of Religious Thought in Islam)



العوامل التي كوّنت شخصيته^(١)

المدارس الأولى التي تخرج فيها محمد إقبال :

لقد تخرج محمد إقبال في مدرستين : أما المدرسة الأولى : فهي مدرسة الثقافة العصرية والدراسات الغربية ، قلم يزل يتقلب في فصولها ، ودروسها ما بين الهند ، وإنجلترا ، وألمانيا ، ويقرأ على أساتذتها البارعين ، ويرتوي من مناهلها حتى أصبح من أفذاذ الشرق الإسلامي في ثقافته الغربية ، أخذ من علوم الغرب وثقافته وحضارته ، من فلسفة واجتماع ، وأخلاق واقتصاد ، وسياسة ومدنية غاية ما يمكن لغربي متخصص فضلاً عن شرقي متطفل ، وبلغ بدراسته إلى أحشاء الفلسفة القديمة والجديدة ، هذا إلى توسع في الآداب الإنكليزية والألمانية والشعر الغربي في مختلف أدواره وعصوره ، ودراسة الفكر الغربي في مختلف أطواره ومراحل حياته .

المدرسة الثانية : ولكن لو وقف صاحبنا عند هذا الحد ، واكتفى بشمار هذه المدرسة ؛ لما كان موضوع حديث اليوم . ولما اشتغل الأدب الإسلامي والتاريخ الإسلامي بالتغني بآثاره ، ولما فسحا له محلّ الصدارة العلمية ، والزعامة الفكرية العبقريّة ، والإسلامية ، ولكن منها شروط دقيقة ومستوى عال لا يحتله الإنسان بمجرد الدراسة ، والتفنن في العلوم ، وكثرة التأليف والإنتاج ، أقول : لو وقف صاحبنا عند هذه المدرسة ، واقتصر على ثقافتها ، ودراستها ، لما زاد على أن يكون أستاذاً كبيراً في الفلسفة ، أو علم الاقتصاد ، أو في الآداب ، أو التاريخ ، أو مؤلفاً كبيراً ، أو محاضراً بارعاً في العلوم

(١) مقتطف من محاضرة العلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، التي ألقاها في مدرج كلية الآداب بجامعة القاهرة في ١٩ من جمادى الآخرة ١٣٧٠هـ (الموافق ٢٨/٣/١٩٥١م) .

العصرية ، أو أدبياً صاحب أسلوب ، أو شاعراً مجيداً ، أو محامياً ناجحاً في مهنته ، أو قاضياً في محكمة ، أو وزيراً في دولة ، وصدقوني أيها الإخوة ! أن لو كان ذلك لطواه الزمان فيمن طوى من كبار العلماء ، والأدباء ، والشعراء ، والمؤلفين ، والقضاة ، والوزراء . إنَّ الفضل في عبقرية إقبال ، وخلود آثاره ، ونفوذه في العقول والقلوب ، يرجع إلى المدرسة الثانية : التي تخرج فيها .

إنني لأراكم أيها الإخوة ! تذهبون كلَّ مذهبٍ في تشخيص هذه المدرسة ، والاهتداء إلى موقعها ، وإنني لأراكم تتطلعون إلى معرفة أخبارها ، فمن أنشأ هذه المدرسة التي أنجبت مثل هذا الشاعر العظيم ؟ وما هي العلوم التي تدرس فيها ؟ وما هي لغة التعليم في هذا المعهد ؟ ومن المعلمون فيها ؟ فلا شكَّ أنهم من كبار المربين ، وأعظم الموجهين ، فقد أنتجوا مثل هذا النابغة في العلوم ، العملاق في العقل والتفكير ، وما هي شروط هذه المدرسة ، وما تكاليفها ؟ وأظن أن لو علمتم بوجودها ومحلَّها ؛ لأسرع كثيرٌ منكم إليها ، والتحق بها .

إنها مدرسةٌ ما خاب مَنْ تعلَّم فيها ، وما ضاع مَنْ تخرَّج منها ، إنها مدرسةٌ لم تخرج إلا أئمةَ القرنِ المجتهدين ، وواضعي العلوم المبتكرين ، وقادة الفكر والإصلاح المجددين ، الذين يشغلون المدارس ورجالها بتفهم ما قالوا ، ودراسة ما كتبوا ، وشرح ما خلفوا ، وتعليل ما ألفوا ، وتأيد ما أثبتوا ، وتفصيل ما أجملوا ، فيتكون من كلمتهم كتاب ، ومن كتابهم مكتبة .

إنها مدرسةٌ ما تعلم التاريخ بل تلد التاريخ ، وما تشرح الفكرة بل تضع الفكرة ، وما تنتخب الآثار ، بل تنتج الآثار ، إنها مدرسةٌ توجد في كلِّ زمانٍ ، وهي أقدم مدرسةٍ على وجه الأرض .

ولا أمتحن صبركم أيها الإخوة طويلاً ! إنها مدرسةٌ داخليةٌ تولد مع الإنسان ، ويحملها الإنسان معه في كلِّ مكان ، هي مدرسة القلب والوجدان ، هي مدرسةٌ تشرف عليها التربية الإلهية ، وتمدُّها القوة الروحية .

قد تخرَّج محمد إقبال في هذه المدرسة ، كما تخرَّج كثيرٌ من الرجال
 الموهوبين ، وحدث عنها كثيراً في شعره ، وردَّ إليها الفضل في تكوين سيرته ،
 وعقليته ، وأخلاقه ، وشخصيته ، وصرَّح مراراً بأنه يدين لهذه المدرسة
 ما لا يدين للمدرسة الخارجية ، وأنه لولا هذه المدرسة وتربيتها ؛ لما ظهرت
 شخصيته ، ولما اشتعلت مواهبه ، ولا انضحت رسالته ، ولا تفتحت قريحته ،
 وقد حدث عن معلمي هذه المدرسة وأساتذتها كثيراً ، وذكر فضلهم عليه .

العامل الأول :

فمَنْ يُرَدُّ الفضل إليه في هذه المدرسة « الإيمان » الذي لم يزل مربياً له
 ومرشداً ، ولم يزل مصدر قوته ومنبع حكمته ، وليس إيمان محمد إقبال هو
 الإيمان الجاف الخشيب ؛ الذي هو مجرد عقيدة ، أو تصديق بسيط ، بل هو
 مزيج اعتقاد وحب ؛ يملك عليه القلب والمشاعر ، والعقل والتفكير ، والإرادة
 والتصرف ، والحب والبغض ، وقد كان شديد الإيمان بالإسلام ورسالته « قوي
 العاطفة ، شديد الإخلاص ، والإجلال لرسول الله ﷺ ، متفانياً في حبه ، مقتنعاً
 بأن الإسلام هو الدين الخالد ؛ الذي لا تسعد الإنسانية إلا به ، وأن النبي ﷺ هو
 خاتم الرسل ، والبصير بالسبل ، وإمام الكل .

ويُرجع محمد إقبال الفضل في تكوين شخصيته ، وتماسكه أمام المادة
 ومغرياتهما ، وتيار الحضارة الغربية الجارف إلى الاتصال الروحي بالنبي ﷺ ،
 وحبّه العميق له ، ولا شك أن الحب هو خير حاجز للقلب ، وخير حارس له ،
 إذا احتل قلباً وشغله ؛ منعه من أن يغزوه غيره ، أو يكون كريحشة في فلاة ، أو
 يعبت به العابثون ، يقول : « لم يستطع بريق العلوم الغربية أن يهز لي ، ويعشي
 بصري ، وذلك لأنني اكتحلت بإئمة المدينة » ، ويقول : « مكثت في أتون
 التعليم الغربي ؛ وخرجت كما خرج إبراهيم من نار نمرود » ويقول : « لم يزل ،
 ولا يزال فراغة العصر يرصدونني ، ويكمنون لي ، ولكني لا أخافهم ، فلأنني
 أحمل اليد البيضاء ، إن الرجل إذا رزق الحب الصادق ، عرف نفسه ، واحتفظ

بكرامته ، واستغنى عن الملوك والسلاطين ، لا تعجبوا إذا اقتنصت النجوم ،
وانقادت لي الصعاب ، فإنني من عبيد ذلك السيد العظيم الذي تشرفت بوطائه
الحصباء ، فصارت أعلى قدراً من النجوم ، وجرى في إثره الغبار ، فصار أعين
من العبير .

وفي كتاب « أسرار خودي » ذكر الشاعر مقومات حياة الأمة الإسلامية ،
والدعائم التي تقوم عليها ، فذكر منها : اتصالها الدائم بنبيها ﷺ ، والتشبع
بتعاليمه ، والتفاني في حبه ، ولما ذكر النبي ﷺ اندفع الشاعر بمدحه ، وأرسل
النفس على سجيتها ، فقال أبياتاً لا تزال تعد من غرر المدائح النبوية ، والشعر
الوجداني ، يقول : « إنَّ قلب المسلم عامر بحبِّ المصطفى ﷺ ، وهو أصل
شرفنا ، ومصدر فخرنا في هذا العالم ، إنَّ هذا السيد الذي داست أمته تاج
كسرى ، كان يرقد على الحصير . إنَّ هذا السيد الذي نام عبيده على أسرة
الملوك كان يبيت ليالي لا يكتحل بنوم ، لقد لبث في غار حراء ليالي ذوات
العند ، فكان أن وُجدت أمةٌ . وُجد دستورٌ ، وُجدت دولةٌ ، إذا كان في
الصلاة فعيناه تهملان دمعاً ، وإذا كان في الحرب فسيفه يقطر دماً ، لقد فتح باب
الدنيا بمفتاح الدين ، بأبي هو وأمي ، لم تلد مثله أمٌ ، ولم تنجب مثله
الإنسانية ، افتتح في العالم دوراً جديداً ، وأطلع فجرأ جديداً ، كان يساوي في
نظرته الرفيع والوضيع ، ويأكل مع مولاة على خوانٍ واحدٍ ، جاءته بنت حاتم
أسيرةً مقيّدةً سافرة الوجه ، خجلةً مطرقةً رأسها ، فاستحيا النبي ﷺ ، وألقى
عليها رداءه .

نحن أعرى من السيدة الطائفة ، نحن عراة أمام أمم العالم ، لطفه وقهره كلُّه
رحمة ، هذا بأعدائه ، وذلك بأوليائه ، الذي فتح على الأعداء باب الرحمة ،
وقال : لا تشرب عليكم اليوم ! نحن المسلمون من الحجاز ، والصين ، وإيران ،
وأقطار مختلفة ، نحن غيضٌ من فيضٍ واحدٍ ، نحن أزهارٌ كثيرة العدد ، واحدة
الطيب والرائحة ، لماذا لا أحبه ، ولا أحنُّ إليه ، وأنا إنسانٌ ، وقد بكى لفراقه

الجدع ، وحنّت إليه سارية المسجد ؟ ! إنّ تربة المدينة أحبّ إليّ من العالم كله ،
أنعم بمدينة فيها الحبيب ! » .

ولم يزل حبّ النبي ﷺ يزيد ويقوى مع الأيام ، حتى كان في آخر عمره إذا
جرى ذكر النبي ﷺ في مجلسه ، أو ذكرت المدينة - على منورها ألف سلام -
فاضت عينه . ولم يملك دمهعه . وقد ألهمه هذا الحبّ العميق معاني شعرية
عجيبة ، منها قوله وهو يخاطب الله سبحانه وتعالى : « أنت غني عن العالمين ،
وأنا عبدك الفقير ، فأقبل معذرتي يوم الحشر ، وإن كان لا بدّ من حسابي فأرجوك
يا رب ، أن تعاسبني بنجوة من المصطفى ﷺ ، فإني أستحي أن أنسب إليه
وأكون في أمته ، وأقترف هذه الذنوب والمعاصي » .

وكان محمد إقبال كثير الاعتداد بهذا الإيمان ، شديد الاعتماد عليه ، يعتقد
أنّه هو قوته وميزته ، وذخيره وثروته ، وأن أعظم مقدار من العلم والعقل ، وأكثر
كميّة من المعلومات والمحفوظات لا تساوي هذا الإيمان البسيط ، يقول في
بيت : « إن الفقير المتمرّد على المجتمع - يشير إلى نفسه - لا يملك إلا كلمتين
صغيرتين قد تغلغلتا في أحشائه ، وملكنا عليه فكره وعقيدته ، وهما : لا إله
إلا الله ، محمد رسول الله » ، وهنالك علماء ، وفقهاء ، والواحد منهم يملك
ثروة ضخمة من كلمات اللغة الحجازية ، ولكنه قارون ، لا ينتفع بكنوزه » .

هذا هو إيمان محمد إقبال أيها السادة ! وحبّه ، ومن تتبّع التاريخ عرف أنّ
الحبّ هو مصدر الشعر الرقيق ، والعلم العميق ، والمحكمة الرائعة ، والمعاني
البديعة ، والبطولة الفائقة ، والشخصيّة الفذة ، والعبقريّة النادرة ، إليه يرجع
الفضل في غالب عجائب الإنسانية . ومعظم الآثار الخالدة في التاريخ ، وإذا
تجرّد منه شخصٌ ؛ كان صورةً من لحم ودم ، وإذا تجرّدت منه أمةٌ ؛ كانت
قطيعاً من غنم ، وإذا تجرّد منه شعرٌ ؛ كان كلاماً موزوناً مقفّى فحسب ، وإذا
تجرّد منه كتابٌ ؛ كان مجموع أوراقٍ وجبراً على ورق . وإذا تجرّدت منه
عبادةٌ ؛ كانت طقساً من الطقوس ، وهيكلًا بلا روح ، وإذا تجرّدت منه مدينةٌ ؛

أصبح تمثيلاً لا حقيقة فيه ، وإذا تجرّدت منه مدرسة ، أو نظام تعليم ؛ أصبح تقليداً ، أو تكليفاً لا متعة فيه ، ولا حافز به ، وإذا تجرّدت منه حياة ؛ كَلَّت الطباع ، وجمدت القرائح ، وأجدبت العقول ، وانطفأت شعلة الحياة ، واختفت المواهب ، هذا هو الحبُّ الصادق الذي يتجلّى على الرجل ، فيصدر منه من روائع الكلام ، أو خوارق الشجاعة ، والقوّة ، والآثار الخالدة في العلم والأدب ما لم يكن ليصدر منه لولا هذا الحبُّ الذي أشعل موهبته ، وفتح قريحته ، وملك عليه قلبه وفكره ، وأنساه نفسه ، ومتاعب الحياة ، وإغراء الشهوات ، وبريق المادّة ، فتمرد بذلك على المجتمع ، هذا هو الحبُّ الذي يدخل بين الطين والماء ، والحجارة والأجر ، فيجعل منها آثاراً خالدة ، وتحفةً فنيّةً ، كمسجد قرطبة ، وقصر الزهراء ، والتاج محل ، وما من أثر من الآثار الباقية في الأدب ، والفنّ ، والتأليف ، والبطولة ، إلا ووراءه عاطفة قويّة من الحبّ .

لقد ضلّ من زعم أنّ العلماء يتفاضلون بقوة العلم ، وكثرة المعلومات ، وزيادة الذكاء ، وأنّ الشعراء يتفاضلون بقوة الشاعرية ، وحسن اختيار اللفظ ، ودقّة المعاني ، وأنّ المؤلفين يتفاضلون بسعة الدراسة والمطالعة ، وكثرة التأليف والإنتاج ، وأنّ المعلمين يتفاضلون بحسن الإلقاء والمحاضرة ، واستحضار المادة الدراسية ، وكثرة المراجع ، وأنّ المصلحين والزعماء يتفاضلون بالبراعة في الخطابة ، وأساليب السياسة ، والحكمة ، واللباقة ، إنما يتفاضل الجميع بقوة الحبّ والإخلاص لغايتهم ، إذا فاق أحدهم الآخر ؛ فإنّما يفوقه ؛ لأنّ الغاية ، أو الموضوع حلّ في قرارة نفسه ، وسرى منه سرى الروح ، وملك عليه قلبه وفكره ، وقهر شهواته ، واضمحلت فيه شخصيته ، فإذا تكلم تكلم عن لسانه ، وإذا كتب كتب بقلبه ، وإذا فكّر ؛ فكّر بعقله ، وإذا أحبّ ؛ أو أبغض ، فبقلبه .

لقد جنت المدنية الحديثة أيها السادة ا على الإنسانية جنايةً عظيمةً ؛ إذ

قضت على هذه العاطفة التي كانت قوة كبرى ، ومنبعاً فياضاً للحياة ، وملأت فراغها بالنفعية والمادية ، أو الحب الجنسي ، والغرام المادي ، ولم تستطع بحكم ماديتها وضيق تفكيرها أن تفهم : أنَّ هناك حباً للمعاني السامية ، وجمالاً معنوياً هو أقوى من هذا الحب ، وأساءت المدرسة العصرية - وأعني بها نظام التعليم الحديث - إلى الجيل الجديد ؛ إذ لم تحتفل بهذه العاطفة والوجدان احتفالاً ما ، ولم تحسن توجيه القلوب وإشعالها بحرارة الإيمان ، وحياة الوجدان ، فأصبح العالم العصري أشبه بجمادٍ متحرِّكٍ دائرٍ لا حياة فيه ولا روح ، ولا قلب له ، ولا شعور ، ولا ألم عنده ولا أمل ، إنَّما هو دوامةٌ جامدةٌ ، تديرها يدٌ قاهرةٌ ، أو إرادةٌ قاسرةٌ .

فإذا رأيتم أيها السادة ! أنَّ شعر إقبال من نوع آخر غير النوع الذي عرفناه وجربناه في شعرائنا المتقدمين والمتأخرين ، وغير الشعر الذي ندرسه في مدارسنا ، هذا شعر تهتزُّ له المشاعر ، وتتوترُّ له الأعصاب ، ويجيش له القلب ، وتثور له النفس ، حتى تكاد تحطُّم السلاسل ، وتفكُّ الأغلال ، وتمرّد على المجتمع الفاسد ، وتصطدم بالأوضاع الجائرة ، وتستخفُّ بالقوَّة الهائلة ، شعرٌ إذا قرأه الإنسان في لغة الشاعر ، أحسَّ بأنه قد مرَّ به تيارٌ كهربائيٌّ ، فهزَّه هزاً عنيفاً ، إذا وجدتم ذلك أيها السادة ! فاعلموا أنه ليس إلا لأن الشاعر قويُّ الإيمان ، قويُّ العاطفة ، جيَّاش الصدر ، فيَّاض الخاطر ، ملتهبُ الروح ، قد أحسنت المدرسة الثانية التي تحدَّثت عنها تربيته ، وقد أحسن أساتذتها تثقيفه ، وتغذيته بهذه العاطفة ، وتنميتها ، وإشعالها فيه .

العامل الثاني :

أما الأستاذ الآخر الذي يرجع إليه الفضل في تكوين شخصيته وعقليته ؛ فهو أستاذ كريمٌ لا يخلو منه بيتٌ من بيوت المسلمين ، ولكن ليس الشأن في وجود الأستاذ وكونه بمتناول اليد من تلاميذه ، إنما الشأن في معرفته ، وتقديره وإجلاله والإفادة منه ، وإلا لكان أبناء البيت ، ورجال الأسرة ، وأهل الحيِّ

أسعد بعالمهم ، وأكثر انتفاعاً من غيرهم ، ولكن بالعكس من ذلك ، رأينا أنَّ العالم الكبير ، والحكيم الشهير ، والمؤلف العظيم ، ضائع في بيته ، مهجور في داره ، يزهد فيه أولاده ، ويستهين بقيمته أفراد أسرته ، ويأتي رجل من أقصى العالم فيغترف من بحر علمه ، ويتضلع من حكمه .

لا تذهب بكم الظنون ، ولا يبعد بكم القياس أيها الأخوة ! فذلك الأستاذ العظيم هو القرآن العظيم ، الذي أثر في عقلية إقبال وفي نفسه ما لم يؤثر فيه كتاب ، ولا شخصية ، ولكنه أقبل على قراءة هذا الكتاب إقبال رجل حديث العهد بالإسلام ، فيه من الاستطلاع والتشوق ما ليس عند المسلمين الذين ورثوا هذا الكتاب العجيب فيما ورثوه من مالي ، ومتاع ، ودار ، وعقار ، وقد وصل هذا المهتدي بشق النفس ، وعلى جسر من الجهاد والتعب ، كان سرور محمد إقبال باكتشاف هذا العالم الجديد من المعاني والحقائق أعظم من سرور « كولمبس » لما اكتشف العالم الجديد ، ونزل على شاطئه ، أما الذين ولدوا ونشؤوا في هذا العالم الجديد ، فكانوا ينظرون إلى « كولمبس » وأصحابه باستغراب ودهشة ، ولا يفهمون معنى لما كان يخامره من سرور وفرح ، فإنهم لا يجدون في هذا العالم شيئاً جديداً .

لقد كانت قراءة محمد إقبال للقرآن قراءة تختلف عن قراءة الناس ، ولهذه القراءة الخاصّة فضل كبير في تذوّقه للقرآن ، واستطعامه إياه ، وقد حكى قصته لقراءة القرآن ، وقال : « قد كنت تعودت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كلّ يوم ، وكان أبي يراني ، فيسألني : ماذا أصنع ؟ فأجيبه : أقرأ القرآن ، وظلّ على ذلك ثلاث سنوات متتاليات يسألني سؤاله ، فأجيبه جوابي ، وذات يوم قلت له : ما بالك يا أبي ! تسألني نفس السؤال ، وأجيبك جواباً واحداً ، ثم لا يمنعك ذلك عن إعادة السؤال من غد ؟ فقال : إنما أردت أن أقول لك يا ولدي ! اقرأ القرآن كأنما نزل عليك ، ومنذ ذلك اليوم بدأت أفهم القرآن ، وأقبل عليه ، فكان من أنواره ما اقتبست ، ومن درره ما نظمت . »

ولم يزل محمد إقبال إلى آخر عهده بالدنيا يغوص في بحر القرآن ، ويطير في أجوائه ، ويجوب في آفاقه ، فيخرج بعلم جديد ، وإيمان جديد ، وإشراق جديد ، وقوة جديدة ، وكلما تقدّمت دراسته ، واتسعت آفاق فكره ، ازداد إيماناً بأن القرآن هو الكتاب الخالد ، والعلم الأبدى ، وأساس السعادة ، ومفتاح الأقفال المعقّدة ، وجواب الأسئلة المحيرة ، وأنه دستور الحياة ، ونبراس الظلمات ، ولم يزل يدعو المسلمين ، وغير المسلمين إلى التدبر في هذا الكتاب العجيب ، وفهمه ودراسته ، والاهتداء به في مشكلات العصر ، واستفتائه في أزمت المديّة ، وتحكيمه في الحياة والحكم ، ويعتد على المسلمين إعراضهم عن هذا الكتاب الذي يرفع الله به أقواماً ، ويضع به آخرين ، يقول في مقطوعة شعرية : « إنك أيها المسلم ! لا تزال أسيراً للمتزعّمين للذين ، والمحتكرين للعلم » ولا تستمّد حياتك من حكمة القرآن رأساً ، إنّ الكتاب الذي هو مصدر حياتك ، ومنبع قوتك ، لا اتصال لك به إلا إذا حضرتك الوفاة ، فتقرأ عليك سورة « يس » لتموت بسهولة ، فوا عجباً ! قد أصبح الكتاب الذي أنزل ليمنحك الحياة والقوة ، يتلى الآن لتموت براحة وسهولة^(١) .

وقد أصبح محمد إقبال بفضل هذه الدراسة العميقة والتدبّر لا يفضل على هذا الكتاب شيئاً ، ولا يعدل به تحفةً وهديةً لأغنى رجل في العالم ، وأعظم الرجال علماً وعقلاً ، ولذلك لما دعاه المرحوم نادر خان ملك أفغانستان إلى كابل ، ونزل ضيفاً عليه ، أهدى محمد إقبال إلى الملك نسخة من القرآن ، وقدمها إليه قائلاً : « إن هذا الكتاب رأس مال أهل الحق ، في ضميره الحياة ، وفيه نهاية كلّ بداية ، وبقوته كان علي رضي الله عنه فاتح خير » فبكى الملك وقال : « لقد أتى على نادر خان زمان وما له أنيس سوى القرآن ، وهو الذي فتحت قوّته كلّ باب »^(٢) .

(١) هدية الحجاز (أرمغان حجاز) .

(٢) مشنوي مسافر .

العامل الثالث :

والركن الثالث أيها السادة ! في نظام تربيته ، وتكوين شخصيته هو معرفة النفس ، والغوص في أعماقها ، والاعتداد بقيمتها ، والاحتفاظ بكرامتها ، وقد عامل نفسه بما نصح به غيره ، وفي قصيدة يقول فيها : « انزل في أعماق قلبك » وادخل في قرارة شخصيتك ، حتى تكتشف سر الحياة ، ما عليك إذا لم تنصني وتعرفني ، لكن أنصف نفسك يا هذا ! واعرفها « وكن لها وفياً ، ما ظنك بعالم القلب » وهو كله حرارة وسكر ، وحتان وشوق ، أما عالم الجسم فتجارة ، وزور ، واحتيال ، إن ثروة القلب لا تفارق صاحبها ، أما ثروة الجسم فظل زائل ، ونعيم راحل ، إن عالم القلب لم أر فيه سلطة الإفرنج ، ولا اختلاف الطبقات ، ولقد كدت أذوب حياءً ، وتنذى جبينى عرقاً ؛ إذ قال لي حكيم : إذا خضعت لفيرك ؛ أصبحت لا تملك قلبك ، ولا جسمك »^(١) .

وقد كان إقبال كثير الاعتداد بمعرفة النفس ، يرى أن العبد يسمو بها إلى درجة الملوك ، بل يعلوهم إذا كان جريئاً مقداماً ، يقول في قصيدة : « إن الإنسان إذا عرف نفسه بفضل الحب الصادق ، وتمسك بآداب هذه المعرفة ، انكشفت على هذا المملوك أسرار الملوك . إن ذلك الفقير الذي هو أسد من أسود الله أفضل من أكبر ملوك العالم » .

إن الصراحة ، والجرأة من أخلاق الفتيان ، وإن عباد الله الصادقين لا يعرفون أخلاق الثعالب ، وقد جعلته هذه المعرفة النفسية والاعتداد لا يقبل رزقاً إذا قيد حريته ، يقول في نفس القصيدة : « يا صاح ! إن الموت أفضل من رزق يقص من قوادمي ، ويمنعني من حرية الطيران »^(٢) .

وكان إقبال يعرف قيمته ، ويعرف مكانته في غير صلف ولا غرور ، فيضئ

(١) جناح جبريل (بال جبريل) .

(٢) المصدر السابق .

بحرّيته وكرامته ، ويربأ بنفسه عن أن يكون عبداً لغيره ، يقول في مقطوعة :
 « لك الحمد يا رب ! إذ لستُ من سقط المتاع » ولست من عبيد الملوك
 والسلاطين ، لقد رزقتني حكمةً وفراصةً ، ولكّني أحمدك على أني لم أبعهما
 لملك من الملوك »^(١) ، ويقول مفتخراً : « إني من غير شك فقيرٌ قاعدٌ على
 قارعة الطريق ، ولكّني غنيّ النفس أبيّ » . وكان عمله بما يخاطب به غيره في
 قصيدة يقول فيها : « إذا لم تعرف رازقك كنت فقيراً إلى الملوك ، وإذا عرفته
 افتقر إليك كبار الملوك . إنّ الاستغناء ملوكية ، وعبادة البطن قتلٌ للروح ، وأنت
 مخيرٌ بينهما ، إذا شئت اخترت القلب ، وإذا شئت اخترت البطن »^(٢) ، ولا شك
 أنّ محمد إقبال اختار القلب .

لذلك كان يشور إذا جُرحت كرامته ، وامتنحت عفته ، قدّم إليه رئيس وزارة
 في دولة ، في عيد ميلاد محمد إقبال ، هديةً محترمةً من النقود ، فرفضها .
 وقال : « إن كرامة الفقير تأبى عليّ أن أقبل صدقة الأغنياء » . وعرضت عليه
 الحكومة البريطانية وظيفة نائب الملك في إفريقية الجنوبية ، وكان من تقاليد هذه
 الوظيفة أن حرم نائب الملك تكون سافرةً ، تستقبل الضيوف في اللوائيم
 الرسمية ، وتكون مع زوجها في الحفلات ، فأشير عليه بذلك ، فرفضها وقال :
 « ما دام هذا شرطاً لقبول الوظيفة ؛ فلا أقبله ؛ لأنه إهانة ديني ، ومساومة
 كرامتي » .

وكان بفضل معرفته بقيمة نفسه شديد الاحتفاظ بقوّته ومواهبه ، يعتقد أنّه
 صاحب رسالةٍ ومهمّةٍ في هذه الحياة . وليس له أن يضع نفسه محلّ الشاعر الذي
 ليست له رسالةٌ ، والنظاميين الذين ينظمون في كلّ مناسبة ، فإذا أريد منه غير
 ذلك ضاقت نفسه ، يقول في أبيات وجهها إلى رسول الله ﷺ : « إني لأشكو

(١) جناح جبريل .

(٢) المصدر السابق .

إليك يا سيد الأمم ! أن أصدقائي يعتقدون أنني شاعر نظام ، فيقترحون علي اقتراحات . ويقول في بيت آخر : « أنا حائر في أمري يا سيدي رسول الله ! إنك تأمرني أن أبلغ أمتك رسالة الحياة والقوة ، وهؤلاء يقولون : أرخ لموت فلان ، وفلان ، فماذا أفعل ؟ » .

وقد كانت هذه المعرفة من كبار أنصار شخصيته ورسالته ، ومما انتفع بها الإسلام انتفاعاً عظيماً ، وقد عصمت الشاعر من التيه الفكري ، والهبام الأدبي ، اللذين يصاب بهما أدباؤنا ، وشعراؤنا ، وكتّابنا ، وعلمائنا ! فيستجمعون كل كلاً ، ويهيمنون في كل واد ، ويكتبون في كل موضوع ، وافق عقيدتهم أم لا ، ويمدحون كل شخص ، ويظنون إلى آخر حياتهم لا يعرفون أنفسهم ، ولا يعلمون رسالتهم ، أما الدكتور محمد إقبال فكان من توفيق الله تعالى « ومن حسن حظ الإسلام والمسلمين في الهند : أنه عرف نفسه في أول يوم » وقدّر مواهبه تقديراً صحيحاً ، ثم ركّز فكره ، وقوة شاعريته على بعث الحياة والروح في المسلمين ، وإيجاد الثقة والاعتزاز بشخصيتهم ، والإيمان برسالتهم ، والطموح إلى القوة والحرية والسيادة ، كان شاعراً مطبوعاً ، حتى لو أراد أو أريد ألا يكون شاعراً لما استطاع ، ولقهره الشعر ، وغلبه . كان سائل القريحة ، فياض الخاطر ، ملهم المعاني ، مطاع اللفظ ، وكان مبدعاً يوم كان شاعراً ، وكان فناناً وصنّاعاً ماهراً ، سلّم له شعراء العصر بالإمامة والإعجاز ، وتأثر بشعره الجوّ ، فما من شاعر ولا أديب في عصره إلا تأثر به في اللغة ، أو التراكيب والمعاني ، والأفكار ، والأغراض ، وهو من أفذاذ شعراء العالم في التفنّن والإبداع ، وابتكار المعاني « وجدة التشبيه ، والاستعارات ، وقد ساعده في ذلك اتصاله بالشعر الإنجليزي والألماني ، فضلاً عن الفارسي الذي هو خاتم شعرائه ، ولكن ليس هذا كل ما يمتاز به محمد إقبال ، فعصره لا يخلو من شعراء ، ولا يخلو من شعراء مجيدين ، ولكنه امتاز بأنه أخضع شاعريته القويّة ، وقوّته الأدبية ، وعبقريته الفنيّة لرسالة الإسلام ، فلم يكن شاعر ملك ، ولا

شاعر الوطنية ، ولا شاعر الهوى والشباب ، ولا شاعر الحكمة والفلسفة ، بل كان صاحب رسالة إسلامية ، استخدم لها الشعر ، كما تستخدم للرسائل أسلاك الكهرباء ، فتكون أسرع وصولاً ، ولطيب الأزهار نفحات الهواء ، فيكون أكثر انتشاراً ، فكان الشعر حامل رسالته ، ورائد حكمته ، يسبقها ، ويوطئ لها أكنافاً ، ويدلل لها صعباً ، ويفتح أبواباً ، وكان شعره من جنود الإسلام ﴿ وَلَقَدْ جَاءُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الفتح : ٤] ولا أعرف أحداً يستخدم شعره لغرض أسمى ، وغاية أجدى منه ، فأيقظ أمةً ، وأشعل قلوبها إيماناً ، وحماسةً ، وطموحاً إلى حياة الشرف ، والاستقلال ، والسيادة ، والحكم الإسلامي ، حتى أصبحت هذه الأمة لا ترضى إلا بدولة تحكمها ، وتدير دفتها ، أوجد بشعره القوي الهزاز القلق الفكري ، والاضطراب النفسي ، الذي عمّ هذا الشعب المسلم ، وساور الشباب الإسلامي بصفة خاصة ، فأصبحوا لا يرتاحون ، ولا يهدأ لهم خاطر في حياة العبودية ، والدلة ، وحكم الأجانب ، حتى أصبحت في يوم من الأيام الدولة المسلمة الحرة حقيقة راهنة ، وواقعاً ملموساً .

ولا نعرف شاعراً أو أديباً يرجع إليه الفضل في تأسيس دولة ، وتهيئة النفوس لها مثل ما يرجع إلى هذا الشاعر الإسلامي ، وتعلمون جميعاً أن الدول تسبقها الثورات الفكرية ، والتذمر من الحاضر ، والتطلع إلى المستقبل ، والقلق النفسي ، فإذا تمّ هذا كله ، ونضج ، قامت دولة ، فإن كان شعرٌ قد أقام دولة ، وأحدث ثورة فكرية ، كانت سبب الانتقال من حياة إلى حياة ، ومن وضع إلى وضع ، فهو من غير شك شعر إقبال ، وما ذاك أيها الإخوة ! إلا بمعرفة الرجل نفسه ، وتقديره لمواهبه وقوّته ، ووضعها في محلّها ، والغيرة عليها من أن تضيع في موضوعات تافهة ، وألفاظ فارغة ، وألوان زاهية ، ومظاهر الجمال الفانية ، وكم ضاع رجال من العبقرين وأهل المواهب الكبيرة لعدم معرفتهم أنفسهم ، وقيمة ما يحسنون ، وما يمتازون به عن أقرانهم ، فباعوا أنفسهم ،

وعلمهم بالمناداة ، أو باللغة المصرية « بالمزاد العلني » وقتلوا إنسانيتهم قبل أن يقتلها غيرهم ، ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النمل : ٢٢] .

العامل الرابع :

والمربي الرابع أيها السادة ! الذي يرجع إليه الفضل في تكوين سيرته وشخصيته ، وفي قوة شعره وتأثيره ، وجدة المعاني ، وتدقق الأفكار ، هو أنه لم يكن يقتصر على دراسة الكتب ، والاشتغال بالمطالعة ، بل كان يتصل بالطبيعة من غير حجاب ، ويتعرض للنفحات السحرية ، ويقوم في آخر الليل ، فيناجي ربه ، ويشكو به وحزنه إليه ، ويتزود بنشاط روحي جديد ، وإشراق قلبي جديد ، وغذاء فكري جديد ، فيطلع على أصدقائه وقرائه بشعر جديد ، يلمس الإنسان فيه قوة جديدة ، وحياة جديدة ، ونوراً جديداً ، لأنه يتجدد كل يوم ، فيتجدد شعره ، ويتجدد معانيه .

وكان عظيم التقدير لهذه الساعات اللطيفة التي يقضيها في السحر ، ويعتقد أنها رأس ماله ، ورأس مال كل عالم ومفكر ، لا يستغني عنها أكبر عالم أو زاهد ، يقول في بيت : « كن مثل الشيخ فريد الدين العطار في معرفته ، وجلال الدين الرومي في حكمته ، أو أبي حامد الغزالي في علمه وذكائه ، وكن من شئت في العلم والحكمة ، ولكن لا ترجع بطائل » حتى تكون لك أنة في السحر ، وكان شديد المحافظة على ذلك ، كثير الاهتمام به ، يقول في مطلع قصيدة : « رغم أن شتاء إنجلترا كان قارساً جداً ، وكان الهواء البارد يعمل في الجسم عمل السيف ، ولكني لم أترك في لندن التبكير في القيام » ، وكان لا يبغي به بدلاً ، ولا يعدل به شيئاً ، يقول في بيت : « خذ مني ما شئت يا رب ! ولكن لا تسلبني اللذة بأنة السحر ، ولا تحرمني نعيمها » ، بل كان يتمنى على الله أن تتعدى هذه الأنة السحرية ، والحرقة القلبية إلى شباب الأمة المتنعمين ، فتحرك سواكن قلوبهم ، وتنفع الحياة في هياكلهم ، يقول في قصيدة : « اللهم ! اجرح أكباد الشباب بسهام الآلام الدنيبة ، وأيقظ الآمال والأمانى النائمة في صدورهم بنجوم

سمواتك ، التي لا تزال ساهرة ، وعبادك الذين يبيتون الليل سجداً وقياماً ، ولا يكتحلون بنوم ، ارزق الشباب الإسلامي لوحة القلب ، وارزقهم حُبِّي وفراستي ، ويقول في قصيدة : « اللهم ارزق الشباب أثني في السحر ، وأثبت لصقور الإسلام القوادم والخوافي ؛ التي نظير بها وتصطاد ، وليست لي أمنية يا رب ! إلا أن تنتشر فراستي ، ويعمّ نور بصيرتي في المسلمين » .

العامل الخامس :

والعامل الأخير ، والمؤثر الكبير في تكوين عقليته وتوجيه رسالته أيها السادة ! هو « المثنوي المعنوي » بالفارسية ، وقد كتبه مولانا جلال الدين الرومي في ثورة وجدانية ، ونفسية شديدة ضدّ الموجة العقلية الإغريقية ؛ التي اجتاحت العالم الإسلامي في عصره ، وقد انتصر فيه للإيمان والوجدان انتصاراً قوياً ، وانتصف للقلب ، والروح ، والعاطفة ، والحبّ الصادق ، والمعاني الروحية من المباحث الكلامية الجافة ، والقشور الفلسفية التي كانت تشغل أذهان المسلمين ، والمدارس الدنيوية ، والأوساط العلمية في الشرق الإسلامي ، والكتاب متدفّق قوّةً وحياةً ، زاخرٌ بالأدب العالي والمعاني الجديدة ، والأمثال الحكيمة ، والحكم الغالية ، والنكت البديعة ، وطابعه العاطفة القوية ، والطبع الرّيان الذي يملي هذه المنظومة التي لا تزال فريدة في موضوعها في مكتبة الإسلام العامرة ، ولا يزال له التأثير القويّ في تحرير الفكر من رقّ العقل ، والتقديس الزائد للقيم العقلية ، والخضوع للمادّية الرعناء ، ويبعث التمرّد على عالم المادّية الضيق ، والتطلّع إلى أجواء الروح الفسيحة ، وكان العالم في عصر محمد إقبال يواجه التيار العقلي الأوروبي الذي جرف جميع القيم الروحية والخلقيّة ، وقد زادت الآلات الميكانيكية هذه الحضارة بعداً عن المعاني الروحية ، والمبادئ الخلقية ، وما بعد الطبيعة ، فأصبحت حضارة عقلية ميكانيكية ، وقد قضى محمد إقبال فترةً من الزمن ينازعه عاملان : عامل العقل ، وعامل القلب ، وقام صراعٌ بين عقله المتمرّد ، وعلمه المتجدّد .

وقلبه الحارّ الفائض بالإيمان ، وفي هذا الاضطراب الفكري والاضطراب
 النفسي ، ساعده المثوي مساعدةً غالية « ودافع عن عاطفته وقلبه دفاعاً مجيداً ،
 وحلّ به كثيراً من ألغاز الحياة » ولم يزل محمد إقبال يعرف له الجميل ، ويحفظ
 له هذا الفضل ، ويذكره في كثير من أبياته ، ويعزو إليه كثيراً من الحقائق
 والحكم ، يقول في بيتٍ يخاطب فيه أحد المأخوذين بسحر الغرب : « قد سحر
 عقلك سحر الإفرنج » فليس لك دواء إلا لوعة قلب الرومي ، وحرارة إيمانه ،
 لقد استنار بصري بنوره ، ووسع صدري بحرأ من العلوم » ويقول في بيت :
 « لقد أفدت من صحبة شيخ الروم أنّ كليماً واحداً - يشير إلى سيدنا موسى - هامته
 على راحته يغلب ألف حكيم قد أحنوا رؤوسهم للتفكير » ، وكان محمد إقبال
 يرجو أن يجدد علمه ورسالته في القرن العشرين ، ويخلفه في مهمته العلمية ،
 والروحية ، وكان يشعر أنّ الشيخ لا يزال يفوقه في الجانب الروحي ، وقد أشار
 إلى ذلك إشارة لطيفة ، يقول في قصيدة : « لم ينهض روميّ آخر من ربوع
 المعجم مع أن أرض إيران لا تزال على طبيعتها ، ولا تزال تبريز كما كانت ، إلا أنّ
 إقبالاً ليس قانطاً من تربته ، فإذا سقيت بالدموع نبتت نباتاً حسناً ، وأنت بحاصل
 كبير » .

هذه هي العوامل البارزة التي كونت شخصية محمد إقبال ، وهذه هي آثار
 تربية المدرسة الثانية التي تخرج فيها ، ولا شك أنّها أقوى من آثار المدرسة
 الأولى ، وكميات من المعلومات وافرة « فقد علمته المدرسة الثانية المتعددة
 الجوانب كيف يستعمل هذه المعلومات ، وكيف يخدم بها نفسه وأمته ، وقد
 منحته المدرسة الثانية العقيدة الراسخة ، والإيمان القوي ، والخلق المستقيم ،
 والتفكير السليم ، والرسالة الفاضلة .



الحقائق التاريخية في شعر محمد إقبال^(١)

لم يكن إقبال اختصاصياً في مادة التاريخ ، ولم يزعم لنفسه امتلاكاً للموضوع وتعمقاً فيه ، واطلاعاً على أسرارهِ وخفاياه ، وإذا طلب منه في مناسبة من المناسبات أن يتناول كتاباً يدور حول هذا الموضوع ويتصل به من بعيد أو قريب بالنقد والتعريف ، أحجم عن الكتابة ، واعتذر عنها ببساطة وتواضع ، وقال : « إنه لم يختص في هذه المادة ، إنه كان عالم الفلسفة أو عالم القرآن » ، ولكن من البديهي المعروف أن دراسته كانت واسعة متنوعة عميقة ، وأنه تأمل خلال بحثه العلمي المتواصل ودراسته الطويلة الواسعة في تاريخ الأمم والشعوب والدول والحكومات ، وفي الأديان والأخلاق ، وفي المجتمعات البشرية والحضارات الإسلامية المختلفة ، بنظر ثاقب ، ونزل في أغوارها واهتدى إلى أسرارها ، ورغم أن التاريخ - كما قلنا - لم يكن محور دراساته ، إلا أنه اعتنى بالموضوع عناية لائقة شأن كل باحث يهيمه مصير الإنسان ونهضة الإنسانية وانحطاطها ، والقضايا البشرية المصيرية .

وكان الوجه الثاني أن الفلسفة تثير في الإنسان تطلعاً قوياً إلى الحقيقة المجهولة ، وتحدث فيه ملكة خاصة في ربط الوحدات الضائعة والأجزاء المتناثرة ، والتوصل من المقدمات إلى النتائج ومن الجزئيات إلى الكلّيات ، والانتقال من الحوادث الظاهرة والتغيرات العابرة والأحداث الطارئة إلى كنه الحوادث وأعماقها ؛ لذلك نجد إقبالاً يتوصل بدراسته العامة للتاريخ إلى نتائج

(١) مقتطف من محاضرة العلامة أبي الحسن الندوي التي ألقاها في ندوة علمية في مدينة شيكاغو (الولايات المتحدة الأمريكية) في أغسطس ١٩٧٥م وكتبها أصالة في الأردوية ، ونقلها إلى العربية المرحوم الأستاذ محمد الحسني رئيس تحرير مجلة «البعث الإسلامي» .

وحقائق لا يصل إليها أولئك الباحثون والعلماء والمؤرخون ، الذين حرموا هذه الحاسة الفلسفية ، والذين هم طلاب مدرسة التاريخ الجامدون وأساتذتها التقليديون ، وقد دله على الوصول إلى تلك الحقائق والنتائج العميقة فهمه العميق للقرآن ، ودراسته المخلصة المتواصلة لهذا الكتاب المعجز ، الذي يحتوي على مواد أساسية ومبادئ واضحة تتوقف عليها سعادة الأجيال البشرية وشقاؤها ، ورقبها وزوالها ، والذي يكشف الستار عن الحوادث التي ستواجهها الإنسانية في المستقبل ، وأسباب شقاء الأمم وهلاكها وازدهارها ، كشفاً تتحير له الألباب ، ويقف عنده العقل عاجزاً مشلولاً لا يجد له التأويل . غير أن هذا الكتاب الذي نزل على « الأمي ابن البادية » - كما يقول إقبال - منزل من الله العليم الخبير الذي فطر السموات والأرض ، وذلك ما قاله إقبال عندما قَدَّمَ إلى الأمير الشهيد نادر خان ملك أفغانستان ، المصحف الشريف :

« إن هذا القرآن سند أهل الحق ، في ضميره حياة وروح ، تدرج في بدايته النهاية ، به فتح عليّ باب خير » .

ويقول في ديوان « أسرار خودي » :

« إن هذا الكتاب كتاب خالد ، حكته غارقة في الأزل سارية إلى الأبد ، إنه يفشي أسرار تكوين الحياة ، ويثبت الضعيف الذي تزلزلت أقدامه ، بالقول الثابت » .

إن دراسة شعر إقبال تزودنا بمعلومات وحقائق جديدة إذا تفحصنا في غضون دراساته التاريخية ، ورأينا إلى أي مدى تستطيع هذه الومضات التاريخية في شعره الحي ، أن تسعف رواد مناهل العلم والبحث الذين يريدون الاستفادة من التجارب الحضارية ، وإنه ليس أقل من « اكتشاف » إذا قلنا إن شعر إقبال يتضمن بعض إشارات تاريخية دقيقة تتكون منها مؤلفات تاريخية إذا شرحناها شرحاً وافياً ، فقد جمع في بعض أبياته ومقطوعاته أحياناً ، وفي بيت واحد بعض الحين ، عصارة دراسات عميقة ، ومحصول تأملات طويلة ، ولباب مكتبات

كاملة تكونت في التاريخ وفلسفة التاريخ ، وهناك التقى إيجازه بالإعجاز ، ويمكن إذا شرحنا شعره في نثر وسقنا له شواهد تاريخية ودلائل (وهي كثيرة) أن يأتي رائعاً أخذاً كما هو الحال في شعره الحلو ، وبيانه الجميل ، وكلامه الجزل ، ولا يمكن أن يقدر قيمة هذه الإشارات العلمية والتاريخية وصدق نتائجها وعواقبها التي جاءت في شعره تقديراً صحيحاً دقيقاً إلا من كان له اطلاع واسع عميق على التاريخ الإنساني والتاريخ الإسلامي وعلى علو القرآن ، وخبرة دقيقة باليهودية والمسيحية ، والأديان الهندية القديمة ، والفلسفات العجمية وآدابها ، وتاريخ القرون الوسطى التي يسميها المؤرخون الغربيون بحق بالقرون المظلمة « Dark Ages » .

ونقدم هنا نماذج من فراسته التاريخية وحكمته القرآنية التي تجلت في شعره ، من غير تدقيق وتمحيص كبير ، واستيعاب شامل ، لكل ما ورد في هذا الموضوع ، وإنما اخترنا من أبياته ما أعانت عليه الذاكرة ، وانطلق به اللسان ، واعتمدنا على شرحه وتصويره وإبرازه في صورته الواضحة المتكاملة على المعلومات العامة لدى القارى ودراسته للتاريخ الذي يحظى به عادة كل متعلم ، ولكننا لا نستطيع أن ندرك عظمة هذه الحقائق ، وأن نصدق تلك الأفكار والآراء التي قدمها إقبال إلا إذا اطلعنا على خلفياتها التاريخية والمجتمع الذي تدور حوله هذه الأبيات .

ولذلك نستعرض قبل أن نقدم هذه الأبيات الأجواء التي أنشئت فيها ، والظروف التي دفعت إليها .

لقد وزعت الديانات القديمة - وخاصة المسيحية - الحياة الإنسانية في قسمين : قسم للدين وقسم للعالم ، ووزعت هذا الكوكب الأرضي في معسكرين ، معسكر رجال الدين ومعسكر رجال الدنيا ، وما كان هذان المعسكران متفصلين فحسب ، بل حال بينهما خليج كبير أو وقف دونهما حاجز سميك ، وظلا متشاكسين متحاربين ، وكانا يعتقدان بأن هناك خصومة وعداء

بين الدين والدنيا ، فإذا أراد إنسان أن يتصل بأحدهما لزم عليه أن يقطع صلته بالآخر ، بل يعلن الحرب عليه ، فلا يمكن له - على حد قولهم - أن يركب سفينتين في وقت واحد ، وأنه لا سبيل إلى الكفاح الاقتصادي ورخائه من غير غفلة عن الدار الآخرة وإعراض عن فاطر السموات والأرض ، ولا بقاء لحكم أو سلطة من غير إهمال التعاليم الدينية والخلقية والتجرد عن خشية الله ، ولا إمكان للتدين من غير الرهبانية وقطع الصلة عن الدنيا وما فيها .

المعلوم المقرر أن الإنسان محب لليسر مجبول عليه ، وكل فكرة عن الدين لا تسمح بالاستمتاع المباح والنهضة والاستعلاء والحصول على القوة والحكم ، لا تصلح للنوع البشري في الغالب ، إنه صراع مع الفطرة السليمة ، وكبت للغرائز الطبيعية البريئة في الإنسان ، وكانت نتيجة هذا الصراع أن عدداً كبيراً من أصحاب الفطنة والذكاء والكفاءات العلمية آثروا الدنيا على دينهم ورضوا بها - كحاجة اجتماعية وواقع حي - واطمأنوا إليها ، وعكفوا على تحسين هذه الحياة والحصول على ملذاتها ، ولم يبق لهم أمل في الدين .

وأكثر الذين هجروا الدين بصورة عامة هجروه على أساس هذا التناقض الذي حسبه حقيقة بديهية مسلمة ، وثار البلاط الذي كان يتزعم الحكم الديني على الكنيسة التي كانت تمثل الدين وتتجرد عن سائر قيوده ، فصارت الحكومات - بطبيعة المنطق - كغيل هائج مائج تخلص من سلاسله وقيوده ، أو كجمل هائم حبله على غاربه ، هذا الانفصال بين الدين والدنيا ، وذلك العناد بين رجال الدين ورجال الدنيا ، لم يضع حداً على الدين والأخلاق ولم يحرمه من بركات السماء والأرض فحسب ، بل فتح الباب على مصراعيه للإلحاد واللا دينية وكانت فريسته الغرب أولاً ، والأمم التي دانت لها في الفكر والعلم والثقافة أو عاشت تحت رايته ثانياً ، وزاد الطين بلة دعاة المسيحية المتطرفون والمفرطون الذين كانوا يعتبرون الفطرة البشرية أكبر عائق في التزكية الروحية والاتصال بالسماء ، والذين لم يدخروا وسعاً في إذلالها وتعذيبها بأنواع من

الأحكام القاسية والتعاليم الجائرة^(١) ، وقدموا صورة وحشية كالحجة جائرة مفزعة للدين تقشعر منها جلود الذين آمنوا ، وآل الأمر في النهاية إلى تقلص ظل الدين ، وبلغت عبادة النفس والهوى - في أوسع معناها - إلى ذروتها ، وأصبحت الدنيا تتأرجع بين طرفي نقيض ، ثم سقطت أخيراً بضعف الوازع الديني أو فقدان الحاسة الدينية في هوة عميقة من اللادينية والفوضى الخلقية العامة^(٢) .

وأعظم هدية للبعثة المحمدية ، ومنتهى العظيمة ، ونداؤها الذي دوت به الآفاق أن أساس الأعمال والأخلاق هو الهدف الذي ينشده المرء الذي عبر عنه الشارع بلفظ مفرد بسيط ولكنه واسع عميق « النية »^(٣) .

إنه لا يؤمن بأن هذا مجرد دنيا ، وذاك مجرد دين ، إنه يعتقد أن كل عمل يقوم به الإنسان ابتغاء مرضاة الله ، وبدافع الإخلاص وامتنال أمره وطاعته ، هو وسيلة إلى التقرب إلى الله والوصول إلى أعلى مراتب اليقين ودرجات الإيمان ، وهو دين خالص لا تشوبه شائبة ، ولو كان هذا العمل جهاداً أو قتالاً أو حكماً أو إدارة أو تمتعاً بطلبات الأرض ، وتحقيقاً لمطالب النفس ، وسعياً لطلب الرزق والوظيفة ، واستمتاعاً بالتسلية البريئة المباحة ، والحياة العائلية والزوجية ، وكل عبادة وخدمة دينية - بالعكس من ذلك - تعتبر دنيا إذا تجردت من طلب رضا الله سبحانه ، والخضوع لأوامره ونواهيه ، وغشيتها غاشية من الغفلة ونسيان الآخرة ، ولو كانت صلوات مكتوبة ، ولو كانت هجرة وجهاداً وذكرأً وتسبيحاً ،

(١) انظر « تاريخ أخلاق أوربة » ج/ ٢ لمؤلفه ليكي .

(٢) اقرأ للتفصيل كتاب « الصراع بين الدين والعلم » لدرابر ، أو « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للعلامة أبي الحسن علي الندوي ، باب « الإنسانية في الاحتضار » .

(٣) هذا الحديث الصحيح الذي بلغ عند بعض المحدثين حد الاستفاضة والشهرة ، والذي افتتح به الإمام البخاري الصحيح : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » .

وقتلًا في سبيل الله ، ولا يثاب عليه العامل والعالم والمجاهد والداعي ، بل قد تعود تلك الأعمال والخدمات عليه وبالألأ ، وتكون بينه وبين الله حجاباً^(١) .

وإنها مأثرة عظيمة من مأثر سيدنا محمد ﷺ ومته العامة الخالدة على الإنسانية ، أنه ملأ هذه الفجوة الواسعة بين الدين والدنيا ، وجعل هذين المتنافرين المتباعدين اللذين عاشا في خصام دائم ، وعداء سافر ، وحقد مستمر ، يتعانقان في إلف وود ويتعايشان في سلام ووثام ، إنه ﷺ رسول الوحدة ، وبشير ونذير في الوقت ذاته ، إنه أخذ النوع البشري من المعسكرين المتحاربين إلى جبهة موحدة من الإيمان والاحتساب ، والعطف على البشرية وابتغاء رضوان الله ، وعلمنا هذا الدعاء الجامع المعجز الواسع : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١] .

إنه أعلن بالآية التالية : ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] أن حياة المؤمن ليست مجموعة وحدات متفرقة متضادة ، فالعبودية والعبادة وحدة شاملة وصورة جامعة ، قد ترى فيها رجال الله في زي الأمراء ومعيشة أصحاب الثراء والجاه ، وترى فيه أمراء وأغنياء في مستوى العباد والزهاد ، جمعوا بين السيف والمصحف ، عباد ليل ، وأحلاس خيل ، من غير أن يروا في ذلك تناقضاً ، ومن غير أن يجدوا فيه مشقة وحرماً .

واقراً بعد هذا التمهيد أبيات شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال الذي أنشدها تحت عنوان « الدين والسياسة » ، وتأمل كيف قيد هذا التاريخ الحافل للإسلام والمسيحية والقرون المتوسطة ، والعصر الحديث ، وتعاليم هاتين الديانتين ، ووضع كل هذه الحقائق والمعلومات والمعارف في إطار صغير أو زجاجة راتقة من أبيات « تترامى لنا بحلاوتها وسهولتها ، وعذوبة جرسها إلى

(١) كتب الحديث زاخرة بالآثار الدالة على ذلك ، انظر أبواب الإخلاص والنية ، والإيمان والاحتساب .

جانب طابعها العلمي الرزين وجلالها الفني البديع ، كأنها كأس من الزلال أو جزء من السحر الحلال :

« قامت الكنيسة على أساس الرهبانية فلم تسعها - بالطبع - القيادة والسيادة ، والحكم والإدارة ، فقد كان هنا عدااء قديم بين الرهبانية والحكم ، هذا خضوع واستسلام ، وذاك استعلاء كامل واستيلاء .

حتى خلصت السياسة نفسها أخيراً من الدين ومقرت منه كما يمرق السهم من الرمية ، وأصبح رجال الكهنوت مكتوفي الأيدي أمام هذا الوضع ، لا يقدرّون على شيء ، فلما انفصل الدين عن الدولة ، جاءت الشهوة وشاع الهوى ، وساد قانون الغاب ، هذا الانفصال شؤم على الدولة والدين ، هو لا يدل إلا على ضعف بصر هذه الحضارة وفساد ذوقها .

ولكنه إعجاز رجل من رجال البادية ، الذي كان بشيراً ونذيراً بذات الوقت ، يتجلى في بشارته الإنذار ، وفي إنذاره البشارة .

ولا حفاظ للإنسانية من أخطارها ، ولا سبيل إلى نهضتها إلا بأن يسير الزهاد والعُباد ، مع الراكبين على صهوات الخيل ومتون الجياد^(١) .

إن التاريخ الإنساني الطويل - الذي أثخن بالجراح وطفح كأسه بالدماء والدموع ، وأحاط بجزئه الأكبر حروب طاحنة ، ومعارك ضارية ومغامرات أفراد وجماعات وشعوب - يشهد بأن تجمع القوة والحكم في أفراد أو جماعة لم يضر النوع البشري مثل ما ضره وجر الشقاء عليه شهوة الحكم ونشوة القوة ، والشعور بالتفوق والعظمة ، فكلما يستولي هذا الشعور على فرد أو جماعة ويحس بأنه ليس على وجه الأرض من هو أقوى منه ، وأنه سيل جارف لا يمنعه شيء ، وقضاء الله المبرم الذي لا راد له ، والشعوب المجاورة كلها والإنسانية برمتها حالة عليه وتحت رحمته ، ورهن إشارته ، والحقيقة الباقية والشرعية السائدة هي القوة ،

(١) جناح جبريل (بال جبريل) .

أما الإنسانية والعدالة الاجتماعية والرحمة والأخلاق والضمير ، والحنن والقيح والخبيث والطيب ، فهي كلمات فارغة لا تحمل معنى ، ومنطق انهزامي ، منطق العبيد والضعفاء والمساكين ، والأمم المستضعفة التي لا تملك حَوْلًا ولا طَوْلًا ، وكلما يصبح شعار (Might is Right) « القوة هو الحق » مقياس الحق والباطل ، وتمد هذه الفلسفة أجنحتها على شُعَب الحياة كلها ، وتصبح خشية الله ، والعطف على الإنسانية ، والورع واتقاء المحارم والصبر عنها ، والحياء وشُعَبه ، آية الجبن وسمة الضعف والتخاذل ، وتتحول الوسائط غايات وتصبح الغايات ممتدة إلى ما لا نهاية لها ، فهناك ينقلب هذا الفرد أو تنقلب هذه الفئة والجماعة قوة مدمرة عمياء أو بركاناً نارياً هائلاً يتفجر على الإنسانية ، فلا تقف في زحفه الجهنمي وسيله الناري حكومات مستقرة ، وإمبراطوريات عظيمة ، ولا تمنعه حضارات الإنسانية ، أو تعاليم خلقية ، ولا نتائج جهود المعلمين والمصلحين من أهل الدين ولا مؤسساتهم التي كانت تغيث الإنسانية منذ قرون طويلة ، وتسعفها في محنتها ورزاياها وتخفف آلامها ، وتمسح دموعها .

هذا السيل الناري الجارف يأتي بين عشية وضحاها على سائر الجهود المعمارية والإنشائية والإنمائية ، وكنوز الآباء والأجداد ، وذخائر العلم والأدب ، وعلى كل ما بناء الأوائل ، بل يقطع الأمل في بناء الإنسانية ونهضتها وصحوتها من جديد إلى قرون طويلة ، وتحول المدن العامرة إلى أنقاض مدمرة ، ومستعمرات زاهرة إلى أراضٍ قاحلة ، تحول العواصم الكبرى إلى مقابر عامة ، والمساجد والمعابد إلى حانات وخانات ، ونوادي الخمر والقمار ، ومؤسسات العلم ومراكز الثقافة ، إلى مراكز اللهو والترويح والفسق والدعارة ، وينقلب المجتمع كله رأساً على عقب ، ويصبح عاليه سافله ، وعزیزه رذيله ، وقد صور القرآن ببلاغته المعجزة هذا التغيير الهائل على لسان ملكة سبا ، فصدق عليه في كتابه الخالد قائلاً : ﴿ إِنَّ أَلْأَلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً

أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿ [النمل : ٣٤] .

وكانت فريسة هذه الشهوة - شهوة الأنانية والحكم والشعور المفرط بالتفوق - أمم قديمة ذكرها القرآن ، أمم لم تعرف شيئاً ولم تحسن شيئاً غير الإبادة والتدمير ، وزحفت كالفيل الهائج المائج ، فأهلك الحارث والنسل ، ودامت شعوبها الشقيقة كما يدوس أحداً أرض مزرعته ولا يبالي ، وكان من بينها قوم عاد . وقد وصفها القرآن بهذا الداء « داء الاستكبار » : ﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت : ١٥] .

وظهرت نتيجة هذا الذهول - الذهول عن الله - والابتعاد عنه ، وعبادة النفس وتقديسها ، واستعمال وسائل القوة استعمالاً حراً ، لا يبالي بأي قيد ولا يقف عند حد ، ولا يقيم للعاقبة والمصير أي وزن . ولا يحسب للجناية وحجم عقابها أي حساب . وقد حكى القرآن على لسان سيدنا هود الذي بعث في قوم عاد ، هذه الحالة النفسية ، فقال : ﴿ أَتَبْنُونَ بُكُلٍ رِيعٍ مَائَةَ نَبْشُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَافِحَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء : ١٢٨ - ١٣٠] .

فحين يتسلم فرد أو جماعة مقاليد الحكم المطلق ، ويتسنى له قوة تحقق له ما أراد ، هنالك يعيث الفرد أو هذه الطاغية بتلك الشعوب البريئة المغلوبة المنكوبة كما يعيث اللاعب بكرة القدم ، أو كما يعيث الطفل بجانب القرطاس أنه يتصرف فيها كذرات رمل وقصاصات ورق ، ويعتبر أنه على حق في العبث بمصائرهما ، والحكم عليها بالموت أو الحياة ، أو التخفيف عنها والتضييق عليها ، أو بسطها بسطاً أو قطعها إرباً إرباً .

ويقص علينا القرآن قصة فرعون الذي ظن نفسه رباً وحاكماً ، وتقلد هذا الحكم الأناني المطلق . فيقول : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِيعُ ظِلْفَهُ مِنْهُمْ يُدْرِجُ آبَاءَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ فِي سَاءِ هَمٍّ إِنَّهُ كَانَتْ مِنَ الْغَافِقِينَ ﴾ [القصص : ٤] .

ثم يصور القرآن في موضع آخر فرداً من أفراد هذه الطبقة يمثل الأنانية والأغراض ، ويملك لساناً سليطاً وبياناً ساحراً ، إنه ليس صورة فرد معين ، بل إنه تصوير سلوك خاص ونمط خاص من العقلية والتفكير والاتجاه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْفِئَامِ ۚ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقَ ۚ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسِبُهُمْ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ إِلَّا جَهَنَّمَ ۗ ﴾ [البقرة : ٢٠٤-٢٠٦] .

إن التاريخ الإنساني زاخر بهذه النماذج البشرية التي تمثل هذا الطراز وهذه العقلية ، مثلها في مختلف أدوار التاريخ كالروم والفرس ، وقد أنشأ فيهم هذا السكر : سكر القوة والحكم والشعور بالتفوق على غيرهم ، رغبة عنيفة في القتل والتدمير والإبادة ، وإذلال الكرامة الإنسانية تجلت في حروبهم ومعاركهم ، وفي عبادة القوة وقهر النفوس ، واضحة جليلة ، يقول الدكتور درابر (Drapper) في كتابه « الصراع بين الدين والعلم » (Conflict Between: Religion and Science) :

« لما بلغت الدولة الرومية في القوة الجبرية والنفوذ السياسي أوجها ، ووصلت في الحضارة إلى أقصى الدرجات ، هبطت في فساد الأخلاق وفي الانحطاط في الدين والتهذيب إلى أسفل الدركات ، بطر الرومان معيشتهم وأخلدوا إلى الأرض واستهتروا استهتاراً ، وكان مبدؤهم أن الحياة إنما هي فرصة التمتع ، ينتقل فيها الإنسان من نعيم إلى ترف ، ومن لهو إلى لذة ، ولم يكن زهدهم وصومهم في بعض الأحيان إلا ليعث على شهوة الطعام ، ولم يكن اعتدالهم إلا ليطول به عمر اللذة ، وكانت موائدهم تزهر بأواني الذهب والفضة مرصعة بالجواهر ، ويحتف بهم خدام في ملابس جميلة خلابة ، وغادات رومية حسان ، وغوان عاريات كاسيات غير متعفات تدل دلالة ، ويزيد في نعيمهم حمامات باذخة وميادين للهو واسعة ، ومصارع يتصارع فيها الأبطال مع الأبطال أو مع السباع ، ولا يزالون

بصارعون حتى يغر الواحد منهم صريعاً يتشحط في دمه ، وقد أدرك هؤلاء الفاتحون الذين دوخوا العالم ، أنه إن كان هنالك شيء يستحق العبادة ، فهو القوة ، لأنه بها يقدر الإنسان أن ينال الثروة التي يجمعها أصحابها بعرق الجبين وكد اليدين . وإذا غلب الإنسان في ساحة القتال بقوة ساعده ، فحينئذ يمكن له أن يصادر الأموال والأموال ، ويعين إيرادات الأقطاع ، وإن رأس الدولة الرومية هو رمز لهذه القوة القاهرة ، فكان نظام روما المدني يشف عن أبهة الملك ، ولكنه كان طلاء خداه كالذي نراه في حضارة اليونان في عهد انحطاطها^(١) .

ثم قرأ غزو التار الوحوش في القرن السادس الهجري في كتاب التاريخ^(٢) ، إن الذين أحسوا في أول صدام بأنه ليس هنا في البلاد المجاورة قوة تمنع هذا السيل العرم ، وكانت مأساة إنسانية عامة ، لا تستطيع أن تقرأ تفاصيلها إلا بقلوب واجفة ، وعيون باكية ، إنها كانت فتنة عمياء سوداء ، أحاطت بالعالم الإسلامي كله ، وقوضت بنيان العالم المتمدن المعاصر وأركانه ، كان الجيل الإنساني كله في هذه الفترة المهية المروعة من الزمن في وحشة وغربة ، وهلع وفزع ويأس قاتل ظهرت آثاره لا في كتب التاريخ فحسب بل في كتب الشعر والأدب والأخلاق والتصوف أيضاً^(٣) ، هذا الجراد المنتشر من الهمج لم يدمر البلاد العامرة المعمورة والمدن الزاهرة ، والأقاليم الخصبة الغنية المنتجة للرجال والنوابغ فحسب ، وجعلها خراباً يباباً وقاعاً صفصفاً ، بل إنه اكتسح الحضارة الإنسانية برمته ، وتأخر تقدم العالم العلمي والمدني ومسيرته

(١) History of The Conflict Between Religion and Science. London 1927. p.p 13-2.

(٢) مثل البداية والنهاية لابن كثير .

(٣) اقرأ بعض تفاصيلها وأخبارها في كتاب العلامة أبي الحسن الندوي «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» ج ١ ، تحت عنوان «التار محنة العالم الإسلامي» طبع دار ابن كثير ، دمشق .

الحضارية لعدة قرون ، وغشيت سماء العالم الإسلامي الذي حمل لواء الدين والأخلاق والعلم والحكمة في هذه الحقبة من الزمن ، سحب داكنة قاتمة من الانحطاط العلمي والإعياء الفكري والعقلي ، ونضبت فيه منابع النبوغ والذكاء ، وهاجرت أسر علمية دينية عريقة من إيران وتركستان - وهما كانتا محاضن العلوم الإسلامية ومعقلها إذ ذاك - تفر بدينها وحرمتها وتراثها إلى الهند التي كانت تقع في أقصى بلاد العالم الإسلامي ، وكانت تحكمها أسر ذات قوة وشكيمة تواجه العاصفة بالإعصار ، وتملك القدرة على مواجهة التتر الوحوش ودحرهم إلى الوراء ، وأصاب العالم الإسلامي نوع من العقم الفكري والجذب العلمي ؛ حتى سدت بعض الأوساط العلمية أبواب الاجتهاد ومناقضه ، وابتغت العافية في التقليد والنقل ، وتطبيق الفعل بالفعل^(١) .

إن قيصر ، والإسكندر ، وجنكيز ، وهولاكو ، وتيمورلنك ، ونادر شاه أفشار ، لم يكونوا إلا مرضى هذا انداء العضال ، داء السكر بالقوة المادية ونشوة الحكم والتفوق بالعظمة ، وكانوا يقنصون الإنسانية ، ويصطادون النوع البشري ، ويدوخون الأسرة الإنسانية مرة بعد مرة ، بأستهم ورماحهم ، وبأقدامهم ونعالهم ، اقرأ تفاصيل ملاحمهم ، وصيدهم وقنصهم ، وعبثهم بالرؤوس والجماجم والأشلاء والأنفس والأرواح ، ثم تأمل - كيف قدم شاعر الإسلام محمد إقبال عصارة دراسات طويلة وآلاف من الصفحات في ثلاثة أبيات :

« انظر كيف مزق جنكيز وإسكندر رداء الإنسانية ، وهتكوا متر الحشمة ولباس الكرامة ففضحوا الإنسان مراراً وتكراراً .

إن تاريخ الأمم يشهد منذ الأزل أن سكر القوة ونشوة الحكم خطر في خطر ،

(١) وهذا هو سبب انصراف العلماء من الاجتهاد إلى التقليد بعد القرن الثامن عشر الهجري عند إقبال .

ومصيبة على مصيبة ، إنه سيل جارف يكتسح العقل والفكر والعلم والمعرفة والفن والصناعة كحشائش ونباتات حقيرة ، يجعلها هباء منثوراً .

قد يرى كثير من رجال الفكر في الشرق أن أوربة (بمعسكراتها الشرقي والغربي) وأمريكا أصابتها هذه العقدة النفسية ، وصرعهما هذا الداء القديم ، إنهم اعتبروا نفوسهم أوصياء (Guardians) على الشعوب والأمم والحاكمين على مصائرهم ، وهم يَزِنُونَ كل شيء بميزان القوة أو الربح والخسارة ، ولا يرضون بقيادة صالحة أمينة في أي بقعة من بقاع العالم ، ويحاولون أن يجتثوها حالاً إذا نشأت ، بل يرى كثير من المفكرين والخبراء في الشرق أن القيادة الغربية هي المسؤولة عن ذلك التدهور الخلقي والفوضى الفكرية العامة في البلاد الآسيوية بوجه عام ، وفي البلاد الإسلامية بوجه خاص .

هذا المنطق النفعي المجرد عن الحق والتزاهة لا يسمح للقيادة الغربية أن تفكر في أي قضية بحياد تام ورغبة مخلصه في التوصل إلى كنه الأمر ، وإيجاد حلها العادل ، بل إنها تحالف - بالعكس - الظالم القوي في وجه المظلوم الضعيف الذي له الحق .

ولذلك خابت المؤسسات العالمية النافعة مثل جمعية الأمم المتحدة ومجلس الأمن في مقاصدها ، وصارت لا تمنع صداماً ولا تلم شعثاً ولا تحقق أملاً ، ولا تقدر على إسعاف الإنسانية والأخذ بيدها خالصة مجردة من الأغراض المادية .

وقد زال بفقدان هذا العنصر الهام والعامل الأكبر (الإخلاص والحياد) تأثير معونات الغرب السخية في المشاريع العمرانية والغذائية في الشرق ، ولم تحقق كثيراً من مطالب الغرب ، ولم تكسب احترامه مقابل هذه المساعدات السخية والدعم القوي .

أما إذا اقترنت هذه القوة وامتزجت بغاية نبيلة سامية ، وصارت تحت توجيه قائد مصلح راشد ، فلا تتخبط كالفيل الهائج الذي أطلق من قيوده ، وتكون

مركباً ذلولاً لقائد عارف خبير لا راكباً ، تابعاً لا متبوعاً ، وسيلة لا غاية ،
وتتحول إلى نعمة ورحمة بدلاً من عذاب ونقمة ، وحياة لا موت ، وأداة بناء
لا معول هدم ، يستنجد بها في إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم ، وتحرير
الإنسان من سلاسل العبودية ، ورد الحقوق إلى أصحابها ، والمياه إلى
مجاريها ، ورد اعتبار الإنسانية وكرامتها ومكانتها اللاتئة في هذه الأرض ،
هنالك يفتح عهد سعيد ، ويبنى هذا العالم المنهار المتداعي من جديد .

يقول إقبال : « إذا تخلت السياسة عن الدين صارت سماً ناقعاً ، وإذا كانت
في خدمته صارت ترياقاً واقياً » .

ويعتقد إقبال أن أروع نموذج وأجمل مثال لهذه القوة الممتزجة بالغايات
النبيلة والمقاصد الصالحة ، هي الفتوح المباركة والمغامرات التي قام بها العرب
الأولون الذين اعتنقوا الإسلام ، وحملوا رسالته ودعوته في الآفاق ،
واستعمالهم للقوة التي آتاهم الله استعمالاً صحيحاً لائقاً ، والذي عبروا عنه على
لسان سفيرهم بإخراج العباد من عبادة الناس إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق
الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

إنه خاطب في الآيات الرائعة الآتية الأمة العربية ، وشرح دورهم القيادي
الرائع البناء في تاريخ الشعوب والأمم والحضارات والمدنيات ، وأشاد بهذه
العقيدة والإيمان والدعوة والرسالة التي كانت مصدر هذا الانقلاب ، ومنبع هذا
التحول العظيم في سير الإنسانية واتجاهها ، وحركتها ومصيرها ، وهي من غرر
كلامه وعيون شعره باللغة الفارسية :

« اكتست صحراء العرب بفضل هذا النبي الأمي حلة أنيقة ، وأنبئت زهرة
يائعة ، إن عاطفة الحرية نشأت في ظل هذا النبي بل ترعرعت ونمت في حجره ،
وهكذا كان يوم هذا العالم المعاصر مديناً لأمه .

لقد وضع قلباً نابضاً خفاقاً في جسد الإنسان البارد ، وأزاح الستار عن طلعت
الجميلة الوضاعة .

هزم كل طاهوت ، وحطم كل صنم ، وأورق به كل غصن يابس وأزهر
وأثمر ، إنه روح معركة بدر وحنين ، وإنه مربى الصديق والفاروق والحسين .

أذان صلاة الحرب وجرس سورة الصافات غيض من فيضه ، جعل سيف
صلاح الدين البتار ، ونظرة بايزيد النافذة مفتاح كنوز الدنيا والآخرة .

جرعة من كأسه أروت العقل والقلب والتقى بها روح الرومي بفكر الرازي .
 واجتمع بها العلم والحكمة والدين والشرع ، والإدارة والحكم مع قلوب
أواهة مخبئة منية في الصدور .

إن جمال قصر الحمراء ، والتاج الذي نال خراج الملائكة وإعجاب
القديسين هو نفحة من نفحاته ، ولمحة قصيرة من لمحاته ، وومضة من أنواره
وبركاته .

ظاهرة تلك التجليات والنفحات ، وباطنه در مكنون لم يطلع عليه
العارفون ، ولم يصل إلى كنهه السالكون .

فلا ريب أنه يستحق ثناء الجميع وشكرهم وحمدهم ، لأنه أسبغ نعمة الإيمان
على هذه الحفنة من التراب .

من المفارقات العجيبة في هذا الكون أن الأشخاص الذين أنشؤوا
إمبراطوريات عظمى ، ودخلت بهم الأمم المستضعفة الذليلة المهانة في دور
النهضة والرقى ، والعظمة والكمال ، والنجاح والازدهار ، كانوا متقشفين
صابرين مغامرين ، زاهدين في الدنيا وزهرتها ، أغنياء عن التمتع والعيش
الرغيد ، وكانت معيشتهم بسيطة ومرهقة ، ولكنهم نجحوا بفضل مغامراتهم
وطموحهم ، وعلو همتهم ، وجهادهم واجتهادهم ، وصبرهم على المكار في
تأسيس تلك الحكومات التي ثبتت كالجبال الراسيات لقرون طويلة ، ولكن توفر
وسائل الهناء والرخاء ، والبيئة الفاسدة ، ووجود طبقة من المتزلفين وهواة
المناصب ، أثر في أخلافهم وأعقابهم بصورة تدريجية فشلت قواهم ، وأخلدوا

إلى الأرض « وتمرغوا في النعيم والترف ، وصاروا أبناء مطاعم ومشارب ،
وسهرات ومآرب ، وعز عليهم الحياة من غير كاس ومزمار ، وطنبور وعود ،
وارتكز ذكاؤهم ونبوغهم وإبداعهم على نقطة واحدة ، ولم تكن بالطبع ، نقطة
الفتوح وحراسة الحدود « وتوطيد أركان الدولة ، إنما هي تصميمات أزياء ،
وأقسام أطباق ، والتنافس في الطرب والمجون والاستمتاع بلذات الدنيا
ومباهجها ، ووصلوا في ذلك إلى حدود لا يتطرق إليها خيال ابن من أبناء
البلد ، وفرد من أفراد الشعب .

إنه مبدأ عام جرى به التاريخ الإنساني منذ القدم ، وأخذ به من غير استثناء
ويبدو لنا أنها سنة من سنن الكون ، ونتيجة طبيعية منطقية للمال والثراء
والمنصب والجاه ، وتوفر أسباب الراحة والرخاء ، وقد كشف القرآن عن وجه
هذه الحقيقة بإيجازه المعلوم وبلاغته المعجزة فقال : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا
شَاكِرٌ ﴾ [العلق : ٦-٧] .

اقرأ تاريخ شعب من الشعوب في أي دور من أدوار التاريخ وحكومة من
الحكومات التي قامت على وجه الأرض قديماً وحديثاً ، تر هذا التفاوت واضحاً
بين الأول والآخر وبين الأوائل والأواخر في السير والأخلاق وأنماط الحياة ،
وفي الأقدار والمقاييس .

ونكتفي هنا بمثالين ونموذجين من هذه الأمة التي سبقت قريناتها في حمل
لواء التعاليم الخلقية في هذا العالم ، وهي أمة نبي جعل الفقر شعار فخره ،
وربط الأحجار على بطنه ، والتي أقامت به من أول يومها على الزهد والقناعة ،
ومراقبة النفس والعطف على الخلق ، فإن أمثلتها ونظائرها تكثر - طبعاً - في
الفرس والروم ، ومصر واليونان « وفي حكومات وحضارات أخرى .

والواضح المعلوم لدى الجميع أن العرب حين خرجوا من جزيرة العرب لنشر
رسالة الإسلام في العالم ، وإجراء شريعة السماء في الأرض كانوا فقراء ، غرباء
عن حواشي الحضارة ومستلزماتها ، وكانت حياتهم حياة شكيمة وفتوة ، وصبر

وجلاد ، وزهد وشظف^(١) ، ولكنهم بفضل القوة الذاتية في الإسلام ، وبحياتهم البسيطة الزاهدة التي فقدتها سائر الشعوب في العالم ، نجحوا في إنشاء دول عظيمة مرهوبة الجانب ، من بينها الدولة العباسية التي حكمت باسم الخلافة خمسمئة سنة حكماً مستقلاً ذاتياً ، ودان لها نصف العالم المتمدن المعاصر على أقل تقدير ، ولقد كان مؤسسو هذه الدولة الأوائل مثل هارون الرشيد والمأمون (مع مطامعهما الملوكية ومعيشتهما الفارهة وترفهما المعلوم) من رجال الفتوة والمغامرة والإقدام ، متعودين على حياة الجندية والفروسية ، ولكن أصاب هذه الدولة أخيراً داء الترف والتنعيم ، وأصبح ولادة أمورها الذين حملوا عبء الخلافة الإسلامية على أكتافهم مدة من الزمن ، عالية على نفوسهم وأهوائهم ، ينساقون معها ، ويدورون في فلكها ، وصاروا فريسة الحكم الطويل والمدنية الناعمة المترفة ، وتكدست عندهم أسباب الراحة والهناء ، وفاضت عاصمتها بغداد بسيل جارف من الغفلة عن الله ، والتهالك على الدنيا ، عبثت بكثير من رجال العلم والفضل ، وضرب حب الدنيا وحب ما فيها أطنابه على العاصمة ، وما جاورها من البلاد والأقاليم .

وظهرت نتيجة هذا الإغراق في الترف والتمرغ في النعيم والتهالك على حطام الدنيا ، والانصراف عن معالي الأمور في غارة التتر الوحشية في زمن الخليفة العباسي المعتصم بالله ، وتحولت عاصمة العلم والمدنية إلى معجزة وحشية هائلة ينتكس عند ذكرها قلم المؤرخين^(٢) .

وقد صور مؤرخ أوضاع بغداد قبل غارة التتر فأحسن وأجاد ، يقول المفتي قطب الدين النهروالي المكي (وهو أحد المؤرخين والعلماء في القرن العاشر الهجري) يصف ما كان عليه أهل العاصمة في هذه الفترة من الزمن :

-
- (١) اقرأ للتفصيل رسالة « المد والجزر في تاريخ الإسلام » للعلامة أبي الحسن الندوي .
(٢) اقرأ للتفصيل « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » للعلامة أبي الحسن الندوي ، الجزء الأول ، باب « التار محنة العالم الإسلامي » .

« مرفهون بلين المهاد » ساكنون على شط بغداد ، في ظل ثخين ، وماء معين ، وفاكهة وشراب ، واجتماع أحباب وأصحاب ، ما كابدوا حرباً ولا دافعوا طعناً ولا ضرباً^(١) .

ونقدم المثل الثاني من الدولة المغولية في الهند التي أسسها ظهير الدين بابر التيموري (١٤٨٢ - ١٥٣٠ م) على التوبة والإنابة وإرادة الإصلاح والتغيير والتضحية والفداء والعزم الصادق ، فلما رأى بابر أنه لا يملك غير عشرين ألف جندي مقابل مئة ألف مقاتل تحت راية « رانا سانجا » وأن لا أمل هناك ولا مدد سلك طريقاً جديداً للفتح ، يحكي المؤرخ الهندي الشهير محمد قاسم اليجابوري في كتابه (تاريخ فرشته) :

« إن رانا سانجا » توجه إلى بابر بقود متي ألف مقاتل من أهل البلاد ، وساد الذعر في جيش بابر ، ومنعه قواد جيشه وأركان دولته عن الوقوع في الحرب معه ، وتكهن منجم البلاد محمد شريف بأن الهزيمة محتومة ، ولكن بابر صمم على القتال وقال : إذا ينبغي لنا أن نتهياً للشهادة في سبيل الله ، وحلف قادة الجيش ورجال البلاط بأنهم سيقاتلون إلى آخر رمق ، وارتفع هتاف الجهاد في كل جانب من جوانب الجيش ، وقاب الملك عن الخمر التي لم يكن يفارقها في وقت من الأوقات ، وقاب عن جميع المنكرات الشرعية ، وقاوم « رانا سانجا » بعشرين ألف مقاتل وانتصر عليه ، وكان ذلك في الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ٩٣٣هـ .

ولكن تدرجت هذه الدولة الفتية التي قامت على مثل هذا العزم والعزم ، والتضحية والفداء ، وميثاق مع الله ، والتي تجملت وافتخرت بوجود عصاميين ونوابغ وعباقر من بين أبنائها مثل « همايون » و « أكبر » و « أورانك زيب » إلى حماة الرذيلة والإسفاف ، والشهوة واتباع الهوى ، واتباع الرغبات وإتيان

(١) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام - ١٨٠ .

المنكرات ، تجلى أخيراً بصورة واضحة مؤسفة في حياة « محمد شاه » (١٧١٩م - ١٧٤٨م) وما جرى في قصره حتى سمي باسم معناه (الماجن) واشتهر به .

وإليك ما جاء عنه في التاريخ مستنداً إلى شهادة علمية : « إن الملك محمد شاه لم يغير دينه ولكنه غير ديدنه ، فصار الغيم نقيه ورائده ، إنه أمر بأن يؤذن بالرحيل كلما مرت سحابة على هملايا وأومض برق ، ويفادر الخليفة وركبه القصر إلى الصحراء . . . ولذلك سمي المسكين في الأخير « رنكيلاً » يعني « الماجن » وهجره وزيره (آصف جاه) عندما رأى حاله ، فانصرف إلى جبال الدكن وغاباتها » .

وجاء في بيان الشيخ الكبير عبد العزيز الدهلوي ما يلقي الضوء على تلك الأوضاع الفاسدة :

« كانت النساء في بيت قمر الدين خان (وزير محمد شاه) يفتسلن الغسل الأخير بماء الورد ، وكان يرسل إلى بيت أحد أمراته كمية من الورد والأزهار والبان (التنبول) يساوي ثمنها ثلاثمئة روبية كل يوم »^(١) .

تأمل في غابر هذه الحكومات ومصيرها ، وماضي الأمم وحاضرها ، وما بينهما من تفاوت عظيم وبون شاسع ، ثم انظر كيف صور محمد إقبال هذا التاريخ الطويل العريض ، وأزاح الستار عن نهضة الأمم وتأخرها ، ورقبها وانحطاطها في بيت واحد : « تعال أنبتك عن مصير الأمم وعاقبتها ، سنان ورماح أولاً ، ولهو وغناء آخراً » .

ولكن هذا المقال لا يتم إلا إذا قلنا : إن هذه الأمم حين تدخل مرحلة اللهو والغناء والترف والمجون ، وتصيبها نوبة عصبية من التمتع بكل لون من ألوان التمتع ، والإحاطة بكل نعمة من نعم الدنيا ، وتتخطى سائر الحدود الخلقية ،

(١) تذكرة ص/ ١٧٢ .

والاعتبارات الإنسانية ، وتتجاهل كل حقيقة ، هنالك تتدخل الرحمة الإلهية وتتناولها بعملية جراحية ، ويختار لهذه الجراحة جنكيز وتيموراً ، أو هولوكو ، أو نادراً ، فيقطع هذا الناسور أو هذا السرطان من غير رحمة ولا هوادة ، إنه يقول :

« الملوكية تتحول بين يوم وليلة إلى جنون أو مجون ، وليس التيمور أو جنكيز إلا آلات جراحية تستعملها - في حينها - القدرة الإلهية » .

ولكن انتهى الآن دور الملوكية القديمة وحكومات شخصية مستبدة إلى حد كبير ، وجاء دور الديمقراطية والجمهورية ، تكدست قوى العالم وثرواتها في أيدي القيادة الغربية (أمريكا وأوربة) وهي تجتاز في هذا الوقت مرحلة الجنون والانتحار ، بعد أن وصلت إلى آخر نقطة من النهضة والرقى والازدهار ، وهي مرحلة مرت بها حكومات شخصية قديمة ، وحضارات بائدة في أوانها ، فلا ترى عندها الآن إلا معاداة الحقائق ، وإذلال الشعوب وهضم الحقوق ، وظلم المستعمرات والجاليات ، وحالة هستيرية عصبية من عبادة النفس ، وتقديس الشهوة ، وعبادة الهوى ، والإغراق في حياة اللهو والعبث والمجون ، والسامة من الحياة ، والشذوذ الخلقي والجنسي ، والتهالك على كل عاجل وطريف ، ورد فعل عنيف ضد الاجتماع ، والغرام بالذاتية والأنانية ، والذهول التام عن العاقبة والمصير ، وإنكار كل ما يتعدى إطار اللذة والمتعة ، وكل ذلك يدل على أن هذه القيادة فقدت معنويتها ، وضرورتها وصلاحياتها للبقاء ، وأن هذه الحضارة دخلت دور الاحتضار .

إن تجربة التاريخ تدلنا على أن قيادة فتية شابة كانت تظهر على مسرح العالم في مثل هذه الظروف ، فتقوم بعملية جراحية على هذا السرطان وتنقذ الإنسان من الهلاك ، وتجري في عروقه المينة دماً فائراً جديداً ، ولكن الحضارة الغربية ما تركت على ظهر الأرض قيادة أو قوة ، ثم ليس هنا أمل في ظهور قيادة جديدة ، أو بروز حضارة شابة قوية في الميدان ، لأن القوى العالمية اليوم

متطفلة على مائدة الغرب وتعيش على هامشها وتبج طريقها ، والحضارات المعاصرة بأسرها مستسلمة خاضعة أمامها ، لا تبغي بها بديلاً ، ولا تجد عنها محيصاً ، لذلك يبدو لنا أن هذه العملية الجراحية لا تتم على يد قوة أجنبية من الخارج ، وهي ليست في حاجة إليها لأنها - على ما يقول إقبال - مشخنة وجروحها الداخلية الفائرة .

إن الطريق الذي اختارته الحضارة الغربية والقوة الهائلة من التدمير والإبادة والقتل والفتك ، التي زودت بها أناساً لا يخافون الله ولا يستحيون من الناس ، أو شكت أن تقضي على نفسها ويأتي حتفها بيدها .
يقول إقبال :

« إن هذا الفكر الجريء الذي فضح قوى الطبيعة وأفشى أسرار الكون انقلب اليوم برقاً خاطفاً ورعداً قاصفاً ، يهدد عش الغرب ووكره ، وحصنه ومعقله » .

فكر محمد إقبال :

نورد هنا بعض الإيضاحات حول فكر وفلسفة محمد إقبال تتيح للقارئ إدراك مغزى قصائده .

الذات الكونية :

الكون في نظر إقبال ، بكل أشكال وجوده ، ثم خلقه ، يتماسك بفعل روح أساسية شاملة لكل شيء . أو على الصحيح ينشأ منها كل شيء . وتسمى (خودي) أو (شودي مع نطق CH على الطريقة الألمانية) . وهي ما ترجمناه في هذا الديوان بـ (EGO) (الذات بالعربية) ، ومع ذلك فإن (خودي) تختلف عن المعنى اللاتيني لهذه الكلمة أو المعنى الذي أعطاه لها (شوبنهاور) مثلاً ،

كما تختلف عن الكلمة الفرنسية (MOI) التي تعارض (TOI) أو (SOI) وتقرب من كلمة (SELF) الإنكليزية ، وهي الكلمة التي ترجم بها إقبال نفسه هذا المفهوم .

الحياة :

الذات بحركتها تبذع الحياة ، وتدافع عنها ضدَّ نقيضها الموت ، وهي في نزاع دائم مع الموت ، وتنتصر عليه على الدوام .

وإذا جاز لنا هذا التشبيه ، فالحياة مثل الجزيء في الطاقة الكهربائية ، توجد ما دامت تؤثر ، وهي تؤثر وتعمل بقوة الذات نفسها ، وضعف الذات يقلص في الحياة شكلها ومداها وقابليتها على الفعل والتأثير ، وعندئذ تضمحل الحياة وتنتهي بالموت .

قال إقبال (في جناح جبريل) :

قوة الذات تحوّل حبة الخردل إلى جبل .

خور الذات يحول الجبل إلى حبة خردل .

الذات الفردية ، الأنا :

بفضل الزوجين تنهض الحياة من كل جانب ، كأنها جيوشُ جرّارة . وهكذا تتجزأ الذات ألف مرّة وألف مرّة ، وتدفع الأفراد إلى الظهور في مشاهد كثية واسعة .

وعندئذ تصبح غاية الفرد البحث عن مجد الذات المطلق (الأنا) ، وتؤكد هذه الأنا بالسمو درجة بعد درجة ، ومرحلة بعد مرحلة إلى مستوياتها الرفيعة .

الذات : هي للكائن الفرد الشخصية والقدرة والكمال . وهي - في تطورها وارتقائها - تضع المثل العليا ، وتحققها بجهودها .

طبيعة الذات نفسها تدفعها إلى بلوغ الكمال إلى أقصى حد ممكن ، وإلى بذل الجهد العنيف .

قال إقبال (في جناح جبريل) :

يتجاوز الهلال كلَّ وجوهه وجهاً بعد وجه .

من يستطيع بلوغ الغاية القصوى دون جهد كبير ؟

ولبلوغ الكمال لا يجوز لك أن تتجنب الصُّعاب ، بل يجب عليك أن تتغلب عليها .

قال إقبال (في جناح جبريل) :

غاية ثورة المؤمن .

أن تتجلى عليه ذاته .

والحق أن موسيقا الكون الخالدة لا تقوم إلا على العقبات .

قال إقبال (في رسالة المشرق) :

لا تتجنب الأزمنة الصعبة .

من لم يتخطَّ العقبات لا قيمة له .

ألا تعرف أنَّ الموجة

لا تكون ممتعة إلا عندما تلطم الصُّخور ؟

الحب والجمال :

هذا الجهد الشاقُّ الذي يدفعك إلى تسلق مرتقى الوجود ، والذي يمثل ظاهرة الذات ، هو الحب .

قال إقبال (في جناح جبريل) :

الحبُّ أن تبصر الذات ، الحبُّ أن تصون الذات .

وقال :

جوهر الحياة هو الحب ، وجوهر الحب هو الذات .

وهكذا فإن ما نبحت عنه هو الجمال . والذات الفردية ، وهي تتكامل بدافع من طبيعتها ، تنسجم مع الذوات الأخرى ، وتصل إلى مرتبة عليا هي مرتبة الجمال .

الجمال موجود سلفاً ، ولكن نور الحب يزيد غنى بنوع من حادثة الطنين ، يكاد يكون سحرياً .

قال إقبال (في جناح جبريل) :

بالحب تزداد الوردية ، وشقائق النعمان روعةً وجمالاً .

في نظرة الشاعر ، ذي الصوت الذهبي ، شيء من السحر

في منظور إقبال أن تقدم الذات الفردية يدلاً على الوجهة التي ينمو فيها الجمال ، كما أن تراجع الذات يدلاً على الوجهة التي يزداد فيها القبح^(١) .

قال إقبال :

كلُّ ما يبعث على سمو الذات جميل .

كل ما تدعو إليه الدناءة قبيح كريه .

الفن :

يُعرّف إقبال الفن بهذه العبارات انطلاقاً من مفاهيمه عن الحب والجمال .

قال في (عصا موسى) :

البحث عن الجمال هو الفن .

(١) وهذا ما يحدث في الفيزياء فالقصور الحراري مثلاً يدلُّ على الاتجاه نحو الفوضى ، وهذه الظاهرة يمكن أن تساعد على إدراك فكرة محمد إقبال حول هذه النقطة .

وقال في (جناح جبريل) :

الألوان ، الأجر ، الحجارة ، الكمان ، الكلمات ، الرنات ،
كلها يفتقها سرُّ الفنِّ على حساب جوهرينا .

والفنُّ يقدِّم أدلته تمجيداً للذات ، والذات هي المعيار الوحيد للحكم على
قيمته .

الفنُّ يبعث الحياة في كلِّ من يقتربون منه ، ويفعمهم بالحماسة والنشاط ،
وفرع الحياة الذي يتجلَّى على وجوههم .

قال في (عصا موسى) :

إذا سمعت أغنية فلم تنر وجهك ،
فمعنى ذلك أنَّ المغني بارد القلب .

وقال في (جناح جبريل) :

الشاعر جريءٌ ، إنه يجمِّل الطبيعة .

وقال فيه :

يا شقيقة النعمان ! أيتها العروس ! ما لك تحتجبين عني ؟
فأنا لست إلا نسمة الصباح .

والإبداع لا يفتر ، والخلق يطُرد دون هوادة .

في كلِّ لحظة نسمع من يقول : لو كان هذا ، ولو كان ذاك ، ولكرَّ
الإنسان ، حين يكون فتناً حقيقياً ، يسهم في عمل الخالق .

قال إقبال في (رسالة المشرق) :

أنت خلقت النهار ، وأنا صنعت المصباح .

أنت خلقت الطين ، وأنا صنعت الأقداح .

أنت خلقت الغابة والجبل والصحراء ،

وأنا صنعت الرواق ، والبستان والكرم .

أنت خلقت الحجر ، وأنا صنعت منه المرأة .

أنت خلقت السَّم ، وأنا استخرجت منه الترياق .

الفن الجميل الوحيد هو الفن الذي يسمو بالروح ، ويلهم الشجاعة ، ويوحى بالأمل ، ويعلم العيش في شرف .

أما الفن الذي يفسد الروح ، ويتلفها ، ويضعف الحماسة للعمل والحمية لاكتشاف أسرار الطبيعة ، الفن الذي يضعف الذات ، ويجعلنا عبيداً للناس ، فليس إلا فناً شيطانياً (كما ورد في عصا موسى وأسرار الذات) ولنتذكر هذه الحكمة الهندية :

الحق قوة وجمال^(١) .

نفي الذات :

تجنح مجموعة من الذوات الفردية بطبيعتها ، وهي تسمى نحو الرقي والكمال إلى الذوبان في « أنا » جماعية ، وبذلك تخلق ذاتاً لمجموعة تزداد تطوراً وسعة شيئاً بعد شيء . هذه اللاذات في المستوى الشخصي تكون الذات في المستوى الجماعي ، وليس في ذلك تخريب للذوات الفردية ، بل فيه ما يدعو إلى دعمها وانسجامها .

قال إقبال في (أسرار نفي الذات) :

نفي الذات هو غاية الذات الشخصية ، بل إنه دليل ارتقائها .

وقال في (جناح جبريل) :

ما أسعدني عندما يوهب لي ذوق الذات .

إنه يدفعني إلى الخروج من ذاتي .

ويمكننا إيضاح هذه الفكرة بقولنا : إن المجتمع الإنساني على النطاق

(١) ساتيام ، شيدام ، سندرام ، بالتوالي ، Satyam, chidam, Sandram .

العالمي سيمتُ إنجازُه بالتعاون على قدم المساواة بين كلِّ الأفراد في أوج ازدهارهم ، لا بسيطرة بعضهم على بعض .

الإنسان الكامل :

نفي الذات يبني مجتمعاً لأناس كملة ، تتمتع ذواتهم بأقصى ما لها من بريق . الإنسان الكامل يعشق الحق في أقصى مداه ، والذات في أوج مجدها . عبر الحب تصبح الذات حياة ، ولأن الذات خالدة ، فالحياة وهي مظهر الذات خالدة كذلك ، ولأن الحب يدفع إلى رقي الحياة رقياً دائماً ، فهو خالد ، وخالد كذلك كل ما يُنجزه الحب .

قال إقبال في (جناح جبريل) :

يا مسجد قرطبة ! وجودك هو الحب .

الحب خالد ، وما من شيء آخر كامل .

الحب يفتح القلوب ، ويهب للعاشق الرقة ، والوجد ، ولحن الصرخة في منتصف الليل ، ودموع الصباح ، واستقلال مثل هذا العاشق يجد نبعه في نظام تتبعه الذات الشخصية في طاعتها للذات الكونية .

وهكذا يتكوّن الإنسان الكامل الذي هو سيّد الكائنات في الأرض وفي السماء ، والذي يقنع بالقليل ، أي بالفقر ، « الإنسان المتجرّد » الذي تحرّر من كل ما في العالم من مغريات ، لأنه ، حين يسيطر على كل شيء ، ليس محروماً بأي شيء ، وهكذا يتجرّد . إنّ هذا الوحي الربّاني هو الفقر .

قال في (جناح جبريل) :

خير أنواع الزهد ليس في هجر الطين والماء .

خير أنواع الزهد في غزو كل زاوية في الأرض والسماء .

ويطلق إقبال على إنسانه الكامل على حسب ما طرأ عليه من تحولات ، وما

قطع من مراحل الكمال لقب « الإنسان الحر » « الإنسان الجسور » « القلندر »
« الإنسان المتجرد » « الدرويش » إلى غير ذلك من الألقاب .

هذا الإنسان الكامل هو روح الإنسانية المشخصة . وهو في نظر إقبال في
سموه ، وفي رشاقتة المثل الأعلى للإنسان المتوازن خير توازن يمكن أن
تتصوره :

ونرجو أن تسمحوا لنا بالاستشهاد بقصيدتين من ديوانه (عصا موسى) :

المؤمن (في هذا العالم)

ناعم كالحرير في حلقة الأصدقاء .
صلب كالحديد في معركة الحق والباطل ، هذا هو المؤمن .
ينازع السماء ، كأنه نذل لها .
يحترق الأرض ، وهو من الأرض ، هذا هو المؤمن .
لا تجتذب الشَّمانى والحمام بصره .
بل يقتنص جبرائيل وإسرافيل ، ذلك هو المؤمن .

(في الجنة)

تقول الملائكة : « ما أشد فتنة المؤمن ! »
وتشتكي الحور : « ما أشد بُعد المؤمن ! »

والقصيدة الثانية

الإنسان المسلم

- يبدو المؤمن كلَّ لحظة في نهارٍ جديد .
- يتجلى الله في أقواله وأفعاله .
- السلطان ، والرِّفق ، والصفاء والقدرة الكلية :
- هذه العناصر الأربعة ضرورية لبناء المسلم .
- إنَّه جار جبريل كما هو إنسان الأرض .
- لا يرتبط ببخارى ولا بيدخشان .
- ما من أحدٍ يعرف هذا السر : المؤمن .
- الذي يبدو أنه قارئ (القرآن) وهو القرآن حقاً !
- نواياه على مقياس مصائر الطبيعة .
- إنَّه الميزان في هذا العالم ، إنَّه القسطاس في يوم الحساب .
- إنَّه الندى الذي ينعش قلب شقائق النعمان .
- إنَّه الشئ الذي يرعش قلب الأزهار .
- أيامه ولياليه تعزف لحن الطبيعة الخالد ،
- لحناً مثل سورة (الرحمن) في القرآن ليس لموسيقاها نظير .
- في معمل فكري تُصنع النجوم .
- وأنت يا هذا ! اعرف نجم قدرك .
- وانظر كذلك قصيدة (مسجد قرطبة) في جناح جبريل .

الإسلام :

المثال أكثر بلاغة من المفهوم : ولد إقبال ونشأ وعاش في مجتمع إسلامي ، وكان من الطبيعي أن يبحث عن عناصر تفكيره في تاريخ هذا المجتمع .

وبدا لإقبال أنَّ خير نموذج يقترحه ، وأنَّ خير نظام اجتماعي هو أكثر

النظم قرباً من أحلامه ، إنما هو الإسلام في نقائه الأصيل .

ومنذئذ جعل يشرح طوال حياته هذا النظام حسب حاجاته ، واستخلص منه رموزاً شعرية ، ومجازات وإشارات ، نجدها مبثوثة في كل ما كتب « ونظم » .

والحقُّ أنَّ إقبالاً وحَّد بين الذات الكونية وبين الله ، كما فهم الإسلام وكما فعل (تيكهارد دو شاردان) تقريباً وهو الناشئ في محيط مسيحي ، حين وحد بين (المسيح الكوني) - كما ورد في الإيمان - وبين نقطة (أوميغا) أي بين البداية والنهاية في العلم .

وهذه النقطة جرى تعريفها على أنها النهاية القصوى (Noo- genése) التي تتعلّق بالوجود كله ، والتي ليست خالية من بعض أوجه التشابه مع مفهوم الذات الكونية .

ويرى إقبال في شخصية الرسول ﷺ الإنسان الكامل « كما يجد المجتمع المثالي في صحابته ، مثل أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعلي ، وأبي ذر ، وسلمان الفارسي ، وأويس القرني ، وخالد بن الوليد... إلخ ، رضي الله عنهم أجمعين .

ولقد عاشوا جميعاً حياةً نموذجيةً ، ووضعوا حبَّ رسولهم ، وطريقة سلوكهم الذي علّمهم إياه فوق كل شيء : ألا وهو الذات الفردية التي بلغت حدَّ الكمال ، والتي ذابت في الذات الجماعية ، دون أن تتخلّى عن قيمتها الشخصية .

ويقارن إقبال بين إنسانه الكامل وبين المفهوم القرآني للإنسان (خليفة الله في أرضه) ويرى أنَّ كون الإنسان خليفة الله في الأرض أرقى درجات الرقيّ الإنساني . (أسرار الذات) .

والنبيُّ ﷺ وإنَّه ﴿ لَعَلَّ خُلُقِي عَظِيمٌ ﴾ كما ورد في القرآن الكريم ، هو أفضل مثل على هذا الخليفة .

ويستطيع كل مؤمن باتباع القرآن الكريم أن يصل إلى هذه المرتبة ، ويتبنى إقبال فضائل الرسول ﷺ ليزين بها نمودجه في (الإنسان الكامل) .

وهناك ما هو أكثر من ذلك ، فإقبال يشبه الرسول أحياناً بالله نفسه ، وينسب إليه الصفات الإلهية مثل (الرحمن) وفي هذا التشبيه ما يشير إلى فكرة إقبال من أن العبد يسلك سلوكك السيد ، وما يشير إلى العناصر الأربعة التي تصنع المسلم في اشتراكها معاً .

ثم إنَّ إقبالاً تصوّر هذا المفهوم الوارد سلفاً في جناح جبريل :
الذات . .

إنها البحر الذي تحتويه قطرة ماء .
ويقرن هذه القطرة من الماء بالبحر المبدع .

إقبال المتصرد :

الثورة والتمرد يحتلان مركز تفكير إقبال .
يهاجم المحترفين ، وإذا جاز لنا القول : يهاجم محترفي رسالة الدين .
قال في (جناح جبريل) :

ما أجدر أصحاب المناصب العالية في الكنيسة وفي الإسلام بالثناء !
حصاد جهودهم ظلمة قلوبهم !

وقال في (جناح جبريل) أيضاً :

هل في مسجدك غير المواعظ ؟
كل أحكامك حق ، ولكن المفسرين
يستطيعون ، وهم يفسرونها ، أن يجعلوا من القرآن (بازند) المجوس .

وقال :

البحث عن المعاني الكاملة في مذهب من المذاهب

يعني تدميره في بساطة .

ويشكو إقبال نظام التربية التي يتلقاها الشباب .

قال في (جناح جبريل) :

أشكو إليك يا رب ! هؤلاء الأرباب : أساتذة المدارس :

إنهم يعلمون الشواهيـن الصغيرة العبت بالغبـار .

وقال أيضاً في (جناح جبريل) :

ييتي معلم المدرسة صرحاً ،

صناعته روح الإنسان .

من أجله قال الفيلسوف (كاغاني) كلمة سحرـتني :

« لا تبـن جداراً أمام الشمس

إذا أردت نوراً في باحة دارك » .

وقال في (جناح جبريل) :

تركت المدرسة والدير ، وأنا جدُّ حزين ،

فليس فيهما حياة ، ولا حب ، ولا معرفة ، ولا بصيرة !

ولذلك حمل إقبال على الرُّهد الساكن البليـد في اللاهوتي والصُّوفي :

قال في (جناح جبريل) :

خير أنواع الرُّهد ليس في البعد عن عالم الماء والطين !

خير أنواع الرُّهد في إخضاع هذا المخلوق من الطين ، هذا المخلوق من

النور .

وورد في (أسرار الذات) :

الحق يقوم على تأكيد الذات أكثر من نكران الذات .

وهناك نصان جديران بالذكر أثارا عاصفة من الاحتجاج عند المسلمين

(الأصوليين) وهما قصيدتان مثيرتان ، هما : (شكوى إلى الله) و (جواب
لشكوى) كتبهما إقبال حوالي عام ١٩١٥ م . وفي هاتين القصيدتين يهاجم إقبال
الله عز وجل هجوماً عنيفاً ، على ما يتصور أنه موقف متباين تجاه الناس . كما
يعارب إقبال فكرة القدر الذي لا مفر منه .

يقول في (جناح جبريل) :

كيف يستطيع هذا النجم أن يدلني على مصيري ،
والنجم نفسه مهينٌ منبوذٌ في رحاب الفضاء ؟

وقال أيضاً في (جناح جبريل) :

لماذا تخضع إلى قدر العناية الإلهية ؟
لماذا لا تصوغ أنت بنفسك قدرك ؟

وقال :

هذا الذي يقول الحمقى : إنه أسير القدر ،
ما يزال يملك القدرة على تحطيم القدر .

والصحيح ما قاله في (رسالة المشرق) :

أن تعيش لحظة واحدة وأنت أسد
خير لك أن تعيش نعجة إلى الأبد .

وفي إطار هذه النزعة رسم إقبال صورة إبليس ، ويذكرنا هذا الشيطان في
بعض ملامحه بـ (بروموثيوس) سارق النار :

لقد تزود إبليس بتلك الشجاعة النموذجية التي تثير العواصف في
الجداول ، والأنهار ، والبحار ؛ بينما يظل رسل الإله ، مثل الخضر ، وإلياس
لا يعملون شيئاً كما ورد في (جناح جبريل) .

إن شجاعة إبليس هي التي منحت قدرة الطين (أي : الإنسان) النزعة إلى
النماء والارتقاء . كما ورد في هذا الديوان .

وإبليس يقيس نفسه بالإنسان : أيمن أن يصبح نذير يتنازعان ؟ أيمن أن يكونا حليفين يتعاونان . وأسفاه ! ما أسهل هزيمة الإنسان ! وعندما يخيب أمل إبليس يحتج هذا الاحتجاج أمام الله :

قال إقبال في رسالة الخلود (جاويد نامه) :

ما ابن آدم ؟ حفنة من الهشيم !

تكفي شرارة واحدة مني للقضاء على هذه الحفنة من الهشيم .

إن لم يكن في هذا العالم غير الهشيم ؟

فلماذا وهبت لي كل هذا المقدار من النار ؟

كسر المرمر شرف لي ،

أما كسر الزجاج فعارٌ عليّ .

فلسفة إقبال :

فلسفة إقبال في الذات ونفي الذات فلسفة فردية ، وفلسفة اجتماعية في آن واحد ، ولها تطبيقاتها في النواحي الثقافية (كالتأحية اللغوية مثلاً) والاقتصادية ، بل والسياسية .

انتشر في زماننا مفهوم التقارب والتضامن ، وتقدمت الفكرة القائلة بأن في إمكان مجموعات كبرى من الناس أن تتوحد ، وأن تصون أصالة بعض الوحدات الصغيرة المتجمعة ، وازدادت الدعوة إلى صيانة قيمها الذاتية .

ونحن نجد في الميدان الثقافي مثلاً أن رسل « الزنجية » يرون فيها إضافة إلى إنسانية ذات أبعاد كونية . ونجد في الميدان السياسي أن أوربة تسعى إلى الوحدة دون أن تتخلى عن هوية أقطارها . ثم أليست عصبة الأمم ، والأمم المتحدة بمؤسستها GUS, ONU محاولة للتقارب والتعاون بين الشعوب لتحقيق وحدة الجنس البشري ، هذه الوحدة التي يتطلع إليها إقبال .

وعزيمة الشاعر وأهدافه ذات أبعاد عالمية .

قال في (رسالة الخلود) :

الإنسانية هي احترام الإنسان ،
إذاً فيجب الاعتراف بدرجة الرفيعة .

ثم إنَّ تفسير إقبال للإسلام نجد فيه غالباً رنةً عالميةً ، تؤثر في قرائه من غير المسلمين .

ونحن إذا تناولنا مذهب إقبال حسب مفاهيمه الفلسفية الشخصية ، بدا لنا أنه عمد إلى قلب كثير من معاني الألفاظ المدرسية القديمة ، وأتخذ منها رموزاً جديدة .

ولنضرب مثلاً على ذلك كلمة (خودي) التي كانت مرادفة للانطواء على الذات ، والتي أعطاها معنى (احترام الذات) وكلمة (الفقر) التي تعني عادة التقدير والحرمان ، فاستعملها للدلالة على (السيطرة الأخلاقية) .

إذاً فعلينا أن نفهم هذه الرموز في معناه العريض :

المؤمن ، والمسلم يعنيان : الإنسان المثالي .

الكعبة ، والحرم ، والمعبد تعني : الهدف .

السجود يعني : الجهد العنيف .

الصلاة تعني : الرغبة المحرقة .

الأذان يعني : الدعوة إلى العمل والجهد

وهكذا دواليك .

وإذا كان من الممكن أن يبدو إقبال (هرطقياً) في عيون بعض المسلمين ، فإنَّ مداه تجاوز حدود العالم الإسلامي ، فقد قام بدراسته في (لاهور) و (كمبردج) و (هايدلبرغ) و (ميونيخ) . ولم ينقطع قط عن إذكاء طيب شعره بمواد كثيرة متنوعة . جاء بعض هذه المواد من تبحره في التاريخ ، والفلسفة ، والحقوق ، واللاهوت ، وجاء بعضها من ملاحظاته : من حرية

الشعوب واضطهادها ، وألمه وهو يقظان ، وحلمه بالمجد وهو نائم ، من فورة الأفكار الجديدة ومن ألعاب السياسة ، ومن الحروب المدمرة ، ومن المساومات و(المناورات) في زمن السلم ، ومن المجابهة بين الشرق والغرب .

لقد أصبح إقبال شاعر الشرق في نهضته ويقظته بهذه الأشعار الحائزة المغامرة الجريئة ؛ علمنا الإيمان بمستقبل مشرق علينا أن نبذعه بأنفسنا ، واستهوت الشباب أجوبته الواقعية الحية على ألغاز الوجود ، وألهمت عدداً لا يحصى من القراء ، بل إنها ما تزال تفتن الناس حتى الآن ، وسوف تستمر في فتنتها وسحرها إلى أمد بعيد .

ذلك أن إقبالاً ظلّ طوال حياته روحاً متفتحة ، جعلت آلام الناس جميعاً آلامها الذاتية ، وأحيت في الكائن الإنسانيّ عنصر الإنسان المبدع الذي يتعاون مع الله ومع الطبيعة .

قال في (جناح جبريل) :

رغم أنّ الطبيعة لا ينقصها الذوق ،

فاصنع أنت ما لم تستطع الطبيعة صنعه .

وقال في (أجراس سفر القافلة) :

ماذا يلزم الإنسان : طبعٌ رفيعٌ ، وظماً إلى الصفاء ،

قلبٌ حارٌّ ، عينٌ نقيّةٌ ، روحٌ قلقة^(١) .



(١) ديوان « جناح جبريل » ترجمة الأستاذ عبد المعين ملوحي ، ص ١٧ - ٣٥ .

فلسفة محمد إقبال

لا بد من كلمة موجزة في فلسفة محمد إقبال تعين القارئ على إدراك مرامي الشاعر .

أساس فلسفة إقبال ما سماه «خودي» (الذات أو الذاتية) .

وقد بين مذهب هذا في كثير من شعره وخص به منظومة سماها أسرار خودي .

وخلاصة هذه الفلسفة ، وما بنى عليها ، وما يتصل بها من آراء :

(أ) أن الذاتية جوهر الكون وأساس نظامه ، وسر الحياة فيه .

(ب) وأن الذاتية هذه تحيا من تخليق المقاصد ، وتوليد الآمال .

كما يقول إقبال : « نحن أحياء بتخليق المقاصد ونحن منيرون من شعاع الأمل » .

(جـ) وأن الذات تقوى بعشق ما تؤمل ، وسعيها إليه غير متوانية وإقدامها عليه غير هيابة واقتحامها كل عقبة في سبيله كما قال :

« وهي بالمحبة أقوى ، وأحيا وأضوأ » .

(د) والجهد الدائم ، والكفاح المتصل تقوى به الحياة وتزداد وتنير . والأحجام ، والتردد والسكون إلى الدعة والخضوع تضعف الحياة وتطفئها .

(هـ) وعلى الإنسان أن يستخرج كل ما في فطرته من مواهب ، وأن يعتمد على نفسه ، ويظهر ذاته في قوله وفعله ، ويحذر التقليد والاعتماد على غيره ، وطلب ما عند الناس والغفلة عما في نفسه من كنوز .

(و) بهذا كله تقوى الذات ، وقوة الذات هي مقصد هذه الحياة . والشاعر

معجب بالقوة في كل شيء ، القوة الحسية ، والقوة المعنوية . وهو بهذا يعجب بالفيلسوف الألماني نيتشه ويذكره كثيراً ولكنه يأخذ عليه أنه عرف العقل لا القلب ، والجسم لا الروح ، والعلم لا العشق ويقول عنه لم يكن أهلاً لنكتة التوحيد ، وأنه آمن عقله وكفر قلبه ، وأنه بنى على أسس مسجدة .

بل القوة عند إقبال من عناصر الجمال ، فإن الجمال لا يكون بغير جلال .
يقول في القطعة التي عنوانها : الجلال والجمال :

عندي جمال في بهاء أن تُرى في سجدة للقوة الأفلاكُ
ولتفحة من دون نار نفخة ما الحسن إلا بالجلال يُحاكُ

بل يقول في هذه القطعة إنه لا يحب أن يعذب بنار غير قوية :

لا أرتضي نار الجزاء ولم تكن وهاجة ولهيها دراكُ

(ز) والحسن والقبح أو الخير والشر من علو الذات وانحطاطها وقوتها وضعفها :

عالم الذات به علو وسفل وبه معرك قُبَح وجمال
في اعتلاء الذات ما يبدو جميل وقبيح ما بدا في الاستفال

(ح) والذات المفردة القوية الناضجة تسلك في الجماعة ، ولا تقنى فيها . وقد بين إقبال في ديوانه أسرار خودي كيف يلتئم الواحد القوي في جماعته وكيف يسعد بهذا الالتئام ويبقى ولا يفنى . ومن إشارات في هذا :

يا من في القافلة يَزُ رفيقاً وكن وحيداً

ويقول في ضرب كليم في القطعة التي عنوانها الرجل العظيم :

هو في المجمع خال ومن الحشد طليق
مثل شمع الحفل ، في الحفل وحيد ورفيق

الحضارة الحديثة

ويروي إقبال أن الحضارة الأوروبية مادية ، لا روح لها ولا قلب ، ويشته في نقدها ، ويذكر فلاسفتها فيقبل من آرائهم قليلاً ويرد كثيراً ، ويرى أن في الإسلام وحضارته سعادة البشر والتأليف بينهم ، وجمعهم على شريعة الحق أخوة متحابين متعاونين .

فلسفته في هذا الديوان

تتجلى فلسفة إقبال في الذات وما يتصل بها ونظرة إلى الحضارتين الإسلامية والأوروبية ، وسائر آرائه ، في كل فصول هذا الديوان ، حتى الأدب والفنون الجميلة .

الشعر فيه من الحياة رسالة أبدية لا تقبل التبديلا
إن كان من جبريل فيه نعمة أو كان فيه ضور إسرافلا
صمت طير الصبح أولى من غناء إن سرى في الرّوض باللحن ذبولا
والغناء إن أدى إلى ضعف أو خور فهو حرام :

إن سرت في اللحن دعوة موت حرّم الناي عندنا والرباب
(ط) والإنسان أعظم الكائنات ، وكل شيء في العالم مسخر له كما في القرآن الكريم :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْلِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

﴿ وَسَخَّرْنَا لَكُمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جِيحَاتَهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۖ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ

وَالنَّهَارِ ﴿٣٢﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴿٣٣﴾ [إبراهيم :

٣٢-٣٤] .

(ي) والإنسان حرّ غير مجبر ، ومختير غير مسير . عزمه دليل على القضاء أو مشير عليه . والمؤمن الحر هو مقياس الصلاح والفساد ، والبقاء والفناء في هذه الدنيا بل في الدنيا والآخرة .

فيه عزم على القضاء مُشير وهو في العالمين كالميزان النبات والجماد في قهر الطبيعة ، ولكن المؤمن الحر لا يقيد إلا إطااعته أحكام ربه :

إن النبات وإن الجامدات لها	من القضاء قيود ذات إحكام
والمؤمن الحر لا شيء يقيد	لكن لخالفه في قيد أحكام
والمصور ينبغي أن يصور الحياة وأن يطبع ذاته على الطبيعة لا أن يحاكيها :	
مقصد الفن في الحياة لهيب	أبدي فما ويمضُ الشرار ؟
يا خيراً بفننه فيه تمت	صنعة العصر والعصور الخوالي
كم ترى من طبيعة وتربها ؛	أرنا الذات فوق هذي المجالي

تفسير اصطلاحات في الديوان

« الفقر »

يشيد إقبال بالفقر في مواضع كثيرة من شعره في هذا الديوان وفي غيره .
ويعده مفتاح كل خير والوسيلة إلى كل سؤدد ، والمقتحم كل عقبة .

ومن الأبيات التي ذكر فيها الفقر في هذا الديوان :

في القطعة : « على ذكر الإذن بحمل السيف » :

أيها المسلم تدري اليوم ما قيمة الفولاذ والعُضْبِ المذكّر
هو مصراعٌ من البيت الذي مضمّرٌ فيه من التوحيد سر
وأرى مصراعَه الثانيَ في سيف فقر تحتويه كفٌّ حر
وقوله في القطعة « الفقر والملكية » :

الفقر يمضي بلا سلاح في حومة الحرب كالرجوم
وقوله في قطعة « السلطان » :

تعلم فالف مقام وشأن لفقر بدا فيه روح القرآن
وقوله في قطعة « الإمامة » :

يُمرّ عليك من فقر مَسْنَأ قِطْبَعِ منك سيفاً للمنايا
وقوله في القطعة « نكتة التوحيد » :

أيّ ملك مقام فقر ، ولكن تؤثر الذل مدعناً ما احتيالي
وقوله في القطعة التي أولها : متاعك في الحياة فنون علم .

وما إن ذل قوم قد أهدوا حماس العشق والفقر الغيور
ويتبين من التأمل في هذه الأبيات أن الفقر في لغة إقبال ليس عدم المال أو

قلته ، ولا هو حاجة إلى ما يعيش به الإنسان ويعتز به من متاع الدنيا . فماذا يعني إقبال حين يذكر الفقر ويشيد به ويبالغ في إكباره ؟ الذي أدركته من كلام الشاعر أن الفقر الذي يعنيه هو خلاص النفس من قيد التملك أو الطمع ، ومضيها عاملة مقدمة لا يطغيها وجدان ولا يذلها حرمان . وربما يملك الفقير قناطير من الذهب وربما يكون ملكاً مسلطاً لا يُعجز سلطانه مال أو متاع .

وليس هذا المعنى بعيداً عما فسّر به بعض الصوفية الفقر .

ففي رسالة القشيري :

سئل يحيى بن معاذ عن الفقر ، فقال :

« حقيقته ألا يستغني إلا بالله » .

وقال الشبلي :

« أدنى علامات الفقر أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها في يوم ثم خطر له أن لو أمسك منها قوت يوم ما صدّق في فقره » .

وفي الرسالة أيضاً :

« وقيل صحة الفقر ألا يستغني الفقير في فقره بشيء إلا بمن إليه فقره » .

وفي كتاب عوارف المعارف للسهروردي :

« وقال الکتاني : إذا صح الافتقار إلى الله تعالى صح الغنى بالله تعالى ؛ لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر » .

فترى أن الفقر في هذا الكلام ليس عدم الملك وفوات المال ؛ ولكن ألا يرتبط الإنسان بما أدرك أو بما فات ، أعني ألا تكون الدنيا في قلبه وإن كانت في يده .

قلندر

يعني به إقبال الإنسان الذي لا يصل نفسه بمال ولا أهل ولا دار .

وهو في الأصل اسم رجل ذهب هذا المذهب وأحدث طريقة كان سالكوها يديمون السفر لا يلبثون في مكان ، ولا يقيدهم ملك ولا أهل ولا وطن ويحلقون رؤوسهم ولحاهم .

وسمى سالك هذه الطريقة قلندراً باسم صاحب الطريقة .

وقد رأيت أن أبقى اللفظ في الترجمة لأنه علم في الأصل ، وجعلته أحياناً وصفاً وأحياناً نسبت إليه فقلت : القلندر والقلندري .

الجنون

يكرر الشاعر ذكر الجنون في الديوان ، ففي القطعة التي أولها :

إلى عصابات العرب ما أنا مُتَمِّم ولا أنا هندي ولا أنا أعجمي
يقول :

فلست أرى في بيدك اليوم جنة تشب بهذا العقل نار التقدّم
وفي القطعة التي أولها :

متاعك في الحياة فنون علم :

يقول :

ومزّقستُ الجيوبَ وأنت خال جنوني - لا ألومك - في نُصُور

وفي القطعة ، « يا شيخ الحرم » :

في جنوني لك أسرار بدت فاجزني يا شيخُ عن هذا اللمم

وفي القطعة التي عنوانها « المدرسة » :

أبعد الدرس عن حماك جنونا قال للعقل : لا تُلذّ بتقاش
وفي القطعة « فلسفة » :

إن في حلقة المجانين عقلاً في شرار يرى لهيباً مُضيّاً
وظاهر أن إقبالاً يعني بهذا الجنون الحماس والإقدام وأداء الواجب دون
تردد ، وفي غير حساب للمشقة والربح والخسارة « فهو قريب من العشق الذي
يذكر في مقابلة العقل .

وكانه يقول : إن هذا الإقدام يَعُدُّه الناس جنوناً ، ونحن نحب هذا
الجنون^(١) .

يُعتبر هذا الديوان من أول دواوين محمد إقبال
الشعرية باللغة الأردوية ، وهو من أكثر دواوينه
رواجاً ، حيث فيه الشاعر المسلمون على التضحية
والعمل ، كي يستعيدوا منزلتهم من المجد والرفعة ،
يحتوي هذا الديوان على أروع الأناشيد الإسلامية ،
وأعظم قصائد الرثاء . ومن أشهر الأناشيد الإسلامية فيه : « النشيد
الإسلامي » والقصائد « الشكوى وجواب الشكوى »
وقد وَصَفَ الشاعرُ في « الشكوى » مصائب
المسلمين ، وفي « جواب الشكوى » آمالهم ،
لا يوجد لهذه القصيدة نظير في القصائد الإسلامية في
القوة والانسجام ، نُقَدِّمُ هنا نشيداً وقصيدة مترجمة
بالعربية شعراً ، هما من أشهر أناشيد وقصائد هذا الديوان .

(١) من أراد أن يستزيد من الاطلاع على سيرة وحياة الشاعر العظيم محمد إقبال ، فليقرأ
« محمد إقبال سيرته وفلسفته » للدكتور عبد الوهاب عزام ، و « روائع إقبال » للعلامة
أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، و « إقبال الشاعر الشاعر » للأستاذ نجيب الكيلاني ،
و « محمد إقبال الشاعر المفكر الفيلسوف » للمؤلف .

الذِّیَوَانُ الْأَوَّلُ

صَلْصَلَةُ الْجُرْسِ بَانْكَادِرَا

نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ نَثْرًا

ثُمَّ صَلَّغَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ شِعْرًا

اَلشَّيْخُ صَاوِي شَعْلَانُ الْمَصْرِي



النشيدُ الإسلاميُّ

والهِنْدُ لَنَا وَالْكُلُّ لَنَا
وَجَمِيعُ الْكَوْنِ لَنَا وَطَنَا
أَعَدَدْنَا الرُّوحَ لَهُ سَكَنًا
فِي الدَّهْرِ صَحَائِفُ سُودِدِنَا
وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ كَعَبَّتِنَا
بِحَيَاةِ الرُّوحِ وَيَحْفَظُنَا
وَبَيْنَنَا الْعِزَّ لِدَوْلَتِنَا
مِ شَعْبَارِ الْمَجِيدِ لِمَلَّتِنَا
وَيُعْتَمِلُ خَنْجَرِ سَطَوَتِنَا
فِي الْغَرْبِ صَدَى مِنْ هَمَّتِنَا
طَاوَلْنَا النُّجُومَ بِرِفْعَتِنَا
نِيرَانِ الشُّدَّةِ عَزَمَتِنَا
فِي الْخَوْفِ سَفِينَةُ قَوَّتِنَا
أَنْسَيْتَ مَغَانِي عِشْرَتِنَا
عَمَّرْتَ بِطَلَائِعِ نَشَائِنَا
شَطِيقَ مَأَثَرِ عَزَّتِنَا
وَتُعِيدُ جَوَاهِرَ سِيرَتِنَا
مِنْ وَيَا مِلَادَ شَرِيعَتِنَا
فِي أَرْضِكَ رَوَّاهَا دُمْنَا
بِـ يَقْصِدُ الْفَوْزَ لِنُصْرَتِنَا

الضَّيْنُ لَنَا وَالْعُرْبُ لَنَا
أَضْحَى الْإِسْلَامُ لَنَا دِينَا
تَوْحِيدُ اللَّهِ لَنَا نَوْرُ
الْكَوْنِ يَزُولُ وَلَا تُنْحَى
بُنِيَتْ فِي الْأَرْضِ مَعَابِدُهَا
هُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ نَحْفَظُهُ
فِي ظِلِّ التَّيْفِ تَرْبَتِنَا
عَلَّمَ الْإِسْلَامَ عَلَى الْأَيَّامِ
بِهَلَالِ النَّصْرِ يُضِيءُ لَنَا
وَأَذَانُ الْمُسْلِمِ كَانَ لَهُ
قَوْلُوا لِسَمَاءِ الْكَوْنِ لَقَدْ
يَا دَهْرُ لَقَدْ جَرَيْتَ عَلَى
طُوفَانِ الْبَاطِلِ لَمْ يُفْرِقْ
يَا ظِلُّ حَدَائِقِ أَنْدَلَسِ
وَعَلَى أَغْصَانِكَ أَوْكَازُ
يَا دَجَلَةُ هَلْ سَجَلْتَ عَلَى
أَمْوَاجِكَ تَرْوِي لِلدُّنْيَا
يَا أَرْضُ النُّورِ مِنَ الْخَرَمَيْنِ
زَوْضُ الْإِسْلَامِ وَدَوْحَتُهُ
وَمُحَمَّدُ كَانَ أَمِيرَ الرُّكُ

إِنَّ اسْمَ مُحَمَّدٍ الْهَادِي رُوحُ الْأَمَّالِ لِنَهْضَتِنَا
 دَوْتُ أَنْشُودَةٍ « إِبْرَاهِيمَ » جَرَسًا يَحْدُو فِيهِ الرُّمْنَا
 يُعِيدَ قَوَائِمَنَا الْأُولَى فِي الْمَجِيدِ وَيَعِثُّ أُمَّتَنَا

٢- علي ضريح فاطمة بنت عبد الله التي استشهدت في سبيل الله وهي تسقى الغزاة في حرب طرابلس

٨١٩١٢

رمز العلى و سمية الزهراء يا نور وجه الملة البيضاء
 مكنت رفاتك تحت اطباق الشرى قدسية الالوار و الاضواء
 حظ من العلياء قل نظيره لسواك يا حورية الصحراء
 ارويتم أبطال الغزاة بكوثر من رحمة من قبل سقى الماء
 جاهدت صابرة و لم تقلدى سيفاً ولا درعا الى الهيجاء
 سار هذا الشوق و الهمم التي زاحمت فيها سوكب الشهداء
 قدست في استشهادك المثل الذي يبقى على الالهام خير بقاء
 كانت خميلتنا على وشك البلى و المحربين عواصف الشكباء
 كيف ازدهت رغم الخريف و اسفرت عن مثل تلك الزهرة الفجاء
 كيف الزوت يا رب تعنت ربانا تلك الشارة فيه طي خفاء
 اولم تنزل رغم الخطوب ملهية صحراؤنا بجاذر و ظباء
 و الرعد و البرق الذي يغزو الدجى بسوميضه في حالك الظلماء
 كيف اختفى يا رب خلف معابنا في وقت صحو و انقطاع رجاء
 و كم اعترتنى في مصابك لوعة و سكبت دمع الديمة الوطفاء
 و ذكرت ما ادركت من شرف العلى فنسيت الالمى و مر بكائى
 و تبدلت قيثارتى بأنينها في الماتم الباكي لشهد غناء
 في كل قلب من ترابك نشوة من عزيمة وثابة ومضاء

يتدفق الطوفان من جنباته و تشب منه لوائح الرمضاء
 و بشار آلآمال في رقعاته يحيى صداها ميت الأحياء
 الصمت يعلن من ضربهك ثورة و لرب صمت فاق كل نداء
 في هذه الأحضان تولد أمة تبني صروح العجد خير بناء
 أنا لست أدري ما وراء الكون من ستكون أقدار و غيب قضاء
 لكن جيلا صاعدا يبدو على قرب العدى في لضرة و لقاء
 مثواك مولد القريب و بعثه و مناره السهادى الى العلاء
 و أرى نجوما كالدرارى أومضت بالنور تحت القبة الزرقاء
 تقف النواظر حاسرات دونها و يثير منظرها خيال الرائي
 تطوى الفضاء فما يبلى ركبها بشروق صبح أو ظلام مساء
 بسلاح ماضوها و حاضر يومها تمضى الى غدها بغير و لقاء
 بقديمها و جديدها نحو العلى فى غير تشويق ولا إبطاء
 لبيك فاطم انت قد أرسلتها مرة مجدك فى منا و مناء
 قدر تجلى منك فى اشراقها ذكرى لكل مجاهد و فدائي



٣ - هدية اقبال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

صور اقبال فكرة خلود الشهداء في حرب طرابلس في لوحة شعرية مشرقة قال تحت عنوان "في حضرة الرسول" :

حين خفت ذرعا بضوضاء هذه الدنيا و اثلت الهموم كاهلي حزنت امتعتني
و ازمعت الرحيل - و انى و ان قضيت كل ايامى في قيد الصباح و المساء فانى اشعر
بغريتى عن نظام هذا العالم و مقاييسه - لقد حملتنى اجنحة الملائكة الى مقام
من اختاره الله رحمة للعلمين - و ما ان مثلت في حضرته حتى سمعت نداء يقول
" يا بلبل ،، روض الحجاز كم لك من اغان اذابت البراعم و الازهار بحرارة
الانغام السحرية ، انها تعبر عن خفقات قلبك و تتحدث عن لشوتك بضر العشق -
ان سجداتك في سكنة الليل ترسم القدوة الصالحة للمؤمنين ، و لكنى اسألك و قد
تعلمت الطيران و التحليق على اجنحة الملائكة و جئت لنا السانا من عبيد الورد -

ماذا حملت الينا من عالمك الذى خلفته وراءك ؟ قلت يا لبي الله اشكو
اليك همومى و حرمالى من طمانينة النفس - فانى لا اجد الحياة التى اواصل البحث
عنها في كل مكان - ان الرياض في كل مكان من الدنيا حافلة بالخمائل ، مليئة بالشقائق
و الازهار ولكنى لم اجد في جميعها زهرة واحدة تحمل رائحة الوفاء ، على انى
يا نبي الله ! اتيت اليك بما لا يوجد مثله في الجنة ، انها ريز من كرامة اسلك ، انها
زجاجة مليئة بدماء قانية من شهداء طرابلس :

و لما توالى في الحياة ضجيجها و خاق بها صدرى و طال عنائى
حملت من الدنيا متاعى لرحلة تعفف ما أشكو من البرحاء

على رغم انى ما . برحت مكبلا
فما زلت حرا من تقاليد عالم
بأجنحة الاملاك ارسلت همتى
اذا أنا بالنور الذى من شروقه
هو النير المبعوث للخلق رحمة
يقول تقدم ايها البلب الذى
تغنيت فى روض الجواز فرائد
و كاد يذوب الورد وجدا و رقة
و انغامك النشوى تقبض على الربى
وكم سجدة فى مخدع الليل لم تزل
تمثلت انسانا من العطر و الشذا
قلت متى يا اكرم الخلق ! تنقضى
ارى كل روض بالازاهير حاليا
يجود بحمر الشقيق عرائسا
وما ذكرتنى فى الخمائل زهرة
و طافت باحلامى ضحايا طرايل
لقد بذلوا فى ارضهم ثمن العلا
لقد سجلوها قصبة قمرزية
و لبهى الهادى البشير و قال لى
قلت له هذى الوديعه فى يدى
فما حوت الفردوس يوما نظيرها
فقال وماذا ؟ قلت : هذى هديتى

بلقيا صباح و ارتقاب مساء
ارى اننى فيه من الغرباء
الى كل اوج صاعد و هلاء
تطالعنا شمس الضحى بضياء
نبي البرايا اصدق الرحماء
سرى حبه شذوا بكل فضاء
تحف النخيل الخضر حول قباء
بمالك من شذو و طيب غناء
الناشيد حب صادق و ولاء
بها قدوة الابرار و الصلحاء
تجوب الينا ياب كل مساء
هموسى و القى فى الحياة رجائى
لدى الشذا فى لضره ولما
تمس بها الا غصان فى خيلاء
بعطر اخاء او نسيم وفاء
و ابناء ابطال بها شرفاء
لتحريرها من عصبة الدخلاء
مسطرة اسجادهما بدساء
بأي الهدايا جئت يوم لقاء ؟
تزيد على الياقوت حسن بهاء
جلالة قدر او جميل رواء
زجاجة طيب من دم الشهداء

الشكوى وجواب الشكوى

(حديث الروح)^(١)

ونجومٌ ليلى حُدي أو عُودي
قطع الزمان طريق أمي عن عدي
تبكي الرُّبى بأنينها المتجدد
ومدامي كالطل في الغصن الندي
خرساء لم تُرزق براءة مُشيد

شكواي أم نجواي في هذا الدُّجى
أمسيت في الماضي أعيش كأنما
والطيرُ صادحة على أفنانها
قد طال تشهيدي وطال نشيدها
فإلى متى صمتي كأني زهرة

لا بُدَّ للمكبوت من قِضانٍ
ليبين عنها منطقي ولساني
لكنما هي قصة الأشجان
أشكو مُصاب الدين للذَّيان
إلا لحمد علاك في الأكوان

قِثَارَتِي مُلِثَتْ بِأَنَاتِ الْجَوَى
صَعَدَتْ إِلَى شَفَتِي بِلَابِلُ مُهْجَتِي
أنا ما تَعَدَّيْتُ الْقِنَاعَةَ وَالرُّضَا
أَشْكُو وَفِي فَمِي التُّرَابُ وَإِنَّمَا
يَشْكُو لَكَ اللَّهُمَّ قَلْبٌ لَمْ يَعِشْ

رَوْضاً وأزهاراً بغير شِمْسٍ
لا يُسْرَتَجَى وردٌ بغير نَسِيمٍ
لَيْلًا لظالمِها وللمَظْلُومِ
واخضرَّ في البُشَّانِ كُلُّ هَشِيمٍ
فإذا الورى في نُضرةٍ ونعيمٍ

قد كان هذا الكون قبل وجودنا
والورد في الأكمام مجهول الشذا
بل كانت الأيام قبل وجودنا
لما أطل مُحَمَّدٌ زَكَتِ الرُّبَى
وأذاعت الفردوس مكنون الشذا

(١) اشتهرت هذه القصيدة في البلاد العربية بهذا العنوان ، والصحيح ما عتونها الشاعر بـ
« الشكوى وجواب الشكوى » .

مَنْ كَانَ يَهْتَفُ بِاسْمِ ذَاتِكَ قَبْلَنَا
عَبَدُوا تَمَاثِيلَ الصُّخُورِ وَقَدَّسُوا
عَبَدُوا الْكَوَاكِبَ وَالنُّجُومَ جَهَالَةً
هَلْ أَغْلَسَ التَّوَجُّيدَ دَاعِ قَبْلَنَا
كُنَّا نَقْدُمُ لِلشُّيُوفِ صُدُورَنَا

مَنْ كَانَ يَدْعُو الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ
مِنْ دُونِكَ الْأَخْجَارَ وَالْأَشْجَارَ
لَمْ يَتْلُغُوا مِنْ هَذِيهَا أَنْوَارَ
وَهْدَى الثُّغُوبِ إِلَيْكَ وَالْأَنْظَارَ
لَمْ نَخْشَ يَوْمًا غَاثِمًا جَبَّارًا

قَدْ كَانَ فِي الْيُونَانِ فَلَسَفَةٌ وَفِي الْـ
لَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةٌ أَوْ نَزْوَةٌ
وَيَكُلُّ أَرْضَ سَامِيرِيِّ مَآكِرُ
وَالْحِكْمَةُ الْأُولَى جَرَتْ وَثَنِيَّةٌ
نَحْنُ الَّذِينَ يَنْوِرُ وَخَيْكَ أَوْضَحُوا

رُومَانٍ مَذْرَسَةً وَكَانَ الْمُلْكُ فِي سَاسَانٍ^(١)
فِي الْمَالِ أَوْ فِي الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
يَكْفِي الْيَهُودَ مَوْؤَنَةُ الشَّيْطَانِ
فِي الصِّينِ أَوْ فِي الْهِنْدِ أَوْ طُورَانِ
نَهَجَ الْهُدَى وَمَعَالِمَ الْإِيمَانِ

مَنْ ذَا الَّذِي رَفَعَ الشُّيُوفَ لِيَرْفَعَ اسْمُـ
كُنَّا جِبَالًا فِي الْجِبَالِ وَرُبَّمَا
بِمَعَايِدِ الْإِفْرَنْجِ كَانَ أَذَانُنَا
لَمْ تَنْسَ إِفْرِيقِيَّةٌ وَلَا صَخْرَاؤُهَا
وَكَاَنَّ ظِلَّ السَّيْفِ ظِلُّ حَدِيقَةٍ

حَكَ فَوْقَ هَامَاتِ النُّجُومِ مَنَارًا
سِرْنَا عَلَى مَوْجِ الْبَحَارِ بِحَارًا
قَبْلَ الْكَتَائِبِ يَفْتَحُ الْأَمْصَارَا
سَجْدَاتِنَا وَالْأَرْضُ تَقْدِفُ نَارَا
خَضِرَاءَ تُنْبِتُ حَوْلَنَا الْأَزْهَارَا

لَمْ نَخْشَ طَاغُوتًا يَحَارِبُنَا وَلَوْ

نَعَبَ الْمَنَایَا حَوْلَنَا أَسْوَارَا

(١) فِي الْأَصْلِ هَكَذَا ، وَفِيهِ اضْطِرَابٌ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَسْتَقِيمَ الْوِزْنُ عَلَى حِسَابِ الْمَعْنَى
فَيَكُونُ :

قَدْ كَانَ فِي (الْيُونَانِ) وَ (الرُّومَانِ) مَذْرَسَةً ، وَكَانَ الْمُلْكُ فِي سَاسَانٍ

نَذَرُوا جِهَاراً لَا إِلَهَ سِوَى الَّذِي
وَرَوْوْنَا يَارَبِّ فَوْقَ أَكْفُنَا
كُنَّا نَرَى الْأَصْنَامَ مِنْ ذَهَبٍ
لَوْ كَانَ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ لَحَازَهَا

كَمْ زُلْزِلَ الصَّخْرُ الْأَثْمُ فَمَا وَهَى
لَوْ أَنَّ آسَادَ الْعَرَبِينَ تَفَرَّعَتْ
وَكُنَّا نِيرَانِ الْمَدَافِعِ فِي صُدُوءِ
تَوْحِيدِكَ الْأَعْلَى جَعَلْنَا نَقْشَهُ
فَغَدَتِ صُدُورُ الْمُؤْمِنِينَ مَصَاحِفاً

مَنْ غِيرْنَا هَدَمَ التَّمَائِيلَ الَّتِي
حَتَّى هَوَتْ صُورُ الْمَعَابِدِ سُجَّداً
وَمَنْ الْأَلْسُنُ حَمَلُوا بِعِزِّ أَكْفُهُمْ
أَمَّنْ رَمَى نَارَ الْمَجُوسِ فَأُطْفِئَتْ
وَمَنِ الَّذِي بِذَلِكَ الْحَيَاةِ رَخِيصَةً

نَحْنُ الَّذِينَ اسْتَيْقَظَتْ بِأَذَانِهِمْ
نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا دُعُوا لَصَلَاتِهِمْ

صَنَعَ الْوَجُودَ وَقَدَّرَ الْأَقْدَارَ
نَرْجُو ثَوَابَكَ مَغْنَمًا وَجَوَارًا
فَنَهْدِمُهَا وَنَهْدِمُ فَوْقَهَا الْكُفَّارَ
كُنْزاً وَصَاغَ الْجَلِيَّ وَالذُّنْيَا

مَنْ بِأَمِينَا عَزَمَ وَلَا إِيْمَانُ
لَمْ يَلْقَ غَيْرَ ثِبَاتِنَا الْمِيدَانُ
وَالْمُؤْمِنِينَ الرُّوحُ وَالرَّيْحَانُ
نُوراً يُضِيءُ بِصُبْحِهِ الْأَزْمَانُ
فِي الْكَوْنِ مَسْطُوراً بِهَا الْقُرْآنُ

كَانَتْ تُقَدِّسُهَا جَهَالَاتُ الْوَرَى ؟
لَجَلَالِ مَنْ خَلَقَ الْوَجُودَ وَصُورًا
بَابَ الْمَدِينَةِ يَوْمَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ^(١)
وَأَبَانَ وَجْهَ الْحَقِّ أَبْلَجَ نِيرَانِ^(٢) ؟
وَرَأَى رِضَاكَ أَعَزَّ شَيْءٍ فَاشْتَرَى

دُنْيَا الْخَلِيقَةِ مِنْ تَهَاوِيلِ الْكَرَى
وَالْحَرْبُ تَسْقِي الْأَرْضَ جَامِئاً أَخْمَرَا

(١) هو سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي حمل باب حصن خيبر وجعله ثرساً له في المعركة ، وذلك في غزوة خيبر التي كانت في أول السنة السابعة من الهجرة .

(٢) هو السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي .

جعلوا الوجوه إلى الحجاز وكبروا
محمود مثل إياز^(١) قام كلاهما
والعبد والمولى على قدم الثقى

في مسمع الروح الأمين فكبرا
لك بالخشوع مصلياً مُنتَغِيراً
سجداً لوجهك خاشعين على الثرى

بلغت نهاية كل أرض خيلنا
في محفل الأكوان كان هلالنا
في كل موقعة رفعنا راية
أمم البرايا لم تكن من قبلنا
بلغت بنا الأجيال حرثاتها

وكان أنخرهما رمال اليد
بالنصر أوضح من هلال العيد
للمجد تعلن آية التوحيد
إلا عيذاً في إمار عبيد
من بعد أصفاد وذل قيود

رُحماك رب هل بغير جأهنا
كانت شغاف قلوبنا لك مضعفاً
إن لم يكن هذا وفاء صادقاً
ملا الشعوب جناتها وعصاتها
فإذا السحاب جرى سقاها غيثه

عرف الشجود ببيتك المعفور
يحوي جلال كتابك المسطور
فالخلق في الدنيا بغير شعور
من ملجئ عات ومن مغرور
واختصنا بصواعق التذمير

قد هبت الأصنام من بعد البلى
والكعبة العليا توارى أهلها
وقوافل الصحراء ضلّ خداتها
أنا ما حذت الكافرين وقد غدوا

واستيقظت من قبل نفخ الصور
فكانهم موتى لغير نصور
وغدت منازلها ظلال قبور
في أنعم ومواكب وقصور

(١) إياز : هو مولى السلطان محمود البكتكين .

بَلْ مِحتَي أَلَا أَرَى فِي أُمْتِي عَمَلًا تَقْدُمُهُ صَدَاقَ الْخُورِ^(١)

لِسُكِّ الْبَرِيَّةِ حَكْمَةً وَمَشِيئَةً
إِنْ شِئْتَ أَجْرِيَتِ الصَّحَارَى أَنْهَرًا
فَإِذَا دُمِيَ الْإِسْلَامُ فِي أَبْنَائِهِ
فَشَرَّاءُؤُهُمْ فَقَرُّ وَدَوْلَةُ مُجْدِهِمْ
عَاقِبَتُنَا عَدَلًا فَهَبْ لِعَدُونِنَا
أَعْيَتْ مَذَاهِبُهَا أُولَى الْأَبَابِ
أَوْ شِئْتَ فَلَا أَنْهَارَ مَوْجٍ سَرَابِ
حَتَّى انْطَوَوْا فِي مَحَنَةٍ وَعَذَابِ
فِي الْأَرْضِ نَهَبٌ ثَعَالِبٍ وَذَنَابِ
عَنْ ذَنْبِهِ فِي الذَّهْرِ يَوْمَ عِقَابِ

عَاشُوا بِشَرِّوَتِنَا وَعَشْنَا دُونَهُمْ
الَّذِينَ يَخِيَا فِي سَعَادَةِ أَهْلِهِ
أَيُّنَ الَّذِينَ بِنَارِ حَبِّكَ أَرْسَلُوا إِلَيْ
سَكَبُوا اللَّيَالِي فِي أَيْنِ دُمُوعِهِمْ
وَالشَّمْسُ كَانَتْ مِنْ ضِيَاءِ وُجُوهِهِمْ
لِلْمَوْتِ بَيْنَ الذُّلِّ وَالْإِمْلَاقِ
وَالْكَأَسُ لَا تَبْقَى بغير السَّاقِي
أَنْوَارَ بَيْنَ مُحَافِلِ الْعَشَّاقِ
وَتَوَضَّؤُوا بِمَدَامِجِ الْأَشْوَاقِ
تُهْدِي الصَّبَاحَ طَلَائِعَ الْإِشْرَاقِ

كَيْفَ انْطَوَتْ أَيَّامُهُمْ وَهُمْ الْأَلَى
هَجَرُوا الدِّيَارَ فَأَيْنَ أَرْمَعَ^(٣) رَكْبُهُمْ
يَا قَلْبُ حَسْبُكَ لَمْ تُلَمْ^(٤) بِطَيْفِهِمْ
فَازُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَجْدِ خَالِدِ
نَشَرُوا الْهُدَى وَعَلَوْا مَكَانَ الْفَرْقَدِ^(٢)
مَنْ يَهْتَدِي لِلْقَوْمِ أَوْ مَنْ يَفْتَدِي
إِلَّا عَلَى مَصْبَاحٍ وَجْهٍ مُحَمَّدٍ
وَلَهُمْ خُلُودُ الْفُوزِ يَوْمَ الْمَوْعِدِ

(١) الصداق : المهر .

(٢) الْفَرْقَد : وهو نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريباً ، ولذا يُهْتَدَى بِهِ ، وهو المسمى « النجم القطبي » .

(٣) أَرْمَعَ : قَصَدَ وَتَوَجَّهَ .

(٤) لَمْ تُلَمْ : لم تنزل بهم .

يَا رَبِّ إِلَهِنَا الرَّشَادَ فَمَا لَنَا فِي الْكَوْنِ غَيْرَكَ مَنْ وَلِيٌّ مُرْشِدٌ

مَا زَالَ قَيْسٌ وَالْغَرَامُ كَعَهْدِهِ
وَمِضَابُ نَجْدٍ مِنْ مَرَاغِيهَا الْمَهَا
وَالْعَشْقُ قِيَاضٌ وَأُمَّةٌ أَحْمَدُ
لَوْ حَاوَلْتُ فَوْقَ السَّمَاءِ مَكَانَةً
مَا بِأَلْهَا تَلْقَى الْجُدُودَ عَوَائِرًا^(١)
وَرَبِيعٌ لَيْلَى فِي ربيعِ جَمَالِهَا
وَضَبَاؤُهَا الْخَفَرَاتِ مَلَأَ جِبَالِهَا
يَتَحَفَّرُ التَّارِيخُ لِمُسْتَقْبَالِهَا
رَفَّتْ عَلَى شَمْسِ الصُّحَى بِهَلَالِهَا
وَتَصُدُّهَا الْأَيَّامُ عَنْ آمَالِهَا

هَجَرُ الْحَبِيبِ رَمَى الْأَحِبَّةَ بِالنَّوَى
لَوْ قَدْ مَلَلْنَا الْعِشْقَ كَانَ سَبِيلُنَا
أَوْ نَصْنَعُ الْأَصْنَامَ ثُمَّ نَبِيعُهَا
أَيَّامُ سَلَمَانَ بِنَا مَوْصُولَةً
وَأَصَابُهُمْ يَتَصَرَّمُ الْأَمَالِ
أَوْ نَسْتَكِينُ إِلَى هَوَى وَضَلَالِ
حَاشَا الْمَوْحِدَ أَنْ يَذِلَّ لِمَالِ
وَتُقَى أُوَيْسَ فِي أَذَانِ بِلَالِ

يَا طَيْبَ عَهْدٍ كُنْتَ فِيهِ مَنَازِنَا
وَأَسْرَتْ فِيهِ الْعَاشِقِينَ بِلَمَحْوِ
أَحْرَقْتَ فِيهِ قُلُوبَهُمْ بِتَوْقِدِ الْإِيمَانِ لَا يَتَلَهَّبُ النَّيِّرَانِ
لَمْ نَبْقَ نَحْنُ وَلَا الْقُلُوبُ كَأَنَّهَا
إِنْ لَمْ يُنَرَّ وَجْهُ الْحَبِيبِ بِرُصْلِهِ
فَبَعَثْتَ نَوْرَ الْحَقِّ مِنْ قَارَانِ
وَسَقَيْتَهُمْ رَاحًا بِغَيْرِ دَنَانِ
لَمْ تَحْظَ مِنْ نَارِ الْهَوَى بِدُخَانِ
فَمَكَانُ حُزْنِ الْقَلْبِ كُلِّ مَكَانِ

يَا فَرَحَةَ الْأَيَّامِ حِينَ نَرَى بِهَا
رَوْضَ التَّجَلِّيِ وَارِفَ الْأَغْصَانِ

(١) الجُدود العَوَائِر : المحفوظ الغائبة .

ويعود محفلنا بحسبك مسفراً
قد هاجَ حزني أن أرى أعداءنا
ونعالجُ الأنفاس نحن ونصطلي
أشرق بنورك وابعثِ البرق القديم
كالضُّبح في إشراقه الفينان
بين الطُّلا^(١) والظُّل والألحان
في القفر حينَ القوم في بستان
أشرق بنورك وابعثِ البرق القديم
بومضةٍ لِفَرَاثِكَ الظُّمآنِ

أشواقنا نحوَ الحجازِ تطلَّعت
إنَّ الطيورَ وإنَّ قصَّصتَ جناحها
قيثارتِي مكبوتةً ونشيدُها
واللَّحنُ في الأوتار يرجو عازفاً
والطُّور^(٢) يرتقبُ التجلي صارخاً
كحنينٍ مُغتربٍ إلى الأوطان
تسمو بفطرتها إلى الطَّيران
قد ملَّ من صمتٍ ومن كتمان
ليسوخ من أسرارهِ بمعيانٍ
بهوى المَشُوقِ ولَهْفَةِ الحَيْرَانِ

وكبأدنا احترقت بأنات الجوى
والعطرُ فاض من الخمائل والرُّبا
أو ليس من هَوْلِ القيامة أن يكو
النَّمْلُ لا يخشى سليماناً إذا
أرشد براهمةَ الهنود ليرفعوا الـ
ودماؤنا نهرُ الدُموعِ القاني
وكأنَّه شكوى بغير لسان
ن الزَّهرُ نَمَّاماً^(٣) على البُستانِ
حَرَسَتْ قُراءَ عنايةِ الرَّحمنِ
إسلامَ فوق هياكلِ الأوثانِ

ما بال أغصان الصَّنوبر قد نأت
وتعرَّت الأشجارُ من حُلِّ الرُّبا
عنها قَمَارِنُهَا^(٤) بكلِّ مكانٍ
وطيورها فرَّت إلى الوديانِ

(١) الطُّلا : الخمر .

(٢) الطُّور : هو الجبل الذي تجلَّى الله عليه لموسى عليه الصلاة والسلام وكلَّمه .

(٣) نَمَّاماً : هو مَنْ يُزَيِّن للناس الكلام بالكذب .

(٤) القماريُّ : هو ضرب من الحمام مطوَّق بحسن الصوت .

يَا رَبِّ إِلَّا بُلْبُلًا لَمْ يَنْتَظِرْ وَحَيَّ الرَّبَّيعَ وَلَا صَبَاً^(١) نَيْسَانَ
الْحَنَانُ بِحَرٍّ جَرَى مُتَلَاظِمًا فَكَأَنَّهُ الْحَاكِي عَنْ الطُّوفَانِ
يَا لَيْتَ قَوْمِي يَسْمَعُونَ شِكَايَةً هِيَ نِيَّ ضَمِيرِي صَرْخَةُ الْوَجْدَانِ

إِنَّ الْجَوَاهِرَ حَيَّرَتْ مِرَاةَ هـ لَذَا الْقَلْبِ فَهُوَ عَلَى شَفَا الْبُرْكَانِ
أَسْمِعُهُمْ يَا رَبِّ مَا أَلْهَمْتَنِي وَأَعِذْ إِلَيْهِمْ يَقْظَةَ الْإِيمَانِ
وَأَذْقَهُمُ الْخَمْرَ الْقَدِيمَةَ إِنَّهَا عَيْنُ الْبَقِيَّةِ وَكَوْثَرُ الرُّضْوَانِ
أَنَا أَعْجَمِي الدَّنُّ لَكِنْ خَمَّرْتَنِي صُنْعُ الْحِجَازِ وَكَرَمِهَا الْفَيْئَانِ^(٢)
إِنْ كَانَ لِي نَعْمُ الْهُنُودُ وَلَحْنُهُمْ لَكِنْ هَذَا الصَّوْتُ مِنْ عَدْنَانِ



(١) صَبَاً : رِيحٌ طَيِّبَةٌ تهبُّ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ .

(٢) الْفَيْئَانُ : أَيُّ ذُو الْأَفْئَانِ طَوِيلِ الْأَغْصَانِ .

جواب الشكوى

ثُمَّ نَظَمَ مُحَمَّدٌ إِقْبَالَ بَعْدَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَصِيدَةً أُخْرَى وَضَّحَ فِيهَا تَقْصِيرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِهْمَالَهُمْ لِدِينِهِمْ ، وَعَدَمَ إِتْقَانِهِمْ أَمْرَ الدُّنْيَا ، تَبَرُّرًا لِمَا جُوزُوا بِهِ مِنَ الْخُرْزِيِّ وَالْهَوَانِ ، وَسَرْعَانَ مَا تَغْنَى بِهِاتَيْنِ الْقَصِيدَتَيْنِ الْأَطْفَالُ ، وَالشَّبَابُ ، وَحَفَظَهُمَا الرِّجَالُ ، وَالنِّسَاءُ ، وَسَارِقَاتِ مَسِيرِ الرِّيحِ وَطَارِقَاتِ بَغِيرِ جَنَاحٍ .

كَلَامُ الرُّوحِ لِلْأَرْوَاحِ يَسْرِي^(١) وَتَذَرُّهُ الْقُلُوبُ بِلَا عَنَاءٍ^(٢) وَتَشَقُّ أُنْيُنُهُ صَدْرَ الْقَضَاءِ جَرَتْ فِي لَفْظِهِ لَغَةُ السَّمَاءِ حَدِيثًا كَانَ عُلوِّيَّ النَّدَاءِ أَهَاجَ الْعَالَمِ الْأَعْلَى بِكَائِي

تَحَاوَرَتِ الثُّجُومُ وَقُلْنَ صَوْتُ، وَجَاوَيْتِ الْمَجْرَّةَ عَلً طَيْفًا وَقَالَ الْبَدْرُ هَذَا قَلْبُ شَاكِ وَلَمْ يَعْرِفْ سَوَى رِضْوَانِ صَوْتِي أَلَمْ أَكُ قَبْلُ فِي جَنَّاتِ عَدْنِ

بِقُرْبِ الْعَرْشِ مَوْصُولِ الدُّعَاءِ سَرَى بَيْنَ الْكَوَاكِبِ فِي خَفَاءِ يَوَاصِلِ شَذْوَةٍ عِنْدَ الْمَسَاءِ وَمَا أَحْرَأهُ عِنْدِي بِالْوَفَاءِ فَأَخْرَجَنِي إِلَى حِينِ قَضَائِي

(١) يَسْرِي : يَجْرِي .

(٢) عَنَاءٌ : تَعَبٌ وَمَشَقَّةٌ .

وقيل هو ابن آدم في غرورٍ
لقد سجدت ملائكة كرامٍ
يظنُّ العلمُ في كيفٍ وكمٍ
وملء كؤوسه دمعٌ وشكوى
فيا هذا لقد أبلغت شيئاً

تجاوزَ قُدْرَه دونَ ارعواء^(١)
لهذا الخلق من طينٍ وماءٍ
وسرُّ العَجَز عنه في انطواءٍ
وفي أنغامه صوتُ الرجاءِ
وإن أكثرَ فيه من المراءِ

عطايانا سحائبُ مُرسلاتٍ
وكلُّ طريقنا نورٌ^(٢) ونورٌ
ولم نجدِ الجواهرَ قابلاتٍ
وكان تراب آدم غيرَ هذا
ولو صدقوا وما في الأرض نهرٌ

ولكن ما وجدنا السائلينا
ولكن ما رأينا المالكيـنا
ضياء الوحي والنور المينا
وإن يك أصله ماءً وطينا
لأجرينا السماء لهم عُيونا

وأخضعنا لملكهم الثريا
ولكن ألحدوا في خير دينٍ
تراث محمدٍ قد أهملوه
تولّى هادمو الأصنام قُذماً
أباهم كان إبراهيم لكن

وشيّدنا النجوم لهم حصونا
بنى في الشمس ملك الأولينا
فعاشوا في الخلائق مُهمّليـنا
فعاد لها أولئك يصنعونا
أرى أمثال آزر^(٣) في البينا

(١) ارعواء : كف وارتداع .

(٢) النور : الزهر .

(٣) آزر : اسم والد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي كان ينحت الأصنام جُرْفَةً .

وفي أنسلافكم كانت مزايا
تضوع^(١) شقائق الصحراء عطراً
فهل بقيت محاسنهم لديكم
لقد هاموا بخالفهم فناء
وكوثر أحمد منكم قريب



وأذنت القماري والطيور
مصلية فجأوبها الغدير
كان الصبح لم يدركه نور
فليس لكم به عزم صبور
وليس بغائب إلا الضمير

وكم لاح الصباح سناً^(٢) ويشرى
وكثرت الخمائل في رباها
ونوم صباحكم أبداً ثقیلاً
وأضحى الصوم في رمضان قيداً
تملأن عصركم جمع المزايا



وكيف ينال عهدي الظالمينا
ولا دنيا لمن لم يخفي ديناً
فقد جعل الفناء لها قريناً
ولن تبنوا العلاء مفرقينا
ولولا الجاذبية ما بقينا

لقد ذهب الوفاء فلا وفاء
إذا الإيمان ضاع فلا أمان
ومن رضي الحياة بغير دين
وفي التوحيد للههم اتحاد
تساندت الكواكب فاستقرت



وانتم كالطيور بلا وكور
ليدركم وأنتم في غرور

غدوتكم في الديار بلا ديار
وكل صواعق الدنيا سهام

(١) تضوع : تفوح وتنتشر .

(٢) السنا : الضياء .

أهَذَا الْفَقِيرُ فِي عِلْمٍ وَمَالٍ
وَيَبِغُ مَقَابِرَ الْأَجْدَادِ أَضْحَى
وَإِذَا سَمِعُوا بِتَجَارِ الْقُبُورِ
وَأَنْتُمْ فِي الْقَطِيعَةِ وَالْقُبُورِ
لَدَى الْأَحْفَادِ مَدْعَاةُ الظُّهُورِ

مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ إِلَى الْمَعَالِي
وَمِنْ جِبْهَاتِهِمْ أَنْوَارُ بَيْتِي
أَمَّا كَانُوا جُدُودَكُمْ الْأَوَالِي
وَلَيْسَ لَكُمْ مِنَ الْمَاضِي تَرَاثٌ
وَمَنْ يَكُ يَوْمُهُ فِي الْعَيْشِ يَأْسًا
عَلَى نَهْجِ الْهَدَايَةِ وَالصَّوَابِ
وَفِي أَخْلَاقِهِمْ يُتْلَى كِتَابِي
بِنَاءَ الْمَجْدِ وَالْفَنِّ الْعَجَابِ
سِوَى شَكْوَى اللَّغُوبِ^(١) وَالْاِكْتِنَابِ
فَمَا غَدُهُ سِوَى يَوْمِ الْعَذَابِ

أَتَشْكُو أَنْ تَرَى الْأَقْوَامَ فَازُوا
مَشَوْا بِهِدْيِ أَوَائِلِكُمْ وَجَدُوا
أَيُّخْرَمُ عَامِلٌ وَرَدَّ الْمَعَالِي
أَلَيْسَ مِنَ الْعَدَالَةِ أَنْ أَرْضِي
تَجَلِّي الثُّورِ فَوْقَ الظُّورِ بَاقٍ
بِمَجْدٍ لَا يَرَاهُ النَّائِمُونَ
وَضِيعَتُهُمْ تَرَاثُ الْأَوَّلِينَ
وَيَسْعُدُ بِالرُّقِيِّ الْخَامِلُونَ
يَكُونُ حَصَادُهَا لِلزَّارِعِينَ
فَهَلْ بَقِيَ الْكَلِيمُ^(٢) يَطُورِ سِينَا؟

الْمُ يُنْعَثُ لَأَقْتَكُمْ نَبِيٌّ
وَمُصْحَفُكُمْ وَقَبْلَتُكُمْ جَمِيعًا
وَفَوْقَ الْكُلِّ رَحْمَنٌ رَحِيمٌ
فَمَا نَارُ الْفِتْكَمِ تَوَلَّى
يُوْحَدُّكُمْ عَلَى نَهْجِ الْوَسَامِ
مَنَارٌ لِلْأَخْوَةِ وَالسَّلَامِ
إِلَهُ وَاحِدٌ رَبُّ الْأَنْسَامِ
وَأَمْسَيْتُمْ حِبَارِي فِي الْقَلَامِ

(١) اللَّغُوبُ : التعب والإعياء .

(٢) الْكَلِيمُ : لقب سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام .

وحسن اللؤلؤ المكنونِ رهمنُ بصوغ العقْد في حُسن النُظامِ

وكيف تغَيَّرتْ بكمُ اللَّيالي
تركتكم دينَ أحمدَ ثم عُدْتُم
رقيُّ الشعبِ قد أضحي لديكم
وكيف تُقاسُ أوهامٌ ولغوٌ
أرى ناراً قد انقلبَت رماداً

وكيف تفرَّقت بكمُ الأمانِي
ضحايَا لِلْهوى أو لِلْهوانِ
تقرُّزُهُ صلاحيةُ الزمانِ
بحكمة منزلِ السَّبع المثاني
سوى ظل مريضٍ من دخانِ

أرى الفقراءَ عباداً تقاةً
هم الأبرارُ في صومٍ وفطرٍ
وليس لكم سوى الفقراءَ مترٌ
أضلَّلت أغنياءكم الملاهي
وأهلُ الفقر ما زالوا كنوزاً

قياماً في المساجد راعيناً
وبالأسحارِ هم يَشْتَغِرُونَا
يواري عن عيوبكم العُيُونَا
فهم في ربهم يتردَّدونَا
لدينِ الله ربِّ العالمينا

أرى التفكيرَ أدركهُ خمولٌ
وأصبحَ وَغْظُكم من غيرِ سخرٍ
وعند النَّاسِ فلسفةٌ وفكرٌ
وجلجلتُ الأذانَ بكلُّ أرضٍ
منائرُكم علت في كلِّ حيٍّ

ولم تبقِ العزائمُ في اشتعالِ
ولا نورٌ يُطلُّ من المقالِ
ولكن أين تلقين (الغزالي^(١))
ولكن أين صوتٌ من بلالٍ
ومسجدُكم من العباد خالي

(١) الغزالي : هو أبو حامد محمد الغزالي ، أحد أعلام المسلمين وكبار الفلاسفة ، لقب
« بحجة الإسلام » صاحب مصنفات سائرة ، توفي عام ٥٠٥ هـ بمدينة طوس .

فَأَيْنَ أُمَّةٌ وَجَنُودٌ صَادِقٍ تَهَابُ شَبَابٌ^(١) عَزَمَهُمُ الْحَرَابُ
 إِذَا صَنَعُوا فَصَنَعَهُمُ الْمَعَالِي وَإِنْ قَالُوا فَقَوْلُهُمُ الصُّوَابُ
 مَرَادُهُمُ الْإِلَهَ فَلَا رِيَاءَ وَنَهَجَهُمُ الْيَقِينُ فَلَا ارْتِيَابُ
 لِأُمَّتِهِمْ وَلِلْأَوْطَانِ عَاشَرُوا فَلَيْسَ لَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا طَلَابُ
 كَمَثَلِ الْكَأْسِ تُبَصِّرُهَا دِهَاقٌ^(٢) وَلَيْسَ لِأَجْلِهَا صُنِعَ الشَّرَابُ



جِهَادُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ حَيَاةٌ أَلَا إِنَّ الْحَيَاةَ هِيَ الْجِهَادُ
 عَقَائِدُهُمْ سَوَاعِدُ نَاطِقَاتٍ وَبِالْأَعْمَالِ يَثْبُتُ الْإِعْتِقَادُ
 وَخَوْفُ الْمَوْتِ لِلْأَحْيَاءِ قَبْرُ وَخَوْفُ اللَّهِ لِلْأَحْرَارِ زَادُ
 أَرَى مِيرَاثَهُمْ أَضْحَى لَدَيْكُمْ مَضَاعاً حَيْثُ قَدْ ضَاعَ الرَّشَادُ
 وَلَيْسَ لَوَارِثٍ فِي الْخَيْرِ حِفْظُ إِذَا لَمْ يَحْفَظِ الْإِرْثُ اتَّحَادُ



لَأَيِّ مَآثِرِ الْقَوْمِ انْتَبَهْتُمْ ؟ لَتَكْتَسِبُوا فَخَارَ الْمُسْلِمِينَ
 فَأَيْنَ مَقَامُ ذِي الثُّورَيْنِ^(٣) مِنْكُمْ وَدَوْلَةُ عَزَّةٍ دُنْيَا وَدِينَا
 وَفَقْرٌ عَلَيَّ الْأَوَابِ هَلَا وَرِيحَتُمْ فِيهِ كَنْزُ الْفَاتِحِينَ
 أَقَمْتُمْ فِي الذُّنُوبِ وَفِي الْخَطَايَا وَتَغْتَابُونَ حَتَّى الصَّالِحِينَ
 وَهُمْ سَتَرُوا عيوبَ الْخَلْقِ فَضلاً وَإِنْ كَانُوا أَبْرَ الْمُتَّقِينَ



(١) شَبَابٌ ، جمعها الشُّبَا والشُّبُوت : شبابة كل شيء ، أي حداً طرفه .
 (٢) دِهَاقٌ : مُتَلَيٌّ ، يقال : كأس دِهَاقٌ ، أي متلئ .
 (٣) هو لقب الخليفة الراشد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

أَرِيكَ قَيْصَرَ^(١) وَسَرِيرُ كِسْرَى^(٢)
وَأَنْتُمْ تَطْمَحُونَ إِلَى الثَّرِيَا
تَضِيعُونَ الْإِخَاءَ وَهُمْ أَقَامُوا
طَلَبْتُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَعَدْتُمْ
وَكَانَ لَدَيْهِمُ الْبُسْتَانُ مُحْضَاً

قَدْ اخْتَمَيْتُمْ بِمُلْكِهِمُ الْعَمِيمِ
بَلَا عِزِّمْ وَلَا قَلْبِ سَلِيمِ
صُرُوحُ إِخَانِهِمْ فَوْقَ النُّجُومِ
بَلَا زَهْرِ يَضُوعٍ^(٣) وَلَا شَمِيمِ
وَهُمْ أَصْحَابُ جَنَاتِ النَّعِيمِ

يُعِيدُ الْكَوْنَ قَضَتُهُمْ حَدِيثاً
فَكَمْ نَزَحُوا عَنِ الْأَوْكَارِ شَوْقاً
وَيَأْسُ شَبَابِكُمْ أَدْمَى خَطَاهُمْ
هِيَ الْمَدْنِيَّةُ الْحَقِيقَةُ الْقِسْطُ
لَقَدْ صَنَعْتَ لَهُمْ صَنْمَ الْمَلَاهِي

وَيُنْشِءُ مِنْ حَدِيثِهِمُ الْفَنُونَا
إِلَى التَّخْلِيْقِ فَوْقَ الْعَالَمِينَا
فَقُتُّوا فِيهِ بِالذُّنُوبِ الْقُنُونَا
بِهِمْ حَوْلَ الْمَذَاهِبِ حَائِرِينَا
لَتَحْجِبَ عَنْهُمْ الْحَرَمَ الْأَمِينَا

لَقَدْ سَمَّيْتُ الْهَوَى فِي الْيَدِ قَيْسَ^(٤)
وَيَحَاوِلُ أَنْ يُبَاحَ الْعِشْقُ حَتَّى
يَرِيدُ سَفُورَ وَجْهِ الْخُسْنِ لَمَّا
فَهَذَا الْعَهْدُ أَحْرَقَ كُلَّ غَرَسٍ
لَقَدْ أَفْنَتِ صَوَاعِقُهُ الْمَغَانِي

وَمَلَّ مِنَ الشُّكَايَةِ وَالْعَذَابِ
يَرَى لَيْلَاهُ^(٥) وَهِيَ بِلَا حِجَابِ
رَأَى وَجْهَ الْفَرَامِ بِلَا نَقَابِ
مِنَ الْمَاضِي وَأَغْلَقَ كُلَّ بَابِ
وَعَائَتْ^(٦) فِي الْجِبَالِ وَفِي الْهَضَابِ^(٧)

(١) قَيْصَر : لَقِبَ مُلُوكُ الرُّومِ .

(٢) كِسْرَى : لَقِبَ مُلُوكُ الْفَرَسِ .

(٣) يَضُوعُ : يَفُوحُ وَيَتَشَرُّ .

(٤) قَيْسُ : مِنْ أَشْهُرِ عَشَاقِ الْعَرَبِ .

(٥) لَيْلَى : مِنْ أَشْهُرِ عَاشِقَاتِ الْعَرَبِ .

(٦) عَائَتْ : أَفْسَدَتْ .

(٧) هَضَابُ : جَمْعُ هَضْبَةٍ ، وَهُوَ جَبَلٌ مُنْبَسِطٌ مَمْتَدٌّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

هِيَ النَّارُ الْجَدِيدَةُ لَيْسَ يُلْقَى
خُذُوا إِيمَانًا إِبْرَاهِيمَ تَثْبُتْ
وَيَذْكُرُوا مِنْ دَمِ الشَّهْدَاءِ وَرَدُّ
وَيَلْمَعُ فِي سَمَاءِ الْكَوْنِ لَوْنٌ
فَلَا تَفْزَعُ إِذَا الْمَرْجَانُ^(١) أَضْحَى



وَكَمْ بَادَتْ نَخِيلٌ فِي الْهَوَادِي
عَلَى مَرِّ الْعَوَاصِفِ وَالْعَوَادِي
بِقَاءِ الشَّمْسِ وَالشَّبَعِ الشَّدَادِ
يَرَى كَنَعَانَهُ^(٢) كُلَّ الْبِلَادِ
بَلَا جَرَسٍ وَلَا تَرْجِيحِ خَادِي



فَكَمْ زَالَتْ رِيَاضٌ مِنْ رِيَاهَا
وَلَكِنْ نَخْلَةُ الْإِسْلَامِ تَنْمُو
وَمَجْدُكَ فِي حِمَى الْإِسْلَامِ بَاقٍ
وَإِنَّكَ يَوْسُفُ فِي أَيِّ مَصْرِ
تَسِيرُ بِكَ الْقَوَافِلُ مُرْعَاتٍ

لَأَنَّكَ غَيْرَ مَحْدُودِ الْمَكَانِ
مِنَ الْإِيمَانِ عَاقِبَةُ الْأَمَانِ
حِمَاةَ الْحِجْرِ^(٤) وَالرُّكْنَ الْيَمَانِي^(٥)
وَأَنْتَ النُّجُومُ يَشْرِقُ كُلُّ آيٍ

ضِيَاؤُكَ مَشْرِقٌ فِي كُلِّ أَرْضٍ
بَقِيَ أَمُّ النَّارِ^(٣) فَادْرَكْتُهَا
وَأَصْبَحَ عَابِدُوا الْأَصْنَامِ قُذْمًا
فَلَا تَجْزَعُ فَهَذَا الْعَصْرُ لَيْلٍ

(١) الْمَرْجَانُ : صِفَارِ اللَّوْلُؤِ .

(٢) كَنَعَانُ : أَرْضُ فِلَسْطِينَ .

(٣) النَّارُ : قِبَائِلُ كَانَتْ تَسْكُنُ فِي أَوَاسِطِ آسِيَا ، أَصْلُهُمْ مِنَ الْمَغُولِ ، اشتهروا بِغَزْوَاتِهِمْ ،
وَأَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بَعْدَ هَجُومِهِمْ عَلَى بَغْدَادِ .

(٤) الْحِجْرُ : يُرِيدُ بِهِ الشَّاعِرُ حَجَرَ الْكَعْبَةِ .

(٥) الرُّكْنُ الْيَمَانِي : هُوَ رُكْنُ الْكَعْبَةِ الَّذِي فِيهِ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ .

ولا تخش العواصف فيه وانهض
بشعلتك المضيئة في الزمان



أعد من مشرق التوحيد نوراً
وأنت العطر في روض المعالي
وأنت نسيمه فاحمل شذاه
وأرسل شعله الإيمان شمساً
وكن في قمة الطوفان موجاً
يتم به اتحاد العالمينا
فكيف تعيش محتباً دفيناً
ولا تحمل غبار الخاملينا
وصغ من ذرة جلاً حصينا
ومزناً يطر الغيث الهثونا



فباسم محمد شمس البرايا
تلاً في الرياض وفي الصحارى
وتبيض الكون منه مُستمداً
ومن مراکش^(١) يغزو صدهاء
وما مشكاة هذا النور إلا
أقيمت خيمة الفلك المنير
وفوق الموج والسيل المغير
حرارته على مر العصور
رُبوع الصّين بالصّوت الجهير
ضمير المسلم الحرّ القيور



ورفع الذكر للمختار رفع
فكن إنسان عين الكون واشهد
بختجر عزمك الوثاب لاحت
ندائك في العناصر مستجاب
وعقلك في الخطوب أجل درع
لقدرك نحو غايات الكمال
مقامك عالياً فوق المعالي
على الأعلام أنوار الهلال
إذا دوى بصوت من بلال
وعشقك خير سيف للنضال



خلافة هذه الأرض استقرت
بمجدك وهو للدنيا سماء

(١) مراکش : مدينة تقع في المغرب الأقصى .

وفي تكبيرك القدسي يبدو
 فيا من هب للإسلام يدعو
 سترفع قذرك الأقدار حتى
 وقيل لك اختكم دنيا وأخرى

صغيراً كمل ما ضم القضاء
 وأيقظ صدق غيرته الوفاء
 تشهد أن ساعدك القضاء
 وشأنك والخلود كما نشأ



الدِّيَّوَانُ الثَّانِي

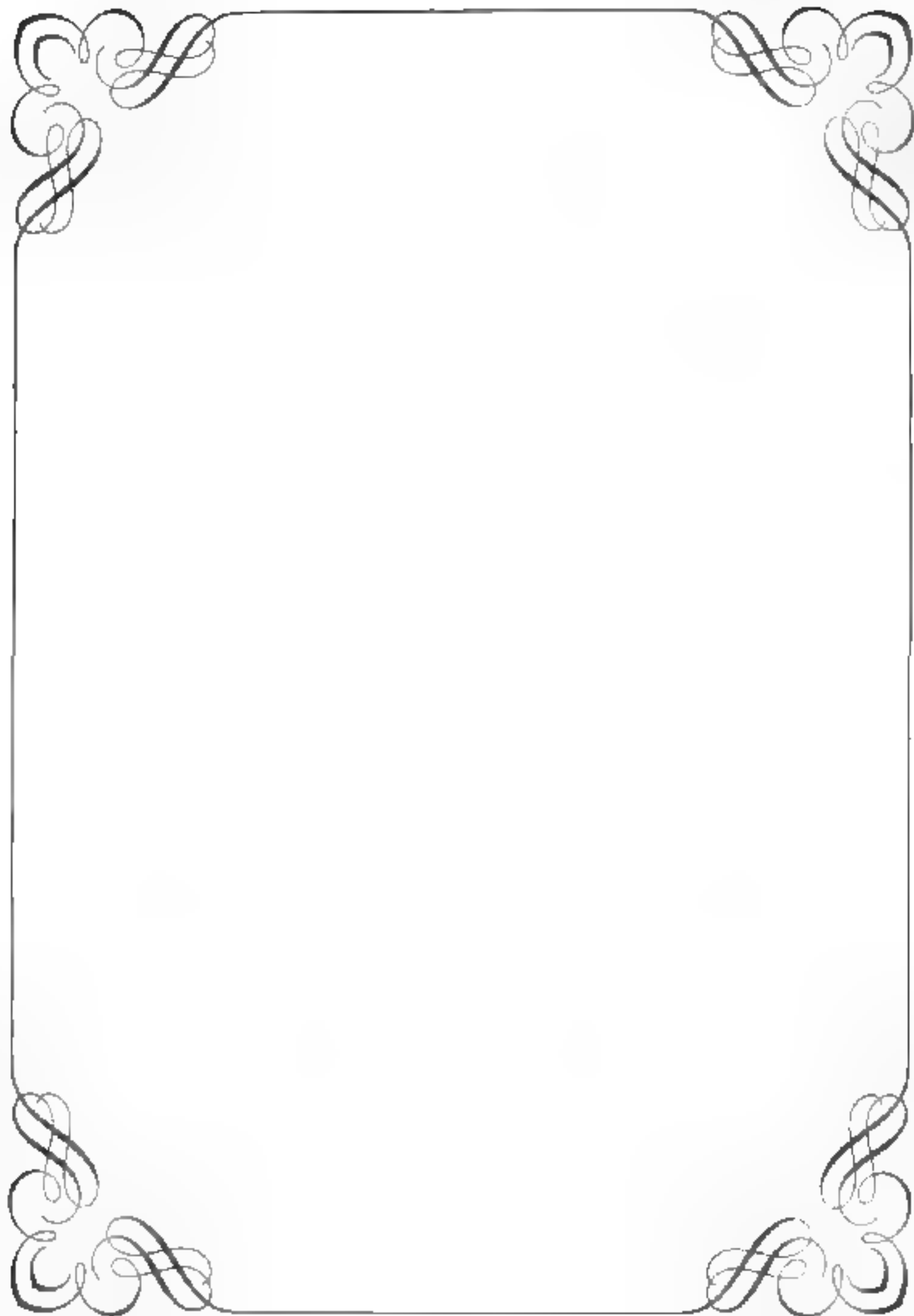
الْأَسْرَارُ وَالرُّمُوزُ

أسرار إثبات الذات ورُموزُ نَفْسِ الذاتِ

أسرار خودي ورُموزُ بخودي

نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ شِعْرًا

الدكتور عبد الوهاب عزام



يُعتبر هذا الديوان من باكورة دواوين محمد إقبال ، فيه القصائد حول الفلسفة الإسلامية . في زمان الحرب العالمية الأولى كان إقبال ينظر إلى الجيش التركي نظرة الأمل إلا أنه حين أخذ الإنجليز يعملون على الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر من الترك تحطمت آماله ، وحينئذ ظهرت في أفكاره ثورة عارمة تعارض أشد المعارضة فكرة الاعتماد على أهل الغرب ، والثوق بهم ، فبدأ يعمل على بناء فلسفة حديثة تؤدي إلى التوفيق في الحياة على أساس تربية الجيل الجديد ، وتقوية الذات . ولم ير محمد إقبال أية فائدة للترك من مساعدة قوة الحكومة الألمانية ، فبنى نظريته إلى التصوف ، ليس على أساس روح الضعف والسلبية ، وهو ما انتشر في العهد الصفوي ، بل دعا إلى القوة ، والاعتماد على النفس^(١) ولم يقنط محمد إقبال بل كرّس حياته للعمل على الوصول إلى حيث يمكن السبب في حدوث أخطائنا السابقة ، وقد وجد أن مردّ هذا إلى الآراء الإغريقية التي تغلغلت في عالم الفكر والثقافة بين المسلمين ، وأضحت سبب كل ما عقب ذلك من انحرافه . وقد كان من نتيجة تأثير الإغريق على الإسلام أن تحوّل هذا الدين من الإيجابية الدافقة إلى عقيدة مستسلمة تأملية ، الأمر الذي أدّى بدوره إلى حالة من التشاؤم والقدرية ، وقد ندّد بأفلاطون ، وشنّ حملة على الصوفية التي عدّها مسؤولة عن فكرة « وحدة الوجود » ، وقد أدّى البحث بإقبال إلى نظريته عن « خودي » أي « الذات » وهو يبدؤها بالأبيات التالية التي اقتبسها من مولانا جلال الدين الرّومي^(٢) : « رأيتُ البارحة شيخاً يدور حول المدينة ، وقد حمل مشعلًا ، كأنه يبحث عن شيء ، قلت له : يا سيدي ! تبحث

(١) « إقبال إيرانيون كي نظر مين » لسر عبد القادر ص (١٨١) .

(٢) من محاضرة الأستاذ سجاد حيدر سفير باكستان في مصر ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٦٧ مأخوذ عن « إقبال وديوان أرمغان حجاز » للأستاذ سير عبد الحميد إبراهيم .

عن ماذا ؟ قال : قد مللت معايشة السباع والدواب ، وضقت بها ذرعاً ، وخرجتُ أبحث عن إنسانٍ في هذا العالم ، لقد ضاق صدري من هؤلاء الكسالى والأقزام الذين أجدهم حولي ، فخرجتُ أبحث عن عملاقٍ من الرجال ، وبطلٍ من الأبطال ، يملأ عيني برجولته وشخصيته ، ويرؤح نفسي ، قلتُ له : لقد غرتك نفسك يا هذا ! فخرجت تقتنص العنقاء ، بالله ! لا تتعب نفسك ، وارجع أدراجك ، فقد أجهدت نفسي ، وأنفيت ركابي ، ونقبت في البلاد ، فلم أر لهذا الكائن عيناً ولا أثراً ، قال الشيخ : إليك عني ، أيها الرجل ! فأحبُّ شيء إلى نفسي ، أعزُّه وجوداً ، وأبعده منالاً^(١) . وقد ركَّز محمد إقبال كلامه في هذا الديوان على الذات التي يتركز فيها كلُّ النشاط ، وكلُّ الحركة ، والتي هي لبُّ الشخصية ؛ أي « قلب » الذات .

أراد محمد إقبال باصطلاح « خودي » رموز الذات ، ووجود الفرد ، ليشير إلى المركز المدرك والنشيط للوعي والحياة ، وهو الذي في نظره يؤلف الوجود الأساسي لذات الإنسان بصورة جازمة . وبالأحرى يرفض الأثرة ، ويوجب على المرء أن يرتقي إلى الدرجات العليا ، والكمال .

يعتقد محمد إقبال بأن أخلاق الفرد والأمة تحدّد الإجابة عن السؤال : ما هي طبيعة الذات ؟ وهذا التأكيد مطلوبٌ إلى ما يوازن بين الفكر الشرقي والروحانيّة ، ويؤكد التقاء وجهات النظر التي ترتقي بها الكينونة الذاتيّة فوق جميع المستويات الخادعة والواهمة .

يعتبر محمد إقبال أنّ الاستسلام للجبرية هو الذي سبب انحطاط المسلمين ، على الرغم من قيمهم الدّينية والرفيعة ، وأمجادهم السياسية خلال القرون المنصرمة .

(١) « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن الندوي ص ٨٥-٨٦ .

يشتمل هذا الديوان أولاً على المقدمة المنظومة ، يبين فيها محمد إقبال مذهبه الجديد ، يقول في مطلعها :

قطع الصبح على الليل السفر فهمي دمي على خد الزهر
غسل الدمع بسات الترجس وصحا العشب بمسرى نفسي
جرّب الفارس قولي موقداً مصرعاً ألقى وسيفاً حمداً
ويشير إلى أن الرومي هو الذي أيقظه ، ودعاه إلى أن يسلك سبيله :

صير الرومي طيني جوهرًا من غباري شاد كوناً آخرًا

فصول الديوان :

١ - أصل نظام العالم من الذاتية واستمرار أعيان الوجود متوقف على استحكام الذاتية .

٢ - حياة الذاتية بتخليق المقاصد وتوليدها .

٣ - تستحكم الذاتية بالمحبة والعشق .

٤ - ضعف الذاتية بالسؤال .

٥ - إذا استحكمت الذاتية بالمحبة والعشق سخرت قوى العالم الظاهرة والباطنة .

٦ - حكاية في معنى أن مسألة نفس الذاتية من مخترعات الأقوام المغلوبة ؛ لتضعف أخلاق الأمم الغالبة عن طريق خفية .

- ٧ - في معنى أن أفلاطون اليوناني - الذي أثر كثيراً في أفكار الأمم الإسلامية وآدابها - ذهب مذهب الغنم ، والاحتراز من خيالاته واجب .
- ٨ - حقيقة إصلاح الشعر والآداب الإسلامية .
- ٩ - تربية الذات لها ثلاث مراحل :
- المرحلة الأولى : الطاعة .
- الثانية : ضبط النفس .
- الثالثة : النيابة الإلهية .
- وفي هذا الفصل يقصُّ قصصاً حقيقية ، أو خيالية لتصوير مذهب .
- ١٠ - في بيان أن مقصد حياة المسلم إعلاء كلمة الله ، وأنَّ الجهاد إن كان الباعث عليه « جوع الأرض » فهو حرام في شريعة الإسلام .
- ١١ - نصيحة ميرنجاة النقشبندي المسمى الأدب الصحرأوي التي كتبها لمسلمي الهند .
- ١٢ - الوقت سيف .
- ١٣ - دعاء « ويختم به المنظومة »^(١) .
- نشر هذا الديوان سنة ١٩١٥م ، فثار الناس لها بين راضي وساخط ومستحسن ومستنكر ، بل بين مصفّق وطرباً يثني معجباً ، وصائح يتعجب ويستنكر .
- نقله إلى العربية شعراً الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام . وهاهو الآن بين أيديكم مع مقدمة الشاعر القيمة التي كتبها لهذا الديوان .



(١) إقبال . . للدكتور عبد الوهاب عزام ص ١٠٣ .

خلاصة المقدمة التي كتبها

محمد إقبال لهذا الديوان (أسرار خودي)

ما هذا الشيء الذي نسميه (أنا) أو (خودي) أو (مين)^(١) الذي يبدو في أعماله ويخفى في حقيقته ، والذي يخلق كل المشاهدات ، ولكن لطافته لا تحتمل المشاهدة ؟ أهو حقيقة دائمة ، أم أن الحياة تجلّت في هذا الخيال الخادع ، وهذا الكذب النافع ، تجلياً عرضياً لتحقيق مقاصدها العملية الراهنة ؟ إن سيرة الأفراد والجماعات موقوفة على جواب هذا السؤال . ولكن جواب هذا السؤال لا يتوقف على المقدرة الفكرية في الأحاد والجماعات ، كما يتوقف على طباعها وفطرتها . فأمم الشرق المتفلسفة أميل إلى أن تعتبر (أنا) في الإنسان من خداع الخيال . وهي تعدّ الخلاص من هذا الغلّ نجاةً ، وميل أهل الغرب إلى العمل ، ساقهم إلى ما يلائم طباعهم في هذا البحث . ويمضي إقبال في مقدمته قائلاً :

اختلفت في عقول الهنادك وقلوبهم ، النظريات والعمليات اختلاطاً عجيباً . ودقّ حكماؤهم في حقيقة العمل ، وانتهوا إلى هذه النتيجة : إن حياة (أنا) المسلسلة ، وهي أصل المصائب والآلام ، تنشأ من العمل ، وإن حالة النفس الإنسانية نتيجة محتومة لأعمالها .

وكانت رسالة الإسلام في غربي آسيا دعوة إلى العمل بليغة ، فالإسلام يرى أن (أنا) مخلوق ينال الخلوة بالعمل ، ولكن تشابهاً عجيباً في تاريخ الفكر الهندي والإسلامي يظهر في بحث هذه المسألة . فالفكر التي فسر بها شنكر

(١) مين بالأردية معناها : أنا .

أجاريه ، كتاب الجيتا (كيتا) هي الفكرة التي فسر بها القرآن محيي الدين بن عربي الأندلسي . وكان له أثرٌ بليغٌ في عقول المسلمين وقلوبهم . جعل ابن عربي بعلمه ومكانته مسألة وحدة الوجود عنصراً في الفكر الإسلامي . واقتفى أثره أوجد الدين الكرمانلي ، وفخر الدين العراقي ، حتى اصطبغ بهذه الصبغة كل شعراء العجم في القرن السادس الهجري .

خاطبَ فلاسفةُ الهند العقل في إثبات وحدة الوجود . وخاطب شعراء إيران القلب ، فكانوا أشدَّ خطراً وأكثر تأثيراً ، حتى أشاعوا بدقائقهم الشعرية هذه المسألة بين العامة ، فسلموا الأمة الإسلامية الرغبة في العمل .

وتمتاز أمة الغرب بين أمة العالم بميلها إلى العمل ، فأراؤهم خير دليل لأمة المشرق إلى فهم أسرار الحياة .

وبدأت الفلسفة الجديدة في الغرب من وحدة الوجود التي دعا إليها الفيلسوف الهولندي الإسرائيلي^(١) ولكن مسحة العمل غلبت على طبائع الغرب . فلم يلبث طويلاً طلسم وحدة الوجود التي أثبتت بأدلة رياضية . سبق الألمان إلى إثبات حقيقة (أنا) الإنسانية المستقلة ، ثم تحرر من هذا الطلسم الخيالي فلاسفة الغرب على مر الزمان ، ولا سيما فلاسفة الإنكليز .

ويختتم إقبال بقوله :

هذه خلاصة تاريخ المسألة التي هي موضوع هذه المنظومة . وقد اجتهدت أن أحرر هذه المسألة الدقيقة من تعقيد الأدلة الفلسفية ، وألوانها بألوان الخيال ؛ ليتيسر إدراك حقيقتها .

ولم أقصد بهذه الدعاية إلى تفسير هذه المنظومة . ولكن أردت أن أدل على الطريق من لم يُسلم من قبل بدقائق هذه المسألة العسيرة .

(١) يعني : اسپنوزا .

ولا ينبغي هنا أن أتناول هذه المنظومة من حيث الشعر ، وإنما خيال الشعر فيها وسيلة إلى توجيه الناس إلى هذه الحقيقة :

إنَّ لذة الحياة مرتبطة باستقلال (أنا) وبإثباتها ، وإحكامها ، وتوسيعها . وهذه الدققة تمهد إلى فهم حقيقة « الحياة بعد الموت » .

وينبغي أن يعلم القراء أنَّ لفظ « خودي » لا يستعمل في هذه المنظومة بمعنى الأثرة ، كما تستعمل في اللغة الأردية غالباً ، إنما معناها الإحساس بالنفس ، أو تعيين الذات .

وهي بهذا المعنى في كلمة « بيخودي » كذلك .

خلاصة مقال الشاعر إلى الأستاذ نكلسون

مذهب الأستاذ بريدلي أنَّ كلَّ مركزٍ للشعور محدودٌ ، أي : كلُّ ذاتٍ مفردةٌ خداعٌ نظريٌّ باطل . وأنا أقول ، على خلاف هذا : إنَّ مركز الشعور المحدود الذي لا يُدرك (الذات) هو حقيقة الكائنات . فالذات حقٌّ لا باطل .

الحياة كلها فردية ، وليس للحياة الكلية وجود خارجي . وحيثما تجلَّت الحياة تجلَّت في شخصٍ ، أو فردٍ ، أو شيء . والخالقُ كذلك فردٌ ؛ ولكنه أوحداً لا مثل له .

وظاهرٌ أنَّ هذا التصوُّر للكائنات يخالف كلَّ المخالفة ما ذهب إليه شراح فلسفة هيكل من محدثي الإنكليز ، ويخالف أصحاب وحدة الوجود الذين يرون أن مقصد حياة الإنسان ، أن يُفنى نفسه في الحياة المطلقة أو (أنا) المطلق ، كما تفنى القطرة في البحر .

أرى أنَّ هدف الإنسان الدِّيني والأخلاقي إثباتُ ذاته لا نفيها ، وعلى قدر تحقيق انفرادِهِ أو وحدته يقرب من هذا الهدف .

قال الرسول ﷺ : « تخلقوا بأخلاق الله » فكلُّما شابه الإنسان هذه الذات الوحيدة كان هو كذلك فرداً بغير مثيل .

وتنقص فرديته على قدر بعده من الخالق ، والإنسانُ الكامل هو الأقرب إلى الله ، ولكن ليس القصد من هذا القرب ، أن يُفني وجوده في وجود الله . كما تقول فلسفة الإشراق ، بل هو « على عكس هذا ، يُمثل الخالق في نفسه .

الحياة رقيٌّ مستمر ، تسخر كلَّ الصُّعاب التي تعترض طريقها ، وحقيقتها أن تخلق دائماً مطالبَ ومُثلاً جديدةً ، وقد خلقت من أجل اتساعها وترقيتها آلات كالحواس الخمس ، والقوة المدركة ؛ لتقهر بها العقبات والمشقات .

وأشدُّ العقبات في سبيل الحياة المادَّة أو الطبيعة ، ولكنَّ المادة ليست شراً كما يقول حكماء الإشراق ، بل هي تُعينُ الذات على الرقي ، فإنَّ قُوَى الذات الخفية تتجلى في مصادمة هذه العقبات .

وإذا قهرت الذات كلَّ الصعاب التي في طريقها بلغت منزلة الاختيار . الذاتُ نفسها فيها اختيار وجبر ، ولكنها إذا قاربت الذات المطلقة نالت الحرية الكاملة . والحياةُ جهادٌ لتحصيل الاختيار . ومقصودُ الذات أن تبلغ الاختيار بجهادها .

دوام الذات أو الشخصية :

مركز حياة الإنسان ذات (خودي) أو شخص ، أعني : أنَّ الحياة حينما تتجلى في الإنسان تسمَّى ذاتاً .

وشخصية الإنسان من الوجهة النفسانية حالٌ من التوتر ، ودوام الشخصية موقوفٌ على هذه الحال . فإن زالت هذه الحال عقبته حالٌ من الاسترخاء مضرَّةٌ بالذات . فإن يكن في حالة التوتر هذه كمال الإنسان فأول فرضي عليه أن يعمل لدوام هذه الحال ، والحيولة دون حال الاسترخاء .

وكلُّ ما يُمكننا من إدامة حال التوتر يُمكننا من الخلود .

وهذا التصور للشخصية يقوم معياراً لقيَم الأشياء أعني : أنَّ في ذاتنا معيار الحسن والقبح . وبهذه تُحلُّ مسألة الخير والشر ، فما يقوِّي الذات خير وما يُضعفها شر . ويجب أن يقوم الدين والأخلاق والفنون بهذا المعيار أيضاً .

واعتراضي على أفلاطون ، هو في أصله اعتراضٌ على كل النظم الفلسفية التي تقصد إلى الفناء ، لا البقاء ، والتي تُغفل المادة ، وهي أكبر العقبات في سبيل الحياة ، وتدعو إلى الفرار منها ، لا إلى تسخيرها ، والتسلط عليها .

وكما تعرض مسألة المادة في مبحث حرية الذات ، تعرض مسألة الزمان في مبحث خلودها .

يقول برجسون : إنَّ الزمان ليس خطأً ممتداً إلى غير نهاية يتحتم علينا المرور به . هذا التصوُّر للزَّمان غيرُ صحيح ، فالزمان الخالص لا يدخل فيه تصوُّر الطول ؛ أي : لا نستطيع قياسه بمقياس الليل والنهار .

إنَّ خلود الذات أملٌ ، من أراد أن يظفر به فليجدْ ، ويدأب لبلوغه ، والظفرُ به موقفٌ على أن نسلِك طريقاً للفكر والعمل في هذه الحياة يعيننا على حفظ حالة التوتر ، ولا يستطيع إبلاغنا هذا الأمل دين بوذا ، والتصوُّف العجمي ، وما إلى هذين من نظم الأخلاق الأخرى . لقد أضرت بنا هذه الطرق ، فأضرعتنا . أنامتنا . إنَّ هذه المذاهب هي الليالي في أيام حياتنا .

تربية الذات :

لا ريب أنَّ الذات تستحكم بالعشق . ومفهوم العشق هنا واسع جداً . ومعناه إرادة الجذب والتَّسخير . وأعلى أشكاله أن يخلُق مقاصده ويجدُّ في نيلها . وخاصةً العشق أفراد العاشق والمعشوق ، أعني : إظهار الانفراد والاستقلال فيهما . وإذا جدَّ الطالب في طلب الأوحِد الأسْمَى ظهر فيه التوَحُّد ، ويتحقَّق ضمناً توَحُّد المطلوب ؛ لأنه إن لم يكن واحداً مستقلاً بنفسه لم يسكُن الطالب إليه . إنما يمكن عشق شخصي ، أو وجود معين . ولا

يمكن لشخص عشق كائن غير شخص .

وكما تستحكم الذات بالعشق تضعف بالسؤال . وكل ما ينال بغير جهد يعدّ سؤالاً ، فالذي يرث مال غيره سائل ، والذي يتبع أفكار غيره ، أو يدّعيها لنفسه سائل .

والخلاصة : أنه ينبغي لأجل إحكام الذات أن نخلق في أنفسنا العشق ، ونتجنب كلّ ضروب الاستجداء (أي البطالة) .

إنّ في حياة الرسول ﷺ أسوةً حسنةً للمسلم ، فقد كانت حياته خيرَ مثلٍ للسعي الدائم . لقد كانت حياته كلّها صورةً للعمل .

أشرتُ في فصول من هذا المثنوي إلى أصول فلسفة الأخلاق الإسلامية ، وبيّنت أنّ لكمال الذات ثلاث مراحل :

١ - إطاعة القانون الإلهي .

٢ - وضبط النفس .

٣ - والنيابة الإلهية .

والنيابة الإلهية في هذا الدنيا هي أعلى درجات الرقيّ الإنسانيّ . ونائب الحق (الله) خليفة الله في الأرض ، وهو أكمل ذات تطمح إليها الإنسانية ، وهو معراج الحياة الروحي .

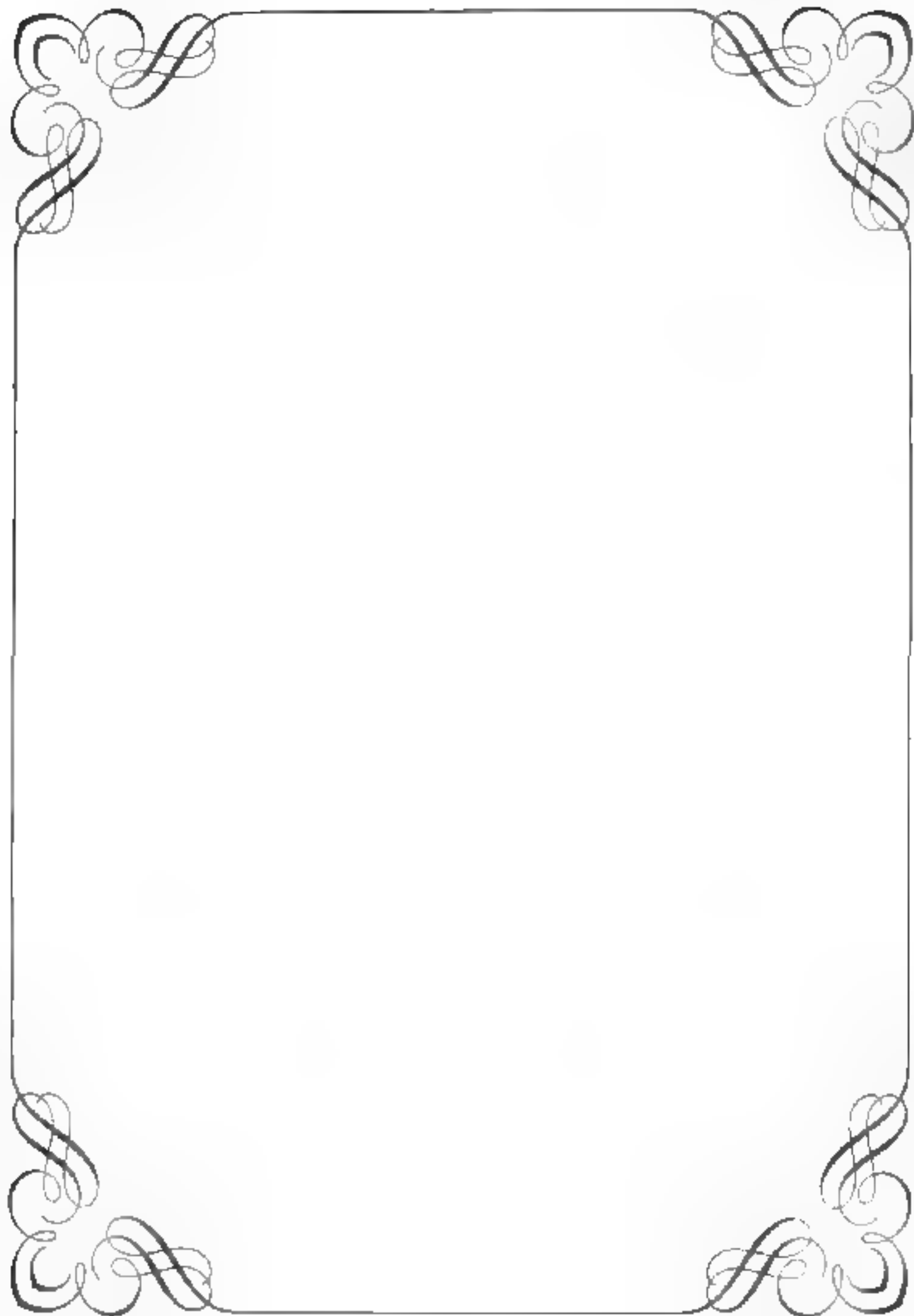
وأول شرطٍ لظهور نائب الحق أن ترقى الإنسانية في جانبيها الروحيّ والجسميّ ، فإن ارتقاء الإنسانية يقتضي ظهور أمةٍ مثاليةٍ يتجلّى في أفرادها في الجملة هذا التوحد الدّاتي ، وتصلح لأن يظهر فيها نائب الحق .

فمعنى سلطان الله في الأرض : أن تقوم فيها جماعةٌ شوريّةٌ يتوحد أفرادها ، ويقوم على هذه الجماعة واحدٌ يمكن أن يسمى نائب الحق ، أو الإنسان الكامل ، وهذا الإنسان الكامل يبلغ ذروة الكمال ؛ التي لا تتصوّر فوقها ذروة .

وقد رأى ننشة (الفيلسوف الألماني المعروف) ضرورة ظهور هذه الأمة

المثالية ، ولكن دهرية ، وإعجابه بالسلطان مسخا فلسفته كلها * إهد .
هذه خلاصة رسالة إقبال إلى الأستاذ نكلسون . وحسبنا في إيضاح مذهبه
ما قدّمنا من تلخيص رسائله ، ومقدمته لأسرار الذات ، ورسالته إلى نكلسون .





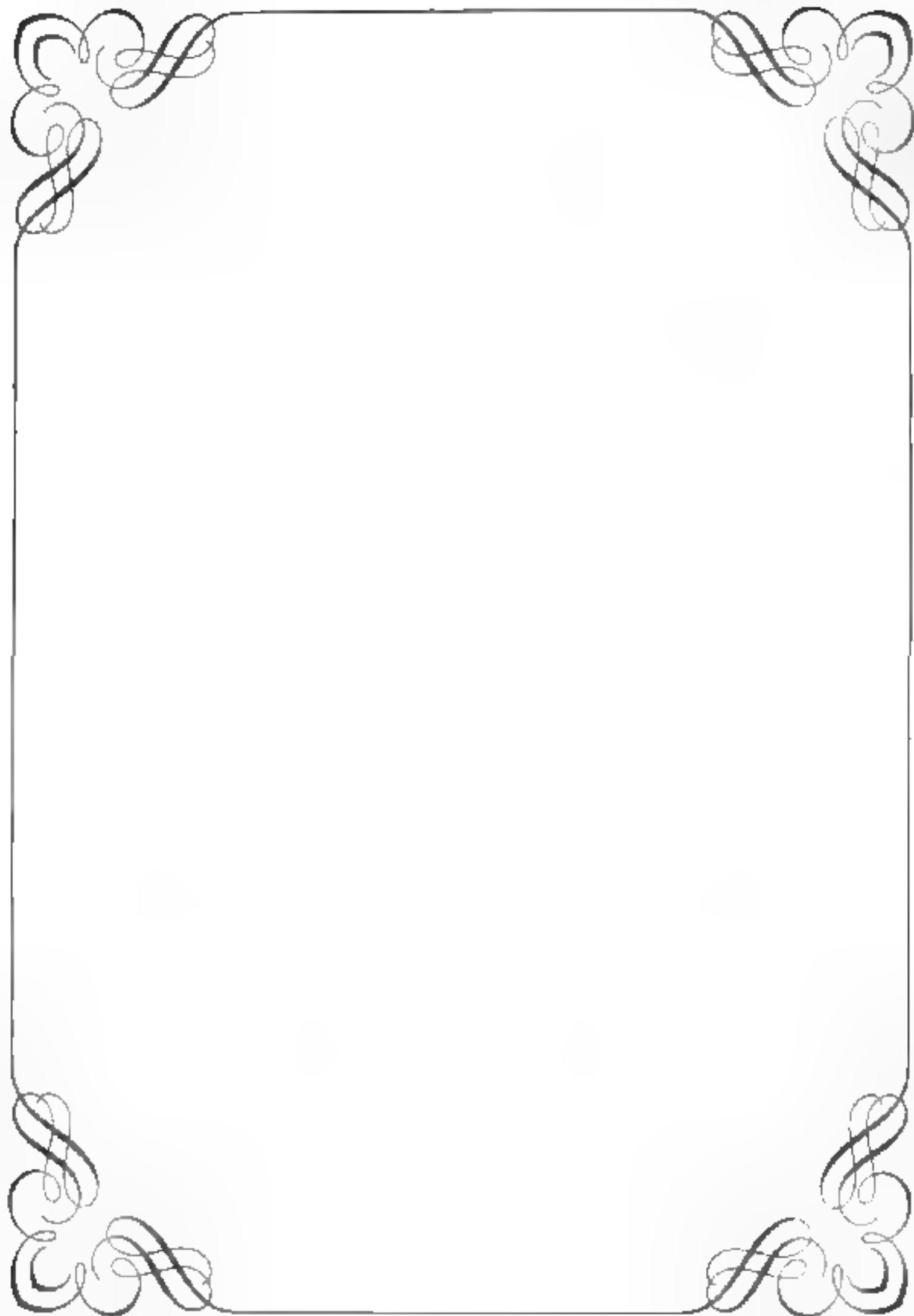
القسم الأول

أسرار إثبات الذات

(أسرار خودي)

رأيتُ الشيخ بالمصباح يسمي	له في كل ناحية مجال
يقول : ملئتُ أنعاماً وبهائمًا	وإنساناً أريد ، فهل يُنال ؟
برمتُ برقة خارت قواها	برمتُم أو بحيدر اندمال ^(١)
فقلنا : ذا مُحال . قد بحثنا	فقال : ومُنيتي هذا المحال
	(مولانا جلال الدين الرومي)

(١) حيدر : علي بن أبي طالب ، ورستم : من أبطال الفرس .



تمهيد

« ليس في أعواد غابي سَقَطٌ هي للمنبر أو أعواد صَلْبٌ »^(١)

نظيري النيسابوري

قطع الصبح على الليل الفَر
غسل الدمعُ سُباتَ التُّرجسِ
جَرَّبَ الرَّارِغُ قولي مُحَصِّدا
إنَّه حَبٌّ دموعي زُرعا
ذُرَّةٌ قد نالت الشمسَ أنا
طيتني من جَامِ جَمٍّ أنورُ
صَيِّدُ أفكاري ظبَاءٌ لم تُرْمِ
زَانَ بُشْتَانِي عشبٌ ما ظَهَرَ
محفلُ الشادين مني يَرْجُفُ
صَامِتٌ في رِيبِ القَطرةِ
إنني شمنٌ قريبٌ مولدي

فَهَمَى دمعِي على خَدِّ الزَهَرِ
وصحَا العُشْبُ بِمَسَرَى نَفْسِي
مِصرَعاً أَلْقَى ، وسيفاً حَصدا
نَسَجَ الروضَ وأثَاتِي معا
كم صباحٍ في فؤادي كَمْنَا
منْ غيوبِ الكونِ عِنْدِي عِبْرُ^(٢)
لم تُسَيِّبْ بَعْدُ منْ قِيدِ القَدَمِ
وجنيتُ الوردَ في جوفِ الشَّجَرِ^(٣)
في وَتَارِ الكونِ كَفِّي تعزِفِ
ما وَعَى عَنِّي جليسي نغمَتي
حُبُّكَأ في قَلْبِكَ لم أَغْهَدِ

- (١) نيت درخشك و تریشه من کوتاهی جوب هرتخل که منبر شوه دارکم
(٢) حمام جم أي : كأس جمشید . وفي أساطیر الفرس أنَّ الملك جمشید کان عنده كأس
یرى فيها الأقالیم السبعة . وفي هذا البيت وما بعده يقول الشاعر : إنه یرى الغائب ،
ویدرک ما لم یخلق .

- (٣) جنى الورد الذي لم يظهر من شجره : علم أنه س يظهر دون ريب ، وأنه سيجنيه ، فكانه
قد جناه .

لَمْ يَرُغْ ضَوْئِي سِرْبَ الرَّهْرِ
مَا رَأَتْ رَقَصَ ضِيَائِي الْأَبْحُرُ
عَيْنُ هَذَا الْكَوْنِ لِي لَا تَعْهَدَ
مَرَّقَ الظُّلْمَةِ فَجَرِي فَسْفَرُ
إِنْسِي أَرْقُبُ صَبْحاً مُعْلِماً
أَوْ يُرْجَرْجُ زَيْتَنِي فِي الْبَصْرِ^(١)
أَوْ كَسَا الْأَطْوَادَ ثَوْبِي الْأَحْمَرُ
أَنَا مِنْ خَوْفِ طُلُوعِ أَرْعَدُ
وَبَدَا طَلُّ جَدِيدٍ فِي الرَّهْرِ
حَبْذاً مِنْ حَوْلِ نَارِي زَمْزَمًا^(٢)

أَنَا لَحْنٌ دُونَ ضَرْبٍ صَعْدَا
دُونَ عَصْرِي كُلِّ سَرٍّ قَدْ خَفِي
أَنَا فِي يَأْسٍ مِنَ الصَّخْبِ الْقَدِيمِ
بَحْرُ صَحْبِي قَطْرَةٌ لَا تَسْزَخَرُ
مِنْ وَجُودٍ غَيْرِ هَذَا لِي غَنَاءُ
كَمْ تَجَلَّى شَاعِرٌ بَعْدَ الْجَمَامِ
وَجْهَهُ مِنْ ظُلْمَةِ الْمَوْتِ سَفَرُ
أَنَا صَوْتُ شَاعِرِي يَأْتِي غَدًا^(٣)
مَا بِهِذِي السُّوقُ يُشْرِى يَوْمُنِي^(٤)
مُشْعَلُ طُورِي لِيَفْشَاهُ كَلِيمٌ^(٥)
قَطَرَتِي كَالِيمٌ فِيهِ صَرْصَرُ
وَلِرَكْبٍ غَيْرِ هَذَا لِي حُذَاءُ
يُوقِظُ الْأَعْيُنَ حِيناً وَيَنَامُ
وَنَمَا مِنْ قَبْرِهِ مِثْلَ الرَّهْرِ^(٦)

كَمْ بِهَذَا السَّهْبِ مَرَّتْ قَافِلَةٌ
مِثْلَ سَيْرِ الثُّوْقِ رَهْواً سَابِلَةٌ

- (١) لم يَفْشِ ضَوْئِي النُّجُومَ ، وَلَمْ يَضْطَرْبِ شِعَاعِي فِي الْأَعْيُنِ اضْطِرَابَ الزَّيْتَنِ .
- (٢) حَبْذاً مِنْ صَلِيِّ بِنَارِي وَزَمْزَمَ حَوْلَهُمَا كَالْمَجْجُوسِ .
- (٣) هُوَ صَوْتُ شَاعِرِ الْغَدِ ، لَيْسَ صَوْتاً لِلزَّمَنِ الْحَاضِرِ .
- (٤) أَفْكَارِي لَا يَفْهَمُهَا هَذَا الْعَصْرُ ، إِنَّهَا جَمِيلَةٌ جَمَالُ يَوْسُفَ ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي هَذِهِ السُّوقِ مِنْ يَشْتَرِيهَا .
- (٥) يَأْتِي مَعْنَى عَرَفَ مِنَ النَّاسِ ، وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ كَلِيمٌ يَفْقَهُ عَنْهُ ، كَمَا ذَهَبَ مُوسَى الْكَلِيمُ إِلَى الطُّورِ .
- (٦) قَالَ : إِنَّهُ شَاعِرُ الْمُسْتَقْبَلِ لَا الْحَاضِرِ فَقَالَ : كَثِيرٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ لَمْ يُعْرِفْ قَدْرَهُمْ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ .

غَيْرَ أَنِّي عَاشِقٌ ، دِينِي النُّوَاحُ
 أَنَا لِحْنٌ كُلُّ عَنْهُ الْوَتَرُ
 أَبْعِدِ الْقَطْرَةَ عَنْ سَيْلِ طَمَا
 لَا تَعْيِي مَوْجِي هَذَا الْأَنْهَرُ
 لَيْسَ أَهْلًا لِسَحَابِي زَهْرَةٌ
 كَمْ بُرُوقٍ نَائِمَاتٍ فِي الْجَنَانِ
 إِنْ تَكُنْ صَحْرَاءَ فَاطْلُبْ لُجَّتِي
 قَدْ حُيِّتُ الْوَرْدَ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاةِ
 أَشْعَلُ الذَّرَّةَ لِحْنِي الثَّائِرُ
 مَائِثًا ذَا السَّرِّ غَيْرِي فِي الْبَشَرِ
 أَقْبَلُنْ إِنْ تَبِغْ عَيْشَ الْخَالِدِينَ
 أَفْشَيْتِ الْأَفْلَاكَ لِي السَّرَّ الْقَدِيمُ
 أَيُّهَا السَّاقِي ! مِنْ الرَّاحِ اسْقِنِي
 شَعْلَةَ الْمَاءِ الَّتِي مِنْ زَمْزَمِ
 مُقْلَةَ الْمُبْصِرِ مِنْهَا أَبْصُرُ
 تَجْعَلُ الرِّيشَةَ طُودًا قَاهِرًا
 هِيَ تَسْمُو لِلثَّرِيَّا بِالْثَّرِي
 تَجْعَلُ الصَّمْتَ ضَجِيجَ الْمَحْشَرِ
 امْسَلَا الْكَأْسَ بِصَفْوِ ثَوْبِ

ثَوْرَةُ الْمَحْشَرِ فِي هَذَا الصِّيَاخِ
 لَا أَبْسَالِي أَنَّ عُودِي يُكْسَرُ^(١)
 وَانْظُرْنَ الْيَمَّ مِنْهُ التَّطْمَا
 لَا تَعْيِي لُجَّتِي إِلَّا أَبْحَرُ
 لَيْسَ فِيهَا لِنَمُو رَوْضَةٌ^(٢)
 ضَاكَّتِ الْيَدُ لَدَيْهَا وَالْقِنَانُ^(٣)
 أَوْ تَكُنْ سَيْنَاءَ فَاقْبِرْ شُعْلَتِي
 وَوَهَبْتُ السَّرَّ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاةِ^(٤)
 رَفْرَفْتُ فَهِيَ يَرَاغُ طَائِرُ
 لَمْ يُثَقِّبْ نَاطِلٌ مِثْلِي الذَّرُّ
 أَقْبَلُنْ إِنْ تَبِغْ مُلْكَ الْعَالَمِينَ
 كَيْفَ يُخْفَى السَّرُّ مِنْ دُونِ النَّدِيمِ ؟
 وَآسٍ فِي قَلْبِي جِرَاحُ الزَّمَنِ
 قَبِصَرُ يَعْنُو لَهَا كَالْخَدَمِ
 وَشِعَابُ الْفِكْرِ مِنْهَا أَنْوَرُ
 وَتُرِي الثَّعْلِبَ لَيْثًا زَائِرًا
 وَتَعْيِي الْقَطْرَةَ مِنْهَا أَبْحَرًا
 تَجْعَلُ الذَّرَّاجَ حَتَفَ الْأَصْقَرِ
 نَوْرُ الْفِكْرِ بِنُورِ الْقَمَرِ

- (١) هُوَ لِحْنٌ لَا يَطِيقُهُ وَتَرٌ . وَهُوَ لَا يَبَالِي أَنْ يَقْطَعَ أَوْتَارَهُ فِي إِظْهَارِ هَذَا اللَّحْنِ . لَا يَبَالِي أَنْ يَمُوتَ فِي الْإِعْرَابِ عَنْ هَذَا الْوَجْدِ .
 (٢) الزَّهْرَةُ الَّتِي لَا تَنْمُو حَتَّى تُصِيرَ رَوْضَةً لَيْسَتْ أَهْلًا لِمَطَرِهِ .
 (٣) جَمْعُ قَتَّةٍ ، وَهِيَ قِمَّةُ الْجَبَلِ .
 (٤) الْعَيْنُ الْأُولَى عَيْنُ الْمَاءِ ، وَالثَّانِيَةُ عَيْنُ الشَّيْءِ أَيْ نَفْسِهِ ، وَكَلِمَةُ الْحَيَاةِ رَدِيفٌ .

لأَقْدُودِ الرُّكْبِ شَطْرَ الْمَنْزِلِ
رَائِيًا وَجْهَ جَدِيدِ الْأَمَلِ
فَأَرَى إِنْسَانَ عَيْنِ الْعَارِفِينَ
مُعْلِيًا قَدَرَ الْكَلَامِ الْعُبْدَعِ
قَارِئًا مِنْ فَيْضِ ذَا الشَّيْخِ الْعَظِيمِ
قَلْبُهُ مِنْ شَعْلَةِ الْوَجْدِ اسْتَعَزَّ
قَدْ رَمَى الشَّمْعُ فَرَاشِي بِاللَّهَبِ
صَيَّرَ الرُّومِيَّ طِينِي جَوْهَرًا
ذَرَّةً تَصْعَدُ مِنْ صَحْرَائِهَا
إِنِّي فِي لُجَّةِ مَوْجٍ جَرَى
قَدْ عَرِثَنِي نَشْوَةٌ مِنْ كَأْسِهِ



ليلة رانث على قلبي الشُّجون وسرت " يا رب " في الليل الشُّكون^(٣)

(١) الشيخ العظيم : هو جلال الدين الرومي أكبر وأشهر شعراء التصوف عند الفرس . ولد بمدينة بلخ عام ٦٠٤ هـ لأبٍ من العلماء والفضلاء ، رحل به وهو صبي إلى بلاد الأناضول التي كانت تابعة من قبل للروم ، واستقر في مدينة قونية . ولذلك عرف جلال الدين بالرومي ، كما عرفت بلاد الترك ببلاد الروم لعين السبب . ولقد تلقى العلم أول ما تلقى على أبيه ، ثم عقّد الأسباب بينه وبين العلماء والمتصوفة ، وتصدّر للوعظ والإرشاد ، ثم مال إلى التصوف ، وأصبح من شيوخه وأتباعه من المريدين خلق كثير . وله كتاب منظوم يسمى المثنوي يتضمن حكايات لها مغزى صوفي ، وآيات قرآنية ، وأحاديث نبوية يفسرها ، ويؤولها ، ولكن لا على ظاهرها . ولا يداني المثنوي كتاب آخر في شهرته ، ونفاسته عند الصوفية . وكانت وفاة جلال الدين الرومي عام ٦٧٢ هـ .

(٢) الفراش والشمع مثل للمحب والحبيب . فالفراش يقدم على النار ، فيحرق نفسه غير مبالٍ ، ولكن الشمع هو الذي غزا فراشه .

(٣) سرت مني دعوة يا رب في الليل .

مَنْ فَرَاغَ الْكَأْسِ قَلْبِي نَائِجٌ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ شَاكٍ صَائِجٌ
أَرَهَقَ التَّسْيَارُ فِكْرِي فَشَوَى هِضَ بَسْطَاءَ وَلَلَّثُومَ هَوَى^(١)



لَاخَ شَيْخِ الْحَقِّ ذَاكَ الْأَلْمَعِي مِنْ حَكِي قَرَأْنَا بِالْفَهْلَوِي^(٢)
قَالَ : يَا وَلَهَانَ بَيْنَ الْعَاشِقِينَ ! مِنْ شَرَابِ الْعِشْقِ فَاجِرِعْ كُلَّ حِينٍ
شُقُّ فِي الْعَيْنِ حِجَابَ الْبَصَرِ وَأَيْزُ فِي الْقَلْبِ هَوْلُ الْمُحْشَرِ
وَاجْعَلَنَّ الضُّحُوكَ يَتْبَعُ الْبُكَاءَ وَامْلَأِ الْعَيْنَ دُمُوعاً مِنْ دُمَاءِ
أَنْتَ كَالِكِمِّ صَمُوتُ أَبْكُمْ انْشُرْ كَالْوَرْدِ رِيحاً تَفْعَمُ^(٣)
صَعْدُنْ مِنْ كُلِّ عَضْوٍ ، كَالْجَرَسِ نَوْحُكَ الصَّامِتَ فِي كُلِّ نَفْسٍ
أَنْتَ نَارٌ فَأُضِئْ لِلْعَالَمِينَ بِلَهِيْبِ مَنْكَ أَذْكَ الْأَخْرِيْنَ^(٤)
سِرُّ شَيْخِ الْحَنَانِ أَعْلِنُ فِي قِيَاخٍ كُنْ مُدَاماً وَاتَّخِذْ ثَوْبَ الزُّجَاجِ^(٥)
وَكُنِ الْفَهْرَ لِمِرَاةِ الْفِكْرِ وَاصْدَعْ جَهْرًا وَأَعْلِنُ مَا اسْتَرِ^(٦)
حَدَّثَنِي كَالنَّايِ عَنْ غَابِ نَايٍ حَدَّثَنِي قَيْسًا عَنِ الْحَيِّ انْتَايِ^(٧)
جَدَّدَ النَّوْحَ بِلَحْنٍ مُحَدَّثٍ وَمِنَ الْأَهَاتِ فِي الْحَفْلِ انْفَثَ

(١) السقطان : الجناحان .

(٢) يقال عن كتاب المثنوي لجلال الدين الرومي : إنه القرآن في اللسان الفهلوي ، أي : الفارسي .

(٣) كم الزهر منقبض يخفى لونه وريحه ، فإذا انفتح نشر ريحه واستبان شكله . فعمت الرائحة : ملأت الأنف .

(٤) أذكى النار : أشعلها .

(٥) اتخذ ثوب الزجاج : أظهر ما في باطنك ، كما تظهر الزجاج ما فيها .

(٦) الفهر : الحجر الصغير ، يعني : اكسر مرآة الفكر ، ولا تعول على ما تبديه ، وأبد ما للمشق في قلبك .

(٧) الناي مأخوذ من الغاب وصوته عند شعراء الصوفية حنين إلى غابه . وقد بدأ جلال الدين كتاب المثنوي بقصة الناي والغاب .

وَزِدَ الْحَيِّ حَيَاةً مِنْ « قُمْ »^(١)
وَانْفِ عَنِ قَلْبِكَ مَا قَدْ سَلَفَا
وَاعْرِفِ اللَّذَّةَ فِي هَذَا النَّعِيمِ
كُلَّ حَيٍّ فِيهِ رُوحاً أَحْكَمَ
وَهَلَمْ اسْلُوكَ طَرِيقاً أَنَفَا
جَرَسَ الرُّكْبَ ! تَنْبَهْ لَا تَنَمِ

صِرْتُ نَاراً فِي ثِيَابِي تُسَقَرُ
ثُرْتُ مِنْ أَوْتَارِ نَفْسِي نَغْمَا
فَرَفَعْتُ السُّرَّ عَنْ سِرِّ خُودِي
كَانَ كَوْنِي صُورَةً لَمْ تَكْمَلْ
مَبْرَدُ الْعَشَقِ بِرَانِي رَجُلًا
فَرَأَتْ عَيْنَايَ تَبْضُ الْأَنْجُمُ
وَبَكَيْتُ النَّاسَ جَنَحَ الظُّلُمِ
مَصْنَعُ الْكَوْنِ أَرَانِي مَا حَوَاهُ
أَنَا - مَنْ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ أَنْارُ -
صَوْتُهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَلَا
ذَرَّةً أَلْقَتْ وَشُمُوساً حَصَدَتْ
آهَتِي الْحَرَّى سَمَتْ فَوْقَ الْعَنَانِ
صِرْتُ كَالنَّايِ ، هَيَّاجاً أَضْمِرُ
شِدْتُ مِنْ حَسَنِ يِيَانِي إِرْمَاً^(٢)
فَبَدَا الْإِعْجَازُ مِنْ أَمْرِ خُودِي^(٣)
كَانَ سِقْطاً مُهْمِلاً فِي الْهَمَلِ
كَيْفَ هَذَا الْكَوْنُ وَالْكَمَّ جَلًّا^(٤)
وَبَعْرِقَ الْبَذَرِ دَوْرَاتِ الدَّمِّ^(٥)
فَبَدَا سِرُّ حَيَاةِ الْأُمَمِ
فَتَجَلَّى سِرُّ تَقْوِيمِ الْحَيَاةِ
فِي طَرِيقِ الْمَلَّةِ الْبَيْضَا غُبَاراً^(٦)
لَحْنُهَا فِي الْقَلْبِ نَاراً أَشْعَلَا
أَلْفَ رُومِيٍّ وَعِطَّارِ جَنَّتِ^(٧)
عِترَتِي النَّارُ ، وَإِنْ كُنْتُ الدُّخَانُ^(٨)

(١) قُمْ : فعل أمر . يعني أحيي الناس بقولك قُمْ . والكلمة بلفظها العربي في الأصل .

(٢) إشارة إلى ما يقال في وصف إرم ذات العماد .

(٣) أبقيت كلمة خودي في الشطرين كما جاءت في الأصل . ومعناها : الذاتي . وهي أساس فلسفة إقبال .

(٤) جلاني العشق كيف هذا والكون وكمته حين سلط على مبرده فسوّاني رجلاً .

(٥) رأى نبض النجوم وسير الدَّم في عروق القمر ؛ أي : أدرك أسرار الكائنات .

(٦) المَلَّةُ البيضاء : الأُمَّة الإسلامية . أي : هو غبار من سيرها في الطريق .

(٧) فريد الدين «عطّار» وجلال الدين الرومي من كبار شعراء الصوفية .

(٨) يعني : أن أصله من هذه الأمة ؛ فإن يكن دخاناً ، فهو من هذه النار .

قلمي في مسرح الفكر علا فجللا الأسرارَ في السَّبْعِ العُلَى

ما قصدت الشعر في هذا النِّعَم	نحتَ أصنامٍ وتعظيمَ صنم ^(١)
أنا هنديُّ شأني الفارسي	وهلالُ أنا ذو جامِ خلي ^(٢)
لا تؤمِّل عندنا حسن البيان	لحنَ خَنسارٍ به أو أصفهان ^(٣)
ذاكمُ الهنديُّ يحكي السُّكرا	لكن الدُّرِّيُّ أحلى مخبراً ^(٤)
سحرَ الفكرِ تجلِّيه وراغ	فإذا لي شجرُ الطورِ يراع ^(٥)
قد علا فكري وهذا الفارسيُّ	لاءِ الفطرة في فكري العلي
أيها العائبُ كأسَ الخندريس	انظرون يا صاح ما تحوي الكؤوس ^(٦)

في بيان أنَّ نظام العالم من الذاتية ، وأنَّ تسلسل حياة أعيان الكون لا يكون إلا باستحكامها

هيكُلُ الأكوانِ من آثارها	كلُّ ما تبصر ، من أسرارها
نفسها قد أيقظت حتى انجلي	عالمُ الأفكارِ ما بين الملا
ألفُ كونٍ مختفٍ في ذاتها	غيرُها يثبت من إثباتها

- (١) ما قصدت ما يفعله الشعراء من نحت الأصنام وعبادتها ، أي : المدح والخنوع للكبراء ، أو للآراء السائدة .
- (٢) هو هندي يغلبه اللسان الفارسي . وهو كالهلال كأسه لم تملأ أي لم يتمَّ نوره .
- (٣) خوانسار وأصفهان أخرجتا شعراء وألحاناً كثيرة .
- (٤) الهندي اللغة الأردية التي نظم بها إقبال بعض دواوينه ، والدري اللغة الفارسية .
- (٥) يعني صار قلمه من شجرة الطور المقدسة التي رأى موسى عندها النار .
- (٦) ناسبت الفارسية أفكاره فكتب بها ، وينبغي أن ينظر إلى معانيه لا إلى ألفاظه الفارسية المعيبة .

نفسها تنظر فيها غيرها
 لتري لذتها في بأسها
 لتري من نفسها قذرتها
 غُلُّها في دمها عين الحياة^(١)
 تكثر النوح لأجل النغمة
 ولحرف واحد ألف مقال
 أنها تبغي جمال الخلقة^(٢)
 ومن المسك ردى ظبي الختن^(٣)
 عذره في شمع المشتعل
 ليُجلى في سناه غدها
 لسراج يرتجى من أحدا^(٤)

جعلت بذر خصام بزرها
 خلقت أضدادها من نفسها
 تبلي في نفسها قوتها
 خدع من وهمها عين الحياة
 تخرب البستان أجل الورد
 لقليك واحد ألف هلال
 عذرها في سرف أو قسوة
 حسن شيرين لفرهاد يحن
 في فراش حرقه كالمشعل
 ألف يوم سطرته يدها
 ألف إبراهيم في النار اغتدى



وهي العلة وهي القابل
 واحتراق واختفاء وظهور^(٥)

همها الأعمال فهي الفاعل
 ثورة فيها وإجفال ، ونور

(١) خلاصة الأبيات المتقدمة : أن الذاتية ، وهي واحدة ، اتخذت في الكون مظاهر مختلفة يحارب بعضها بعضاً ، والحياة في هذا الخصام ، وهذا التنازع بين مظاهر الكون .

(٢) في الأبيات الثلاثة المتقدمة يشير الشاعر إلى أن الخلقة لها مقصد ، تهذب من أجده آلاف الأشكال ، ولا تبلغ الكمال إلا بهذا الهدم .

(٣) عشق فرهاد شيرين قصة رائعة في الأدب الفارسي . . والختن : بلاد معروفة بطيب المسك .

(٤) يعني إبراهيم الخليل وأحمد النبي عليهما الصلوات والسلام .

(٥) عمل الذاتية في الطين منه ازدهار العالم ، والليل نومها والنهار يقظتها ، والأجزاء في الكون شرر شعلتها الواحدة ، تنشق فتكون الأجزاء ، وتنسبط فتكون الصحراء ثم ينضم بعضها إلى بعض فتكون جبالاً .

سعة الأيَّام ميدانُ لها
يُدُّها في الطَّين ، للكونِ ازدهارُ
قَسَمَتْ شعلتها في شَرَر
تخلق الأجزاء إمَّا تنفطر
ثم صارت بانتشارٍ في ملال
شيمةُ الذَّاتِ التجلِّي لا الخفاء
قوَّة صامتةٌ جِلْفُ عَمَلِ
قوَّة الذَّاتِ من الكونِ النواة
كَلِمَةُ الذَّاتِ تعيها قطرةُ
خارتِ الخمرُ فلا شكلَ لها
وسها طودٌ عن النَّفسِ فحار

والسماءُ النَّقْعُ يعلو سُبُلها
نومُها الليلُ ، وفي الصُّبحِ النهارُ
فرأى الأجزاء عقلُ المُفكرِ
تُنشِئُ الصَّحراءَ إمَّا تنتشر
فاحزألت فبدت شَمُ الجبالِ
وهي في الذَّراتِ باسٌ وضياء
عملُ اليومِ لآتيها عللُ
فعلى قدرِ القُوى قدرُ الحياءِ
فلإذا القطرة يسوماً دُرَّةُ
ومن الكأسِ استعارت شكلها^(١)
فقدت صحراءَ تغشاها البحارُ^(٢)

يُعَقِّدُ الثُّورُ لخلقِ المقلِّدةِ
وإذا العشبُ نماءً أضمر
يجمع الشمعُ بعزمِ نفسه
ويُذِيبُ النَّفسَ إمَّا غَفَلَا

تخفقُ العَيْنُ بشوقِ الجَلوةِ
شقٌّ صَدَرَ المِرجِ حتَّى يَظْهَرا
ومن الذَّراتِ يُعلي رأسه
فتراه دمعَ عَيْنٍ هملاً^(٣)

شدَّتِ الأرضُ قُواها فالقمر
وكيَّانُ الشَّمسِ منها أكبرُ

في طوافٍ حولها لا مستقر
فلها عينُ ذُكاءٍ تحَرُّ

(١) قطرة الماء استكملت ذاتها فصارت دُرَّةً ، والخمر ضعفت ذاتها فهي مائعة تستعير قوامها من الكأس .

(٢) حذف بيتٌ قبل هذا البيت وآخر بعده اختصاراً .

(٣) حذف بيتان بعد هذا البيت اختصاراً .

وعلا الحورُ فهالَ الناظرُ
وارتدى كسوة نارٍ حاميه
وعللا الطودَ أيَّاً قاهراً
أصله حبة نبت آبيه^(١)
من غديرٍ أزخرت بحرَ الحياه^(٢)



في بيان أنَّ حياة الذات بتخليق المقاصد وتوليدها

إنَّما يُبقى الحياة المقصدُ
مِرُّ عيشٍ في طلابٍ مُضمَرٍ
أحي في قلبك هذا الأمل
يخفي القلب به بين الصدورِ
يهبُ التربَ جناحاً يصعد
إنَّما يحيي الفؤادُ الأملُ
فلإذا عني بتخليق المنى
أملُ الذاتِ لهيبٌ يستعمرُ
وهو المقصودُ حبلُ الأملِ
ومماتُ الحيِّ فقدانُ الرجاءِ

جَرَسٌ في ركبها ما تقصد^(٣)
أصله في أملٍ مستترٍ
لا يحلُ طينك قبراً مُهملاً
هو في صدرك مرآة تُنيرُ
ولموسى العقلِ خضراً يُرشِدُ^(٤)
وإذا حيَّ يموت الباطلُ
هيمضُ سِقْطاه وأودى وهنا
أو هو الموج الذي لا يستقرُ
إنَّه خيطُ كتابِ العملِ^(٥)
يُطفىءُ الشعلةَ فقدانُ الهواءِ



- (١) هذا مثل شعري آخر من قوة الذاتية شجر الجنار ، تقوى ذاته ، فيعلم ، وتكسوه حمرة كأنها النار . وكل هذا لأن حبه قوية محتفظة بذاتها .
- (٢) الخلاصة أن الذات التي تجمع قوة الحياة تخرج بحرّاً زاخراً من غدير صغير .
- (٣) المقصد مثل جرس القافلة ينبهها للسير .
- (٤) هو من العقل كالحخیر من موسى يهديه ويبين له الحقائق . في بيان : أنَّ حياة الذات بتخليق المقاصد وتوليدها .
- (٥) الوهم : حبل فيه أنشطة تمسك به الخيل المسية ، ويصاد به . وخيط الكتاب : الخيط الذي تجمع به أوراقه بعضها إلى بعض .

كيف فينا أعينٌ قد ظهرت ؟
من منى التَّخَطُّارِ رجلُ الحَجَلِ
حَيَّ نايٌّ قد نأى عن غابه
ذلكَ العقلُ الَّذي الكون طوى
إنَّما أصلُ الحياة الأملُ

ما نظامٌ في شعوبٍ ، وسُنن ؟
أملٌ من قوة فيه ظَهَرُ
كلُّ ما نملكُ من هذي الحواس
كلُّ فكرٍ وخيالٍ واعتبار
هي آلاتُ الحياة الجاهدة
ليس قَصْدُ العلمِ والفنِّ الفكرُ
إنَّما العلمُ وقاءٌ للحياة
للمحياة العلمُ والفنُّ خَدَمُ

جاهلاً سرُّ الحياة ! اجتهدِ
مقصِدُ كالضُّبْحِ في أنواره
مقصِدُ يجتاز آفاق السَّماءِ

لذةُ الرُّؤية فينا صوَّرتُ^(١)
من منى التَّغْرِيدِ خَلَقُ البَلْبَلِ
أطلقَ النُّعْمةَ من أوصابه
وتَرى الإعجازَ فيه والقُوَى
فكذلكَ العقلُ منه يُنْسَلُ^(٢)

ما ترى التجديدَ في علمٍ وفنٍّ ؟^(٣)
بَرِّحِ القلبَ فغَشَّتْهُ صُورُ
كلِّ عضوٍ فيه للعيشِ التماسُ
كلُّ حسٍّ وشعورٍ وأدِّكارُ
حينَ تَمْضي في وِغاهَا صامدِ
ليس قَصْدُ المَرَجِ ألوانُ الزَّهَرِ
إنَّه للذَّاتِ تقويمُ النجاةِ
للمحياة العلمُ والفنُّ حَشَمُ

وامضِ نشوانَ بخمرِ المقصِدِ
محرقِ كلِّ « سِوى » في ناره
ياخذُ القلبَ بحُسنٍ وبهاءِ

(١) في هذا البيت وما بعده بضرب أمثلة لعمل الأمل في العالم . فيقول : إنَّ العين خلقت حينما قصد الإنسان الرؤية ، ورجل الحجلة خلقت من أجل السير والتبخر ، وخلق البلبل من أجل التغريد .

(٢) العقل كذلك من مواليد الأمل .

(٣) كلُّ نظامٍ في الناس وسُنن وعلم وفنٍّ آمالٌ انبعثت من القلب بقوتها فتصوَّرت صوراً شتى .

ثورة فيه وفيه محشر
نحن أحياء بخلق الأمل
وعلى الباطل حرباً يسير
نحن في نور بهذي الشعل

في بيان أن الذات تستحكم بالمحبة والعشق

نُقِطَ النُّورُ التي تُدعى الذوات
مُشَعَّلٌ بِالْحَبِّ منها الجوهرُ
قطرةً بالعشق تُوعى ضرماً
لا يهاب العشق في السيف المضاء
هو في العالم صلحٌ وخصامٌ
نظرةً العشق بها شقُّ الضُّخور
فابغ في طينك هذي الكيمياء
امض كالرومي شمعاً يشتعل
إن في قلبك معشوقاً ثوى
عاشقوه قد شأوا كلَّ جميل
عشقهُ في القلب نورٌ أسفرا
تربُّ نجدٍ منه قد خفت وضاء
مُهْجَةُ المسلم مَثْوَى المصطفى
موجةً من نفعه الطورُ الأشم

شور في طيننا للخياوات
يتجلى من قواها المضمَرُ
وهي بالعشق تُنير العالماً^(١)
ليس من ماء وتربٍ وهواء
للحياة الماء من هذا الحُسام
هو عشقُ الحق ، والحق يصير
أقرب من كامل هذا الضياء^(٢)
وارم من تبريز في الروم الشعل^(٣)
أقبلن أنبثك عن هذا الجوى
حبهم في كل قلب لا يحول
للثريا يرتقي منه الثرى^(٤)
طار وجداً مُصعداً نحو السماء
عِزَّةُ المسلم ذكرى المصطفى
داره ، للكعبة العظمى حرم

(١) ترعى : تجمع وتدخر .

(٢) حذف بيت قبل هذا اختصاراً والكامل هنا الإنسان المرشد الذي يهدي المبتدىء .

(٣) إشارة إلى جلال الدين الرومي وشيخه شمس التبريزي الذي نقله من العلم إلى العشق ،

والروم هنا أرض الروم ، وهي آسيا الصغرى .

(٤) المعشوق المذكور في هذه الأبيات هو الرسول .

ضاق عن أن حواه الأبد
آثرت سحق حصير عفتة
خلوات في جِراء خلّقا
كم ليالٍ قد قضاهما ساهدا
سيفه في الحرب قطع الحديد
سيفه « آمين » تمحو الظالمين
سُنْناً في كوننا قد جددا
فتح الدنيا له مفتاح دين
استوى موّلى لديه و غلام



مستمداً من مداه الأمد
وعلت تيجان كسرى أمّته
أمة منها وحكماً مشرقا
فجبا الأمة ملكاً خالدا
عينه في الذكر بالذم مع تجود
حين يدعو الحق بالنصر المبين
ومن الماضين ملكاً بددا
عقمت عن مثله أمّ السنين
هو والعبد سواء في الطعام^(١)

أسرت في غزوة بنت الجواد
رجلها في القيد والرأس حيز
بردة ألقى عليها ساترا
نحن أعزى في الوري من أخت طي
هو في الدنيا علينا ساتر
لطفه والقهر كل رحمة
ويوم الفتح هذا الغافر
إننا من قيد أوطان براء

من علا طياً بجدواه وساد^(٢)
مطرق في ذله الطرف الكير
إذ رأى وجهاً ورأساً حاسرا
ليس يكسونا لدى الأقوام شي
وهو في الحشر إلينا ناظر
لصديق وعدو رافة
قال : « لا تريب » وهو القادر^(٣)
نحن من عينين نور لا وراء^(٤)

(١) إشارة إلى ما جاء في الأثر مثل : أنا عبد آكل أكلة العبد ، وأجلس جلسة العبد .

(٢) إشارة إلى قصة بنت حاتم الطائي حين جيء بها إلى المدينة في الأسرى فألقى عليها الرسول بردة وأطلقها .

(٣) إشارة إلى عفو الرسول يوم فتح مكة عن قريش وقوله : لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم .

(٤) يعني : إننا كالبصر يصدر من عينين ، هو واحد وإن اختلف مصدره .

نحن في مغربنا والمشرق
أسكرتنا عين ساق في البطاح
قد معا الأنساب طراً ذا العظيم
نحن زهر وشذانا اختلفا
نحن كنا سره في قلبه

ألف لحن في فؤادي الشاكت
قد بكى جذع موات للفراق^(١)
أنا صبح أطلعت آياته
وهدوني في اضطراب دائم
في عروقي الماء من أمطاره^(٢)
من سراح العين لي هذا الحصاد^(٣)
حبذا دار بها مشوى الحبيب !
نظمه والشر من جهلي دواء^(٤)
فيه دُرٌّ من مديح يرقُ :
سيد الكونين ، مولى الثقلين^(٥)

عشقه نار بعودي الصامت
ما حديثي عن ولاء واشتياق ؟
صورتي قد أوضحت مرآته
ثورة الحشر بيلي النائم
إنني البستان في آذاره
قد غرست العين في حقل الوداد
قد شأى الدارين من يثرب طيب
أنا للجامي في الشعر فداء
قال بيتاً بالمعاني يفهم
هو عنوان كتاب العالمين

(١) نحن ممتزجون كما يمتزج الراح والزجاج .

فكأنما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر

(٢) إشارة إلى قصة حنين الجذع الذي كان يخطب عنده الرسول حين انتقل عنه إلى مكان آخر .

(٣) هو بستان ناضر من مطر آذاره . والضمير للرسول ﷺ .

(٤) جمع ما جمع من المعاني من تسريع عينه في مآثر الرسول .

(٥) الشيخ عبد الرحمن النجاشي من كبار العلماء والشعراء والصوفية في القرن التاسع الهجري .

كم يُرىك العشق من صهبائه
أحكم العشق بتقليد الحبيب
في جراء القلب فاقعد خاليا
اقوين بالحق ثم ارجع إليك
قوين بالعشق في سلطانه
تظفرن بالقرب يا ذا السائل !

فترى التقليد من أسمائه^(١)
لتنال القرب من رب مجيب
والى الحق فهاجر راضيا
واحطمن اللات والعزى لديك^(٢)
وابتغ الجلوة في فارانه^(٣)
وتكن تفسير « إني جاعل^(٤) »



في بيان أن الذات تضعف بالسؤال

أيها الجابي من الأسد الخراج !
ذلك الإعواز أصل العلل
سالب الرفعة من فكر رفيع
من كنوز الدهر أخرج ما تريد
وعن الرّحل ترجّل كعمر
صاح ! حثام اجتداء المنصب !
تجد الإفلاس بالسؤال أذل

صرت كالشّلب خبأ باحتياج
كلّ آلامك من ذا المعضل
مطفئ الشمع من الذّهن البديع
وخذ الصّهباء من ذنّ الوجود
احذرن من منّة الناس « الحذر^(٥) »
فيم كالطفل ركوب القصب^(٦)
وترى السائل أخزى وأقل

(١) للعشق أشكال مختلفة منها التقليد أحيانا . وهو يدعو هنا إلى تقليد الرسول .

(٢) هاجر إلى الحق لتقوى ! ثم ارجع إلى نفسك فاحطم ما بها من أهواء .

(٣) فاران : اسم مكة أو جبالها .

(٤) إشارة إلى الآية : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] أي : لتكون خليفة الله في الأرض .

(٥) إشارة إلى قصة عمر حين سقطت درته من يده وهو راكب فنزل ليأخذها ولم يرض أن يناوله إياها أحد .

(٦) ركوب عود من القصب أو الجريد كما يفعل الأطفال .

فبدت سيناً لها دون ضياء^(١)
وطغى حولك سيلٌ من بلاء
لا ترج الماء من عين ذكاء^(٢)
يوم يخزي كل ساع ما وفى
فعليه وسم نعماءها ظهر^(٣)
ماء وجه الملة البيضاء صن
أن « حبيب الله ساع كاسب »^(٤)
خافض الرأس لثقل المنّة
بتقير بساع تاج العزّة
يسأل الخضر شرباً في الفلا^(٥)
ذاكم الإنسان ، لا ماء وطين
عالي الرأس كزوي قد عنا
هو يفظان وغاف جدّه^(٦)
فارغ الكأس ببحر يزخر^(٧)

فرّق الذات سؤال واجتداء
إن يكن في الرزق والجّد عناء
لا ترم في الأرض رزقاً بالبكاء
احذر الخزي أمام المصطفى
من سماء الشمس يقتات القمر
جاهد الأيام والله استعن
علم الناس الصدوق الصائب
ويح من يحمل ذلّ النعمة
أرهق النفس بوقر الذلّة
مرحباً بالظامى الضحيان لا
بسؤال الناس لم يُند الجبين
تحت هذي الشمس يمضي ذا الفتى
زاد في العسر مضاء جدّه
كُن حباباً من عطاء يتفرّ

-
- (١) لا نور في سينائها يهدي إلى الحق . إشارة إلى قصة موسى .
(٢) لا تسأل الماء ولو من عين الشمس .
(٣) السمة التي على وجه القمر سمة اجتدانه نور الشمس .
(٤) إشارة إلى الأثر : الكاسب حبيب الله .
(٥) لا يطلب من الخضر شربة ماء . وعند الخضر ماء الحياة كما في القصص .
(٦) همته بقطانة وإن كان جده نائماً .
(٧) يتخيل الشعراء حباب الماء كأساً فارغة وهي في البحر . ف ضرب الشاعر الحباب مثلاً في العفة والإباء .

في بيان أنَّ الذات تستحكم بالمحبَّة والعشق فتسخر

قوى العالم الظاهرة والباطنة

حينما الذات بعشق تُحكم^(١)
فلذا ما أومات شقَّ القمر
صاغرٌ في حكمها داراً وجم^(٢)
اسمه في الهند مشهورٌ علي^(٣)
قصرٌ أخباراً عن الورد الشميم^(٤) :
قصيد الأسواق في بغيته
معه الحرَّاسُ قد حفَّتْ به
أيها الأحمقُ أفسح للأمير
غارقاً في اللجُّ من أفكاره
ضارباً رأس الفتى في غفلته
وهو في دعرٍ وحزنٍ قاتل
دمعه من محبس العين طليق

أمرها في الكون طراً يخكمُ
يُدُّها من قوَّة الحق أثرُ
في خصومات الوري أقوى حكمُ
اسمعنْ مني حديثاً عن ولي
ذلك الصُّداح في المرج القديم
سالكٌ سكران من خمرة
وأتى العاملُ في موكبه
صاحٌ للتطريق جنديَّ نكير
ومضى الدُّرويش في تسبَّاره
فأتى ربُّ العصا في شرِّته
فتنحَّى عن طريق العامل
ومضى يشكو إلى شيخ الطريق

(١) تحكم أي : تصير قوية محكمة .

(٢) داراً وجمشيد من ملوك الفرس القدماء .

(٣) الشيخ أبو علي قلندر من كبار صوفية الهند في القرنين السابع والثامن . والقصة التي يشير إليها الشاعر وقعت بين الشيخ والسلطان علاء الدين الخلجي . وخلاصتها أنَّ أحد مريدي الشيخ ذهب إلى السوق ، وكان موكب العاهل قادماً ، فتأذى أحد الحرس الدرويش ليفسح الطريق فلم ينتبه فضربه على رأسه فذهب إلى شيخه شاكياً ، فكتب الشيخ إلى السلطان : إما أن تعزل عاملك أو أنصب مكانك ملكاً آخر . فخاف السلطان وأرسل الشاعر الكبير أمير خسرو وكان ماهراً في الموسيقى فغنى بعض شعره على الرباب ، فلما آنس من الشيخ قبولاً أبلغه رسالة السلطان يطلب عفو الشيخ فعفا عنه . ويريد إقبال بهذه القصة بيان قوة النفس التقي المستغنية .

(٤) هذا البيت يشير إلى مطلع قصيدة فارسية للشيخ أبي علي قلندر فيها ذكر البلبل والورد .

زمجرَ الشيخ بقولٍ من ضَرَمَ
ثم أَملى الشيخ سطرًا من لَهَبِ
أَمَكِ المِزْبَرِ واكتَبَ ذا النذيرِ
«عاملٌ عندك غرٌّ قد عصى
عزَلِ العاملِ ، هذا الفاجرا
عبدٌ حقٌّ فيه لله احتساب
آدُهُ غمٌّ وخوفٌ لا يحول
قيدُ العاملِ بالقيدِ الثقيلِ
ورأى خُسرو له خَيْرَ سفيرِ
ساحرِ الألبابِ في ألحائه
ولها خسرو بأوتار الرِّبابِ
فطرةٌ كالطُّودِ في عزَّتِهِ
احذرنُ لا تجرحنُ قلبَ فقيرِ



مثلَ برقيٍّ في ذرى الطُّودِ اضطرم
قال للكاتبِ في نارِ الغضبِ :
أبلغَ الشُّلطانَ عن هذا الفقيرِ :
وعلا رأسَ غلامِي بالعصا
أو أَمَبْ مُلْكُكَ مُلْكاً آخِراً ،
أرعدَ السلطانُ منه ذا الكتابِ
فحكى في لونه شمسَ الأصيلِ
واستغاثَ الشيخَ للمصْفَحِ الجميلِ
ذلكَ الكوكبَ وضَاءَ الضَّميرِ^(١)
مستمداً الغيبَ في تبيانهِ
فأهَّجَ الشيخَ وجُداً وأذاب
خَشَعَتُ لِلْخَنِ في رَقَّتِهِ
لا تزُجَّ النَّفسُ في نارِ السَّعيرِ

قصة في معنى أن مسألة نفي الذات من مخترعات الأمم المغلوبة لتضعف الأمم الغالبة بهذه الطريقة الخفية

جَمَعَ ضَائِنُ كانَ في مَرعى يُقيمُ
فارغاتِ البالِ من ليثٍ وذيبِ
ورمى بالسَّهمِ فيهنَّ الدَّهرِ
ناشراتِ الدُّغْرِ في أَيْامِها
سرُّها الظاهرِ فتحَ ظافرُ

قد سمعنا أنَّ في عصرٍ قديمٍ
وفَرَّتْ نِلاً بذا المرعى الخصيبِ
ثمَّ ألوى بِمُناهنَّ القدرِ
دهمتها الأسدُ من آجامِها
آيةُ القوَّةِ حكمٌ قاهرُ

(١) أمير خسرو الدهلوي من كبار الشعراء في القرن الثامن الهجري .

ضربَ الليثُ طبولَ النوبة
وكسا المَرعى بصبغٍ أحمرًا
وانبرى كبشٌ ذكيٌّ ذو عُمر
غَمَّه ما قد يعاني مِرْبَه
أمرَه أحكمَ في تدبيره
باحتيال العقل يحمي نفسه
قوة التدبير في دفع الضرر
فلإذا ما ثارَ للثار الجنونُ
قال : أمرٌ حار فيه العاقلُ
كيف للضأن فال الأسد
ليس وعظٌ من بليغٍ قادرا
لكنِ الليثُ رآه حَمَلا
فادَّعى في القوم دَعوى مُلهم
قال : كلُّ القوم « كذابٌ أشْر »
جئتُ للنَّاس بشرعٍ مُحكم
عجلوا التوبة عن كل قبيح
ويح جَلْدٍ أحكمت فيه قِوَاة

أخذاً آفاق هذي الثَّلة^(١)
ما سَوَى الفرسِ لدى أسد الشَّرى
جرب الأحداث من حُلُو ومُر
من فِعال الأسد يَدَمِّي قلبه
وهو يشكو الدَّهر في تقديره
كلُّ رِخوٍ ليس يرجو بأسه
في زمانِ الضَّعف أقوى وأمر
صار عقلُ العبد خلاقِ الفنون
بحرٌ عمٌ ليس فيه ساجِلُ^(٢)
ساعِدٌ رِخوٌ وفولاذُ يدِ^(٣)
أن يردَّ الكبش ذئباً كاسرا
إن سها عن نفسه أو غفلا
مرسلٍ للأسد شَرابِ الدمِ^(٤)
غافلٌ عن يوم نحسٍ مستمرٍ^(٥)
إنَّشي النُّورَ لَطَرَفٍ مُظْلِمٍ
واتركوا الحرَّ إلى الفعلِ الرِّيح
« نفي ذاتٍ » هو إحكام الحياه^(٦)

- (١) طبل النوبة كان يضرب في أوقات معينة على أبواب الملوك .
(٢) قال الكبش . . إلخ .
(٣) مساعد الضأن ويد الأسد .
(٤) فادَّعى في القوم . أي ادعى الكبش .
(٥) « كذاب أشْر » و« نحس مستمر » اقتباس من القرآن . جاء في الأصل .
(٦) مذهب إقبال قائم على أن الخير في إثبات الذات والشر في نفيها .

عَلَفَ الْعُشْبُ بِهِ الرُّوحَ تَطْيِيبُ
 حَذَّةُ الْأَسْنَانِ عَارٌ مُبْرَمٌ
 إِنَّمَا الْقُوَّةُ خَسِرَانٌ مَبِينُ
 طَلِبُ السُّلْطَانِ شَرٌّ مُسْتَطِيرُ
 تَأْمِنُ الْحَبَّةُ بَرْقاً مُحْرِقاً
 ذَرَّةٌ كُنْ لَا كَثِيباً أَفِيحاً
 قُلْ لِمَنْ يُزْهَى بِذَبْحِ الْغَنَمِ
 يَقْطَعُ السُّبُلَ عَلَى هَذِي الْحَيَاءِ
 يَوْطَأُ الْعُشْبُ فَيَنْمُو صُعُوداً
 أَغْفَلَكَ نَفْسُكَ إِمَّا تَعْقِلُ
 اسْدُدْ عَيْناً وَأُذْناً وَفَمَا
 هَذِهِ الدُّنْيَا فَنَاءً فِي فَنَاءِ
 كَانَتْ الْأَشْدُّ جَهَاداً مَلَّتِ
 عَنْ هَوًى أَصْغَتْ إِلَى النَّصِيحِ الْمُتَنِيمِ
 كَانَ فَرَسُ الضَّانِ مِنْ سُتْهَا
 جَوْهَرُ الْأَسَادِ أَضْحَى خَرْقاً
 ذَهَبَ الْعُشْبُ بِنَابِ ذِي أَشْرٍ
 ذَلِكَ الْقَلْبُ عَنِ الصَّدْرِ نَأَى
 فَذَوَى فِي الْقَلْبِ شَوْقُ الْعَمَلِ
 ذَهَبَ الْإِقْدَامُ وَالْعِزُّ الْأَيْلُ

عَائِفُ اللَّحْمِ إِلَى اللَّهِ قَرِيبُ
 بَصَرُ الْإِدْرَاكِ مِنْهَا يُظْلَمُ
 خُصَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمُسْتَضْعِفِينَ
 خَيْرُ الْفَاقَةِ مِنْ عِزِّ الْأَمِيرِ
 وَتَرَى الْيَدَرَ مِنْهُ مُحْرِقاً^(١)
 لَتَنَالِ النُّورَ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى
 أَذْبَحَ النَّفْسَ بِحَقِّ تَغْنَمِ
 قُوَّةٌ فِيهَا وَسُلْطَانٌ وَجَاءِ
 يَفْتَحُ الْأَعْيْنَ مِنْ بَعْدِ الرَّدَى^(٢)
 إِنَّمَا الْمَجْنُونُ مَنْ لَمْ يُغْفَلِ
 لِيَجُوزَ الْفِكْرَ أَقْطَارَ السَّمَاءِ^(٣)
 إِنَّهَا وَهْمٌ فَمَا فِيهَا رَجَاءِ
 نَازَعَاتٍ نَحْوَ عَيْشِ الدَّعَةِ
 فَدَهَاهَا الْكَبْشَ بِالسُّحْرِ الْعَظِيمِ
 فَاقْتَدَتْ بِالضَّانِ فِي شِرْعَتِهَا
 حِينَ صَارَ الْقَوْتُ هَذَا الْعَلْفَا
 أَطْفَأَ الْأَعْيْنَ تَرْمِي بِالسُّرَرِ
 جَوْهَرُ الْمَرْأَةِ فِيهَا صَدِئَا
 وَهَيْأُ السَّعْيِ خَلْفَ الْأَمَلِ
 وَالسَّنَا وَالْعِزُّ وَالْمَجْدُ الْأَيْلُ

(١) الحبة الواحدة لا تبالي بالبرق ولكن البرق يحرق اليبدر الكبير .

(٢) يداس العشب فينمو . فالذلة فيها نفع .

(٣) لعل فيها إشارة إلى ما يفعله نساك الهند ، وإلى الصورة التي تمثل ثلاثة قرود واحد يد
 فمه ، والثاني أذنيه ، والثالث عينه .

واستكان القلب في قبر البدن
قَطَعَ الخوفُ جذورَ الهمة
يجعل الأحياء مثل الرَّمم
سَمَتِ العَجَزُ ارتقاءَ الأمم

ثُرثُنُ الفولاذِ فيها قد وَهَنُ
ونما الخوفُ بنقصِ المنّة
كلُّ داءٍ في سقوطِ الهمم
نامت الأسد بسحر الغنم

في بيان أنَّ أفلاطون اليوناني الذي أثرت آراؤه في تصوّف المسلمين وآدابهم كان على هذه الطريقة الغنميّة ، وأن الاحتراز من آرائه واجبٌ

من فريق الضأن في الدّهر القديم
في حزون الكون قد أعيا وكلُّ
صدٌّ عن كفٍّ وعَيْنِ وأُذُنِ^(١)
في خمود الشمع يزدادُ سناءُ
يمحق الدُّنيا له جامٌ مُنيم
وهو في الصوفيّ ذو بأس قويّ
وعَلَتْ أفكارُهُ فوق السَّماء
وجفاف النَّبع من ماء الحياه
ودعا الكونُ فناءً سحرُهُ
عينه تُبصرُ ألا يَبْرُقُ^(٢)
فقفا مدومَه لا يأتلي

راهبُ الماضين أفلاطُ الحكيم
طَرَفَه في ظُلْمَةِ المعقول ضلُّ
فكرُهُ في غير محسوسٍ فُتِنَ
قال : في الموت بدا سرُّ الحياه
حُكْمُهُ في فكرنا جدُّ عظيم
هو شاةٌ في لباسِ الآدمي
عالمُ الأشياء سَمَاءُ الهراء
فعلُهُ « تحليلُ أجزاء الحياه »
زعم الخسرانَ ربحاً فكرُهُ
فكرُهُ يُغفي ورؤيا يخلُقُ
حُرْمَ المسكينِ حبُّ العملِ

(١) أعرض عن الحواس .

(٢) يؤمن بعالم الأحلام لا عالم اليقظة ، ولا تبصر عينه الماء ، ولكن تبصر السراب .
الآل : السراب .

منكراً في الكون ما لا يُفقد
عالمَ الإمكان للحيِّ وطن
ظبيُّه من خفة لا يجفلُ
لم يُلألئ عند قطر الندى
حبة في أرضه تَأبى النماء
في وغي العالم نكسٌ مُحجمٌ
قلْبُه يَعمَلو لنارٍ خامدة
طار من عشٍّ إلى الأوج العَلِيّ
هُلك أقوام بهذا الثَّمَل

خالقاً في الكون ما لا يُشهد
عالم الأعيان للميتِ حَسَنٌ^(١)
غيرُ خطَّارٍ لديه الحَجَلُ^(٢)
طيرُه ما فيه صوتٌ قد شدا
وفرَّاشٌ عنده يلقي الضياء^(٣)
مُشفقٌ راهبٌنا لا يُقدم
صوَرُث عيناها دنيا هساجدة
ثم لم يرجع إلى العش الخَلِيّ^(٤)
حُرِّمُوا بالنَّوم ذوق العمل

في حقيقة الشعر ، وانسلاخ الآداب الإسلامية

حرقَةُ الإنسانِ من كور الأملِ
إنَّه الخمرة في كأسِ الحياة
الحياة الحقُّ تسخيرُ الدُّنَى
هي للمقصودِ في الدُّنيا سبيل

نارُ هذا الطَّينِ من نورِ الأملِ^(٥)
وبه وقدة أنفاسِ الحياة
وإلى التسخير تدعوها المُنَى
وهي للعشوق من الحسن رسول

- (١) الحي يعيش في عالم الإمكان ، عالم الحس ، والميت يعيش في عالم الخيال ، عالم الأعيان عند أفلاطون وهذا ردُّ على أفلاطون .
- (٢) خلق أفلاطون عالماً لا يشب ظبيُّه ولا يتبختر حجله . والحجل طير جميلة في مشيها تبخر .
- (٣) الحبة في طبيعتها النمر والفراش في طبيعته حب الضوء ولكن حبة أفلاطون تكره النمو ، وفراشه يكره الضوء .
- (٤) رأى إقبال أن يخلق الفكر ليعود إلى عالم الحس ، لا ليبقى في عالم التفكير والتخيُّل .
- (٥) الكور : مجمرة الحداد .

أمل الإنسان أنسى يظهر
كل خير وبهيج وجميل
حُسنه في القلب نورَ يسطع
خُلُق الحسن نضيرَ الأمل



كيف يشجو الحيّ هذا المزهر؟
هو في بيدائنا نعم الدليل^(١)
تجد الآمال منه تطلع
وأدام الحسن نورَ الأمل

مطلع الحسن ضميرُ الشاعر
زادت الحسن جمالاً نظرته
غرّد البلبل من تلحينه
ناره كل فراش كاوية
مضمّر في خلفه بحر ويزر
كم شقيق في الحشا لم يطلع
فكره للبدر والنجم نجى
خضر في ليله ماء الحياة
نحن أغراّ بطاء الأرجل
لطفّت في سيرنا حيلته
يحفز الركب لفردوس الحياة
فمضى الركبان إثر الجرس
وسرت في زهرنا نفحاته
نفس منه حياة تُزهر

طوره صبح الجمال الباهر
زادت الفطرة حباً صنعته
ضاء خدّ الوزد من تلوينه
قصص العشاق منه زاهية
ألف كون محدث فيه استتر
وغناه وبكى لم يسمع^(٢)
يُدع الحسن ، وفي القبح عي
تُزهر الأكوان من ماء بكاه^(٣)
ضلّ ساريننا طريق المنزل
وعَلّت في ركبنا نغمته
ويتمّ الدّور في قوس الحياة^(٤)
وشدا الحادي بصوت مؤنس
مذ سرت في روضنا نسمته
خبرة لؤامة لا تصبر

(١) يقول : إنَّ الأمل وسيلة العمل ، والأمل يخلقه الميل إلى الخير والجمال .

(٢) ضمير الشاعر فيه شقائق لا يراها الناس ، وفيه بكاء وغناء لا يسمعه .

(٣) إشارة إلى قصة الخضر واهتدائه إلى ماء الحياة في أرض الظلمات .

(٤) يكمل دائرة الحياة .

يَأْدِبُ النَّاسَ جَمِيعاً لِلْقُرَى نَارُهُ كَالرَّيْحِ تَسْرِي فِي الْوَرَى

وَيْلٌ قَوْمٍ لِهَلَاكِ طَائِرِهِ
كُلُّ حُسْنٍ شَاةٍ فِي مَرَاتِهِ
تُذْبِلُ الْأَزْهَارَ مِنْهُ الْقُبُلُ
تَهِنُ الْأَعْصَابُ مِنْ أَفْيُونِهِ
يَسْلُبُ الشَّرَّوُ جَمِيعَ الْمَيْلِ
هُوَ خُوتٌ نَصْفُهُ كَالْأَدْمِيِّ
يُسْحَرُ الرِّئَانُ مِنْهَا بِاللَّحُونِ
يَسْلُبُ الْقَلْبَ ثَبَاتاً لِحْنِهِ
يُلْبِسُ النَّفْعَ لِبَاسَ الضَّرَرِ
فِي بَحَارِ الْفِكْرِ يُلْقِيكَ فَلَاحِ
شِعْرِهِ فِينَا يَزِيدُ الْكَلَالَا
سَيْلٌ بَرَقَ مَا خَوَى نِيَّانَهُ
فُتُّهُ بِالْحَقِّ لَا يَعْتَرِفُ
نَوْمُ الثَّ الْحَانُ يَقْطَعُنَا
بِلَبْلٍ سُمٌّ قُلُوبٍ نَفْمُهُ
خَمْرُهُ اللَّالَاءَةُ أَتْرَكَ وَاحْدِرِ

صَدَّ عَنْ وَرْدِ حَيَاةٍ شَاعِرُهُ
فِي الْجِسْمِ الثَّمُّ مِنْ جَرَعَاتِهِ
وَيُعَافُ الثَّدْوُ مِنْهَا الْبَلْبُلُ
وَيَمُوتُ الْحَيُّ مِنْ تَلْحِينِهِ
وَيَرُدُّ الصَّقَرُ مِثْلَ الْحَجَلِ^(١)
كِبْنَاتُ الْبَحْرِ تَقْتَادُ الْغَوِيَّ^(٢)
وَلِقَاعُ الْبَحْرِ تَهْوِي بِالسَّفِينِ
وَيُورِي الْمَوْتَ حَيَاةً فُتُّهُ
وَيُورِي الْحُسْنَ قِيحَ الضُّورِ
تَشْتَهِيهِ أَوْ تَطِيقُ الْعَمَلَا^(٣)
كَأْسُهُ فِينَا تَزِيدُ الْمَلَالَا
أَلْ لَوْنٍ وَشَذَا بَسْتَانِهِ^(٤)
بَحْرُهُ مَا فِيهِ إِلَّا الصَّدْفُ
أَطْفَاتُ أَنْفَاسِهِ شَعَلْتَنَا
ضِغْثٌ وَرِدٌ فِيهِ يَنْوِي أَرْقَمَهُ
كَأْسُهُ وَالطَّاسُ وَالذَّنُّ أَهْجِرِ

(١) الشَّرُّ : شجر طويل يصفه الشعراء بالرشاقة والتمايل .

(٢) بنات البحر : حيتان خرافية نصفها الأعلى كالإنسان ، تغوي الملاحين بأنغامها حتى تغرق السفن .

(٣) أي لا تشتهي العمل ، ولا تطيقه .

(٤) نيسان من شهور الربيع يكثر فيه المطر . وهذا الشاعر الذي يصفه إقبال ليس في نيسانه سيل من البرق ، أي ليس في صحابه برق ولا مطر . وقد شبه إقبال وميض البرق بالليل . والآل : السراب ؛ أي : بستانه سرابٌ من اللون والرائحة .

يا صريعاً خمرةً يَغْتَبِقُ
يا برود القلب من الحانه
يا دليلاً للسردي أفكاره
أنت للذل أرحمت البدنا
من نسيم مرّ يدمي خدكا
أخزيت العشق دجى صيحاتكا
شاحب الوجه بدا من ضركا
عاجز الهمة من ذلتكا
أدمع الأطفال في كاساته
آه من وغد ذليل يائس
صار كالناي هزبلاً نائحا
ليس إلا الحقد في جوهره
يائس فسل حليف الخيبة
نوحه روحك منه في مقام
ويح عشق قد ذكا في الحرم



فاجعلن معياره نار الحياة
مثل برق قاد رعداً جلجلا

صيرفي القول ! إن تبغ النجاة
نثر الفكر يقود العملا

- (١) بهزاد : مصور إيراني ماهر . يقول إقبال : إنَّ هذا الشاعر شوّه صورة العشق . وفي
الآبيات التالية يبين ما أصاب العشق من الذلة والخور على لسان شاعر السوء .
(٢) يستجدي أو يحاول الشرقة فيركله الحارس .
(٣) هذه الأوصاف تعرب عن غيظ إقبال من الشعراء الذين أذلوا الآداب الإسلامية .

مَنْ بِفِكْرِ صَالِحٍ فِي الْأَدَبِ ؟
 وَسَلِّمِي الْعُرْبَ يَا صَاحِبَ اعْشَقَا
 فِي رِيَاضِ الْعَجَمِ قَطَفْتَ الزَهْرَ
 مِنْ حَرُورِ الْبَيْدِ فَاشْرَبِي يَا رَفِيقُ
 اسْلِمِي رَأْسَكَ يَوْمًا صَدْرَهَا
 قَدْ لَبَسْتَ الْخَرَّ طُولَ الزَّمَنِ
 كَمْ وَطِئْتَ الْوَرْدَ فِي طُولِ الْعَدَى
 فَعَلَى رَمْلِ الصَّحَارَى الْمُضَرَمِ
 فِيمَ هَذَا النُّوْحِ مِثْلَ الْبَلْبَلِ ؟
 قَدْ عَلَا جَدُّ الْهُمَا مِنْ صَيْدِكَ
 ابْنُ عُشٍّ حَيْثُ لَا تَرْقَى الْأَنْوَقُ
 لَتُرى أَهْلًا لِأَعْصَارِ الْحَيَاةِ
 ارْجَعِي يَا صَاحِبَ شَطْرِ الْعُرْبِ^(١)
 لَتُرى صَبْحَ الْحِجَازِ اثْتَلَقَا
 فِي ربيعِ الْهِنْدِ سَرَّحْتَ الْبَصَرَ
 وَاشْرَبِي مِنْ تَمْرِهَا الرَّاحَ الْعَتِيقُ
 وَأَلْقِي فِي حَرِّهَا صَرَصَرَهَا
 فَأَلْفَ الْكَزْبِاسِ يَوْمًا وَاخْشَنِي
 غَاسِلًا ، كَالْوَرْدِ ، خَذَاً بِالْأُنْدَى
 أَقْدِمِي يَوْمًا وَغُصْنِي فِي زَمَزَمِ
 وَالْأَمِّ الْعُشُّ بَيْنَ الظُّلُلِ ؟
 اجْعَلِي فِي الطُّودِ مِثْلَ عُشِّكَ^(٢)
 تَخْفِي فِيهِ رَعُودَ وَبَرُوقِ^(٣)
 وَتُذِيبُ النَّفْسَ فِي نَارِ الْحَيَاةِ



- (١) إقبال معجب بالعرب الذين حملوا رسالة الإسلام إلى أقطار الأرض لا يصدّهم شيء ، ويكبر الهمة والقوة والصبر فيهم ، ويمدح الأدب العربي القوي .
- (٢) الهما : طائر خرافي إن سقط ظله على إنسان صار ملكاً ، والشاعر هنا يخاطب المسلم قائلاً إن الهما الذي يمنح الناس الحظ قد علا حظه بأنك صدته فأنت أعلى منه . فارفع عشك فوق الجبل .
- (٣) الأنوق : العقاب .

في بيان أن للتربية الذاتية ثلاث مراحل :

الأولى : الطاعة ، والثانية : ضبط النفس ، والثالثة : النيابة الإلهية

المرحلة الأولى

الطاعة

شيمَةُ الصَّبْرِ وَقَارُ الْجَمَلِ	أَلْفَةُ الْكَذِّ شِعَارُ الْجَمَلِ
وَوَرَقاً فِي الْيَدِ يَسْرِي هَادِياً	صَامَتِ الْأَخْفَافُ يَمْشِي مَاضِياً
شَارِدَ النَّوْمِ قَلِيلاً أَكْلَةً	نَقَشَتْ وَجْهَ الصَّحَارَى أَرْجُلُهُ
رَاقِصاً يُقَدِّمُ شَطْرَ الْمَنْزِلِ	ثِمَلاً يَخْتَالُ تَحَسَّتِ الْمُحْمَلُ
هَائِماً بِالسَّيْرِ عُجْباً يَخْطُرُ	فِي الْمَدَى مِنْ رَاكِبِهِ أَصْبَرُ

وَارْجُونَ مَنْ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَأْبِ ^(١)	فَاحْمِلِ الْفَرَضَ قَوِيّاً لَا تَهَابْ
فَمِنْ الْعَجَبِ سَيِّدُو الْاِخْتِيَارِ ^(٢)	اجْهَدَنَّ فِي طَاعَةٍ يَا ذَا الْخَسَارِ
وَهَوَى الطَّاعِي وَلَوْ كَانَ اللَّهَبُ	بِامْتِثَالِ الْأَمْرِ يَعْلُو مَنْ رَسَبَ
مَنْ ثَوَى فِي الْقَيْدِ مِنْ شِرْعَتِهِ	سَخَّرَ الْأَفْلَاكَ فِي هَمَّتِهِ
طَوَّعَ قَانُونُ لَهُ قَدْ ذُلُّ لَا	قَدْ سَرَى النَّجْمُ يَوْمَ الْمَنْزَلِ
فَإِذَا مَا حَادَ يُجَفَّى بِالْعِرَاءِ	وَنَمَا الْعُشْبُ بِقَانُونِ النَّمَاءِ
دُمُهُ مِنْ ذَاكَ يَسْرِي فِي الْعُرُوقِ ^(٣)	وَلِهَيْبٍ دَائِمٍ دِينَ الشَّقِيقِ
فَهِيَ بِحَرٍّ وَهِيَ بِرٍّ بِاتِّصَالِ	يَرْبِطُ الذَّرَاتِ قَانُونُ الْوَصَالِ

(١) اقتباس من القرآن . وهو في الأصل .

(٢) إذا وفق الإنسان بين نفسه وبين القانون أطاع القانون مختاراً لا مجبراً .

(٣) الشقيق : شقائق النعمان . وهي في الشعر مثال الوجد والاحترق .

كل شيء فيه قانونٌ سرى كيف في هذي المعاني يُمتري^(١)
 أرجعن يا حرّ دُستورِ قديم زَيّنْ رَجْلَكَ بالقيد الوسيم
 شدة في شرعنا لا تشكون وحدود المصطفى لا تعدون^(٢)



المرحلة الثانية

ضبط النفس

جَمَلُ نَفْسِكَ تَرَبُّو بِالْعَلْفِ فِي إِيَاءٍ وَعِنَادٍ وَصَلْفِ
 فَكُنِ الْحَرَّ وَقُذِّهَا بِزِمَامِ تَبْلُغْنَ مِنْ ضَبْطِهَا أَعْلَى مَقَامِ
 كُلُّ مَنْ فِي نَفْسِهِ لَا يَحْكُمُ هُوَ فِي حُكْمٍ سَوَاءٍ مُرْغَمُ
 إِنَّمَا صَوَّرَتْ مِنْ طِينٍ لَزْبُ سَيْطِ فِي أَمْشَاجِهِ خَوْفٌ وَحُبٌّ :
 خِيفَةُ الدُّنْيَا وَخَوْفُ الْآخِرَةِ خَوْفُ مَوْتٍ وَرَزَايَا فَاقِرِهِ
 حُبُّ جَاهٍ وَثَرَاءٍ وَبِلْدِ حُبُّ زَوْجٍ وَقَرِيبٍ وَوَلَدِ
 مِنْ مَزَاجِ الطَّيْنِ وَالْمَاءِ الْبِدَنِ مَرْكَبُ الْأَهْوَاءِ ، مَغْلُوبُ الْفِتَنِ
 مَنْ يَمْسُكَ بَعْصاً مِنْ « لَا إِلَهَ » فَلَتَحْطُمِ طَلَسَمُ الْخَوْفِ يَدَاهُ^(٣)
 كُلُّ مَنْ بِالْحَقِّ أَحْيَا نَفْسَهُ لَا تَرَى الْبَاطِلَ يُحْنِي رَأْسَهُ
 لَيْسَ يَدْنُو الْخَوْفُ مِنْهُ أَبَدًا لَيْسَ ، غَيْرَ اللَّهِ ، يَخْشَى أَحَدًا

- (١) في الأبيات السابقة ضرب الشاعر أمثالا مختلفة لسير الأحياء والأشياء على قوانين .
 (٢) ينصح المسلم بالتزام الشرع واحتمال شدته . فهذا قانون لا يسعد الإنسان بدونه .
 ويقول للمسلم كنت حراً باتباع دستورك القديم فارجع وقيد رجلك بهذا القيد الجميل ،
 ففي هذا القيد حرّيتك لا عبوديتك .
 (٣) لا إله : اختصار لا إله إلا الله . وهكذا يستعملها الشاعر في كثير من شعره . قوله :
 إنما السيل إلى إبطال طلسم الخوف أن تمسك عصا من التوحيد كمعصا موسى تبطل
 السحر .

كُلُّ مَنْ مَوْطِنُهُ إِقْلِيمٌ « لَا »
مُعَرَّضٌ عَمَّا سِوَى اللَّهِ الْوَاحِدِ
مِنْ نَفْسِهِ فِي عَكْرِ
مَنْ قِيُودِ الزَّوْجِ وَالْوَلَدِ خَلَا^(١)
يَضَعُ السَّكِينُ فِي حَلْقِ الْوَلَدِ^(٢)
يَبْذُلُ الزَّوْجَ يَوْمَ الْخَطَرِ



دُرَّةُ التَّوْحِيدِ ، فَاحْفَظْهَا الصَّلَاةَ
فِي يَدِ الْمُسْلِمِ هَذَا الْخَنْجَرُ
يَفْتِكُ الصَّوْمُ بِجُوعٍ وَصَدَى
وَيَنْبِرُ الْحَقُّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ
إِنَّمَا الطَّاعَةُ أَمْرُ الْأَمَةِ
بِالزَّكَاةِ الْعَابِدُ الْمَالِ أَذْكَرُ
تَكْثُرُ الْمَالُ ، وَشُحًّا تَمَحُّقُ
تِلْكَ أَسْبَابُهَا تَسْتَحْكِمُ
اقْبُوا يَا مُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْقَوِي
حَجُّكَ الْأَصْغَرِ ، فَاعْرِفْهَا الصَّلَاةَ
يُقْتَلُ الْفَحْشُ بِهِ وَالْمَنْكَرُ
ضَابِطاً بِالْقِسْطِ هَذَا الْجِسْدُ
هَجْرَةُ الْأَهْلِ بِهِ وَالْوَطَنُ
إِنَّمَا خِيَطُ كِتَابِ الْمَلَّةِ^(٣)
عَلِمْتَ حَبَّ الْمَسَاوَاةِ الْبَشَرُ
« لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تَتَفَقَّهُوا »
إِنْ يَكُنْ فِي الْقَلْبِ دِينَ مُحْكَمٌ
تَحْكُمُنْ فِي ذَلِكَ الْبَكْرِ الْأَبْيَ^(٤)



المرحلة الثالثة

النيابة الإلهية

إِنْ خَطَمْتَ الْعَصَبَ قُدَّتْ الْعَالَمَا نَافِذَ الْأَمْرِ عَلَيْهِ حَكْمَا^(٥)

(١) لا إشارة إلى نفي ما سوى الله .

(٢) يضع السكين في حلق ولده كإبراهيم الخليل .

(٣) خيط الكتاب ما تضم به صفحاته بعضها إلى بعض .

(٤) البكر : الجمل الفتى ، ويراد به الجسد مسيرة للتشبيه الذي بدأ به الفصل .

(٥) لا يزال الشاعر في تشبيه الجسد بالجمل . فالعصب هنا الجمل غير الذلول .

فتسرى العُلُك الذي يخلد لك
 حكمه في الكون خلد لا يبيد
 وبأمر الله في الأرض أمير
 وعزمه ، هذا البساط البالي^(١)
 غير هذا الكون أكوان آخر^(٢)
 يُخرج الأصنام من بيت الحرم
 يقط في الحق نومان به^(٣)
 ناشر في الكون ألوان الشباب
 وهو جُنْدِي وداع وأمير
 سر « سبحان الذي أسرى هوه^(٤)
 حينما يُميك منه بالعنان^(٥)
 وهي إلى أبدانها مثل الرمم^(٦)
 سطوة فيه نجاة العالم
 قيم الأعمال منه في بدل^(٧)
 كم كليم هام في سينائه !
 عبّر الرؤيا بتعبير جديد
 نعمة يُضمّر مزمائر الحياة

مشرقاً في الأرض ما دار الفلك
 فائب الحق على الأرض سعيذ
 هو بالجزء وبالكُل خير
 في فسيح الأرض يمضي طاويا
 ينجلي من فكره مثل الزهر
 يتضج الفكرة فينا بالضرم
 رن عود القلب من مضربه
 باعث في الشيب ألحان الشباب
 هو في الناس بشير ونذير
 مقصد من « علم الأسما » هوه
 مُحضّر من تحته طرف الزمان
 يبعث الأرواح منه قول « قم »
 ذاته تتبع ذات العالم
 يبعث الميت بإعجاز العمل
 سيره يخضر في بيدائه
 جذد الدنيا بتفسير جديد
 كونه المكنون أسرار الحياة

(١) البساط البالي : الأباطيل الموروثة .

(٢) يخلق من فكره أكواناً أخرى ، لا يفقه ما هو واقع .

(٣) المضرب : أداة تضرب بها أوتار العود .

(٤) الهاء في هوه للوقف . والبيت مردوف والقافية في « الأسما » و « أسرى » .

(٥) يعدو تحته حصان الزمان ، أي يسير الزمان سريعا إلى مقصده .

(٦) إن قال قم انبعثت الأرواح من قبور الأبدان .

(٧) يبدل قيم الأعمال بما يضع من معايير جديدة .

شاعرُ الفِطْرَةِ غَنَى طَبْعَهُ لِيَقِيمَ الْمَوْزْنَ إِذْ أَبَدَعَهُ
نَقَعْنَا نَارَ إِلَى أَوْجِ السَّمَاءِ فَبَدَا الْفَارِسُ مِنْ هَذَا الْهَبَاءِ^(١)

فِي رَمَادِ الْيَوْمِ مَتَا تَرَقُّدُ شُعْلَةٌ يَرْمِي بِهَا الْكَوْنَ الْغَدُ
رَوْضَةً تُضْمِرُهَا أَكْمَامُنَا ضَاءٌ مِنْ صَبْحِ غَدٍ أَبْصَارُنَا^(٢)
أَنْتِ يَا فَارِسَ طَرْفِ الزَّمَنِ ! أَنْتِ يَا نَوْرًا لِعَيْنِ الْمَمْكَنِ
مَوْكِبَ الْإِنْشَاءِ هَيَّا زَيْنِ وَتَمَكَّنْ فِي سَوَادِ الْأَغْنَنِ
قُمْ فَسَكُنْ مِنْ ضَجِيجِ الْأَمَمِ وَاْمَلَا الْأَذَانَ زَهَرَ النَّعَمِ
جَدِّدْنَ فِي النَّاسِ قَانُونَ الْإِخَاءِ وَأَدِرْهَا كَأْسَ حَبِّ وَصَفَاءِ
أَبْلِغِ النَّاسَ رِسَالَاتِ السَّلَامِ وَأَعِذْ فِي الْأَرْضِ أَيَّامَ الْوَنَامِ
مَنْ بَنَى الْإِنْسَانَ أَنْتِ الْأَمَلُ أَنْتِ مَنْ رَكِبَ الْحَيَاةَ الْمَنْزَلُ
أَذْبَلْتُ كَفُّ الْخَرِيفِ الشُّجْرَا فَاغْزُدْ فِي الرُّوْضِ رِبْعًا نَضْرَا
نَحْنُ مِنْ فَيْضِكَ نَسْمُو لِلْقَلَلِ فِي جِهَادِ الْكَوْنِ نَمْضِي كَالشُّعْلِ^(٣)

***^(١)

(١) يكثر في الفارسية ذكر الفارس والغبار . يقال مثلاً : رب فارس في هذا الغبار .
والشاعر يقول هنا : قد أصابنا ما أصابنا ومرت بالناس محن فارتفع غبارهم فظهر هذا
الفارس من هذا الغبار يعني أن هذا الإنسان الكامل لا يناله الناس إلا بعد حوادث
شديدة .

(٢) الأكمام جمع كم الزهرة قبل أن تنفتح ، يقول : إنَّ الكم عندنا سيفتح عن روضة ،
وعيوننا تضيء بنور المستقبل .

(٣) الأبيات السبعة الأخيرة خطاب للإنسان الكامل أو النائب الإلهي .

(٤) هنا عنوان فصل حذفته وحذفت معه اثنين وعشرين بيتاً لم أجد في ترجمتها فائدة .
والكلام بعدها متصل بما قبلها .

يا أخا الوردة كن صنو الحجز
 آدمياً صوّر من تُربكا
 أنت إن كنت تراباً هينا
 أيها الصارخ من جور الدهر
 فيم هذا النوح ؟ ماذا المأثم ؟
 مضمّر في السعي مضمون الحياة
 قم فتبد عالماً دون مثل
 إنما السير على حكم الزمان
 إنما الحرّ الشجاع القطر
 وإذا الدنيا عنت عن أمره
 يهدم الموجود فيما أثرا
 يصرف الأيام من كراتها
 خالقاً من قوة في قلبه
 فإذا أعوز عيش الرّجل
 حبذا عشق بغى الأمر الجليل
 تتجلى في سراس المفضل
 غداة الأندال حقاً لا سواء
 الحياة الحق بأمّ يظهر
 ربّ عفو كان من آفاتها
 يحسب العجز قنوعاً خانع

وكن السور لبستان الزهر^(١)
 ثم شيد عالماً بدعاً لك
 فليضع غيرك منك اللبنا
 يا زجاجاً يشتكي جور الحجز
 وإلام الصدر حزناً تليد ؟
 لذة التخليق قانون الحياة
 وخضر النار وأقيد كالخليل
 هو رمي الثرس في وقت الطعان
 من قفا الأثار منه الزمن
 حارب الدهر ، ولم يعبأ به
 يمنح الذرات شكلاً آخر^(٢)
 يمنع الأفلاك من دوراتها^(٣)
 ذلك العصر الذي يرضى به
 فالحياة الموت موت البطل
 وجنى في الثار ورداً كالخليل
 قسوة كامنّة في البطل
 استمع : صاح ، ذا شرع الحياة :
 حُب الاستيلاء فيه مضمّر
 يكسر الموزون من آياتها
 لصروف الدهر ذل طائع

(١) لا تكن وردة وكن كالبحر صلابة ، وكن سوراً يحمي الأزهار .

(٢) يغير نظام الموجودات إن لم تلائمه . يعني يستخر عالم الطبيعة في مراده .

(٣) يغير ما يزعمه الناس من تأثير الفلك وحكم الأيام .

قَاطِعٌ سُبُلَ الْحَيَاةِ الْخَوْرُ
 قَلْبُهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فَارِغٌ
 فِي كَمِينٍ رَاصِدٌ هَذَا اللَّثِيمُ
 أَحْذَرُنْ يَا صَاحِبَ مَنْ تَزِينُهُ
 إِنَّهُ يَخْفَى عَلَى أَهْلِ النَّظَرِ
 فِي ثِيَابِ اللَّيْلِ حِيناً يَظْهَرُ
 وَهُوَ طَوْرًا فِي ثِيَابِ الْمُجَبَّرِ
 وَهُوَ حِيناً فِي لِبَاسِ الثَّرَفِ
 مَا سِوَى الْقُوَّةِ لِلصَّدَقِ دَعَمٌ
 هِيَ مِنْ حَقْلِ الْحَيَاةِ الْحَاصِلِ
 مَدَّعَاهُ فِي غِنًى عَنْ حُجَّةٍ
 تَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا مَائِلًا
 سَطْوَةُ الْقُوَّةِ تُحْلِي مَا أَمَرَ
 أَتَاهَا الْغَافِلُ عَمَّا حُمِّلَا
 افْتَحَنَ عَيْنًا وَأُذِنًا وَفَمَا

قَلْبُهُ خَوْفًا وَكِذْبًا يُضْمَرُ
 لَيْشُهُ فِي كُلِّ خَبَثٍ وَالْغُ
 فَاحْذَرُنْ يَا صَاحِبَ الْعَقْلِ السَّلِيمِ
 إِنَّهُ الْجَرَبَاءُ فِي تَلْوِينِهِ^(١)
 لَيْسَ الْحَقُّ عَلَيْهِمْ وَاسْتَتَرَ
 وَهُوَ حِينًا فِي اتِّضَاعٍ يُسْتَرُ
 وَهُوَ طَوْرًا فِي حِجَابِ الْقَدَرِ
 يُلْبِسُ الصُّحَّةَ ثَوْبَ الدَّنْفِ
 اعْرِفُنْ نَفْسَكَ هَذَا جَامُ جَمِ^(٢)
 فَسَّرَ الْحَقُّ بِهَا وَالْبِاطِلُ
 إِنَّ تَحَدَّى الْمَدَّعِي بِالْقُوَّةِ
 وَهَنْ الْحَقِّ يُحَقِّقُ الْبَاطِلَا
 إِنَّ تَقِلَ لِلْخَيْرِ شَرٌّ فَهُوَ شَرٌّ^(٣)
 أَنْتَ فِي الْكَوْنَيْنِ أَعْلَى مَزَلَا
 تُبْصِرُ الْحَقَّ طَرِيقًا مُعَلِّمًا

(١) الضمير في هذا البيت والأبيات التالية يعود إلى الخور . وفيها يبين إقبال تعذير الضعفاء والتماس أسماء مختلفة لضعفهم .

(٢) جام جمشيد وهي كأس خرافية كانت ترى فيها الأقاليم السبعة .

(٣) ينبغي أن يذكر القارىء أن إقبالاً يعني قوة الروح والخلق أيضاً .

قصة فتى من مرو جاء إلى السيد المعظم علي الهجویری^(١) شاكياً بغي أعدائه

مُجْتَبَى هُجَوِيرَ مَقْصُودُ الْأَمَمِ
فَطَعِ الْأَطْوَادَ وَاجْتَازِ الشُّدُودَ
زَمَنَ الْفَارُوقِ مِنْهُ يُشْرِقُ
حَارِمُ الْعِزَّةِ مِنْ أَمِّ الْكِتَابِ
حَيْتُ الْبِنَجَابِ مِنْ أَنْفَاسِهِ
ذَا رَسُولُ الْعَشَقِ ، وَهُوَ الْعَاشِقُ

مَنْ رَأَى الْجِشِّيَ مِثْوَاهَ الْحَرَمِ^(٢)
بِأَذْرًا فِي أَرْضِنَا بِذَرِ الشُّجُودِ
وَبِهِ لِلْحَقِّ يَعْلُو مَنْطِقُ
مَعْقِلِ الْبَاطِلِ مِنْهُ فِي قُبَابِ
صُبْحُنَا نُورٌ مِنْ نِيرَانِهِ
فِيهِ سِرُّ الْعِشْقِ بِإِيقَارِ

قِصَّةُ أَشْرَدُهَا فِي أَسْطَرِ
قَدْ أَتَى لَاهُورَ مِنْ مَرُو فَتَى
جَاءَ عِنْدَ السَّيِّدِ الْعَالِيِّ الْجَنَابِ
قَالَ : إِنِّي فِي عُدَاةٍ لَوْ مُوا
عَلَّمَنِي أَهْلُهَا الشَّيْخَ الْكَبِيرُ
فَأَجَابَ الشَّيْخُ ، مِنْ فِيهِ الْجَمَالُ

طَاوِيأً فِي الْكِمِّ رَوْضَ الزَّهْرِ :
قَدْهُ كَالشَّرِّو عَالٍ قَدْ عَتَا
كَاشِفًا مِنْ نُورِهِ عَنْهُ الضُّبَابِ
كَزَجَاجٍ بِصُخُورٍ يُصَدِّمُ
كَيْفَ عِيشِي بَيْنَ أَعْدَاءِ كَثِيرِ
قَدْ تَجَلَّى فِي إِطَارٍ مِنْ جَلَالِ :

(١) الشيخ علي الهجویری مؤلف كتاب « كشف المحجوب لأرباب القلوب » في التصوف . كان من كبار الصوفية الذين وفدوا على البنجاب ، ووعظوا فيها ، ونشروا الدعوة الإسلامية . توفي سنة ٤٦٥هـ ومزاره في لاهور ، يقصده الناس من كل صوب ، ونسبته إلى هجویر إحدى قرى غزنة .

(٢) الشيخ معين الدِّين الجِشِّي أحد عظماء الصوفية ودعاة الإسلام في الهند . أسلم بدعوته كثير من الهنالك ، أقام في أجْمير وتوفي بها سنة ٦٣٢هـ ، ومزاره أعظم المزارات الإسلامية في الهند ، ويشير إقبال في هذا البيت إلى زيارة الجِشِّي قبر الهجویری في لاهور واعتكافه عنده زمناً .

أيها الغافل عن سر الحياة
 حرّزْ نفسك من يأسٍ وغمٍ
 إن رأى النفس زجاجاً حَجَرُ
 وإذا خارت قواه السائِرُ
 كم ترى نفسك طيناً قد حُقر
 فيم شكواك الرفيق النافعا
 كم عدو لك ، في الحق صديق
 قوة الأعداء فضلاً يعلم
 يوقظ الخصم قواك الهاجدة
 قوة العزم تذيب الحجرا
 تشحذ العزم عقاب السُّبُل
 ما حياة دون عزم مُحْكَم ؟
 زلزل العالم وافعل ما ترى
 اهجرن الذات إن تبغ الفناء
 ما الردى ؟ أن يدرك الذات الوَسْنُ
 يا أخا يوسف في الذات أقم
 أحكمن الذات وانهض عاملاً
 هاك سرّاً في حديث مؤنس
 « حَبْذا سرّ حبيب يُضَمَّرُ

لا يميزُ الخيرَ من شرِّ الحياة
 أنت بأمنٍ نائمٌ ، قُمْ لا تنم
 فهو في الحق ، زجاجٌ يُكسر
 قطع السُّبُلَ عليه الفاجرُ
 شعله الطُّور من العُيُنِ أُرز
 فيم شكواك العدو الخادعا
 أنت بالأعداء ذو غُصْنٍ وريق
 من مقام « الذات » حقاً يفهم
 مثل ما تحيي المواتِ الراعدة^(١)
 لا يبالي السيلُ صخراً إن جرى
 امتحانُ العزم بُعدُ المنزلِ^(٢)
 ما غناء العيش مثل النعم ؟
 إن حَبَّتْك الذاتُ عزمًا مُسْعِراً
 واعمرن الذات إن شئت البقاء
 أتراه بُعدَ روحٍ وبدنٍ ؟^(٣)
 ومن السُّجْنِ إلى المُلكِ استقم^(٤)
 ناصراً للحق ، سرّاً حاملاً
 افتح اليكُم بحرُ النفسِ^(٥)
 في حديثٍ عن سواءٍ يؤثّر^(٦) »

(١) السحابة الراعدة : الممطرة .

(٢) العقاب : جمع عقبة .

(٣) الردى : أن تغفل الذات لا أن يفارق الروحُ البدن .

(٤) كن مثل يوسف أقام في نفسه فأحكمها ، فمضى من السجن إلى الوزارة .

(٥) أبدي السر في قصة قصيرة ككم الزهرة .

(٦) هذا البيت من شعر جلال الدين الرُّومِي .

قصة الطائر الذي أجهد العيش

كدخان نفساً قد صعدا
صاغها ماء لعينه الصدى
فراى الجاهل ماء في الصخر
لم يصب ماء بنقر الجواهر
تضرب المنقار في جمي سدى
ما أنا من أجل غيري باقيه
لحياة نورها منها بدا
وترى الإنسان منه ينهر
فتولّى عن سناها لغبا
زفراوات لحنه يصقّد

طائر من ظمأ قد جهدا
قد رأى الماسة مثل الندى
خدعتة شجرة مثل الشرر
لم يجد رياء بضرب المنقر
قالت الشجرة : جئت الهدى
لست ماء . لا تراني ساقيه
جاهل يقصد هضمي ما اهتدى
كل منقار بمائي ينكسر
ما رأى الطائر فيها أربا
حسرة في صدره تقد



قطرة في غضن ورد خفيل
ولخوف الشمس فيها رعدة^(١)
شاقه الجلوة في هذا الفضاء^(٢)
لم يزود من حياة نصيب^(٣)
زانت الهذب وكادت تقطر

وأضاءت مثل دمع الببل
لضياء الشمس فيها منة
كوكب يرعد من نسل السماء
غره الأكماء والزهر الخصيب
قطرة من دمع صب تبهر

(١) هي مضبئة بنور الشمس ، وهي في خوف أن تجف في أشعة الشمس .

(٢) قطرة الندى كأنها كوكب من السماء تجلى على الأرض ، والندى في شعر إقبال يرمز أحياناً للأمور العلوية .

(٣) الأكماء : أكماء الزهر ، وهذه القطرة سريعة الزوال ، لم تأخذ نصيباً من الحياة الذاتية .

فمضى الطائر فيها راغباً
أيها الباغي عدواً تقهراً !
حينما الطائر أضناه صباه
كانت الشذرة عضباً يُرهّب
قوة الذات احفظنها أبداً
أنضج القطرة كالطود تُرى
أثبتت الذات وفيها حَقُّق
ومن الذات أبى أسرارها



قصة الألماس والفحم

قصة أخرى بها أدلي إليك
قال للألماس فحم المعدن :
نحن صنوان نمانا والد
وعلى التيجان أنت الزينة
لك حسن في المرايا يسطع
من ظلامي قد أضاء المجرم
مطوية الأقدام بين البشر
إن حالي بيضاء لآخرى
إنني موج دُخانٍ يُعقد
ومن الأنجم فيك الرؤى

بل بالقطرة خلقاً لاها
قطرة أنت ، تُرى ، أم جوهر ؟
حي نفساً بحياة من سواه
لم تكن قطرة طل يُشرب
وكن الألماس لا قطر الندى
حاملاً غيماً مُفيضاً أنهاراً
فضة كن بالتثام الزئبق^(١)
حرّكن عن لحنها أوتارها

يفتح الحقُّ بها باباً عليك :
يا حليف الثور طول الرّمن !
أصلنا في الكون أصل واحد
وأنا في الثّرب حظي الذلة
وأنا من كفّ ترب أضيع
ورماداً أض في الجوهر
قد رموا في مهجتي بالشّرر
هل ترى أصلي وفصلي هل ترى ؟
كل ما في شرارٍ يصعد
كل جنب فيك نورٌ يُشرق

(١) كن في صلابة الفضة باجتماع الذرات المضطربة كالزئبق .

تَارَةً نَوْرٌ بَعِيْنِي قِيَصْرَا

تَارَةً فَصْرٌ يَزِيْنُ الْخِنْجَرَا

قَالَ : فَاسْمَعْ يَا رَفِيقِي وَافْهَمْ أَ
شَيْئاً فِيمَا حَوْلَهُ حَرْباً وَمَرَّ
هَيْكَلِي مِنْ نَضْجِهِ قَدْ نَوَّرَا
أَنْتَ مِنْ ضَعْفٍ وَكِيَانٍ تَنْفَقُ
أَهْجُرُنْ خَوْفَاً وَغَتَاً لَا تَهْنُ
مِنْ أَجَادِ السَّعْيِ وَالْأَخْذِ مَعَا
وَبِحَجَرِ الْكَعْبَةِ انْظُرْ حَجَرَا
جَاوَزَ الطُّوْرَ عِلَاءَ لَا جَرَمِ
قُوَّةُ الْأَحْيَاءِ عَزٌّ وَنَجَاةُ

يَنْضَجُ التُّرْبُ فَيَغْدُو خَاتِمَا
وَعْدَاً بِالْحَرْبِ صُلْباً كَالْحَجَرِ
وَبَصْدَرِي كَمْ شِعَاعٍ أَسْفَرَا
وَيَلِيْنِي فِي قَوَامٍ تُخْرِقُ
وَانْضَجَنْ كَالصَّخْرِ وَالْأَلْمَاسِ كُنْ
فَهْوَ فِي السَّذَّارِيْنِ بَدْرٌ طَلَعَا
كَانَ مِنْ قَبْلُ تَرَاباً حُقِرَا
وَرَجَحْتُ تَقْيِيْلَهُ كُلُّ الْأُمَمِ
وَالْوَنَى وَالذُّلُّ مِنْ ضَعْفِ الْحَيَاءِ

قِصَّةُ الشَّيْخِ وَالْبِرْهَمِيِّ ، وَمَحَاوِرَةُ نَهْرِ الْجَنَاحِ وَجَبَلِ هِمَالَا فِي مَعْنَى دَوَامِ حَيَاةِ الْأُمَّةِ بِالتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهَا

بِرْهَمِيٌّ فِي بَنَارِيْسَ عِلْمٌ
بِرَجَالِ اللَّهِ يَحْفَظِي فِعْلُهُ
عَقْلُهُ فَوْقَ الثَّرِيَّا قَدْ عَلَا
فَكَرَهُ الْعَنْقَاءُ إِمَّا حُلِقَا
كَاسُهُ دَهْرًا خَلَّتْ مِنْ خُمْرَةٍ
فِي رِيَاضِ الْعِلْمِ أَلْمَى شَبَكَا

غَائِصٌ فِي فِكْرٍ كَوْنٍ وَعَدَمٍ^(١)
وَمِنْ الْحِكْمَةِ وَافٍ كِفْلُهُ
ذَهَبُهُ مَاضِي يُحُلُّ الْمَشْكَلا
شَعْلَةٌ مِنْهَا السُّمَّاكُ احْتَرَقَا
قَدْ حَمَاهُ الرَّاخُ سَاقِي الْحِكْمَةِ
طَائِرَ الْمَعْنَى بِهِ مَا أَدْرَكَا

(١) بَنَارِيْسَ : الْمَدِينَةُ الْمُقَدَّسَةُ فِي الْهِنْدِ عِنْدَ الْهِنْدُوسِ .

فَكَرَّهَ أَذْمَى وَلَكِنْ لَمْ تَزَلْ
أَعْرِبَتْ عَنْ يَاسِهِ أَهَائِهِ
سَارِ يَوْمًا نَحْوَ شَيْخٍ كَامِلٍ
لَقِيَ الشَّيْخَ بِنَفْسٍ رَاجِيَةٍ
فَأَهَابَ الشَّيْخُ : يَا خِدْنُ السَّمَاءِ
ضَقَّتْ فِي الْأَرْضِ مَجَالًا فَعَلَا
طَاوِي الْأَفْلَاكَ ! فِي الْأَرْضِ قُمْ
لَا أَقُولُ أَهْجُرُ غَدًا أَصْنَامَكَ
يَا أَمِينًا لِتَرَاثِ الْأَوَّلِينَ !
بِاجْتِمَاعِ الشَّمَلِ تَحْيَا الْأُمَّةُ
لَمْ يَكْمُلْ فِيكَ حَتَّى كَفَرُكَ
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ فِينَا هُجِرَا
قَيْسُنَا مَا هَامَ خَلْفَ الْمُحْمَلِ
إِنَّ شَمْعَ الذَّاتِ فِينَا لَانْطَفَاءُ



عُقِدَ الْأَكْوَانُ فِيهِ دُونَ حُلٍ
وَحَكَمْتَ خَيْرَتَهُ نَظَرَاتِهِ
رُبَّ صَذِيرٍ بِفُؤَادِ أَهْلِ
تَحَسَّنُ الصَّمْتُ ، وَأَذِنَ وَاعِيهِ :
أَهْطَلْنَ الْأَرْضَ وَارِعَ الدَّمَمَا
فَكَرُّكَ الْمَقْدَامِ فِي أَوْجِ الْعُلَى
لَا تَطِيرُ تَطْلُبُ سِرَّ الْأَنْجُمِ
كَافِرٌ أَنْتَ فَخَذُ زُنَّارِكَ
لَا تَدْعُ نَهْجَ الْجُدُودِ الْأَقْدَمِينَ
وَكِذَاكَ الْكُفْرُ فِيهِ وَحْدَةٌ
لَيْسَ أَهْلًا لِفُؤَادِ صَدْرِكَ
وَيَعُدُّكُمْ أَنْتُمْ عَنْ آزْرَا^(١)
فِي جَنُودِ الْعِشْقِ لَمَّا يَكْمُلُ
كَيْفَ يُجَدِّدُنَا طَوَافٌ فِي السَّمَاءِ

جَاشَ نَهْرُ الْجَنَاحِ يَوْمًا جَائِلًا
حَامِلًا مِنْ بَرْدٍ أَوْقَازِهِ
فِي سَفُوحٍ مِنْ هِمَالَا قَائِلًا :
عَاقِدًا مِنْ أَبْهَرِ زُنَّارِهِ !^(٢)

(١) يدعو هذا الشيخ إلى استمساك البرهمي بدينه وكماله فيه ما دام برهمنياً . ويرى الكمال ولو في الكفر خيراً من النقص . ثم يقول : إنَّ الموحدين لا يسيرون على نهج إبراهيم الذي كسر الأصنام ، والوثنيين لا يتبعون آزر الذي نحتها .

(٢) الخطاب من نهر الجنيح لجبل همالا ، وخلاصة المحاوراة : أن النهر يعبر الجبل بالمعجز عن المسير فيجيب الجبل بأن البقاء في ثبات الكائن في مقامه ، وأنَّ الفناء في زواله عن مقوماته . وهذه المحاوراة تصوّر رأي إقبال في إثبات الإنسان ذاته وتقويتها ، وأنَّ نقيها ، أو الغفلة عنها يودي بها .

صاغتك الحق نجياً للثماء
 قُيِّدت رجلك عن سير فما
 إنما العيش مسيرٌ وُصِّلا
 غضِبَ الطَّوْدُ لقول النَّهْرِ
 قال : يا مرآة وجهي ! ويلكا
 إنَّ هذا الشَّيْرَ فيه الخَيْنُ لك
 بمقام لك هلاً تائبه !
 يا وليد الفلك المرتفع !
 قد وهبت النفس بحراً غاصبا
 كُنْ كورِدٍ في رُباه عاكفٍ
 إنما العيشُ نِماءٌ في المكان
 في دهورٍ لم تُزَحْزَحْ أرجلي
 وإلى الأفلاك قُدِّي يصعد
 أنت تَفْنَى في خِصْمٍ خِضْمٍ
 وبعيني لاح سرُّ الفلك
 وبنارِ الجَدِّ طوَلُ الدَّهْرِ
 « صخرٌ قلبي وناري في الصَّخْرِ
 قطرةٌ إن كنت فاحفظ نفسك
 وابتغِ الثَّورَ وكن ذِراً يُضَيءُ
 أو فزد واعلُ سحاباً ممطرا

وحمى رجلك سيراً في العراء
 هينةً فيك ورأسٌ قد سما ؟
 وحياة الموج في أن يجفلا
 فرمت أنفاسه بالشرر
 كم حوى صدري بخاراً مثلكا
 من يزل عن نفسه يوماً هلك
 أفخارٌ بالرَّدى يا أبله !
 صرْتَ دون السَّاحِلِ المتَّضِعِ
 وأبحت الرُّوحَ لصاً سالباً
 لا تَرُمُ للريح كفَّ القاطف^(١)
 ويروض الذَّاتَ قطفُ الأَقْحوانِ
 أتراني زائلاً عن منزلي ؟
 فعلى سفحي الشُّربا ترقد
 وقلالي مسجدٌ للأنجم
 ويسمعي طيرانُ القَلْبِ
 قد حوى صدري صنوفَ الجواهر
 ليس للماء إلى ناري ممرٌ^(٢)
 جاهد الأمواج واجنُبْ بأسكا
 ثم كن قُرْطاً على وجهٍ وضيء
 يُشعل البرق ويهمي أبصاراً^(٣)

(١) الريح : الرائحة . لا ترم أن يقطفك الناس لتفوح رائحتك .

(٢) اقتباس من جلال الدين الرومي مع تغيير في اللفظ .

(٣) إن كنت ماءً فاحفظ نفسك في البحر حتى تصير لؤلؤة . أو كن سحاباً ذا برق ورعد

يجتدي منك البحر ماء .

يسيطر البحر لجوداك يدا شاكياً من فاقة يرجو الندى
فهو في فيضك دون الموجهة وهو في جوداك بادي الذلة

في بيان أن حياة المسلم لإعلاء كلمة الله وإن كان الباعث على الجهاد « جوع الأرض » فهو حرام في شريعة الإسلام

صبغة الله أبرز في قلبك إنما المسلم بالحب قهر غض بالحق ، وبالحق نظر في رضاه لرضا الحق فناء في ربي التوحيد أرسى العمدا وعليه يشهد الداعي الأمين فدع القال إلى الحال الجلي وكن الدرويش في زبي الأمير واقصدن الحق في كل الفعال خير الحرب إذا رمت الإله نحن إن لم نعمل حقاً سيفنا	والهوى والضيت دغ في حبك مسلم لا حب فيه قد كفر وله في الحق نوم وسهر كيف يرضى الناس هذا الادعاء؟ ^(١) وعلى الناس جميعاً شهدا شاهد أصدق كل الشاهدين وأضئ بالحق ليل العمل ذاكراً لله يقظان الضمير يسطعن فيك من الحق جلال شر التلم إذا رمت سواء اكتسى في الحرب عاراً صفنا
--	--

(١) الحق : الله تعالى . يبلغ المؤمن درجة يفنى فيها رضا الحق في رضاه . أي يكون رضاه رضا الحق . والشرط الثاني مأخوذ من جلال الدين الرومي .

شيخنا الشيخ (ميانمير) الولي
كان ثبناً في طريق المصطفى
قبره الإيمان في أوطاننا
سجد النجم على أعتابه
غرس الملك هواء في الفؤاد
بالهوى أضرم ناراً قلبه
دوّخت أجناده كل وطن
ديدن المسلم للحق التجاء
قصده الشيخ العلي القدر
صمت الشيخ لقول المالك
قطع الصمت مريد أقدم
قال : مولاي ! اقبل النذر الحفيظ
عرقني من كل عضو قد همي
قال : سلطاني به أولى يدا

من سناء كل سرّ ينجلي^(١)
يزهر العشق بحق عزفا
مشعل النور على بلداننا
كان ملك الهند من طلابه
طالباً في حرصه فتح البلاد
مقرناً « هل من مزيد » عصبه^(٢)
وتوالى الفتح في أرض الذكن
يحكم التدبير منه بالدعاء
راجياً منه دعاء الظفر
وصفى كل مريد سالك
أمسكت إحدى يديه درهما
أنت للمسكين بالحق نصير
قبل أن تمسك كفي الدرهما
سائل في حلة الملك بدا^(٣)

(١) القصة التي نظمها الشاعر في هذا الفصل كانت بين السلطان شاهجهان والشيخ ميانمير وشاهجهان أحد سلاطين الدولة الإسلامية المغولية في الهند . ولا تزال آثاره في العمارة زينة الهند كلها ومفخرتها . وهو باني المزار ذائع الصيت « تاج محل » في مدينة أجرا . شاده لزوجته ممتاز محل . حكم (١٠٣٧ - ١٠٦٨ هـ) ومير محمد المعروف بميانمير هو أحد مشايخ الطريقة القادرية في الهند ولد في السند سنة ٩٣٨ هـ . وأخذ عن شيخه الشيخ محمد خضر ، ثم انتقل إلى لاهور ، فأخذ عن مشايخها . وقد عظمت مكانته ، فكان يزوره السلطان جهانجير ثم ابنه شاهجهان صاحب القصة . وتلمذ له عبد الحكيم السيالكوتي المعروف في علم الكلام . توفي سنة ١٠٤٥ هـ ومزاره مقصد الزائرين في لاهور اليوم .

(٢) هل من مزيد جاءت في الأصل بلفظها العربي . يعني جعل سيفه يقول : هل من مزيد .

(٣) قال الشيخ : سلطاني . إلخ .

وعلى الشمس تولّى والقمر
عينه فوق سماط الآخرين
نفسه يّني ويُردي عالمًا
شقي المسكين من جوع يديه
قطّع الطُّرُقَ على ركب البشر
نهبه فتحاً . وبئس المدّعي
بسيوف الجوع منه شذّر
وخرابُ الملّك جوعُ الدّائل
سيفه في صدره قد أغمدا

ملّكنا أفقر من كلّ البشر
جوعه بالنّار يصلي العالمين
سيفه بالقحط والموت رمى
ضجت الأقوام من فقر لدية
حكّمه في النّاس شرّاً وأشر
بخداع النّفس والجهل دعا
عسكرُ الملّك وما قد أسروا
غصّة السائل جوع السائل
من لغير الله سلّ الغمدا



نصيحة مير نجاته النقشبندي المعروف بباباي صحرائي (الأب الصّحراوي) التي كتبها لمسلمي الهند

من ضمير الذات نلت المولدا
قطرة كن واشرب البحر صدى^(١)
والغنى في حفظ هذي السلعة
يا أسير الوهم أخطأت الفهم
سأنبئك بأسرار الحياة :
وظهور بعد هذي الخلوة
واشتعال بعد يُعشي البصرا
واجعلن نفّسك بيت الحرم
من هوي لا تخف ، مثل العقاب

أنت كالورد من الأرض بدا
لا تعدّ الذات واخلد أبدا
إنما الرّيح بهذي الثروة
أنت موجود وفي خوف القدم
عندي الخبر بأوتار الحياة
غوصة في النفس غوص الدرة
هي جمع من رماد شورا
هي حول الذات طوف فاعلم
خلّقن في اللّوح عن جذب التراب

(١) كن قطرة لا ترضى بغاية فهي تشرب البحر في ظمئها . الصدى : الظلما .

أَنْتَ إِنْ لَمْ تَكُ طَيْرًا وَيَحْكَا
 أَيُّهَا الْجَاهِدُ فِي كَسْبِ الْعُلُومِ
 « إِنَّمَا الْعِلْمُ لَدَى الْجِسْمِ شِفَاءُ
 قِصَّةُ الرُّومِيِّ تَقْضِي بِالْعَجَبِ :
 وَعَلَى رَجُلَيْهِ لِلْعَقْلِ قِيُودُ
 هُوَ مُوسَى دُونَ طُورٍ يُشْرِقُ
 وَعَنِ الْإِشْرَاقِ وَالشُّكِّ حَكْيُ
 وَعَنِ الْمَثْنَاءِ^(٤) حَلُّ الْعَقْدَا
 وَحَوَالِيهِ حِمَاوَانُ الْكُتُبِ



أَمْ يَوْمًا مَكْتَبَ الْمُلا جَلالُ
 قَالَ : مَاذَا الْقَالُ وَالْقِيلُ وَمَا
 صَرَخَ الرُّومِيُّ : مَهْلًا يَا جَهْلُ !
 أَخْرُجْنِي مِنْ مَكْتَبِي يَا أَبْلَهْ !
 قَالْنَا أَرْفَعْ مَنَّا نَعْقِلُ
 نَارُ شَمْسِ الدِّينِ زَادَتْ حُرْقًا
 فَاسْتَطَارَ الْبَرْقُ مِنْ نَظَرَتِهِ

(١) إشارة إلى قصة الغار والحمامة التي عشتت عليه . يعني إن لم تكن ذا همّة تطير عن الأرض فلا تطلب المتزلة الرفيعة .

(٢) بيت من جلال الدين الرومي .

(٣) سلك الدر : نظمته في السلك .

(٤) أي : الحكماء المشائين .

(٥) شيخ تبريز شمس الدين التبريزي الصوفي الذي أرشد جلال الدين الرومي إلى التصوف ، وكمال هو : كمال الدين الجنيد شيخ شمس الدين .

فلإذا الأدراك من نارِ القلوب
جهل الرومي عشقاً أضرم
قال : هذي النارُ ما قصَّتها ؟
قال شمسُ الدين يا ذا المسلم !
حالتنا أرفعُ مما تُفكرُ



محرقٌ والكتبُ منها في لهيب
ما درت أوتارُه ذا النغما
أحمرقت أسفارنا وقدرتها
ذوقنا والحال أنى تعلم ؟
ولفاننا الكيمياء الأحمر^(١)

تجمع الحكمة زاداً بردا
من هشيم فيك أذكِ اللهب
من لهيب القلبِ علمُ الكامل
صدَّ إبراهيمُ عمّا يأفلُ
قد نبذت الدين ظهرياً وما
أيها الساعي لكحل المُقل
من فم الثنين فابغِ الكوثرا
حجرَ الكعبة من بيت الوثن
طغىء العشق بعلم الحاضرِ

فسحاب الفكر يهني بردا^(٢)
من تراب فيك أطلع شهباً
مقصداً الإسلام ترك الأفل^(٣)
فحوته كالجنان الثقل^(٤)
تبتغي بالدين إلا الدرهما
غافلاً عمّا به من كحل^(٥)
وامألن ماء الحياة الخنجرا^(٦)
التمس والمسك في الكلب اطلبن
لا تؤمِّل كأسَ هذا الكافر

(١) انتهت قصة الرومي والتبريزي .

(٢) بردا الأولى فعل ماض ، والثانية : البرد الذي ينزل من السحاب .

(٣) إشارة إلى قصة إبراهيم الخليل في القرآن الكريم وقوله حينما أفل الكوكب ثم القمر :

﴿ لا أحب الأفلين ﴾ . وكان الشاعر تصور الأفل خامداً . فقال : إن علم المسلم من

نار القلب . والإسلام ترك ما يأفل ، أي : يخمد .

(٤) إشارة إلى قصة إلقاء إبراهيم في النار ، وكونها برداً عليه وسلاماً .

(٥) الكحل سواد طبيعي في متابت أشفار العين . يقول الشاعر : أيها الساعي للجمال

المصنوع غافلاً عن جماله الطبيعي ، يعني : المسلم المقلد غيره ، الغافل عما عنده .

(٦) يعني : اركب الأهوال وراء ما تبتغي ، واطلب المنفعة عن كل ضار ، واجعل ماء

الخنجر أي بريقه ماء الحياة .

وعرفت السُّرَّ في العلم الجديد
 قِيمُ البستان بعد الخبيرة
 يعبد الوثن وفيها يتجر
 وله الظاهر سجن مغلق
 وضعت في حلقه السيف يدا
 شعله كالطل في بارده^(١)
 في طلاب الحق تبدو خبته
 مبضع العشق لدى العقل شفاء
 هو محمود لأصنام العقول^(٢)
 ليله عن وجد « يا رب » سلا^(٣)

قد براني السعي في كل بعيد
 وحباني سر هذي الجنة
 علم ذا العصر حجاب أكبر
 من حدود الحسن لا ينطلق
 زلقت رجلاه في سبل الحياة
 كشقيق فيه نار هامة
 من لهيب العشق تخلو فطرته
 حلل العقل لها العشق دواء
 سجد العالم للعشق الجليل
 جامه من نشوة الزاج خلا



كل سرور غير أكبرته^(٤)
 بلحون الناس أعليت صدك
 وسماط الناس تجدوه يداك
 أحرق المسجد من دير شرر
 فرماه صائد في الثغرة^(٥)

مروك الباسق قد أغفلته
 أنت كالثاي خلّي من جواك
 تبتغي نفسك في سوق يسواك
 من سراج الناس نادينا استعر
 ظمينا خاف سواد الكعبة

- (١) علم هذا العصر فيه نار كنار الشقائق لا حرارة فيها ، وله طريق كبير في الندي لا نار فيه .
 (٢) السلطان محمود الغزنوي فاتح الهند الملقب بمكسر الأصنام . يعني : أن العشق كمحمود ، والعقول كالأصنام .
 (٣) الضمير في هذا البيت يرجع إلى العقل أو علم العصر الحاضر ، ليس في كاسه نشوة . ولا في ليله دعاء « يا رب » وما فيه من وجد .
 (٤) يرجع يخاطب المسلم .
 (٥) نفر من سواد الكعبة فخرج من الحرم فتمكن من الصيد .

ورقُ الوردَةِ كالْعَرَفِ انتَشَرَ
يا أَمِينَ السِّرِّ مِنْ أُمِّ الْكِتَابِ
نَحْنُ حُرَّاسُ حَصُونِ الْأُمَّةِ
أَكُوسُ الشَّاقِي أَرَاهَا يَكْسِرَا
تَعْمُرُ الْكَعْبَةَ مِنْ أَصْنَامِنَا
شَيْخُنَا بَاعَ الدُّمَى مِلَّتَهُ
شَيْخَ الشَّيْخِ يَبَاضُ الشَّعْرُ
قَلْبُهُ يَبْتَ لِأَصْنَامِ هَوَاةٍ
يَلْبِسُ الْخِرْقَةَ مِنْ يُرْخِي الشَّعْرُ
بِعَرِيدِهِ أَدَامَ السُّفْرَا
أَعْيُنُ عُمَى حَكَاهَا النَّرْجِسُ
عَبْدُ الْأَشْيَاخِ فِينَا الْمَنْصِبُ
وَأَعْظَ عَيْنَاهُ شَطْرَ الْوَثَنِ
وَجْهَهُ لِلْحَنَانِ وَلَّى شَيْخُنَا

جَافِلًا مِنْ نَفْسِهِ! عُدَّ لِلْمَقَرِّ^(١)
هَلْ إِلَى وَحْدَةٍ مَاضِينَا إِيَابُ؟
كُفَرْنَا تَرَكْ شَعَارِ الْمَلَّةِ
حَفَلُ نُذْمَانِ الْحَجَّازِ انْتَشَرَا
يَضْحَكُ الْكُفْرُ عَلَى إِسْلَامِنَا^(٢)
جَاعِلًا زُنَّارَهُ مُبْهَتَةً^(٣)
وَهُوَ لِلْأَطْفَالِ مِثْلُ الشَّخَرِ^(٤)
فَهُوَ صِفْرٌ مَقْفَرٌ مِنْ « لَا إِلَهَ »^(٥)
أَوْ! لِلتَّاجِرِ بِالذِّينِ اتَّجَرُ
فِي هُدَى أَمْنِهِ مَا فَكَّرَا
وَصُدُورٌ مِنْ قُلُوبِ تَغْلِيْسُ
حُرْمَةُ الْأُمَّةِ مِنْهُمْ تَذَقَّبُ
وَفَتَاوَى تُشْتَرَى بِالثَّمَنِ
« يَا رِفَاقِي بَعْدُ مَا تَدْبِيرُنَا »^(٦)



- (١) يرى إقبال أنَّ الإنسان ينبغي أن يثبت في نفسه وأخلاقه وسنته . ويبعد في مساعيه دون أن ينسى مركزه فهو كالوردة ينتشر عرفها ويلتشم ورقها . فإذا تفرق الورق فنيث .
(٢) نحن مسلمون ولكن في أنفسنا وثنية من عبادة الهوى والخضوع لغيرنا .
(٣) الدُّمَى : جمع دمية ، يراد بها الإنكليز وما عندهم من مال ومناصب . . إلخ .
(٤) يعني : أن الشيخ صار شيخاً بابيضاض شعره لا بعلمه وتقواه . والأطفال يسرون وراءه ساخرين منه . وأحسب الشاعر يعني ضرباً من رجال الطرق في الهند .
(٥) « لا إله » اختصار لا إله إلا الله حيثما جاءت في شعر إقبال .
(٦) مأخوذ من بيت لحافظ الشيرازي :
شب از مسجد سوی میخانه آمد بیرما چیت یاران طریقت بعد ازیں تدبیرما

نَضَّرَ اللهُ تَرَابَ الشَّافِعِي
فَيَكْرُهُ قَدْ صَادَ نَجْمًا لَامِعًا
فَاتَ خَوْفًا وَرَجَاءً صَاحِبُهُ
تُغْدِقُ الصَّخْرَةَ مِنْ ضَرْبَتِهِ
كَانَ هَذَا السَّيْفُ فِي كَفِّ الْكَلِيمِ
شَقَّ صَدْرَ الْبَحْرِ لَمَعَ الْقَبَسِ
وَبِهَذَا السَّيْفِ يَوْمَ الْخَطَرِ
سَحَرَ الْأَلْبَابَ هَذَا الْأَلَمِي
حِينَ سَمِيَ الْوَقْتُ سَيْفًا قَاطِعًا
كَفَّهُ كَفُّ كَلِيمٍ ، ضَارِبُهُ
وَيَغِيضُ الْبَحْرُ مِنْ صَوْلَتِهِ
فَشَا التَّذْيِيرَ بِالْعَزْمِ الصَّمِيمِ
صَيَّرَ الْقَلْبُومَ مِثْلَ الْيَسِّ
زَلَزَلَتْ خَيْرَ كَفِّ الْحِيدِ^(٢)



مَمَكْنُ إِبْصَارُ دَوْرِ الْفَلَاحِ
يَا أُسِيرَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ انظُرَا^(٣)
أَنْتَ فِي النَّفْسِ بَذَرْتَ الْبَاطِلَا
وَذَرَعْتَ الْوَقْتَ طَوْلًا ، لِلشَّقَاءِ
وَجَعَلْتَ الْخَيْطَ زُنَّارًا لَكَ
صِرْتَ يَا إَكْبَرُ تُرِبًا سَافِلَا
اقْطَعِ الزُّنَّارَ حَرًّا لَا تَهْنُ
إِيهِ يَا غَافِلُ عَنْ أَصْلِ الزَّمَانِ
يَا أُسِيرَ الصُّبْحِ وَالْمُسَى اعْقِلُنْ
وَتَوَالِي نُورِهِ وَالْحَلَاكِ
انظُرُنْ فِي الْقَلْبِ كَوْنًا سُرَا
وَحَسِبْتَ الْوَقْتَ خَطَأً طَائِلَا
بِذِرَاعٍ مِنْ صَبَاحٍ وَمَسَاءِ
صِرْتَ لِلْأَصْنَامِ نَذَا وَيْلَكَ
يَا وَلِيْدَ الْحَقِّ صِرْتَ الْبَاطِلَا
شَمْعَةً فِي مَحْفِلِ الْأَحْرَارِ كُنْ
كَيْفَ تَدْرِي مَا خَلُودُ الْحَيَوَانِ^(٤)
« لِي مَعَ اللَّهِ » بِهَا الْوَقْتُ اعْرِفُنْ^(٥)

(١) الوقت سيف من كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه .

(٢) حيدر : علي بن أبي طالب .

(٣) انظروا : فعل الأمر مع نون التوكيد الخفيفة .

(٤) الحيوان : الحياة .

(٥) إشارة إلى الأثر : لي مع الله وقت لا يعني فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، ويريد =

كُلُّ مَا يَظْهَرُ ، مِنْ تَسْيَارِهِ
مَا مِنْ الشَّمْسِ أَرَاهُ يَوْجَدُ
وَبِهِ الشَّمْسُ أَضَاءُ وَالْقَمَرُ
قَدْ بَسَطَتْ الْوَقْتَ بَطْأً كَالْمَكَانِ
يَا شَذَا قَدْ فَرَّ مِنْ بَسْتَانِهِ
وَقَتْنَا بَيْنَ الْحَنَايَا صَافِرُ
الْحَيَاةِ الدَّهْرِ يَا مَنْ عَرَفَا



نَكْتَةً كَالدُّرِّ خَذَهَا رَائِقَةً
حَيْرَةُ الْعَبْدِ مَسِيرُ الزَّمَنِ
يَنْسُجُ الْعَبْدُ عَلَيْهِ كَفْنَا
وَتَرَى الْحَرَّ مِنَ الطِّينِ نَجَا
قَفْصُ الْعَبْدِ صَبَاحٌ وَمَاءٌ
وَبَصْدُرِ الْحَرِّ ثَارَ النَّفْسِ
فَطَرَةُ الْعَبْدِ حُصُولُ الْحَاصِلِ
فِي مَقَامٍ مِنْ هَمُودٍ رَاكِدُ
وَمِنْ الْحَرِّ جَدِيدُ الْخَلْقَةِ
قَيْدُ الْعَبْدِ صَبَاحٌ وَمَاءٌ

وَالْحَيَاةُ السَّرُّ مِنْ أَسْرَارِهِ^(١)
إِنَّهَا تَفْنَى وَهَذَا يَخْلُدُ
وَبِهِ فِي الْعَيْشِ مَا سَاءَ وَسَرُّ
وَفَرَّقَتِ الْيَوْمَ مِنْ أَمْسِ الزَّمَانِ
وَحَبِيسَ السَّجْنِ مِنْ بَنِيَانِهِ^(٢)
لَيْسَ فِيهِ أَوَّلٌ أَوْ آخِرُ
« لَا تَسْبُوا الدَّهْرَ » قَوْلُ الْمُصْطَفَى

بَيْنَ حَرٍّ وَرَقِيقٍ فَارِقَةٍ :
حَيْرَةُ الْأَزْمَانِ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ
مِنْ صَبَاحٍ وَمَاءٍ مُذْعِنَا
نَفْسِهِ حَوْلَ اللَّيَالِي نَسْجَا
يُحَرِّمُ التَّحْلِيْقَ فِي جَوْ السَّمَاءِ
طَائِرِ الْأَيَّامِ فِيهِ يُحْبَسُ
لَيْسَ فِي تَفْكِيرِهِ مِنْ طَائِلِ
نَوْحِهِ لَيْلاً وَصَبْحاً وَاحِداً
كُلُّ حِينٍ ، وَحَدِيثُ النِّعْمَةِ
وَتَوَى فِي فَمِهِ لَفْظُ الْقَضَاءِ^(٣)

الشاعر أن يقول إن الوقت حال الإنسان ، لا ساعات الفلك .

(١) الضمير يرجع إلى الوقت .

(٢) يقول الشاعر : إنك أحياناً كالرائحة لا تثبت في بستانها ، وأحياناً سجين في سجن بته

يد تسير مع ساعات الزمان ، وتحبس نفسك فيها والوقت هو أنت .

(٣) لفظ القضاء والقدر ، يعتل به ، ويحيل الأمور عليه .

وأرى الحرَّ مُشيراً للقَدَرِ صَوَّرَتْ كَفَّاهُ أَحْدَاثُ الدَّهْرِ^(١)
عنده الماضي التقى والقابل عاجلٌ بين يديه الأجل^(٢)



ضاقَ عن معنَيَّ حرفٌ وصَدَى
قلتُ ، واللفظُ من المعنى خَجِلُ
مات معنى في حروف يُحبَس
سرٌّ غيبٍ وحضورٍ في القلوب
إنَّ للوقتِ لَلحنأَ صامتا
أينَ أيامٌ بها سيفُ الدهرِ
قد غرَسنا الدِّينَ في أرضِ القلوبِ
وَمِنَ الدُّنْيَا حَلَلْنَا العُقْدَا
مِنَ دنانِ الحقِّ صرَفْنَا الرِّحْقِ
يا مديراً الرِّاحِ في أضواءِها
من غرورٍ واختيالٍ تَنَكَّرُ
كأُسْنا كانتِ سراجُ المحفِلِ
إنَّ هذا العصرَ مِن آثارنا

عجزَ الإدراكُ في هذا المدى
وشكا المعنى من اللفظِ المَجِلِ
نارَه يُخمِئُ منك النفسُ
رَمَزُ وقتٍ ومرورٍ في القلوبِ^(٣)
ولهُ في القلبِ سرٌّ خافِئاً^(٤)
صرَفْتُهُ في أيادينا القُدَرِ!^(٥)
وجلونا الحقُّ من سترِ الغيوبِ
واستنارَ الثُّربُ مِنَّا سُجَّداً
وقدَمْنَا حائَةَ العصرِ العتيقِ
ومُذِيبَ الكأسِ من لآلِئِها^(٦)
ومن الفقرِ لدينا تَسَخَّرُ
صَدَرُنَا كَأَنَّ لِقَابِ مُشَقِّلِ
من عَجَاجِ نارٍ في تسيارنا

- (١) عزم الحر من القضاء ، ويقول الشاعر في هذا : إن القضاء يستشير الحرَّ فيما يفعل .
- (٢) لا يعتل بأن شيئاً قد فات وقته وأن شيئاً لم يحن وقته . بل عزمه بطوع كل وقت لما يريد .
- (٣) القافية مردوفة والروي في حضور ومرور .
- (٤) أبيات إقبال هذه في الوقت وفي التفريق بين العبيد والأحرار من أروع ما عرفته الفلسفة والشعر .
- (٥) في هذا البيت والأبيات بعده يذكر إقبال ماضي المسلمين .
- (٦) في هذا البيت وأبيات تليه يخاطب الشاعر أهل الغرب الميطرين على العالم .

روضة الحق ارتوت من دمننا
 كبر العالم من تكبيرنا
 « اقرا » الحق لنا قد علما
 لا تهوون قدر حر اعدما
 ان نكن عندك اصحاب الخسار
 فلدينا عزة من « لا اله »
 قد تركنا غم امس وغد
 نحن وراث هداة للبشر
 لا تزال الشمس تبدي نورنا
 ذاتنا المراءة للحق ، اعلم



دعاء (٢)

انت في الكون كروح مستير
 منك فيه نعمة عود الحياة
 عذ فسكن ذي القلوب البائسة
 عذ فكلفنا الفعال الماجدا
 اننا نشكو تصاريف القضاء
 عن فقير لا تحجب ذا الجمال
 عين شهيد لقواد قلب
 روحنا انت ، ومنا تستر
 في هواك ، الموت محسود الحياة
 عذ فعمر ذي الصدور اليائسة
 ألهمن العشق فينا الخامدا
 انت تغلي السغر والأيدي خلاء (٣)
 عشق سلمان امنحنا وبلال
 امنحنا واضطراب الرزق

(١) يشير إلى أول سورة في القرآن : ﴿ اقرا باسم ربك ﴾ .

(٢) الخطاب لله تعالى .

(٣) يعني تكلفنا واجبات عظيمة وليس في يدنا اليوم أسبابها .

آية أظهر من الآي المبين
أظهر البركان من أروادنا
كفنا ألفت بخيط الوخدة
قد مضينا كنجوم حائرة
انظمن في السلك هذا الورقا
ابعثنا مثل ما كنا لكا
منزل التسليم أبلغ ركبنا
علمن العشق من أفعال « لا »
لنرى أعناق قوم خاضعين^(١)
وامح غير الله في نيراننا
كم ترى في أمرنا من عقدة؟^(٢)
إخوة لكن وجوه نافرة
جدد سنة حب أخلقا^(٣)
اتمن فيما ترى أحبابكا
عزم إبراهيم يشره لنا
رمز إلا الله علم غافلا^(٤)



أنا كالشمع لغيري أخرق
رب ! هذا الدمع نور في القلوب
أبذر الدمع فتنبو شعل
أمس في قلبي ، وعيناي الغد
« ظن كل أنبي نعم السميز
أين يا رباه في الدنيا النديم
وبدمعي كل حفل يشرق
ذو هياج واضطراب ونحيب
نار شقر الرّوض منها تنصل^(٥)
أنا في الجمع فريد موحّد^(٦)
ليس يدري أي سر في الضمير^(٧)
نخل سيناء أنا ، أين الكلیم ؟

- (١) إشارة إلى الآية: ﴿ إِن نَّشَاءُ نُنْزِلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَطَلََّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ [الشعراء: ٤] .
(٢) يعني : أضاع المسلمين خيط الاتحاد ، فتعقدت أمورهم .
(٣) الورق : ورق الكتاب ، والسلك : الخيط الذي يجمع به الورق .
(٤) « لا » : يريد التنفي في كلمة التوحيد ، نفى ما سوى الله ، و« إلا الله » هي الإثبات في هذه الكلمة .
(٥) الشقر : شقائق النعمان . وهي زهر أحمر يضرب به المثل في الاحتراق ، ولكن الشاعر يقول إن هذه النار الباردة تمحوها نار دموعي .
(٦) قلبه متصل بذكرى الماضي ، ولكن عينه تريان المستقبل ، وتطمعان إليه . وهذا معنى يكرره إقبال .
(٧) البيت من فاتحة الحثوي لجلال الدين الرومي في وصف الناي .

ظالمٌ نفسي فكم عيُّها
شُعلاً للحسن تذرو ما به
وبها العقل جنوناً علماً
قد علت من حرها شمس السماء
كل عِرْق في ناراً يقطر
بليلي يلفظ هذا الشررا
صدّر عصري ما بقلب يوهن
يخفق الشمع وحيداً ويلكه !
كم أرجي مُسعداً لي في البشر

شُعلاً في صذرِها أذكيها
وتشبت النار في أثوابه^(١)
وبها أحرق ما قد علماً^(٢)
حولها للبرق طوف في الفضاء
شُعلاً ينبت في الشَّعر
فتراه نغماً متعرا
نوح قيس حين يخلو المخيل^(٣)
في فراش لا يرى أهلاً له^(٤)
ونجياً كم أرجي في الدَّهر



يا من الأنجم منه تستيرا
اسلبن نفسي ما أودعتها
أو فهب لي وجه خل ليق

أرجعن نارك من رحي الكسير
عطلن من نورها مرآتها
هو مرآة لعشقي مُحرق



يخفق الموج بموج في العباب
ومع الكوكب يسري الكوكب
ومع الليل نهار أبدا
نهاراً ، أبصر ، يغنى في نهر

لا يسير الموج إلا في صحاب
وعلى الأقمار يحنو الغيب
ومسير اليوم يقتاد غدا
ونسيم الرّوض في عزف الرّهر

(١) نار تحرق المحسوسات ، وتنفذ إلى البواطن .

(٢) هذه النار نار العشق تخرج بالعقل عن حدوده الضيقة . وتحرق ما لقنه الناس من علم .
انظر الكلام عن العشق والعقل في مقدمة ضرب الكلم .

(٣) يبكي إقبال لخلو عصره من القلب كما يبكي المعجون لخلو المحمل من ليلي .

(٤) يعني : أنه كالشمع ، لا يجد فراشاً أهلاً لناره . ليس له أصحاب ، أو تلاميذ يفقهون عنه ما يقول .

رُبَّتْ حَانَ أَهْلِ مَنْ شَرِبَهُ رَاقِصَ الْمَجْنُونِ مَجْنُوناً بِهِ
 أَنْتَ يَا وَاحِداً لَا شِبَهَ لَكَ عَالِماً أَنْشَأَهُ مَنْ أَجْلَكَ
 وَأَنَا مِثْلُ شَقِيقَاتِ الْفَلَا مُفْرَداً ، فِي بُهْرَةِ الْجَمْعِ خَلا^(١)
 هَبْ نَجِياً يَا وَلِيَّ النُّعْمَةِ مُحَرِّماً يُدْرِكُ مَا فِي فَطْرَتِي
 هَبْ نَجِياً لِقِنَا ذَا جُنَّةٍ لَيْسَ بِالدُّنْيَا لَهُ مِنْ صَلَاةٍ^(٢)
 رُوحَهُ أَوْدَعَ مِنْ أَنْتَابِهِ وَأَرَى فِي قَلْبِهِ مَرَاتِبَهُ
 وَأَسْؤُوبُهُ بَطِينِي مُحْكَمَا وَأَرَى أَزْرَهُ وَالصَّنْمَ^(٣)



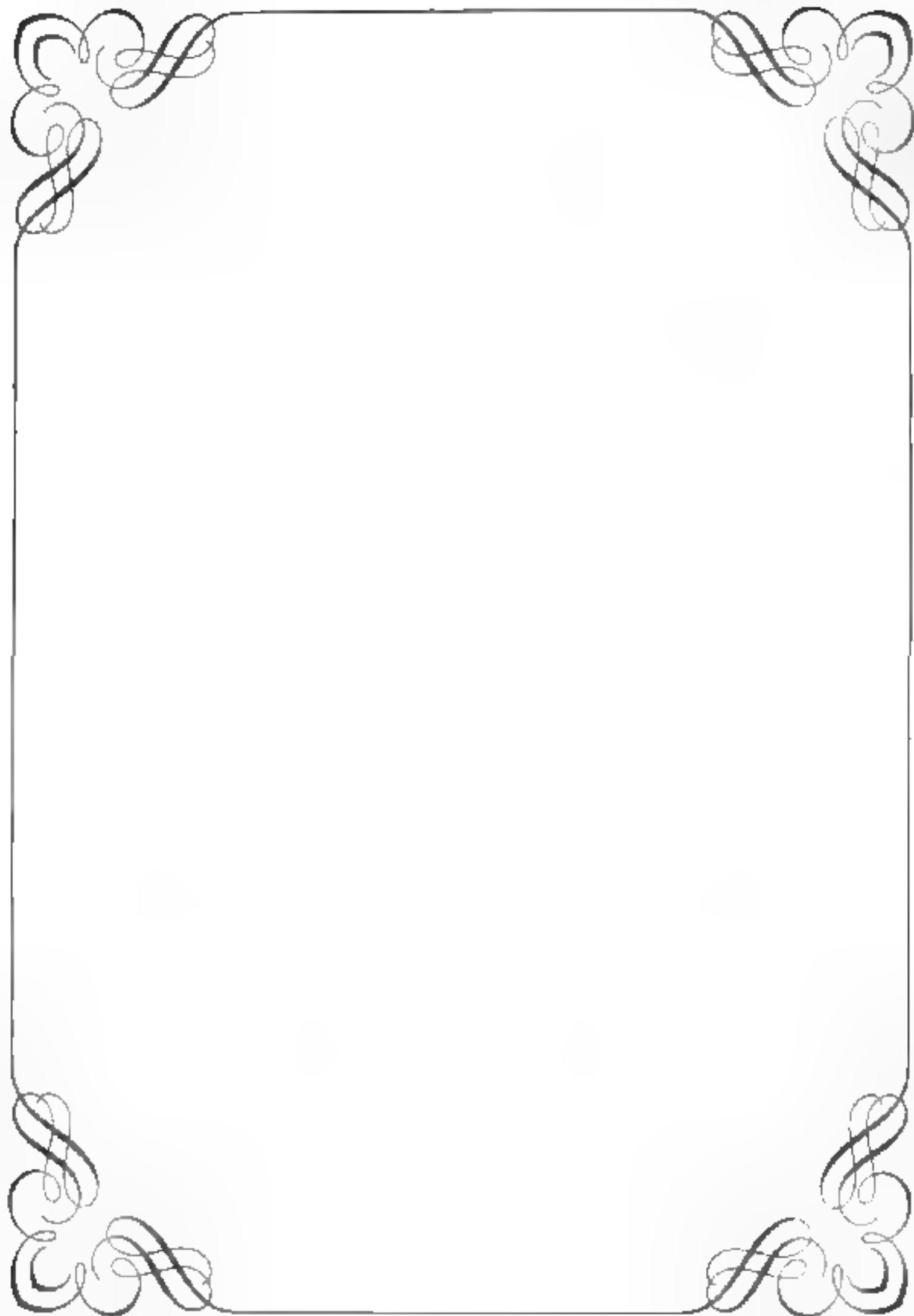
-
- (١) الشقيقات : جمع شقيقة واحدة الشقائق التي تسمى شقائق النعمان . هو وحيد وإن كان جماعة .
 (٢) يريد إقبال نجياً مجنوناً . والمجنون في لغة إقبال الهيام والإقدام إلى غير حد .
 (٣) يكون له ناحياً كآزر ويكون صنماً له يتوجه إليه توجه العابد إلى الصنم .

القسم الثاني

رموز نفي الذات

(أسرار بيخودي)





٢ - رموز بيخودي (أسرار نفي الذات)

باللغة الفارسيّة

هذه المقالة الفلسفية المنظومة باللّغة الفارسيّة نشرها محمد إقبال عام ١٩١٨م وهي من حيث الاسم تبدو أنها ضد الكتاب الأول ، لكنّها في الحقيقة تفسر ، وتبيّن نفس النظرية ، وتعتبر التّمة اللّزمة له ، وقد طبعت أحياناً القصيدتان في مجلّد واحد بعنوان « أسرار ورموز » هنا يكمل محمد إقبال فلسفته بالتأليف بين الفرد والقوى أو الذات الكاملة وبين الجماعات التي تعيش فيها .

وأما الموضوعات الرئيسية فهي علاقة الفرد بالمجتمع ، والإنسانية ، والطبيعة الاجتماعية المثالية ، والمبادئ الأخلاقيّة والاجتماعيّة .

محتوى الديوان

يبدأ الشاعر المنظومة بتمهيد في ارتباط الفرد والأمة ، ثم يعقد الفصول التالية :

١ - الأمة تنشأ من اختلاط الأفراد ، وكمال تربيتها بالنبوة .

٢ - أركان الأمة الإسلاميّة .

أ - التوحيد : ويستطرد في بيان التوحيد إلى فصول أخرى ، كما يعقد فصلاً أخرى للتمثيل .

ب - الرسالة : وفي هذا العنوان فصول أخرى منها أن مقصد الرسالة المحمدية الحرية ، والمساواة ، والأخوة بين بني آدم ، ويقصّ قصصاً شتى في

هذا الصُّدَد . وأن الأمة المحمّدية قائمة على التوحيد ، والرسالة ، فلا يحُدُّها مكان ، وأنَّ الوطن ليس أساس الأُمَّة ، وأنَّ الأمة المحمدية لا يحدها زمان ، ودوامها موعود ، وأنَّ نظام الأمة لا يكون بغير القانون ، وقانون أُمَّة محمد القرآن ، وأنَّ نجاح الأمة باتباع الشريعة الإلهية ، وأن حسن سيرة الأمة بالتأدب بالآداب المحمّدية .

٣ - حياة الأمة تقتضي مركزاً محسوساً ، ومركز الأمة الإسلامية الحرم .
٤ - الاجتماع الحقيقي لا يكون إلا بقصد يقصد إليه ، ومقصد الأُمَّة المحمدية حفظ التوحيد ، ونشره .

٥ - توسيع حياة الأُمَّة بتسخير قوى العالم . وكمال حياة الأُمَّة أن تحسُّ ذاتها كما يحسُّ الفرد ، وينشأ هذا ، ويكمل بحفظ سنن الأُمَّة .

٦ - بقاء النوع بالأمومة . وحفظ الأمومة واحترامها من قواعد الإسلام .
٧ - السيدة فاطمة الزهراء أسوة كاملةً لنساء الإسلام .

٨ - خطاب إلى المسلمات .

٩ - خلاصة مطالب المنظومة في تفسير سورة الإخلاص .

١٠ - مناجاة المصنف الرّسول الذي بُعث رحمةً للعالمين .

وبيّن محمد إقبال في هذه المنظومة فكرة أنَّ « الوطن ليس أساس الأُمَّة » فيقول : إنَّ العصبيات الوطنية قطعت أرحام الأمم ، وبيّن كيف هجر النصارى دين عيسى وتقطع أمرهم بينهم . . . كلُّ حزب بما لديهم فرحون .

ويذكر ميكافيلي الإيطالي ، وأثره في سياسة أوربة إلى أن يقول :

جعل الملك إلهاً دينه	كلُّ قبح ناله تحسّنه
وزن الحقّ برربع وجدى	ولدى الملك خنوعاً مسجداً

صَيَّرَ الْحِيلَةَ فِتْنًا مُحْكَمًا

فَرَزَهَا الْبَاطِلُ مِمَّا أَعْلَمَا^(١)

وَيَخَاطَبُ الْمَرْأَةَ الْمُسْلِمَةَ :

احذري فتنة عصرٍ مهلك
بُعِدَتْ عَنْ عَثَمَاءِ فِي خَطَرٍ
فِيكَ تَسْمُو لِلْمَعَالِي فَطَرَةً
عَلَّ غَصْنًا مِنْكَ يَأْتِي بِخُسِينِ

وَالِي صَدْرِكَ ضَمِّيْ وَلَدُكَ
هَذِهِ الْأَفْرَاحُ ، لَا تَطْسِرِ
فَاتَّبِعِي الزَّهْرَاءَ ، نَعَمَ الْأَسْوَدُ
فَتَرَى النَّصْرَةَ رَوْضَاتِ دَوْنِنِ



(١) إقبال - للدكتور عبد الوهاب عزام ص ١٣٧ .

جَدْ بِنَفْسِي الدَّاتِ . لَا تَهَابُ
اجْتَهِدْ ، وَاللَّهُ يَهْدِيكَ الصَّوَابَ

(جلال الدين الرومي)



تمهيد

مهداة إلى الأمة الإسلامية

ليس بي حُرقة تكون بغير عُرْفِي^(١)
بك حقاً كلَّ بدءٍ خُتْمَا
وجريح القلب رقاء القلوب
وعن الكعبة أبعدت الشرى^(٢)
« من رنا الكون إلى طلعتها »^(٣)
« أين تبغين مُرادَ النَّظَرِ ؟ »^(٤)
وخذي عُشَّكَ بين الشررِ
جددي العهد بحبِّ المصطفى
حينما وجهك عندي أسفرا
واصف الطرَّة منهمم والجبين

إيه يا مُنْكَراً أحاديثَ عشقي
خُتِمَ اللهُ إِلَيْكَ الأُمَمَا
كم بقي فيك كالرَّسُلِ مُنِيب
لك طرفٌ بالنَّصَارَى سُجْراً
يا من الأفلاك مِنْ هَبْوتِهَا
سرتِ كالْمَوْجِ دُوبِ الشَّفْرِ
كفراشٍ في لظى الحبِّ اصبري
أُحْكِمِي العشق بروح قد صفا
صحبة النَّصْرَانِ قلبي هجرا
ورفقي رهنُ حسنِ الآخرين

(١) ترجمة بيتٍ لعرفي الشيرازي صدر به الشاعر هذه المقدمة . ومعناه : لا يستطيع أحدٌ إنكار ما أصف من آلام عشقي . فإنه إن شعر بالآلام التي أصفها فهذه الآلام لا تكون بي ولكن به هو . إنني أصف شيئاً لا يمكن أن يكون في قلب غيري ، فكيف يستطيع إنكاره ؟!

(٢) يعني أهل أوربة الذين سيطروا على الهند وغيرها حقبة .

(٣) الأفلاك من الهبة التي أثمرتها في جهادك على الأرض .

(٤) الشطران بين الأقواس بيت للشيخ سعدي الشيرازي .

سَدَّةَ السَّاقِي بِخَذْيِهِ يَدُوسُ
وَأَنَا فِيكَ قَتِيلُ الْحَاجِبِ
أَنَا مَنْ نَظَمَ مَدِيحَ أَرْفَعُ
كَمْ مَرَايَا صُغْتُهَا مِنْ كَلِمِي
لَا تَرَى الْمَنَّةَ جِيدِي تَأْطِرُ
مُقَدِّمٌ فِي الدَّهْرِ مِثْلَ الْخِنْجَرِ
أَنَا فِي نَارِ الْحَيَاةِ الشَّرُّ
مَنْشَدًا قَصَّةَ غُلَامِ الْمَجُوسِ^(١)
وَتُرَابٌ فِي جِمَاكِ الْحَادِبِ
لَسْتُ مِمَّنْ لِأَمِيرٍ يَرْكَعُ
فَقَسْنِ إِسْكَندَرَ تَعْلُو هِمَمِي^(٢)
مَنْ زَهَرَ الرُّوضُ حِجْرِي صَفِيرُ^(٣)
مَنْ قُلُوبَ الصَّخْرِ مَائِي أَمْتَرِي^(٤)
فِي ثِيَابٍ مِنْ رِمَادِي أُشْتَرُ



قَصَدْتُ بِأَبْكَ رُوحِي فِي خَشُوعٍ
إِنَّ فِي الزُّرْقَاءِ يَمًّا يَقْطُرُ
أَجْمَعُ الْقَطَرِ رِيْعًا جَارِيًا^(٥)
قَدْ حُيِّتَ الْحَبُّ مِنْ مَحْبُوبِنَا
قَذَفَ الْعَشْقُ بِقَلْبِي حُرْقًا
وَشَقَقْتُ الصَّدْرَ ، كَالْوَرْدِ لَكَ^(٦)
فِي هَدَايَا مِنْ لَهَيْبٍ وَدَمُوعٍ
فَسَوْقُ قَلْبٍ لَا هَبَّ لَا يَفْتَرُ
وَالِي رَوْضِكَ أَزْجِي صَافِيَا
أَنْتِ قَلْبٌ قَدْ ثَوَى فِي صَدْرِنَا^(٦)
صَاغَ مِرَاةً فَوَادِي الْمُحْرِقَا
مُدْنِيًا مِرَاتَهُ مِنْ وَجْهِكَ

(١) يعني : أَنَّ الشعراء الآخرين فتوا بذكر العان وغللمان المجوس ، وهؤلاء في الشعر
الفارسي كغللمان التُّصَارِي في الشعر العربي يقرن ذكرهم باللهو والسكر ؛ إذ كانوا خدام
الحانات .

(٢) مرآة إسكندر مشهورة في الشعر الفارسي ، يقال : إنه كان يرى فيها الأقاليم ولعلَّ أصل
الخرافة منارة الإسكندرية ومراياها . ويقول الشاعر هنا : إِنَّ فِي شِعْرِي مَرَايَا كَمَرَاةِ
إِسْكَندَرَ ، فَلَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهَا .

(٣) يعني : أَنَّهُ لَا يَجْنِي الزَّهْرَ فِي حَجَرِهِ بَلْ يَسْتَكْبِرُ أَنْ يَجْنِيَهُ اسْتِغْنَاءً عَنْهُ .

(٤) حذف بعد هذا بيتان .

(٥) الربيع : النهر الصغير .

(٦) محبوبنا الرسول ﷺ .

(٧) يتخيل الشعراء أَنَّ الْوَرْدَ يَمْزُقُ صَدْرَهُ حِينَ يَتَفَتَحُ ، وَيَقُولُ الشَّاعِرُ : إِنَّ الْعَشْقَ صَاغَ قَلْبَهُ =

لَتَنَالِي نَظْرَةً مِّن مِّحْرِكَ وَتُرَى مَغْلُولَةً فِي شَعْرِكَ^(١)
ثُمَّ أَشَدُّ قِصَصاً مِّنْ أَمْسِكَ فَأَذْكَى حُرْقاً فِي نَفْسِكَ

أَسْأَلُ الْحَقَّ حَيَاةً تَحْصِفُ لِفَرِيْقٍ نَفْسَهُ لَا يَعْرِفُ
نَائِخٌ وَاللَّيْلُ سَاجٍ سَادِلٌ يَهْجَعُ النَّاسُ وَدَمْعِي هَاطِلٌ
تَصْطَلِي رَوْحِي بِحَزْنٍ وَالْمَ وَرْدٌ « يَا قُبُومُ » أَنْسِي فِي الظُّلُمِ
أَمَلًا فِي الصَّدْرِ صَيَّرْتُ دَمًا لُبْرَى فِي أَدْمُعِي مُنْجَمًا
مَا احْتَرَاقِي كَشَقِيقٍ أَبَدًا فِيمَ اسْتَجْدِي مِنَ الْفَجْرِ النَّدَى^(٢)
أَنَا كَالشَّمْعِ دَمُوعِي غُسْلِي فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ أَذْكَى شُعْلِي
مَحْفِلُ النَّاسِ بِنُورِي يُشْرِقُ أَنْشُرُ النُّورَ وَنَفْسِي أَحْرِقُ
مَا لِنَارِي فِي الْحَشَا مِنْ قَتَرَةٍ مَا بِأَسْبُوعِي فَرَاغُ الْجُمُعَةِ^(٣)
إِنَّ رَوْحِي فِي سَحِيْقِ الْجَسَدِ آهَةٌ ثَوْبَ غِبَارٍ تَرْتَدِي^(٤)
مُذْ بَرَانِي الْحَقُّ فَجَرَ الْخَلْقَةِ زَلْزَلَتْ أَوْتَارَ عَوْدِي أَتْنِي
أَنْتَ لِلْعِشْقِ تُفْشِي سِرَّهُ آهَةٌ فِي الْعِشْقِ تُذْكَى جَمْرُهُ
تَجْعَلُ الْعَصْفَ لَهِيًّا يُحْرِقُ وَفَرَاشًا مِّنْ تَرَابٍ تَخْلُقُ^(٥)

مرآة وهو يشق صدره فيضع هذه المرآة أمام الأمة الإسلامية ليرى فيها حقيقتها .

- (١) أي لتقدري جمالك ، وتدركي مزاياك ، وتحبي نفسك .
(٢) الشقيق : زهر أحمر يجعله الشعراء مثلاً للاحتراق . ويقول إقبال : ما هذا الاحتراق الذي هو لون لا حقيقة له ، ولماذا استجدي الندى من الفجر كالشقيق وغيره من الزهر . أنا أحترق بناري كالشمع وأتخذ من دمعي ندى .
(٣) أيامه كلها عمل وجهد ، ليس فيها يوم راحة .
(٤) روحه آهة والجسد تراب يسترها كما يتردى الإعصار بالغبار .
(٥) تجعل العصف - وهو الهشيم ضعيف اللهب - ناراً قوية تحرق غيرها ، وتخلق من التراب فراشاً هالماً يهفو على النار .

وليه وردةٌ وجِدٌ تستعزُّ
في سُبَاتٍ منك أذكى حشرِك
وبأنفاسك أرواحَ الرِّيبِغِ

في ضمير العشقِ وَشَمَّ كالشَّقَرِ
هذه السوردة أحبو صدرِك
لأرى في تُربكِ الروضَ الينبِغِ



في معنى ارتباط الفرد والأمة

كاملٌ جوهرُهُ في المَلَّةِ
في ذُرا الأحرار كنْ مثلَ الشعاعِ
كلُّ شيطانٍ منَ الجمعِ نَفَرُ
وكذا مرآتها صوره
أو نجومٌ تتجلى في النَّهَرِ^(١)
ومن الأفراد نظم الأُمَّة^(٢)
كان كالقطرة صارت خَضْرَما
والتقى الغابرُ والآتي به
وقته لا ينتهي كالأبدِ
وهو بالأُمَّة سعيٌّ رابحٌ
سرُّه مِن قومهِ والعَلَنُ
وَمِنَ الأسلافِ يَقِفُوا طُرُقا
فتراه الفردَ وهو الأُمَّةُ
وهي ، بالوحدةِ فيه ، وحدة^(٣)

رحمةٌ للفردِ حِجْرُ الأُمَّةِ
فألزَمَ الجمعَ جهْدَ المتطاغِ
واحفظنْ ما قاله خيرُ البشرِ :
فَرَدْنَا مرآته أثْنُهُ
وهما سِلْكُ نظامٍ ودُرَرُ
قيمةُ الأفرادِ جدوى المَلَّةِ
وإذا الواحدُ في الجمعِ نما
جُمعَ الماضي له في لُبِّه
صلةُ الأمسِ تراه والغدِ
هو بالأُمَّة قلبٌ طامحٌ
روحهُ من قومهِ ، والبدنُ
بلسانِ القومِ يشدو منطقا
تُضجُ الفطرةُ فيه الضَّجْبَةُ
تُحكِمُ الوحدةَ فيه الكثرةُ

(١) نهر المجرة .

(٢) قيمة الأفراد من فضل الأُمَّة عليها .

(٣) كثرة الأمة لا تضر بوحدة الفرد بل تحكمها ، والكثرة فيها موحدة بوحدة الفرد . ورأي =

أَفَرِدَ اللَّفْظُ مِنَ الْبَيْتِ تَرَى
تَنْقُطُ الْأَوْرَاقُ مِنْ غَصَنِ يَنْبَعِ
طَفَنَتْ أَنْعَامُ أَصْوَادٍ غِنَاءِ
يُحَرِّمُ الْفَرْدُ الْوَحِيدُ الْمَقْصِدَا
تَجْمَعُ الْأُمَّةُ شَمْلَ الْمُتَّةِ
نَشَأَتْ بِالْقَيْدِ حَرّاً مُطْلَقَا
ظَلِيهِ الْوُثَّابُ مِسْكَاً يَعْجِقُ
أَنْتَ لَمْ تَعْرِفْ «خُودِي» مِنْ «بِيخُودِي»
إِنَّ فِي طِينِكَ نَوْراً قَدْ بَدَا
كُلُّ غَمٍّ وَرِضَاءٍ مِنْ دَوْرَتِهِ
أَنْتَ مِنْهُ أَنْتَ حَقّاً ، وَأَنَا
يَخْلُقُ النَّفْسَ وَيَذَرُ وَيُقَرِّرُ

جَوْهَرُ الْمَعْنَى لَدَيْهِ أَنْكَسَرَا^(١)
فُتِرَى مُحْرُومَةً وَصَلَ الرَّيْسُ
فَاتَهَا مِنْ زَمَزَمِ الْأُمَّةِ مَاءِ
فُتِرَى نَظْمٍ قُوءِ بِدَدَا
فِيهِ تَحْبِسُوه عَظِيمَ الْهَمَّةِ
أَثَبَتْ فِي الْأَرْضِ سَرُوراً بَسَقَا^(٢)
إِنَّ حَوَاءَ مِنْ نَظَامٍ وَهَقَ^(٣)
أَنْتَ لَا رَيْبَ مِنَ الشَّكِّ رَدِّي^(٤)
بَشْعَاقٍ مِنْهُ أَبْصَرْتَ الْهَدَى^(٥)
أَنْتَ حَيٌّ بِتَوَالِي ثَوْرَتِهِ
أَنَا وَهُوَ الْفَرْدُ لَا يَرْضَى ثَنَا^(٦)
ذُو دَلَالٍ فِي خَضُوعٍ مَسْتَرٍ^(٧)

إقبال أن غاية الجماعة تقوية الفرد وإسعاده ، وهو لا يفنى فيها .

- (١) الفرد في الجماعة كلفظ في بيت من الشعر إن فصلت اللفظ من البيت اختل البيت ، وتعطل معنى اللفظ .
- (٢) قيد الفرد بقيود الجماعة لا يعبد بل يحرقه ، وثباته في الجماعة ينمي مثل الشجرة تثبت في الطين فتتمو وإن لم تثبت في الأرض لم تتم .
- (٣) الوهق : حبل فيه آخية يصطاد به يعني : أن قيد النظام للإنسان يمنع وثوبه ولكن يكمله ويطيبه .
- (٤) أثبت خودي ، ومعناها : الذاتية ، وبيخودي : أي نفي الذاتية على لفظهما في الأصل يعني الشاعر أن الإنسان إن لم يميز مواضع الذاتية من مواضع نفيها اشتبه عليه أمره ، وهذا أساس فلسفة إقبال . انظر المقدمة .
- (٥) يعني : الذاتية .
- (٦) وجودك منه ووجودي منه ، وهو مع هذا فرد لا يشي .
- (٧) هذا النور الذي يسميه الذاتية بصنع نفسه ويثبتها ويفرقها . وله دلالة يظهر في صورة خضوع ، يعني أنه غالب ، وكأنه مغلوب .

يَأْسِرُ الشَّعْلَةَ هَذَا الشَّرُّ
 حَرَّةٌ رَهْنٌ قِيُودُ فَطَرْتَهُ
 لِكِفَاحٍ دَائِمٍ تَنْزُو قُورَاهُ
 يَسْتَثِيرُ الْحَرْبَ فِي جُلُوتِهِ
 يَقْطَعُ الْجَبِرَ عَلَيْهِ الطَّرْفَا
 تَتَشَقَّى الذَّاتُ فِي أَمْتِهَا
 نَكْتَةً خَذَهَا بِكَفٍّ مَخْدَمٍ
 لَهَبٌ مِنْ حَرِّهِ مُسْتَعْرٌ^(١)
 جَزْؤُهُ بِالْكُلِّ حَاطَتْ قُوَّتُهُ
 هُوَ يُسَمَّى الذَّاتَ أَوْ يُسَمَّى الْحَيَاةَ
 حِينَ يُبْدِي النَّفْسَ مِنْ خُلُوتِهِ^(٢)
 وَلَهُ بِالْحَبِّ فَرْعٌ سَمَقَا^(٣)
 تُشْرَى الرُّوضَةُ مِنْ زَهْرَتِهَا^(٤)
 « وَانْصَرَفَ عَنِّي إِنْ لَمْ تَفْهَمْ »^(٥)



فِي مَعْنَى أَنَّ الْمَلَّةَ تَنْشَأُ مِنْ إِخْلَاصِ الْأَفْرَادِ وَأَنَّ تَكْمِيلَ تَرْبِيَّتِهَا بِالنَّبْوَةِ

مَا ارْتَبَاطُ الْجَمْعِ ، أَنَّى يَوْصَفُ ؟
 إِنَّمَا نَبَصْرُ فَرْدٍ فِي الْجَمِيعِ
 فِطْرَةٌ تَنْهَجُ نَهْجَ الْوَحْدَةِ
 كُلُّ فَرْدٍ بِأَخِيهِ ائْتَلَفَا
 لَفَّهُمْ فِي عَيْشِهِمْ مَعْتَرَكُ
 قَصَّةٌ أَوَّلُهَا لَا يُعْرِفُ
 زَهْرَةٌ نَقْطَفٌ فِي هَذَا الرِّيبِ^(٦)
 إِنَّمَا تَزْهَرُ وَشَطَّ الرُّوضَةِ
 مِثْلَ دُرٍّ فِي سُمُوطِ الْفَا
 كُلُّ فَرْدٍ بِأَخِيهِ مُمِيكُ

(١) شَرُّ صَغِيرٌ ، وَلَكِنَّهُ كَبِيرٌ فِي مَعْنَاهُ يَقْوَى عَلَى الشَّعْلَةِ الْكَبِيرَةِ .

(٢) يَظْهَرُ مِنْ خُلُوتِهِ أَيَّ يَبْدُو فِي الْكُونِ فَيُثِيرُ حَرْبًا هِيَ جِهَادُ الْحَيَاةِ الدَّائِمِ .

(٣) الْجَبِرُ وَالْإِكْرَاهُ يَقْطَعُ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ ، وَهُوَ بِالْحَقِّ وَالِاخْتِيَارِ يَنْمُو وَيُعْظَمُ .

(٤) تَفَرَّقَ الذَّاتُ نَفْسَهَا فَتَمُو مِنْ زَهْرَتِهَا رَوْضَةً ، أَيَّ : تَعْظَمُ وَتَكْثُرُ بِهَذَا التَّفْرِيقِ .

(٥) هَذَا الشَّطْرُ مِنَ الْمُثْنَوِيِّ لِجَلَالِ الدِّينِ الرَّومِيِّ .

(٦) مَذْهَبُ إِقْبَالٍ أَنَّ غَايَةَ الْجَمَاعَةِ سَعَادَةُ الْفَرْدِ ، وَأَنَّ الْفَرْدَ لَا يَفْنَى مِنْ أَجْلِ الْجَمَاعَةِ .

مَنْ جَذَابٍ تَتَوَالَى الْأَنْجَمُ كَوَكَبٌ مِنْ كَوَكَبٍ مُسْتَحِكِمٌ

كَانَ رَكْبُ النَّاسِ مَأْوَاهُ الْعِجَالُ
نَسْجُهُ مَا أُخْكِمَتْ لُحْمَتُهُ
عَوْدُهُ مَا بَلَاحُونَ رَنَّمَا
لَمْ يُبْرِهِ مِنْ رَجَاءٍ مُضْرِبٍ
مُحْفَلٌ غُفْلٌ حَدِيثُ الْمَوْلَدِ
لَمْ يُرْعَرْغْ فِي ثَرَاهُ نَجْمُهُ
فَكَّرَهُ دَارٌ لَغِيْلَانِ الْخِيَالِ
ذُو وَجُودٍ ضَيِّقٍ مِسْدَانِهِ
طِينُهُ مِنْ خَيْفَةٍ قَدْ خُلِقَا
رُوحُهُ مِنْ كُلِّ صَغْبٍ تَهْرُبُ
كُلُّ مَا يَنْمُو بِأَرْضٍ يَقْطِفُ

وَمَرْوُجٌ وَسُهِوبٌ وَرِمَالُ
فِكْرُهُ مَا فَتَحَتْ زَهْرَتُهُ
لِحْنُهُ لَنَا يُؤَلِّفُ نَقْمَا
لَمْ يَخْزِهِ بِزِيَانِي مَطْلَبٌ^(١)
جَائُهُ مِنْ خَمْرِهِ غَيْرَ نَدِي^(٢)
كَرْمُهُ مَا فَازَ فِيهِ دُمُهُ^(٣)
خَائِفٌ مِنْ وَهْمِهِ فِي كُلِّ حَالٍ
قَدْ أَحَاطَتْ فِكْرَهُ جُودَانُهُ
قَلْبُهُ مِنْ قَضْفٍ رِيحٍ خَفَقَا
يَذُّهُ فِي أَرْضِهِ لَا تَضْرِبُ
كُلُّ مَا تَرْمِي سَمَاءً يَلْقَفُ

ثُمَّ يَهْدِي اللَّهُ ذَا قَلْبٍ بِصِيرٍ
عَازِفٌ فِي كُلِّ نَفْسٍ يَنْفُثُ
تَقْبِيسُ الذَّرَّةِ مِنْ أَنْوَارِهِ
يَنْشُرُ الْأَنْفُسَ مِنْهُ نَفْسُ

يَكْتُبُ الْأَسْفَارَ مِنْ حُرُوفٍ يَسِيرُ
وَحَيَاةٌ فِي مَوَاتٍ يَبْعَثُ
كُلُّ قَدْرِ حَالٍ فِي مَعْيَارِهِ^(٤)
بَشْعَاعٍ مِنْهُ يُزْهِى مَجْلِسُ

(١) المضرب ما يضرب به أوتار العود .

(٢) يعني : ليس عنده نشوة العمل والإقدام .

(٣) النجم : الثبت الذي لا ساق له .

(٤) أي : تغيرت قيم الأشياء بما أتى به من مقاييس جديدة .

شفةٌ تُحيي وعينٌ تجذبُ
يَهَبُ النَّاسَ جَدِيدَ النَّظَرِ
فَتَرَى الْأُمَّةَ مِنْهُ سَائِرَهُ
شُرَّراً فِي قُلُوبِهَا قَدْ أَشْعَلَا
سِيرَهُ يَعْطِي التَّرَابَ الْبَصْرَا
عَارِيَّ الْعَقْلِ بِجَدْوَاهِ كَسَا
يَنْفُخُ الْجَمْرَةَ فِي مَوْقِدِهِ
وَيَفْكَ الْعَبْدَ مِنْ أَغْلَالِهِ
قَائِلاً أَنْ لَسْتُ عَبْدًا فَاعْلَمْ
يَجْذِبُ الْإِنْسَانَ شَطْرَ الْمَقْصِدِ
نَكْثَةَ التَّوْحِيدِ يُوْحِيهَا إِلَيْهِ

وَحَدَا الْأَشْتَاتَ هَذَا عَجَبٌ^(١)
يَجْعَلُ الْبَيْدَ كَرَوْضٍ نَضِيرٍ^(٢)
بِلَهَيْبٍ مِنْهُ حَرَّى ثَائِرِهِ
فَأَحَالَ الطَّيْنَ فِيهَا شُعْلَا
فَإِذَا الذَّرَّةُ سَيْنَاءَ تَرَى^(٣)
وَهَبَ الثَّرْوَةَ هَذَا الْمَفْلِيَا^(٤)
وَيَذِيبُ الْغِشَّ مِنْ عَسْجَدِهِ^(٥)
وَيُجِيرُ الْقِنْنَ مِنْ أَقْبَالِهِ
أَتَرَى قَدْرَكَ دُونَ الصَّنَمِ^(٦)
جَاعِلَ الشَّرْعِ زَمَاماً فِي الْيَدِ
أَدَبَ الطَّاعَةِ يَمْلِيهِ عَلَيْهِ^(٧)



(١) كلامه ونظره يجذب البعيد إليه حتى يصيرا كنفس واحدة .

(٢) يهب الناس نظراً جديداً فيرون الأشياء على غير ما رأوها قبلاً ، فرب حن يصير قبيحاً ، وقبيح يصير حسناً .

(٣) ترى الذرة على ضآلتها طور سيناء . الذرة لا ترى إلا في نور الشمس ، ولكن هذا الرسول الذي يتحدث عنه الشاعر يحيي الموات ، وينير الظلم ، فترى الذرة طور سيناء .

(٤) العقل عريان مفلس حتى يمدّه الرسول فيكوه ويغنيه أي : هو يهدي العقل ويقويه .

(٥) يشعل العقل ، ويميز له الخبيث من الطيب .

(٦) الناس يعبدون الصنم ويستعبدون الإنسان فيقول الرسول للإنسان لست عبداً ، ولست قدراً من الأصنام .

(٧) يقيد بالشرعية ليجذبه إلى المقصود ويعلمه توحيد الله وأدب الطاعة فترى الإنسان حراً من عبادة الكبراء مقيداً بالشرع .

أركان الأئمة الإسلامية

الركن الأول : التوحيد

فاده التَّوْحِيدَ شَطْرَ الْمَنْزِلِ
زورقُ الْفِكْرِ أَضَلُّ السَّاحِلِ
رَمَزُ تَوْحِيدِ لِقَلْبٍ يُبْصِرُ^(١)
فِيَجْلِي لَكَ سِرّاً أَغْفِلاً
وَيُرى الأَيْدُ بِهِ وَالْمُكْنَةُ
وَتَجْلَى عملاً فِي الْعَاشِقِينَ
وَيَصِيرُ الثَّرْبُ يَتَرّاً يَسْطَعُ
فِرْدُ الْعَبْدِ خَلْقاً آخِراً
دُمُهُ كَالْبَرْقِ فِيهِ لَاهِبُ
عَيْنُهُ فِي الْكُونِ يَقْظَى تَعْمَلُ
جَرَّةُ السَّائِلِ تُصْبِغُ جِامَ جَمِ^(٢)
« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » اللَّحْنُ فِي نَعْمَتِنَا^(٣)
« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » السَّمْطُ مِنْ أَفْكَارِنَا
كُلُّ قَلْبٍ لَمْ تُبْرِزْهُ ، مَنَزَّرُ
وَيُضِيءُ الْقَلْبُ مِنْ وَقْدَتِهَا
تَصْهَرُ الْعِرَاقَةُ مِنْهُ فِي الْخَرُورِ

طَوَّفَ الْعَقْلَ بِدُنْيَا الْعِلَلِ
أَعْوَزَ الْمَنْزِلُ هَذَا السَّابِلَا
فِي « آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا » مُضْمَرُ
يَتْلَى التَّوْحِيدُ فِيكَ الْعَمَلَا
يُشْرِقُ الدِّينُ بِهِ وَالْحِكْمَةُ
قَدْ تَجْلَى حَيْرَةً لِلْعَالَمِينَ
يَرْتَقِي فِي ظِلِّهِ الْمُتَضَعُ
يَجْتَبِي التَّوْحِيدُ عَبْدًا ثَابِرَا
فَهُوَ فِي الْحَقِّ حَيْثُ دَائِبُ
رَبِّهِ يَقْنَى وَيَحْيَا الْعَمَلُ
فِي « مَقَامِ الْعَبْدِ » إِنْ ثَبَتَ قَدَمُ
« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » الرُّوحُ فِي أَمْتِنَا
« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » السِّرُّ فِي أَسْرَارِنَا
صَارَ قَلْبًا إِنْ حَوَاهَا حَجَرُ
يَتَلَقَّى الْكُونُ مِنْ زَفَرَتِهَا
وَتُسِيلُ الْقَلْبَ مَاءً فِي الصَّدُورِ

(١) إشارة إلى الآية في سورة مريم ﴿ إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم : ٩٣] .

(٢) كأس جشميد التي ترى فيها الأقاليم السبعة . أي إن صدقت النية في مقام العبودية لله وحده ينقلب السائل ملكاً ووعاؤه الذي يجتدي فيه يصير كأس جشميد .

(٣) تقدّم أنّ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » اختصار كلمة التوحيد .

شعلة في روحنا مثل الشقيق
يبيض التوحيد مُسودَّ البشر
ليس إلا القلب قرب وابتعاد
وحدة القلب قوام الأمة
قد هدى الأمة سبل العمل
نزعاً واحدة في قلبها
لا يُجيد الفكر في قيثاره
نحن في الإسلام أبناء الخليل
أمم قد عادت أوطانها
أترى الأوطان أصل الأمم
إنما الأناب فخر الشفهاء
ضمنا في الحق أس آخر
قد خلصنا من حدود قيود
ضمنا ، كالزهر ، نظم مضمُر
وخذ الرئي لنا والفكرة
نحن فكر وخيال واحد
نحن من نعمائه جلف إخاء

كل ما نعتاره منها الحريق
فأبو بكر أخوه وعمير
وهذه الكأس بها هاج الفؤاد
أشرق سيناء من ذي الجلوة
هذه الفكر بها والأمل
فعيار الحُسن والقُبْح بها
دون نار الحق في أوتاره^(١)
من « أبيكم » خذ إذا شئت الدليل^(٢)
وبنت من نسب بنائها
تعبد الأرض بها كالصنم؟
حكمها في الجسم ، والجسم هباء
هو في الأسباب منا مضمُر
قلنا في الغيب إذ نحن شهود^(٣)
بصر ليس يراه مُبصر^(٤)
كسهم جمعته جعبة^(٥)
ورجاء ومآل واحد
قلنا والروح واللفظ سواء



- (١) الفكر وحده لا يجدي ، ولا بد له من حرق الإيمان .
(٢) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ قُلْ أَيْكُمْ يُرْسِلُ ﴾ [الحج : ٧٨] .
(٣) أمتنا مؤسسة على العقيدة لا على الأرض . فقلوبنا ليست رهن الحس بل هي متصلة
بالغيب ، أي بالمعاني التي لا تحدها الأوطان .
(٤) نظامنا قائم غير مرئي ، كالبحر لا تدركه الأبصار .
(٥) الرئي : المظهر .

في معنى أنَّ الخوف ، والحزن ، واليأس أمهاتُ الخبائث^(١) وقاطعاتُ طريق الحياة ، وأنَّ في التوحيد دواءً هذه العلل الخبيثة

عُدَّة الموت قنوطٌ مُحبطٌ
إنما العيشُ رجاءٌ يُوصل
يأسك القبر إليه ترجع
رُيت الخيبة في أكنافه
أه من نوم الحياة المُخدير
كحلّه في العين يُعمي البصرا
نفسٌ منه سَمومٌ للحياه
وهو للغم حليفٌ واصلٌ
يا سجينَ الغم أبصر واسمع
ذلك النصيح سرى في قلبه
نما المسلم مثل الكوكب

والحياة الحقُّ أن لا تقنطوا^(٢)
فقنوطُ الحيِّ سَمٌ يقتل^(٣)
إن تكن ألوند فهو المصرع^(٤)
ونما العجز على الطافه^(٥)
إنه آيةٌ ضعفِ العنصر
ويردُّ الصُّبح ليلًا أكدرًا^(٦)
كلُّ ينبوع به جفَّ ثراه
إنما الغمُّ لحيٍّ قاتلٌ
من رسول الله « لا تحزن » وعي^(٧)
فغدا الصديق صديقاً به
باسمٌ في سعيه والذَّاب

- (١) مأخوذ مما جاء في الأثر من تسمية الخمر أم الخبائث .
- (٢) مقتبس من القرآن ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ .
- (٣) رجاء يوصل : دائم لا ينقطع .
- (٤) ألوند : جبل عال مشرف على مدينة همدان يعني : إن تكن كجبل ألوند في اليأس مصرعك .
- (٥) الضمير اليأس في أكنافه تشب الخيبة ، وبفضله ينمو العجز .
- (٦) الكحل يجلو البصر ولكن كحل اليأس يعمي ويجعل النور ظلاماً .
- (٧) إشارة إلى ما حكى القرآن الكريم من قول الرسول لأبي بكر في الغار : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

حَرَّرَ النَّفْسَ مِنَ الْغَمِّ وَدَعَّ
قُوَّةَ الْإِيمَانِ تُحْيِي فَأَعْلَمَنْ
قَلْبَهُ مِنْ « لَا تَخَفْ » قَلْبُ سَلِيمٍ
خَوْفٌ غَيْرِ اللَّهِ قَتْلُ الْعَمَلِ
وَبِهِ الْعِزُّ يَخَافُ الْغِيْرَا
مِنْ نَمَا ذَا الْبَذْرِ يَوْمًا فِي ثَرَاةٍ
فَهُوَ فَمْلٌ وَهُوَ شَادٍ يَغْرِفُ
يَسْرِقُ الرَّجُلَ قُوَى تَسِيَارَهَا
إِنْ تَجَلَّى لِعَدُوٍّ خَوْفُكَ
سَيْفُهُ يَزْدَادُ فَتْكَأُ فِي الْيَدِ
غَلْنَا الْخَوْفُ ، وَكَمْ فِي بَحْرِنَا
إِنْ أَبَى الثَّغْمَةَ يَوْمًا مِزْهَرُكَ
فَاعِزُّكَ الْأَذْنَ يَثْرُ فِيهِ الْغَنَاءُ
كُلُّ شَرٍّ فِي فَرْادٍ يُضْمَرُ
مِنْ دِيَارِ الْمَوْتِ عَيْنٌ قَدِمْهَا
عَيْنُهُ تَلْيِيْسُ آثَارِ الْحَيَاةِ
يُزْهَرُ الْخَيْبُ بِهِ وَالْمَلِيقُ

إِنْ عَرَفْتَ اللَّهَ ، أَغْلَالَ الطَّمَعُ
وَزَدَ « لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ » فَأَقْرَأَنْ^(١)
حِينَ يَمْضِي نَحْوَ فِرْعَوْنَ كَلِيمٍ^(٢)
وَهُوَ لِلْأَحْيَاءِ قَطْعُ السُّبُلِ
وَتَرَى الْمَقْدَامَ مِنْهُ خَذِرَا
حَرَمْتُهُ مِنْ تَجَلِّيْهَا الْحَيَاةِ
يَدُ شَلَّتْ وَقَلْبٌ يَرْجُفُ
يَسْلُبُ الرَّأْسَ قُوَى أَفْكَارَهَا
هَانَ كَالْوَرْدِ ، عَلَيْهِ قَطْفُكَ
عَيْنُهُ فِيكَ حَسَامٌ لَا يَدِي^(٣)
مِنْ عُجَابٍ مَائِجٍ فِي دَهْرِنَا
فَمَنْ الْخَوْفُ تَنْدَى وَتَرْكُ
وَيَهْرُ اللَّحْنُ آفَاقَ السَّمَاءِ
أَصْلُهُ الْخَوْفُ ، إِذَا مَا بُصِرُ
مِثْلَ مِيمِ الْمَوْتِ قَلْبٌ أَظْلَمَا^(٤)
أُذْنُهُ تَدْلِيْسُ أَخْبَارِ الْحَيَاةِ^(٥)
وَنَفَاقُ الْقَلْبِ مِنْهُ يَوْرَقُ

(١) إشارة إلى الآية : ﴿ الْآيَاتِ أَوَّلِيَّةَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

(٢) إشارة إلى قصة موسى وفرعون وقول الخالق عن موسى : ﴿ ظَنَّا لَا نَحْشَى إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾
وفرعون هنا نكرة ولهذا لحقه التنوين .

(٣) لا يؤدي دية من قتله .

(٤) عين : جاسوس . والميم في خط الرقعة والخط الفارسي مصمته . فجعل الشاعر
الخوف مظلم القلب مثل ميم الموت . وفي الأصل ميم مرك . ومرك : موت . فالميم
في الأصل والترجمة .

(٥) تشوه مظاهر الحياة عينه . وتحرف أخبار الحياة أذنه .

نوبه للزُّور سترٌ والريِّبُ حُرِّمَ الخوفُ طُمُوحَ الهَمَّةِ
جَجْرُهُ الفتنَةُ فيه والحربُ فهو خَدَنٌ لحليف الدَّلَّةِ
كلُّ من يفقد سرَّ المصطفى يجدُ الإِشْرَاكَ في الخوفِ اختفى



محاورة السَّهم والسَّيف

قال سهمٌ مرهفٌ يوم الزُّحامِ يا من الجنَّة في أعطافه
يا من الجنَّة في أعطافه خالداً صاحبتَ يَفْري القيلَقا
نارُ قهر الله في جوهرِكا انني في الجوّ أو في جَعْبتي
واذا القوس رمتني للثُّبور إنّ خلا الصُّدْرُ مِنَ القلبِ السَّليمِ
نَقْدَ النَّصْلِ خِلَالِ الأعْظَمِ وإذا خَلَّاهُ قلبٌ مؤمِنُ
ذاب رُوحِي من فؤادٍ وَقْدَا وهمي نصلي كقطرات النَّدَى



(١) ذو الفقار : سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) في الأصل وعلى الشام نثرت الشفقا . وشام في الفارسية بمعنى الليل .

السُّلطان عالمكير والأسد^(١)

إِنَّ عَالْمَكِيرَ عَالِي الْمَنْزِلِ
كَانَ لِلإِسْلَامِ مِنْهُ عِزَّةٌ
آخَرُ الْأَسْهَمِ فِي جُعْبَتِنَا
غَرَسَ الْإِلْحَادَ فِينَا أَكْبَرُ
وَحَبَا فِي الصَّدْرِ مَصْبَاحُ الْفَوَازِ
فَتَوَلَّى الْهِنْدَ فِي ذِي الْمَحْنَةِ
اجْتَبَاهُ الْحَقُّ لِلدِّينِ الْمَبِينِ
أَحْرَقَ الْإِلْحَادَ مِنْ بَرَقِ الْخُسَامِ
حَرَّفَ الْجُهَّالُ عَنْهُ مَا جَرَى
كَانَ إِبْرَاهِيمُ بَيْتَ الصَّنَمِ
كَانَ فِي الْأَمْلَاكِ فَرْدًا خَيْرًا
مَنْ بَنَى تَيْمُورُ فَخْرَ الدُّوَلِ
وَلَحَكُمُ الشَّرْعَ فِيهِ حُرْمَةٌ
فِي ذِيَادِ الْكُفْرِ عَنْ مِلَّتِنَا
فَنَمَا فِي طَبْعِ دَارِ يُزْهِرُ^(٢)
وَبَدَتْ أَمْتِنَا رَهْنُ فُسَادِ
زَاهِدُ رَبِّ حَسَامٍ مُصَلَّتِ
اجْتَبَاهُ أَجَلَ تَجْدِيدِ الْيَقِينِ
وَأَنَارَ الدِّينَ فِي هَذَا الظُّلَامِ
فَكَرَّهُمُ عَنْ قَصْدِهِ قَدَ قَصَّرَا
فِي لَفْظِ الْحَقِّ فَرَاشًا يَرْتَمِي
زَهْدُهُ مَنْ قَبْرِهِ قَدْ ظَهَرَ^(٣)

- (١) هو محيي الدين عالمكير الملقب أورنغ زيب ، أحد عظماء الملوك في دولة المغول في الهند ، وكان حريصاً على نشر الإسلام في الهند ملتزماً بحدود الشرع ، حكم الهند من سنة ١٠٩٩هـ إلى سنة ١١٤٨هـ ، انظر ترجمته في «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» للعلامة عبد الحي الحسني ، الجزء الثاني ، طبع دار ابن حزم بيروت .
- (٢) أكبر هو جلال الدين أكبر من أعظم سلاطين المغول في الهند ، حكم خمسين سنة ، وحاول أن يجمع بين الإسلام والأديان الأخرى في دين سماه الدين الإلهي ، وكان يتقرب إلى الهنالك ، ويرعى شعائهم . وداراً أخو عالمكير المذكور هنا .
- (٣) شاهجهان بن تاج محل لزوجته . فلما ولي عالمكير لم يبن لأبيه مزاراً بل دفنه بجانب زوجته في تاج محل . ثم بنى لنفسه قبراً صغيراً ساذجاً .

ذَا كَم الْمَلِكُ الْفَقِيرُ الْجَاهِدُ
 سَارَ صَبْحاً مُوْغِلاً فِي غَيْضَةٍ
 فِي نَسِيمِ الصَّبْحِ نَشْوَانٌ خَطَرُ
 وَاتَّحَى السُّلْطَانُ فِي شَوْقِ الصَّلَاةِ
 وَأَتَى لَيْثٌ مَهِيْبٌ فَيْكُ
 شَمَّ رِيحَ الْإِنْسِ بَعْدَ فِدْنَا
 فَإِذَا الْخَنْجَرُ مِنْهُ فِي الْيَدِ
 لَمْ يَفْزَعْ قَلْبُهُ بِالْبَغْتَةِ
 ثُمَّ لِلْحَقِّ دَعَاءُ الْوَلَاءِ
 مِثْلُ ذَا الْقَلْبِ الَّذِي لَمْ يَهْسِ
 إِنَّمَا الْعَبْدُ أَمَامَ الْحَقِّ « لَا »
 أَيُّهَا الْغَافِلُ ! قَلْباً حَضَّلاً
 أَبْذَلِ النَّفْسَ تَنْلَهَا لَا مَفْزَ
 أَحْرَقْنِ بِالْعَشْقِ خَوْفاً وَانْهَذَا
 إِنَّ خَوْفَ اللَّهِ إِيْمَانٌ جَلِي

زينة العرش الملِك المَاجِدُ^(١)
 مَعَهُ مِنْ جُنْدِهِ ذُو ثَقَّةٍ
 سَامِعاً تَسْبِيحَ طَيْرٍ فِي الشَّجَرِ
 مِنْ مَجَازِ حَتٍّ لِلْحَقِّ خُطَاهِ
 صَوْتُهُ يَرَعْدُ مِنْهُ الْفَلَكُ
 وَعَلَى السُّلْطَانِ أَهْوَى الْبُرْثَانَا
 بِأَقْرَأِ كَالْبَرْقِ بَطْنَ الْأَسَدِ
 خَالَ لَيْثُ الْغَابِ لَيْثُ الصُّورَةِ^(٢)
 فِي صَلَاةِ الْوَجْدِ مَعْرَاجٌ لَهُ^(٣)
 دَاوَهُ بِالْحَقِّ صَدْرُ الْمُؤْمِنِ
 وَهُوَ لِلزُّورِ « نَعَمْ » لَنْ يَبْطُلَا^(٤)
 هَيْئَتُنِ لِلْحَبِّ هَذَا الْمَحْمَلَا^(٥)
 ذَلٌّ لِلْحَقِّ تَنْلُ عِزَّ الدُّعَا
 حَمَلًا فِي الْحَقِّ لَيْثًا لِلْعَدَى
 ثُمَّ تَقْوَى غَيْرُهُ شَرَكٌ خَفِي

-
- (١) زينة العرش لقب هذا السلطان (أورتك زيب) .
 (٢) توهم اللئيم صورة لئيم .
 (٣) ثم دعاء الوجد إلى الصلاة مرة أخرى .
 (٤) العبد لدى مولاه يفنى ولكن يثبت في جهاد الباطل واللفظان العربيَّان « لَا » ، « نَعَمْ » في الأصل .
 (٥) الألف في حصلا نون التوكيد الخفيفة .

الركن الثاني

الرسالة

تارك الآفل ، من قبل الخليل إِنَّهُ لَهِ لَّهُ فِينَا آيَةً ﴿ طَهَّرَا بَيْتِي ﴾ إِلَيْهِ أَنْزَلَا قَفْرَةً مِنْ أَجْلِنَا قَدْ عَمَّرَا ﴿ تَبَّ عَلَيْنَا ﴾ نَضَّرَتْ زَهْرَتَهَا صَوْرَ الرَّحْمَنِ مَنَّا هَيْكَلَا أَحْرَفَا كُنَّا وَلَسْنَا كَلِمَا بِالرَّسَالَاتِ بَدَا تَكْوِينُنَا ذَاكَ مَنْ « يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يَرِيدُ » حَلَقَةً ذَاتُ مُحِيطٍ يُعْجِزُ نَحْنُ مَنَّا جَمَعْتَنَا أُمَّةً مَوْجُنَا فِي بَحْرَهَا مَتَّصِلُ أُمَّةً فِي حَرَزِ سُورِ الْحَرَمِ	هُوَ لِلرُّسُلِ عَلَى النَّهْجِ دَلِيلُ رُئِيتُ فِي قَلْبِهِ ذِي الْعَلَّةِ بَعْدَ سَنَلٍ مِنْ دَمُوحِ سُنُلَا ^(١) وَبَنَى الْبَيْتَ الَّذِي قَدْ طَهَّرَا فَتَمَّتْ فِي أَرْضِنَا رَوْضَتُهَا ^(٢) وَحَبَاهُ الرُّوحَ مَنَّا أَنْزَلَا فَتَأَلَّفْنَا كَيْتَ نَظْمَا شَرَعْنَا مِنْهَا وَمِنْهَا دِينُنَا حَلَقَةً مِنْهَا حَوَالِينَا يَشِيدُ ^(٣) سَاحَةَ الْبَطْحَاءِ فِيهَا مَرْكَزُ ^(٤) أَرْسَلْتُ لِلنَّاسِ فِيهَا الرِّحْمَةَ مَوْجَةً مِنْ مَوْجَةٍ لَا تُفْصَلُ فِي حِفَاظٍ مِثْلَ أَشَدِّ الْأَجْمِ ^(٥)
--	---

- (١) إشارة إلى الآية : ﴿ وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَافِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة : ١٢٥] .
- (٢) إشارة إلى دعاء إبراهيم وإسماعيل ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٨] .
- (٣) إشارة إلى الآية : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ مَا كُنْتَ يَتَّبِعُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴾ [الحج : ١٦] .
- (٤) بطحاء مكة .
- (٥) إشارة إلى بيت البردة :
- أَحْلَلْ أُمَّتَهُ فِي حَرَزِ مَلَّتِهِ كَاللَّيْلِ حُلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجْمِ =

إِنْ تَحَقَّقَ مَعْنَى فِي كَلِمَتِي
فَالنَّبِيُّ الرُّوحُ فِينَا وَالْعَصَبُ
سِفْرُهُ فِي الْقَلْبِ نَبْعُ الْقُوَّةِ
قَطْعُ حَبْلٍ مِنْهُ لِلْمَوْتِ زَدِيفُ
حَيَاتِ الْأُمَّةِ مِنْ تَرْيَاقِهِ
وَحَدَّ الْمُرْسَلُ فِينَا النِّعْمَا
كَثْرَةُ الْأَلْفِ عَيْنِ الْوَحْدَةِ
وَحَدَّةُ الْقَصْدِ حَيَاةُ الْكَثْرَةِ
عَلَّمَ الْفَطْرَةَ خَيْرُ الرُّسُلِ
بِحَرِّهِ أَخْرَجَ هَذَا الْجَوْهَرَ
هَذِهِ الْوَحْدَةُ مَا لَمْ تَفْقِدِ
خَتَمَ اللَّهِ عَلَيْنَا شِرْزَعَتَهُ
مَحْفَلُ الْأَيَّامِ مِنْهَا يَسْمُ
خِدْمَةُ السَّاقِي إِلَيْنَا صَرْفًا
« لَا نَبِيَّ بَعْدُ » فَضْلٌ عُرفنا
إِنَّهُ قُوَّةُ هَذَا الْمَلَّةِ
كُلُّ دَعْوَى بَعْدَهَا لِلْأَفْنِ
مَا سِوَى الْحَقِّ قِلَاةُ الْمُسْلِمِ

نَظَرَةُ الصُّدُيقِ رَبِّ الْفَهْمِ
وَالِى الْقَلْبِ مِنْ الرَّبِّ أَحَبُّ
شَرَعُهُ حَبْلٌ وَرِيدُ الْأُمَّةِ
كَذَبُولُ الْوَرْدِ فِي رِيحِ الْخَرِيفِ
صُبْحُهَا نُورٌ مِنْ إِشْرَاقِهِ
وَالطَّوَايَا وَالْمُنَى وَالْأَلْمَا
وَمِنْ الْوَحْدَةِ نَشَأُ الْأُمَّةُ^(١)
مَقْصِدُ الْمُسْلِمِ دِينُ الْفَطْرَةِ
فَمُضِينَا لِلْهُدَى كَالشُّعْلِ
نَحْنُ رُوحٌ وَاحِدٌ مِنْهُ سَرَى
تَحْفِظُ الْمُسْلِمِ حَتَّى الْأَبَدِ
وَعَلَى الْمُرْسَلِ فِينَا بَعَثَهُ^(٢)
خَتَمُ الرُّسُلِ بِنَا وَالْأُمَمِ
جَامَعُهُ الْآخِرَ فِينَا خَلْفًا
إِنَّهُ حَرَمَةٌ دِيسِ الْمُسْطَفَى^(٣)
إِنَّهُ سِرُّ اتِّحَادِ الْأُمَّةِ
أَحْكَمُ الْإِسْلَامِ طَوْلَ الرُّمْنِ
قَائِلًا : « لَا قَوْمَ بَعْدِي » فَاعْلَمُوا



(١) الكثرة المؤتلفة هي في الحقيقة وحدة لا كثرة . وإذا اتلفت الكثرة فانتقلت نشأت الأمة .

(٢) في حاشية الأصل بيت من البردة :

لَمَّا دَعَا اللَّهَ دَاعِينَا لَطَاعَتِهِ بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ

(٣) لَا نَبِيَّ بَعْدِي فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ . وَمَكَانَةُ الْإِسْلَامِ مِنْ هَذَا .

في بيان أنَّ مقصود الرسالة المحمدية تمكين الحرّية والمساواة والأخوة بين البشر

<p>عبد الإنسان أصنام البشر قيصر العسف وكسرى قيّدا ومن القسيس والملك طلاب نصب الأشرار للصّيد الضرع حقله قد عاث فيه البرهم أضعف الرقّ لديه الهمما</p>	<p>فهو في عُدْمٍ وذلّ محتقر منه جيّدٌ ثمّ رجلاً ويّدا بخراج الحقل ، والحقل خراب بائع الجنّة أسقف الخدع ومجوسٍ أحرقت ما قد خزن لحنّه في عوده سالّ دما</p>
---	--

<p>وأميناً بعث المولى به رفع العبدان بالحقّ إلى بثّ في برد الرّماد الثّعلا سلب السلطان جزب الأمرين عزمه هدّ قديمات الضّور بثّ روحاً حيّت الموتى بها مولدّ مات به العصر القديم أزهر التحرير في روضته عصرنا اللآلء في أنواره خطّ في العالم سطرأ مبّدعا</p>	<p>سَلَّمَ الحقّ إلى أصحابه سُرُر الخاقان والرّوز قلى فعلى برويز فرهاد علا^(١) فسما بالحقّ قدر العاملين وينى حصناً جديداً للبشر وافتدى الأعبّد من أربابها ويوتّ النار والوثن حطيم هذه الصّهباء من كرمته فتح الأعين في أحجاره^(٢) أمة فساتحة قد أبدعا</p>
--	--

(١) برويز ملك عظيم من ملوك الفرس . وفرهاد مهندس فارسيّ له مع برويز وجارته
شيرين رائعة في الأدب الفارسي .

(٢) الحديثة الحاضرة من آثار البعثة الإسلامية فهذا العصر جاء إلى الوجود في حجرها .

صدرها من وقدة الحق أضاء
أشرق الكون بها إذ يبتنى
ولدتها الأنبياء القُدم
إخوة فيها جميعُ المؤمنين^(١)
المساواة لديها فطرة
نسلها كالسرو حرٌّ قد علا
سجدة الحق بسماها غرر

قصة

أبي عبيد وجابان

في معنى الأخوة الإسلامية^(٣)

مُسلمٌ في حومة الحرب أَسْرَ
قائدُ ربِّ خداعٍ مأكُرُ
لم يعرف أسريه باسمه
قال للأسر : يا ذا الكرم
وضع الجندي في الفم الحسام
وخبث في الحرب نيران العَجم
فإذا المأسورُ جابانُ الكبيرُ

قائداً من جيش كسرى ذا خطر
عجم الأيَّامِ ذئبٌ غادرُ
أو يحدث أحداً عن اسمه
أمنّني . ذاك شأنُ المسلم
مُعلننا أن دُمك اليوم حرام
وهوى من آل ساسان العلم
قائدٌ في جند إيران أميرُ

(١) إشارة إلى الآية : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

(٣) أبو عبيدة الثقفي : أحد قواد المسلمين في فتح العراق ، وجابان : قائد فارسي .

أقبل الجند بصوت قارع
 بُوعبيد قائد العُزْب الأبي
 قال يا قوم : ألسنا المسلمين
 من أبي ذرٍّ علث أو حيدر
 كل جندي أمين الملة
 إنَّ جبابان عدوَّ غشيم
 دمه اليوم عليكم حُرماً

يسأل القائد قتل الخادع
 عزمه في الحرب عن جيش غني^(١)
 نعمة واحدة في العالمين
 من بلالٍ سمعت أو قنبر^(٢)
 صلحه والحرب عهد الأمة
 لكن الأمن حياه مسلم
 أمة المختار ! أوفوا الذمما

قصة

السلطان مراد والعمَّار^(٣)

في معنى المساواة الإسلامية

أخرجت أرض حُجند صانعا
 صانعا فرهاداً حقاً ولدا
 غضب السلطان من تقصيره
 قدحت عين المليك الشررا
 سار للقاضي حزيناً يجار
 قال : يا من قوله الحق المبين !

نال في التشيد صيتاً ذائعاً
 لمراد مسجداً قد شيدا^(٤)
 لم ير الإتقان في تعميره
 وبذ المسكين فـ ورأ : ترا
 دمه من يده ينهمر
 يا حفيظاً شرع خير المرسلين !

(١) بو عبيد هكذا جاءت في الأصل واقتضى الوزن وذكر الاسم إبقاءها كما جاءت .

(٢) الحيدر : علي بن أبي طالب وقنبر خادمه . يعني : أن نعمة ينطق بها بلال ، أو قنبر هي نعمة علي وأبي ذر . سواء فيها الكبير والصغير ، والسيد والمولى .

(٣) مراد : أحد أمراء خوقند في تركستان في القرن الثالث عشر الهجري .

(٤) فرهاد مهندس له قصة رائعة معروفة في الأدب الفارسي .

لَسْتُ لِلْسلْطَانِ عَبْدًا فَاسْمَعْ
 قِرْعَ الحَاكِمِ مِنْ الْمُبْلِسِ
 فَاتَى السلْطَانُ يَخْشَى ذَنْبَهُ
 عَيْنُهُ مِنْ خَجَلٍ لِلْقَدَمِ
 وَقَفَ الْخَصْمَانِ : خَصْمٌ يَشْتَكِي
 جَهْرَ السلْطَانِ : إِنِّي نَادِمٌ
 وَتَلَا الْقَاضِي : « حَيَاةٌ فِي الْقَصَاصِ »
 لَيْسَ دُونَ الْحُرِّ عَبْدٌ مُسْلِمٌ
 سَمِعَ الْقُرْآنَ يُمْلِي حُكْمَهُ
 إِذْ رَأَى الْخَصْمَ الَّذِي قَدْ فَعَلَا
 قَائِلًا : « اللَّهُ أَعْفُو وَكَفِي »
 نَمْلَةٌ عَزَّتْ سُلَيْمَانُ الْقَوِي
 جَمَعَ الْقُرْآنُ مَوْلَى وَفَتَاهُ

حُكْمَ الْقُرْآنِ فِينَا وَاقْطَعْ^(١)
 وَدَعَا السُّلْطَانُ نَحْوَ الْمَجْلِسِ
 هَيْئَةُ الْقُرْآنِ تُدْمِي قَلْبَهُ
 وَعَلَى خَدَّيْهِ لَوْنُ النَّدَمِ
 وَخَصِيمٌ فِي ثِيَابِ الْمَلِكِ
 لَا أَرُدُّ الْحَقَّ إِنِّي جَارِمٌ
 ذَاكَ قَسَانُونَ حَيَاةٍ . لَا مَنَاصَ
 وَخَذَ الْمَعْمَارَ وَالْمَلِكُ دَمٌ
 فَنَضَا السُّلْطَانُ فَوْرًا كَمَّه^(٢)
 آيَةً « الْإِحْسَانُ وَالْعَدْلُ » تَلَا^(٣)
 إِنِّي أَعْفُو لِأَجْلِ الْمَصْطَفَى
 انْظُرْنَ سَطْوَةَ قَانُونَ النَّبِيِّ
 وَذَوِي التَّيْجَانِ سَوَّى بِالرَّعَاءِ



فِي بَيَانِ أَنَّ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ مُؤَسَّسَةٌ عَلَى التَّوْحِيدِ فَلَا تَحْدُهَا الْأَمَكَةُ

قَلْبُنَا الْخُفَّاقِ يَا بِي مَوْطِنَا رِيحُهُ الْعَاصِفُ تَأْبَى مَسْكَنَا^(٤)

(١) اقطع يد السلطان قصاصاً .

(٢) شمر كفه استعداداً لقطع يده .

(٣) آية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل : ٩٠] اقطع عدلٌ ؛ والعفو إحسانٌ .

(٤) حذف قبل هذا أبيات فيها حديث وقعة كربلاء .

لَيْسَ مِنْ هِنْدٍ وَرُومٍ قَلْبُنَا
كَعَبِّ الشَّاعِرِ فِي خَيْرِ الْعِبَادِ
نَقَلَمَ الدُّرَّ مَنِيرًا فِي ثَنَاهِ
مَنْ عَلَى الْأَفلاكِ فِيهِ رَفْعَةٌ
قَالَ : سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ قُلٌّ
وَكَذَا تَكَمُّ قَالَ ذُو الْقَدْرِ الْعَلِي
لِي مِنْ دُنْيَاكُمْ قَدْ حُيِّيا
إِنْ تَكُنْ سِرًّا الْمَعَانِي تَعْلَمُ
كَانَ فِي الدُّنْيَا وَفِيهَا مَا سَكَنُ
مِنْ سَنَاهِ قَدْ تَجَلَّى الْعَالَمُ
لَسْتُ أَدْرِي مَا جِئَاهُ وَالْوَطَنُ
قَدْ رَأَى فِي أَرْضِنَا دُنْيَا لَنَا
إِذَا أَضَعْنَا الْقَلْبَ فِي هَذَا الْيَبَابِ
لَا تَحُدُّ الْأَرْضُ قَلْبَ الْمُسْلِمِ
لَيْسَ لِلْمُسْلِمِ فِي الْأَرْضِ عَظْمٌ

مَا سِوَى الْإِسْلَامِ فِيهِ أَرْضُنَا
أُنْشِدَ الْمِدْحَةَ مِنْ « بَانتَ سَعَادُ »^(١)
مِنْ سَيُوفِ الْهِنْدِ سَيْفًا قَدْ دَعَا^(٢)
لَمْ تَسْرِقْهُ لِبِلَادٍ نَسَبَةٌ
يَا نَصِيرَ الْحَقِّ زُورًا لَا تَقُلْ
مِنْ سَنَاهِ كَحُلِّ عَيْنِ الرَّسُلِ :
بَعْضُ مَا فِيهَا حِلَالًا طَيِّبًا^(٣)
فَافْهَمِ النُّكْتَةَ فِي « دُنْيَاكُمْ »
ذَلِكَ الْمَشْرِقُ فِي لَيْلِ الزَّمَنِ
مُشْرِقًا إِذْ كَانَ طِينًا آدَمُ
أَنَا دَارِ أَنَّهُ فِينَا مَكْنٌ^(٤)
وَهُوَ فِي الدُّنْيَا كَضَيْفٍ بَيْنَنَا
وَفَقَدْنَا النَّفْسَ فِي هَذَا الشَّرَابِ
لَا يُرَى فِي تَيْهِ « أَنَّى وَكَمْ »^(٥)
حَائِزٌ فِي قَلْبِهِ كُلُّ وَطَنٍ^(٦)

- (١) كعب بن زهير الذي مدح الرسول بالقصيدة المعروفة : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول .
(٢) إشارة إلى البيت :
إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يَسْتَضَاءُ بِهِ مَهْنَدٌ مِنْ سَيُوفِ الْهِنْدِ مَسْلُورُ
(٣) إشارة إلى الحديث : « حُبَّ إِلِي مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ . . . الْخَبْرُ . لَمْ يَقُلِ الرَّسُولُ مِنْ
دُنْيَايَ ، أَوْ دُنْيَانَا بَلْ قَالَ : دُنْيَاكُمْ .
(٤) سَكَنَ الْإِنْسَانُ : مَنْ يَكُنْ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ ، أَوْ صَدِيقٍ .
(٥) لَا يَتِيهِ فِي عَالَمِ الْعُلَلِ وَالْمَقَادِيرِ .
(٦) يَقُولُ إِقْبَالَ فِي دِيْوَانِ ضَرْبِ الْكَلِمِ :

إِنَّمَا الْكَافِرُ حَيْرًا ذُلُّهُ الْأَفْئَاقُ تَيْهِ
وَأَرَى الْمُؤْمِنَ كَوْنًا تَاهَتْ الْأَفْئَاقُ فِيهِ

حَضَلِ الْقَلْبَ فِي وَسْعَتِهِ
عَقْدَةُ الْأَقْوَاتِ حَلَّ الْمُسْلِمِ
أُمَّةً مَلَأَ الدُّنْيَا قَدِ انْمَسَا
صَارَتْ الْأَرْضُ لَدِينَا مَنَجِدَا
ذَلِكَ الْمَحْمُودُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ
تَفَزَّعُ الْأَعْدَاءُ مِنْ هَيْبَتِهِ
فَلَمَّاذَا أَرْضَ أَهْلِيهِ هَجَرَ ؟
حَجَبَ الْقَضَا صُ مَعْنَى الْقَضَا
هَجْرَةً شَرَّعُ حَيَاةِ الْمُسْلِمِ
إِنَّهَا التَّسْيَارُ نَحْوَ الْوُسْعَةِ
أَهْجَرَ الزَّهْرَةَ أَجَلَ الْرَوْضَةِ
شَرَفُ الشَّمْسِ مَبْرُ مَطْلُوقُ
لَا تَكُنْ نَهْرًا مِنْ الشَّجَبِ يُمَدُّ
اقْصِدْ تَسْخِيرَ كُلِّ الْعَالَمِ
لَا يَقِيدُكَ مُقَامٌ فِي الْوَرَى
كُلُّ مَنْ حُرِّرَ مِنْ ذُلِّ الْجِهَاتِ
تَرَكَ الْوَرْدَ شَذَاهُ فَرَى
يَا أَسِيرًا قَدْ ثَوَى فِي رَوْضَةٍ
سَيَّرَنَ نَفْسَكَ حَرًّا كَالضَّبَا

ضَلَّ هَذَا الْكُونُ فِي فَسْحَتِهِ
هَجَرَ الدَّارَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ (١)
جَعَلَ التَّوْحِيدَ فِيهَا أَسَا
إِذَا أَشَاعَ الْقَضَلَ فِينَا وَهَدَى
ذَلِكَ الْمَحْفُورُ بِاللهِ الرَّحِيمِ
فِي ارْتِعَادٍ مِنْ مَنَا طَلَعَتِهِ
أَتَرَاهُ خَشْيَةَ الْأَعْدَاءِ فَرَّ ؟
غَلَطُوا فِي فَهْمِ مَعْنَى الْهَجْرَةِ
هَجْرَةً سَرُّ ثَبَاتِ الْمُسْلِمِ
وَلَأَجَلَ الْيَمِّ تَرَكَ الْقَطْرَةَ (٢)
إِنَّ هَذَا الْخُسْرَ رِيحُ الْكَثْرَةِ
فِيهِ مَنْ فَوْقَ الْبَرَايَا تَخْفُقُ
وَكُنَ الْبَحْرَ ، عُبَابًا لَا يُحَدُّ
لُتْرَى سُلْطَانِ أَهْلِ الْعَالَمِ
وَكُنَ الْحَوْتَ يَسِيحُ الْأَبْحَارِ
فَلَكَ يُزْهِرُ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ
فِي فَسِيحِ الْمَرْجِ عِطْرًا نَشْرَا
عَنْدَلِيْبًا هَائِمًا فِي وَرْدَةٍ !
ثُمَّ عَانَقَ كُلَّ أَزْهَارِ الرُّبَى

يعني : أن المؤمن المجاهد لا تعرفه ولا تحيره عقبات هذا العالم ، بل يسخرها كما يشاء .

(١) الإمام الأعظم رسول الله ﷺ .

(٢) في القرآن الكريم : ﴿ قَالُوا كَلَّا مُتَعَمِّقِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا لَئِنْ لَكُنْ أَرْضٌ أَقْوَى وَبِعَةِ فَتَهْجَرُوا فِيهَا ؟ ﴾ [النساء : ٩٧] فالهجرة ترك المكان الذي يعسر فيه العمل إلى المكان الذي يتيسر فيه أداء الواجب .

احذرن من خدعة العصر الجديد التباس النهج حاذر يا رشيد

في بيان أن الوطن ليس أساس الأمة

صَيَّرُوا الْأَوْطَانَ أُمَّةً	قَطَّعُوا الْأَرْحَامَ بَيْنَ الْإِخْوَةِ
قَسَّمُوا الْإِنْسَانَ أُسْرَاباً بِهَا	قَدَّسُوا الْأَوْطَانَ إِعْجَاباً بِهَا
« فَأَجَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَازِ » ^(١)	طَلَبُوا الْجَنَّةَ فِي « بَيْتِ الْقَرَارِ »
لَيْسَ إِلَّا الْحَرْبُ فِيهِ ثَمَرُ	مَحَقَّ الْجَنَّةَ هَذَا الشَّجَرُ
وَانْتَهَتْ قِصَّةُ الْإِنْسَانِيَةِ	أَنْكَرَ الْإِنْسَانُ وَجْهَ الْإِخْوَةِ
بَقِيَتْ أَقْوَامُهُ وَهُوَ مَضَى	ذَهَبَ الْإِنْسَانُ رَوْحاً وَانْقَضَى
فَنَمَتْ فِي الْغَرْبِ هَذِي الْأَفَةُ	مَنْصِبُ الدِّينِ حَوَاهُ السَّاسَةِ
وَحَبِيتْ فِي دُورِهِ شُعْلَتُهُ	دِينُ عَيْسَى بَطَلَتْ قِصَّتُهُ
حَادَتْ الْأَزْلَامُ عَنْ تَدْبِيرِهِ	عَجَزَ الْأَسْقَفُ عَنْ تَقْدِيرِهِ
أَبْطَلُوا فِي سَوْفِهِمْ سَكَّتُهُ	قَوْمَ عَيْسَى حَقَرُوا بِعَيْنِهِ
وَمِنَ الشَّيْطَانِ قَدْ وَافَى نَبِي	مَرْقُ الدَّهْرِيِّ ثَوْبَ الْمَذْهَبِ
كَحُلِّهِ أَوْدَى بَنُورُ الْأَعْيَنِ ^(٢)	ذَا الْفُلُورَنْسِيِّ عَبْدُ الْوِثَنِ
وَبَذُورَ الْحَرْبِ فِينَا بَذَرَا	خَطُّ لَلْأَمْلَاكِ سِفْراً مَنْكَرَا
فَطَرَةً تَوْثُرُ عَيْشِ الظُّلَمِ	مَرْقُ الْحَقِّ بِحَدِّ الْقَلَمِ
خَطَّةً بِدَعَا جَلَا تَفْكِيرُهُ	آزَرُ الْعَصْرِ ، بِدَا تَزْوِيرُهُ
كُلُّ قَبَحٍ نَالَهُ تَحِينُهُ	جَعَلَ الْمُلُوكَ إِلَهاً دِينُهُ

(١) اقتباس من القرآن جاء في الأصل .

(٢) الفلورنسي : ميكافلي ، مؤلف كتاب الأمير الذي أحلّ للملوك كل وسيلة تبلغ بهم

الغاية .

جعل النفع عيارَ الذَّمِّ حينما خَرَّ لهذا الصَّنَمِ^(١)
 صارت الحيلةُ فُتاً مُحْكَمًا ونما الباطلُ ممَّا علَّمَا
 خطَّةٌ لِلْوَهْنِ فِينَا حَبْكَأ في طريقِ الدَّهرِ ألقى حَبْكَأ
 أَرَمَدَ النَّاسَ بِهَذِي الحَكْمَةِ إذْ دعا التزويرَ بالمصلحة



في بيان أنَّ الأمةَ المحمديةَ ليس لها حدودُ زَمَانِيَّةٌ أيضاً

أَرَأَيْتَ الطَّيْرَ فِي عُرْسِ الرِّيعِ وهياجَ الكِمْ وَالْوَزْدَ البَنِيعِ
 وَعَرُوسُ الزَّهْرِ نَشَوَى النَّعْمِ وعلى الأرضِ قُرَى مِنْ أَنْجَمِ
 غَلَّ العُشْبُ دَمَوْعُ الشَّخْرِ وشدا الماءُ لنومِ النَّهْرِ
 وَإِذَا الكِمْ عَلَى الفَصْنِ رَبَا منعته جِجَرَهَا رِيحُ الصَّبَا
 دَمِيَ البرْعَوْمُ مِنْ قَطْفَتِهِ ومضى كالرَّيحِ عَنْ رَوْضَتِهِ^(٢)
 عَشَّشَ الْوَزَقَ وَطَارَ الْبَلْبَلُ وشذاً فَرَّ وَطَلَّ يَنْزِلُ^(٣)
 لَيْسَ يُكْرَى مِنْ ربيعِ رَوْقِ حينَ تَذوي زَهْرَاتِ تَعْبِقُ
 مُحْفَلِ الْأَزْهَارِ بَاقٍ بِضَحْكَ لَا يُبَالِي كَنْزُهُ مَا يُهْلِكُ
 مَوْسِمَ الْأَزْهَارِ أَبْقَى فِي الدَّهْرِ هو أَبْقَى مِنْ وَرْدٍ وَزَهْرِ^(٤)
 لَا يُبَالِي جَوْهَرًا قَدْ كُسِرَا معدنٌ يُنَمِي وَيُيَدِي الْجَوْهَرَا
 كَمْ شُرُوقٍ وَغُرُوبٍ ، لَا مَقْرَا أَكُوسُ تُوْخِذُ مِنْ دَنْ الدَّهْرِ

(١) الصنم : الملك .

(٢) الريح : الرائحة .

(٣) تذهب طير وتجيء أخرى ، وتسير الرائحة وينزل الندى . فالروضة باقية على تبدل ما فيها .

(٤) موسم الزهر أبقي من أحاد الزهر . فالزهرة تذبل ، والموسم يدوم .

تذهب الأماس والباقي الغد^(١)
 من مسير الغد سيار القدم
 يرحل الفرد وتبقى الأمة^(٢)
 ثم ذات وصفات أخر
 تولد الأمة من قلب جليل
 ويعيش الفرد عشرات سنين
 وحياة الشعب في حفظ الشئ
 موت قوم ترك قصيد للحياه

خمرة من شربها لا تنفذ
 ثابت في الدهر تقدير الأمم
 يسفر الخيل وتبقى الصحبة
 ولها عيش وموت أخر
 ينشأ الفرد من الطين القليل
 نفس الأمة يحصى بالمثل
 وحياة الفرد روح في بدن
 موت فرد نضب ورد للحياه



ولها يوماً قضاء يحتم
 أصلها الميثاق في ﴿قالوا: بلى﴾^(٣)
 ﴿نحن نزلنا﴾ لديها حجة^(٤)
 بدوام الذكر دام الذكور^(٥)
 قال ربي عالماً : ﴿أن يطفئوا﴾^(٦)
 أمة يعشقها أهل القلوب^(٧)

كممات الفرد تنفي الأمم
 أمة الإسلام تأبى أجلا
 لا تخاف الموت هذي الأمة
 دام ذكر ما أقام الذكور
 ذلك المصباح أنى يطفأ ؟
 أمة الحق إلى الحق تنيب

(١) الأماس : جمع أمس .

(٢) يسفر ، أي : يسافر .

(٣) إشارة إلى الآية : ﴿وَلَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مَادَّةً مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف : ١٧٢] يعني : أنها قائمة على عقيدة أزلية عامة خالدة فهي دائمة بدوام هذه العقيدة .

(٤) إشارة إلى الآية : ﴿إِنَّا عَنَّا نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنُوقِنُونَ﴾ [الحجر : ٩] .

(٥) المعنى : إن كان الذكر محفوظاً فلا بد أن يدوم الذكور ، فلا ذكر بدون ذكور .

(٦) الآية : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَا أَن يُمْسَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة : ٣٢] .

(٧) إلى الحق تنيب : الحق هنا الله تعالى .

مُضِلَّتْ بِالْحَقِّ ذَا السَّيْفِ الصَّقِيلِ مُضِلَّتْ مِنْ غَمْدِ آمَالِ الْخَلِيلِ^(١)
 مَا سِوَى الْحَقِّ مَحَاهُ بَرْقُهُ لِيَعِيدَ الْحَقُّ حَيَا نَطْقُهُ
 نَحْنُ لِلتَّوْحِيدِ أَقْوَى حِجَّةُ لِلْكِتَابِ اخْتَارْنَا وَالْحِكْمَةِ^(٢)

أَضْمَرَ الدَّهْرُ عَلَيْنَا نَارَهُ مَخْفِيًا فِي صَدْرِهِ تَاتَارَهُ
 أَطْلَقَ الْفِتْنَةَ مِنْ أَحْبَالِهَا وَرَمَى بِالطُّسُودِ مِنْ أَثْقَالِهَا
 فِتْنَةً مَوْطِئُهَا هَامُ الْأُمَمِ نَظْرَةً مِنْ طَرْفِهَا قَتْلُ عَمَمِ
 أَنْفُ هَوْلِ فِي حِشَامَا يَرْقُدُ لَيْسَ لِلْأَمْسِ بِمِثْوَاهَا غَدُ
 سَطْوَةُ الْإِسْلَامِ لِلتَّرَبِّ هَوْتُ مَا رَأَتْ بَغْدَادُ رُومًا مَا رَأَتْ
 لَكِنْ اسْأَلْ ذَلِكَ الدَّهْرَ الْمُلِيمَ مُحَدِّثَ الْأَفْعَالِ ذَا الْمَكْرِ الْقَدِيمِ
 رَوْضُنَا كَانَ لَهَيْبِ التَّارِ خَلَيْنَا كَانَ يَنَارُ الشَّرِّ^(٣)
 فَسَلَابِرَاهِيمَ فِينَا فِطْرَةً وَإِلَى الْمَوْلَى لَدِينَا نَسِبَةً
 مِنْ لَهَيْبِ قَدْ جَنِينَا زَهْرًا نَارَ نَمْرُودٍ رَدَدْنَاهَا كَوْثَرًا
 كُلُّ نَارٍ يَوْقُدُ الدَّهْرَ لَنَا زَهْرَاتُ حِينَ تَأْتِي رَوْضَنَا

ذَهَبَ الرُّومُ وَفُضَّ الْمَوْكِبُ شَرْقُهَا أَقْوَى وَأَقْوَى الْمَغْرِبُ
 كَسَأْسُ سَاسَانَ مِنَ الْغَمِّ دَمٌ حَانَ يُونَانَ خَرَابٌ مُظْلَمٌ^(٤)

(١) إبراهيم الخليل : كان يأمل أن يخرج من ذريته أمة موحدة فأنجلت آماله عن هذه الأمة .

(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ وَصَلَّيْكُمْ أَكْثَبَ وَالْحَكْمَةَ وَرَّعَلَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٥١] .

(٣) يعني : كانت نار التتر علينا برداً وسلاماً ، بل كانت روضة لنا كما كانت النار لإبراهيم .

(٤) ساسان الذي تنسب إليه دولة الفرس الساسانية التي سيطرت من القرن الثالث الميلادي =

وَعَنْتُ مِضْرُ لَدَهْرٍ غَرَمٍ
وَأَذَانُ الْحَقِّ فِينَا خَلَدَا
إِنَّ لِلْكَوْنِ مِنَ الْعِشْقِ حَيَاءَ
أَحْيَتِ الْعِشْقُ قُلُوبَ تُسْعَرُ
إِنْ نَكُنْ كَالْكَمْ نُطَوِي كَمَدَا

وَتَوْتُ أَعْظَمُهَا فِي الْهَرَمِ
أُمَّةُ الْإِسْلَامِ تَبْقَى أَبَدَا
وَبِهِ أَجْزَاؤُهُ شَدَّتْ قُؤَاهُ
شَبَّهَا مِنْ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »^(١)
فَرَدَانَا فِيهِ لِلرَّوْضِ رَدَى^(٢)



في بيان أن الأمة لا تنتظم بغير شريعة وشريعة الأمة المحمّدية القرآن

أُمَّةٌ خَلَّتْ يَدَاهَا السُّنَنَا
سِيرَةُ الْمُتَّحِدِمْ شَرِيعٌ وَكَفَى
بِاتْتِظَامِ الصَّوْتِ تَعْلُو النِّعْمَةُ
إِنَّمَا فِي الْحَلْقِ مَوْجٌ مِنْ قُؤَاهُ
صَاحٍ هَلْ تَعْلَمُ مَا سُنْتُكَ؟
الْكِتَابُ الْحَيُّ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ
إِنَّ فِيهِ سِرٌّ تَكْوِينِ الْحَيَاءِ
لَفْظُهُ لَا رَيْبَ أَوْ تَبْدِيلَ فِيهِ
قُوَّةٌ فِيهِ تَشْدُ الْخُورَا

كَكْثِيرٍ مِنْ رِمَالٍ وَهَنَا
ذَلِكَ بِأَطْنُ دِينِ الْمُضْطَفَى
وَهِيَ مِنْ دُونِ نِظَامِ ضَجَّةٍ
يَعْلُقُ النَّظْمُ بِهِ فَهَوَ غِنَاءُ
أَيُّ سِرٍّ ضَمَنْتَ قَدْرُتُكَ؟
حِكْمَةٌ فِي الدَّهْرِ تَبْقَى لَا تَرِيمُ
يَسْتَمِدُّ النِّكْسُ أَبَدًا مِنْ قُؤَاهُ
آيَةٌ لَا لَيْسَ أَوْ تَأْوِيلَ فِيهِ
وَبِهَا يَرْمِي الزَّجَاجُ الْحَجَرَا

حتى ظهور الإسلام .

(١) يعني : أن الأمة الإسلامية تبقى بما في قلوبها من الوجد والهيام والإقدام على العمل
وهذا العشق حياة العالم .

(٢) إن كنا في ضيق وغم منظوين ككم الزهرة فحياة هذه الروضة ، هذا العالم ، رهن
بحياتنا إن متنا ماتت .

قَطَعَ الْأَشْرَاقَ عَنْ صَيْدٍ كَسِيرٍ فَدَعَا الصَّيَّادُ مِنْهُ بِالشُّبُورِ
 ذَا بِلَاغٍ آخِرٍ لِلْمُرْسَلِينَ قَدْ تَلَاهُ « رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ »
 تَرْفَعُ الْخَامَلَ فِيهِ رَفْعَةً وَتَقِيمُ الرُّأْسَ مِنْهُ سَجْدَةً
 قَاطِعُوا الطَّرِيقَ هِدَاةً صُيِّرُوا مِنْ كِتَابٍ ، كَمْ كِتَابٍ سَطُرُوا
 وَالْبَوَادِي مِنْ سَرَاجٍ زَهَرَا قَدْ أَضَاءُوا بِالْعُلُومِ الْفِكَرَا^(١)
 الَّذِي يُصَدِّعُ مِنْهُ الْجَبَلَ وَعَلَى الْأَفْلَاقِ مِنْهُ وَجَلُ^(٢)
 ذَلِكَ الْيَنْبُوعُ مِنْ أَمَانَا قَدْ حَوَاهِ الصَّدْرُ مِنْ أَطْفَالِنَا
 انْظُرِ الظُّمَأْنَ فِي حَرِّ الْقَفَازِ عَيْنُهُ حَمْرَاءُ مِنْ وَقْدِ النَّهَارِ
 عَنْسُهُ كَالظُّبْيِ فِي تَغْدَائِهَا دُمُهَا كَالنَّارِ فِي رَمَضَائِهَا
 طَائِفُ الصَّحْرَاءِ يَأْبَى الْجُدْرَا ضَارِبٌ فِي الْبَيْدِ يَقْلِي الْحَضْرَا
 خَفَقَتْ فِي قَلْبِهِ هَذِي الشُّورُ فَاسْتَقَرَّ الْمَوْجُ فِيهِ كَالدُّرُرِ^(٣)
 قَرَأَ الدَّرْسَ مِنْ الْآيِ الْمَبِينِ فَعَدَا بِالْحَقِّ حَرّاً لَا يَمِينُ
 حَكَمَ الدُّنْيَا جَمِيعاً عَدْلُهُ عَرَّشَ جِسْمَ وَطَنِهِ رَجُلُهُ^(٤)
 مُدْنَأً قَدْ شَيْدَتْ هَبُونُهُ وَرِيَاضاً أَثْبَتَتْ زَهْرَتُهُ^(٥)



إِنَّ إِيْمَانَكَ فِي قَيْدِ الرُّسُومِ مَسْنُونُ الْكُفْرِ لَكَ السَّجْنُ الْمَقِيمُ
 أَمْرُكُمْ قَطَعْتُمْ فَهُوَ « زُبُر » مُسْرَعِي السَّيْرِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرُ^(٦)

(١) زهر السراج : أضواء .

(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشِيعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ أَلْفَوْا ﴾ [الحشر : ٢١] .

(٣) سكن اضطرابه واطمأن ، موجه الثائر سكن واستقر كالدرة في الماء .

(٤) جم : جمشيد أحد ملوك الفرس القدماء .

(٥) الهبوة : الغبار الذي يثور في الحرب ، أو سير الأرجل الكثيرة ، ونحوها .

(٦) إشارة إلى الآيتين : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُوراً ﴾ [المؤمنون : ٥٣] و ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّالِجُ ﴾

سَكِرَ الصُّوفِيُّ مِنْ أَحْوَالِهِ وَانْتَشَى بِاللَّحْنِ مِنْ قَوَائِلِهِ^(١)
 قَلْبُهُ شَعَرَ الْعِرَاقِيَّ تَلَا وَمِنَ الْقُرْآنِ أَقْوَى وَخَلَا^(٢)
 تَاجَهُ وَالْعَرْشَ صَوْفًا وَحَصِيرَ فَقَرَهُ يَجْبِي رِبَاطًا لِلْفَقِيرِ^(٣)
 وَأَخُو الْوَعِظِ جُزَافًا قَائِلُ كَلِمَ عَالٍ ، وَمَعْنَى سَافِلُ
 قَوْلُهُ مِنْ دِيلَمِيٍّ وَخَطِيبِ فَعَلُهُ حِلْفَ ضَعِيفٍ وَغَرِيبِ^(٤)
 لِكِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ . فَاقْرَأْ كُلَّ مَا تَبْغِيهِ مِنْهُ فَاطْلُبْ

في بيان أنَّ التقليد في زمن الانحطاط أولى من الاجتهاد

عَصَرْنَا هَذَا مَلِيًّا بِسَالِفَيْنِ طَبَعَهُ خَلَقُ شُرُورٍ وَمِخْنِ
 مُحْفَلُ الْمَاضِيْنَ فِيهِ مَقْفَر صَوَّحَتْ فِيهِ حَيَاةٌ تَنْضُرُ
 أَنْكَرَتْ أَنْفُسَنَا أَنْظَارُنَا وَجَفَتْ نَعْمَتَهَا أَوْتَارُنَا
 شَعْلَةُ التَّوْحِيدِ فِينَا سَلْبَا نَارَهُ وَالنُّورَ مَنَّا سَلْبَا
 وَإِذَا مَا اعْتَلَّ تَقْوِيمُ الْحَيَاةِ فَمِنَ التَّقْلِيدِ لِلْقَوْمِ نَجَاةُ
 سُنَنِ الْأَبَاءِ حَبْلُ الْمَلَّةِ وَمِنَ التَّقْلِيدِ جَمْعُ الْأُمَّةِ
 يَا خَلِيًّا فِي خَرِيفٍ مِنْ ثَمَرِ أَرْقَبِ الْغَيْثِ وَلَا تَجِفُ الشَّجَرُ^(٥)

إِلَّا شَقَّ وَلُحْكَرُ [القمر : ٦] .

- (١) القَوَال : منشد القصائد الدينية ، وهو معروف بهذا الاسم في إيران والهند .
- (٢) العراقي : شاعرٌ صوفيٌّ فارسيٌّ .
- (٣) يعني : أنه يأخذ مالا من الفقراء المقيمين في الأربطة .
- (٤) الديلمي والخطيب من رواة حديث الضعفاء . والضعيف والغريب من أنواع الحديث . بين الشاعر أنهم تتبعوا المحدثين غير الثقات والأحاديث غير الصحيحة يستدلون على أقوالهم وأفعالهم .
- (٥) يعني : يجب الاستمسك بسنن الآباء حتى تعود للأمة سيرتها . كما ينتظر صاحب =

قَدْ حُرِمْتَ الْبَحْرَ فَادْكُرْ خُسْرَكَ
 فَعَسَى سَيْلُ الْجِبَالِ الْهَادِرُ
 حَالُ إِسْرَائِيلَ فِيهَا تَبْصِرُهُ
 انْظُرْ كَيْفَ ابْتَلَاهَا الزَّمَنُ
 وَجْهَهَا فِي كُلِّ حِينٍ يُلْطَمُ
 عَصْرَتْ عَنْقُودَهَا كَفُّ الْخُطُوبِ
 إِنَّ خِيَا فِي اللَّحْنِ مِنْهَا قَبَسُ
 سَارٍ فِي إِثْرِ الْجُدُودِ الْمَحْمَلُ
 يَا مَنْ انْفَضَّ لَهُ جَمْعٌ وَجَاهُ
 آيَةُ التَّوْحِيدِ فِي الْقَلْبِ اسْطُورَا
 اجْتِهَادٌ فِي زَمَانِ الْقَهْقَرَى
 اقْتِدَاءٌ بِرَسُومِ الْأَوَّلِينَ
 لَمْ يُصَبِّ آبَاؤُنَا بِالْهَوَسِ
 فَكُرُّهُمْ كَانَ رَقِيقاً مَرْهَفَا
 فَكَّرُ الرَّازِي وَنَجْوَى جَعْفَرِ
 ضَيِّقُ الدِّينِ عَلَيْنَا يَسْرُهُ
 قَدْ جَهِلْتَ الدِّينَ عَنْهُ حَائِدَا
 بَاخَ لِي بِالسَّرِّ نَبَاضُ الْحَيَاةِ
 وَحَدَةُ الشَّرْعِ حَيَاةُ الْأُمَّةِ
 نَحْنُ طِينٌ وَهُوَ قَلْبٌ لَا جَرَمُ

يَا قَلِيلَ الْمَاءِ وَاحْفَظْ نَهْرَكَ^(١)
 مِنْهُ فِي مَجْرَاكَ لَجْ زَاخِرُ
 إِنَّ تَكُنْ رَوْحُكَ رَوْحاً مُبْصِرَهُ
 وَعَرْتَهَا فِي الْخُطُوبِ الْمِخْنُ
 كَادَ فِي أَعْرَاقِهَا يَفْنَى الدَّمُ
 ذَكَرُ هَارُونَ وَمُوسَى فِي الْقُلُوبِ
 لَمْ يَزَلْ فِي الصَّدْرِ مِنْهَا نَفْسُ
 حِينَمَا انْفَضَّ لَدَيْهَا الْمَحْفَلُ
 وَخِيَا فِي صَدْرِهِ شَمْعُ الْحَيَاةِ
 وَمَنْ التَّقْلِيدُ أَمْسَكَ بِالْعُرَا
 يَذْهَبُ الْأَقْوَامُ مِنْهُ شِدْرَا
 هُوَ أَوْلَى ، لَا اجْتِهَادَ الْغَافِلِينَ
 طُهِرَتْ أَعْمَالُهُمْ كَالْأَنْفُسِ
 فَعَلَهُمْ أَوْفَى بِشَرْعِ الْمَصْطَفَى
 أَيْنَ ؟ وَالْعُرْبُ هِدَاةُ الْبَشَرِ
 وَادَّعَى كُلُّ لَثِيمٍ يَسْرُهُ
 الزَّمَنُ يَا حُرَّ نَهْجاً وَاحِدَا
 إِنَّمَا فِي الْخَلْفِ مَقْرَاضُ الْحَيَاةِ^(٢)
 فَمَنْ الْقُرْآنُ رَوْحُ الْمَلَأَةِ
 هُوَ حَبْلُ اللَّهِ ، مَنْ شَاءَ اعْتَصَمْ

- الشجر أيام الخريف إيراقة وإثماره في الربيع ، ولا يقطعه أو يهمله .

(١) إِنَّ قَلَّ الْمَاءِ فِي نَهْرِكَ فَاحْفَظْ بِالنَّهْرِ عَسَى أَنْ تَأْتِيَهُ السَّيُولُ بِالْمَاءِ فَيَزُخِرُ مَرَّةً أُخْرَى .

(٢) كَلِمَتَا نَبَاضٍ وَمَقْرَاضٍ فِي الْأَصْلِ .

فانتظم في سلكه كالذرر أو غباراً في الرياح انثر



في بيان أن كمال سيرة الأمة من اتباع الشرع الإلهي

ليس إلا النور تحوي الدرر
جوهر باطنه والظاهر
ليس غير الحب أصل السنة
ترتقي منه مقامات اليقين^(١)
ومن النظم دوام الأمم
اليد البيضاء فيه والعصا
بدؤه الشرع وبالشروع الختام
أنت من في حكمه الذين أمين :
في أداء الثقل ما إن لزما
فالحياة الحق عين القدرة
ترك الإعداد والسلم بغى
تاركاً للحرب أخذ العدة
قبل أن يأخذ كل الأهبة
« الحياة العيش بين الخطر »
في امتحان لقواك العاتية^(٢)
وبعد السيف فاصهر صخرها
حمل يرجف في ذلته

لا تقل في الشرع معنى مضمّر
جوهر أبداع فيه القادر
ليس علم الحق غير الشريعة
شرعنا للفرد مرقاة اليقين
شرعة الحق نظام الأمم
إن فيه الأيد يا من أخلصا
قام للإسلام بالشرع قوام
لك أيدي نكتة الشرع المبين
إن يعارض ذو عناد مسلما
صار هذا الثقل فرض الأمة
وإذا جيش عدو في الوغى
وقضى أوقاته في الدعة
فحرام أخذه بالبغتة
سر هذا الأمر يا ذا البصر :
يتحدّك برضوى العاليه
ويناديك أن اقصم ظهرها
ليس كفاء الليث في صولته

(١) مرقاة اليقين ومقلّمات اليقين في الأصل بلغظهما العربي .

(٢) في الأصل : جبل ألوند . واستبدلت به رضوى في الترجمة .

إِنَّ حَكِي الصَّعْوَةَ صَقْرٌ كَاسِرٌ
 كَتَبَ الشَّارِعُ رَبُّ الْحِكْمَةِ
 يَشْحَذُ الْعِزْمَ بِنَارِ الْعَمَلِ
 وَإِذَا تَلَخَّسَ يُعْطِيكَ الْقُوَى
 إِنَّ دِينَ الْمُصْطَفَى دِينُ الْحَيَاةِ
 إِنْ تَكُنْ أَرْضاً يَصِيرُكَ السَّمَاءُ
 يَصْقِلُ الْمَرَاةَ مِنْ صَخَرٍ شَدِيدٍ
 ضَيَّعَ الْقَوْمُ شِعَارَ الْمُصْطَفَى
 ذَلِكَ الْفَصْنُ الْعِيسَى الْمَعْتَلِي
 الَّذِي الْبَطْحَاءُ أَزَكَّتْ غُرْسَهُ
 أَذْبَلَتْهُ الْيَوْمَ رِيحُ الْعَجَمِ
 قَاتِلُ الْأَسَادِ ذَبَحَ الْغَنَمِ
 مَنْ أَذَابَ الصَّخْرَ مِنْ تَكْيِيرِهِ
 مِنْ عِلَا الطَّوْدِ سَرِيعاً مُصْعِداً
 مَنْ بَرَى الْأَعْنَاقَ ضَرْباً عَضْبُهُ
 مُوقِظَ الْأَفَاقِ مِنْ خَطَوَاتِهِ
 مَنْ أَطَاعَ النَّاسَ طَرّاً أَمْرَهُ
 رَضِيَ الْقَنْعَ وَأَكْدَى جَدُّهُ
 شَيْخَنَا أَحْمَدُ^(١) مَنْ فِي قُرْبِهِ
 قَالَ يَوْمَاً لِمُرِيدٍ فَهَمَّ
 فَكَّرَهُمْ إِنْ كَانَ لِلنَّجْمِ ارْتَقَى

فَهُوَ كَالصَّعْوَةِ وَاهٍ خَائِرٌ
 لَكَ هَذَا اللَّوْحُ ، لَوْحَ الْقُدْرَةِ
 وَيَرْقِيكَ لِأَعْلَى مَنْزِلٍ
 وَيُرِيَّيْ مِنْكَ طَوْداً مَا خَوَى
 شَرْعُهُ لِلنَّاسِ قَانُونُ الْحَيَاةِ
 وَيُرِيَّيْكَ كَمَا الْحَقُّ يَشَاءُ
 وَيَنْقِي الرِّينَ مِنْ قَلْبِ الْحَدِيدِ
 ضَيَّعُوا زَمَزَ بَقَاؤَ عُرْفَا
 مُسْلِمُ الصَّحَرَاءِ رَبُّ الْجَمَلِ
 وَرِيَا حُ الْيَدِ رَأَتْ نَفْسَهُ
 صَيَّرَتْهُ النَّايَ رَوْحُ الْعَجَمِ
 وَطءُ نَمَلٍ مَثَلُهُ بِالْأَلَمِ
 رَاعَهُ الْبَلْبَلُ فِي تَصْفِيرِهِ
 غَلَّ بِالتُّكْلَانِ رَجُلًا وَيَدَا
 يَلْدِمُ الصَّدْرَ وَيَدْمَى قَلْبُهُ
 قُبِدَتْ رَجُلَاهُ فِي خَلَوَاتِهِ
 وَاجْتَدَى دَارَا وَكَسَرَى بِرَّهُ
 وَارْتَضَى الْكَذِبَةَ عِزّاً جَدُّهُ
 تَكْسِبُ الشَّمْسُ سَناً فِي قَلْبِهِ
 احْذَرْنَ يَا صَاحِ فَكَّرَ الْعَجَمِ
 فَهُوَ مِنْ سُنَّتِنَا قَدْ مَرَّقَا

(١) هو الشيخ أبو العباس أحمد الرفاعي ، صوفي عراقي من كبار الصوفية ، مؤسس الطريقة الرفاعية ، انضم إليها خلق كثير من الفقهاء ، كان له به اعتقاد كبير ، توفي سنة (٥٧٧هـ) (١١٨٢م) .

يا أخى فاسمع لهذا الرشد استمع نصح الإمام المرشد
وبهذا الحق فاشدد قلبك واتبع العزب تُصب شرعتك

في بيان أن حُسن سيرة الأئمة من التأدب بالآداب المحمدية

سائلٌ مثل قضاء مُبرم	صاح بالباب بصوت مُبرم ^(١)
بالعصا ضلت عليه غضبا	فهوى من يده ما قشبا ^(٢)
إن هذا العقل في شرخ الشباب	لا يبالي بضلالٍ وصواب
ورأى الوالدُ فعلي فنفر	وذوى في وجهه روض الزهر
أهةً في فمه تلتهب	قلبه في صدره يضطرب
كوكبٌ في عينه قد ومضا	نور الهدب قليلاً ومضى ^(٣)
روحي الغافل في الجسم ارتعد	ومضى الصبرُ وخلّاني الجلد
مثل فرخٍ في الخريف انتفضا	من رباح الليل في العشّ قضى
قال لي الوالد : يوم المحشر	تلتقي أمة خير البشر
الغزاة الغرُّ من أئمة	وأولو الميراث من حكمته
والنجوم الزهر أرباب الصفاء	حجة الدين فريق الشهداء
وأولو العلم وأرباب القلوب	وأولو الزهد وأصحاب الذنوب
وعلا في لجج هذا المحشر	صوت هذا السائل المنكسر

(١) وقعت هذه القصة في سيالكوت بلد إقبال وقصّها على الناس كثيراً . ومبرم في آخر

البيت بمعنى ممل .

(٢) قشب : جمع وكسب .

(٣) يعني دمعت عينه ، علق الدمع بأهدابه ثم سقط .

أيها الحائتر في ذا الموكب !
 « قد حباك الحقُّ طفلاً مسلماً
 هيئن الأشياء قد شقَّ عليك
 وأنا في العتب من خير الرُّسل
 أفكرن في الأمر واذكر يا بُني
 لحيتي البيضاء في الحشر انظر
 لا تزد عبء أبئك الوهن
 أنت كم في فروع المصطفى
 نظرة من روضه فالتمس
 مرشد الرُّوم الذي قطرته
 « لا تجد الحبل من خير البشر
 فطرة المسلم طراً رأفة
 العظيم الخلق من شق القمر
 لست من معشرنا فاعتزل
 طائر أنت على دوحتنا
 إن تكن ذا نعمة لا تُفرد
 كل من أوتي حظاً من حياه
 بلبل أنت ؟ ففي الرّوض امرح
 إن تكن صقراً فلا تغش البحار

ما جوابي حين يلحاني النّبي :
 لم تُنله من كتابي مغنماً
 لم يصير ذا الطّين إنساناً لديك^(١) «
 بين خوف ورجاء وخجل
 أمة المختار إذ ترسو إلي
 رعدتي في الخوف والحزن اذكر
 عند مولاي غداً لا تُخزني
 فتفتح في ربيع المصطفى
 وسناً من خلقه فاقبسي
 قد حوت بحراً ، سمّت قوله :^(٢)
 لا تقل عندي فنون وبصر «
 قوله والفعل كلّ رحمة
 رحمة عمّت ونور للبشر
 إن تكن منه بعيد المنزل
 شدوه واللّحن من نعمتنا
 بسوى يستأننا لا تُفرد^(٣)
 في سوى بيته يلقي رداء
 ومع السّرب بلحن فاصدح
 ليس إلا خلوة الصّحراء دار^(٤)

(١) هذا قول النبي لوالد إقبال في المحشر .

(٢) جلال الدين الرومي . وما بين القوسين من ديوانه المثنوي .

(٣) أغرد : أطرب بالتفريد .

(٤) الصقر يعيش في الصحراء ، والبلبل بين الأشجار فليلزم كل بيته .

أو تكن نجماً فنور في سَمَاكَ لا يكن مَسْرَاك إلا في الجَبَاكَ

قطر نيسان اجمعن إن ترد
لتراء مثل قطرات الندى
وانشسف الأنداء من جواهرها
بشعاع الصُّبْح وضياء البُكر
لن ترى دُرَّكَ إلا كالحَبَاب
القها في اليم تُغَقِّدُ جواهرها
قطر نيسان عن اليم نأى
واجعلن في الروض مأواه الندي^(١)
تحضن الأكمَام منها ولدا
واسلب اللألاء من عنصرها
الذي من سحره ينمو الزُّهر^(٢)
لن ترى سَعْيِكَ إلا في سَرَاب
مأوها يسطع نجماً تيرا
لجفاف . لن تراء للؤلؤا

طينة المسلم دُرُّ يا بُني
قطر نيسان ! فغصن في موجه
صاح ! من شمس الضُّحى كن أنورا
مأوها والثور من بحر النَّبي
وابرزن ، ذرأ صفًا ، من لجه
كن ضياء ليس يخبو الذَّهرا

في بيان أنَّ حياة الأُمَّة تحتاج إلى مركزٍ محسوس وأنَّ مركز الأُمَّة الإسلامية البيت الحرام

عقده تنحلُّ من أمر الحياه
كخيالٍ جفَلت من نفسها
حين أفشي لك من سرِّ الحياه :
حُرَّة قد نفرت من حبسها^(٣)

(١) مطر شهر نيسان الذي يتشأ منه اللؤلؤ في ظن القدماء .

(٢) متصل بالبيت الذي قبله ؛ أي : انشف الماء بشعاع الصبح .

(٣) الأوصاف في هذا البيت وما بعده أوصاف الحياه .

وقتها ما فيه أمس وغد
 أنظرون نفسك حيناً واعتبر
 شعله فيها أعدت ينثرها
 ماؤها قد عقدته في دُرر
 نازها في نفسها تخفي الحريق
 فكرك العاجز عنها أو هما
 ما أوى للعش هذا الطائر
 هو حرّ وحواء محير
 ريشه ينسل طيراً كل حين
 عُقداً تعقد في أعمالها
 تسكن الطين على إسراعها
 كم لحون في جواها رُقِد
 في سهول كل حين وحزون
 إن تكن كالربيع تأبى محبسا
 حولها من خيطها ناسجة
 هي في العُقدة مثل الحبة
 تفتح العين على ما تضر

- (١) نار الحياة تخفي حرها ، وتظهر أعراضها في مظاهرها . ومثل الشاعر بأزهار الشقيق التي جعلها الشعراء مثلاً للالتهاب .
- (٢) الحياة حركة دائمة يتوهمها الإنسان ثابتة . يقول إقبال : الفكر العاجز عن إدراك الحياة يرى جسماً يسعيه ورداً وليس هو في الحق إلا لوناً في طيران مستمر .
- (٣) الطير : الطيران ، والحياة طيران ولون طائر . لا ثبات لها ، ولا تستقر في عش .
- (٤) الحياة مقيدة بأشكال وهي في الحقيقة لا تحويها هذه الأشكال . ونوحها وغناؤها متصلان .
- (٥) تضع نفسها في الطين (تزرع وتغرس) لا لتسكن فيه بل تزيد إسراعاً في سيرها .

خلعة الطين عليها تُرفد
تؤثر الخلوة في الجسم الحياه
هكذا سنة ميلاد الأمم
إنما المركز روح الدائرة
وَمِنْ الْمَرْكَزِ لِلْقَوْمِ نِظَامُ
نقطة المركز منّا الحرم
نفس في صدرنا يتقد
مِنْ نَدَاهِ نَفَّسَتْ أَغْصَانُنَا
نحن مِنْ دَعْوَاهِ فِي الدُّنْيَا دَلِيلُ
صوتنا يندى به في الأمم
وَحَدَّ الْمَلَّةِ طُوفٌ حَوْلَهُ
وَحَدَّثَ فِي حَنْبِهِ كَثْرَتُنَا
إِنَّ فِي الْجَمْعِ حَيَاةَ الْأُمَمِ



فإذا عين وقلب ويد^(١)
وتجلى نشأة العم الحياه^(٢)
مركز فيه حياة تنظم^(٣)
نقطة ، فيها محيط ، ضامره
وَمِنْ الْمَرْكَزِ لِلْقَوْمِ دَوَامُ
لحنا والوجد فينا الحرم
روحنا الغالي ، ونحن الجسد
حَيٍّ مِنْ زَمْرَمِهِ بَسَاتُنَا
نحن فيه من براهيم الخليل^(٤)
واصلاً مُحَدَّثُنَا بِالْقَدَمِ
فهي صبح قد حوى صدر له
أَحْكَمَتْ مِنْ وَحْدَةِ قَوْتُنَا^(٥)
إِنَّ هَذَا الْجَمْعَ سِرُّ الْحَرَمِ

قوم موسى عبرة فاعتبر
فتراهم في البرايا قطعاً^(٦)
يا أسيراً غلّه وهم وظن

أيها المسلم يا ذا البصرا
زهدوا في مركز قد جمعا
يا عليلاً شاكياً جور الزمن

(١) الحياة تلبس الطين فتراها حيواناً له عين . . إلخ .

(٢) العم : الجماعة الكثيرة .

(٣) تولد الأمة حين تجمع الحياة في مركز معين ، في شريعة ، أو قانون ، أو مقصد .

(٤) الخليل : إبراهيم . نحن الدليل على صدق ما يدهي للحرم من أنه يجمع الناس ،

ويكون مركز الأمة . ونحن برهان على تحقيق ما أمله الخليل في الحرم .

(٥) في حساب الحرم كثرتنا وحدة . وبهذه الوحدة تستحكم قوتنا .

(٦) حذف هنا أبيات في وصف اليهود .

اجعلن ثوبك ثوب المحرم
افن كالأباء ما بين السجود
من خشوع المسلمين الأولين
في سبيل الحق شوكة وطئوا



في بيان أن الاجتماع الحقيقي من الاستمساك بمقصد ، ومقصد الأمة الإسلامية حفظ التوحيد ونشره

ففعال الكون فيها كلمات
فتراه «مطلعاً» راع السرواه^(١)
صرصر ما ند عنه من أرب
هو أشتات قواها ينضد
تجعل الكون إليه سببا
فترد الشيء أو تعتقد^(٢)
والى المنزل سير القابل
لسراج حوله يحترق^(٣)
قاصداً ليلاه يرجو وصلها
منذ ليلنا أقامت في القرى

اعرفن عنى لسان الكائنات
ينظم المقصد أشتات الحياة
طرفنا من تحت مهماز الطلب
إنما يُبقى الحياة المقصد
حينما تدري الحياة المطلب
وبه الأشياء طرأ تنقد
يُحجر الرُبان أجل الساحل
وعلى قلب الفراش الحرق
طاف قيس في الصحارى ولها
ما اقتفينا في الصحارى أنرا

(١) السجود الأول جمع ساجد .

(٢) المطلع هنا مطلع القصيدة .

(٣) اعتقد المال : اقتناه . إذا عرف الإنسان مقصده نقد به الأشياء ، فرد بعضها ، وأخذ بعضها .

(٤) يذكر أمثلة من المقاصد : الساحل للسائر في البحر ، والمزل للسائر في البر ، والاحتراق للفراش ، وليل لقيس .

إنما المقصودُ روحُ العملِ
دوران الدَّم في أعراقنا
الحياةُ الحقُّ منه تستعرُ
هو مضربُ لعود الهمة
حرك الأعضاء في ركب البشر
فكن المجنون في هذا الحبيب
أبدع القمي في ما أسعنا
رامَ نقش الشوك حيناً رَجُلُ
لحظة يا صاحبي إن تغفل
ذاكمُ العالمُ دبرٌ قدما
كم وكم يُنبت من مقصبة
كم تدمت من يديه روضة
كم تُرى نقشاً وكم تمحو يده
كم من الأرواح بُتت أنه

كيفه والكم منه تجتلي^(١)
مسرّع بالجد في أغراضنا
تجمع النار به مثل الشقر^(٢)
مركزٌ يجذب كل القوة
جامعاً شتى عيون في نظر^(٣)
طُف به طوف فراشٍ باللهيب
علم الأوتار معنى مُبدعاً^(٤)
فاختفى عن ناظريه المحمل
ألف ميل زاد بُعد المنزل
بامتزاج الأمهات انتظماً^(٥)
ليسراع فيه نار النوح
لتربى من شقيق زهرة^(٦)
لُرى نقشك في لوح الحياة
لتعالى من أذان نعمة^(٧)

(١) يبين للعمل كيفه وكمه من مقصوده .

(٢) الشقر : الشقائق . والضمير يعود إلى المقصود الحياة تستمر به . وتجمع في نفسها ناراً
كما تجمع الشقائق النار ، في خيال الشعراء .

(٣) يجمع الأعين المختلفة على نظر واحد .

(٤) القمي : ملك القمي الشاعر . والإشارة إلى بيت له معناه .

« ذهبت لأنقش الشوك من قدمي فاختفى المحمل عن عيني . غفلت لحظة فبعدت
طريقي مئة سنة » .

(٥) امتزاج الأمهات اختلاط العناصر . والتركيب بلفظه العربي في الأصل .

(٦) هذا البيت والذي قبله بيت واحد في الأصل . والمعنى أنَّ التكمل في العالم شاقُّ اليم
ينبت غابات من أجل نعمة ناي ويخرب روضات من أجل زهرة ، وقد تقدّم هذا أول
الكتاب .

(٧) تعالى : تتعالى .

ورجال الزور دهرأ ريبا
ثم في طينك إيماناً بذر
نقطة دار عليها العالم
قوة فيها تُدير الفلكا
لؤلؤ البحر نعى من نورها
نفخها صير طيناً سنبل
في عروق الكرم منها شعله
لحنها في مزهر الكون استر
نغمات فيك تسري كالدم
كلمة التوحيد منك المقصد
الجهاد المر جلف المسلم
أنت لا تدري بآيات الكتاب
أنت في الأيام نور وبصر
ادعون كل لبيب ، أبلغ
قوله ما فيه نطق عن هوى
نبض هذا الكون قد جئت يده
نضر الأزهار في روض الدهر
دينه فيه الحياة الخالده
أيها التالي الكتاب المنزل

وعلى الأحرار وإلى الحريبا
كلمة التوحيد من فيك نشر
كلمة صار إليها العالم
وبها الشمس تُبصر الحلكا
به الموج طما من نورها
وجدتها صير ريشاً بلبلا^(١)
وبطين الكأس منها لمعة
أيها العازف ا يدعوك الوتر
أعمل المضرب في ذا النغم
أنت للتكبير فيها توجّد^(٢)
أو يدوي الحق بين الأمم
أمة العدل يميننا الخطاب
شاهد أنت على كل البشر^(٣)
وعن الأمي قولاً بلغ
صادق ما ضل يوماً أو غوى^(٤)
فتجلى سر تقويم الحياه
ومحا الأنداس عنها والكدر
لا تراها عن هده حائده
مُثرون ، لا تفقدن عن عمل

(١) السنبل : نبات طيب الرائحة .

(٢) فيها : في الدنيا .

(٣) إشارة إلى الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

(٤) إشارة إلى الآيات : ﴿ وَالنَّجِيرَ إِنَّا هُوَ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكَ وَمَا غَوَى ② وَمَا يَبْلُغُ مِنَ الْمَرِيِّ ﴾ [النجم : ١ - ٣] .

يعشق الأصنام عقل الأمم
هو أحياء سنة من آرا
اسمه لون ودار ونسب
وعلى أقدام هذا الصنم
أيها الشارب من كأس الخليل !
سيف لا موجود إلا هو ، خذ
في ظلام الدهر أشرق للملا
خجلت لك في اليوم العيز
قد أخذت الحق عني ما دهاك

ناحت أو عابد للصنم
محدثاً فيها إلهاً للورى
هو من سفك دماء في طرب^(١)
ذبح الإنسان ذبح الغنم
يا حمي النفس من طاس الخليل !
وبه الأصنام هذي فاجذذ
واتشرون حقاً عليك اكتملا^(٢)
حينما يالك الهادي البشير :
لم تبلغه بحق لسواك !



في بيان أن توسيع حياة الأمة بتسخير قوى العالم

مؤمناً بالغيب غير الغافل
اعل عن ذا الطين غصناً ناضرا
ذلك الحاضر تفسير الغيوب
ما سوى الله لتسخير العمل
ما سوى الله تراه يخلق
عقدة تلقاك بعد العقدة
فسرن يا كم ا روضاً نفسكا
من يسخر عالم الحسن سما

كارها كالثيل قيد الساحل
وصل الغائب واغز الحاضرا
وهو مفتاح لتسخير الغيوب
صدره للرسمي ، فاقذف لا تبلى
لترى سهمك فيه يمرق^(٣)
ليرى في الحل لطف الحيلة
سخرن يا طل ا ذي الشمس لكا
ومن الذرة يخرج عالما

(١) يعبد الناس في هذا العصر عصبية الأنساب والأوطان ، فيفكون الدماء .

(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] .

(٣) في الأبيات المتقدمة دعوة إلى تسخير عالم الحسن ، وبيان أن هذا التسخير يؤدي إلى معرفة عالم الغيب .

كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ بَحْرٍ وَبَرٍّ
 إِلَيْهَا النَّائِمُ طَالَتْ غَفْلَتُهُ
 قُسِمَ وَفُتِّحَ بَصِيراً قَدْ سَكَّرَا
 إِنَّهُ تَوْسِيعُ ذَاتِ الْمُسْلِمِ
 هُوَ يَبْلُوكَ بِسَيْفِ الزَّمَنِ
 اضْرِبِ الصُّلْدَ بِقَهْرِ الْقُوَّةِ
 جَعَلَ الْحَقُّ الدُّنَى لِلْخَيْرِينَ
 هَذِهِ الدُّنْيَا طَرِيقُ الظَّلَمِ
 فَأَسِرْنَهَا قَبْلَ أَنْ تَأْسِرَكَ
 أَدِهِمُ الْفِكْرَ الَّذِي يَطْوِي الْفَضَاءَ
 سَاقَهُ فِي الْكَوْنِ حَاجَاتُ الْحَيَاءِ
 يَتَغَيَّرُ فِي الْكَوْنِ تَسْخِيرُ الْقُوَى
 نَائِبُ الْحَقِّ ، بِحَقِّ آدَمَ
 لَكَ مِنْ ضَيْقِكَ ، مِنْهَا سَعَةٌ
 صَهْوَةُ الرِّيحِ أَعْلَوْنَهَا آمَرَا
 شَقَّ قَلْبَ الطُّودِ عَنْ جَوْهَرِهِ
 أَلْفُ كَوْنٍ فِي فُضَاءٍ تُكَفَّتُ
 بِشُعَاعِ أَظْهَرْنَ مَا احْتَجِبَا
 مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ نَاراً فَاقْبِسِ
 ثَابِتُ الْأَنْجَمِ أَوْ سَيَّارُهَا
 كُلُّهَا يَا صَاحِبَ عُيْدَانٍ لَكَ
 سَيَّرْنَ فِكْرَكَ فِيهَا عَسَا

لَوْحُ تَعْلِيمٍ لِأَرْبَابِ النَّظَرِ
 عَالَمِ الْحَسْرِ جَفْتَهُ هَمَّتُهُ
 لَا تَحْقُرْ عَالِماً قَدْ حُقِّرَا
 وَامْتَحَنَ لَصَفَاتِ الْمُسْلِمِ
 لَتَرَى أَنَّ دَمَاءَ فِي الْبَدَنِ
 اخْتَبَرَ عَظَمَكَ فِي ذِي الصَّدَمَةِ
 وَجَلَّاهَا لَعَيُونَ الْمُؤْمِنِينَ
 هَذِهِ الدُّنْيَا مَحَكُّ الْمُؤْمِنِ
 لَا تُضِغْ فِي جَوْفِهَا جَوْهَرَكَ
 وَالَّذِي يَجْتَازُ آفَاقَ السَّمَاءِ
 فَهُوَ فِي الْأَرْضِ وَفِي النَّجْمِ خُطَاهُ
 لَتَرَى فِيهِ بِأَعْلَى مُسْتَوَى
 حَكَمَهُ فِي الْأَرْضِ مَاضٍ حَاكِمٌ^(١)
 وَلَا عَمَّا لَكَ فِيهَا فَسَحَةٌ
 أَلْجَمْنَ هَذَا الْعِجَازَ النَّافِرَا
 شَقَّ مَوْجَ الْبَحْرِ عَنْ دُرٍّ بِهِ
 رُبَّ شَمْسٍ قَدْ حَوَّتْهَا ذَرَّةٌ
 وَاكْشَفْنَ عَنْ كُلِّ سِرٍّ حُجُبَا
 وَمَنْ السَّيْلُ بِرَوْقاً فَاخْلِسِ^(٢)
 الَّتِي قَدْ عُيِدَتْ أَنْوَارُهَا
 وَإِمَاءُ سُخَّرَتْ مِنْ أَجْلِكَ
 سَخَّرْنَ آفَاقَهَا وَالْأَنْفُسَا

(١) يعني أَنَّ الإنسان خليفة الله في الأرض بالحق ، وحكمه فيها نافذ .

(٢) استخرج الكهرباء من سيل الماء .

افتح العينَ وأنعمَ نظره
 كم ضعيفٍ في قويٍّ أمراً
 أيها المقصود من أمرٍ ﴿انظروا﴾
 قطرةً من نفسها ذاتُ خَيْرٍ
 وهي في البحر تراها جوهراً
 كالصِّبَا لا تهفُّ حولَ الصُّوَرِ
 دون مضربٍ لحوناً سيِّراً
 أيها الظَّالِعُ في حَزْنِ الحياه
 بلغ السَّعْيِ الرفاقَ المنزلاً
 وبقيتَ اليومَ قيساً مبلساً
 «عَلَّمَ الْأَسْمَاءَ» فخرُ الأدمي^(١)

أبصرن في الراح معنىً مُضمّراً
 حين في الكون أجال البصراً
 كيف في آفاقها لا تنظر^(٢) ؟
 خمرةً في الكرم ، طُلَّ في الزَّهَرِ
 جوهراً كالنَّجْمِ في الليل سرى
 اطلبن في الروض معنى الزَّهَرِ
 ومن الأحرف طيراً طيِّراً^(٣)
 أيها الغافل عن طعن الحياة
 أنزلوا ليلي وخطّوا المحملاً
 في الصحارى عاجزاً مستيشاً
 حكمةُ الأشياء نصرُ الأدمي

في بيان أنَّ كمال حياة الأمة أن تشعر بنفسها كالأفراد
 وأن توليد هذا الشعور وتكميله ، من الاحتفاظ بسنن
 الأمة ورواياتها

أرأيتَ الطفلَ يا ذا البَصَرِ
 ليس يدري ما قريبٌ وبَعِيدُ
 ما سوى الأم يرى منه الجفاء
 ليس تدري أذنه ما النعمةُ
 ما له عن نفسه من خير
 كرة النّجم بكفيه يريد
 همّه أكلٌ ونومٌ وبكاء
 لحنه ثورته والضجّةُ

(١) إشارة إلى الآية : ﴿ قُلْ أَقْظَرُوا مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس : ١٠١] .

(٢) إشارة إلى آلات البرق ، والهاتف ونحوها .

(٣) إشارة إلى الآية : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١] .

فكره غُفْلٌ ضعيفُ الأثرِ
ليس في تفكيره إلا السؤالُ
كلُّ نقشٍ عنده يتطبّعُ
عينه إمّا بكفٍّ تُطبّقُ
فِكْرُهُ في الجوِّ وإِهْ حذرُ
خلف صيدٍ في حِذارٍ يُرسلُهُ
ثم غشاه لهيبُ الفِكرِ
فتراه عينُهُ مُستعلنًا
ومن الذِّكرِ ينمّي نفسه
ينظمُ الأيامَ خيطَ الذهبِ
جسمه يُرمي ويُكري قائلًا :
« أنا » هذي بدءُ مقصود الحياه
مثلُ الأئمة حين النشأة
هي طفلٌ نفسه لا يعرفُ
يومه بالغد لم يوصل ولا
وبعيني الكون إنساناً يُرى

قولُه فيه صفاءُ الجوهرِ
أين ؟ أنى ؟ ومتى ؟ في كلِّ حال
وهو كلُّ غيرِه يتَّبِعُ
تنزّي روحه في قلبي
كصُفَيّرٍ لاصطيادٍ يُجبرُ
ثمَّ يدعوه إليه يُعجلُهُ^(١)
فرمى خذروفه بالشر^(٢)
فبدق الصدر يعني : ها أنا^(٣)
غذه يربطُ فيه أمسه
نسق الدُرَّ بسوطٍ مُعجِبِ
مثل ما كنتُ أراني مائلًا^(٤)
اليقظة في عود الحياه
مثلُ الطفلِ ضعيفِ المُنة
جوهراً غشَى عليه الصَّدْفُ
بصباحٍ ومساءٍ مُسللا
كلُّ شيءٍ ما عداه أبصرا^(٥)

- (١) كالصقر الصغير الذي يُعلّم الصيد ، يتلفظ صاحبه في إطلاقه وراء الصيد ودعوته إلى الرجوع .
(٢) ثم يعلق التفكير به فيرمي فكره بشرر كما تدار جمرة النار في خذروف فيتطاير منها الشرر . وفي الأصل « زرجك » وهي لعبة يديرها الصبيان يتطاير منها الشرر . والخذروف قرص يدار بخيط فيسمع له دوي .
(٣) يدرك الطفل نفسه فيعني بها ويقول ها أنا . وكان يرى غيره لا نفسه .
(٤) يرمي ويكري : يزيد وينقص . يشعر الإنسان بأنه مع تغير جسمه لا تتغير ذاته .
(٥) هي في الكون كإنسان العين يرى كلَّ شيءٍ إلا نفسه ، فهي تقلد وتتبع ولا تعتمد على نفسها .

يَفْدَ لَايِ طَسْرَفُ الْخِيْطِ بَدَا
فَإِذَا رَازَ قُوَامَا الدَّهْرُ
أَسْطَرَا تَمَحَو ، وَأَخْرَى تَسْطَر
يُبْلِسُ الْفَرْدُ إِذَا مَا انْتَشَرَا
نُورُ قَوْمٍ مِنْ مَدَادِ السَّيْرِ
أَمَّةٌ قَدْ نَسَبَتْ سِيرَتَهَا
أَنْتَ سَفَرٌ كَتَبَتْهُ السَّيْرَةُ
ثَوْبَنَا أَيَّامُنَا فِي الزَّمَنِ
مَا تَرَى يَا غُرُّ تَارِيخِ الْبَشَرِ ؟
فِي سَنَاهِ أَنْتَ بِالنَّفْسِ بَصِيرُ
إِنَّهُ أَعْصَابُ جَسَمِ الْأُمَّةِ
هُوَ يَجْلُوكُ كَسِيفٍ مَخْذَمُ
أَيُّ عَوْدٍ ذِي فَنُونٍ تَسَحَّرَا
خَامِدُ الشُّعْلَةِ ، فِيهِ يُشْعَلُ
شَمْعُهُ كَوَكَبُ بَخْتِ الْأُمَمِ
عَيْنُهُ تُبْصِرُ مَا قَدْ عَبَّرَا
وَعَتِيقُ الرَّاحِ فِي كَامَاتِهِ
صَائِدٌ يَرْجِعُ فِي أَشْرَاكِنَا
فَاذْكُرِ التَّارِيخَ وَاسْتَحْكِمْ بِهِ
أَحْكِمَنْ وَضَلَّةَ يَوْمٍ وَغَدِ

بَعْدَ مَا حَلَّتْ يَدَاهَا الْعُقْدَا^(١)
يَتَجَلَّى ذَا الشُّعُورِ الْمَضْمَرِ^(٢)
صَفَحَاتِ بِيَدَيْهَا تَزِيرُ
عَقْدُ أَيَّامٍ عَلَيْهِ قُودِرَا
نَفْسُهُ يَعْرِفُهَا بِالذِّكْرِ
يَنْسُخُ الدَّهْرُ غَدَا آيَتَهَا
خَيْطُهُ أَيَّامُكَ الْمَوْصُولَةُ
وَحِيَاطُ الثُّوبِ حَفْظُ الثَّنَنِ^(٣)
قِصَّةٌ ! أَسْطُورَةٌ ؟ لَهْوٌ مَمَرٌ ؟
فِي هِدَاةِ أَنْتَ بِالسَّيْرِ خَبِيرُ
إِنَّهُ فِي الرُّوحِ مِثْلُ الشُّعْلَةِ
ثُمَّ يَرْمِي بِكَ بَيْنَ الْأُمَمِ
نَغْمَاتُ الْأَمْسِ فِيهِ تُؤَثِّرُ
يَوْمُهُ لِسَلَامِ فِيهِ مَاثِلُ
وَسْنَا الْيَوْمِ وَأَمْسِ الْمَظْلَمِ
وَتُرى الْمَاضِي حَيًّا مُحَضَّرَا
وَحُمَارُ الْأَمْسِ فِي نَشْوَاتِهِ
طَائِرًا قَدْ طَارَ مِنْ بَسْتَانِنَا
عِشُّ بِأَنْفَاسٍ مَضَتْ ، فِي طَبَّهِ
وَالْحَيَاةِ امْضِ بِهَا طَوْعَ الْيَدِ

(١) تكون كالذي معه خيط معقد يحل عقده حتى يجد طرف الخيط فيمكنه الانتفاع به .

(٢) راز الإنسان الشيء : حاول رفعه ليعرف ثقله .

(٣) الخياط : الإبرة .

وقد الأيام قسراً بمهاز
صاح ! من ماضيك تبدو حالكا
إن تُريدَ خُلدَ حياةٍ فصل
أو فِعش أعمى بليلى ونهاز^(١)
ومن الحال بدا استقبالك
ما مضى بالحال والمستقبل

في بيان أن بقاء نوع الإنسان بالأمومة ، وأن حفظ الأمومة واحترامها من أصول الإسلام

<p>نَعَمَاتُ المرءِ عَزْفُ المرأةِ كست الذُكرانَ رِيَّاتُ الحِجَالِ عَشَقُ الحقِّ رِيَاءُ حِجْرُهَا الذي قد بهر الكونَ سَنَاهُ جهلَ القرآنَ جَهْلًا مُسْلِمُ إِنَّمَا الأمُّ عَلَيْنَا رَحْمَةً رَأْفَةُ المرسلِ فسي رَأْفَتُهَا ومن الأمِّ علَتْ أَقْدَارُنَا لفظةُ الأُمَّةِ فِيهَا نُكْتُ إنما الأمةُ مَنْ وصلَ الرِجْمُ قال خير الخلق ، وهو الحجةُ :</p>	<p>هو من محتها في عِزَّةِ إنَّ ثوبَ العِشْقِ من نَسِجِ الجَمالِ^(٢) ذلك اللحنُ حوَاهُ صَدْرُهَا قَرَنَ الطيبَ إليها والصَّلَاةُ^(٣) قد رآها أُمَّةٌ لا تُعْظَمُ وإلى الرُّشْلِ لديها نِسْبَةٌ سيرُ الأقوامِ من صنعِهَا ويُسمّاها بدا مِقْدَارُنَا^(٤) أثرى فكرَ فيها يَثْبُتُ ؟ دونه أمرُ حياةٍ لا يَتِمُّ تحت رجلِ الأُمّهاتِ الجَنَّةُ</p>
--	--

(١) المهار : الزمام .

(٢) إكبار الرجل المرأة وحبها يدعوانه إلى الإقدام والعمل ، وكذلك تهديه المرأة وتلهمه .

(٣) إشارة إلى الأثر : حبيب إلي من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وقرة عيني في الصلاة .

(٤) المقدار هنا القدر ، أي مستقبل الناس مكتوب في سيما الأم .

كُشِفَتْ بِالْأَمِّ أَسْرَارُ الْحَيَاةِ بِخِلَالِ الْأُمِّ تَسِيرُ الْحَيَاةُ
وَبِهَا فِي نَهْرِنَا يعلو العُبابُ وَيَدُومُ المَوْجُ فِيهِ وَالْحَبَابُ

هَذِهِ الْغُرَّةُ بِنْتُ الْقَرْيَةِ عِبْلَةُ الْجِسْمِ وَغُفْلُ السُّحْنَةِ
حَيَّةُ الْعَيْنِ ، كَهَامُ الْمَقُولِ دُونَ تَعْلِيمٍ وَصَقْلِ الصِّقْلِ^(١)
أَلَسَمَ الْأُمُّ عَلَيْهَا يَثْقُلُ وَجْهَهَا يُعْرِبُ عَمَّا تَحْمِلُ
أَمَرْنَا يُحَكِّمُ مِنَ أَلَامِهَا صَبْحُنَا يَشْرِقُ مِنْ إِظْلَامِهَا^(٢)
إِنْ تَهَبُّ مِنْ حِجْرِهَا لِلْأُمَّةِ مَلَمَّا حَقًّا عَظِيمُ النَّجْدَةِ
وَالَّتِي رَقَّتْ وَخَفَّتْ مَحْمِلًا بَاطِنُ الْمِرْأَةِ فِيهِ عُطْلَا^(٣)
شَعَّ نَوْرُ الْغَرْبِ فِي فِكْرَتِهَا وَتُرَى الثُّورَةُ فِي مَقْلَتِهَا
قَطَعَتْ أَوْصَالَ هَذِي الْأُمَّةِ حِينَ طَاشَتْ عَيْنُهَا بِالنَّظَرَةِ
إِنْ حَرَّيْتَهَا أَصْلُ الْبَلَاءِ إِنَّ حَرَّيْتَهَا فَقَدْ الْحَيَاءُ
لَيْلُهَا مَا ضَاءَ فِيهِ نَجْمُهَا لَمْ يَطُقْ أَعْيَاءُ أُمِّ عَلْمُهَا^(٤)
لَيْتَهَا لَمْ تَنَمْ فِي رَوْضَتِنَا لَيْتَهَا تُغَسِّلُ مِنْ حُلَّتِنَا

أَنْجَمُ التَّوْحِيدِ فِي غَيْبِ الْأَبَدِ مَضْمَرَاتٌ لَيْسَ يَحْصِيهَا عَدَدُ
لَمْ تُسَيِّبْ بَعْدُ مِنْ قَيْدِ الْعَدَمِ لَمْ تُقَيِّدْ بَعْدُ فِي كَيْفِ وَكَمِ
جَلَّوَاتٌ فِي دَجَانَا تُضْمَرُ فِي ظِلَامِ الْكَوْنِ عَنَّا تَسْتَرُ
قَطَرَاتٌ لَمْ تَزِنْ زَهَرَ الرُّبَى وَزَهْوَرُ لَمْ تَفْتَحْهَا الصَّبَا

(١) كهام المقول : عية اللسان . عينها خفرة ، ولسانها قليل الكلام .

(٢) نعاني الظلام في أيامها لشرق صبحنا : أي نسعد بشقائقها .

(٣) صدفت عن الحمل والوضع .

(٤) لم يضيء في ليلها نجم : لم يولد لها ولد .

إنما تنبت هذي الزهراء
أيها العاقل ! ما الأئمة
إنه أولادها ملء الأمل
تحفظ الأم إخوان الأئمة

ناضرات في رياض الأمهات
ليس من عقيانها والفضة
في ذكاء ونشاط وعمل
وقوى قرآنا والعلمة



في بيان أن سيّدة النساء فاطمة الزهراء أسوة كاملة للنساء المسلمات

أم عيسى نسيّة واحدة
قرّة العين لخير الأولين ،
نافع الروح بدنيا ووهن
وهي زوج المرتضى ذا البطل
ملك في الكوخ زهداً قد أقام
وهي أم السّيد بن الأكرمين
ذا سراج في ظلام الحرم
ازدري الملك ابتغاء الألفه
ذاك في الأبرار ربّ العلم
سيرة الأولاد صنع الأمهات
زهرة في روضة الصدق البتول
فاقة السائل أذرت دمعها
كل من في الأرض قد طاع لها
نشئت ما بين صبر ورضا

بثلاث تزدهي فاطمة :
خاتم الرّسل ، وخير الآخرين
خالق العصر جديد الشّن
أسد الله الحكيم الفيصل
كل ما يملك درع وحسام
حسني خير حليم وحسين
حافظ وخدّة خير الأمم
أطفا النيران بين الإخوة
أسوة الأحرار في الخطب العمي
وخلال الخير طبع الأمهات
أسوة النسوة في الحق البتول
لهودي أباعت درعها^(١)
ورضاها حين تُرضي بعلها
في القم القرآن ، والكف الرّحى

(١) أباع : عرض للبيع ، أي عرضت درعها للبيع لتعطي سائلاً .

في مصلاًها يفوقُ الجوهراً
وعلى العرش المعلى نثراً
والى شرع الرسول المتهى
ناثراً من مَجْداتي حولها

دمعها من خشية الله جرى
لقط الروح الأمين الذُرّاً
أنا لولا الشرع عن هذا نهى
طفئت حول القبر إجلالاً لها



خطابٌ إلى المرأة المسلمة

عرضنا في الصّون من أستارك
قوى الدّين به والأمة
كلمة التوحيد من قبل الكلام
فعلنا ، أقوالنا ، أفكارنا
شعّ في الأطواد ، واليّد طوى
ونما التوحيد في أحجارك
وعلى الأديان باغ فاجر
كم جهول في شرك قد أسر
بشباك الهذب كم من هالك
ميتّه يزعم قصرأ رمسه^(١)
بك ينمو رأس مال الملة
لا تبالي بجدي أو تلف
والى صَدْرِكَ ضمّي ولَدِك
هذه الأفراخ ، لَمّا تطير

مُشعل مصباحنا من نارك
خلّقتك الطاهر فينا رحمة
طفلنا علمته حين الفطام
صبيغ من حُبّك أطوار لنا
برقنا في سحُب منك ثوى
ضياء دين الحق من أنفاسك
ذلك العصر غرور مأكّر
عقله أعمى وبالله كفر
عينه عين وقاح فاتك
صيده يحسب حرأ نفسه
بك يخضر غراس الوحدة
لا تسيري غير نهج السلف
احذري فتنة عصر مهلك
بُعدت عن عثها في خطر

(١) الأسير في أغلال هذا العصر يظن نفسه حرأ ، والميت يحسب رسمه قصرأ لا يدري هذا
أو ذاك ما هو فيه من عبودية أو هلاك .

فِيكَ تَمَوُّ لِلْمَعَالِي فَطَرَهُ فَاتَّبَعِي الزَّهْرَاءَ ، نَعَمَ الْأَسْوَةُ
عَلَّ غَصْنًا مِنْكَ يَأْتِي بِحُسَيْن فَتَرَى النُّصْرَةَ رَوْضَاتِ ذَوَيْنِ

خلاصة مطالب المنظومة

في تفسير سورة الإخلاص

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾

مُزْهِرًا مِنْهُ تَرَابُ الْقَدَمِ
طُورُنَا مِنْهُ الْكَلِيمُ الْأَوَّلُ^(١)
صَحْبَةُ الْغَارِ وَفِي الْقَبْرِ ، الْوَفَى^(٢)
مَطْلَعُ الدِّيَّانِ مِنْ أَهْلِ الْوَفَاءِ !
فَانْظُرُنَّ مَا الطَّبُّ مِنْ أَدْوَانَا
سُورَةُ الْإِخْلَاصِ بُسْرَةُ السَّقَمِ
وَهِيَ لِلتَّوْحِيدِ سُرٌّ هَائِلٌ
وَلتَكُنْ مِنْهُ مَثَالًا لِلْجَمَالِ
بِكَ لِلْوَحْدَةِ فِي الدُّنْيَا سَمَا
لَمْ تَزُلْ عَمَّا تَعُودَتْ الْقَدَمُ
اقْصِدِ الْبَحْرَ وَخَلِّ الْقَنَوَاتِ
قَدْ بَعُدَتْ الْيَوْمَ مِنْ دَوْحَتِكَ
لَا تَقْطَعِ صَاحِ أَجَلَ الْوَحْدَةِ

ظَهَرَ الصُّدِيقُ لِي فِي الْحُلَمِ
ذَا « أَمَرُ النَّاسِ » فِينَا مَنْ جَلَا
هُوَ ثَانِي اثْنَيْنِ فِي الدِّينِ وَفِي
قُلْتُ : يَا صَفْوَةَ أَصْحَابِ الصَّفَاءِ
بِكَ قَرُّ الْأَمْرِ فِي بُنْيَانِنَا
قَالَ : حَتَّامَ أَسِيرُ الْوَهْمِ
تَقَرُّ فِي كُلِّ صَدْرٍ جَائِلٌ
فَاجِلُ هَذَا السَّرِّ فِي كُلِّ الْفِعَالِ
الَّذِي سَمَّاكَ عَبْدًا مُسْلِمًا
قُلْتُ : أَفْغَانٌ ، وَتَرْكٌ وَعَجَمُ
طَهَّرَنَ الْحَقُّ مِنْ هَذِي السَّمَاتِ
يَا أَمِيرًا لِسَمَاتٍ وَيَحْكَا
أَبْدَلِ الْوَحْدَةَ بِالشَّيْئَةِ

(١) إشارة إلى الحديث : « أَمَرُ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالَهُ أَبُو بَكْرٍ » .

(٢) كَانَ ثَانِي الرُّسُولِ فِي الدِّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَفِي الْقَبْرِ إِذْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ دُفِنَ
بِجَانِبِهِ .

عابد الواحد ا وحده واهجرن
 أيها المفضل معنى الكلام
 أمة قطعها في أمم
 قوة الإيمان زد بالعمل

﴿ اللَّهُ الصَّكَدُ ﴾

أشعرن القلب « الله الصمد »
 ليس عبد الله عبد السبب
 ليس غير الله يرجو المسلم
 لا تبئن شكاة أحدا
 بالشعير اقنع ، تقيل حيدرا
 فيسم للأجواد حمل الجنين
 لا ترم رزق لثيم يُنغص
 إن تكن نملاً وكنتم المقعدا
 تخفف الزاد ، طريق وعمر
 اجعلن « أقلل من الدنيا » الشعار
 وكن الأكسير لا الشرب بها

تخلصن من قيد أسباب وحد
 ما الحياة الحق دور اللولب^(١)
 وفو للناس جميعاً سلم
 لا تمدن إلى الخلق يدا
 مرحباً فاقتله ، وافتح خيبراً^(٢)
 أنت ، من لا ونعم في حزين
 يوسف أنت ، فأني ترخص
 لا تؤمل من سليمان جدى
 عش ومث حراً . عداك الغرر
 و« تعيش حراً » بها كل الفخار^(٣)
 معطياً لا سائلاً . في حبها^(٤)

(١) إن أخلص الإنسان الله ، وتوكل عليه لا يقيد ما يقيد الناس من أسباب ، بل يخلق هو وساقله إلى غاياته ، وليست الحياة دورات آلية بل فيها إرادة الإنسان وعزيمته .

(٢) مرحب : أحد رؤساء اليهود في خيبر ، قتله علي رضي الله عنه .

(٣) إشارة إلى ما يروى عن عمر رضي الله عنه : « أقلل من الدنيا تعيش حراً » .

(٤) الضمير يرجع إلى الدنيا .

« بو علي » ليس مجهولاً لديك
 « تخت قابوس اركلن بالأرجل
 يفتح الحان عجولاً نفسه
 جرعة من كأسه أهدي إليك :^(١)
 ابذل الرأس وبالعرض ابخل
 لفقير لم يدنس كأسه

قائد الإسلام هارون الرشيد
 قال : يا مالك مولى الأئمة
 أنت يا بلبل فردوس الحديث
 لم يخفى ذا العقيق اليمن ؟
 حبذا زهرة أيام العراق
 تسربه فيه من الثقم نجاء
 قال : « إني خادم للمصطفى
 أنا ، من قيئت في حبي له
 لي في يشرب حباً واشتياق^(٢)
 ويقول العشق : أمري امثلاً
 أنت تبغي أن ترى لي سيّدا
 التعليمك أغشى بابك
 إن ترّم في الدين علماً يقتنى
 من سقى نقفور من ماء الحديد^(٣)
 أنت يا رونق وجه الملة
 إني أرغب في درس الحديث
 اقصدن بغداد ، نعم الوطن^(٤)
 حبذا حسن به الأعين راق
 قاطر من كزيمه ماء الحياة
 وبحسبي حبه لي شرفاً
 كيف أنأى عن مكان حله
 أين من ليالي بها صبح العراق ؟
 لست أرضى بملوك خولا
 أن ترى مولى لحر عبدا
 خادم الأئمة لا يعنوكا
 فاغشين حلقة درسي هاهنا »

- (١) هو أبو علي قلندر أحد كبار الصوفية في الهند ، وقد سبقت ترجمته في القسم الأول لديوان « الأسرار والرموز » ، وما بين القوسين من شعره .
 (٢) نقفور : أحد ملوك البيزنطيين حاربه الرشيد فهزّمه .
 (٣) اليمن : من مواطن العقيق . يعني : لحافاً يبقى مالك في الحجاز كما يبقى العقيق في معدنه .
 (٤) في الأصل : أنا حيّ بتقيل تراب المدينة . وقد خففت العبارة في الترجمة .

الذي استغنى جديرٌ بالدلال
صبغة الحق من استغنى اكتسى
أنت من غيرك تجدو علمكما
أنت منه إشعار تفخر
خشعت أرضك من أمطاره
مطراً من مزنه لا تجتدي
سللت عقلك أفكاراً له
مستعاراً كلم في فمكما
اعوزت طيرك الحان الغناء
أنت في كأسك خمراً تجتدي
لو يعود اليوم فينا ذو النظر
ماز صدقاً وكذباً سمعه
ثم نادى « لست مني » يافتى
فلام العيش مثل الأنجم
أنت قد غرّك صبح كاذب
أنت شمس نفسك اعرف كل حين
إن في قلبك نفساً من سواك
بسراج الناس مغناك أضواء

في دلالٍ عنده كل جمال
ورأى صبغ سواه دنسنا
بطلاء منه تطلبي وجهكما
أنت ذا أم غيرتك الغير^(١)
وخلا البستان من أزهاره
لا يُبذ زرعك عمداً باليد
ملاث خلقك أوتار له
مستعاراً أمل في قلبكما
ليس في سرك في الجو رواء^(٢)
وكذاك الكأس جدوى في اليد
من به تصديق ﴿ ما زاع البصر ﴾^(٣)
وابتلى كل فراش شمعه^(٤)
ويلتا يا ويلتا يا ويلتا
يطلع الصبح لها بالعدم
أنت عن نفسك حقاً ذاهب
لا تفسدها من نجوم الآخرين
باعت الأكسير بالشرب يداك
وبخمر الناس في الرأس انتشاء

(١) هل أنت أيها المسلم كما عهدتك ، أم أنت إنسان آخر .

(٢) السرو : شجر طويل شكله كالسنبلة دائم الخضرة ، جميل التمايل . يقول الشاعر إن طيرنا لا يستطيع الغناء كالطير ، وسرونا ليس له رواء كالسرو .

(٣) إشارة إلى الآية : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا كُنَّ ﴾ [النجم : ١٧] .

(٤) لو عاد الرسول صلوات الله عليه لميز الصادق والكاذب ، وعرف شمعه الفراش الذي يهفو إليه حياً .

لك حولَ الشَّمع في الحفلِ دوار
ابسقَ في مثواك مثلَ البصرِ
حَيَّ فسرَّدَ نفسَه قد عَرَفَا
عن طريقِ المصطفى لا تذهبنَ
اغشينَ نارك . هل في القلبِ نار^(١)
لا تدعُ عُشَّكَ مهما تطير^(٢)
وقبيلٌ عن سواءِ صَدَفَا^(٣)
واترك الأربابَ ، والله اعْبُدَنَّ

﴿ لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾

قد علا قومُكَ عن لونٍ ودمٍ
في وضوءِ قطرةٍ من قنبر
اتركنَ عثًّا وأمًّا وأبا
يا خليلي اسمع حديثي واعقلا
قطرةٌ من شقيرِ كَالْقَبَسِ
لم تقلْ هذي : أنا نيلوفر
شأنُ إبراهيمَ في ملتنا
إن جعلتَ الدمَ ركنَ الملة
في ثرانا ليس ينمو بزركا
وعلا أسودُه خمرَ الأمم
هي أغلى من دمٍ من قيصر
وكسلمان إلى الدين أنسبا^(٤)
من خلایا النحل هذا المثلا :
ثمَّ أخرى من بياضِ النرجسِ
أو تقلْ هاتيك إنني عبهرُ
دينَ إبراهيمَ فيه شهدنا
صدعتُ دعواك جمعَ الإخوة
أنتَ ما أسلمَ حقًّا فكرُكا

(١) هنا يقول الشاعر : لا تكن فراشاً يهفو على نار غيره بل اصطل نارك إن تكن في قلبك نار .

(٢) مذهب إقبال أن يثبت الإنسان في نفسه ، يبعد السير ولكن لا يخرج من منهاجه . فليكن كالבصر ، يتقلب في العالم ، وهو مكانه ، وكالطائر يحلق في الجو ولا ينسى عشه . يعني أن يكون في فكره وعمله صادراً عن عقيدته وإحساسه هو .

(٣) حياة الفرد أن يعرف نفسه ويعتدُّ بها ، وحياة الجماعة أن تعتمد على نفسها ، وتصرف عن غيرها .

(٤) يروي أن سلمان الفارسي رضي الله عنه سئل عن نسبه ، فقال : سلمان بن الإسلام .

ابنُ معرودٍ سراجُ المتقين
 أجَّ من موت أخيه صَدْرُهُ
 لم يجفَّ الدَّمْعُ من حرقة
 « آهِ للقلَّارىءِ درسِ العظيمةِ »
 « آهِ للثَّروِ الذي قد وَرَفَا »
 « عَيْنُهُ تُحَرِّمُ إبصارَ النَّبِيِّ »

جسمه والروح وَجَدَ الْمُخْبِتِينَ
 وأَذَابَ القلبَ منه جَمْلُهُ
 نَاحَ نَوحِ الأُمِّ في لَوْعَتِهِ :
 ورفيقي في طلابِ الحكمةِ «
 وشريكِي في ولاءِ المصطفىِ «
 وأنا أشهد أنوارَ النَّبِيِّ^(١) «

ما من الأنسابِ يَقْوَى وصلُّنا
 إنما حبُّ العجَازِي الحبيبِ
 حَسْبُنَا آصرةٌ من حُبِّهِ
 جَدَّدَ الدَّهْرُ بنا سِرَّتَهُ
 عَتَّقَهُ بِرُّ اجتماعِ الأُمَّةِ
 صلةُ العِشْقِ لنا أقوى سَبَبِ
 أيها العاشقُ خَلِّ النِّسْبَا
 نورٌ حقٌّ مثله أَمْتُهُ
 « نورٌ حقٌّ ما حواه نَسَبُ
 من ثوى في نسبٍ أو بَلَدِ »

ليس من رومٍ وعُربِ أصلُنا
 قد جانا ذاكُم الوصلَ القريبِ
 حسبُ عينِ نشوةٍ في قربه
 مُذْ حوتِ أعراقُنا نشوْتَهُ
 نبضت منه عروقُ المَلَّةِ
 هو في الروحِ ، وفي الجسمِ النسبِ
 خلَّ إيرانُ « وخلَّ العَرَبَا
 قد نمت أغصانُنا دوحَتَهُ
 ثوبٌ حقٌّ ، لا سِدَى أو لُحْمَةٌ^(٢) «
 قد غَفَا عن ﴿ لم يلدْ ولم يُولَدْ ﴾

(١) يقصد الشاعر من هذه القصة أن ابن معرود بكى أخاه لما جمعتهما من صلة بالنبي لا من

صلة النسب .

(٢) البيت لجلال الدين الرومي .

﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ كُفُوءًا أَحَدٌ ﴾

صاح ! ما المسلمُ للدُّنيا احتقر
زهرةً من شَقيرٍ في القُننِ
نفساً ينفخ فيها السَّخَرُ
تُشفق الزُّهرُ عليها تحسبُ
التُّدى منها نَعاساً يَغِسلُ
﴿ لم يكن ﴾ أميكُ بها واشدُّ يدا
ذلك الواحدُ لا شريكَ له
قد سما المسلمُ أعلى مَنْ سَمَا
ورَّده ﴿ لا تحزنوا ﴾ في المازق
حملَ الكونين طراً ظَهَره
أذنه للرَّعدِ إمّا جَلجلا
قاتِلُ الرُّورِ ، وللحقِّ ورز
جمره كلُّ لهيبٍ في حشاه
ليس في ضوضاء هذي الأمم
هو في العفو وفي البذل عظيمُ
لُطفه في الحقلِ جبرُ المنكسرِ
هو في الرُّوضِ صفيهُ البُلبلِ
قلبه تحت سماء لا يقر
طائرٌ ينقر نجمَ الحُبكِ
أنت ، يا مَنْ لم يَطُرْ منك جناحُ
مستكينٍ تشتكي جور الزَّمانِ

عامراً بالحقِّ قلباً قد عمر ؟
لم ترُها طلعةً من مُجنٍ
فترامها لهباً يتمرُّ
أنها خُلف عنها كوكبُ
وشُعاعُ الشَّمسِ فيها قُبُلُ
لُتري في الناس حُزراً أو حُدا
عبذه يابى شريكاً مثله
ليس يرضى بمُسامٍ في السما
﴿ أنتم الأعلى ﴾ تاجُ المَفرِقِ
وحوى برّاً وبحراً صدره
صدره لِلتَّبرقِ إمّا نزلا
أمره المعيار في خيرٍ وشرٍ
جوهراً فيه كمالٌ للحياه
نغمتهُ إلا أذانُ المُسلمِ
وهو حين القَهرِ ذو طبعٍ كريمٍ
قهره في الحرب صهرٌ للحجرِ
وهو في اليَدِ انقضاضُ الأجدلِ
هو فوق الزُّهرِ ما إن يستقر
طائرٌ فيما وراء الفَلَكِ
دودةٌ في ظلمةِ الثُّربِ تُراح
قد أصبتَ الدُّلَّ من هجر القرآن^(١)

قَدْ هَبَطَتْ الْأَرْضَ طَهْرًا كَالنُّدَى
فِي لَامِ الْعَيْشِ فِي الشَّرْبِ ؟ اِرْحَلَا

بِالْكِتَابِ الْحَيِّ أَمْسَكْتَ يَدَا
أَصْعَدَنْ فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى

شكوى المصنف إلى من أرسل رحمةً للعالمين

نَضَّرَتْ مِنْكَ مُحَيَّاها الْحَيَاةِ
الْجِهَاتُ السَّكُّ نَوْرٌ يَسْطَعُ
إِنْ فَقَرًا فِيكَ ذَخِرُ الْكَائِنَاتِ
أَنْتَ أَشْعَلْتَ مَصَابِيحَ الْحَيَاةِ
صُورُ الْكَوْنِ بَدَتْ مِنْ دُونِكَ
نَفْسٌ مِنْكَ أَطَارَ الشُّرَارَا
وَسَمَتْ لِلتَّيْرِينَ الذُّرَّةُ
مِنْ أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَقْرَبُ
عَشْقُكَ النَّارَ بِجَسْمِي يُضْرِمُ
وَمَتَاعِي أَنَّهُ مِثْلُ الرَّبَابِ
كَيْفَ لَا يُبْدِي شَجَّ أَتْرَاحِهِ ؟
ضَلَّ عَنْ سِرِّ النَّبِيِّ الْمُسْلِمُ
كُلُّهُمْ فِي قَلْبِهِ يَثْوِي هُبْلُ

وَرَأَتْ تَعْيِيرَ رُؤْيَاها الْحَيَاةِ
مِنْكَ ، وَالْأَقْوَامُ جَمْعًا تَبْعُ
قَدْ تَعَالَى بِكَ قَدْرُ الْكَائِنَاتِ^(١)
وَحَبِوتَ النَّاسِ مِنْ رَقٍّ نَجَاةِ
فَاقَةُ تَشْكُو وَتَشْكُو الْخَلْكََا
فَاسْتَحَالَ الطَّيْنُ مِنْهُ بَشْرًا^(٢)
وَتَجَلَّتْ مِنْ حَشَاها الْقُوَّةُ
مَذْ رَأَى وَجْهَكَ طَرْفِي الْمَعْجَبُ
فَلْيُذِبْ رَوْحِي مِنْهُ ضَرْمُ
إِنَّهَا الْمَصْبَاحُ فِي بَيْتِي الْخَرَابِ
كَيْفَ لَا يُبْدِي زَجَاجُ رَاحِهِ ؟
مَوْثِقًا قَدْ صَارَ هَذَا الْحَرَمُ^(٣)
وَمِنَاةً فِيهِ وَالْعُرَى تُحْلُ

(١) الْفَقْرُ عِنْدَ إِقْبَالٍ ، كَمَا هُوَ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ ، أَلَا يَسْتَغْنِي الْإِنْسَانُ إِلَّا بِاللَّهِ . انْظُرْ مُقَدِّمَةً
« ضَرْبُ الْكَلِيمِ » .

(٢) يَعْنِي : أَنَّ الْكَائِنَاتِ قَبْلَكَ كَانَتْ فِي ظِلَامٍ وَفَاقَةُ وَحَاجَةٌ إِلَى مَنْ يَمِثُ فِيهَا الْحَيَاةِ
وَالْقُوَّةُ .

(٣) الْمُسْلِمُ صَارَ بَيْتَ أَوْثَانٍ بِمَا فِي نَفْسِهِ مِنْ أَهْوَاءٍ ، وَعِبَادَةٍ لِلْكَبِيرَاءِ .

شَيْخُنَا يَفْضُلُهُ الْبِرُّ هَمَزُنْ
هَجَرَ الْعَرَبَ ، وَفِي الْعَرَبِ عَصَمُ
فَتَ بَرْدُ الْعُجَمِ فِي أَعْضَائِهِ
هُوَ ، كَالْكَافِرِ ، يَخْشَى الْأَجْلَا
دَاوَهُ كُلُّ طَيِّبٍ مَا شَفَا
هَالِكَا عَرَفْتَهُ مَاءَ الْحَيَاةِ
قُلْتُ عَنْ أَحْبَابِ نَجْدٍ قِصَّتِي
فَأَضَاءَ الْحَفْلَ مِنْ لِحْنِي آيَاةِ



سُمْنَاتُ رَأْسِهِ يَسْتَوْطِنُ^(١)
وَأَطَالَ النَّوْمَ فِي حَائِ الْعُجَمِ
دَمْعُهُ أَبْرَدُ مِنْ صَهْبَائِهِ
صَدْرُهُ مِنْ قَلْبِ حَيٍّ قَدْ خَلَا
فَحَمَلْتُ النَّعْشَ عِنْدَ الْمُصْطَفَى
وَمِنَ الْقُرْآنِ أَسْرَارَ النَّجَاةِ
خَدِثْتُ عَنْ رَوْضِ نَجْدٍ تَفْحَتِي
وَدَرَى قَوْمِي أَسْرَارَ الْحَيَاةِ^(٢)

قِيلَ : أَهْدِي سَحَرِ أَوْزُئَةٍ لَنَا
وَاهِبِي عَوْدَ سُلَيْمَى كَرَمًا
أَهْدِ لِلْحَقِّ ، الَّذِي قَدْ أَفْكَأَ
إِنْ يَكُنْ قَلْبِي غَوَى لَا يُبْصِرُ
أَنْتِ يَا مَنْ نَوْرُهُ صَبَحُ الْعُصُورِ !
أَهْتَكُنْ أَسْتَارَ فِكْرِي وَأَفْضَحْنِ
وَحَيَاتِي أَقْطَعْ لِأَجْلِ الْأُمَّةِ
أَبْعِدْنِ عَنْ رَوْضَتِي الْغَيْثَ الْمَرِيعِ
جَنَفِ الرَّاحِ بِكَرْمِي عَاجِلَا

وَبِقَانُونِ الْفَرَنْجِ افْتَنَا^(٣)
وَالْأَبُوصِيرِيَّ بُرْدًا كَرَمًا^(٤)
الَّذِي يَجْعَلُ مَا قَدْ مَلَكَا^(٥)
أَوْ سَوَى الْقُرْآنِ لَفْظِي يُضْمِرُ
أَنْتِ يَا عَالَمَ أَسْرَارِ الصُّدُورِ !
طَهَّرْنَ مِنْ شَوْكَتِي رَوْضَ الزَّمَنِ
وَكَفَيْنِ شَرِّي أَهْلَ الْمَلَةِ
وَاحْرَمْنِي مِنْ شَأْيِبِ الرَّبِيعِ
وَامْلَأْنِ وَاحِيَّ سُمًّا قَاتِلَا

(١) سمنات : بيت أصنام معروف في الهند أخربه السلطان محمود الغزنوي ، ويعبد الهنادك بناءه اليوم .

(٢) الآية : شعاع الشمس .

(٣) القانون : آلة موسيقية . وفي الكلام تورية بالقانون الذي معناه الشرع .

(٤) الأبوصيري الشاعر ناظم البردة . وعود سليمان يراد به قوة الحرب في الأدب والغناء .

(٥) أهد من ادعى أن فلسفتي مأخوذة من الفرنج ؛ لأنه يجهل ما في دينه من قوانين .

واخزيتني يوم حشر الأمم
أو أكن أخلصت نصحي في البيان
فدعاءً منك أجري وكفى
اسألن الله ربَّ العرش لي
ربَّ قد أنعمت بالزُّوج الحزين
فاجعلن في الفعل حظي أوفرا

مُدَّ حوى قلبي في الدنيا مُقام
شاهداً صبحَ حياتي الأولا
مُدَّ شدا باسمك أمي وأبي
ودهانني ربُّه والمُحَنُّ
ونما بالعتق فيه الثَّمَلُ
كوكبٌ في جنح ليلي يُسفر

أملٌ آخر في القلب أقام
هو في صدري كقلبي نزلا
أملٌ أذكيتُ منه لهبي
كلُّما غيَّض مُني الزمنُ
شَبَّ في قلبي هذا الأملُ
إنَّه تحت نراي جَوهَرُ

وتعشَّفتُ ذواتِ الطُّرَرِ
حين أطفأتُ سراجَ العافيه
وغزا قلبي قُطْعاع الطريقِ
وبكيسي لم يزل هذا النُّضارُ

همتُ حيناً بذواتِ الحورِ
وعلى السَّراجِ صحبت الغانيه
وأحاطت بِيَدري نارُ البُروقِ
وبروحي لم يزل هذا العُقارُ

وغزا روحي بالنقش الفري^(١)

لبس الزُّنارَ عقلي الأزري

(١) الأزري المنسوب إلى آزر ناحت الأصنام ، وهذا العقل الوثني نقش في روحه نقشاً عجيباً .

فِي إِسَارِ الشُّكِّ أَمْضَيْتَ سَنِينَ
 أَحْرُفًا مَا نَلْتُ مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ
 لَمْ يَلُحْ فِي لَيْلِ عُمْرِي نَوْرُ حَقِّ
 وَفُؤَادِي مُضْمَرٌ هَذَا الرَّجَاءِ
 ثُمَّ مِنْ عَيْنِي دَمْعاً سَجَماً
 وَهُوَ فِي رَأْسِي مَقِيمٌ لَا يَبِينُ
 وَمِنَ الْحِكْمَةِ فِي الرِّيبِ رَهِينُ^(١)
 لَمْ يُنَزْ لَيْلِي شِعَاعٌ مِنْ شَفَقِ
 صَدَفَ فِي قَلْبِهِ دُرٌّ أَضَاءَ
 وَتَجَلَّى فِي فُؤَادِي نَغْمًا^(٢)

يَا مَنْ الْقَلْبُ سِوَاهُ أَغْفَلَا
 سِيرَتِي مَا ضَاءَ فِيهَا الْعَمَلُ
 أَنَا مِنْ إِظْهَارِهِ فِي خَجَلٍ
 يَا رَحِيماً بِكَ لِلنَّاسِ مَفَازِ
 هَجَرُ غَيْرِ اللَّهِ شَأْنُ الْمُسْلِمِ
 حَسْرَةُ الْمُسْلِمِ إِنَّ حُمَّ الْمَمَاتِ
 وَيَلْ يَوْمِي ، وَهَنِيئاً لِفَيْدِي
 حَبْذَا أَرْضٌ تَرَاهَا مُوْطِنَا !
 ائِذْنَنْ أَذْكَرَ هَذَا الْأَمَلَا
 كَيْفَ مِثْلِي مِثْلَ هَذَا يَأْمُلُ ؟
 مِنْكَ لُطْفٌ يَسَّرَ الْجُرْأَةَ لِي
 كُلُّ مَا أَبْغَيْهِ مَوْتِي فِي الْحِجَازِ^(٣)
 كَيْفَ لِي عَيْشٌ بَيْتِ الصَّنَمِ ؟
 أَنْ يَكُونَ الدَّيْرُ مَثْوًى لِلرُّفَاتِ^(٤)
 إِنْ أَقَمَ فِي ذَا الْحِمَى مِنْ لَحْدِي
 حَبْذَا تَرَبُّ تَرَاهُ مَسْكِنَا !

(١) الحكمة : الفلسفة .

(٢) هذا الأمل الذي كرر الشاعر ذكره وأطال في وصفه تحوّل دمعاً سَجَمَ فِي عَيْنِهِ ، وَنَغْمًا رَنًّا فِي قَلْبِهِ .

(٣) كرّر الشاعر هذا الرجاء في شبابه قبل وفاته بثلاثين سنة إلى أن توفي ، وروى الأستاذ يوسف جشتي شارح دواوينه الشعرية أنَّ أحد أصحاب محمد إقبال دخل عليه في يناير سنة ١٩٣٨ م (أي : قبل وفاته بثلاثة أشهر) وأخبره أنه عزم على الحج ، وسأله أن يدعو الله ليقبل حجّه ، فبكى إقبال بكاءً شديداً وقال : بل أسأل الله أن يسر لي زيارة روضة الحبيب ﷺ .

(٤) يعني : أن بلاد الهند يسيطر عليها الإنكليز ، وليست بلاداً إسلامية خالصةً ، فهي ليست جديرة أن يعيش فيها المسلم ، أو يعبر فيها .

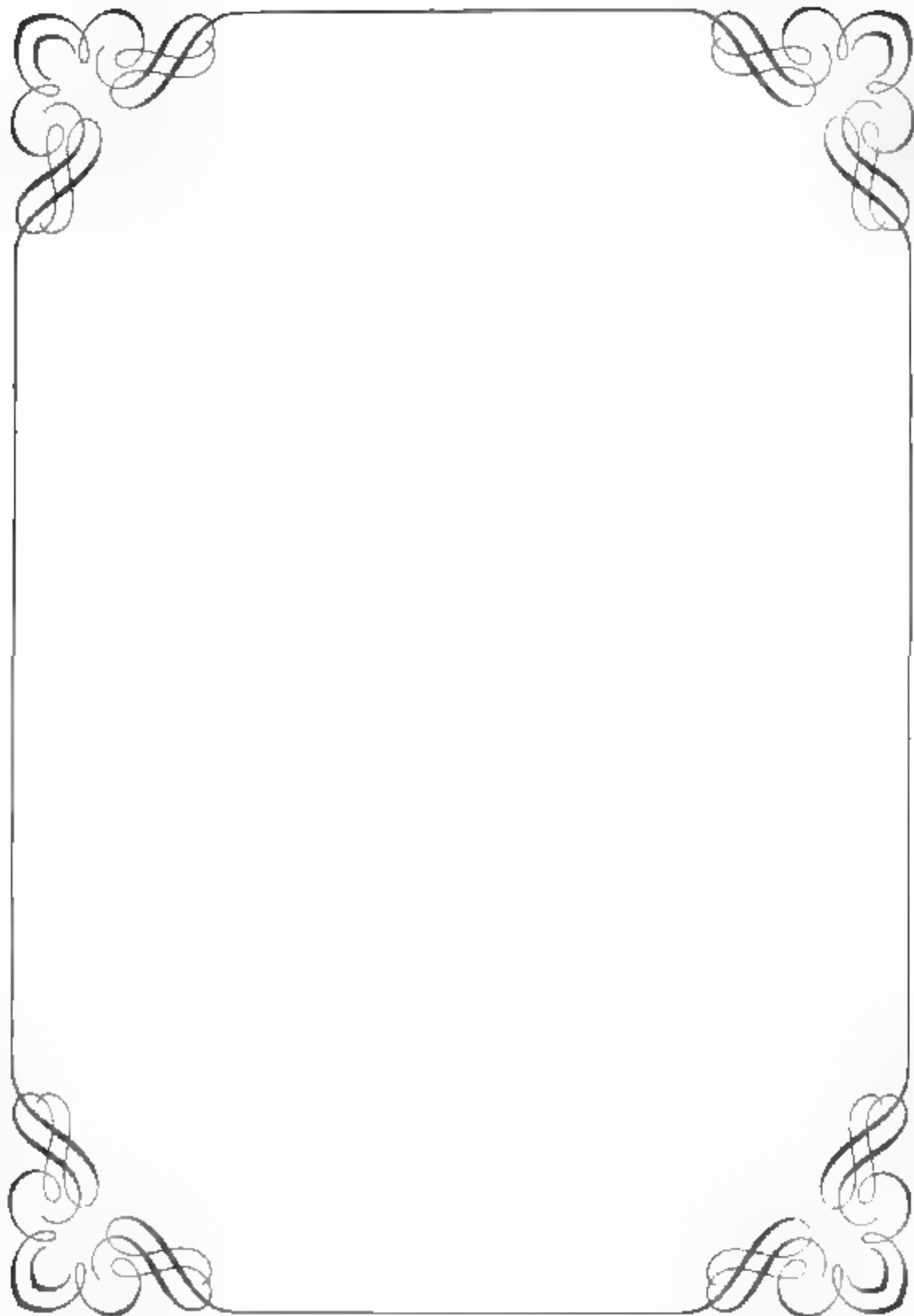
« دَارُ حَبِيبِي وَمَلِيكِي وَالسَّكَنُ
 كَوَكْبِي أَطْلَعُهُ بِالسَّعْدِ غَدًا
 لِيَرَى الرَّاحَةَ قَلْبِي الْقَلْبُ
 أَتَيْهَا الدَّهْرُ انْظُرْ هَذَا السَّلَامُ
 أَتَيْهَا الْعُشَّاقُ ! ذَا نِعَمَ الْوَطْنِ » (١)
 فِي ظِلَالِ الدَّارِ هَبَ لِي مَرْقَدًا
 وَيَرَى الْهَدَاةَ هَذَا الزَّيْبِقُ
 قَدْ رَأَيْتَ الْبَدَأَ فَاَنْظُرْ مَا الْخَتَامُ

(١) هذا البيت أحبه مفتبأ من جلال الدين الرومي . والسكن هنا : من يسكن إليه الإنسان ، ويعلمن .

الدِّيَّوَانُ الثَّالِثُ

رِسَالَةُ الشَّرْقِ
پیام مشرق

نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ
الدُّكْتُور عَبْدُ الْوَهَّابِ عَزَّام



طبع هذا الديوان أوّل مرّة باللغة الفارسية عام ١٩٢٣م ، وكتب الشاعر فوق
عنوان الديوان : ﴿ وَفِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة : ١١٥] وكتب تحته : « جواب
ديوان الشاعر جوته » .

وقدّم محمد إقبال هذا الديوان على أنّه شعر الفارسيّة الكامل ، لأنّه قدّم إلى
القارئ اللغة الفارسية في مجموعة من الأشعار تحتوي على مختلف أقسام الشعر
الفارسي من الغزل والرّباعي والبيتي والقطع والمثنوي وغيرها ، ويصادفنا في
الديوان الشعر الأخلاقي والحركات السياسية والاجتماعية لذلك الوقت .

والديوان روضة من الشعر تختلف أزهارها ، ونوارها ، وضروب النبات
فيها وألوان وصنوف الرّيحان فيها ، وروائحه جمعت أشات الزهر من المشرق
والمغرب .



يشتمل هذا الديوان على هذه الأقسام :

القسم الأول : شقائق الطور ، وهي رباعيات .

القسم الثاني : الأفكار ، وهي إحدى وخمسون قطعة وقصيدة .

القسم الثالث : الخمر الباقية ، وهي قصائد صوفية ، رمزية من الضرب
الذي يسمى في اصطلاح الأدب الفارسي والأردوي غزلاً ، وهو غير الاصطلاح
العربي ، وعدد الغزليات في هذا القسم خمس وأربعون .

القسم الرابع : نقش الفرنج ، وهي أربع وعشرون قطعة وقصيدة ، يذكر
فيها الشاعر بعض شعراء أوربة وفلاسفتهم ، وينقد مذاهبهم وآراءهم ، فيقبل
منها ويرد .

القسم الخامس : الدقائق ، وهي قطع صغيرة ، وأبيات مفردة ألحقها
الشاعر بهذا الديوان . وقد ترجم هذا الديوان بكامله إلى العربية شعراً الأستاذ
الدكتور عبد الوهاب عزام ، وهو يُقدّم إليك الآن مع مقدمة الشاعر .



لديوان « رسالة الشرق »

نظمتُ بيّام مشرق لأجيب به الديوان الغربي لفيلسوف الحياة الألماني جوته الذي يقول فيه الشاعر الألماني الإسرائيلي هاينا :

« هذه باقةٌ من العقائد يرسلها المغرب إلى المشرق ويتبين من هذا الديوان أنَّ المغرب ضاق بروحانيته الضعيفة الباردة فتطلع إلى الاقتباس من صدر المشرق » .

ما المؤثرات وما الأحوال التي كتب فيها جوته هذه المجموعة من الأشعار التي هي أحسن آثاره ، والتي سمّاها هو باسم « الديوان » .

لا بدّ للإجابة عن هذا السؤال أن نبين إجمالاً هذا التأثير الذي سمي في تاريخ الأدب الألماني التأثير الشرقي . وددت أن أفصّل في هذه المقدمة الكلام في هذا التأثير ، ولكن المراجع الكثيرة التي يحتاج إليها في هذا البحث لم تيسر في الهند . وقد بين بال هورن مؤلف تاريخ آداب إيران في مقال له مقدار ما كان جوته مديناً لشعراء الفرس . ولكن العدد المشتمل على هذا المقال من مجلة نارو أندسود لم يمكن الحصول عليه في خزانة كتب في الهند ، ولا من ألمانيا . فلا مناص من أن أعتمد في كتابة هذه المقدمة على ما أذكر من دراستي السابقة وعلى الرسالة المختصرة المفيدة البارة التي كتبها في هذا الموضوع مستر « شارلس ريمي » .

كانت طبيعة جوته المتطلعة تميل منذ الحداثة نحو الأفكار الشرقية ، وفي

(١) كتبها محمد إقبال بالأردوية ، ونقلها إلى العربية خلال ترجمة هذا الديوان الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزّام .

استراسبورج حيث كان يتعلم القانون لقي هردر ذا المكانة والصيت في الأدب الألماني . ويعترف جوته في سوانحه بما تركت صحبة هردر في نفسه .

لم يكن هردر يعرف الفارسيّة ، ولكن لغلبة النزعة الأخلاقية عليه كان لكتب سعدي أثر بليغ في نفسه حتّى ترجم بعض فصول كلستان إلى اللغة الألمانية . ولم يكن لحافظ الشيرازي هذه المكانة عنده ، وهو يقول داعياً معاصريه : قد غنينا كثيراً على أسلوب حافظ وقد وجب الآن أن نقنّدي بسعدي . ولكن مع حب هردر الآداب الشرقية هذا الحب لا يُعرف في شعره أو مؤلفاته الأخرى أثر من هذه الآداب . وكذلك كان شلر معاصر جوته الثاني بعيداً عن تأثير الشرقيين . وقد مات قبل ظهور التأثير الشرقي ، وينبغي ألا نغفل عن هذه المسألة : إنّ قصته « توران دخت » أخذت خطتها من قصة بنت سلطان الإقليم الرابع التي كتبها نظامي الكنجوي في « هفت بيكر » واستهلّها بقوله :

كفت كز جمله ولايت روس

بود شهري بنیكونی چو هروس

وسنة ١٨١٢ نشر فون همر ترجمةً كاملةً لديوان حافظ : وبهذه الترجمة ابتداء التأثير الشرقي في آداب الألمان . وكان عُمر جوته إذ ذاك خمساً وستين سنة . وكان هذا على حين بلغ انحطاط الألمان غايته في كلّ ناحية . لم تكن طبيعة جوته مهيأة للمشاركة عملاً في الحركات السياسية في وطنه ، فلما ضاق بالاضطراب الشائع في أوروبا أخذت روحه القلقة المحلقة تلتبس عشاء في فضاء الشرق الساكن الآمن .

وقد أثارت أناشيد حافظ هياجاً كبيراً في أفكاره ، فاختر آخر الأمر « للديوان الغربي » صورةً متميزة ثابتة ، ولكن ترجمة فون همر لم تكن مؤثرة في جوته فحسب ، بل كانت مأخذاً لخيالاته العجيبة الغريبة ، فيبدو نظمه أحياناً كأنه ترجمة حرّة من شعر حافظ ، وأحياناً تجد قوةً تخيُّله في مصرع

واحد مهيباً جديداً تنير فيه مسائل في الحياة بالغة في الذقة والضعوبة .

يقول بيل شومسكي كاتب سوانح جوته المعروف :

كان جوته يرى صورته في نغمات بلبل شيراز . وكان يخطر له بين الحين والحين أن روحه ليست صورة حافظ ، فعاشت في بلاد الشرق . فنحن نجده شبيه حافظ في ذلك الشرور الأرضي ، وتلك المحبة السماوية ، وذلك اليسر ، وذلك العمق ، وذلك الغليان والتوقد ، وتلك السعة في المذهب ، وهذا الثور القلبي ، وذلك التحزُّر من الرسوم والقيود . بل في كلِّ أمر حافظ ، لسان الغيب ، وترجمان الأسرار ، وكذلك جوته . ولحافظ عالم من المعاني في الفاظ بسيطة في ظاهرها ، وكذلك في طريقة جوته المطبوعة تتجلى الحقائق والأسرار ، وكلاهما نال إعجاب الأمير والصعلوك ، وكلاهما أثر في فاتحي عصره العظام « يعني حافظ في تيمور » وجوته في نبوليون «^(١) وكلاهما في عصر اضطراب عام وخراب ، حافظ على السكون والطمأنينة في قلبه مبتهجاً بالمضي في ترنمه القديم .

ثم جوته مدينٌ في أفكاره لغير حافظ : للشيخ عطار « وسعدي ، والفردوسي ، وللأدب الإسلامي عامة . فقد كتب في بعض المواضع غزلاً في قيود القافية والرديف « وهو يستعمل في لغته استعارات فارسية بغير تكلف مثل : جوهر الأشعار ، وسهام الأهداب ، والطرَّة المعقودة ، بل هو في فورة الفارسية لا يحترز من الإشارة إلى الولوع بالمرد . ثم أسماء أقسام الديوان فارسية كذلك مثل « مغنى نامه - ساقى نامه - عشق نامه - تيمور نامه - حكمت نامه ، وغيرها ، ومع هذا كله فليس هو مقلداً أيَّ شاعر فارسي . فطرته الشعرية حرَّة ولا ريب . وإنما غناؤه في مروج الشقائق المشرقية عرضيٌّ محض . وهو لا يفرط في غربيته ، وإنما يقع بصره وحده على الحقائق الشرقية التي تلائم

(١) لا تصحُّ رواية التقاء حافظ وتيمور فقد توفي الشاعر قبل أن يفتح تيمور شيراز .

فطرته الغربية . ولم يمل إلى التصوف العجمي قط . وكان يعلم أنَّ أشعار حافظ تفسر في المشرق تفسيراً صوفياً ، ولكنه لم يكلف إلا بالغزل محضاً ، ولم يهتم بالتفسير الصوفي في كلام حافظ أيَّ اهتمام .

وكانت معارف مولانا الرومي وحقائقه الفلسفية مبهمّة عنده . لا يمكن أن ينكر الرومي رجلٌ مدح سبنوزا (فيلسوف هولندي كان يقول بوحدة الوجود) وأعمل قلمه في الدفاع عن برونو (فيلسوف إيطالي وجودي)^(١) .
والخلاصة أنَّ جوته في الديوان المغربي اجتهد في إظهار الروح العجمية في الأدب الألماني .



وقد أكمل الأثر الشرقي الذي بدأ في ديوان جوته الشعراء الذين جاؤوا بعده : بلاتن ، وروكرت ، وبودن ستات .

فأمّا بلاتن ؛ فقد تعلّم الفارسيّة لمقاصد أدبيّة ، ونظم غزلاً في القافية المردوفة ، بل في العروض الفارسي ، ونظم رباعيات ، ونظم قصيدة في نبوليون . واستعمل الاستعارات الفارسية بغير تكلف ، مثل جوته : عروس الورد ، والطرة المسكية ، وشقائق العذار . وهو مولع بالتغرُّل المحض كذلك .

وأمّا روكرت ؛ فكان ماهراً في الألسنة الثلاثة : العربية ، والفارسية ، والسنسكريتية . وكان لفلسفة الرومي مكانة عظيمة في رأيه . وتأثير مولى الروم فيما كتب من غزل كان أوضح ، وكانت مصادره من الأشعار الشرقية أوسع بما عرف من لغات الشرق .

وقد التقط لآلء الحكمة من مخزن الأسرار لنظامي ، وبهارستان جامي ،

(١) يعني أنَّ الرومي كان من القائلين بوحدة الوجود ، فلو عرفه جوته لعني به ، كما عني بهذين الفيلسوفين .

وكليات أمير خسرو ، وكلستان سعدي ، ومناقب العارفين ، وعيار دانش ،
ومنطق الطير ، وهفت قلزم ، بل زين كلامه بقصص وروايات إيرانية ترجع إلى
ما قبل الإسلام . وقد أحسن نظم بعض واقعات التاريخ الإسلامي وأشخاصه
مثل موت محمود الغزنوي ، وغزو محمود سومنات ، والسلطانة رضية^(١)
وموضوعات أخرى .

وأكثر شعراء الأسلوب الشرقي قبولاً بعد جوته : بودن ستات ؛ الذي نشر
منظوماته بالاسم المستعار « مرزا شفيع » وقد لقيت هذه المجموعة الصغيرة من
القبول ما اقتضى طبعها مئة وأربعين مرة في مدّة قصيرة . أحسن هذا الشاعر
تصوير الرّوح العجمية حتى بقي الناس في ألمانيا زمناً طويلاً يحسبون أشعار مرزا
شفيع ترجمة شعر فارسي .

وقد استفاد بودن ستات من أمير معزي ، وأنوري كذلك .

ولم أرد أن أذكر في هذا الصدد هاينا معاصر جوته المشهور ، إذ لم يكن في
الجملة ذا صلة بالتأثير الشرقي ، ولم يهتمّ بما اقتبس شعراء ألمانيا من الشعر
الشرقي إلا ديوان جوته ، على أنّ الأثر العجمي بين في مجموعته المسماة
« الأشعار الجديدة » وقد أجاد جداً في نظم قصة محمود ، والفردوسي ، ولكنّ
قلب هذا الشاعر الألماني الحرّ لم يستطع الإفلات من شرك سحر العجم ، حتى
لقد تصوّر نفسه مرّة شاعراً إيرانياً أجلي إلى ألمانيا يقول :

« يا فردوسي ! يا جامي ! يا سعدي ! إنّ أخاكم في سجن الغم يخفق حنيناً
إلى أزهار شيراز » .

ثم نذكر من مقلدي حافظ الأدنين منزلة ، دوبر ، هرمن ستال لوشكي ،
ستابك ، ليز ، لنت هولده ، وفون شاك . وهذا الأخير كان ذا منزلة عالية في
العلم ، ونظمه قصة إنصاف محمود الغزنوي ، وقصة هاروت وماروت

(١) من دولة المماليك التي قامت في دهلي .

مشهور . وأوضح الآثار في كلامه : أثر عمر الخيام .

وبعد فلا بد من بحثٍ طويلٍ لكتابة تاريخ كامل لتأثير الشرق في الأدب الألماني ، والمقابلة بين شعراء إيران وألمانيا ، لتقدير أثر العجم تقديراً حقاً ، ولكن لم يتيسر الوقت ، ولا العدة لهذا البحث . ولعلّ هذا البحث المختصر يثير قلب أحد الشبان للتحقيق والتدقيق في هذا الشأن .



وأما « أيام مشرق » الذي كتب بعد « الديوان الغربي » بمئة سنة فلست في حاجة إلى الإبانة عنه . فسرى الناظرون فيه بأنفسهم أنّ أكثر ما يرمي إليه هو النظر في الحقائق الأخلاقية ، والدينية ، والمذهبية ؛ التي تتصل بالتربية الباطنية في الأفراد والأمم . ولا ريب أنّ بين ألمانيا قبل مئة سنة وأحوال الشرق الحاضرة تشابهاً ما ، ولكن الحقيقة أنّ الاضطراب الباطن في أمم العالم . . الذي لا نستطيع تقدير خطره لأننا متأثرون به - هو مقدمة انقلاب حضاري وروحاني عظيم جداً .

كانت الحرب العظمى التي قامت في أوربة قيامة كادت تمحو نظام العالم القديم من كل جوانبه . وأن الفطرة لتخلق اليوم في أعماق الحياة من رماد الحضارة والثقافة إنساناً جديداً وتخلق عالماً جديداً لإقامة هذا الإنسان . عالماً يرى هيكله غير البين في مؤلفات آين شتاين ، وبركسون .

لقد رأت أوربة بعينها النتائج المخوفة لمثلها الاقتصادية ، والأخلاقية ، والعلمية . وسمعت من سنيور نيتي « الذي كان رئيس وزراء إيطاليا » قصة « انحطاط الفرنج » المحزنة ، ولكن والأسفاه لم يستطع عبّاد القديم الذين سمعوا حقائقه أن يقدرُوا الانقلاب المدهش الذي كان يثور في الضمير الإنساني .

وإذا نظرنا نظرة أدبية خالصة نرى أنّ اضمحلال قوى الإنسان بعد الحرب لا يسر نشوء مثل روحية صحيحة ناضجة . بل يخشى أن تغلب على طبائع

الناس هذه الإباحية المنهوكة الضعيفة الأعصاب التي تفرّ من مصاعب الحياة ،
والتي لا تميز بين نزعات القلب وأفكار العقل . لا شك أنّ أمريكا عنصر صحيح
في الحضارة الغربية ، فلعلّ هذا الإقليم خالص من قيود الروايات القديمة ،
ولعلّ وجدانه الاجتماعي يقبل راضياً الأفكار والنزعات الجديدة .



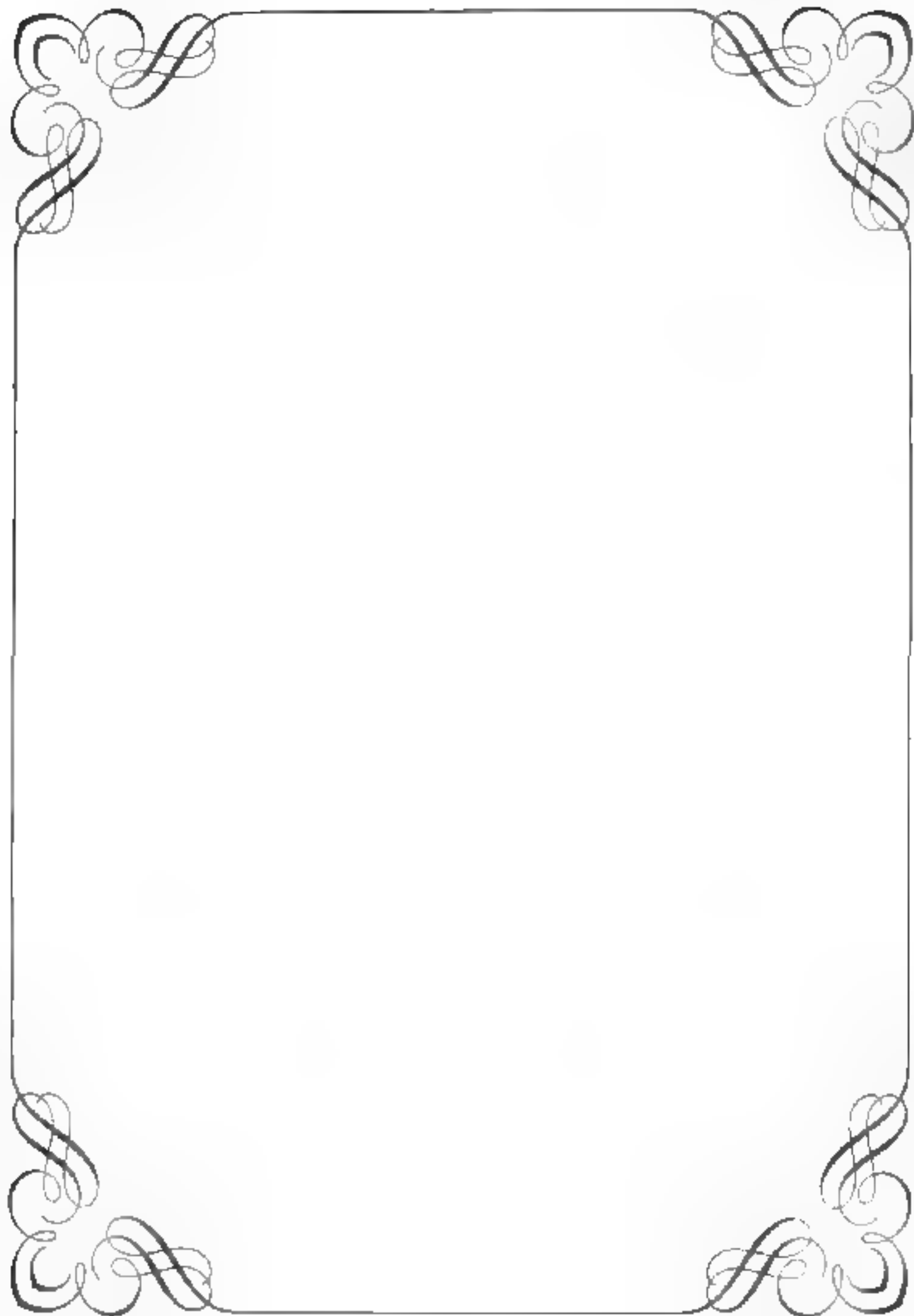
إنّ الشرق ، ولا سيما الشرق الإسلامي ، يفتح عينيه بعد نوم القرون المتطاولة .
ولكن يجب على أمم الشرق أن تتبيّن أنّ الحياة لا تستطيع أن تُبدّل ما حولها حتى
يكون تبدّل في أعماقها ، وأنّ عالماً جديداً لا يستطيع أن يتخذ وجوده الخارجي
حتى يوجد في ضمائر الناس قبلاً . هذا قانون الفطرة الثابت الذي بينه القرآن في
كلمات يسيرة وبلغية : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]
إنه قانون يجمع جانبي الحياة كليهما الفردي والاجتماعي . وقد اجتهدت في
كتبي الفارسية أن أبين للناس صدقه . وأنّه لجدير بالإكبار كلّ مسعى في العالم
- ولا سيما في بلاد الشرق - يقصد إلى أن يرفع أنظار الأفراد والجماعات فوق
الحدود الجغرافية ، فيولد أو يجدد فيها سيرة إنسانية صحيحة قوية .



وأختم بالشّاء على صديقي جودهري محمد حسين . ام . اي ، قدرّتب مُسوّدات
« پیام مشرق » للطبع . ولولا احتمال هذه المشقة لكان عسى أن يتأخّر نشر هذه
المجموعة مدّة طويّلة .

إقبال

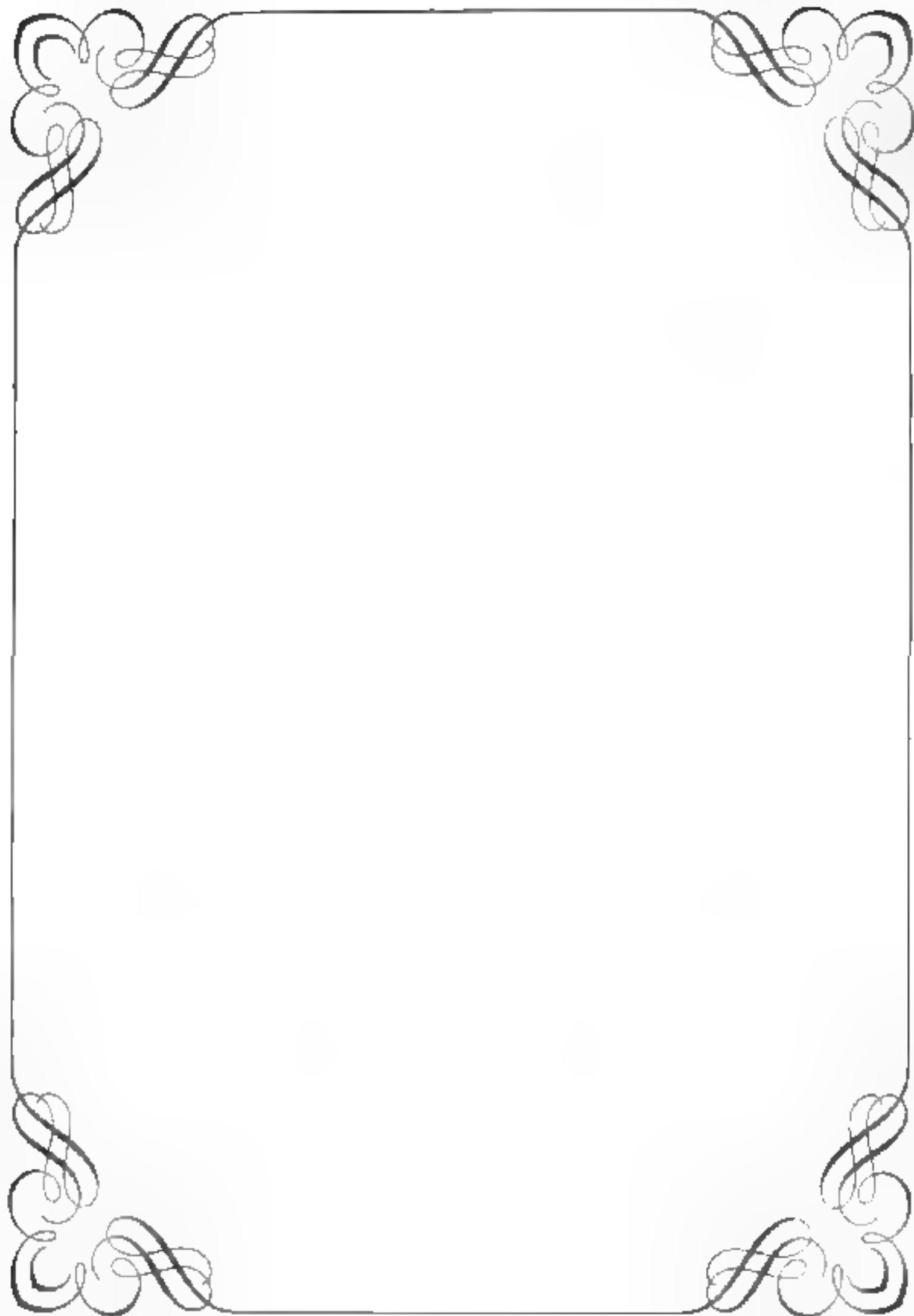




القسم الأول

شقائق الطور





- ١ -

شَهِيدٌ دَلَالَهُ حَفَلُ الْوَجُودِ وَكُلُّ الْكَائِنَاتِ مِنَ الشُّجُودِ^(١)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ شَمْسَ الْأَفْقِ لَاحَتْ بِوَجْهِ الشُّبُوحِ مِنْ أَثَرِ الشُّجُودِ ؟

- ٢ -

بِقَلْبِي مِنْ تَحَرُّقِهِ ضِيَاءُ وَيَجْلُو النُّورَ فِي عَيْنِي الْبُكَاءُ
فَزَادَ مِنَ الْحَيَاةِ نَوًى غَبِيًّا يَقُولُ : الْعِشْقُ مَسٌّ أَوْ هُرَاءُ

- ٣ -

نَيْمُ الْعِشْقِ فِي الْجَنَّاتِ جَارٍ وَيُنْمِي الْعِشْقُ أَزْهَارَ الْبَرَارِي
وَيَخْتَرِقُ الْبَحَارَ لَهُ شِعَاعٌ فِيَهْدِي الْعِشْقُ حَيْثَانَ الْبَحَارِ

- ٤ -

رَمُوزُ الْعِشْقِ فِي وَرَقِ الشَّقَائِقِ وَغَمُّ الْعِشْقِ فِي رُوحِ الْخَلَائِقِ
وَإِنْ تَصُدَّعَ طَبَاقُ الْأَرْضِ تُبْصِرَ نَصِيبَ الْعِشْقِ مِنْ دَمِ كُلِّ عَاشِقٍ

- ٥ -

وَمَا كُلُّ لَهُ فِي الْحُبِّ كَفَلٌ وَمَا كُلُّ الْوَرَى لِلْحُبِّ أَهْلٌ
عَلَى وَرَقِ الشَّقَائِقِ وَسَمُّ غَمٍّ وَيَخْلُو مِنْ شَرَارِ الْقَلْبِ لَعْلٌ^(٢)

- ٦ -

بِهَذَا الْمَرْجِ مِثْلَ الرِّيحِ^(٣) أَشْرِي عَلَامَ أَهِيْمُ فِيهِ ؟ لَسْتُ أَدْرِي
فَإِنْ أَظْفَرَ وَإِنْ أَخْفَقَ فَإِنِّي شَهِيدٌ تَضَرُّمِ الْأَمَالِ عُثْرِي

(١) جمع ساجد .

(٢) اللعل : أي العقيق .

(٣) الريح : الرائحة .

يقول العنديلُ : أيا صحابي !
يُشِخُّ الشوكُ في عَرْضِ الفيافي
أغيرُ الغمِّ في هذا التراب ؟
ويذوي الوردُ في عُمرِ الشبابِ

لَبِذْهُ أو ختامُ لَسْتُ أشري
فإنْ بَدَتِ الحقيقةُ دونَ ستر
أنا سرُّ أحاولُ كَشَفَ سرِّ
رجعتُ إلى « لعل » و « ليت شعري »

أقلبي ! كالفراش هوى ، إلامه ؟
بنارك فاحترق يوماً وأقدم
ولا تمضي مضياء فتى ، إلامه ؟
بنارِ الأجنبيِّ صُلَى ، إلامه ؟^(١)

أقمِ بدنأً على كفِّ الغُبارِ^(٢)
وقلباً فيه جئاشاً بهم
شديدَ الأسرِ صُلْباً كالحجار
كنهرٍ في حمى الأطوادِ جار

أنجمَ الصُّبحِ تُسرِعُ في فراقِ
ضللتُ بغفلتي مُبْلِي ولكن
لعلك من رُقادي ضقتَ ذرعاً
أتيتَ وجُرُتنا يقظانَ تسعى

وكم ذا في الوجود من الحُبور !
ويَصْدَعُ عُصْنَه بُرْعومُ زهرٍ
أرى اللذاتِ في شوقِ الظهورِ
فيسمُ للحياةِ من السُّرورِ

تقول فرائشةٌ من قبل خلقِ
رمادي فاذرهُ سَخِراً ولكن
أنلني لمحبةِ قلبي الحياةِ
أذقني ليلةَ حُرْقِ الحياةِ

(١) هذه الرباعية مردوفة . فيها الروي قبل الكلمة المكررة .

(٢) يكثر التعبير في الفارسية عن الإنسان بكف غبار « مشت خاك » .

- ١٤ -

بني الإسلام ! سرّ في ضميري
أخادع آزري الطبع عنه^(١)
يُضيء كروح جبريل الرسول
فهذا السرّ من سرّ الخليل

- ١٥ -

أراك بسرّ أفلاك تجسّو
فوجّه - كالنواة - إليك عينا
وتجهل سرّ نفسك يا جهول
ليثبت من قرارتك النخيل

- ١٦ -

تغنى طائر سحراً طويلاً
أين عمّا بصدرك لا تدغه
فأبدع شدوه نغماً وقبلاً :
غناء أو أنيناً أو غويلاً

- ١٧ -

أتبغي عند مثلي من شراب
فلا تطلب بسوقي من متاع
يسرّك من وجودك كالبعيد
سوى صدر تمزّق كالورود^(٢)

- ١٨ -

تسوءك روضتي مرأى إذا لم
أبين في غروق الورد سرّاً
يسرّك في طلاب بذل روح
ربيعي ليس من لون وريح

- ١٩ -

أنا في الروض منفرد غريب
فإن تك من رفاق القلب فابعد
على غضني أنوح مع الرياح
فإن دمي ليرشح في نواحي

- ٢٠ -

أهاب إسكندر بالخضر : أقبل
وموتن في الوغى تزدّد حياة
وهان الكدّ في بحر وبر
إلامّ تحيد عن كرّ وفرّ ؟

(١) آزري الطبع : الذي يشبه آزر والد إبراهيم ، وكان ينحت الأصنام ، وكان ولده الخليل يدعو إلى التوحيد .

(٢) جمع ورد ، والورد في خياله يمزّق صدره ليتجلّى جماله .

له نقشٌ يُجدد كلَّ حينٍ فلا تبقى الحياةُ على غرار
فلأنَّ صُورَتِ يومك مثلَ أمسٍ فما يحوي ترابك مِن شرار

بهذا المَرَجِ ما علقتُ قلبي مضيتُ ولم تعوقني القيودُ
كريحِ الشُّبحِ طفئتُ به قليلاً مضيتُ ونصرتُ منِّي الورودُ

أجاش بقطرتي بحرأ ورثتُ حُمياء ترابي جامِ جم^(١)
أقام العقلُ أصناماً برأسي خليلُ العشق بادرها بهدم

أتيت الطُورَ تلتئمُ التجلّي فروحُك منك ليست في وصال
فأقدم في طلابك آدمياً كذاك الله في طلب الرُّجال

لخوفِ الموتِ قلبُك في ارتعادٍ ولونُك حالٌ من خوفِ الشُّتاتِ
فنفسُك أخكمن وازدد نضوجاً فإنَّ تفعل تعش بعد المماتِ

دع الرازيَّ في تفسير آي فإنَّ ضميرنا نعم الدليلُ
يضرِّم عقلنا والقلبُ يصلّي بذا نمرودُ فسّر والخليلُ

فأبلغ شاعر الألوان عني : لهيئُك كالشُّقائق لا يضرُّ
فنفسُك لا تُذيب بنارِ قلبٍ ولا ليلاً لمحزونٍ تضرُّ

جميلُك أو قبيحُك لا أراه جعلتَ عياله ربحاً وخسراً
بهذا الحفل من مثلي وحيداً ؟ أرى الدُّنيا بعينٍ في أخرى

(١) كأس جمشيد أحد ملوك الأساطير الفارسية كان يرى فيها العالم .

دع الشُّطَّانَ لا تَركنَ إليها ضعيفٌ عندها جرسُ الحياة
عليك البحرُ صارَ فيه موجاً حياةُ الغلدي في نَصَبٍ تُواتي

اتكثُرُ لي حديثاً عن حياة ولستُ أراكَ فيها بالحقيقِ ؟
سَكِرْتُ بلذَّةِ التَّسيارِ حتَّى جعلتُ منازلِي مِثْلَ الطَّرِيقِ^(١)

مَرَرْتُ بزَهرة ذبلتْ فقالتْ وجُودي مِثْلُ ما طارَ الشَّراذُ
يَذوبُ لِمَخَنَةِ التَّقاشِ قَلْبِي فليسَ لِنَقشِ لِقَتِهِ قَرارُ

أرى الدُّنيا على سَعَةِ كحوتِ من الأيامِ في بحرٍ عميقِ
قَلْبِكَ أبصرنَ وأعجبَ لبحرِ منَ الأيامِ في كاسِ غريقِ

أنا في المرحِ جَذِيتُ الطيورِ ومَقولُ كُلِّ بُرعومٍ صَغيرِ
فَأَسْلَمَ للضُّبا تُربِي بموتي فما لي غيرُ طوفٍ بالزُّهورِ

أَوادي الوردُ يُبدي كُلَّ شيءٍ فما سرُّ الشَّقائِقِ في لهيبِ ؟
بأعيننا الرُّبى أمواجُ لونِ فكيف تُرى بعينِ العندليبِ

دماغِي يَعتشِقُ الأصنامَ كَفراً يَربُّها ويعبدُ كُلَّ حينِ
فأبصرَ في فُؤادي نارَ عشقِ بعيداً أنتَ مِن سَنِي وديني

(١) يعني : أن كُلَّ منزلٍ يبلغه يعدُّه علامة على الطريق لا غاية . والميل الحجر بين
المسافة .

عِوَالِمُ مِنْ نَجُومٍ لَا تُحَدُّ يطير الفكر فيها لا يُرَدُّ
ولكن في خفايا القلب يُلفى لما يحتويه الحدُّ ، حدُّ

بسلسلة القضاء ربطت رجلاً وفي سعة العوالم ضقت حالاً
فَقُمَ إن كنت في ريب وحاول تجذ للرجل في الدنيا مجالا

بضربك قد علت أنغام زُوحى أفي رُوحى وخارجها تكون ؟
برقك خامد وبك اشتعالي بلا كيف فكيف تُرى بدوني

أرى الأنفاس من جدواه موجاً ومن أنفاسه ناي ولهي
على النهر المؤبد قد تبثنا وقطر نداء أعصابي وجسمي

أيا طفل السجايا أسمع عتابي إسلام وفخر يا نساب ؟
فأن تعثر بالإنساب عرب فأن جزاءها هجر الصحاب

ألفان وتاتار وترك وفي مرج ومن غصن لمونا
حرام بينا تفريق لون ويبيع واحد فيه زهونا

ثوت في صدورنا هم كبار بطينتنا فؤاد فيه نار
من الحمر التي فينا أضاءت عقيم في زجاجتنا شرار

أيا قلبي ! أيا قلبي ! أيا قلبي ! أيا فُلُكي ! ويا برِّي وبحري !
قَطَرَتْ على تُرابي كالنَّدى أم نبث بُسْرِبتي بُرْعوم زهر ؟

أتسأل من أنا من أين جيت حيثُ بما على نفسي طويْتُ
بهذا البحر مثل الموج أسري إذا لم أطو في نفسي فنيْتُ
- ٤٠ -

عليك السَّيْرَ لا ترغب مقيلاً وسرُ كالشمس لا ترقُب دليلاً
وهب للآخرين متاع عقل ونارَ العشق فاحفظها بديلاً
- ٤١ -

ألا يا عشقُ ! يا رمزَ الفؤاد ! ويا زرعي النضير ! ويا حصادي !
تقدم أهل هذا الثرب فاخرج بآدم مُحدثٍ من ذا الرُّماد
- ٤٢ -

يرى قلبُ الشَّجاع الليث وهماً وفي قلب الجبان الطَّيبي بئراً
فإن تجبُن رأيت الموج وحشاً وإن تشجُع فلإنَّ البَحْرَ برُ
أخمرأ خلتنني أم كأسَ خمير ودُزأ خلتنني أم كِيس دز
أراني غير روعي وهي غيري متى أنظر إلى مكنون سرِّي
- ٤٤ -

تقول : بطيرنا علقَتْ قيودُ وفي شَرِكِ الجسوم لها همودُ
ومعنى الرُّوح بالأجسام يعلو مسرُّ سيوفنا هذي الغُمودُ
- ٤٥ -

فكيف بقلبنا وُلِدَ الرُّجاءُ وكيف سراجُ منزلنا يُضاء
ومن في العين يبصر ؟ ما يراه ؟ وكيف حوى التُّهى طينٌ وماءُ
- ٤٦ -

لنا كون لأزميل ونحتِ يقلِّبه صباحك والمساءُ
مثالٌ من تُراب لم يكمل يسوِّيه بمبرده القضاُ
- ٤٧ -

طريقك فانحنه في كفاح طريقُ سواك مسلكه عذابُ
فإن أبدعت في عمل فرتي وإن يك مأثماً فلك الثوابُ

دليلُ القلب لا يرضى نزولاً ولا يرضيه ماؤك والتُّرابُ
فلا تحسبه في جسدٍ مقيماً فلا يرضى بشطّ ذا العُباب

تُخذتُ لخلوتي طيني ومائي وبُوعَدَ بين أفلاطٍ وبينِي
فلم استجد يوماً عمن غيري ولم أر عالمي إلّا بعيني

ترى رمز الحياة بكل كمّ مجازٌ فيه يا قلبي الحقيقة
بُشربٍ مظلّمٍ ينمو ولكن له عينٌ إلى شمس الخليفة
يضيء على المروج وكلّ سَهَبٍ وكاسُ الورد فيه نورٌ حُبّ
وما تَغشى الورى ظلماتٌ ليلٍ فحرقته السراج لكل قلب

وبالعدم استزابت ثم راغت فحلّت قلب آدم للثواء

بقلبي سرُّ جُثمانٍ وروح فلا فزع إذا أجلي أناني
فإمّا غاب عن عيني كونٌ فباقٍ ألف كونٍ في جناني

مزاج الزّهر أعرف في يقينٍ وريح الورد في خلد الغصون
وحبّيني إلى الأطيّار أني عرّفتُ لها مقامات اللّحون

نظام الكون من شعر الرّجاء له الأوتار من وتر الرّجاء
بعيني كلّ ما يمضي ويأتي هو اللّمحات من دهر الرّجاء

يهيم القلب في أثر الرّجاء وصدري من ضجيج في عناء
فلا تطمغ جليسي ! في حديثي فلاني من فؤادي في نداء

أرى الحكماء تحطم كلّ شكلٍ ومن هذا الوجود بسوونات^(١)

يريدون الملائك في طلابٍ وما ظفروا بآدم في الحياة
- ٥٨ -

جلستُ مع الطبيعة ألف عامٍ وُصِلْتُ بها وعن نفسي فُصِمْتُ
قُصَارَى سِرَّتِي فِي ذَاكَ أَنْ قَدْ نَحْتُ ، وَقَدْ عِبَدْتُ ، وَقَدْ حَطَمْتُ

بنفسي جلوة الأفكار ، ما هذا ؟ وحولي محشر الأسرار ، ما هذا ؟
أين لي يا حكيم : يقيم جسمي وروحي دائم الثَّيَّار . ما هذا ؟
- ٦٠ -

بكيفك إن تُحِطْ خُبْرًا وَكَمَّكَ يَفُضُّ مِنْ قَطْرَةٍ لَكَ فَيُضُّ بِعَمَّكَ
فيا قلبي لم استجداء شمسٍ ؟ من الأنفاس نُوْزُ لَيْلٍ غَمَّكَ
- ٦١ -

افق ما القلبُ بالأنفاس يحيا ولا هو رهنٌ ما يبقى وبفني
أخا الأوهام لا ترهبُ جِماماً فإنَّ نَفْسٌ مَضَى فَاَلْقَلْبُ يَبْقَى
- ٦٢ -

إلى أهل التصوُّف والصفاء رجاءُ الله أرباب الضياء :
أنا عبدُ الهمة عبد نفس بنورِ النَّفْسِ لِلخَلْقِ راء
- ٦٣ -

بُعْدَةٌ حَانَا الْغَبْرَا غُبَارٍ وَدَوْرَةٌ كَأَيْنَا الْقُلُوكُ الْمُدَارِ
حديثُ جهادنا مُضْنٍ طَوِيلٍ وَدُنْيَانَا لِقَصَّتْنَا اخْتِصَارِ
- ٦٤ -

وما علَّقتُ بالأنغام قلبي وفي نغم الحياة أنا الخبيرُ
وقد غنَّيتُ في الأغصان حتى تَصْبِيحَ الطَّيْرِ : من ذا ؟ يا زهورُ !
- ٦٥ -

أثرتُ بنغمتي كلَّ النوادي ومن شرَّ الحياة جعلتُ زادي
أضاء القلبُ من عقلي ولكن جعلتُ عيار عقلي في فؤادي
- ٦٦ -

رددتُ العُجْمَ فتياناً بزمري وراج متاعهم من بعد خسر

وكانوا هائمين بكلِّ وإِدٍ وقافلة تظلمتهم بشعري
- ٦٧ -

بروح العُجمِ مِنْ نَعَمي شرارِ قرعتُ لهم بأجراسي فساؤوا
وعاليتُ الحداة لهم كعُرْفِي^(١) تباطأ محمِلٌ ونأت ديارُ
- ٦٨ -

نفتُ النَّارِ مِنْ رُوحِي نفتُ وصدرَ الشُّرقِ قلباً قد وهبتُ
وصيّرَ طينَه لهباً نُواحِي كبرقي في سجاياه نفتُ
- ٦٩ -

بأغصانِ الرِّجاءِ جنيثُ أكلاً وأفصى الذَّمَّ بالسرِّ المنيع
أرامني اخشَ للبتانِ ربّاً فإنَّ معي رسالاتِ الرِّبيع
- ٧٠ -

بحارِ العُجمِ ليس لها قراؤ وفي أحشائها دُرٌّ كبارُ
ولكن لا أحبُّ ركوبَ بحرٍ إذا لم يُخشَ في موجٍ خطارُ
- ٧١ -

على دُنياك تقضي بالهوانِ ومسرٌّ للمغيَّبِ كلُّ آن
فاحكم يومك المشهودَ واعلم بأنَّ غداً ضميرٌ في الزمانِ
- ٧٢ -

كبرهتُ سيادةَ الإفرنجِ لكن سجدوك للقبابِ وللقبورِ
ألفت عبادةَ السَّاداتِ حتَّى لتتحتُ سادةً لك من صخورِ
- ٧٣ -

إلام تعيش في رثِّ الإهابِ ؟ إلام تعيش نملاً في ترابِ ؟
فطرُ كالصَّقَرِ معتزماً وحلقُ إلام أسيّرُ حبّاً في اليابِ ؟

(١) إشارة إلى بيت عرفي الشيرازي :

نوارا تلخ ترمي زن جوفوق نغمه كما يابى

حدى راتيز ترمي خوان چون محمل راكران بينى

- ٧٤ -

اتخذ في الورد والأزهار عشاءً
وإن ينقص قُوراك الشيبُ فاؤخذُ
ومن طير دروساً في انتحاب
من الدنيا نصيباً من شباب

- ٧٥ -

أهاب بمسمعي تُراب قبرٍ :
له نفسٌ وليس لديه روح
وتحت الأرض يُمكن أن يُعاشا
ذليلٌ في مُرادٍ سواء عاشا

- ٧٦ -

سماطي ليس فيه ما يروقُ
غزالي يغتذي عُشب المَوامي
ولا في الكأس لآلئ الرِّحيق
ولكن صدره مسكٌ فتيق

- ٧٧ -

قُلوبُ المسلمين قُبُن ناري
برُوحِي مَخْشَرٌ قد غابَ عنهم
ودمعي من عيونهم هَتُونُ
فلم تر ما رأيتُ لهم عيونُ

- ٧٨ -

أرى للعشقِ تصريفاً عجيباً
رماك بأذمعٍ وسباك نفساً
يقُلب كيف ما يهوى القلوبا
وصيّرني إلى نفسي قريبا

- ٧٩ -

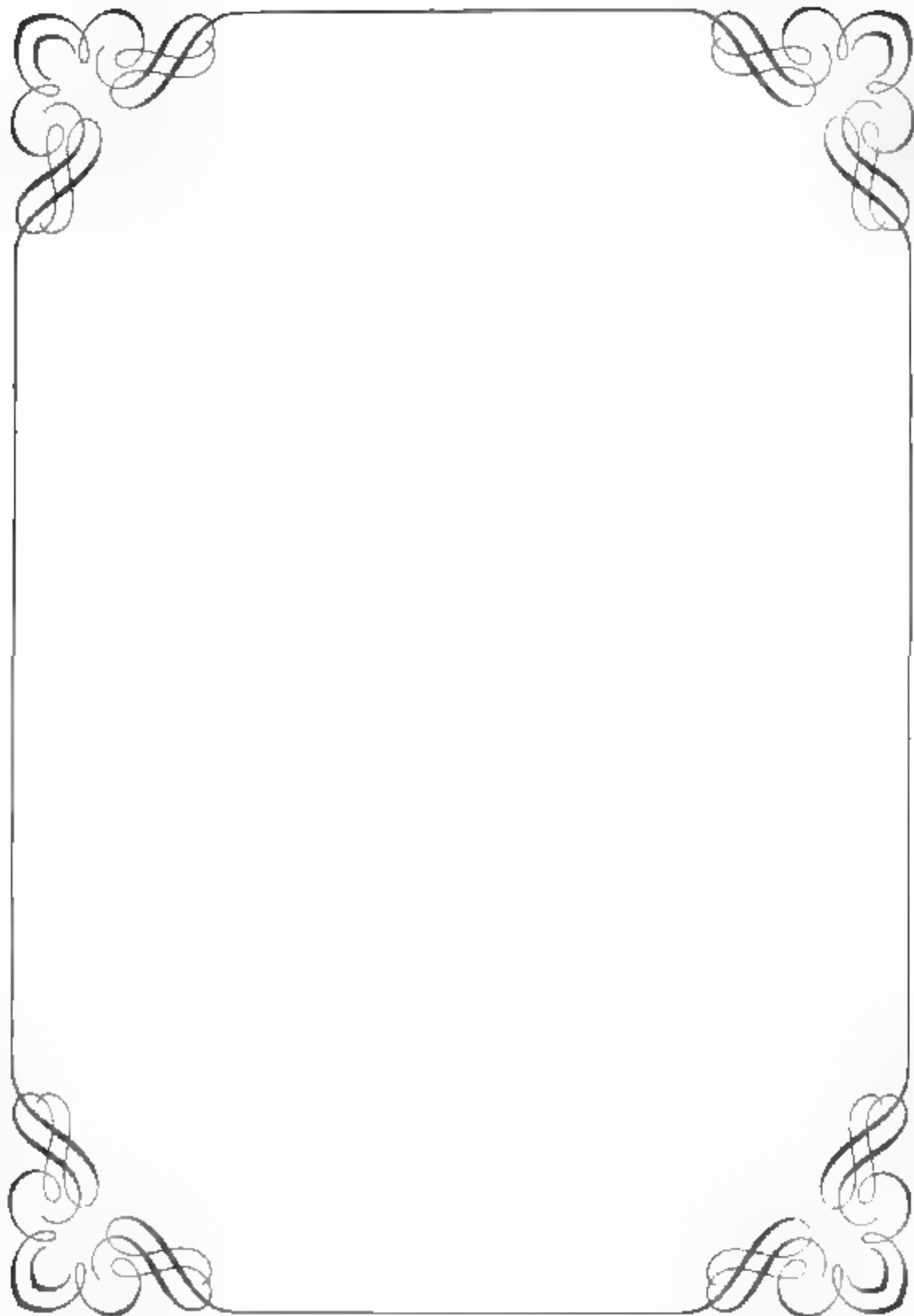
رأيتك لا تزالُ أميرَ طينٍ
أنا بشرٌ بلا لونٍ وريحٍ
إلى تُركٍ وأفغانٍ تُردُّ
وللتورانِ أو للهندِ بعدُ

- ٨٠ -

أثار الشُعُرُ في جنبي نارا
حديثُ الحبِّ حاوَلَهُ لساني
ورَدَّ التُّربُ في طُرقي شَرارا
فزاد السرَّ تيباني مِرارا

- ٨١ -

تولّى بعدُ عن عقلِ الفنونِ
فلا تستفتِ إقبالاَ لشيءٍ
وأدمى قلبه عِشْقُ الشُّجونِ
فإنَّ حَكيمنا زَهَنُ الجنونِ



القسم الثاني

أفكار





تو ہے محیطِ سب کراں، میں ہوں ذرا سی آج بکو
یا مجھے سنار کر یا مجھے سب کنا ر کر!

الوردة الأولى

لا أرى في المروج لي من قريع
أبتغي في الغدير صورة نفسي
في سطوري رسالة يراع
أمس قلبي ، وعبرة اليوم عيني ،
وأنا النجم خلفته الثريا
أنا أولى زهور هذا الربيع
لأرى وجه مؤنس لي سميع
خط سطر الحياة في ترصيع
وغدي مُنتهي وكلُّ بديع
نَج الثرب ثوب ورد عليا

دعاء

أيا مالئاً كاسي بحانة فطرتي
وصيّر أُنيني ثروة العشق واجعلني
إذا مكّ فاجعلني سراج شقيقة^(١)
أذب طين كاسي من حرارة خمرتي
تراباً بسينائي تسعّر شعلة
وباليدي أحرقني وزد نار وشمعي

رائحة الورد

وحوراء في الخلد ضاقت فقالت :
يحير عقلي نهاراً وليلاً
غدث ريح ورد وذرت بغضني
« جهلنا بما تحتنا من جهات
وما قيل عن مولى أو ممات
فحلّت بعالم ماضي وآت

(١) يعني : زهرة من الشقائق .

وَتَفْتَحْ عَيْنًا وَتَبْسُمْ كَمَاءَ
لهذي الطليقة لم تبق ذكرى
وبعد نماء هَوَتْ في شتات
سوى آهة سَمَتْ بالشَّذَاةُ^(١)



نشيد الوقت

قد أحاطَ الشَّمْسَ جِجْري	وحوى الأنجم صَدْرِي
أنا لا شيء ولكن	فِيكُمْ رَوْحِي تَسْرِي
أنا في دُورٍ وقفر	أنا في كسوخ وقصر
أنا داءٌ ودواءُ	وأنا عيشةٌ يُسْر
أنا ميفُ الدُّورانِ ^(٢)	أنا عَيْنَ الحَيَوَانِ ^(٣)
إنَّ جنكيزَ وتيمور	رَ قَلِيلٌ مِنْ غُبَارِي
ثورةُ الإفرنج فيها	نَفَثَاتٌ مِنْ شَرَارِي
إنَّما الإنسان والدُّنيا	نُقُوشِي وابتكارِي
ودماءٌ مِنْ قلوب	في ربيعِي كالْبُهَارِ
أنا لَفْحُ النُّيرانِ	أنا رَوْضُ الرُّضْوَانِ
أنا سَيَّارٌ مقيمٌ	إنَّ هذا الأمرَ إمْرُ
إنَّ في خمرةٍ يومي	مِنْ غَدٍ يَظْهَرُ مِزْرُ
ألفُ كونٍ ، فانظُرْهَا	في ضميرِي تستسرُّ
ونجومٌ في حباك	وقبابٌ في خُضْرُ
أنا ثوبُ الإنسان	أنا سرُّ الرِّحْمَنِ

(١) الشذاة : الرائحة .

(٢) دوران الفلك .

(٣) ينبوع الحياة ، وعين الحياة في الأساطير شرب منها الخضر ، فلم يمت .

مِيرِي التَّقْدِيرُ والتَّد	يِير مِنْ سَحْرِ قَنُونِكَ
أَنْتَ مَجْنُونٌ بَلِيلِي	أَنَا صَحْرَاءُ جَنُونِكَ
أَنَا كَالرُّوحِ بَرِّي	مِنْ خِيَالَاتِ ظَنُونِكَ
أَنْتَ فِي جَوْفِي مَرُّ	وَأَنَا سَرُّ شُؤُونِكَ
أَنَا حَادٍ أَنْتَ نُزْلُ	أَنَا حَقْلٌ أَنْتَ حَاصِلُ
أَنْتَ قِيَاضٌ بِلَحْنِي	أَنْتَ نَارٌ فِي الْمَحَافِلِ
يَا أَمِيرَ الْعُلَيْنِ فَكَّرْ	أَنْتَ عَنْ قَلْبِكَ غَافِلُ
انْظُرْنَاهُ مَلَأَ كَأْسِي	وَهُوَ بَحْرٌ دُونَ سَاحِلِ
إِنَّ مَوْجَاءَ فَيْكِ يعلو	مِنْهُ يَبْدُو طُوفَانِي

الرَّيِّعُ

- ١ -

هَلُمَّ فَإِنَّ سَحَابَ الرَّيِّعِ يَخِيْمُ فَوْقَ الرُّبَى وَالْوَهَادِ
وَشَذُو الْعَنَادِلِ فِي كُلِّ وَادٍ
وَدُرَّاجُهُ وَالْقَطَاءُ فِي تَهَادِي
عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ جَذَلَى شَوَادِي
شَقِيقٌ وَوَرْدٌ ضَحْوَكٌ يُنَادِي
فَطَرْفَكَ سَرَّحَ بِهَذَا الْمُرَادِ

هَلُمَّ فَإِنَّ سَحَابَ الرَّيِّعِ يَخِيْمُ فَوْقَ الرُّبَى وَالْوَهَادِ
- ٢ -

هَلُمَّ فَمِلْهُ الرُّبَى وَالشُّهُولِ قَوَافِلُ أَزْهَارِهِ وَالْوُرُودِ
نَسِيْمُ الرَّيِّعِ عَلَى كُلِّ عَوْدٍ
وَلِلْعَلَّيْرِ إِبْدَاعُهَا فِي النِّشِيدِ

ومزقت الجيب خمراً الخدود^(١)

جنى الحسن ناشيء زهر نصيد

وللعشق إبداع غم جديد

هلم فملاء الرضى والسهول قوافل أزهاره والورود

- ٣ -

صفيّر البلابل ملء الجواء وصوت الصلاصل ملء النسيم^(٢)

دم المرج في جوفه كالخميم

فيا قاعدا صامتا لا يريم

دع الصمت واترك وفار الحليم

وخمر المعاني اشربن يا سقيم

تدثر بورد وغن النديم

صفيّر البلابل ملء الجواء وصوت الصلاصل ملء النسيم

- ٤ -

دع الدور واطلب فسيح البراري وانظر إلى صفحات الجمال

على حافة الماء دون ملال

تأمل تفرق ماء زلال

وحقق إلى نرجس ذي دلال

بنيات نيسان ذات اختيال

وقبل عيوناً لها كاللالي

دع الدور واطلب فسيح البراري وانظر إلى صفحات الجمال

- ٥ -

وعين البصيرة فانظر بها أيا غافلاً عن عيان الخلق!

(١) شقائق النعمان .

(٢) الصلاصل : الفاخنة ، أو طائر يشبهها ، والكلمة نفسها في شعر إقبال .

شَفِيقٌ بَدَا خَلْقاً فِي حَلْقٍ
بِأَعْطَافِهِ لَهَبٌ قَدْ عَلِقَ
عَلَى كَبِدٍ فِيهِ ذَاتُ حَرَقٍ
يَلُوحُ نَدَىٌّ مِنْ دَمَوَعِ الْفَلَقِ
فَحَذِّقْ إِلَى أَنْجَمٍ فِي شَفَقٍ^(١)

وَعَيْنَ الْبَصِيرَةِ فَانْظُرْ بِهَا أَيْ غَافِلاً عَنْ عِيَانِ الْخَلْقِ

- ٦ -

ثَرَى الْمَرْجِ صَرَخَ فِي هَيْجِهِ بِمَا أَضْمَرَتْ مُهْجُ الْكَائِنَاتِ
فَنَاءُ الصِّفَاتِ وَكُونُ الصِّفَاتِ
وَمَا أَبَدَتْ الذَّاتُ مِنْ جَلَوَاتِ
وَمَا خَلَقَتْهُ مِنْ مَعَانِي الْحَيَاةِ
وَمَا خَلَقَتْهُ مِنْ مَعَانِي الْمَمَاتِ
فَلَيْسَ لَهُ هَاهُنَا مِنْ ثَبَاتِ

ثَرَى الْمَرْجِ صَرَخَ فِي هَيْجِهِ بِمَا أَضْمَرَتْ مُهْجُ الْكَائِنَاتِ

الْحَيَاةُ الْخَالِدَةُ

لَا تَنْظُرُ الْخُمْأَزَ وَافِي خَتَاماً
يَجْمُلُ الْمَرْحُ لَا بِشَوْبِ حَيَاةٍ
مَنْ يُحِطُ بِالْحَيَاةِ لَمْ يَرْضَ قَلْباً
مُحَكِّماً كَالْجِبَالِ عَشْ ، لَا ضَعِيفاً
كَمْ مِنَ الرَّاحِ فِي عُرُوقِ الْكُرُومِ
مَرْقَّتُهُ النَّسِيمُ كَالْبُرْعُومِ
لَمْ تَخْزُهُ الْمَنَى بِشَوْكِ أَلِيمِ
وَاهِنِ النَّارِ طَائِشاً كَالْهَشِيمِ

(١) يشبه الندى على الشفيق بالأنجم في الشفق .

أفكار النجوم

سَمِعْتُ بِكَوْكَبٍ لِأَخِيهِ يَشْكُو : لَنَا بَحْرٌ وَلَيْسَ يَلُوحُ سَاحِلُ
خُلِقْنَا لِلْمَسِيرِ بَلَا وَقُوفٍ فَلَيْسَ لِرَكْبِنَا أَبَدٌ مَنَازِلُ

فَإِنْ تَمَضَّ النُّجُومُ كَمَا نَرَاهَا فَمَا جَدْوَى الْعَنَاءِ ؟ وَمَا نُفِيدُ ؟
بِأَشْرَاكِ الزَّمَانِ لَنَا إِسَارٌ سَعِيدٌ مَنْ يُجَانِبُهُ الْوُجُودُ

لَهَذَا الْعَبْدُ مَحْمَلُهُ شَدِيدٌ فَلَيْتَ وَجُودُنَا عَدَمٌ أَبِيدُ
كَرِهْتُ الْقَبَّةَ الزَّرْقَاءَ أَوْجاً حَضِيضُ الشَّرْبِ خَيْرٌ لَوْ نَرِيدُ^(١)

فَطَوَّبَى لِأَبِي آدَمَ فِي طَعْمَانٍ قَدْ اسْتَوَلَى عَلَى طَرْفِ الزَّمَانِ
خَلِيقٌ بِالْحَيَاةِ لَهُ قِرَامٌ يُجَدِّدُ أَوْ يُخْلَقُ كُلُّ آنٍ

الحياة

بَكَى فِي الْقَلَامِ سَحَابُ الرَّيِّعِ فَقَالَ : الْحَيَاةُ بَكَاءٌ مَدِيدُ
فَقَالَ لَهُ الْبَرُّ فِي وَمُضَه : هَلِ الضُّحْكُ فِي لَمَحَةٍ ؟ لَا تَزِيدُ
فَمَنْ أَبْلَغَ الرُّوْحَ هَذَا الْحَدِيثِ فَصَارَ حَوَارِ النَّدَى وَالْوَرُودُ ؟

(١) لو كان لنا إرادة واختيار .

محاورة العلم والعشق

العلم :

وفي قبدي ثوى ماضٍ وآتٍ
وما نظري وراء السَّابحات ؟
وأسراري عرَّضْتُ بكلِّ سوقٍ

أنا سرُّ الكواكب والجهات
وعيني حدَّقت فيما أمامي
وكم نَعَمْتُ في عُودي وبوقي
العشق :

وملأ الجوَّ مَئْثُك والشرار
ونوركُ مذ هَجَرْتُ حمائي نارُ
وصرْتُ اليوم في قيد الرحيم
ورْدَ مَئْثِبَ دُنْيَانَا شَبَابَا
أقم في الأرض فردوساً عجابا
للحنِّ واحدٍ بـمَّ و زبـر

بسحرك سَجَرْتُ هذي البحارُ
وكنْتَ لي الصديق فكنت نوراً
وُلِدْتُ الأَمْسَ في حرم الرحيم
هَلُمَّ فَرْدُ رَوْضَا ذَا الْيَابَا
هَلُمَّ بِذَرَّةٍ مِنْ نَارِ قَلْبِي
كلانا الذَّهْرَ خَلٌّ لَا يَجُورُ

غناء النجوم

وسُكَّرْنَا انسجَامُنَا
لَا يُرْتَجَى مَقَامُنَا
ننظر سائرات
ومظهرَ البَدُودِ^(١)

وجوَدُنَا نظَامُنَا
فِي دَوْرِنَا دَوَامُنَا
فِي فَلَكٍ مَرَامُنَا
وجِلْوَةِ الشَّهْوَودِ

(١) جمع بد ، وهو الصنم ، معرب بت .

والمعزوم والموجود	ومعرك الوجود
نظير سائر	والغيب والمشهود
ونشأة الشجران	وحلبة الطمان
وذلة الثلطان	وغير التيجان
نظير سائر	ولعب الزمان
والعبد قد تولى	مضى زمان المولى
وقيصر قد ذل	يكندر قد ولى
نظير سائر	والوثن اضمحلا
والذل والكفاحا	والصمت والصياحا
وتارة افراحا	والخنخ والطماحا
نظير سائر	وتارة اتراحا
من كم وكيف في شغل	عقلك في عقد وحل
مضطرب ومضمحل	مثل غزال قد عقل
نظير سائر	ونحن في العليا نحل



وما الدجى ما النور ؟	ما السر ما الظهور ؟
ما فطرة ضجور ؟	ما القلب ما الشعور ؟
نظير سائر	ما الغيب والحضور ؟
حولك عندنا لم	كفرك عندنا أم
قنعت بالقل انسجم	يا من بصدريه خضم
نظير سائر	نحن بعالم نهم



نسيمُ الصُّبحِ

أجبيء من لَجِّ بحرٍ	ومن قلال الجبالِ
مُسَيَّراً لست أدري	من أين شُلَّت رحالي
أزجبي لطائر غمٍّ	بشري ربيع الجمالِ
ونائراً تحت عُشٍّ	نَّارَ زهرٍ غوالي
بخضرة أنسٍ رَدَى	وبالشقيق اتصالي
حتَّى يهيج فيه	لوناً وريحاً وصالي
يمسُّ أوراق وردٍ	تلطفني واحتيالي
فلا تميلُ غصونٌ	من طوفي المتوالي
وشاعيرٍ هيَّجتُهُ	همسومٌ عشقوا لقالِ
مزجت أنفاس صدري	بلحنه والمقالِ

نصيحة صقر لفرخه

تعلم بنيَّ بأنَّ الضُّفُورُ	لها قلبٌ ليثٌ وجسمٌ صغير
فكنْ مُحْكَمَ الرأي شهماً جسوراً	عليَّ السجايا أياً غيورا
بُغاث الطيور اهجرنها بعيدا	ودعها إذا لم تُرد أن تصيدا
فتلك الرعايدُ نسلُ اللثام	تدسُّ مناقيرها في الرِّغام
أرى البازَ صيداً لما اصطاده	إذا قلَّد الصيد ما اعتاده ^(١)
فكم باشقٍ قد أتاه النُّوى	بصحبةٍ لقَّاطٍ حبِّ هوى

(١) يعني : إن قلَّد الصقرُ الطيور الضعيفة التي يصطادها في عاداتها كان هو صيداً لها مغلوباً على أمره .

فَنَفْسُكَ فَاحْفَظْ وَعِشْ فِي جَدَلٍ
وَدَعْ لِلدَّرَارِيحِ لَيْسَنَ الْجَسَدِ^(١)
مَتَاعُ الْحَيَاةِ ، تَعْلَمُ ، جَهَادُ
نَقُولُ لِفَرَحٍ عَقَابٍ عَتِيقُ :
وَلَا تَبْغِ مِزْجاً كَمِزْجِ الْغَنَمِ
سَمِعْتُ وَصَاةَ الصَّفُورِ الْعِتَاقِ
فَلَيْسَ لَنَا فِي رِيَاضٍ مَجَالِ
وَلَقَطُكَ حَبّاً بِأَرْضٍ خَطَاءِ
فَأَمَّا خَطِيٌّ فِي الشَّرَابِ النَجِيبِ^(٢)
فَلَنْ يَسَاطَ الْبِزَاةُ الْحَجَرِ
نَمَّاكَ الْأَوَابِدُ زَرْقُ الْعِيُونِ
أَصِيلٌ أَبْيُّ يَوْمِ الْخَطَرِ
جَنَاحُكَ مِنْ سَطَوَاتِ الْبُرُوقِ
فَطِرْ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَخْشَ خَطْبَا
وَلَا تَقْبَلَنَّ طُعْمَةً مِنْ أَحَدٍ

جَرِيشاً مَتِيناً قَوِيَّ الْعِضْلِ
وَكُنْ مَخْلِباً كَالْمُدَى أَوْ أَحَدٍ
وَصَبِرٌ عَلَى مَحَنَةٍ وَاجْتِهَادُ
« بَرِيقُ الذَّمَاءِ يَفُوقُ الْعَقِيقُ »
تَوَخَّذْ كَقُومِكَ مِنْذُ الْقَدَمِ
بِأَلَا نَقِيمٍ بِظُلٍّ وَسِقَاقِ
فَسِيحُ الْفِيَا فِي لَنَا وَالْجِبَالِ
حَبَانَا الْإِلَهَ عَنَانَ السَّمَاءِ
فَأَشْرَفَ مِنْهُ حَمَامُ رِيَبِ
يَحْدُ مَخَالِبَهُنَّ الصُّخَرِ
كَأَنَّكَ عَنْقَاءُ جَوْ مَتِينِ
كَفِيلٌ بِإِنْسَانٍ عَيْنِ النَّمْرِ
مِنَ الشَّهْبِ فِيكَ كَرِيمُ الْعَزُوقِ^(٣)
وَكُلْ مَا أَصَبَتْ يَساً وَرَطْبَا
وَكُنْ رَاشِداً وَاسْتَمِعْ لِلرَّشْدِ

سوس الكتب

(الأرضة)

سَمِعْتُ : بِمَكْتَبِي لَيْلَةً
يَقُولُ مَرَرْتُ بِكُتُبِ ابْنِ سِينَا
وَلَمْ أَدْرِ حِكْمَةَ هَذِي الْحَيَاةِ
تُجِيبُ الْفَرَاشَةَ فِي حُرْقَةٍ :
رَأَيْتُ الْكَفَاحَ يُعَدُّ الْحَيَاةَ

يُنَادِي الْفَرَاشَةَ سُوسُ الْكِتَابِ
وَنَقَّبْتُ فِي كُتُبِ الْقَارِيَابِ
وَمَا زِلْتُ مِنْ ظُلْمَتِي فِي حِجَابِ
أَرَى نَكْتَةً لَا تُرَى فِي كِتَابِ
رَأَيْتُ الْكَفَاحَ يُعَدُّ الْحَيَاةَ

(١) دراريج : جمع دراج وهو طائر معروف .

(٢) يعني : الصقر ونحوه ، وكلمة النجيب في الأصل . (٣) الشهب : أي البيض ، وفيها

نَارٌ بِصَدْرِ عَشْقٍ فَنِي أَزَلِ أَنْيَرُ
شَمْساً أَرَى وَفِي كُلِّ ذَرَّةٍ أَثَرُ
شَرَارِهَا مِنْ نَارِي السَّمَاءِ تَسْتَعِيرُ
حَلَلَتْ صَدْرَ مَرْجٍ كَتَفُورٍ أَدُورُ
وَكَالنُّدَى مِنْ تُرْبِي عُصْنٌ بِدَا نَضِيرُ
قَالَ : قَفِي قَلِيلًا وَلَهَبِي يَنْوَرُ
وَمَا ثَوَاءَ قَلْبٍ مِنْ أَلَمٍ يَسِيرُ ؟
ثَوَى بِضِيْقٍ عُصْنٍ فَنِي قَلْبٍ يَفُورُ
حَتَّى كَسَيْتُ لَوْنًا وَعَبَّاقُ الْعِيَرُ
رَضِ النَّدَى طَرِيقِي بِمَوْلُؤِ يَمِينِ وَالصَّبْحُ لِي ضَعُوكُ وَبِالصَّبَا تَلُورُ
حَكِي لَعْنَدَلِبٍ وَرَدَّ لَهُ نَضِيرُ أَنِي سَلَبْتُ نَارِي وَخَمَدُ السَّعِيرِ
فَقَالَ فِي نَوَاحٍ : كَمْ أَغْلَى الظُّهُورُ أَحْمَلُ مِنْ شَمْسٍ تَشَعُّ فِي ضُلُوعِي
فَهَلْ - وَلَيْتَ شَعْرِي - لِلنَّارِ مِنْ رَجُوعِ

الحكمة والشعر

إِن سِينَا فِي غِبَارِ حَائِرٍ وَيَدُ الرُّومِي فِي سِتْرِ الْحَبِيبِ
غَاصَ هَذَا يَجْتَنِي دَرَأَ وَذَا كَفَشَاءُ دَارٍ فِي اللَّجِّ الْمُهَيَّبِ
إِنْ حَقًّا دُونَ نَارِ حِكْمَةٍ وَهُوَ شَعْرٌ إِنْ يَصُبُّ نَارَ الْقُلُوبِ

البراعة

وَذَرَّةٌ حَقِيرَةٌ قَدْ جَمَعَتْ قَوَاهَا كَأَنَّمَا فَرَّاشَةٌ مِنْ حَرَقٍ تَصْلَاهَا
قَدْ نَوَّرَتْ دَجَاهَا

(١) فَهِيَ أَيْسَاءُ خَلَقَتْ وَأَتَعَدَّتْ شَرَارًا مِنْ حَرَقَةٍ فِي قَلْبِهَا تَحَوَّلَتْ نَضَارًا
وَبَصَرًا فَرَّاشَةٌ فِي قَلْبِهِ
عَلَى اللَّهَيْبِ رَفَرَفَتْ حَتَّى كَأَنَّهُ هَيَّه
أَنَا وَأَنْتَ قَالِيهِ (٢)

أو كوكبٌ في صدره مُستترٌ الضياء
وقد تدلَّى مابطاً في الأرض لاجتلاء
من فلـك السَّماء

أو قمر مصفّرٌ بجلاوة تمام
فمنَّة الشمس على شعاعه حرام
لـم يحـوه مقام

يا لك من يراعة تصوّرت من نور
ميررها سليلد لـة الغياب والحضور
وسنّة الظهور

يا مشعلاً للطير في معتكّر الظلام
ما حرقه أحستها فأنت في هيام ؟
حرارة الإقدام

نحن - وقد نبتنا مثلك من تراب -
نجهل في اضطراب نبصر في اضطراب
نُخفق في الطّلاب

أقول قول واعٍ مجرّب شفيق :
لا تسعين لثزلٍ وامض على الطريق
وارض بهذا التوفيق

الحقيقة

تقول لبطوة صَحبت عُقاب :
أجابتها محاوراة بحق
فقال الحوت في لُج عميق :
أرى ما أدركت عيني سرابا
ولكنني أرى ماء عُبابا
هنا شيء ويضطرب اضطرابا

نغمة حادي الحجاز

يا ناقتي الخطارة
وظيتي المعطارة
وعُدَّتِي والشَّارة
والمالُ والتجارة
يا دولتي السيارة !

حُثِّي الخطي قليلاً منزلنا قريبُ
مطربةُ الرُّغاء
جميلةُ الرُّواء
محسودةُ الحسناء
وعُجْرَةُ الحوراء
بُيَّتَةُ الصَّحراء !

حُثِّي الخطي قليلاً منزلنا قريبُ
كم غُصَّتِي في السَّراب
في وقدة اليباب
وسررتِ لم تهابي
في اللَّيل كالشَّهاب
والنَّومُ عنك نائي

حُثِّي الخطي قليلاً منزلنا قريبُ
قطعةُ غيمٍ غادي
سفينةُ الرُّوَّاد
كالخضر في البوادي

تمضيّن في سداد

قلذّة قلب الحادي !

حُثِّي الخطي قليلاً منزلنا قريب

هُيامك الزّمام

وسيّرك الأنغام

يتعبُك المقام

لا الجوع والأوام

والشفّر المُدام

حُثِّي الخطي قليلاً منزلنا قريب

مسيّة في اليمن

مصبحة في قرن

تريّن حُزن الوطن

كالخُرّ تحت الثّفن

إيه غزال الحُثني !

حُثِّي الخطي قليلاً منزلنا قريب

بدر السماء نَعسا

خلف التّلال حُنا

والصُّبح قد تنفّسا

مزّق هذا الغلّسا

والريح تزجي نفسا

حُثِّي الخطي قليلاً منزلنا قريب

لحني دواء السّقم

والروح ملء نغمي

يحدو الركاب كَلمي

من جّارح وبلسم

هَلُمَّ بِنْتَ الْحَرَمِ !
حُثِّي الْخَطِيءَ قَلِيلاً مَنْزِلُنَا قَرِيبٌ

بين الله والإنسان

خَلَقْتُ الْإِنْسَانَ :	خَلَقْتُ الْإِنْسَانَ لَطِينٍ وَمَاءٍ
خَلَقْتُ مِنَ التُّرْبِ هَذَا الْحَدِيدَ	وَفَأْساً خَلَقْتُ لَجَذَعٍ وَغُصْنٍ
خَلَقْتُ الْفَلَامَ فَصُنْتُ التُّرَاجَ	خَلَقْتُ جِبَالاً وَبَيْدَاً وَمَرْجَاً
خَلَقْتُ جِبَالاً وَبَيْدَاً وَمَرْجَاً	أَنَا مَنْ حَجَارٍ صَنَعْتُ مَرَايَا

وطيناً خَلَقْتُ فَصُنْتُ الْكُؤُوسَا	خَلَقْتُ حِصَادِثُهَا وَالْفَرُوسَا
خَلَقْتُ حِصَادِثُهَا وَالْفَرُوسَا	أَنَا مِنْ سَمُومٍ صَنَعْتُ دَوَايَا

اليراعة

تَقُولُ يِرَاعَةٌ : لَا تَحْسِبْنِي	كَنَمَلِ الشَّوْءِ بِأَلْمَنِ رَفِيقِي
وَلَا أَعِشْوَ إِلَى نِيرَانٍ غَيْرِي	كَمَا يَهْفُو الْفَرَاشُ عَلَى الْخَرِيقِ
إِذَا حَلَّكَ الظَّلَامُ كَعَيْنِ ظَبِي	أَنْرْتُ بِنُورِ أَضْلَاعِي طَرِيقِي

وَحْدَةٌ

قَدْ قَلْتُ لِلْبَحْرِ يَوْمَاً فِي مَوْجِهِ الْمَتَعَالِي

أراك حليف طلائع
 وكنم - توبت بصدر
 أفيك مثلي صذر
 فصذ عني بجزر
 وقلت للطود يوماً :
 أنال سمعك صوت
 إن كنت تحوي عقيماً
 فواسني بحديث
 فصذ عني صموتاً
 جذذت في السير حتى
 فقلت : يا نضو سير
 الأرض مرج زهور
 أخلف نورك قلب
 رأى الكواكب ترنو
 وقلت لله ربني
 أما بدنياك هذي
 أكل طيني قلب
 طابت مروج ولكن
 أجابني بابتسام

فما تكن بيال ؟
 من لامعات اللالي
 بجوهر القلب حالي ؟
 ولم يرد سؤالي
 يا خالياً من غناء
 من زفرة ويكاء
 به عروق دماء
 إنني حليف شقاء
 ولم يرد سؤالي
 أتيت بذر السماء
 إلى متى في مضاء
 من نورك اللالاء
 في حرقه وعناء
 فلم يرد سؤالي
 من بعد طوف البرية :
 من ذرة لي نجية ؟
 وذي البرايا خلقة
 ليست بشدوى حربه
 ولم يرد سؤالي

قطرة الندى

من فلك البدراري
 للبحر ذي التيارات

قد قيل لي تدلي
 وأنت حكمتي وسياري

ففي الموج لا تحاري
تحوّلي واختاري
في الدُّرر الكبارِ

فما رضىيتُ بحرأ لصُحبتني بحـالِ
عفتُ احتسأءَ رَاح تسُلبني خـلالـي
ما ضقتُ من خصالي
وعشت في اعتزالِ
قطرتُ كـالـلـالـي

الـورـد لـي سـؤـول : ما خطبُ طير الشحريرِ
وما جهاتُ النظرِ ؟
وما وِراءَ البَصَرِ ؟
ما الشُّوك حول الزَّهرِ

ما نحن في اصطحاب ؟ من نحنُ يا ودود ؟
ما طائري المغنّي رجّحه الأملـود ؟
ما يقصدُ الغريد ؟
وما الصِّبا تُريد ؟
ما العالَمُ القَتيد ؟

فقلْتُ : المُـروجُ حـر بُ الحـيـاة في الأفـاق
خفـلٌ لـهُ نـظـام من لـذّة الفـراقِ
الرُّوحُ من إشراقِ
ونفسي أشواقـي
سرٌّ من الخـلاقِ

من فلكِ مُبـوطـي من طينة فتقـتِ
من لـذّة التَّجـلُّـي نموتُ إذ أشـرقـتِ

فِي الْغُضَنِ قَدْ خَفَقَتْ
كَمْ حُجُبٍ مَرَّقَتْ
نَفْسِكَ قَدْ حَقَّقَتْ

الذَّهْرُ فِي اخْفِرَارِ مَنْ دَفَعْنَا فِي السَّحَرِ
وَذِي الْجَهَاتِ طَرًّا خِدَاعُنَا فِي النَّظَرِ

بِالصَّدْرِ سَرَبُ الرَّهْرِ^(١)

مِنْ قَلْبِنَا كَالشَّرْرِ
وَنُورِنَا فِي الْبَصَرِ

فَمَسِي ثَوْبٍ وَرِدٍ إِبْرُ مَنْ شَوْكَةِ تَصُولِ
شَوْكٌ ، أَجَلٌ ، وَلَكِنْ نَادَمَهُ الْجَمِيلِ
مَنْ عَشَقَهُ نَحِيلُ وَعَنْدَهُ الْخَلِيلُ

فِي رَوْضٍ أَصِيلِ

الْقَلْبُ أَخْلِنَتْهُ مِنْ صُخْبَةِ الذَّهْوِ
عَيْنُكَ فَافْتَحْنَهَا لِلْكَوْكَبِ الْمُنِيرِ
وَصَحْبَةُ الْبَصِيرِ مِثْلِي هَلُمَّ طَيِّرِي

وَفِي الْفَلَكَ الْكَبِيرِ

العشق

فَكَرِي قَدْ أَجَدُّ كُلِّ سِيرِ
عَدْتُ لِلطَّلَابِ فِي الْبَرَارِي
وَطَافَ بَيْنَ حَرَمٍ وَذَرِي
مَرْتَدِيًّا بِالنَّقْعِ كَالْأَعْيَارِ

(١) الرَّهْرُ : النُّجُومُ .

يحملُ رحلي للخيالِ كاهلُ
كالضُّبح من شباكهِ التَّسيمُ
حيران كالإعصار في الضَّحاري
وحلُّ كلِّ عُقدةٍ في لبِّي
وصار ديري حَرماً وضَّاء
عرَّفني لَذَاذَةَ الحَريرِ
فُصِّلْتُ من نَفسي مثلَ العُكسِ^(٣)
بالسرِّ قَدْ أَفْشَيْتَهُ لِقَلْبِي
وفاضَ قُبْحِي رونقاً وتاهَا
لا أحملُ الملامَ في بِلْواه
خفقي وناري ودُموعُ الحبِّ

بغيرِ خضرٍ أطلُبُ المنازل^(١)
تطلُبُ راحاً كَأَسَى الحَظِيمِ
منطوياً كالْمَوْجِ في البحارِ
عشقُكَ فاضَ بغتةً بقلبي
عرَّفني الوُجودَ والفناء
على حَصيدي مرَّ كالْبُرُوقِ^(٢)
صُغِفْتُ تَوّاً وسُلِبْتُ حِشِّي
رَفَعْتُ لِلْعَرْشِ العَلِيِّ تُرْبِي
وبلَغْتُ سَفِينَتِي مُرْسَاهَا
عندي حديثُ العشق لا يسواه
غَيْثٌ عَنْ وَمَضِي العُلُومِ حَسْبِي



حياتك فابغ في الخطر الجليل

فَقَالَ سَأَقْضُدُ الْبَلَدَ الْحَرَامَا
فلا أَسْتَطِيعُ فِي أَرْضِ مُقَامَا
وأنفي الغمَّ عن قلبي المعنَى
حَيَاتُكَ فابغ في الْخَطَرِ الْجَلِيلِ
وعش أمضى من السيف اليماني

غَزَا لَمْ يَكُنْ شَكْوَاهُ غَزَا لَمْ
أَرَى الصَّيَّادَ حَوْلِي كُلَّ حِينِ
أَبْذَلْ خِيفَةَ الصَّيَّادِ أَمْنَا
أَجَابَ رَفِيقُهُ أَنْ يَأْخُلِي
وَنَفْسُكَ فَاشْحَذْ فِي كُلِّ آنِ

(١) بغير دليل ، كما دل الخضر الإسكندر .

(٢) يكثر في الشعر الفارسي ذكر إحراق البرق البدر ، ويكني به الصوفية عن قطع العشق
علاق الإنسان بالدنيا .

(٣) العكس : الصورة . والكلمة نفسها في الأصل .

الحياة

قد سألنا عن الحياة حكيماً قال : خمرٌ يطيبُ فيها الأمرُ
قلتُ : بل دودةٌ نمت في ترابٍ قال : لا ! بل سمندر لا يقرُّ^(١)
قلتُ : والشر طبعها . قال : لا بل خيرها قد جهلت والجهل شرُّ
قلتُ : ما شوقها يسير لنزلٍ قال : في الشوق منزل مسترُّ
قلتُ : في الطين خلقها قال فانظر : شقت الطين حبةً فهي زهرُ

الحدور والشاعر

(معارضة لقصيدة الحدور والشاعر لجوته)

الحدور :

ولا إلينا أنت ناظرُ لا الخمرُ يوماً تطيبك
إنني عَجِيتُ لشاعرٍ إنني عَجِيتُ لشاعرٍ
من حُرٍّ أنغام الرِّجاء من حُرٍّ أنغام الرِّجاء
نفسٌ تذيبُ بلوعةً نفسٌ تذيبُ بلوعةً
وخلقت بالألحان دنيا وخلقت بالألحان دنيا
تبدو لها إزم كما تبدو لها إزم كما

(١) السمندر : حيوان خرافي يعيش في النار .

بالسُّخْرِ مِنْ وَخَزَاتِ قَائِلٍ
 وَخَزَاتِ شَوْكِ فِي الْمَجَاهِلِ
 لَا تَرْتَضِي دَعَاةَ الْمَنَازِلِ
 تَهْفُو الصُّبَا حَوْلَ الْخُمَائِلِ
 رَائِعِ حُلُوِ الشَّمَائِلِ
 يعلوه حُناً فِي الْمَحَافِلِ
 إِلَى الشُّمُوسِ رَقِيَّ آمَلِ
 أعوجُ عَلَى الْمَرَا حِلِ
 الْكَاسِ تَسْرِي فِي الْعِفَاصِلِ
 وَرِيْعِي الْآتِي أَغَازِلُ
 لَا يَنْتَهِي فِيهِ الْمُسَائِلُ
 قَلْبِي عَنْ الْأَمْسَالِ غَافِلُ
 بِدَارَةِ الْخُلْدِ الْمُوَاصِلُ
 أَلَسَمَ وَلَا وَاسٍ يَسَائِلُ

تَخْذَعَنْ قَلْبَ مَسَافِرٍ
 مَا إِنْ تَحَاكْسِي لَذَّةً
 مَاذَا أَقُولُ وَفَطْرَتِي
 قَلْبِي عَلَى قَلْقَرٍ كَمَا
 فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى جَمِيلِ
 خَفَقَ الْفَوَازُ إِلَى الَّذِي
 فَمَنْ الثَّرَارُ إِلَى الثُّجُومِ
 إِنِّي لِيَهْلِكُنِي الْقَرَارُ فَمَا
 وَإِذَا شَرِبْتُ مِنَ الرَّيِّعِ
 أَشْدُو بِشَعْرِ آخِرِ
 طَلْبِي النِّهَايَةَ فِي الَّذِي
 لَا صَابِرٌ نَظَرِي وَلَا
 تَوَدِي قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ
 لَا صَمُوتٌ مُحْزُونٍ وَلَا



الحياة والعمل

(جواب لنظم هاتنا^(١) المسمى سؤالات)

يقول الساحل المكين : دهرأ حيث ولم يين لي ما أكون .. ؟

(١) هاتنا : شاعر ألماني .

فقال الموج في صخبٍ وسيرٍ : وجودي الشيرُ والعَدَمُ الشُّكون

الملكُ لله

طارقُ أحرقَ التَّفينَ فقالوا : ليسَ هذا منَ فعله برشيد
غريباءُ ومنَ لنا برجوعِ
أمسكِ السَّيفَ طارقُ في ابتسامِ
قائلاً واثقاً بعزمٍ شديدٍ :
مُلكنا اليومَ خالصاً كلُّ مُلكِ
إنَّه مُلكُ ربِّنا المعبودِ

النهر^(١)

انظر النهرَ جارياً في هيامِ
كان في السَّهدِ في السُّحابِ نؤوماً
يبعثُ اللحنَ جارياً فوقَ صخرِ
صافي اللونِ في بهاءٍ ونضرةِ
يقصدُ البحرَ ذا العبابِ طروباً
وعزوفاً عن كلِّ شيءٍ غريباً
من أقاحٍ ونرجسٍ وشقيقِ
يضحكُ الوردُ إنْ تلبَّثَ لدينا
ويقولُ البرعومُ : قف يا صديقي
في الرُّبى والوهادِ غيرَ رفيقِ
وهو قالِ عرائسَ المرجِ ماضي

(١) ترجمة نظم جوته المسمَّى نغمة محمد مع تصرفٍ كبير . وفي هذا النظم الذي كتب قبل « ديوان الغرب » بكثير أحسن الشاعر في بيان تصوير الإسلام للحياة ، وقد أريد بهذا النظم أن يكون جزءاً من قصَّة إسلامية لم تكمل . وإنما أردنا بهذه الترجمة أن نبين عن رأي لجوته فحسب .

وعزوفاً عن كل شيء غريباً
ومئات الأنهار في الحزن والشهـ
قد حمأنا المسير قلة ماء
أفصح الصدر للرياح سريعاً
يقصد البحر ذا العباب طروباً
هدر النهر جائزاً كل سد
فاض سيلاً على ربي ووهاد
هائجاً زاحراً سريعاً مثوقاً
يقصد البحر ذا العباب طروباً

الجنة

وليس هناك من فلك يدور
ولا فيها زليخا تستجير
ولا بكليمها شرر يثور
فزورقها على أمني يسير
ولا لإوصالها هجر مريب
إذا وضحت طريق لا تجور
به المولى وليس به القور

وأين بجنة لعب الليالي
ولا فيها ليوسف غم سجن
وليس خليلها يصلى بنار
وليس لصرصر فيها هبوب
ولا ليقينها هل أو عسى أن
وكيف يلد عقل ذو ضلال
فلا تحفل بكون فيه نقص

العشق

العقل يُحرقُ عالمًا في جَلوة منه تُغيز

لكنَّه بالعشق يعرفُ	كَيْفَ في الدنيا يُنيرُ
العشقُ في الأرواح يخلق	كلَّ لَوْنٍ أو يثيرُ
إنِّي لأذكر راقصاً	ذا الحرف أو هو بي يدور
بالعشق ترتاح القلوبُ	وإنَّه فيها سيعزُّ
ما كل معنى ينطوي	في اللَّفظ ، كم معنى يثور
أنصت لقلبك ساعةً	فلعلَّما يندسو العسير

لغزُ السَّيفِ

ما جاهدُ يُبسطُ ماء الحجر	لا يَهتدي بالخضر كالإسكندر؟
كنظر العينِ صفيٍّ مشرقُ	لا بلل وهو غريقُ نهر
مصراعُه مكمل متفرّدُ	ليس عليه منَّة لأشطر

الجمهورية

تريد معنى العُلَى من ساقطي همم	وأيّن للنَّمْل إقدام الثَّليمانى ^(١)
فاتبع حكيماً ودغ جمهورهم ، أترى	بألفِ رأسٍ حمارٍ عقلَ إنسان ؟

(١) نسبة إلى سليمان الحكيم ، وقصته مع النمل معروفة .

إلى داعية الإسلام في بلاد الفرنج

الدُّفْرُ عَادَ بِنَارِ نَمْرُود
هَلُمَّ نُلْقِ الْحِجَابَ عَنْ حُرْقِ
أَمَلْتِ حُورَ الْفَرَنْجِ مِنْ حَكَمِ
فَقُلْ لِأَهْلِ الْحِجَازِ عَنْ سَلَمِي
عَلَى خِرَاسَانَ وَالْعِرَاقِ فَمَجِ
كَمْ أَنْتَظَرْنَا لِعَارِفٍ وَلَكُمْ
جَعَلْتَ عَشْقاً حَدِيثَ ذِي هَوْسِ

جَوْهَرُ الْإِسْلَامِ زَهْنُ تَجْدِيدِ
كَالشَّمْسِ تَغْشَى الْوَرَى بِتَجْرِيدِ^(١)
وَزَعَتِ أَصْنَافَهُمْ بِتَوْحِيدِ
وَبَثَّ فِي التَّرِكَ شَوْقَ مَعْمُودِ
وَرَدُّ لِلْعُجْجَمِ شَوْقَ تَغْرِيدِ^(٢)
شَجَا « جَمَالِ »^(٣) بِلَحْنِ مَفْؤُودِ
نَثَرْتَ دُرَّ الْكَلَامِ بِالْيَدِ

غَنَى الْكَشْمِيرِي^(٤)

غَنَى أَخُو الشُّعَرِ رَبُّ الْبَيَانِ
يَفْتُوحُ أَبْوَابَهُ إِنْ نَدَرَ
فَقِيلَ لَهُ : يَا أُنَيْسَ الْقُلُوبِ
فَمَاذَا أَجَابَ الْهَمَامُ الْفَقِيرُ ؟
إِنْخَوَانَنَا مَا رَأَيْتُمْ سَدَادَ

وَبَلْبُلُ كَشْمِيرَ ذَاتِ الْجَنَانِ
وَيَغْلِقُهَا جَاهِداً إِنْ حَضَرَ^(٥)
عَجَبْنَا وَفَعَلُكَ أَمْرٌ عَجِيبُ
فَقِيرَ بِمَلِكِ الْمَعَانِي أَمِيرُ :
أَفِي الدَّارِ غَيْرِي مَتَاعٌ يَرَادُ ؟

(١) أي بظهورها دون حجاب وفي الأصل بالعري .

(٢) خراسان والعراق من ألحان الموسيقى أيضاً .

(٣) جمال الدين الأفغاني .

(٤) محمد طاهر الكشميري الشاعر المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ .

(٥) ندر : خرج وهي لغة الحجاز اليوم .

إذا كان في الدار ربُّ العرين غنى ففيها متاعٌ ثمين
وإن غاب عنها أنيسُ الوري فلا دارَ أفرغَ منها تُرى

إلى مصطفى كمال باشا^(١)

حزيران (١٩٢٢ م)

أمة كانت ومن حكمتها نحنُ آثارُ على مرِّ العصور
قد عرفنا سرَّ تقديرِ مضي فمضينا نقتفي سرَّ الدهور
شوراً كنا ، أجدنا نظراً فإذا شمسٌ على الكونِ تسير
شيخاً أطفأ في أحشائه نارَ عشقٍ فخنننا في فتور
صرصر اليبداء في فطرتنا أذبلتُ ريحُ الصبا فينا الزهور^(٢)
وعلى الأفلاك دوى صوتنا فاسمعنه اليوم في نوح الأسير
رُبَّ صيدٍ قد أخذنا وثبةً دون أشراكٍ كما انقضت صفور
وغدونا يوقعُ الصيدُ بنا ولنا قوسٌ وسهمٌ في الجفير
« كلما أمكن طرفٌ فاركضنْ » كم أمانات العزمَ تديرُ الأمور^(٣) »

الطائرة

على غصنٍ وردٍ بوقت السحر نفا طائرٌ لطيورٍ آخر :

- (١) كان الشاعر معجباً بـ مصطفى كمال إعجابه بالعزم والإقدام ، فلما رآه يقلد الفرنج عابه وقال : إنَّ جديده قديمٌ أوربة .
(٢) يعني خلقنا للجهاد فأضعفنا الترف .
(٣) البيت الأخير للشاعر نظيري .

« لقد سلب الأجنح الأدمي
فقلت له : « يا أمير الرياح
بطائرة قد ركبنا الهواء
وأية طائرة في الفلك
لها عزم صقر وأيد عقاب
تدوي وتزفر حين التفار
من الطين صار لنا جبريل
وعى الطائر الألمي الكلام
فأهوى إلى ريشه ينقر
فيا من يروك عقد وحل
أصلحت في الأرض بعد عناء

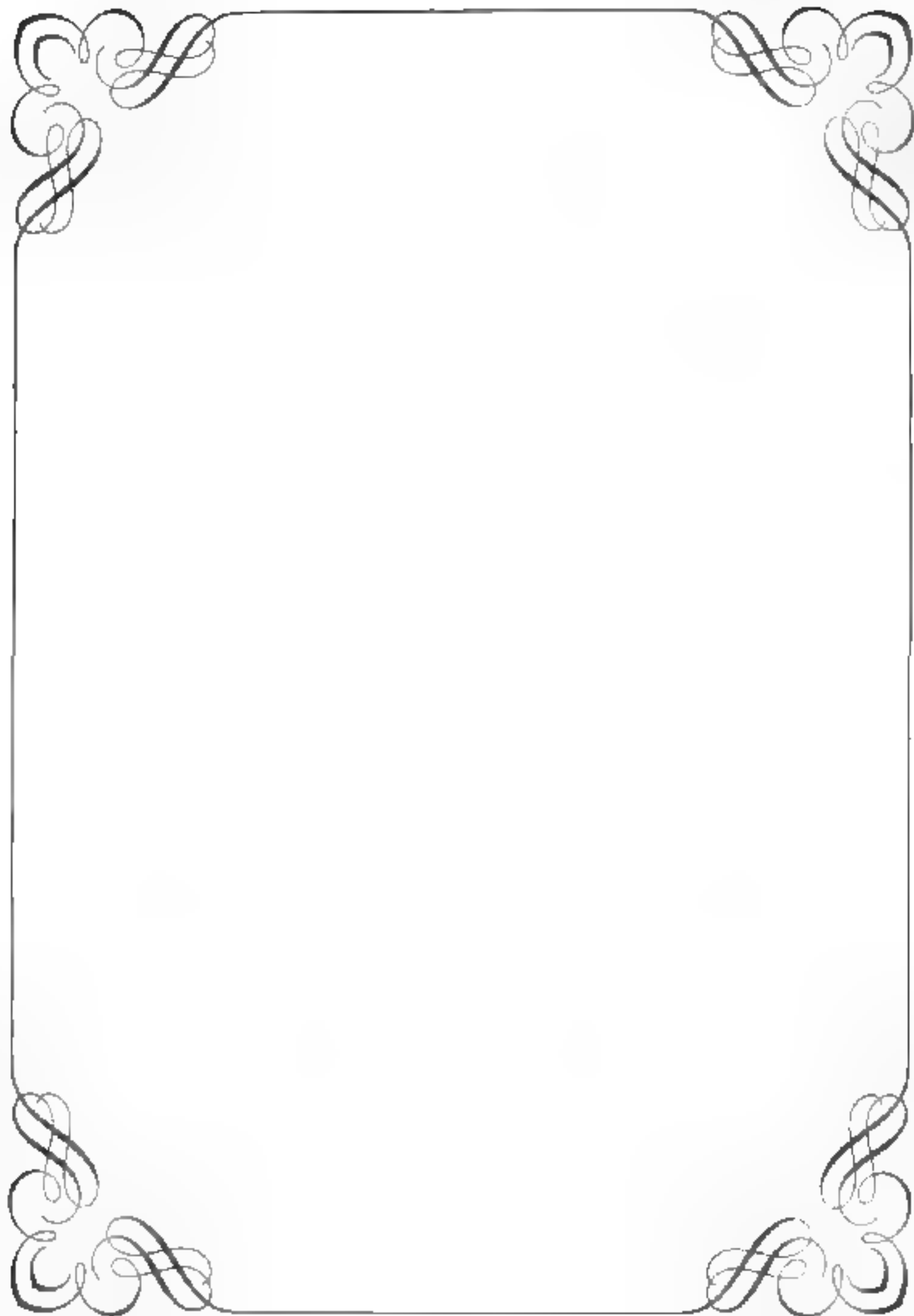
ومكن في الأرض هذا الغبي
أفي الحق إن قلبه من جناح... ؟
شقنا بها في عنان السماء
يفوت مداها جناح الملك
بلاهور^(١) ترنو إلى فارياب^(٢)
وفي العش صمت كحوت البحار
من الأرض نحو السماء دليل
وأبصر ما قلته في الخصام
وقال مقالك لا أنكر
وفي قيد سحرك علو وسفل
فجئت لتصلح جز السماء^(٣)

العشق

هو الحرف ضاءث عليه القلوب
هلم أبئك قول الخير
وعاء الندى خلسة في السماء
وياح به الورد للعندليب

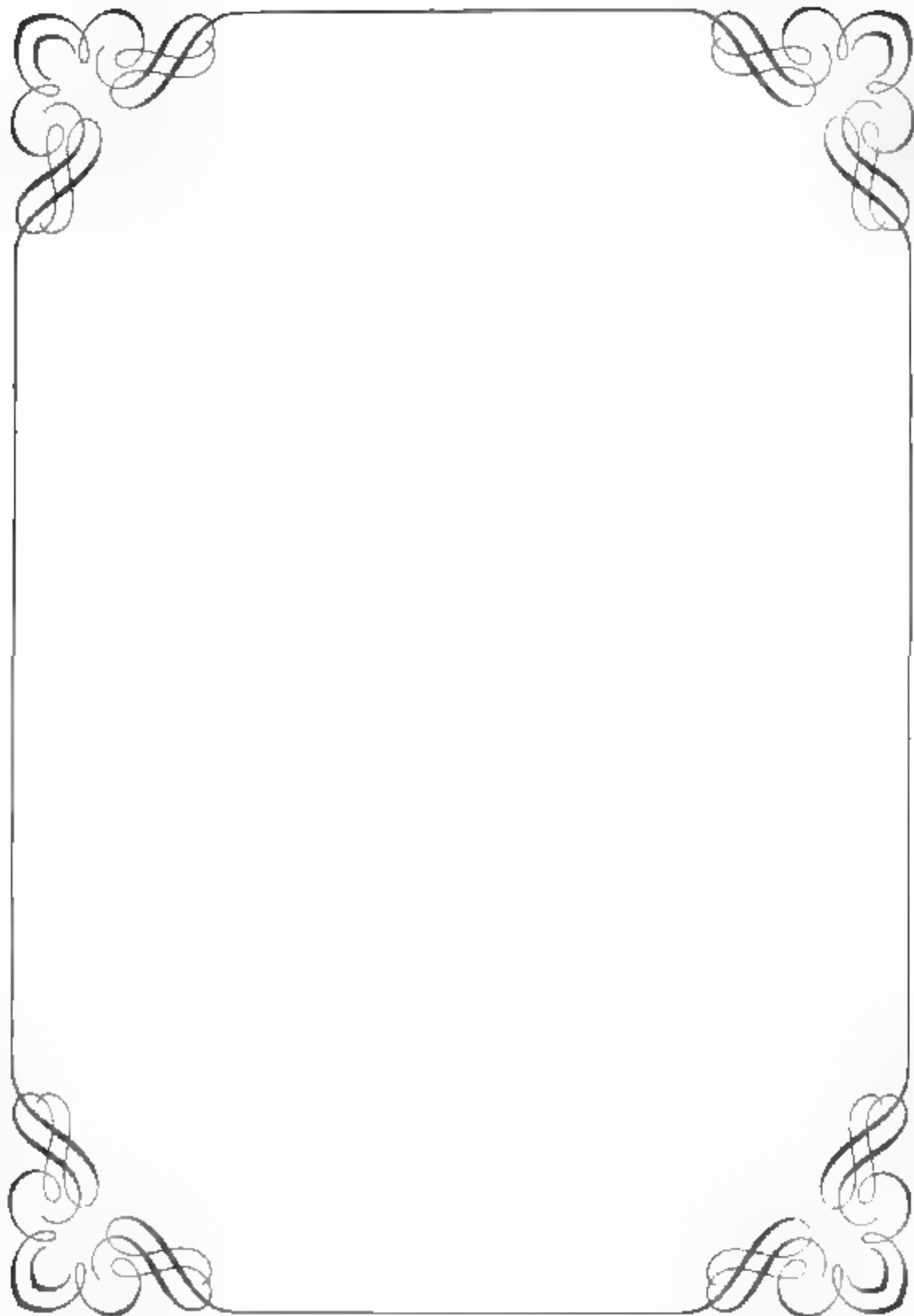
وليس بسر وسراً يرى
بمن قد رواه وعمن روى
وأسمعه الورد قطر الندى
عن العندليب روته الضبا^(٤)

-
- (١) لاهور تقع في باكستان وهي إحدى كبريات مدنها ، وعاصمة ولاية بنجاب اليوم .
(٢) فارياب ، تقع في تركستان .
(٣) البيت الأخير للشيخ سعدى الشيرازي .
(٤) أبيات تمثل تطور العشق من قطرة إلى غناء بلبل إلى خفق الزبح .



القسم الثالث
الخمر الباقية
(غزليات)





حباً الربيعُ رُبانا
فاستيقظت أكمّام
لا تحببُنَّ أنْ خُلِقنا
فما تزال خيالاً
لا تغتـرر بعـلـوم
إنَّ الفقير مُـرِيبٌ
ضمُّ الربيعُ شتية
وبتَّ ربحاً ولوناً
من يُحكمن نظراتٍ
لم يشدُّ يوماً بغيـب
قد قال في الحان فاس
في كلِّ دهرٍ خليلٌ
لا تلحينَ أهل ديارٍ
أقام أوْثان حـبٌ
يضيع شدو حياةٍ
فالميت ليس بحيٍّ

محافل الثَّغريد
للبلبل الغرَّيد
في صبح دهرٍ مديد
حوى ضمير السَّوْجود
الكأس خير شهيد
فلا تكنْ بـمـرِيد
بت الأوراد بالتضييد
أنظارنا في الورود
لنفسه في شهود
كلَّ ولا مـوـجود
مع مقال شيخ رشيد :
والنَّار من نمرود^(١)
فالعشقُ جدُّ عـيد
في القلب من محمود^(٢)
ينساب بين الهنود
بالنفسخ من داود



عقلنا ينحطُّ رباً كلَّ حين
ارفع البرقع جهراً لا تُبل

فهو من قيدٍ إلى قيدٍ رهين
ليس في حيِّك غيري ذو حنين

(١) إشارة إلى قصة إبراهيم الخليل ونمرود الذي ألقاه في النار .

(٢) السلطان محمود الغزنوي فاتح الهند الملقب بمحطم الأصنام .

أنا من عيني غيورٌ ناسج
بسمه خَلَسَ ودمعٌ ورنأ
حبذا العشق ففي يوم النوى
أيها الطائر من صدري اقبض
عود تيمور مضى لا لحنه
سادن الكعبة لا تأذن له



شكواي أمـرٌ عجيب
فنظرتني لي حجاب
أبلغ خلّاق نور
حذار كفف تراب
في محفل من ربيع
بالرّيش منا شرار
يا واهن النفس تدري
حواك كـونٌ بعيد
مثل الشقيق تراني
والقلب غرضة رمي
في عرف أهل قلوب
لكعتني لم أسافر
وكم قبيل أقاموا

نظراتي لك سترأ في العيون
ليس في الحب سواها من يمين
زاد باللوعة عهد لا يمين
لتزيد النار في هذا الأنين
هو في لحن سمرقند يمين
فلإقبال إله كل حين

من نور عيني شكاتي
وأنت في الجلوات
الحق من كلماتي^(١)
للنفس في نظرات^(٢)
نذوب من حركات
في الفجر من آهات
من أين لي نعماتي ؟
من عالمي وجهاتي
بالرّوض في حشرات
من أسهم اللّحظات
الكذخ سرّ الحياة
للأمن في طرقاتي
وأدبروا في شتات

(١) يعني بخلائق النور الملائكة .

(٢) كف التراب : الإنسان ، والنظر إلى النفس من فلسفة إقبال التي سماها « أسرار

ففي دارة ضياء فيها
 فاخلق بطينك خلقاً
 مثلُ اتساع شرارٍ
 إن لم تكنْ ذا فضولٍ
 العشقُ أبعدُ شأناً
 في العجم أذكى نشيدي
 والعرب من نارِ شوقي



في ذلك الحفل سؤلي
 لذاك أزجى غنائني
 في خلوة كل لفظٍ
 بيتٌ قلبي حديثاً
 من أجل نظرة وجدي
 مطهر نظراتني
 كالكم كل أموري
 لكن الجلوة شمسٌ
 كالسراج ، ليس كياني
 ولست في البحر أبغي

عن محرم بي حقيق
 وفيه لحن الصديق^(١)
 فيها كستبر صفيق
 بمقلتي وبموقوفي
 لوجهك المرموق
 بدمع عين طليق
 لعقدة ولضييق^(٢)
 أنمو بقلب مشوق
 يهاب سبل العقيق^(٣)
 إلى الشطوط طريقي

(١) يعني الدنيا جعلها داراً صغيرة فيها القمر كسراج في مشكاة .

(٢) فرصات : جمع فرصة .

(٣) اللحن : الرمز في الكلام .

(٤) يتخيل الشاعر أن كم الزهر لانطباقه معقود .

(٥) العقيق : هو كل سيل كبير يشق الأرض وواد بالمدينة .

مَا بَيْنَ عَيْنٍ وَرَأْيٍ
مَهْمَا تَبَاعَدَ عَنِّي
قَدْ خَطَّ فِي سِتْرِ عَيْنِي
بَشَعُودَاتِ أَرَانِي
فِي قَبَّةٍ قَدْ أَحَاطَتْ
شَوْكَ بِجَنَابِ سَمَاءِ
لَا أَسْتَرِيحُ بَعَثُ
طَوْرًا بِشَاطِئِهِ نَهْرٍ



بَيْنِي وَبَيْنَ صَدِيقِي^(١)
فَكُلُّ حِينَ رَفِيقِي
نَقُوشُ كَوْنٍ أُنِيقُ^(٢)
فِي قَيْدِ سَحَرٍ وَثِيقِ
لَا أَرْضِي بِالصُّبُوقِ
لَا بِدُّ لِي مِنْ مُرُوقِ
مِنْ لَذَّةِ التَّحْلِيلِ
طَوْرًا بِرُوضِ شَفِيقِ

المَغْنَى الصَّبِيحُ فِي الْحَانِ
وَتَحْيِي دَمَ الرِّبِيعِ شَفِيقِ
نَغْمَةٌ تَفْتَحُ الْعَيُونَ لِمَعْنَى
فَتَأْمَلُ بَعِينَ عَشْرِ وَأَبْصُرُ
فَعَيُونََ الْعَقُولِ تُظْهِرُ فِيهَا
وَعَنْ عَشْرِ خُذْ دُرُومَ جِهَادِ
إِنَّمَا الْعَشَقُ جَوْهَرٌ لَشَعُورِ
وَلَنَا غَايَةٌ مِنَ الشَّمْسِ أَعْلَى
إِيهِ يَا قَطْرَةً عَنِ النَّفْسِ تَاهَتْ

وَرِيَاضُ الرِّبِيعِ الْوَاحُ مَانِي^(٣)
أَيُّ ظَمَأٍ بِهِ إِلَى الْأَكْوَانِ ؟
ضَاقَ عَنْهُ طَرَائِقُ التِّيَّانِ
مِنْهُ آيَا تُضَيُّ دُونَ يِيَانِ
هَذِهِ الْكَائِنَاتُ سَحَرُ الْعِيَانِ
وَأَفْعَلْنَ مَا تَشَاءُ فِي كُلِّ آنٍ
وَهُوَ رُوحُ الْإِدْرَاكِ وَالْعُرْفَانِ
إِنَّهَا الشَّمْسُ صُورَةُ الرُّكْبَانِ^(٤)
تَطْلُبِينَ الْمَحَالَ فِي الْأَكْوَانِ

(١) الرَّأْيُ : رَأْيُ الْعَيْنِ .

(٢) فِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الصُّورِ الَّتِي تَسْتَوِي خَيَالُ الظِّلِّ ، فَالْسِتْرُ يَظْهَرُ عَلَيْهِ الْخَيَالُ لَا الْحَقِيقَةُ ، فَهُوَ يَقُولُ : إِنَّ هَذَا الْعَالَمَ نَقُوشٌ فِي سِتْرِ الْعَيْنِ تُخَدِّعُ عَنْ الْحَقَائِقِ .

(٣) مَانِي : صَاحِبُ مَذْهَبِ الْمَانَوِيَّةِ كَانَ مَاهِرًا فِي التَّصْوِيرِ ، وَتَرَكَ الْوَاحَاً مَصُورَةً فِي كِتَابِ عَرَفَ بِاسْمِ « أَرْزَنْكَ » ضَرْبٌ بِهِ الْمَثَلُ .

(٤) الصُّورَةُ : أَحْجَارٌ تَجْعَلُ عَلَامَةً عَلَى الطَّرِيقِ .

إِنَّ عَاراً مَعِيشَةَ الْبَحْرِ إِنْ لَمْ
يَا جَهُولاً بِقَدْرِ نَفْسِكَ لَوْلَا

أَنَا سَيْلٌ هَدَمْتُ كُلَّ سُدُودِي
كَانَ عَقْلِي يُرِينِي وَجُودِي
وَصَلَاتِي بِكَعْبَةِ التَّوْحِيدِ
فَاعْجَبْنِي مِنْ زُنَّارِي الْمَعْقُودِ
دَمْعُ قَلْبِي حَبْسُهُ عَنْ خُدُودِي
خَمَرُ شَوْقِي لِمَكْرَتِي وَشَهْوَودِي

قَدْ هَدَمْتُ الْأَصْنَامَ لَمْ أَرْضَ شِكْلاً
وَمِنَ الْعِشْقِ قَدْ رَأَيْتُ كِيَانِي
وَبِدِيرِ ضَرَاعَتِي وَهُوَ أَنِي
وَمِنَ الذِّكْرِ سُبْحَتِي بِيَمِينِي
مَنْبَعُ الْحُزْنِ فِيكَ غَيْرُ نَضُوبٍ
رَاقٍ قَوْلِي ، وَسِيرَتِي لَجُنُونٍ :

بَنَارِ رَاحِ عَتِيقِ
مَنْ نَارُهُ كَالثَّقِيقِ
هَدَيْنَ بَيْعَ الدَّلُوقِ^(١)
بَسْتَانٍ وَجْهُهُ أَتِيقِ
مَجَاوِرِ بِلَالِ عَتِيقِ
فَتَوَى بِكَأْسِ رَحِيقِ
عَلَى غَنَائِي الرِّقِيقِ
إِسْكَنْدَرَأَ بِحَرِيرِيقِ
الصَّبَا سَلَامَ مَشُوقِ^(٢)
لَعِينِ ذِي تَحْقِيقِ

طَوْبِي لِمَحْرُوقِ عَقْلِي
مَنْ يَعْتَنِي بِمَتَاعِ
أَوْحَى الرَّيِّعُ إِلَى الزَّا
فَاغْرَسَ بِالْكَأْسِ الْحَمِيَّا
قَلْبِي رَثِي لَفْقِيهِ
مَا اتَّبَاعَهُ شَيْخُ خَانَ
اللَّحْنُ لَا تَقْدُرُونَهُ
فَبَرْقَةُ اللَّحْنِ تَغْشَى
لِرَوْضِ "وَيْمَر" تَهْدِي
فَذِي الدِّيَارِ أَضَاءَتْ

(١) يعني أن الإنسان جهل قدر نفسه وقدر أشياء ليس لها قيمة إلا بتقديره .

(٢) الدلوق : جمع دلق ، وهو لباس بالي مرقع يلبسه الزهاد والشحاذون .

(٣) ويمر : مدينة في ألمانيا ، أقام فيها الشاعر غوته كثيراً ومات ودفن فيها .

تُفَوِّح لِيْلِي الْقَلْقُوقَ
وَالْأَثْيَيْنُ مِنْ شَرَرِ
أَيِّنْ حَرَصَ مَجْتَهِدِ
ذَاكَ فَأَسْ فَرَمَادِ
قُلْ لِيَاكُنِي حُجْبُ
ذَا الْغُبَارُ ذُو نَظَرِ
مَطَرِي تَسْكُرْنِي
نَغْمَاتُ مَسْتَحَرِ
مِنْ حَذَارِهِ أَرْضُ سَمَرِ
مِنْ هَجُومِ جَنْكِيْزِ
هَاتِ مَطَرِي غِيْزًا
لَأَنْوَرُ مِنْ لَهَبِ



مُنِيَّتِي أَنْ يَتَجَلَّى
فِيْ يَدِي تُمْسِكُ صَدْرِي
وَيَقُولُ الْحَسَنُ : صَبَحِي
فَيَقُولُ الْعَشِيقُ : وَجَدِي
لَيْسَ مِنْ يَوْمِي وَأَمْسِي
لَيْسَ لِي نَجْدٌ وَغَوْرٌ

وَالْهَمُومُ فِي الْقَلْقُوقِ
وَالْقَرِيضُ مِنْ حَرَقِ
مِنْ تَضَرُّمِ الْعَشِيقِ
ذَاكَ خُسْرٌ فِي مَذْقِ^(١)
عَنْ تَرَابِي الْقَلْقُوقِ :
ذَا التَّرَابُ ذُو فَلَاقِ
وَتَزِيدُ فِي حُرْقِي
بِالْقَلْبِ ذِي عِلَاقِ
فَنَدَبَتْ فِي فَرْقِ
أَوْ هَلَكَوْ فِي الْحُلُقِ^(٢)
نَظْمُ مَرْشَدِي اللَّيْقِ
التَّبَرُّيْزِي بِالسَّحَرِ

ذَلِكَ الْبَدْرُ التَّمَامُ
وَبَعِيْنِيَّ اقْتَحَمَامُ
لَيْسَ يَغْشَاهُ ظِلَامُ
لَيْسَ يَخْبُو وَالْهَيَْامُ
وَعَدِي فِي زَمَامُ
لَيْسَ يَحْوِيْنِي مَقَامُ

(١) فرهاد : المهندس ، وخسرو برويز : ملك الفرس ، وكان وعد فرهاد أن يهب له معشوقته « شيرين » إذا شق طريقاً في الجبل ، ففعل ولم يظفر بأمنيته ، فغضب فرهاد مثلاً في العشق الخائب .

(٢) أشار الشاعر أكثر من مرة إلى سمرقند وجنكيز كأنه يُشير إلى ما أصاب المسلمين من هذه النواحي .

وكؤوساً لا تـرام
 دائـر عنـدي جـام^(١)
 لا يـرى فيـه انسـجام
 عن حبيبي لي كلام
 لي في اللّـحـن مـقام^(٢)
 لي بالغمـد كـعام^(٣)

خمرة الأسرار أبغـي
 وبحانات مجـوس
 لا تـقـل : مـالي ولـحـناً
 فأنـا طائـر غيـب
 أرفـع الشـر وأشـدو
 أنا صمـصـام دمـاء

من ظمئنا في الطـلاب
 تعلّـمـه الهيـاب^(٤)
 وأين أزجي ركابي ؟
 ونظـرتـي في حـجاب
 واخـفض نـواح الرّـباب^(٥)
 تنـوح تحـت نقـاب
 قـوافـلي بـسـلاب
 فلا تـفـه بعـثـاب
 لا تبـغ وزن خطـابي

عُـمُـسُ الحـيـاة نـدي
 عيـن الحـيـاة أراها
 فمـن أبـك حـديـثي
 ولا تـؤثـر آهـي
 نـزـمـزـمـن في غـناء
 فلا تـزال طيـور
 أهـل الحـجـاز تـولـوا
 حبيـنـا عـربـي
 وزن عـجـم وهـنـد

(١) المجوس في الشعر الفارسي كالنصارى في الشعر العربي ، يذكر الشعراء خمرهم وحناتهم .

(٢) من مقامات المومنيقا .

(٣) الكمام : هو الكمام للجمل ، الذي يخشى صياله - وبالفتح جمع كعم ، وهو وعاء السلاح - .

(٤) عين الحياة في الأساطير : عين من شرب منها لا يموت ، وقد شرب منها الخضر ، والشاعر يقول : « إن الحياة هي عطشنا في الكفاح لا ورود عين الحياة » .

(٥) الزمزمة : كلام خفي .

فأصل هذي اللآلي
هَلُمَّ فالرَّاحُ عندي
وخمرة القبول أصبى

بالليل دمع انتحابي
من دُنْ عالي الجناب^(١)
من خمرة الأعناب

من كرى الموت لا تفيقُ عيونُ
إنَّ من دونك الوجودُ محال
قد حوى الكون قلبنا وهو فيه
نغماتي الضعاف أحرقن صجلي
إن تضرن الصبا بطل فدعها
فإلى الحق وجه القلب واصبر
سُدَّة الوثن هذه وعليها^(٢)

دون نور تفيضه من سناكا
ومحال فناؤنا في جسماك
عقدة لا تحلُّ فاكظم فاك
حرقتي نعمة أبت أن تحاك^(٣)
نار قلب الشقيق تأبى فكاكا^(٤)
لا تؤمل بغيره إدراكا
جبهات الأباة تأبى جكاكا

كتب إلى أحد الصُّوفيَّة^(٥)

لهيب الوجد من أسماء لا عندي ولا عندك
وحرُّ القلب في اليبداء ، لا عندي ولا عندك

(١) جلال الدين الرومي .

(٢) أبت أن تنسج ، يعني : لا يستطيع إظهارها .

(٣) يتخيّل الشاعر أنَّ الطلَّ يخفف من حرقة الشقائق الملتهبة ، يقول لا نبالي إن لم يسقط
الطل فهذه النار لا تفارقنا بأية حال .

(٤) الوثن : جمع وثن .

(٥) في هذه الأبيات مثالان من الشعر الفارسي ، الأول أن وزن الهزج فيه مفاعيلن ثعاني
مرات وهو في العربية لا يزيد على أربع ، والثاني القافية المردوفة والردف هنا
« لا عندي ولا عندك » والروي الهمزة الممدودة قبلها .

وشيخ أنت في حان وإني ناشيء ساق
 عطاش نطلب الصهباء لا عندي ولا عندك
 رهناً قلبنا والذين حبُّ الغيد من عجم
 ونازُّ الشوق من ظمياء ، لا عندي ولا عندك
 حطام كان أصدافاً على شطِّ لقطنائها
 فقدنا الدُّرَّة البيضاء ، لا عندي ولا عندك
 ويلوي يوسف المفقود من يطيع ذكراها
 وخفق القلب في زلخاء^(١) ، لا عندي ولا عندك
 كفانا النُّور في المصباح قد أخفَّته أستاذ
 فطوق النُّور في سيناء ، لا عندي ولا عندك^(٢)



قلبنا كـوْنٌ ولكـن	ما به دور القمر
دورانٌ ليس فيه	من عشقٍ أو بكـر
ويل ركبٍ قد أسف	العزم فيه وضمـر
فهو يرتاد طريقتاً	ليس فيها من خطر
فدع العقل ومـوج	العشق صارع لا تقرر
فبذاك النهر ضيق	ليس فيه من دُرر
كلُّ ما يجري خيالـك	أو خيالي في الأثر
هو في العين ولكن	مُستمرٌّ كالنَّظر



غير مجدٍ بكاؤنا ويلتنا ا ضاع ذا النغم

(١) زلخاء : زليخاء عاشقة يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام .

(٢) الطوق : الطاقة .

تسوح قلب ممزق
خفق القلب ساعياً
هو فينا محذوق
نبت السنبر أهله
غيرة العشق فانظرون !
مطرب الحان في الدجى
ذوق راح محرم
هي مسير حياتنا
ليس للمعوج منزل
أشعل النار في هشمي
« منزل الكبرياء لي »

حاصل الغم والألم
يخلق الذير والحرم
نحن فيه على قدم
لذت بالنفس في حرم^(١)
أنا شوقه احتدم ؟
قد شدا معجب الحكم
شرب راح لنا أمم
ما سوى السير يغتم
أو طريق إذا التطم
من قال في القدم :
مرشد الزوم^(٢) ذا العلم



أبد من طينك ناراً تُضمَر
ملك جم « لنظيري »^(٣) مصرع :
ساحر العقل يعبى جنده
بمقام ولحوين لم تحط
نظري في النفس أحكمت فلم
فتجلى الحب في كل الدنى

لا تحل بعد هذا يُقدر
« ليس من قومي من لا يُنحر »
لا تُرع للعشق جنود ينصر
عود سلمى كل حين يقطر
يتوجّه لسواها النظر
وأنا في شغل لا أنظر

(١) أهل السر الذين في عالم الغيب والشاعر على مذهبه في الذاتية ، يقول : إنه لم يُبال بالنظر إلى عالم الغيب بل نظر إلى نفسه ، وإن عشقه الغيور لم يتجه إلى غيره بل غيره نظر إليه .

(٢) مرشد الزوم ، يراد به جلال الدين الزومي .

(٣) نظيري النيسابوري ، أحد الشعراء الفارسيين الكبار ، هو وجمشيد أحد ملوك الأساطير الفارسية .

ما جنونُ العشق في اليذاء سدى
وبصيد الوحش في البحر اهتفن
ملء عيني دليل ما مضى
أصبحن شرباً خليعاً وأخذرن
غاية الإنصاح لمخ وكنى
ففى القرى الحسن تعالوا نجار^(١)
لا تقل : زورقنا لا يُحرق
ففى طريق ليس فيها خطر
عهد شيخ ليس فيه ذار^(٢)
فلغى الخلوة رمز يُعبر^(٣)



تضيّق بدار أصنام
ولكن نحو مشتاق
فأقلام واتخذ مغنا
وكيف وأنت ربّ الدّا
تغير على ذوى التسييح
وتطرق أهل زئار
وذو جحفل لجب
وطوراً فى جماعات
وتأتى باللهيب إلى
وتأتى كالفراش إلى
فيا إقبال خذ كأساً
ولا ترضى بمحراب
تسير بشوق أصحاب
ك فى أرواح أحباب
ر تدخل خطو مرتاب ؟
تحمّل كلّ أسلاب
بلى فعل نهاب
لسفك دماء أصحاب
بكاسات وأكواب
كليم غير هيّاب^(٤)
يتيم شمعته كابى^(٥)
بخمير « الذات » لهّاب

- (١) لعل الشاعر يُشير إلى مجنون ليلى وهيامه فى اليد ، ويعنى أن هذا الهيام فى فضاء الطبيعة لا بد أن ينتهى إلى صلاح الجماعات فى القرى .
(٢) الذار : الشرّة وحدة الخلق .
(٣) يعبر : كتعبير الرؤيا .
(٤) إشارة إلى النار التى لاحت لموسى عليه الصلاة والسلام .
(٥) إشارة إلى اصطفاء الرسول ﷺ .

سفاك الغرب من كامنٍ لنفسك منك مـلأب

لذعات حان العجم ليست	كُفء ناري الحاميه
ذا أحمد العربي نَظ	مرثته تحيط جهاتيه
ما حيلتي والعقل في	عُقْد له متواليه
نظرات عينك ، فانظرون	حلّت طلسم مجازيه
حِل العقول تفوقها	خفقات قلبي الداميه
فاهجر كنيس تفلن	لحريم ناري الحاميه

أنت كالمرآة تفتي في جمال الآخرين	فاغسل قلباً وعيناً من خيال الآخرين
من نواح الطير في الأحرام فاقبس واحرقن ^(١)	ذلك العش الذي شذت بعال الآخرين
وتعلم جاهداً خفق جناحك وطر	أنت لا تستطيع طيراً بجبال الآخرين
أنا حرّ وغيورٌ مسرفٌ في غيرتي	ممكن قتلي بكأس من زلال الآخرين
إيه يا أقرب من روعي ولا أبصره	عندنا هجرٌك أحلى من وصال الآخرين ^(٢)

عندليب الربيع جُن غناء	وعرومُ الشقيق تُزهي بهاء
لا مفن ولا مزاهر فيه	ذاك لحن من المغنّب جاء
محرم السر من يسدد ضرباً	في وتار الحياة أيان شاء ^(٣)

(١) الأحرام : جمع حرم .

(٢) وهذه قطعة أخرى بنيت على الرمل المثنى - والرمل في الشعر العربي لا يزيد على ست تفعيلات والقافية فيها مردوفة بكلمة الآخرين ، والروي اللام التي قبل الرديف .

(٣) الوتار : جمع وتر .

لست أفشي ، فالدهر لعباً أساء^(١)
 قدّر الله في الحياة التقاء
 كل شيء كالزّمل يمضي هباء
 وبأرض الحجاز قلبي أضاء
 أرض شيراز ، حبّ ذاك انتماء

من خضمّ الزرقاء نبغي قرارا
 لذّة « الذات » فرّقنا شرارا^(٢)
 نال بالعقل في السماء مطارا
 ويكذّ الحياة نقدح ناراً
 كلّنا أعين فآلق الستارا

روضة تنبت ورداً وشقيقا
 صوّحت جناتهم ، روضاً أنيقا
 يا ترابي ! فلتكن قلباً خفوقا
 سار لا يرضى مقاماً أو طريقا
 عقلنا اليأس فاحذره رفيقا
 قد حبا قلباً إلى اللّحن مشوقا
 علّ شدوي مضرّم فيك حريقا
 قطرة فيك غدت بحرّاً عميقا

من وراء الستور أنبتت سرّاً
 لا تعنّف وخذّ سبيل وداد
 أين في دارة التراب مقام ؟
 زهرة من رياض كشمير جسمي
 وأغانئي واللحون نمّتها

نحن تربّ ، وكالنجوم سفارا
 نحن من شعلة الحياة جميعاً
 قل لأهل السّماء : إن تراباً
 نحن في العشق زهرة في نسيم
 نحن في المرج نرجس ناظرات

ليردّ الغرب دمعي دامياً
 وليردّ العُجم أنفاسي وقد
 من حياة وخلود كدحنا
 صحب الله فؤادي هالماً
 صوّر اليأس على آفاقنا
 وبعود قطعّت أوتارّه
 أنت نثر وكلامي شغل
 ليس في قلبي إلا أن أرى

(١) إشارة إلى الألعاب من وراء الستار كالذي يسمّى خيال الظلّ .

(٢) يعني : لذّة الاستقلال والوحدة كما يرى الشاعر في فلسفة « الذات » .

لا عرا الروح هدوء ولتكن بحياة الكد والكدح خليفا

لا التاج يزهو عليه
فقيرو حثك ، لكن
في الشيب ماتت قلوب
فما لصدر نصيب
لا تقعدن عن طلاب
فما بعصرك هذا
غفلت عن سر وقت
وقت عداه حساب
هذا الرباط قديم
غفلت عن سر عيش
ماذا يخط من الذنب
دنياك ما قد أصبنا
إقبالاً الحر أمسك
فما يرى في رباط

ولا مننا الرينات
من الملوك الأبناء
وفتية في سبات
في الفجر من أهات
في واسع الفلوات
هاد إلى الطرقات
أضعت في شتات
بالشهر والسنوات
ما فيه عيش مواتي
وعن جهاد الحياة
كاتبنا الهفوات
فيها سوى نظرات
بذيله في ثبات
من بئاعي الخرقات

عشقي الجريء صدره سعيرو
إن يكمل الهيام صار ذلاً
إليك جئت في سجود وجدي
هب سيف لا لكافري وأبصر

وحكمني عن شرر نخور
قيس بـ « ليلي » عندنا شهير
سيماء فوق جبهتي تفور
« إلا » ي كيف في الدنى تثور^(١)

(١) يشير إلى النفي والإثبات في « لا إله إلا الله » يعني : هب لي أنا الكافر توحيداً وانظر
فعلي .

لا بد من دور يعيد أسفي
نورك فيه للذنى نصيب
أحدث الرحمن في حجاب
أيام رسول الله ! إن ربي

في جلوات من غدي يسير
«سينا» ي كيف فاتها تنوير
وفي حماك منطقي جهير
محجب وأنت لي ظهور



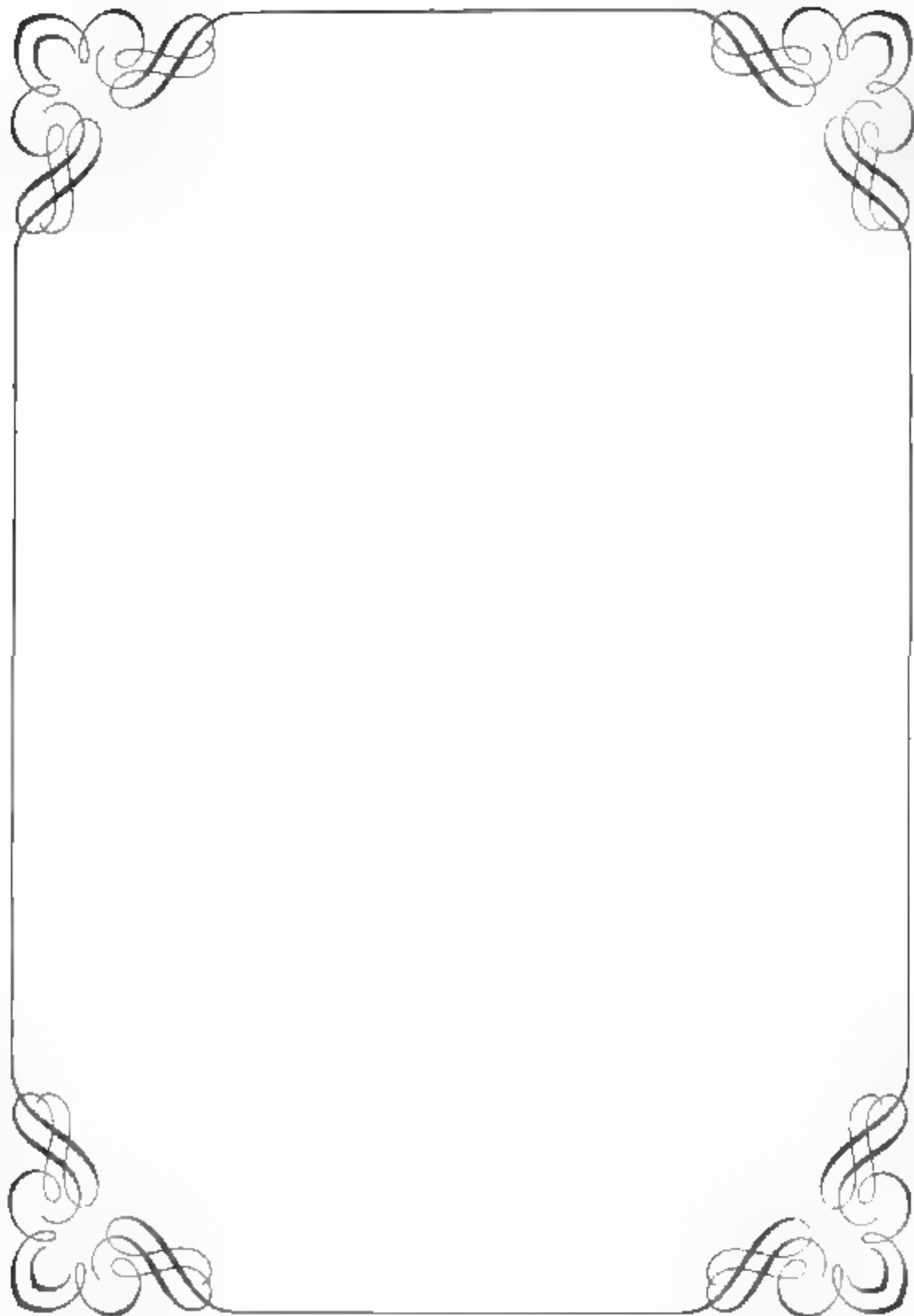
أسفي عليك نحت أصناماً آخر
أسفي عليك صُهرت في نار الفرن
أسفي عليك فما وُزنت بنظرة
أسفي عليك قرأت أسفار العقو
أسفي عليك تطوف من دير إلى

عوداً ولم تبحث بقلبك عن أثر^(١)
حج ومن لحاظ العين روحك قد قطر^(٢)
في حلة فيها التراب له قدر
ل وما فهمت حديث وجد يُستطر
حرم وفي معنك لم تُجد النظر



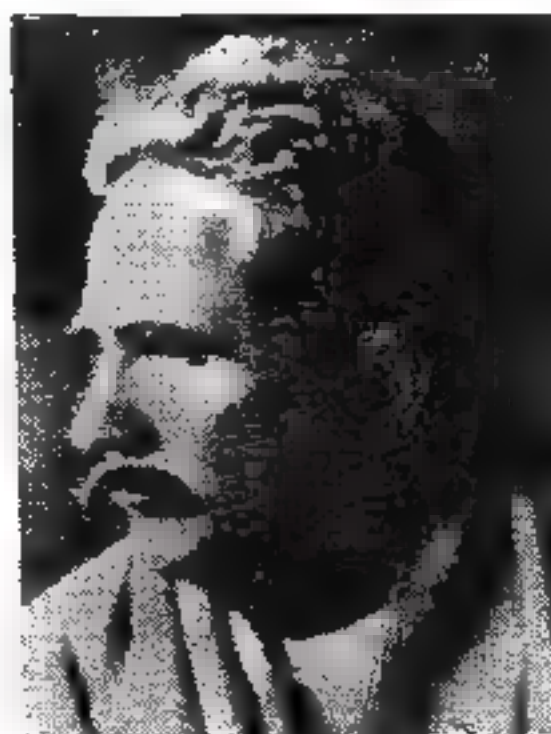
(١) هذه الأبيات مردوفة في الأصل تكرر في أواخرها الكلمة التي ترجمتها «أسفي عليك» ، وقد كررتها في أول كل بيت .

(٢) ذاب في نار الفرنج وأنى نفسه بالنظر إليهم وتقليدهم .



القسم الرابع

نقش الإفريج





سید علی
محمد علی

طرح نو انداز اندر جان خویش
تمازه کن با مصطفی پیمان خویش

نقش الإفرنج

عالم الإفرنج جهرا :
 زاده التحليق أسرا
 منه هذا العقل فرأ
 بالأكبر أدرى
 حينما تبصر زهرا
 هو أجلى منه يُدرى
 ز مسيح نلت خيرا^(١)
 داؤه عندك أشرى^(٢)
 سب لا ترغب فيه
 ضاع في كف سفيه
 ليس فيه من نهايه
 والعشق بدايه^(٣)
 يقظات بالعمسايه
 هو في الفتنة آيه
 إلى القلب سرايه

أبلغني يا ربح عني
 إنما العقل أسير
 يتحدى العشق برقاً
 سحر العقل ، وكان العشق
 تبصر الأعين لونا
 وراء اللون معنى
 ما عجبنا أن إعجا
 قد عجبنا لمريض
 تجمع العلم وتلقي القل
 آه ذا نقد ثمين
 إنما الحكمة أمر
 ليس في كتابها للحب
 قطعت سبل قلب
 ذات طرفة ذي كلام
 ودلال لا ترى فيه

(١) الخطاب لعالم الإفرنج .

(٢) شري الداء : إذا اشتد ، وأشرى للتفضيل ، يعني : أنه كاليسوع في المعجزات ، ولكنه لا يشفي .

(٣) أي : ليس في كتابها ألم العشق وحزنه كما يرى القلم .

ليس فيها لذة الوخ
طسوت اليد ولم تظ
طافست البستان لم تب
فَهَلُّمُوا نَسْأَلُ الْعِشْقَ
واقصدوا العشق سُجودا



زرة من غمز الرعايه
غمر بظبي في النهايه
لمغ من الأزهار غايه
سداداً ورشاداً
وابلغوا منه مُراداً

سلكَ العقلُ طريقاً
ملا العالمَ مرجاً
في يديه كمياء
لم يَضَعْ إكسير حبٍّ
سحره قد خال فنا
ذاك قطّاع طريق
فنه قد هدم الأفرن
ثمّ في مُقلّة عيني
كم زرعنا من شرارٍ
كم عقدنا وحلّنا

ذا شعاب حين مارا
وأصاّر الماء نارا
ردّت الرمل نضارا
في قلوب أو أنارا
فقبلنا جهارا
قطّاع الثبل نهارا
سج والنقع أثارا
ذرّ من ذاك عبّارا
وحصّنا من لهيب
عقداً فوق القلوب



أين من خفق الشواهي
أين من يلقط من حب
من فتسى يلقط عتقو
أين من يسري بروضي
من بصير في ضمير الزه
أين فوق الأرض ظنّ
من طمّوح جاوز الأفلا

من جناح العندليب
على الأرض تريب
د الثريب لا يخيب
كنسيم في هبوب
سر للسر يصيب
سار أو شكّ مسريب
ك للمنرى الرّحيب

حَبْذاً عَقْلٌ فَسِيحٌ
 نَوْرُ أَمَلِكُ وَنَا
 نَحْنُ مِنْ خَلْوةِ عَشْقٍ
 فَجَعَلْنَا مَوْطِئَ الْأَقْدَا
 فَاَنْظُرُنْ هَمَّتْنَا كَيْ
 قَدْ أَضَعْنَا الْكَوْنَ جَهْرًا
 قَدْ نَزَلْنَا شَطْطَ نَهْرٍ
 تَبَصَّرُ الْأَعْيُنُ سَطْرًا
 قَلْبُنَا بَيْتُ هَذَا الدَّيْرِ
 فَرَمَى النَّارَ بِرُطْبٍ
 شَعْلَةً كُنَّا جَمِيعًا
 أَهْلَ شَوْقٍ وَحَنِينٍ
 أَصْبَحَ الْعَشَقُ غَوِيًّا
 فَتْنَةً لِلنَّاسِ فِيهَا
 أَثَرُ الْحَرْبِ عَلَى الْخَفَضِ
 لَمْ يَرَوْا التَّيْفَ إِلَّا
 قَطَعَ الطُّرُقَ وَسَمَّى الْـ
 أَخَذَ الدَّفَّ وَغَنَّى
 رَافِعًا فِي الْكَفِّ كَأْسًا
 حَانَ أَنْ نُحْدِثَ نَهْجًا

قَدْ أَحَاطَ الْعَالَمِينَ
 رَ الْأَنْسِ فِيهِ دُونَ مِينَ
 قَدْ بَرَزْنَا بِالسَّجَايَا
 مَ فِي الْأَرْضِ مَرَايَا
 فَعَلَبْنَا بِالْعَطَايَا
 حِينَ حَزَنَاهُ خَفَايَا^(١)
 نَبَصَّرُ الْمَوْجَ مَرَايَا
 مِنْ غُدُوٍّ وَعَشَايَا
 لَا يَبْغِي سَبَايَا^(٢)
 وَيَبْسِي فِي الْبَرَايَا
 وَانْتَشَرْنَا كَالشَّرَرِ
 وَرَجَاءٍ وَنَظَرِ
 قَاطِمًا كُلَّ وَكَاءٍ^(٣)
 خَفَقُ حَوْتٍ فِي الْعَرَاءِ
 وَعَبَّيَ لِلْقَاءِ
 مِنْ صَدُورِ الْأَوْفَاءِ
 قَطَعَ جَفْظَ الْأَمْنَاءِ
 رَاقَصًا دُونَ حِيَاءِ
 مِنْ دُمَاءِ الْأَصْفِيَاءِ
 وَنَجَدَ النُّظْرَا

(١) يعني : استولينا عليه بقوة أرواحنا ، وبذلته أيدينا احتقاراً .

(٢) في الأصل : الدَّيْرُ الْقَدِيمُ ، وهو كناية عن الدُّنْيَا .

(٣) أحسب الشاعر يقصد في هذه الأبيات إلى أَنَّ الْعَشَقَ ، وهو الوجدان السليم قد صار

هوىً وطمعاً ، ففعل ما فعل (المترجم) .

فأغسلن لوح فؤاد
 لحن إسكندر وألى
 وأتى فرهاد يبغي
 يوسف فارق سجناً
 وخرافات زليخا
 كل سر كان يخفى
 ومضى حفل الندامى
 فافتح العين وأمعن
 إنما تبني الحياة اليوم
 أنا في الأرض بصير
 أبصر الذرات طراً
 وأرى الحبسة تحت الثرب
 ذات أصل وفروع
 وأرى الأطسواد ريشاً
 وأرى الرّيش ثباتاً
 وانقلاب ليس يحو
 قد أراه ليست أدري
 حبذا المبصر جهراً
 ويرى جوهر لحن
 بالحياة النّهر جار
 عاتق الرّاح فتى
 كل أهل لوجود
 ووجود غير أهل
 أنما العشق عيون
 ومنى الحسن ظهور

وأجد الأسطرا
 وتقضى لحن دارا
 ملك برويز جهارا
 وعزير الملك صار
 ورقاهما تنواري
 غشي الشّوق نهارا
 ويريق القول بارا
 لتري ما لا ترى
 كوناً آخر
 عارف سر الحياة
 كنجوم ناطرات
 من قبل نبات
 وثمار يمانات
 في رياح قلبات
 كجبال راسخات
 به ضمير الكائنات
 كيف في العين يواتي
 فارساً في ذا القتر
 في اهتزاز بالوتر
 وسيجري في مضاء
 وسيفي في فتاء
 سوف يحظى بالضياء
 سوف يحويه الفناء
 ترقب الحسن ظمء
 وسيبدو في جلاء

إِنَّ هَـذِي الْأَرْضَ فِيهِـا لِي دَمَوْعٌ مِنْ دَمَاءِ
 يُسْرِى الدَّمْعُ عَقِيقاً فِي حَشَاهَا ذَا بَهَاءِ
 « فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ جَاءَتْ نِي مِنَ الصُّبْحِ بِشَارِهِ
 أَطْفِئِ الشَّمْعَ وَلَاخَتْ لِي مِنَ الشَّمْسِ أَمَارِهِ »^(١)

جمعية الأمم

بِؤْسَاءِ الْأَرْضِ رَامُوا مُتَنَاءً لَتَزُولَ الْحَرْبُ فِي هَذِي الْعُصُورِ
 وَسَمِعْنَا أَنَّ تَبَاشِي قُبُورِ شَرَكَةً شَادُوا لَتَقْسِمَ الْقُبُورِ

شوبنهاور ونيتشا^(٢)

طَارَ مِنْ عُنْتِهِ يَسِيرُ بِرُوضِي فَأَصَابَتْهُ شَوْكَةٌ مِنْ زُهُورِ
 لَعَنَ الرُّوضَ وَالزَّمَانَ وَنَادَى بِشُورٍ لِنَفْسِهِ وَالطُّيُورِ
 وَرَأَى وَسْمَةَ الشَّقَائِقِ جَوْرًا وَطَلَسَمَ الْبِرْعُومَ خَدْعُ خَبِيرِ^(٣)
 قَالَ ذِي الدَّارِ شَيِّذَتْ بِاعْوِجَاجِ كُلُّ صَبَحٍ بِهَا إِلَى دِيَجُورِ
 نَاحَ حَتَّى تَقَاطَرَتِ نَغَمَاتُ مِنْ دَمَاءِ ، بِدَمْعِ عَيْنِ غَزِيرِ
 وَشَجَا الْهَدَهْدَ النَّوَاحُ فَوَافِي يَنْزِعُ الشُّوكَ مِنْ جَنَاحِ الْكَسِيرِ

(١) هذا البيت يضمن في شعر إقبال وهو لغالب (الشاعر الأردوي المشهور) .

(٢) فيلسوفان ألمانيان معروفان ، الأول منشائم ، والثاني يعجب بالقوة واحتمال الشدائد في هذه الحياة .

(٣) في الشقيقة سواد يجعلها الشعراء وسمة من الحرقه . وطلسم البرعوم يريد به انطباقه وانبهاه كالطلسم .

قال : أخرج من كل خسر ك ربحاً مَرَّقُ الْوَرْدُ صَدْرَهُ لِلْعَبِيرِ
واجعل الجُرْحَ بِلِسْمَا فسترضى واثْلَفِ الشُّوكَ تَغْدُ كُلُّكَ رَوْضَا

الفلسفة والسياسة

لا تقيسوا فلسفياً بارعاً بياسي وبالعادل احكموا
ذاك عينٌ جهرت في شمسها^(١) وجمودُ عينٍ ذا لا ترحم
ذاك في الحق دليلٌ واهنٌ ذا لدى الباطل قولٌ مُحْكَمٌ

نيتشا

نارٌ من ضعفِ الأناسي قلبه فبرى الخلق المكمل لُبه
فتنة في الغرب من ذي جنون كان في دار الرُّجاجي ضربه

بايرن^(٢)

قطراتٌ رشحت من كأسه شعلَةٌ تنمو كوردٍ وشقيق
ذو رسالاتٍ بها حرُّ الجوى فرسولُ الحب منها في حريق
ضائق بالإنفرنج برداً طبعه فهو في الأوطان في غمٍ وضيق

(١) جهرت العين : لم تبصر في الشمس .

(٢) الشاعر الإنكليزي المعروف فاروق وطنه إلى بلاد اليونان لنصرة الثائرين بها ، ومات هناك .

وخيالي كم بنى من ملعب
جلوات للشباب اثقلت
طائر فارق عشاً ورأى

فيه للحوور مراح ويريق
فهو في الغشية منها لا يفيق
خلق الشباك^(١) أولى بالخلق

جلال وهيكل^(٢)

ليلة بك أعاني حلها
ذاك من أبرز في إبداعه
يخجل العالم من أفكاره
سرت في بحر له فالتطمت
نفت النوم بعيني سحره
وأحد الشوق طرفي فإذا
إنه الشمس تجلت في الضحى
نوره في مظلم الأفق سرى
تبت الأفكار في الفاظه
قال : قم يا أيها النائم ! هل
في طريق العشق بالعقل يسار ؟

مشكلات لحكيم الألمان
أبدى الكون من ستر لاني^(٣)
شاكياً ضيق زمان ومكان
سفن العقل بموج الطوفان
فحماني فكر باق أو فاني
نور وجه لحكيم رحماني
كل أفق بسناها توراني
كمنا في طريق الركب ان
مثل ما ينمو شقيق النعمان
تمخر السفن سراب القيمان
بسراج تبتغي شمس النهار^(٤)

(١) الشباك : الشبكة .

(٢) جلال الدين الرومي ، وهيكل الفيلسوف الألماني .

(٣) يريد أنه أدرك من الشيء المعرفة حقائق أبدية ، والاني نسبة إلى الآن .

(٤) البيت الأخير للرومي .

بتوفى

(شاعرٌ مجري قُتِلَ شاباً في الدِّفاع عن وطنه ، ولم يعثر على
بدنه لتبقى له ذكرى أرضية)

لعروسِ الرِّياضِ غَنَّتْ حيناً زدتَ قلباً جوى وأسليتَ قلباً
وخَضَّبَتْ الشقيق من دمك المسفوك وجُداً وجلّ ذلك خضيباً
كم بآءِ الصُّباح في المرجِ يري ، في صدور الأكمّام فَتَحَتْ قلباً
نغماتٌ من الجوى ذبت فيها في « مزار » القريض تُدفن حباً
والى التراب لم تعد بمماتٍ ذاك حقّ فليس أصلك تراباً

جلال وجوته (١)

شاعر الألمان في رَوْضِ إرم (٢)
شاعرٌ يشبه ذا العالي الجناب
قصٌّ للعارفِ بالسُرِّ القديم
فأجابَ الشُّيخُ : يا رب العلاء
قد خلا فكركَ في القلبِ السليم
فرأيتُ الدرّ في قاع البحار
فاز بالصحة من شيخ العجم
ما نبياً كان لكن ذو كتاب (٣)
ما وعى إيليسُ والشيخُ الحكيم
أنت صيادٌ ولكن في السماء
فأجدُ الرُّوح في الكون القديم
وديبَ الرُّوح من خلف الستار

(١) شاعر الألمان جوته صاحب القصة المعروفة فوست . وفي هذه القصة يبين الشاعر درجات تطور الإنسان في إطار من رواية قديمة عن العهد الذي كان بين الحكيم فوست والشيطان ، وقد بلغ فيها الفرقُ درجةً لا يدركها الخيال .

(٢) يقصد الشاعر بإرم الجنة .

(٣) شيخ العجم : جلال الدين الرومي ، والبيت الثاني من قول الجامي عن الرومي : ماذا أقول في هذا العالي الجناب - لم يكن « نبياً » ولكن له كتاب - .

ليس كلُّ قد تجلَّى العشقُ له ليس كلُّ أهل هذي المنزل
 قد تجلَّى لسعيد الممي مكرُّ إبليس وعشقُ الآدمي^(١)

رسالة برغسون^(٢)

إذا ما شئت أن تحظى بسرُّ تبوح له الحياة لمستجيب
 فلا تبعذ بنفيسك عن لقاها كما جفل الشرار عن اللهيب
 ولا تصحب سوى نظير عريف ولا تمرر بأرضيك كالغريب
 وما صورتك وهم فاعدد لعقل شب في أدب القلوب

حانة الفرنج^(٣)

عهد حانات فرنج ذكّرني يا خليلي !
 ربّت الخمرة فيها عين خمار جميل
 نظرة الساقبي رسالا مث لشراب الشمول
 عقلها الخاتر غاز عشقها كل سبيل
 جوها ما أشعلته نار آهات الحيارى
 ليس فيها من خليع فيه ترنيح السكرى

(١) البيت الأخير لجلال الدين الرومي .

(٢) فيلسوف فرنسي .

(٣) يقصد الشاعر في هذه الأبيات إلى ما يعوز الإفرنج من الإيمان وحرارة الوجدان .

حكماء^(١)

لوك^(٢)

فارغ الكأس أتى الروضَ شقيق^(٣) يملأ الأكواب من شمس الضحى

كنت^(٤)

فطرة ضاءت شراباً ولها نجم كأس من حريم الأزل

بگسون

ماله من أزل خمراً وكأس ناره من حرقه القلب الشقيق

شعراء

برونگی^(٥)

ليس في كأس الحياة البرد ناز فبماء الخضر كأسی أملا^(٦)

بايرن

منة للخضر لا تلهبُ صدري فبماء القلب كأسی أملا

(١) صور الشاعر كلاً من هؤلاء الفلاسفة بيت . وهذه الكنايات لا يدركها إدراكاً تاماً إلا من عرف هؤلاء الفلاسفة ، وعرف خصائص كل منهم .

(٢) فيلسوف إنكليزي .

(٣) شقائق النعمان .

(٤) فيلسوف ألماني .

(٥) شاعر إنكليزي .

(٦) ماء الخضر : عين الحياة التي شرب منها الخضر ، فخلد ، وحرّمها إسكندر .

لأزيد الخمرَ والصُّدرَ لهيباً أصهر الذَّنَّ وكأسي أملا

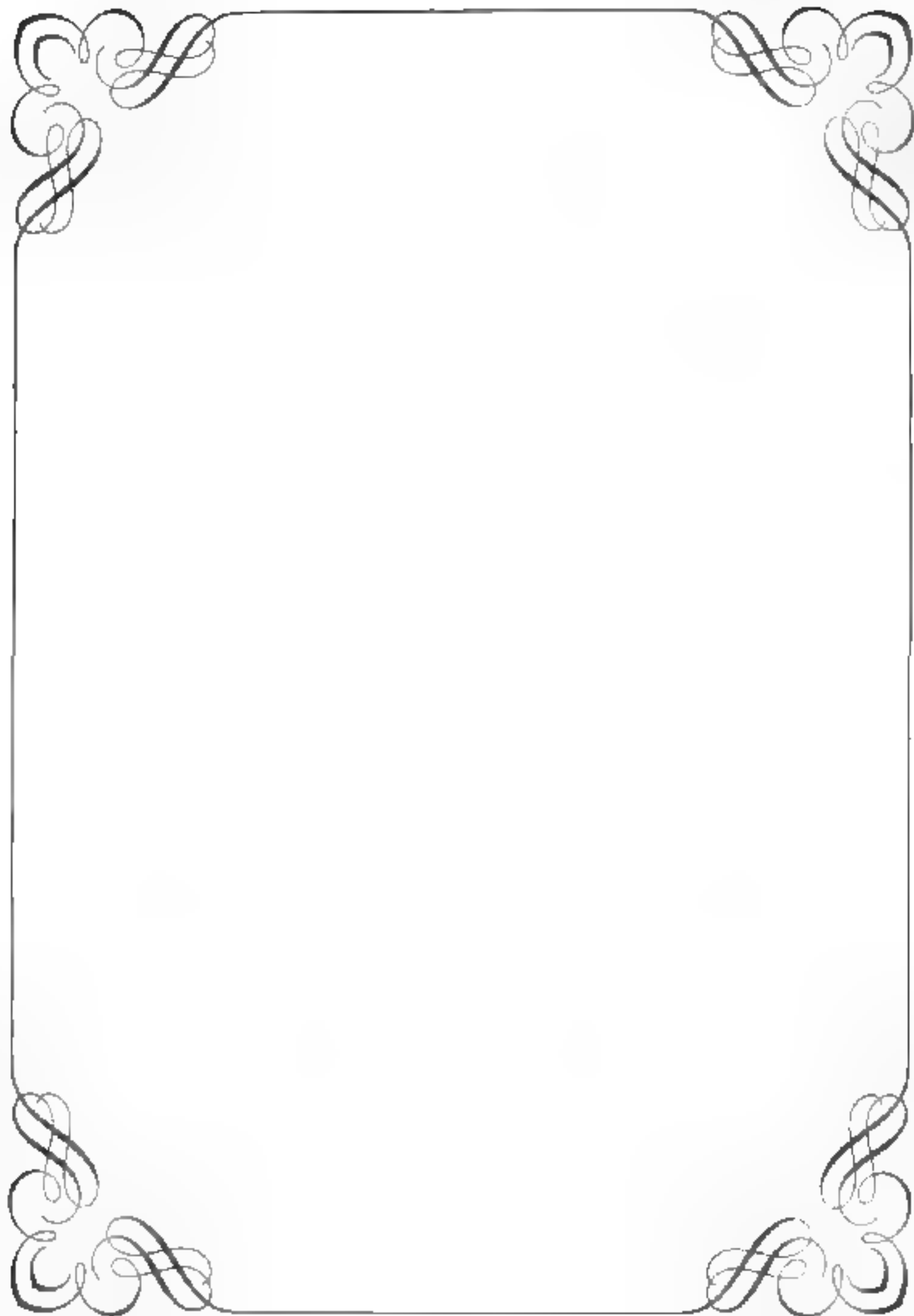
جلال الدين الرومي

أين مزجُ مِنْ سنا جوهريها مِنْ عروقِ الكَرَمِ كأسِي أملا

حانات الفرنج

أمسي في حانة الفرنجة وهنأ راعني قولُ ماجنٍ ذي خلاعه
قال : لست كنيسةً تغشاهما في دُمى للغناء تبغي سماعه
إنها حانةُ الفرنج وفيها كلُّ ما ذمّه البرية طاعه
قد وزنا الأعمالَ فيها بوزنٍ غير ما حَسَنَ الأنامُ اصطناعه
لا تزنُ وزنَ أُمّةٍ ذات دينٍ رثَ ميزانهم فحاذر متاعه
كلُّ قبحٍ يزيدُ جاهك ، حسنٌ كلُّ حسنٍ يضُرُّه فهو شناعه
إن تفكّرت فالحياة رياءٌ وبها الصُّدقُ قولةٌ خدّاعه
إنما الصُّدقُ والوفاء حجابٌ يُحرمُ السَّاعي الغريزُ ارتفاعه
شيخنا قال : مؤمنٌ كلُّ صُفرٍ بنضارٍ وزيقنُ كلُّ ساعه
ذاك سرُّ الحياة لا تفشينه تريحنُ في يديك كلُّ بضاعه

(١) أسد الله غالب شاعر بالفارسية والأردية ، يُعتبر شعره حجة باللغة الأردية ، توفي سنة ١٨٦٨م وهذا البيت لغالب نفسه .



القسم الخامس

وقائع





طرح نو انداز اندر جان خویش
تازه کن با مصطفی پیمان خویش

رقائق

ذَرَاتُنَا ثَمَرَةٌ تَهْدُرُ بِأَنْفَاسِنَا مَحْشَرٌ مَضْمُرٌ
لَقَدْ أَفْصَحَ الْخَضِرُ فِي الظُّلُمَاتِ عَلَى حِينِ صَاحِبَةِ إِسْكَنْدَرُ
عَسِيرٌ عَلَى النَّاسِ فَهَمُّ الْعِمَامَاتِ وَفَهُمُ الْحَيَاةُ لَهُمُ أَغْرُرُ

حَبَّةُ الدُّرِّ تَعْرِفُ الْبَحْرَ لَكِنْ أَيُّ عِلْمٍ لَهَا بِدَوْرِ الرَّحَى ؟

يَصْرُ الْبِرَاعِ لِإِعْوَاذِ لَبٍّ^(١) فَلَيْسَ لِمَرُودٍ كَحَلٍّ صَرِيرِ

طَفْتُ بِالْبَيْتِ حَامِلًا أَصْنَامِي وَأَمَامَ الْأَصْنَامِ « هُو » قَدْ جَارَتْ^(٢)
وَفُؤَادِي يَسِيرُ خَلْفَ طِلَابِ فِي طَرِيقِ كَشْعَرَةٍ قَدْ مَرَزَتْ
يَقُولُ وَرْدُ رَوْحِي : عَيْشُ الرَّبِيعِ أَحْلَى وَصَبِيحُ مَرْجٍ عِنْدِي مِنَ الْجَمِيعِ أَحْلَى
مَنْ قَبْلَ جُورِ كَفِّ لَزِينَةٍ تَقْطِفُنِي مَوْتُ بَحْضِنِ نَضْرِ مِنَ الْفُرُوعِ أَحْلَى^(٣)

يَا صَاحِبِي ذَاكَ قَوْلٌ عَلَى الْحَيَاةِ دَلِيلٌ

(١) يعني لأنه فارغ الجوف .

(٢) صاح بلفظ « هو » يريد الله تعالى .

(٣) وهذا مثال آخر من زيادة التفعيلات على المعهود في العربية وفي القافية المردوفة .

النُّومُ مَوْتُ خَفِيفٌ والمَوْتُ نَوْمٌ ثَقِيلٌ

إِنْ تَكُنْ لِلْعَفْوِ لَسْتُ بِأَهْلٍ فإِلَى الْأَعْدَاءِ فَأَقْصِدْ بِحَقِّكَ
لَا تُقِمْ فِي الصَّدْرِ مَصْنَعَ حَقْدٍ لَا تَصِبَّ الْخَلَّ فِي كَأْسِ شَهْدِكَ
دَعْ التَّكَالَ عَنْ طَبْعِ دَقِيقٍ يَشُقُّ الشَّعْرَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ
لشَاعِرِنَا زَجَاجَاتُ رِقَائِقٍ تحطمنهنَّ أَنْفَاسُ النَّسِيمِ
أَيُّغِي وَصَفَ حَرْبٍ فِي حَيَاةٍ « حَبَابٌ ضَاعَ فِي لَجٍّ عَظِيمٍ ؟ »

امْضِ فِي الدُّنْيَا كَنَهْرٍ فِي جِبَالٍ وَاَعْرِفِ الْأَغْوَارَ فِيهَا وَالنُّجُودَا
أَوْ مِثَالَ السَّبِيلِ فَاجْرُفْ كُلَّ شَيْءٍ لَا تَبَالِيهِ هَبْوَطاً أَوْ صَعُودَا

تَطُوفُ الْوَرْدُ ! لَا تَجْزَعْ لِشَوْكِ كَذَاكَ الشَّوْكُ مِنْ نَفْسِ الرَّبِيعِ

لَا تَبْتَغِ الْخَضَابَ وَالتَّلَوِينَا لِبَسِّ الشَّبَابِ سَرَقَةُ السُّنِينَا

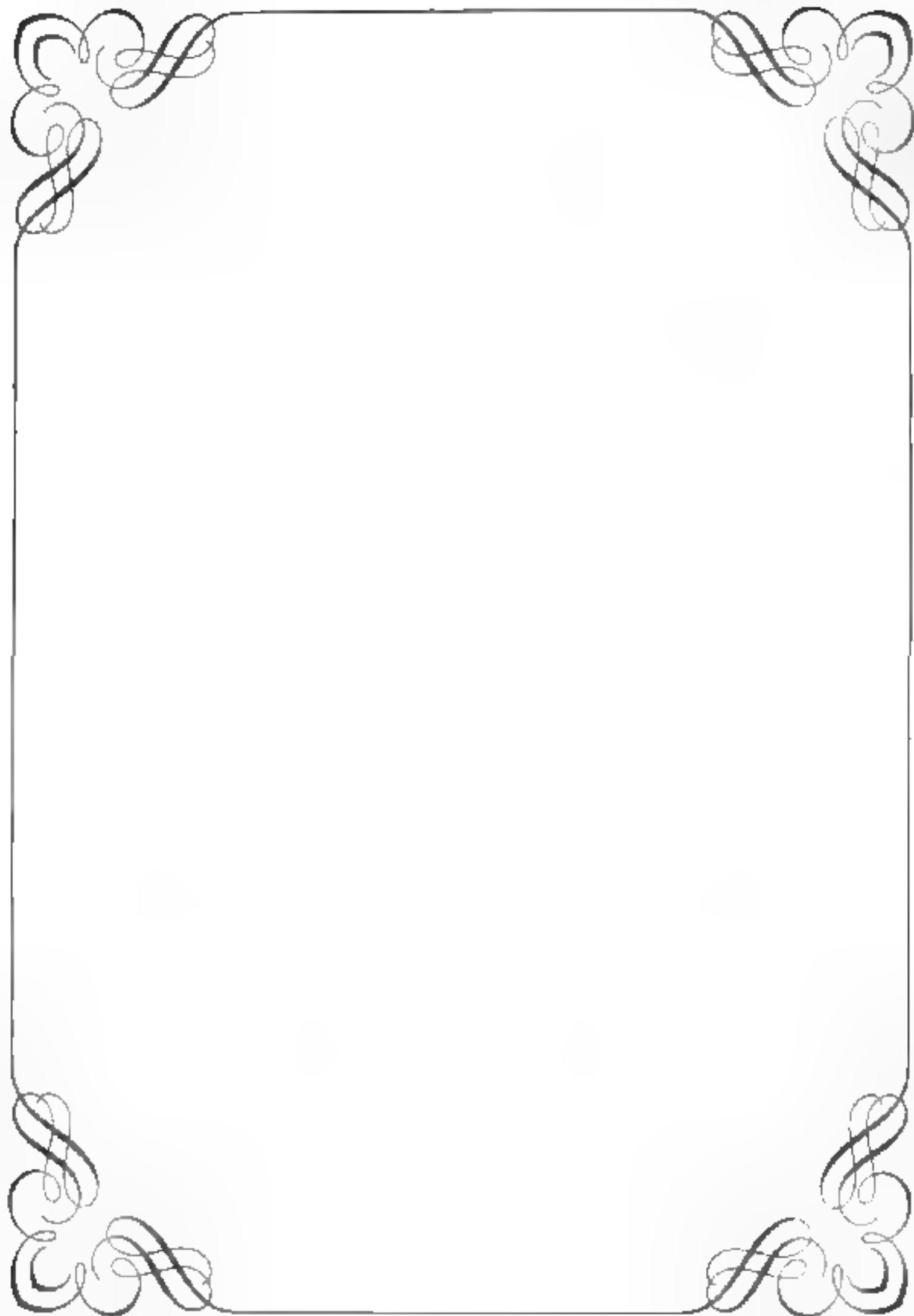
رَأَيْتُ الْعِشْقَ يَأْبَى كُلَّ وَغْدٍ كَمِيتِ الطَّيْرِ تَأْبَاهُ الضُّقُورِ

يَبُورُ الشَّعْرُ فِي الْأَسْوَاقِ تَقْدَاً فَلَا تُخِزْ بِفَضَّةٍ يَاسْمِينِ

انتهى

اللُّمَعَات





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بدأت هذه المنظومة حينما قرأت منظومتي إقبال : « أسرار خودي » ،
« رموز بي خودي » ونشرت الأبيات الأولى منها ، ثم شغلت عن إتمامها ،
فلبث أعاد النظم فيها حيناً بعد حين .

فلما أشرفت ترجمة « پیام مشرق » على النهاية عزمْتُ على إتمام
المنظومة ، فتمت بحمد الله .

وهي مهداة إلى الشاعر العظيم إقبال اعترافاً بفضلِهِ .

(عبد الوهاب عزام)



أَيْهَا اللَّيْلُ ! إِلَيْكَ الْمَفْزَعُ
 كَمْ خَفِينَا فِي غِيَابَاتِ الدُّجَى
 كَمْ أَلْفَتْكَ اللَّيْلُ أَمَّا حَانِيَةً
 كَمْ أَلْفَتْكَ اللَّيْلُ وَحِشاً رَاقِبَا
 كَمْ بَشَّتْكَ اللَّيْلُ سِرّاً كَتَمَا
 كَانَتْ الظُّلُمَاءُ لَوْحاً لِّلْأَلَمِ
 كَانَ لِي اللَّيْلُ مَدَاداً فَتَقَدَّ
 جَاشَتْ الظُّلُمَاءُ مَوْجاً بَعْدَ مَوْجٍ
 فَنَيْتَ هَذِي ، وَهَذَا زَاخِرُ
 نَخَلْتَنِي فِي اللَّيْلِ جَمِراً سَمِراً
 إِزَّةً قَدْ وَقَدْتُ فِي أَضْلَعِي^(١)



خَطَّاهُ فِي غَيْبِ اللَّهِ الصَّمَدِ
 حَرَّتْ فِي الإِعْرَابِ عَنْهُ بِالكَلِمِ
 خَطَّ شَيْءٌ فِيهِ إِلَّا الْحَرْفُ « مَا »^(٢)
 صُورُ الْأَقْطَارِ فِيهِ تَنْتَظِمُ
 أَحْرَفٌ أَوْحَتْ إِلَى مَعْنَى بَعِيدِ

كَنتُ سَطِراً لَمْ يُفْسَرْ أَحَدُ
 فِي ضَمِيرِي كُلُّ مَعْنَى مِنْهُمْ
 قَدْ ثَوَى الْعَالَمُ فِي قَلْبِي وَمَا
 جَلَّ قَلْبِي أَنْ أَرَاهُ جَامِجَمَ^(٣)
 إِنَّمَا الْأَقْطَارُ فِي قَلْبِي الْعَمِيدِ

(١) الإزَّة : جبل النار .

(٢) يعني : لم يكن العالم في قلبه إلا نغياً .

(٣) جام جم أو كأس جمشيد ، في خرافات الفرس : كأس كانت تُرى فيها الأقاليم السبعة .

ليس في الناس عليه مَحْرَمٌ^(١)
أتراني مسمعاً من في القبور^(٢)
ناطقٌ فيهم كأني أبكم
ضاع في ضوضائهم هذا الأذان !
وعلى الأذان ران الصمم ؟
قلبه رخوٌ خالي من شر
بعضه يوري ، وبعضٌ يضلُّد
طفىء الجمر ولم تور الزناد !

ربّ معني في ضمير يكتم
وقلوب رمسها هذي الصدور
أنا في الناس فصيحٌ أعجم
صمت الأذان عن هذا البيان
كيف يُجدي القوم هذا النغم
كيف يُجدي القذخ في هذا الحجر ؟
إن خفق القلب قدحٌ مُجهَّد
كيف يُجدي التفخ في هذا الرماد



ثم يلتفت عليه الغسق
فيه بين الغيب والومض وضوح
فهو سطرٌ من غيابٍ وحضور^(٣)
قامت الأنجم فيه نصبا
كيباض الطرس يعلوه العداد
ألقت منه سطورٌ وضّح
وكان الضوء تفصيل الظلم
أعجمت معناه تلك النقط
وحوى الأحرف سطرٌ مظلم^(٤)

يخرق الليل شعاعٌ يخفق
كمنار البحر يخفى ويلوح
أو يراعى الليل يخفى ويثير
تارة يبدو طريقاً لجبا
أو يباناً من يياض وسواد
كل لون فيه حرفٌ مُفصّل
وراء تارة خطاً أجسم
فهو سطرٌ من ظلام أرقط
كل لون فيه حرفٌ أعجم

(١) المَحْرَم هنا : الأمين على السر ، كما يؤمن المحرم من الأقارب على الحرمات .

(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] .

(٣) هذا من قول إقبال : أي كرمك شبتاب سرايا تو نوراست برواز توبك سلسله غيب وحضور ست (يا براعة الليل كلك نور ، وطيرانك سلسلة من الغيبة والحضور) .

(٤) حاصل المعنى في هذه الآيات : أن النفس تارة تدرك إدراكاً واضحاً ، وتارة تُغم عليها الحقائق .

يا لبينى أوقدي ، طبال المدى
أوقدي يا لبن قد حاز الدليل
ارفعى النار وأذكى جمرها
شردي هذا الظلام الجائما
حبذا النار بليل توقد
حبذا عندك هذا النزول
مالذا المنزل قد سار الفريق
قد ترحلنا من الفج العميق
رناً في آفاقنا هذا النداء
قد غنينا عن مبيت ومقيل
وعن الرغبة والخوف سوى
نحن لا نرضى بنار الفسق
نحن لا نرضى بنجم الضبح لاح
نحن لا نرضى نجوماً لامعه
قد رحلنا بالجوى والحرق
أين منا طائرات سبق
نحن ركب في جواه موضع
كل حُر ضاق عنه الموطن

أوقدي علّ على النار هدى^(١)
أوقدي النار لأبناء السبيل
علّ هذا الركب يعشو شطرها
أرشدني هذا الفراش الهائما
حبذا المؤنس هذا الموقف ؟
لو حوانا في سفار منزل
إنما النيران أعلام الطريق
لا نبالي بقريب أو سحيق
فأمننا البيت يحدونا الرجاء^(٢)
وعن الأمواه والظل الظليل
خلع النعلان في وادي طوى^(٣)
نحن لا نرضى بنور الشفق
لا ولا نرضى تباشير الصباح
إنما نبغى شموماً طالعه
وغنينا عن رسيم الأينق
جمع الغرب لها والمشرق
لم يسغه في جواه موضع
وانطوى دون مناء الزمن

(١) إشارة إلى الآية في قصة موسى : ﴿ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَاقِبًا أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هَدًى ﴾ [طه : ١٠] .

(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج : ٢٧] .

(٣) النعلان هنا كناية عن الرغبة والخوف والإشارة إلى الآية في قصة موسى : ﴿ إِنِّي أَنَارُكَ فَالْخَلْعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [طه : ١٢] .

كُلُّ طَائِرٍ عَلَى مَتْنِ الْفَكْرِ
طَائِرٌ مِنْهُ يَغَارُ الْمَلِكُ
بَارِقٌ فِي اللَّوْحِ لَا يَنْطَفِئُ
زُودِنَا بِهِيَامٍ وَوَجِيبِ



وَعَلَى مَتْنِ هِيَامٍ لَا يَقْصِرُ
طَائِرٌ مِنْ تَحْتِهِ ذَا الْفَلَكِ
كُلُّ غَايَاتٍ لَدَيْهِ مَبْدَأُ
زُودِي يَا لُبْنَ مِنْ هَذَا اللَّهَيْبِ

جَالَ فِي الظُّلُمَاءِ نَوْرٌ مِنْ نَعَمِ
أَشْعَاعٌ فِيهِ صَوْتُ صَائِحِ
أَذَنَ الرُّكْبِ لِهَذَا الْمُنْشِدِ
سَالَ فِي الْقَلْبِ مَيْلَ الْمَطَرِ
أَوْ خَرِيرِ الْمَاءِ مِنْ نَبْعِ زُلَالِ
رَنٌّ فِي نَفْسِي رَنِينَ الْجَرَسِ
طَوَتْ الْيَدَاءُ عَنْهُ السَّابِلُ
سَبَقَ الْقَلْبُ إِلَيْهِ الْأَذْنَا
دَارَ قَلْبِي شَطْرَ هَذَا الْمَطَرِ
« غَنِّي يَا مَنِيَّتِي ! لِحْنِ الثُّشُورِ
عُدْتُ يَا عَيْدِي إِلَيْنَا مَرْجَا



وَمِنْ الْهَاتِفِ بِالْقَلْبِ الْكَسِيرِ ؟
وَمِنْ الْبَارِقِ فِي هَذِي الْغَيُومِ ؟
هَادِيًا فِي الْأَرْضِ جَيْلًا مَظْلَمًا ؟

حَبْذَا الصَّوْتُ فَمَنْ هَذَا الْبَشِيرِ ؟
وَمَنْ الْمُشْعَدُ فِي هَذِي الْهَمُومِ ؟
وَمِنْ الْهَابِطِ فِي نَوْرِ السَّمَاءِ

(١) المنشد في الشطر الأول ، منشد الشعر ، وفي الثاني : الذي يدك على الضالة ،
والناشد : مَنْ ينشدُها .

(٢) جاء هذان البيتان بألفاظهما العربية في مثوي جلال الدين الرُّومِي .

وَمِنِ الْهَادِي إِلَى أَرْضِ الْحَبِيبِ
وَمِنِ النَّائِقِ شَطْرَ الْحَرَمِ
وَمِنِ الْقَارِيءِ فِي بَيْتِ الْقَنَمِ
وَمِنِ الْحَرِّ الَّذِي قَدْ حَطَمَا
وَمِنِ الْأَبِي عَلَى كُلِّ الْقِيُودِ
وَمِنِ الْبَاعِثِ فِي مِيتِ الْأُمَمِ
لَاخَ كَالْغُرَّةِ فِي هَذَا السَّوَادِ
جَرَفَ النَّاسَ أَتَيْ مَزِيدَ
وَطَفَى اللَّجْجَ عَلَيْهِ وَالتَّطَلَّمَ
عَارِضَ الْمَوْجِ عَلَى أَغْمَارِهِ
سَبَحَ اللَّجْجَ وَبِالشَّطِّ اسْتَقَرَّ
يَجْرِفُ الْتَّيَّارَ جَمًّا جَامِدًا
إِنَّ عَزَمَ الْحَرَّ بَحْرًا مُزِيدًا
هَذِهِ الْأَقْدَارُ فِي تَسْيَارِهَا
وَمِنِ الشَّاعِرِ يُذَكِّي الْقَافِيَةَ
تَقْشَعِرُّ الْأَرْضُ مِنْ أَوْزَانِهِ
وَكَأَنَّ الدَّهْرَ صَوْتٌ كَثِيرًا
هُوَ بِالشَّعَارِ بَحْرٌ فَائِضٌ
حَدَّثَتِهِ الْأَرْضُ عَنْ أَخْبَارِهَا
هُوَ بِالْأَمَسِ خَبِيرٌ يَقْدِرُ
كَشَفَ اللَّهُ عَنِ الْغَيْبِ لَهُ
عَرَفَ الشَّرْقَ وَرَادَ الْمَغْرِبَ

يعرف النهج وقد حاز اللبيب ؟
والى الأصنام سيّر الأمم ؟
سورة الإخلاص في هذا النغم ؟
من قيود الأسر هذا الأدهما ؟
وَمِنِ الْقَاطِعِ أَغْلَالَ الْعِيدِ ؟
ثورة العزّة من هذي الهمم ؟
بصر كالجمرّة في هذا الرّماد
ضلّ فيه المقتدي والمُرْشِدُ
فرساً كالصّخر في هذا الخضم
وطوى اللّجج على تيّاره
داعياً والناس غرقى في النّهر
تَقْذِفُ اللَّجَّةُ قَلْباً خَامِداً
جائش في الدّهر لا يَتُّبِدُ
همم الأحرار في أسفارها^(١)
فهي نور وهي نار حامية ؟
وبهم النّجم من الحاناه
قد حكاه الشعر لحناً مطرباً^(٢)
وهو للأزمان قلب نابض
وحبته الرّهر من أسرارها
وهو اليوم نجى الأبد
فلسان الغيب يُنْلي قوله
فانجلي السّر له ما كُذِّبَا

(١) هذه : مبتدأ ، وهمم : خبر .

(٢) يعني : أن الدّهر أمام الشّاعر كعلامات الموسيقى ، والشعر قراءة هذه العلامات .

جَاهِدْ فِي الْخَيْرِ لَا يَتَّخِذْ
وَفَقِيرٌ وَغَنَاءٌ لَا يُخَسِّدُ
عَزْمُهُ فِي صَدْرِهِ يَتَّقِدُ
فَقْرَهُ اسْتَغْنَاؤُهُ عَنْ كُلِّ يَدٍ
هُوَ بِاللَّهِ وَفِي اللَّهِ غَنِيٌّ
ضَاقَ عَنْ هَذَا الْغِنَى كُلُّ ثَرِيٍّ

صغار الهمم

إِنَّ فِي النَّاسِ قُلُوبًا جَامِدَةً
هَمُّهَا مَا يَتَغَيَّرُ الْجَسَدُ
حَدَّثَتْ آرَائُهَا آفَاقُهَا
لَا تَبَالِي حِينَ تَبْغِي أَرْبَا
إِنَّمَا قَانُونُهَا أَهْوَاؤُهَا
وَتَرَى أَهْوَاءَهَا تَغْلِبُهَا
وَالِى الْأَرْضِ تَرَاهَا مُخْلِدَةً
إِنَّمَا آفَاقُهَا هَذَا الْبَدَنُ
إِنَّمَا أَحْيَاؤُهَا كَالرَّمَمِ
جَذْوَةُ الْإِقْدَامِ فِيهَا خَامِدَةٌ
كُلُّ مَا تَهْوَى طَعَامٌ وَدَدٌ
فَحَكَتْ فِي ضَبَقِهَا أَخْلَاقُهَا
عُمُرَ الْكَوْنِ بِأَمِّ خَرِيبَا
سُخَّرَتْ فِي نَفْعِهَا آرَاؤُهَا
كُلُّ حِينَ فِي هَوًى يَجْذِبُهَا
لَا تُرَى نَحْوَ الْمَعَالِي مُضْعَدَةٌ
إِنَّمَا مَبْرَكُهَا هَذَا الْعَطَنُ
خَامِدَاتِ الْعَزْمِ مَوْتَى الْهِمَمِ

العالمُ مَعْبُدٌ

إِنَّمَا الْعَالَمُ طَرّاً مَعْبُدٌ
كُلُّ مَنْ أَدْلَى بِقَوْلٍ طَيِّبٍ
كُلُّ مَنْ أَحْسَنَ يَوْمًا عَمَلًا
كُلُّ مَنْ فِي أَرْضِهِ قَدْ زَرَعَا
كُلُّ مَنْ يَغْرِسُ مَخْضَرَّ الشَّجَرِ
كُلُّ مَنْ أَحْسَنَ ، فِيهِ يَعْبُدُ
يَنْبِثُ الْخَيْرَ كَفَيْتُ صَيِّبٍ
كُلُّ مَنْ أَحْيَا مَوَاتًا هَمَلًا
لَيَقِيتَ النَّاسَ وَالْعُجَمَ مَعَا
فِيهِ لِلْإِنْسَانِ ظِلٌّ وَثَمَرُ

كل من يَنْبِطُ بشراً في السبيل
كل من يبنّي بناءً حسناً
كل من أحدث علماً للبشر
كل من أحدث فكراً مُحْكَمًا
كل من جدّ وإن لم يجد
كل من أثار فيها أثراً
كل من في دهره قد أجملاً
كلهم لله نِعَمَ العابدُ
فاصطنع للخير فكراً ويدا



لا رهبانية في الإسلام

يحبسُ الأعمال والفكر معه
فتوى في ضيقه قد خَنَعَا
عابداً تخشى البرايا وجلًا
موضحاً فيه سبيلاً للنجاة
ذاكراً مولاه في كل عمل
يتصل بالحق لا يخش الفتن
إن يفكر ظالم في ظلمه
يطلبُ الرزق بعزم وجناح
لا يرى حول الدُّنْيَا حائماً
لو يراه الجوع يوماً ما أسفت
لم يطق صبراً عليه فهلك
فأسار الحرّ فيه مهلك

ليس منا من ثوى في صومعه
ضاق نفساً عن مجالٍ وسعا
ليس شيئاً أن تُرى معتزلاً
إنما العابد من خاض الحياة
أخذاً بالقذل ما عنه جُول
إنه بالحق موصول ومن
ثورة مضمرة في حلمه
أرايت الصَّقْرَ في متن الرِّيح
طائراً في الجو يسمو عازماً
ياكلُ الجوع ولا يرضى الجيف
فإذا الجدّ رماء في الشُّرك
ليس يحوي الحرّ يوماً شبك

يا فتى هذا الجهاد الأكبر
قل في الناس عليه صابر
يا أمير الوهم أقدم لا تبُلْ

عزماً الحِرُّ فيه تُخبر
ليس إلا الحِرُّ فيه ظافر
وامض فيمن صَحَّ عزماً وانكَل

معنى التَّوَكَّل

مَنْ يَنْمَ عَنْ سَعِيهِ لَا يَتَّكِلْ
مُقَدِّمٌ فِي أَمْرِهِ الْمُتَّكِلُ
عَازِمٌ مَاضٍ عَلَى خَيْرِ سَنَنِ
أَرَأَيْتَ الطَّيْرَ فِي نَوْرِ الصَّبَاحِ
إِنَّهَا تَخْرُجُ فِي كَفِّ الْقَدْرِ
طَالِبَاتِ الرِّزْقِ فِي كُلِّ رَجَا
يَا لَهَا مَنْ أَمَلِ قَدْ صَوَّرَا
أَرَأَيْتَ الْعَزْمَ فِي شَكْلِ جَنَاحِ
لَا يَصِدُّ الطَّيْرَ خَوْفُ التَّهْلُكَةِ
ضَرْبِ الْمُخْتَارِ هَذَا مَثَلَا
أَرَأَيْتَ الطَّيْرَ فِي أَوْكَارِهَا
ثَاوِيَاتٍ تَبْتَغِي أَرْزَاقَهَا
مَنْ وَنَى فِي سَعِيهِ لَمْ يَتَّكِلْ
إِنَّمَا التَّكْلَانُ عَزْمٌ وَعَمَلٌ

إِنَّمَا التَّكْلَانُ سَعْيٌ مُتَّصِلٌ
وَأَتَّقِ بِاللهِ فِيمَا يَأْمُلُ
لَا يَبَالِي بِعِقَابٍ أَوْ مِحْنٍ^(١)
تَطْلُبُ الرِّزْقَ بِعَزْمٍ وَجَنَاحِ
مَقْدَمَاتٍ لَا تَبَالِي بِالْخَطَرِ
تَمَلُّ الْجَوَّ وَثَوَقاً وَرَجَا
طَائِراً يَطْلُبُ رِزْقاً قُدْرَا
خَسَافَةً لَا يَنْتَشِي دُونَ التَّجَاحِ
أَوْ تَبَالِي بِطَرِيقٍ مَهْلِكَةٍ
لِلَّذِي يَسْعَى عَظِيماً أَمَلَا^(٢)
رَاجِيَاتٍ رِزْقَهَا فِي دَارِهَا ؟
لَيْسَ تَذْهَبُ مِنْ إِلَيْهَا سَاقَهَا
إِنَّهُ لِلْوَهْمِ وَالْعَجْزِ وَكُلِّ
إِنَّهُ الْإِقْدَامُ فِي ضَوْءِ الْأَمَلِ

(١) العقاب : جمع عقبة .

(٢) جاء في الأثر : لو توكلتم على الله حق التوكل ؛ لرزقتم كما ترزق الطير ؛ تغدو
خماصاً ، وتروح بطاناً .

إِنَّهُ الْحَزُّ إِلَى الْقَصْدِ سَعَى
هُوَ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ بَعْضُ الْقَدْرِ
مُنَنُ الْخَلْقِ فِي أَكْوَانِهَا
مَا لَهَا كَمَرُ اللَّيَالِي حَوْلُ

إِنَّهُ الْإِعْدَادُ وَالْعِزُّ مَعَا
إِنَّهُ التَّقْدِيرُ فِي سَعَى الْبَشَرِ
هِمَمُ الْأَحْرَارِ فِي إِيْمَانِهَا
سِنَةُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَبْدُلُ



غفلة بعض المسلمين عن معنى التوكل

مُقَدِّمَاتِي فِي الْمَعَالِي سَاعِيهِ
أَوْ مَنْ يَدْرُكُ هَذَا النِّعْمَا ؟
كُنْتُ فِي الْأَرْضِ جِهَاداً وَهُدًى
أَوْ لِلْقَلْبِ الَّذِي قَدْ صَدَّأَ
فِيضِيءُ الْأَرْضِ مِنْهَا شُعْلُ
خَمَدَتْ فَالْتَفَسَ عَجَزٌ وَرُكُودُ
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَدِيهِ مَنْ شَرُّ
عَلَّهِ فِي الْقَلْبِ يَذْكِي ضَرَمَا
عَلَّ جَمِراً مُحْرِقاً تَحْتَ الرَّمَادِ
عَلَّنِي أُمَحِّقُ هَذَا الْعَيْشَا
عَلَّنِي أَبْعَثُ فِيهِمُ نَغْمِي
عَلَّهَا تُثَبِّتُ الْوَانَ النَّبَاتِ

أَوْ مَنْ لِي بِقُلُوبٍ وَاعِيهِ
أَوْ مَنْ يَفْقَهُ هَذَا الْكَلِمَا ؟
أَيُّهَا الْمُسْلِمُ مَاذَا قَدْ عَدَا ؟
أَوْ لِلنُّورِ الَّذِي قَدْ طَفْنَا
أَوْ لِلنَّارِ الَّذِي تَشْتَعِلُ
خَمَدَتْ فَالْقَلْبِ بَرْدٌ وَهَمُودُ
إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ زَنْدٌ وَحَجَرُ
إِنَّنِي أَضْرِمُ هَذَا الْأَلَمَا
إِنَّنِي أَنْفِخُ فِي هَذَا الثُّوَادِ
عَلَّنِي أَذْهَبُ هَذَا الْخَيْشَا
إِنَّنِي أَبْعَثُ فِيهِمُ نَغْمِي
إِنَّنِي أَنْطَرُ فِي أَرْضِي مَوَاتِ



الأمل

لَا تَرَانَا فِي جِهَادٍ نِيَّاسُ لَيْسَ مِنْ أَمْتِنَا مَنْ يَشَاوَا

أشعل الإيمان في كل دُجى
 وازفَعَن في كل ليل شَمَلا
 وصل القلب بخلاق الرجاء
 إنما الإنسان فكر وعمل
 أمل الإنسان في القلب ضياء
 إنَّه النار التي تشتعل
 إن دَجَا باليأس ليل فَيَهَب
 هو وُحْيُ الله يهدي عبده
 هو نورُ الله في أفق النجاء
 إنَّه القطب إليه يُنزع
 إبرة تهدي إلى قصد السيل
 يا دليلاً هادياً في كل واد
 يقدح القلب إذا ما خفقا
 فهو نورٌ وهو نارٌ يُلدغ
 فإؤمل لخيرٍ وصابرٍ لا تمل
 وقضاء الله عونُ الأملين
 لا يردُّ الله قلباً آملاً
 ربِّ عبدٍ مخلصٍ قد أقسما
 وجهادُ العبد أولى أن يُسر
 إنَّ عزمَ الحرِّ فيه قَسَمُ
 قد تولى الله هذا المقسمُ



واقدح العزم إذا الهول دجا
 وابعثن من كل يأس أملاً
 واخلقن في كل حين ما تشاء
 يصدع الظلماء في نور الأمل
 وهو في الكف جهادٌ ومضاء
 إنَّه النجم الذي لا يافل
 يصدع الظلمة هذا الكوكب
 ويُرِيه في الدِّياجِي قُضده
 هو هدي الله في هذي الحياه
 كلُّ قلبٍ وإليه يُفزع
 تقصد القطب وعنه لا تميل
 أنت سرُّ الله في كل فؤاد
 شراً منه منيراً مُحرقاً
 يوضح النهج وفيه يذفع
 إنما الدنيا رجاءٌ وعمل
 وهو في عون الأباة العاملين
 لا يردُّ الله عبداً عاملاً
 فأبِرَّ الله مِنْهُ القمما^(١)
 إنَّه الفعل على القول أبر
 مضمَرٌ يَعْلَمُه مَنْ يَعْلَمُ
 فدعاه في يقين يقسم

(١) إشارة إلى ما جاء في الأثر : « رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره » .

الوجدان السليم

مِنْ غَشَاوَاتِ الْهَوَىٰ أَوْ يُظْفَأَ
صَرَصَرُ الْأَهْوَاءِ فِيهَا سَافِيه
أَوْ يَخْجُبُهُ حِجَابُ الشَّهْوَةِ
فَمَضَى يَحْيَا حَيَاةً هَمَلًا
أَيَقِظُ الْوَجْدَانُ وَاتَّبَعَ هَدْيَهُ
تَبْصُرِ الْعَالَمِ فِيهِ مَثَلًا
وَاجْلُهُ بِالذِّكْرِ حَتَّى يَسْطَعَا
لَا تُطْلَعُ مِنْ بَاعٍ فِيهِ وَاشْتَرَى
لَا تَقْلُ ضَوْضَاؤُهُمْ هَذَا النِّعَمِ
مَجْهَلٌ أَعْلَامُهُ تَشْتَبِه
فِي فَيَافٍ خَافَ فِيهَا الشَّابِلُ
وَأَصْبَحَ فِيهَا لِيَصَوْتِ الْجَرَسِ^(١)
إِنَّهُ دَاعٍ يُتَادَى لِلنَّجَاهِ
فِي لِيَالٍ وَبِحَارٍ زَاخِرِهِ
مِنْ مَنَارٍ فِي الدِّيَابِجِي خَافِقِ
وَتَوَقَّى الصُّخْرَ مِنْ مَضَاتِهِ
قَاصِدَاتٍ قَطَبَهَا لَا تَعْدُلُ
إِبْرَةَ الْقُطْبِ وَمِضْبَاحُ النَّجَاهِ

ذَلِكَ الْوَجْدَانُ إِنْ لَمْ يَصْدَأْ
أَوْ تَحْجِبَهُ رِيَاخُ عَاتِيهِ
أَوْ يَجْلُلُهُ ظِلَامُ الْغَفْلَةِ
أَيَقِظُ الْوَجْدَانُ يَا مَنْ غَفَلَ
أَيَقِظُ الْوَجْدَانُ وَاسْمَعْ وَخَيِّ
إِنَّهُ الْمَرَاةُ ، إِمَّا صُقْلًا
أَجْلُهُ بِالْفِكْرِ وَالْعِلْمِ مَعَا
لَا تُضِغُ فِي الشُّوقِ هَذَا الْجَوْهَرَا
لَا تُضِغُ فِي لُغْوِهِمْ هَذَا الْحِكْمِ
نَحْنُ فِي الدُّنْيَا حَوَانَا مَهْمُهُ
تَقْصِدُ الْمَنْزَلَ هَذَا الْقَافِلُ
فَاتَّبَعْنُ خَرَّتْهَا لَا تُبْلِسُ
إِنَّهُ الْوَجْدَانُ فِي هَذَا الْفَلَا
أَرَأَيْتَ الْفُلْكَ تَسْرِي مَاخِرُهُ
تَهْتَدِي فِيهَا بِثُورٍ بَارِقِ
تَهْتَدِي النَّهْجَ عَلَى لَمَحَاتِهِ
وَقَدْنَهَا إِبْرَ لَا تَغْفُلُ
إِنَّمَا الْوَجْدَانُ فِي بَحْرِ الْحَيَاةِ

(١) جرس القافلة ، وفيه إشارة إلى قول سعدي الشيرازي - ما زمنز مقصود من خبريم - أين
قلدهست كه بانك جرس ميايد .

طغيانُ العقلِ على القلبِ

كلُّ إنسانٍ به مُتَحَنُّ
فتنٌ فيها تحسارُ الفطنِ
سُيِّبَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَحْيَالِهِ
وانبىرى يكشفُ عن أسرارِهِ
ومضى يبحثُ في ذُرَاتِهِ
ومضى يبحثُ في أغوارِها
مخرجاً من بطنها أثقالها
حيثُ لا يطمع صَقَرٌ أو عُقاب
كل ما يسمو إليه يقترب
من بأقصى الشَّرْقِ قاسمٌ واعجب
في ذُرَى الأفلاكِ يبغى مسرّحاً

محنةٌ للناسِ هذا الزمنُ
كلُّ ما نبصرُ فيه فتنُ
أُطْلِقَ الإنسانُ مِنْ أَغْلَالِهِ
جُرِّدَ العالمُ مِنْ أَسْتَارِهِ
وأجال الفكرَ في طَيَّاتِهِ
وأحاط الأرضَ مِنْ أَقْطَارِها
فارعاً في ظهرها أجيالها
طائراً في اللوحِ مِنْ فَوْقِ السَّحَابِ
طاوياً أَقْطَارَها لا يفترب
يَنَمُحُ الهممِ بِأَقْصَى الْمَغْرِبِ
ضاقَتِ الأرضُ عَلَيْهِ فانتحى



مثل ما أعطي عقلاً بارقاً
مثل ما يَغْمُرُ عقلاً راجحاً
مثل ما أعمل كَفّاً حاطمه
مثل ما مَكَّنَهُ عِرْفَانُهُ
مثل ما سيطر في أجوائهِ
فيهلِّم فوقه بنيانه
ليت له لم تُغْمِه أمواله
وتوقِر سمعهُ ضوضاؤه
في ظلام الصدرِ منه قد أضاء

آه لو أعطي قلباً خافقاً
آه لو يعمر قلباً راحماً
آه لو أغمَرَ عيناً ساجمه
آه لو هَدَّبَهُ إيمَانُهُ
آه لو سَيَّطَرَ في أهوائهِ
آه لو لم يُغْمِه طغيَانُهُ
ليت له لم تُطْفِئهِ أعمالُهُ
ليت له لم تغشه أضواءه
آه لو أن شعاع الكهرباء

ويليه من ماردٍ قد دُمِّرا
لِيتَه حاط الذي قد شيدا
لِيتَه حاط البلاد الزاهرة



إِنَّ هَذَا الْعَصَرَ رَوْضٌ مُزْهِرٌ
نَضْرَتْ فِيهِ فَنُونُ الزُّهَرِ
أَوْ لَكِنَّ فِي مَهَبِّ الْعَاصِفَةِ
صَرْصَرٌ تَأْتِي عَلَيْهِ لَا تَذَرُ
يَخْرُبُ الْبُسْتَانَ مَنْ قَدْ غَرَسَا
كُلُّ طَاغٍ يَدَّعِي الْبُسْتَانَ لَهُ
لَوْ تَأَخَّوْا وَرَضُّوا بِالْمَعْدَلِ
لَوْ تَأَخَّوْا وَاهْتَذَوْا وَاسْتَثْمَرُوا
لَأَوْزَا مِنْهُ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ
وَجَنُّوا أَثْمَارَهُ وَانْتَفَعَسُوا
فَتَعَالَوْا نَنْظُرِ الدَّاءَ الْعَصِيَّ
إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ لَا يَحْصِي الْعِلَلُ
إِنَّهُ لَمَحَّةُ عَيْنٍ عَابِرَةٍ
إِنَّهُ نَفْسَةٌ نَفْسٍ شَاعِرَةٍ

كُلُّ غُضَنِ فِيهِ نَامٌ مَثْمَرٌ
أَيْتَعَتْ فِيهِ ضُرُوبُ الثَّمَرِ
كُلُّ حِينٍ تَعْتَرِيهِ جَائِفَةٌ
تَخْطُمُ الْأَغْصَانُ فِيهِ وَالشَّجَرُ
يَهْدِمُ الْبُنْيَانَ مَنْ قَدْ أَسَّسَا
يَتَغَيُّ الْأَشْجَارُ وَالْبُنْيَانُ لَهُ
وَجَنُّوا فِي غَيْرِ بَغْيٍ أَكَلَهُ
ثُمَّ أَسْمَى عَدْلُهُمْ مَا دُمُّرُوا
وَرَأَوْا فِي زَهْرِهِ كُلَّ جَمِيلٍ
وَنَمَا بُسْتَانُهُمْ فَاسْتَمْتَعُوا
وَنَرَى الْأَسْبَابَ فِي الدَّاءِ الدَّوِيِّ
إِنَّهُ يَعْيَا بِذَا الْأَمْرِ الْجَلِيلِ
لِيتَه كَفَّ طَيِّبٌ مَاهِرٌ
لِيتَهَا كَفَّ حَكِيمٌ قَادِرٌ



البيت

مَعْبُدٌ لِلَّهِ مَا أَظْهَرَهُ
رَوْضَةٌ يَنْبُتُ فِيهَا الْخَلِيقُ
فِيهِ سِرُّ اللَّهِ مَا أَظْهَرَهُ
وَتَرَى الْحَقَّ عَلَيْهَا يُشْرِقُ

تَشَاءُ الْخَيْرَاتُ فِيهِ وَتَرْبُ
 أَنْفُسٌ فِيهِ كَتَفْسِي وَاحِدَهُ
 بَلْ شَكْوَى مُثَلَّثٌ لِلْوَالِدِ
 كُلِّهَا حَبٌّ وَإِشَارٌ فَلَا
 فَاحٌ يَفْدِي أَخَاهُ جَاهِدَا
 وَتَرَى الْأُمَّ عَلَيْهِمْ حَانِيَهُ
 وَأَبُوهُمْ فِي غَدُوٍّ وَرَوَاحِ
 رَوْضَةٍ لِلْحَبِّ فِيهَا مُثَلَا
 كُلُّ خَيْرٍ هَاهُنَا مِنْبَعُهُ
 مَسْجِدٌ يَتَعَدُّ فِيهِ الْوَالِدَانِ
 يَعْبُدُ الرَّحْمَنَ مَنْ قَدْ عَبَدَا
 فَلِإِي تَوْحِيدِهِ مِنْ غَيْرِ بَيْنِ
 إِنْ تَشَاؤُوا مَثَلًا لَا يُدْفَعُ
 فَاقْرَؤُوا يَا قَوْمَنَا كَيْ تَشْهَدُوا
 ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾ فِيهَا فَاقْرَؤُوا
 أَحْكَمُوا الْأَمْرَةَ مِنْ قَرَانِهَا
 وَاعْمُرُوا الْبَيْتَ بِبِرٍّ وَوَفَاءٍ
 إِنَّ هَذَا الْبَيْتَ فِي نَظْمِ الْأَمَمِ
 كُلُّ بَيْتٍ أُلْفَتْ أَحْسَادُهُ

مَنْ رَأَى الْخَيْرَ لَهُ أُمٌّ وَأَبٌ !
 أَلْفَتْهَا فِي حِمَاها الْوَالِدَهُ
 كَالْمَرَايَا حَوْلَ وَجْهِ وَاحِدِ
 حَسَدٌ فِيهَا وَلَا حَقْدٌ وَلَا
 وَكَلَا الصَّنَوِينِ يَفْدِي الْوَالِدَا
 تَسْهَرُ اللَّيْلُ إِلَيْهِمْ رَانِيَهُ
 يَسْطُ الْحَبُّ عَلَيْهِمُ وَالْجَنَاحُ
 كُلُّ غَصْنٍ بِأَخِيهِ اتَّصَلَا
 كُلُّ بَرٍّ هَاهُنَا مَطْلَعُهُ
 وَهَمَا الْخِصْلَاقُ فِيهِ يَتَّبِدَانِ
 وَالْبَدِيهِ وَإِلَى الْبِرِّ اهْتَدَى
 قَرَنَ الرَّحْمَنَ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ
 يَنْشَأُ كَالشَّمْسِ نَوْرًا يَطْلُعُ^(١)
 ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا﴾
 ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ فِيهَا النَّبَأُ^(٢)
 وَارْفَعُوا بِالذِّينِ مِنْ بَنِيَانِهَا
 وَسَلَامٍ وَوِثَامٍ وَإِخَاءٍ
 مِثْلَ بَيْتِ الشَّعْرِ فِي نَظْمِ الثَّغَمِ
 آزَرَتْ أَسْبَابُهُ أَوْتَادَهُ

(١) الآية : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء : ٢٣] .

(٢) الآيتان : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء : ٣٦]

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرُكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَتَّقُوا اللَّهَ تَأْخِذَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّابِرُونَ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

وَنِظَامَ الْبَيْتِ مِنْ نِظْمِ الْكَلِمِ
 كُلُّ لَفْظٍ مِنْ حُرُوفِ الْأَلْفَا
 وَنِظَاماً وَاحِداً يُبْنَى الْقَصِيدُ
 فِي قِرَافٍ أَلْفَتْ أَيْانَهَا
 وَمَعَانٍ بَعْدَ هَذَا غَالِيهِ
 هَلْ رَأَيْتُمْ قَطُّ مِنْ شَعْرِ رَفِيعٍ
 كَيْفَ تُبْنَى لِلْمِمَالِي أُمَمُ
 مِنْ بِيوتٍ فِي خِلَافٍ وَشِقَاقٍ
 كُلُّ بَيْتٍ فِيهِ لَفْظٌ ثَائِرٌ
 لَا تَقِلُّ فِيهَا زَحَافٌ وَعِلَلٌ



كُلُّ لَفْظٍ بِأَخِيهِ يَنْتَظِمُ
 كُلُّ حَرْفٍ بِأَخِيهِ ائْتَلِفَا
 لَيْسَ فِيهِ مِنْ قُصُورٍ أَوْ مَزِيدٍ
 وَرَوِي نَافِظٌ أَشْتَاتُهَا
 تَرْتَقِي الْأَنْفُسُ فِيهَا عَالِيهِ
 كُلُّ بَيْتٍ فِيهِ ذُو مَعْنَى وَضِيعٍ
 مِنْ بِيوتٍ جَمْعُهَا لَا يُنْظَمُ
 يُوْذَنُ الْبَيْتُ أَخَاهُ بِالْفِرَاقِ
 كُلُّ لَفْظٍ فِيهِ حَرْفٌ نَافِرٌ
 بَلْ شَذُوذٌ وَسِنَادٌ وَخَلَلٌ

لَيْتَ شَعْرِي مَا أَصَابَ الْمَسْجِدَا
 لَا أَرَى جَمْعاً لَدَيْهِ نُظْمَا
 مَا أَحْسَنُ الْيَوْمَ تَرْتِيلَ الْقُرْآنِ
 خَرِمَ الْمَنْبِرُ عَنْ أَصْوَاتِهِ
 ذَهَبَ الْعَبَّادُ عَنْهُ قَدَّادَا
 غَلَبَ الْمَلْهَى عَلَيْهِ وَالطَّرِيقُ



كَانَتْ الْأَمْسَ زَهَوْرًا زَاهِيهِ
 وَذَوَتْ أَوْرَاقُهَا وَالزَّهْرُ
 وَحَمَتَهَا الْمَاءُ أَيْدٍ سَاقِيهِ
 فَطَغَى الشُّوْكَ عَلَيْهَا وَالتُّرَابُ
 أَنْعَمُوا التَّفْكِيرَ فِيهَا وَالنَّظَرُ

رَوْضَةُ الْبَيْتِ أَرَاهَا ذَاوِيهِ
 صَوَّخَتْ أَعْشَابُهَا وَالشُّجَرُ
 صَدَفَتْ عَنْهَا عَيُونٌ وَاقِيهِ
 غَابَ بَسَاتِيْهَا دُونَ إِيَابِ
 إِنَّهَا يَا قَوْمَنَا إِحْدَى الْكَبْرِ

في أصل الذاء أو أصل الذواء

نعمة الأقوام فيها والثقاء



اعمروا بالخير هذا المسجد
اعمروا البيت وردوا والديه
نضروا الروضة من إروائها
أرجعوا الطير إلى أوكانها
ألّفوا الأحرف في كلماتها

وابتغوا الخيرات فيه أبداً^(١)
واجعلوه حرماً يؤوى إليه
وابتغوا النعمة في أفيائها
ليشب الولد في أحضانها
وانظّموا الأثمة من أياتها



تنافر الجماعة

إننا نبصر في كل مكان
من وجوه مات فيها الخفر
يلعن الوجه أخاه نافرا
قطّعوا من بينهم كل سبب
ثورة تبصرها كل طريق
ليست الأم بها أما ترى
لا ولا الأخت لها حرمتها
لا صغير قد رعى حق الكبير
فنرى في قبحها أفعالها
تلك فيض من قلوب في نفور
إنما الناس صلاح وفساد
إننا نبصر أحاداً ولا

حسرة الأنفس في هذا الزمان
وعيون حارّ فيها النظر
يغض الطرف أخاه ناظرا
هجر الناس حياة وأدب
يتجلّى الهجر فيها والعقوق
لا ولا الوالد فيها عزراً
من أخيها وقّدت حرمتها
أو كبير راحم ضعف الصغير
تسمع الألفاظ أصداً لها
تقدح النيران منها في الصدور
بالشام أو شقاق وعناد
نبصر الحب بها متصلاً

(١) المسجد : هو الأسرة .

إنها الأعداد في غير حساب
ومن الأعداد بغير واختلاف
ومن الأعداد حقد وشقاق
فإذا سارت على غير سنن
إذا ألفتها في قاعة
فهي نظم واختلاف وأطراد
فانظروا ما النظم في أعدادنا
انظموها هذي القلوب النافرة
املؤوا الأنفس خيراً وهدي
اغسلوا بالحب هذا الدرناء



لم يؤلفها على النهج احتساب
ومن الأعداد حب واختلاف
ومن الأعداد رُحم ووفاق
فهي بغير وشقاق وفتن
فاستقامت في طريق واحد
وحساب بالغ كل مراد
وانظروا ما الجمع في آحادنا
 واجمعوا هذي الوجوه الشائرة
 واجمعوا بالحب هذا البددا
أطفئوا بالود هذا الضغنا

ما ينال الحب يوماً بالهوى
يجمع الحق نفوساً شاردة
ليس إلا الحق في جمع القلوب
أرضعوها الحق في ألبانها
 واجعلوه قبة في كل حين
ومن الحق إلى الخير طريق
ومن الخير إلى الحب المسير



كل حق من سناء يُشرق
كل خير من جداء ينبع
كل ينبوع إليه عائد
باري بالحق كل العالمين
برؤه في خلقه فيض عميم

لا يرى للحق إلا مشرق
ليس للخيرات إلا منبع
إنما للحب نهر واحد
منبع الحق هو الحق المبين
منبع الخير هو البر الرحيم

مَنبَعُ الْحَبِّ هُوَ اللَّهُ الْعَلِيِّ
 فَأُضِيثُوا النَّفْسَ مِنْ إِيْمَانِهَا
 اَمَلُوا الْأَنْفُسَ مِنْ نُورِ الْيَقِينِ
 إِنَّمَا الْإِنْسَانُ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ
 ذَلِكَ اللَّحْمُ إِلَى مَاءٍ وَطِينٍ
 فَإِذَا أَطْفِئَ فِيهِ ذَا الضُّيَاءِ
 إِنَّ هَذَا الْجِسْمَ ذُو وَزْنٍ وَحَدٍّ
 هَالِكٌ مَنْ عَاشَ فِي ضَيْقِ الْجَسَدِ
 أَنْتَ فِي جِسْمِكَ مِنْ طِينٍ وَمَاءٍ
 أَنْتَ فِي الرُّوحِ حَيَاةٌ وَطَمَاحٌ
 أَنْتَ فِي قَلْبِكَ سِرُّ الْعَالَمِينَ
 لَا يَحُدُّ الْقَلْبَ فِي الْأَفَاقِ حَدٌّ
 أَهْمُهَا الْغَافِلُ عَنْ سِرِّ الْإِلَهِ
 ضَاقَ عَنْ أَمْرِ الْإِلَهِ الْعَالَمُ
 كُلُّ مَا أَدْرَكَتْ مِنْ مَعْنَى جَمِيلٍ
 كُلُّ مَا أَوْعَاهُ تَارِيخُ الْبَشَرِ
 كُلُّ مَا سُجِّلَ عَنْ أَخْيَارِهِ
 هُوَ نُورُ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ الصَّغِيرِ
 هُوَ نَبْضُ الْقَلْبِ فِي الدُّنْيَا انْتَشَرَ
 إِنَّمَا الْإِيْمَانُ بِالدُّنْيَا يَدُورُ
 فَاجْعَلُوا مِنْهُ تَبَاشِيرَ الْمَنَى
 ارْفَعُوا الْأَنْفُسَ فِيهِ صَاعِدَةً
 عَنْ مَتَاعٍ وَطَعَامٍ وَشَرَابٍ

هُوَ مَوْلَى لِلْبِرَايَا وَمَوْلَى
 وَاَنْظُرُوا الْآيَاتِ مِنْ إِحْسَانِهَا
 وَاَنْظُرُوا إِبْدَاعَهَا فِي كُلِّ حِينٍ
 فِيهِ قَلْبٌ كَسْرَاجٍ فِي ظُلْمٍ
 ذَلِكَ النُّورُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
 فَهُوَ وَحْشٌ هُمُّهُ سَفْكُ الدِّمَاءِ
 وَبِهَذَا الْقَلْبِ كَوْنٌ لَا يُخَدُّ
 مَنْ يَعِشُ فِي وَسْعَةِ الْقَلْبِ خَلَدُ
 أَوْ قِوَامٌ فِيهِ لَحْمٌ وَدَمَاءٌ
 وَرَجَاءٌ وَجَهَادٌ وَكِفَاحٌ
 فِيهِ أَمْرُ اللَّهِ لِلْخَلْقِ مَبِينٌ
 إِنَّهُ يَكْبُرُ عَنْ وَزْنٍ وَعَدٍّ
 اَنْظُرُنْ فِي الْقَلْبِ يَوْمًا لَتَرَاهُ
 وَحَوَاهِ الْقَلْبِ ، هَذَا الْخَانَمُ
 كُلُّ مَا أَبْصَرْتَ مِنْ أَمْرِ جَلِيلٍ
 مِنْ جَلَالٍ وَجَمَالٍ وَعَبَرٍ
 كُلُّ مَا خُدَّتْ عَنْ أَبْرَارِهِ
 أَوْ تَجَلَّى اللَّهُ فِي الْكَوْنِ الْكَبِيرِ^(١)
 هُوَ خَفَقُ الْقَلْبِ يَرْمِي بِالشَّرِّ
 فَهُوَ نَارٌ فِي دَجَاهَا وَهُوَ ثَوْرٌ
 وَامَلُوا الْأَفَاقَ مِنْهُ بِالسَّنَا
 ارْفَعُوهَا عَنْ مَعَانٍ خَامِدَةٍ
 وَمَعَانٍ كُلِّهَا نَبْتُ الثَّرَابِ

(١) الكون الكبير : القلب .

قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ قَلْبٌ لِلْعُلَى
كُلُّ سَاعٍ قَدْزُرُهُ بَغِيْثُهُ
أَيُّهَا الْقَائِمُ دُوداً فِي تَرَابِ
أَيُّهَا السَّادِرُ فِي لَهْرِ وَدَدِ
انْقُذُوا الْإِنْسَانَ مِنْ هَذَا الرَّدَى



أَيُّهَا الْمُسْلِمُ يَا مَنْ خُلِقَا
انْهَضْ يَا صَاحِبَ الْعَبَاءِ الثَّقِيلِ
قَدْ قَضَى الْخَلْقُ بِالْأَمْرِ إِلَيْكَ
سَطَرُنَ بِالْحَقِّ فِي هَذِي الْبِلَادِ
انْقُذِ الْإِنْسَانَ مِنْ هَذَا الثَّقَاءِ
امْلَأِ الْأَرْضَ بِحَسَبٍ وَصَفَاءِ
وَاحْكَمْ بِالْحَقِّ فِي أَرْجَائِهَا
وَامْلَأِ الْأَفَاقَ حَقّاً وَسَنَاءِ
عَلِّمِ الْإِيمَانَ وَالْحَقَّ الْعَلِيِّ
زَهْدَ مَنْ يَمْلِكُ آلَافَ الْأَلُوفِ
قَوْلَةً فِي الْحَقِّ أَعْلَى عِنْدَهُ
كُلُّ مَا يَمْسُكُ مِنْهَا دَرَاهِمُ
هَذِهِ الْأَمْوَالُ جَمْعاً يَا بَنِي
إِنَّهَا اللَّعِبَةُ فِي عَيْنِ الْحَكِيمِ
جَوْهَراً يَحْسَبُ مَنْ لَا يَعْرِفُ
إِنَّمَا الْجَوْهَرُ قَلْبٌ قَدْ أَضَاءَ
لَا يَمَافُ الْحَرُّ أَكْلَ الطَّيِّبَاتِ
رَبِّمَا اسْتَوْلَى عَلَى أَعْدَادِهَا

لَا رِيَاشَ وَمَتَاعٌ لِلْبَلَى
وَزُنُّهُ بَيْنَ السُّورِ مَنَبَتُهُ
خُلِقْنَا فِي جَوْهَا مِثْلَ الْعُقَابِ
مَنْ لِهَذَا الْكَوْنِ فِي يَوْمٍ وَغَدِ
أَبْصِرِ الْإِنْسَانَ يَا قَوْمِي هَوَى

لِيَكُونَ الْحَقُّ فِيهِ خُلُقَا
أَنْتَ فِي الْأَرْضِ عَنْ اللَّهِ وَكَيْلِ
قَسَمِ الْأَرْزَاقِ يَوْماً بِيَدَيْكَ
وَاحْكَمْ بِالْعَدْلِ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ
وَأَزِلْ مَنْ أَرْضَنَا هَذَا الْعَنَاءِ
وَسَلَامِ وَوَدَادِ وَإِخْوَانِ
وَانْعَمَنْ بِالْأَمْنِ فِي أَفْيَائِهَا
وَامْلَأْ بِالْخَيْرِ آفَاقَ الدُّنَا
عَلِّمِ الْإِيثَارَ وَالزَّهْدَ الْغَنِيِّ
وَهِيَ فِي عَيْنِهِ لَغَوٌ وَزَيُوفُ
فَعَلَةٌ فِي الْخَيْرِ أَعْلَى عِنْدَهُ
كُلُّ مَا يَنْفَقُ مِنْهَا مَغْنَمُ
لَا تَمَافُ ذَلَّةَ الْحَرِّ الْأَبِيِّ
إِنَّهَا الدُّزْهَمُ فِي كَفِّ الْكَرِيمِ
وَهِيَ عِنْدَ الْعَارِفِينَ الصَّدْفُ
وَمِيعَ الْأَرْضِ جَمِيعاً وَالسَّمَاءِ
أَخْذاً فِي الْأَرْضِ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
رَبِّمَا أَوْفَى عَلَى أَمَادِهَا

أَخَذُوا أَوْ مَعْطِيَا لَا يَشْرُهُ
عَبْدُ الدُّنْيَا وَلَا تَسْتَعْبِدُهُ
حَائِثُاً لِلرُّزْقِ صَقِراً طَائِراً
فَإِذَا شِئِمَ هَوَاناً فَزَعَا
وَاسْتَمَدَّ الْعِزَّ مِنْ هُمَّتِهِ
فَإِذَا الْمَاءُ لَهَيْبٍ وَدُخَانُ
وَإِذَا مُدَّ عَلَيْهِ كُلُّ بَابٍ
إِنَّ مَوْتَ الْحَرِّ فِي ذَلَّتِهِ



قَالَ لِي شَيْخٌ وَقَوْرُ الْمَعِي
كُنْتُ يَوْمَاً فِي عَيُونٍ وَنَخِيلٍ
وَمَعِي مَنْ أَهْلُ نَجْدٍ تَقَرُّ
وَإِذَا صَقَرٌ عَلَيْنَا حَلَّقَا
أَسْرَعَ الرِّفْقَةُ فِي نَضْبِ الشَّرْكَ
وَهَوَى فَاَنْقَضَ هَذَا الْأَجْدَلُ
فَطَوَى سَقَطِيهِ هَذَا الْمَهْلِكُ
وَأَتَى الصَّيَّادُ لِلطَّيْرِ الْأَسِيرِ
سَابِغُ الْجَوِّ بِخَيْطٍ عَلَّقَا
ذَلِكَ الصَّيَّادُ فِي جَوْ السَّمَاءِ
فَإِهْرُ الْجَوِّ بِعِزِّ وَجَنَاحِ
ضَاقَتْ الْأَجْوَاءُ عَنْهُ مَسْرَحَا
ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ جِئْنَا نَنْظُرَ
فَإِذَا دَمْعَةٌ عَيْنٍ هَامِلَةٍ

مَنْ بَنَى يَنْبِيعَ شَهْمٍ عَرَبِيٍّ
فِي الْقَرْيِ مِنْ يَنْبِيعِ النَّخْلِ الْجَمِيلِ
اصْطِيَادُ الطَّيْرِ فِيهِمْ وَطَرِ
سَابِغاً فِي جَوْهُ قَدْ خَفَقَا
وَسَمَانِي وَضَعُوها فِي الشَّبَكِ
بَلْ هَوَى هَذَا الْقَضَاءُ الْمَنْزِلُ
وَتَوَى فِي حَبْلِهِ يَسْرَتِيكَ
عَيْنُهُ فِي اللَّوْحِ لَكِنْ لَا يَطِيرُ
ذَلِكَ الْخَفَّاقُ فِيهِ أَخْفَقَا
صَادَهُ بِالْخُتْلِ صَيَّادُ الْقَضَاءِ
بَذَلَ الشُّبَّاكَ مَنْ مَتْنِ الرِّيَّاحِ
كَيْفَ يَرْضَى فِي إِسَارٍ مَطْرَحَا ؟
لَنْرَى الْأَجْدَلَ أَتَى يَوْمَ سَرِ
وَإِذَا الْمَهْجَةُ فِيهَا سَائِلُهُ

ذَا يَسْمَى «الْحُرُّ» مِنْ بَيْنِ الصُّقُورِ
 فَكُنِ الصُّقْرَ الْأَبْيَّ الْعَالِيَا
 وَاحْذَرْنَ يَا حُرُّ هَذَا التَّهْلُكَةَ
 إِنَّهَا مَعْرَكَةٌ لِلْأَبْطَنِ
 فِي وَغَاهَا كُلُّ حَزْمٍ ضَيِّعَا
 لَا تَغَرَّنَّكَ مَرَايَا بَارِقَهُ
 إِنَّهَا رَأْسٌ بِلَا قَلْبٍ يَسِيرُ
 قَدْ أَضَلَّ الْغَيُّ هَذَا الْأَمَّا
 فِدَعَاهَا فِي ظِلَامٍ تَصْطَلِمُ

الشيوعية

أَحْدَثُ الدَّعَوَاتِ فِي هَذَا الْأَمِّ
 تَعِدُّ الْإِنْسَانَ بِالْمَرْعَى الْخَصِيبِ
 تَعِدُّ الْإِنْسَانَ أَعْشَابَ الرِّبْعِ
 يُوْعَدُ الْمَرْعَى وَلَا شَيْءَ لَهُ
 لَيْسَ يَرْغُو سَرِيَّهُمْ : أَيْنَ الْمَسِيرِ
 وَيَسْمُ الشُّبَّهَ فِيهِ بِالْغَنَمِ
 كَفَرُّهُ بِاللَّهِ وَالْخَيْرِ وَمَا
 وَضِياعُ الْبَيْتِ مِنْهُ وَالرَّجْمِ
 كَافِرٌ بِاللَّهِ لَا بِالْوَثْنِ
 يَبْصُرُ الظُّلْمَةَ عِنْدَ الصُّنَمِ

تَسْلُكُ الْإِنْسَانَ فِي سِلْكِ الْغَنَمِ
 فِيهِ عُشْبٌ وَرُغَاءٌ وَنَيْبٌ
 ثُمَّ عَيْشٌ مِثْلُ مَا عَاشَ الْقَطِيعُ
 وَعَصَا الرُّعَايِ تَرْبُهُ أَكْثَلُهُ
 لَا ، وَلَا يَتَغَوُّ إِلَى أَيْنَ الْمَصِيرِ
 قِطْعَةٌ عَنْ مَنَبِيعِ الْخَيْرِ الْقِيمِ
 فِيهِ إِنْسَانٌ عَنِ الْعُجْمِ سَمَا
 وَحَنَانِ الْقَلْبِ مِنْ أُخْتٍ وَأَمٍّ
 كَافِرٌ بِالسَّلَامِ لَا بِالْفَتَنِ
 عَنْ ضِيَاءِ اللَّهِ وَالْحَقِّ عَمِي

(١) الْحُرُّ : نَوْعٌ مِنَ الصُّقُورِ قُلٌّ أَنْ يَمِيشَ بَعْدَ إِسْكَاهِهِ .

كُلُّ مَا فِي الْبَيْتِ مِنْ وَدٍّ وَحَبٍّ لَا يَسَاوِي عِنْدَهُ مَكِيلَ حَبٍّ
كُلُّ مَا يَدْعُو أَنْاسٌ بِالشُّعُورِ لَا يَسَاوِي عِنْدَهُ كِفٌّ شَعِيرِ
ذَاكُمْ التَّيْرُ وَهَذَا الْمُنْتَهَى أَنْعَمُوا التَّفْكِيرَ يَا أَهْلَ النُّهَى

إِقْبَال

يُبَيِّنُ الْإِقْبَالَ مِنْ سِرِّ الْحَيَاةِ وَأَزَالَ الشُّرَّ عَنْ نَوْرِ النُّجَاةِ
يُبَيِّنُ الْإِقْبَالَ مِنْ سِرِّ الزَّمَانِ وَأَفَاضَ النُّورَ مِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ
بَثَّ فِي النَّفْسِ كَلَاماً مِنْ شَرِّرٍ مِنْهُ عَشَقَ الْحَقُّ فِي الْقَلْبِ اسْتِعْرَ
فَتَقَشَّتْ نَظَرَائِهِ كُلَّ حِجَابٍ فَرَأَى الدَّوْحَةَ مِنْ تَحْتِ الثَّرَابِ
ضَاقَتْ الْأَفَاقُ عَنْ نَظَرَاتِهِ ضَجَّتِ الْأَفْلَاكُ مِنْ أُنَاتِهِ
وَصَلَّتْهُ نَفْحَةٌ مِنْ رُبُّهِ فَتَجَلَّى نَوْرُهُ فِي قَلْبِهِ
قَدْ ثَوَى فِي قَلْبِهِ كُلُّ الْجِهَاتِ وَاسْتَوَى فِي فِكْرِهِ مَاضِي وَآتِ
سَالٍ فِي الْحَانَةِ دَمْعٌ وَدُمٌّ وَالتَّقَى الْمَاءُ عَلَيْهَا وَالضَّمْرُ

يَا بَرُودَ الْقَلْبِ خُذْ مِنْ نَارِهِ فَالْحَيَاةُ الْحَقُّ فِي أَشْعَارِهِ
يَا مَوَاتَ الْقَلْبِ خُذْ مِنْ رَجْعِهِ^(١) يَا جَمُودَ الْعَيْنِ خُذْ مِنْ دَمْعِهِ
يَا صَغِيرَ الْهَمِّ خُذْ مِنْ هَمَّتِهِ يَا كَلِيلَ الْعَزْمِ خُذْ مِنْ عَزَمَتِهِ
يَا أَسِيرَ الْيَأْسِ خُذْ آمَالَهُ فِي دَجَى الْيَأْسِ أَثَرُ أَقْوَالِهِ
أَيُّهَا الْمُسْلِمُ صَعِدْ فِي السَّمَاءِ وَابْلُغْ فِي جَوْهَا أَعْلَى الْعِلَاءِ
وَخُذِ الْإِقْدَامَ مِنْهُ وَالطَّمَّاحَ وَجَنَاحاً قَاهِراً هُجُوجَ الرِّيَّاحِ

(١) الرُّجُوع : المطر ، كماء ، جاء في القرآن .

إِذْ جَلَّالُ الدِّينِ مِنْ خَلْفِ الْعُصُورِ قَدْ أَتَى فِي شِعْرِهِ نَارٌ وَنُورٌ^(١)
 إِنَّهُ الْإِسْلَامُ فِي عِزَّتِهِ إِنَّهُ الْإِيمَانُ فِي قُوَّتِهِ
 إِنَّهُ الْقُرْآنُ فِي أَنْوَارِهِ إِنَّهُ الْفِرْقَانُ فِي أَسْرَارِهِ



بَلِّغِي يَا رِيحُ فِي شَطِّ النَّوَى أَدْمَعِي قَبْرًا بِبَلَاهُورِ نَوَى
 وَامْضِي يَا بَرْقُ بِوَجْدِي وَهِيَامِي أَبْلِغْنِي قَبْرًا بِبَلَاهُورِ سَلَامِي
 إِنَّ : إِقْبَالَ بَلَاهُورِ أَقَامَ رَحْمَةً اللَّهُ عَلَيْهِ وَالسَّلَامَ



دعاء

فَالِقَ الْإِصْبَاحِ رَبَّ الْمَشْرِقَيْنِ بِأَسْطِ اللَّيْلِ وَرَبَّ الْمَغْرِبَيْنِ !
 أَنْتَ فِي الضُّبُعِ ضِيَاءٌ فِي جَمَالِ أَنْتَ فِي اللَّيْلِ ضِيَاءٌ فِي جَلَالِ
 نَاشِرَ الشَّمْسِ خِضَاءً مِنْ ضِيَاءِ طَاوِي الذَّرَّةَ شَمْساً فِي خَفَاءِ
 أَنْتَ نُورٌ فِي ظُهُورٍ وَجَلَاءِ أَنْتَ نُورٌ فِي حِجَابٍ وَخَفَاءِ
 يَا جَلِيساً فِي دُجَى أَسْتَارِهِ يَا خَفِيّاً فِي ضُحَى أَنْوَارِهِ
 يَا أُنَيْساً فِي قُلُوبِ الْعَارِفِينَ وَحَيَاءً لِقُلُوبِ الْغَافِلِينَ
 يَا ضِيَاءَ الْعَيْنِ فِي النُّورِ الْعَمَمِ وَضِيَاءَ الْقَلْبِ فِي دَاغِي الظُّلَمِ
 قَرُبُكَ الْمُؤْنَسَ فِي هَذِي الْقَفَارِ هَدِيكَ الْمُنْقِذَ فِي هَذِي الْبَحَارِ
 نَازِلَ الْكَوْنِ الْبَلِيغِ الْمُبْدَعِ مُحَسِّناً مَطْلَعَهُ وَالْمَقْطَعِ
 خَلَقْتَكَ الْأَلْفَاظُ فِيهِ وَافِيهِ أَمْرُكَ الْوِزْنُ لَهُ وَالْقَافِيهِ^(٢)
 كُلُّ لَفْظٍ فِيهِ نُظَّارٌ إِلَيْكَ كُلُّ مَعْنَى فِيهِ بَرَهَانٌ عَلَيْكَ

(١) مولانا جلال الدين الرومي ، والشاعر يعترف باقتدائه به .

(٢) في القرآن الكريم : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

منك هذا العقل ، هذا الثائر ، جاوز الأفلاك يسعى نحو كامنك هذا القلب ، هذا الخافق ذاكر إياك راج كل حين



اجعلن عقلي ضياءً ثاقباً واشددن فكري بصدق وسداد واملأن قلبي بحب وصفاء وارفعن في الحق صوتي عالياً واجعلن وجهك قصدي لا سواء وامنع المسلم قلباً خافقاً امنحنه العقل والقلب اللين واجعلنه في البرايا حكماً اجعلنه قائداً بين البشر

يصدع الباطل حقاً صائهاً واحبني التوفيق في كل مراد واحفظني من شقاق ومراء وجناني فيه عصباً ماضياً هوئن في عين قلبي ما عداه واحبه بالعلم عقلاً بارقاً واهد رب الصراط المستقيم قاضياً بالعدل إماماً حكماً هادياً للخير لا يسعى لشر



أنقذ الإنسان من هذي الغمم هدم الإنسان ما قد عمرا فاهد بالإيمان عقلاً حائراً أذكرك الناس بحب ووثام

أنجبن من بغيتها هذي الأمم حينما أمر عقلاً كفراً واجعل القلب عليه آمراً إنك الداعي إلى دار السلام (١)(٢)



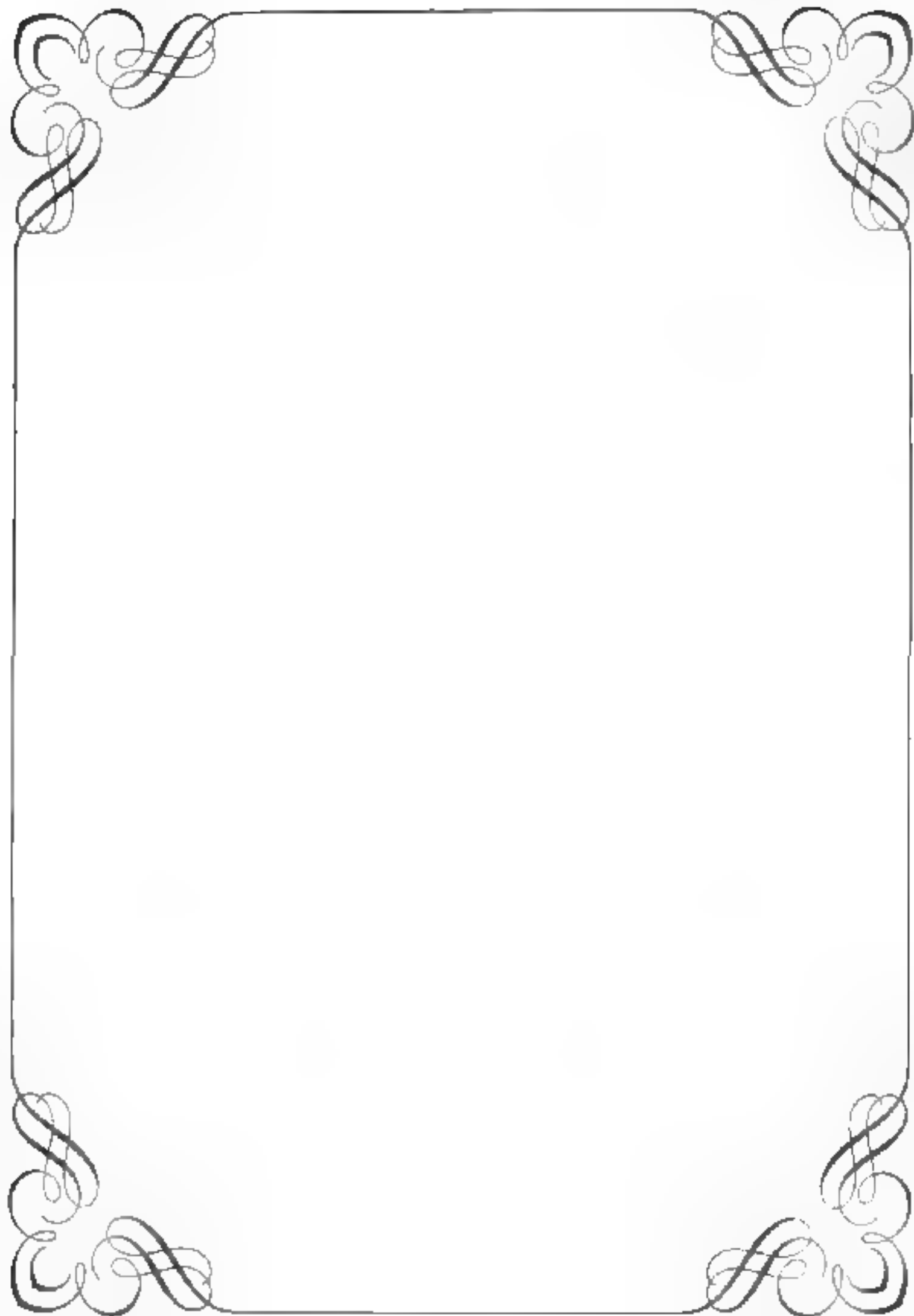
(١) في القرآن الكريم : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ نَارِ الْكَافِرِ ﴾ [يونس : ٢٥] .

(٢) تمت الترجمة عشية يوم الجمعة السابع من رجب سنة ١٣٧٠ من الهجرة ، في مدينة كراچی . والله الحمد أولاً وآخراً ﴿ سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٢] . المترجم الدكتور عبد الوهاب عزام .

الدِّيَّوَانُ الرَّابِعُ

زُبُورُ الْعَجَمِ

نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ شِعْرًا
الدُّكْتُورُ حُسَيْنُ مَجْنِبِ الْمَصْرِيِّ



هذا الديوان - في الأصل - جزءٌ هو أشبه بالفصل ، ترتيبه قبل الأخير في الديوان ، عنوانه : « زبور العجم » .

وليس من التزديد وتجاوز الحد قولنا : إنه على لطافة حجمه يستغرق جمهرة أفكار محمد إقبال في عموم وشمول ، ويكشف النقاب عن وجه الحقائق التي أوما إليها الشاعر ، ويوضح على نحو دقيق عميق قيماً ومثلاً كان حائماً عليها موجباً للأخذ بها ، كما يجري عليه صفاته ويميزه بسماته مفكراً ، يفوص على الجوهر منصرفاً عن المظهر ، في دعوة بلغت من الجرأة مداها ، ينمّسك صاحبها فيها التمسك الشديد العنيد بمذهبه الجديد ، ضارباً صفحاً عن معروف القوم ومألوفهم في العصور الخوالي ، وإن كان في نظرهم مقدساً من تراثهم .

محتوى الديوان

يحتوي أصل الديوان على أربعة أقسام :

القسم الأول : فيه دعاء ، وست وستون قطعة أكثرها بدون عنوان .

القسم الثاني : فيه خمس وسبعون قطعة تقل فيها العناوين أيضاً .

القسم الثالث : (الذي هو بين أيديكم) هو بعنوان « حديقة السر الجديد » (كلشن راز جديد) وهو على طريقة «كلشن راز» .

أخرجه الشاعر عام ١٩٢٩م ساجلاً به كتاباً لصوفي من أهل القرن السابع وأوائل الثامن هو الشيخ محمود الشبستري ، عنوانه روضة السر (كلشن راز) ، ألفه الشيخ الشبستري إجابة لأسئلة في التصوف أرسلها إليه بعض الصوفية ، ولهذا سماه الشاعر - محمد إقبال - « روضة السر الجديد » (كلشن راز جديد) وفيه يجيب عن تسعة أسئلة فيها رقائق فلسفية وصوفية .

القسم الرابع : كتاب العبودية ، ويبيّن فيه الشاعر آثار العبودية في الحياة
والفنون الجميلة على مذهبه المعروف .
وإليكم الآن القسم الثالث من هذا الديوان الذي نقله من الفارسية إلى العربية
شعراً الأستاذ حسين مجيب المصري :



لك عينٌ ، نظراً فيها خلقت لك نفسٌ ، ولها دُنيا خلقت
نامَ هذا الشرقُ لا يرعاه نجم بنشيد العيش فجراً قد خلقت^(١)

تمهيد

خبا في الشرق ذاك اللهب
وأضحى صورةً ترنو إليها
يجافي قلبه طيف الأمانى
عن المقصود من قولي أبنتُ
توالت بعدَ ذا الشيخ العهد
لنا كفنٌ ونزقٌ في ثرانا
وفي تبريز عينٌ للحكيم
فأين الروح بل أين الوجيب^(٢)
وما للعيش من ذوقٍ لديها^(٣)
ويُسكت نايه رجْعُ الأغاني^(٤)
على سفرٍ لمحمود أجبتُ
وما للنار في روح وقود^(٥)
قيامُ البعث يوماً ما عنانا^(٦)
رأت آثارَ جنكِزَ الظلوم^(٧)

(١) رعى النجم : راقبه ، وانتظره . وفي الأصل أن الشرق نام مستراً عن النجم .

(٢) خبت النار : انطفأت . الوجيب : خفقان القلب .

(٣) يرنو : ينظر في سكون ودوام . الذوق : نورٌ يلقيه الله في قلوب أوليائه بفرقون به بين الحق والباطل .

(٤) يجافي : ضد يواصل ويؤانس . الرجع : الضدى .

(٥) أبان : أفصح وبين . والسفر : الكتاب . والإشارة إلى كتاب گلشن راز لمحمود الشبستري الذي نظم الشاعر منظومته تلك في الرد عليه . وقدت النار وقوداً : اشتعلت .

(٦) الإشارة في قيام البعث إلى تحرك الهمم إلى العمل على ما فيه صلاح الدنيا والآخرة . عنانا : أهمتنا .

(٧) تبريز : مدينة في شمال إيران ينسب إليها الشبستري . وإقبال يذكر ما ماج به عهد المغول من جسام الخطوب ، وقد عاصر الشبستري هولاء ، فذكر بحتكيز على سبيل المجاز .

ولكن ثورة أخرى وجدت
 رفعت أنا عن المعنى الثَّابَا
 ألت ترى بلا كأس خُماري
 وكل الخير فيمن قال تَعْدَم
 فما اشتاق داراً للحبيب
 ترابي ليس من هذا الممر
 لقد صافيت جبريل الأَمِينَا
 بفقري كان لي مالُ الكليم
 وما الصَّحراء تحويني تُرابَا
 رُجاجي منه ترتعد الصُّخُورُ
 هي الأقدارُ تكمنُ خلف سَري
 بذاتي برهةً ما قد خلوتُ
 وليس العارُ من شعري عليا

وشمس غير هذي ما شهدت
 جعلتُ الشمسَ ما كان الترابَا
 وليس لشاعرٍ غيري شعاري^(١)
 بأنِّي شاعرٌ يا صاح فافهم^(٢)
 وما في القلب من وَجْدٍ مَذِيب
 وفيه القلبُ لا يشقى بأسر
 عَدُوًّا لا أشاهدُ لي مِينَا^(٣)
 وجاء الملك في سَمَلِ العديم^(٤)
 ولا الدماء تطويني عُبابَا^(٥)
 وأفكاري بلا شطِّ بُحُور
 قياماتي أقمتُ بمحضِ أمري
 بدنيا الخُلْدِ أخلقها بدوت
 فللعطار لن تجد السَمِيَّا^(٦)

(١) الخمار : صِداغ السكر . يقول : إنَّ مذهبه مخالف لمذهب غيره من الشعراء .

(٢) عدم الشيء : لم يجده . يا صاح : يا صاحبي ، حذف آخره للترخيم . وكأنما إقبال يكره أن يعدَّ شاعراً .

(٣) العدو المبين : الشديد العداوة .

(٤) الكليم : موسى عليه السلام . وظاهر أنَّ الإشارة إلى قوله تعالى في سورة القصص : ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٤] وقد أراد موسى أنه فقير الدنيا لأجل ما أنزل الله إليه من خير الدين وهو النجاة لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة ، وقال ذلك وهو راضي بهذا البدل ، وفرحاً به وشاكراً له ، والفقر عند الصوفية من مقاماتهم . وهو ليس فقدان الغنى ، بل فقدان الرغبة فيه والتميل إليه ويؤثر عنهم قولهم (الفقر فخري) . السَّمَل : الثوب البالي . العديم : الفقير .

(٥) الدماء : البحر . والعباب : الموج .

(٦) العطار : هو الشاعر الفارسي الصُّوفي « فريد الدين العطار » من أهل القرن السادس الهجري . وله منظومة بعنوان منطلق الطير ، يصور فيها فناء الصُّوفي في الذات =

بروحي للحياة مع الفناء
 رأيتُ ثراك عن روح غريباً
 ولي في القلب وهاجُ السَّعير
 وذاك القلبُ حبٌّ في ثراه
 وذوق الذاتِ شهدٌ في لهاتي
 لقد جربت ذلك في البدايه
 وجبريلُ كتابي إنْ رآه
 لرئي ظل يشكو من مقامه
 جلاء للتجلُّي لا أريد
 كففتُ عن الوصالِ السَّرمدي
 غرورَ المرء هبني والخضوعا

صراعٌ ، لا أرى غيرَ البقاء
 ففيه نفختُ من روعي ديباً^(١)
 دجاءك أنير بمصباحي المنير^(٢)
 كلوح خطُّه ما في سواء^(٣)
 وهذا كلُّه من وارداتي^(٤)
 منحت الشرق منه في النهايه
 أنارَ لنا بلمح من سناه^(٥)
 وحال القلب بين في كلامه
 ولكن ما حوى القلبُ العميد^(٦)
 لذتُ شكاة قلبٍ لي شجي^(٧)
 إذا ما ذابَ أو أمسى دموعا !

السؤال الأول

وقفتُ حيال فكري في التحير فما مفهوم ما يُدعى التفكير

- الإلهية . وكأنما يريد إقبال ليقول : إنَّ شعره في تصوير مذهبه مغاير لشعر العطار .
 الشَّعْرُ : النظير هنا .
- (١) الديب : دبُّ الشراب والثَّقم في الجسم ديباً : سري ، وكأنه مشى .
- (٢) السَّعير الوهاج : النار المتأججة المضيفة .
- (٣) يشبه قلبه باللوح الذي كتب فيه . غير أنَّ ما يحويه مخالفٌ لما يحوي غيره .
- (٤) اللهاة : لحمة في الحلق . الواردات : ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمُّد من الإنسان .
- (٥) السنا : الضوء . وقد صرفنا المعنى عن أصله بعض الشيء في ترجمة هذا البيت خشية فهم المبالغة فيه على ظاهرها .
- (٦) العميد : من هذه العشق .
- (٧) السَّرمدي : الخالد . والشَّجي : الحزين .

طريق شوطها من أي فكر؟ نطيع الله ثم نكادُ نكفر!

الجواب

يَصْدُرُ الْمَرْءُ مِنْهَا أَيُّ نَوْرٍ
بِذَا لِيَ الثَّابِتُ السَّيَّارُ جَهْرَةً
وَفِيهِ النَّارُ حِينًا مِنْ دَلِيلٍ
بِهَذَا النُّورِ لِلرُّوحِ الشُّرُوقِ
بِمَنْ الثَّرْبُ يَنْأَى عَنْ مَكَانٍ
وَمَا بَتَرْدُودِ الْأَنْفَاسِ يَبْقَى
وَيَهْنَأُ فِي الشَّوْاطِئِ بِالْمَقَامِ
عَصَا مُوسَى وَهَذَا كَانَ بِحَرِّهِ
غَزَالٌ ، وَهُوَ يَرْعَى فِي السَّمَاءِ
لَهُ فِي الْأَرْضِ وَالزُّرْقَا مَقَرٍ
وَمِنْ أَحْوَالِهِ ظَلَمٌ وَنُورٌ
لِإِبْلِيسَ وَآدَمَ مِنْهُ مَظْهَرٌ

عَجِيبٌ ، غَيْبٌ عَيْنَ الْحُضُورِ
أَرَاهُ النَّارُ أَوْ نَوْرًا بِنَظَرِهِ^(١)
وَيَسْتَطِيعُ نَوْرُهُ مِنْ جِبْرِئِيلِ
شِعَاعٌ مِنْهُ شَمْسًا قَدْ يَفُوقُ
بَقِيْدَ الْيَوْمِ يَخْرُجُ مِنْ زَمَانٍ^(٢)
دُورِيًّا مِثْلَهُ فِي الْبَحْثِ تَلْقَى ؟
يَعْبُثُ الْبَحْرَ أَحْيَانًا بِجَامٍ^(٣)
وَقَدْ ضُرِبَتْ فَشَقَّتْ مِنْهُ صَلْبُهُ
وَيُزَوِّى مِنْ مَجْرَتِهَا بِمَاءٍ^(٤)
وَحِيدًا بَيْنَ قَافِلَةٍ يَمُرُ^(٥)
وَجَنَاتٍ وَمَوْتٌ ثُمَّ صُورٌ
وَيَكُونُ نَحْتُهُ لَا شَكَّ مُخْبِرٌ^(٦)

(١) جهرة : هيئاً . أو : بمعنى الواو .

(٢) الثرب : الثراب . اليوم : المراد به هنا مرور الليل والنهار .

(٣) عب الماء : شربه بلا تنفس ، والجام : الكأس .

(٤) المجرة : نجوم تسمى حاملة الثبن أو نائثته في الفارسية ، والطريق اللبنية في الإنجليزية ؛ لأنها تشبه طريقاً يتناثر فيه الثبن ، كما شبهت في الشعر الفارسي والعربي بالنهر .

(٥) الزرقاء : السماء .

(٦) يشير إلى أن إبليس مخلوق من نار وهو يجسد الفكر ، أمّا آدم وهو يجسد الروح فإنه بالإلهام انعكاس للنور الإلهي .

إليه العين في شوق شديد
 بعين خلوة ها قد رآها
 حرام غضب عين بامتهان
 وذلك البحر يخلقه بنهره
 فيبدو صورة ليست لجنسه
 هياج فيه منعدم صده
 وهذي كآته تحوي الزمانا
 حياة منه بالأوهاق ترمى
 ولكن نَفْسَهَا أسرت بذلك
 وأنت العالمين إذا غزوتنا
 وهذا البحث في القفر احذرته
 ضعيف؟ خذ من الذات قوي
 بغزو الذات إن يوماً ظفرتنا
 لك الدنيا ، ليسعد يوم نصرك
 جعلت البدر يسجد في هوان

تجل منه إعجاب الحميد^(١)
 تجل عنه الأخرى ملامها^(٢)
 فشرط للطريق ، له اثنان
 ويصبح جوهراً في مستقره
 وغواصاً يصير للقط نفسه ا
 له لون ، وما أحد رآه
 وبالتدريج نذكره عيانا
 ومن يعلو ولا يعلو لتسمى^(٣)
 وغير الله أوردت المهالك^(٤)
 فوخذك من هلاك قد نجوتنا^(٥)
 عليك بعالم فيك ادخلته
 تريد الله ؟ قربها ، لذاكا
 لك الأفاق في ملك وجدنا
 سماء قد شققت فتة بقدرك
 عليه رمت أوهاق الدخان^(٦)

- (١) تصرفنا بعض الشيء في ترجمة هذا البيت كراهية فهم المبالغة فيه على ظاهرها ، والحميد : هو الله تبارك وتعالى .
- (٢) ملامها : ملامها .
- (٣) الأوهاق : جمع وهق وهو جبل ذو أنشطة يطرح في عنق الحيوان أو الإنسان ليؤخذ به . ويصمى : يقتل .
- (٤) غير الله : ترجمة ماسوا في الفارسية أي ما سوى الله . وفي هذا إشارة إلى طلب الوحدةانية والانصراف عن التعدد إلى الواحد .
- (٥) يريد بالعالمين عالم الطبيعة وعالم الذات .
- (٦) الأوهاق : تقدم شرحها .

بهذا الدَّيرِ حرّاً قد أقمتا وأصناماً كما تهوى نحتاً^(١)
 من الدُّنيا بملك كلِّ حذفوز مقام الصَّوتِ والألوانِ والنُّوز^(٢)
 وتنقصه وأنتَ تزيدُ فيه تغَيِّره على ما تشتهيهِ^(٣)
 بِقَطْعِكَ عنه قَلْبِكَ كلَّ قطع وإبطالِ الطَّلسمِ لسحرِ سبع^(٤)
 إذا ما شئتَ غوصاً في ضميره فقمَحَكَ فضْلُنْ على شعيره
 وهذا الملكُ ، والملكُ العظيم وتوهمه هو الدِّين القويم^(٥)

السُّؤال الثاني

وعلم كان ساحلُ أيِّ بحر ؟ بعيدِ القاعِ يُخرجُ أيَّ درّ

الجواب

حياةٌ ، يالها بحرّاً يمور وساحله الفُطانةُ والشُّعور^(٦)
 عميقٌ موجُّه أبداً يُميد وفي الشُّطآن أطوادٌ وبيد^(٧)
 عُبابٌ فيه قد عَدِمَ القرارا فلا تسأل ، على شطِّ أغارا^(٨)

(١) الدَّير القديم : من أسماء الدُّنيا في الشعر الفارسي .

(٢) الحذفوز : الجانب . وجمعه حذفير . يقال : ذكره بحذفيره ؛ أي بجميع جوانبه ، وتفاصيله .

(٣) يريد العالم .

(٤) الطلسم : كتابة للسحرة . والتسع هي السموات السبع .

(٥) في رأي إقبال أن الملك ينبغي أن يقوم على أساس من الدين أي : الدِّين الحنيف .

(٦) الفُطانة : الإدراك ، والفهم .

(٧) يميد : يضطرب . الشُّطآن : جمع شاطئ . الأطواد : جمع طود وهو الجبل . والبيد : جمع بيداء وهي الصحراء .

(٨) العباب : الموج .

روى الصحراء منقطعاً عن اليمِّ
 وما تلقاه جاء إلى حضوره
 بخلوته انتشى كرة الرِّفِّيقا
 ويظهر أولاً للمستبصر
 وقربه من الدُّنيا الشعورُ
 بدا بالعقل مرفوع النَّقاب
 وفي دنياه ليس له مُقام
 ترى الدُّنيا ولكنَّ ليسَ فيكما
 من الأزهار دنيا اللون طاقه
 طريق القلب سرى إليها
 إذا أغمضت عنها العين هانت
 برؤيتنا لدنيانا الثَّماء
 ومنظورٌ وناظرٌ غورٍ سرٌّ
 أنا المشهودُ يا مَنْ أنت تشهدُ

أفاد العين معنى الكَيْفِ والكَمِّ^(١)
 ينبزُ بفضل فيضٍ من شعوره^(٢)
 بقلب الكائناتِ بدا شروقاً^(٣)
 بمראהٍ ليؤخذ كالأسير
 فأدرك سرَّها وهو الخير
 ولكن قد تعرَّى بالخطاب
 من الدُّنيا له هذا المقام^(٤)
 بما تحويه فلتدع الشُّكوكا
 نُقيدها ، لها منّا انطلاقه^(٥)
 ويثني كلُّ مخلوق عليها
 وإلا البحرَ والأطوادَ كانت^(٦)
 بنا لغصونها هذا الغلاء
 تضرُّعُ قلبٍ ذراتٍ لأمر
 لتجعلني ، فبالنظراتِ أوجد^(٧)

- (١) اليمُّ : البحر .
- (٢) الحضور في الاصطلاح : حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبي كالحكم العيني .
- (٣) انتشى : سكر . والمراد أنه طاب نفساً بعزته .
- (٤) المقام : بضم الميم الإقامة . وفتحها الرياضة الروحية عند الصوفية التي توجه سلوكهم ، وهي من الأمور المكتسبة الاجتهادية وتخضع للإرادة . وقالوا : إنَّ المقام هو القيام أو موضع قيام العبد في طريق الحق . ومن مقامات الصوفية التوبة ، والورع ، والزهد ، والفقر ، والصبر ، والتوكل ، والرِّضا .
- (٥) طاقة الزهر : ما يجمع منه في حزمة . يقول : إنَّ العالم الخارجي خليطٌ من ألوان وأشكال وروائع . ونحن نقيد هذا العالم ونخضعه لنظام معين .
- (٦) الأطواد : تقدم شرحها .
- (٧) الإشارة هنا إلى الخلاف بين الواقعية والمثالية .

وذاث الشيء تَكْمُلُ بالوجود
فليس زوالها بالبعد عنا
تجلينا به الدنيا تكون
ومنها العون في اللاواء جَرَبُ
وأيقن أن آساد الفلاة
تعينك ، أنت تلك الذات فاعرف
وعالم كثره بالعقل شاهد
ومن ربح القميص فنل نصيبا
وذاتك ثرين بها تصيد

وبالتمكين من هذا الشهود
ونور شعورنا فقدته منا
بنا نور تجلّى أو رين^(١)
بأحوال لها نظراً فادّب^(٢)
أرادت عون نمل للنجاة^(٣)
كجبريل الأمين إذا فرفرف
لتدرك مظهراً يديه واحد^(٤)
تنسم من ضفاف النيل طيباً^(٥)
ومن تديرها لهما القيود^(٦)

(١) إقبال لا ينكر الوجود ، بل ما يبدو من مظاهر الموجودات ، وهو يؤكد أثر العقل على ما يقع تحت الحس ، ويشير إلى أن العالم يحمل طابع الإنسان عليه .

(٢) اللاواء : الشدة .

(٣) هذا مذكور بقوله تعالى في سورة النمل : ﴿ وَخَيْثَرِ إِسْلَمَئِنَّ جُودُهُ مِنَ الْإِنِّ وَالْإِنِّ وَالْإِنِّ وَالْإِنِّ فَهُمْ يُوزَعُونَ ١٧ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْمِلَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٨ فَنَبَّأَهُمْ مُنَاجَاةً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى رَجُلَيْكَ وَأَنْ أَهْمَلَ سَبِيلًا تَرْضَاهُ ١٩ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل : ١٧ - ١٩] فلما رأت النملة جنود سليمان فرت منهم فتبعها غيرها وصاحت محذرة منبهة . وهذا منها شيء بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم وكأنها بذلك أنجت النمل كما أنجت جنود سليمان من ظلم كادوا يرتكبونه وهم لا يشعرون وهو سحق تلك النمل ، فعجب سليمان لها على ضعفها كيف كانت سبباً في نجاة جنوده من ظلمهم النمل من هلاكها . آساد الفلاة : أسود الصحراء . وهم هنا جنود سليمان .

(٤) إن النظر في هذا الكون بكل ما وسع أول دليل على قدرة الواحد تبارك وتعالى .

(٥) قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُوفُّ بِأَفْئِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [يوسف : ٩٣] وقد أرسل قميص يوسف من مصر إلى أرض كنعان ، ووجد فيه يعقوب رائحة يوسف ، فارتد إليه بصره . الريح : الرائحة . تنسم : شم .

(٦) المراد بالنيرين الشمس والقمر .

وتلك الذات في دنيائك أضرم بغزوك ما ترى أو غاب حطّم^(١)

السؤال الثالث

يقال لممكن صلة بواجب وما بعد وقرب يا مخاطب؟^(٢)

الجواب

وهذا العالم الفاني فجذد	وعقل كيفه والكم قيّد
لإقليدس وطرسى أراه	وعقل قاس أرضاً قد كفاه ^(٣)
وليس حقيقة فيه الزمان	ولا أرض ولا حتى المكان
أقم هدفاً لترشق بالسهم	وما المعراج فافهم من كلامي ^(٤)
أتحوي مطلقاً دنيا الجزاء	وليس سوى ضياء للسماء ^(٥)

(١) في الأصل المكان واللامكان أي هذا العالم والعالم الآخر . يرى إقبال أننا لا نتجاوز عالمنا بالعقل ، ولكننا نبليغ العالم الثاني بالروح الملهمة . وتسمى هذه القوة الروحية سلطاناً .

(٢) في الأصل : القرب والبعد والكثير والقليل .

(٣) هو إقليدس الذي علم الهندسة في الإسكندرية على عهد بطليموس ووضع مبادئ علم الهندسة السطحية . والطوسي : هو نصير الدين الطوسي فلكي رياضي ، كان معقود الصلة ببلاط هولاءكو . وقد شرح كتاب الأصول لإقليدس .

(٤) رشقه بالسهم : رماء به .

(٥) في الأصل دبر المكافاة . والدّير في الشعر الفارسي يطلق على الدنيا . يشير إلى قوله تعالى في سورة النور ﴿ أَفَلَمْ نُؤَيِّدِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور : ٣٥] وعند إقبال أن النور أقرب شيء إلى المطلق .

وما لحقيقة زمنٌ وحَدٌ
لها حَدٌ ولكن ليس بظهورٍ
وليس بباطنٍ أيُّ ارتفاعٍ
إلى أبدٍ لعقلٍ ما السيل ؟
وأعرجُ كان ، بغيته الشكون
ومزقنا الحقيقة في يدنا
وفي غير المكانِ رأى مكانا
زمانٌ ما بدا لي في الضمير
يمرُّ العام ، ما ساوى الشعيرا
لذاتك عُد ، تخلص من هديرٍ
وفصلُ الجسمِ عن روحٍ كلامٍ
وتخفي الروحُ سرَّ الكائنات

فكيف تريدُ دنيا لا تحداً
ولا يخفى بها ما كان أكثر^(١)
ويقبلُ ظاهراً كلَّ اتِّباع^(٢)
فواحدَه كثيرٌ ، والقليل
على القِشر اللبَابُ له يكون^(٣)
مظاهراً للفوارقِ ما رأينا
وكالرُّنار يتَّخذُ الزمانا^(٤)
خلقت الوقت يمضي بالشهور^(٥)
بآية ﴿ كم لبثتم ﴾ كن بصيراً^(٦)
وتفَسِّك ألتر في قاع الضمير^(٧)
فتفرقة وتمييزُ حرام
وهذا الجسمُ حالٌ للحياة

- (١) في الأصل أنَّ حدها في داخلها لا في خارجها وليس في داخلها منخفَضٌ ولا مرتفع ولا قليل ولا كثير .
- (٢) يذهب إقبال إلى أنَّ الزمان والمكان مما يقيس به العقل عالم الطبيعة إلا أنَّ العقل يعجز عن إدراك المطلق ؛ لأنه يربط الواحد بغيره والقليل بالكثير .
- (٣) كان هنا تامة .
- (٤) راجع ما قلناه في المكان واللامكان في ديوان « هدية الحجاز » . والزَّئار : ما يشد به النصارى وسطهم .
- (٥) الحقيقة في نظر إقبال لا تقبل التجزئة وهي في تغير ، وليس في الإمكان قياس الزمان بالأعداد .
- (٦) حبة الشعير مضرب المثل في حقارتها في الفارسية ، أمَّا آية ﴿ كَمْ لَيْسَتْ ﴾ فمن قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَيْسَتْ قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَتْ ﴾ [الكهف : ١٩] ولقد لبثوا في الكهف طويلاً طويلاً . وإقبال بذلك يقدم الحجَّة على عجز الحساب عن قياس الزمن .
- (٧) الهدير : صوت الرُّعد والبحر .

لها الحنساء مِنْ صَوْرِ عروس
تسترت الحقيقة بالنقاب
وبين الروح والجسد الفراق
رجال الدين سُبْحَتُهُمْ تدور
ففي التمويه منقطع الشبيه
وقلبك ثم عقلك فاضحبن
بتقليد لهم ذاتاً أضاعوا
وكم جزء لواحد قد رأينا
تري دنيائك ما يبدو كتررب
وصورة ميت رسم الحكيم
وما من حكمه قلبي رآها
أرى الدنيا بثورتها تميد
دع الأعداء واطرحها ، لتهمل
فمن كل جزيء كان أكثر

هي المعنى ، ففي حُلِّ تميس^(١)
ويسعدّها الظهور بلا حجاب
بغرب ، أين في الحكم الوفاق^(٢)
بأمر الحكم ليس لهم شعور
هو الجسد الذي لا روح فيه^(٣)
إلى الأتراك فازحل ، وانظرن
بدين ربط حكم لم يراعوا
بأعداد لتحصيه أئينا
أراها برهة من صنيع ربي^(٤)
بلا عيسى ولا ضرب الكلم^(٥)
بشوق حكمه أخرى ابتغاهما
خفوق هز باطنها شديد^(٦)
وبعض الوقت في ذات تأمل
جنون قولة الطوسي وآخر^(٧)

(١) تميس : تتبختر .

(٢) يقول : إنَّ أهل الغرب يفصلون بين الروح والجسد ، وبالتالي فصلوا بين الدين والدولة ، وعكف رجال دينهم على العبادة دون أن يلتفتوا إلى شأن من شؤون الحكم في دولتهم .

(٣) يريد نظام الحكم الذي ينفصل عن تعاليم الدين . والتمويه : الخداع بالظاهر .

(٤) يريد ليقول : إنَّ العالم كتلة من المواد ، ولكنها أحداث متلاحقة . وسلوك منظم ، والطبيعة للذات الإلهية ، كالطبع للذات الإنسانية . وهي في تصوير القرآن عادة إلهية ، كما يقول إقبال .

(٥) هو عيسى عليه السلام الذي أحيا الموتى ، والكليم موسى عليه السلام الذي ضرب البحر بعصاه .

(٦) تميد : تضطرب .

(٧) في الأصل : نصير الدين الطوسي ، وفخر الدين الرازي من أهل القرن السادس الهجري .

أرسطو مرةً إياه فاعرف
لهذين المقام ففادرتة
بعقلك وهو يدرك كل كم
على دنيائك سيطر ثم هيمن
ولكن حكمة أخرى تعلم
ودع دنيا الدياجي والنهار
ويكون لحنه يوماً لتعرف^(١)
تضيغ بمنزلي ، فحذار منه
وباطن معدن أو قاع يسم^(٢)
وفي أفلاكها الأجرام مكن^(٣)
وذاتك نخ عن يوم لتسلم^(٤)
يميناً فاطلين بلا يمار^(٥)



السؤال الرابع

أهذا محدث هجر القديم
أمعروف وعارفه ، إلهي
فكانا الكون والباري العظيما
لم الأشواق أزمقت الظليما^(١)

الجواب

حياء الذات إيجاد لغير
وللمعروف بعد كل خير^(٧)

- (١) أرسطو صاحب المنطق يمثل الاستنتاج ، وفرانسيس بيكون الفيلسوف الإنجليزي يمثل الاستدلال بالتجربة .
(٢) المعدن : المنجم . واليم : البحر .
(٣) هيمن على الشيء : راقبه وحفظه .
(٤) في الأصل : عني خداع الليل والنهار .
(٥) الدياجي : الظلمات ، والمراد بها هنا : الليل .
(٦) يقول : إن المحدث انفصل عن القديم ، فأصبح الأول العالم ، أما الثاني فإله تبارك وتعالى . . وإذا ما كان المعروف والعارف هما ذات الله ، فما الحنين الذي أضنى الإنسان . والظليم : التراب ، والمراد به الإنسان .
(٧) يقول : إن الفراق بين العارف والمعرف غير عظيم .

قديماً أو مغايره حسينا
 ذكرنا الأمن والغد في دوام
 وفطرئنا انقطاع عنه كانا
 وليس لنا بفرقة عيار
 بنا وبه أعجيب ، أي حال
 فراق يمنع النظر الترابا
 وهذا العشق يزكو بالفراق
 تباريح الفراق لنا الحياة
 من المولى ؟ ومن إياه يُعبد
 يدوم له التجلي نور ذات
 وتلك محبة في الجمع تبصر

طلسماً كان حُباناً ، فخبنا^(١)
 (فكان) و (سوف) أسرّ للكلام^(٢)
 سبيلاً قد ضلنا في سُرانا^(٣)
 وواصلنا ، فدام له القرار^(٤)
 ففرقنا فراق في وصال^(٥)
 وقشاً ما به بلغ الثحابا^(٦)
 مع العشاق كان على وفاق^(٧)
 تخلدنا ، فيبقينا الممات^(٨)
 هما سرّ يؤيد أن سنخلد^(٩)
 وبين الجمع معنى للحياة^(١٠)
 بغير الجمع ذا ما ليس تبصر

- (١) مغاير القديم هو المحدث . وحسبه حساناً : عدّه وأحصاه . وكان هنا تامة .
- (٢) في تفيد معنى المصاحبة . والأس : الأساس .
- (٣) السرى : السير ليلاً .
- (٤) العيار : ما يكون في الدراهم والدنانير من الذهب والفضة يكسبها قيمتها . والمراد به هنا القيمة . واصله : ضد قاطعه وهاجره .
- (٥) في الأصل : ليس بدوننا ولسنا بدونه .
- (٦) المراد بالتراب هنا الإنسان . وفي الأصل : يجعل القش جبلاً . وفي الفارسية كاه بمعنى : القش ، وكوه بمعنى : جبل .
- (٧) زكا : نما وصلاح . وفي الأصل : أن الفراق حامل المرأة للعشق . وحامل المرأة يعين على التزين ، وإصلاح المظهر .
- (٨) تباريح الشوق : شدته وآلامه .
- (٩) في الأصل : ما أنا وما هو . وإقبال بذلك ينكر مبدأ فناء النفس الإنسانية في الذات الإلهية ، لأنه يتحدث عن الفراق والتلاقي ، ويرى الخير كل الخير في اجتماع المحب بالمحبيب .
- (١٠) الجمع : الجماعة من الناس .

تجليات محفلنا تأمل
فلا الأبواب أمكننا علينا
ويجعل نفسه عنا غريباً
وننحت مثل صورته الحجارة
هتكنا ستر فطرنا علينا
وهذا الثرب ما ج به الخيال
ولكن من فراق وهو يشكو
به كانت له هذي البصيرة
وأنفد حزنه جزع الصبور
وأصبح دمه ذراً ثميناً
وذاتك : إن تعانقها طويلاً
مقامات لها بالحب عقد
تسير له الأمور بلا ختام

تجلى الله لا الدنيا تأمل^(١)
ونحن به بمفردنا اختلنا^(٢)
يداعينا كمعزف طروباً^(٣)
ونسجد ، ما رآته العين ، تاره
جمال حبيبنا ها قد رأينا^(٤)
فيا طئه أضاء ولا يزال^(٥)
بفضل فراقه تلقاه يزكو^(٦)
فهذا ليله أضحي الظهيره
ومن حزن تبدل بالسرور^(٧)
الحزن أودت الغصوننا^(٨)
تجد في الخلد من موت بديلاً !
وما من منتهى يحدوه حد^(٩)
به الفجر الضحوك بلا ظلام

- (١) الحفل : مكان اجتماع المجتمعين .
(٢) أمسك عليه الباب : أوصده . وفي الأصل : أن هذا المحفل يخلو من باب وجدار وقصر .
(٣) في الأصل : أنه يجعل نفسه غريباً عنا تارة ، ويمزف علينا كآلة الطرب تارة أخرى .
(٤) هتك الستر : مزقه أو جذبه من موضعه .
(٥) الثرب : التراب . والمراد به الإنسان الذي خلق من تراب .
(٦) يزكو : ينمو ويصلح .
(٧) أنفد : أفنى . والجزع عدم احتمال الصبر ، يقول : إنه حزن حزناً لا يطيقه حتى الصبور .
(٨) أودته : ثناه وعطفه . يقول : إن للحزن ثماراً طيبة أثقلت الغصون . وهو مأخوذ من نخلة الماتم في الفارسية ، بمعنى النمش .
(٩) في الأصل : أنه ربهلها في عقدة فهو مقيد ، كما أنه يمضي لا يقف عند نهاية فهو مطلق . يحدو : يسوق . والوخد : سرعة السير .

يفايِر عقلنا وعزُّ الطريق ودنيا كان في وهج الشروق^(١)
 بآلاف العوالم قد مررنا على بعض التوقف هل قدرنا ؟
 خلوداً في حياتك يا مسافر وفي موت ، إلى الدَّاني فبادر^(٢)
 وليس البحر يغرقنا انتهاء تعلق فيه ، ما هذا فناء^(٣)
 وجود الذات في ذاتٍ محال لتصبح نفسها ، هذا كمال^(٤)

السؤال الخامس

أجني من أنا ؟ وَضَح (أنا) لي وما في الذات من (شدُّ الرِّحال)^(٥)

الجواب

بذات عُوذَة للكائنات وأوَّل نورها أصلُ الحياة^(٦)
 وتصحو مِن رُؤاها في كراها بكثير بَعْدَ واحدٍها تراها^(٧)

- (١) الوهج : اتقاد الشمس وحرها . وفي الأصل : أنه عالم في نور برهة .
- (٢) المسافر في اصطلاح الصوفية : هو من سار قلبه متوجهاً إلى الحق . الداني : القريب . بادر : أي سارع إلى أول وأقرب طريق إليك ، واسلكه .
- (٣) لا يريد إقبال للنفس الإنسانية فناء في الذات الإلهية كفناء القطرة في البحر على أن ذلك قصارى ما ينشد الصوفي . ويقول : إنَّ الإنسان إذا تعلق بالذات الإلهية فليس هذا فناء فيها .
- (٤) يعني : أن كمال الذات الإنسانية في قدرتها على ضغط كيائها ، حتى إذا اتصلت بالذات الكلية .
- (٥) الرِّحال : جمع رحل ، وهو ما يشد على ظهر البعير لركوبه . وشدُّ الرِّحال كناية عن السفر ، وفي الأصل : (أي معنى في قولنا سافر في الذات) .
- (٦) العوذة : ما يعلق على الإنسان لحفظه من الشرِّ والعَد .
- (٧) الرؤى : جمع رؤيا وهي الحلم . والكُرى : النوم . الكثرة : وعند إقبال أنَّ الحياة في تعدد الأناسي على اختلافهم والرحدانة لله .

ونمضي في اتساع ، ماربونا
يضم صميمها في العمق بحرا
تخالف من بشيمته تصبر
كنار ، والذات لها شرار
وراء حدودها والغير تشهد
تأمل في انطواء كيف تبدو
ثبور وراء ستر للخفاء
بنار في الصميم ثوث وقامت
فمن هذا لعالمنا النظام
ذوات اطلعتها من شعاع
تراب الجسم للذات الحجاب
وتلك الذات تشرق من صدور
ومعنى لانا كم قلت بين
على صلة بأرواح جُسوم
بذلك مولد من غير أم
على خلد حصولك بالتياع

ولولا ذاك منها ما زكونا^(١)
وقلب القطر موج ما استقرا
وفي ملأ لنا تبدو بمظهر^(٢)
نجوم ، سائر وله القرار^(٣)
وفي الجمع الكبير كمن توحد^(٤)
تراب ديس ، منه كيف تنمو
وتبحث في دوام عن رواء
تحارب نفسها ، والحرب دامت
وكالمرآة قد أضحى الرغام^(٥)
جواهر أخرجت كانت بقاع
وتبدو الشمس اطلعتها السحاب
بجوهرها التراب لنا كنور
(بذاتك فلتسافر) فلتعين
فسافر كي تحقق ما نروم^(٦)
ومن سطع كإمساك بنجم
كانك قد رأيت بلا شعاع

(١) ربا : زاد ونما ، وما في الشطر الأول شرطية زمانية ، أي تتسع مدة نمونا . وزكا : كريا .

(٢) الشيمة : الفطرة ؛ أي : تخالف من يصبر بطبعه ، فهي لا تستطيع صبرا . الملا : الجماعة .

(٣) يشبهها كذلك بالنجوم الثوابت والسيارة .

(٤) توحد : انفرد واعتزل .

(٥) الرغام : التراب .

(٦) الجُوم : جمع جسم . تروم : تريد .

وعن أمل وعن وجل تناء
 طلسم البر والداماء فاصدع
 بأوبة من يطوف بلا مكان
 لهذا السر تفسير محال
 فما قولي (أنا) وهي الضياء
 ويرجف من سناها الأزهران
 مقر ضمها كان القلوبا
 عن الغير افتراق ، وارتباط
 خيال في التراب له الكيان !
 سجين ، في قيود ، كيف أفلت !
 بصدرك مثل مصباح منير

كشق أنت محدثه بماء^(١)
 ويدر التم فلتصدغ بإصبع^(٢)
 له الدنيا لتحمل في الجنان^(٣)
 وتنفع فيه عين لا مقال^(٤)
 وفي ﴿ إنا عرضنا ﴾ ما نشاء^(٥)
 زمان تحتضنه والمكان^(٦)
 لهذا الثرب أصبحت النصيبا^(٧)
 بنفس ضيقة ، وبه اختلاط^(٨)
 أيحويه الزمان أم المكان ؟^(٩)
 فما الرامي وأوهاق تدلت ؟^(١٠)
 لك المرأة ، فيها أي نور

- (١) التناهي : البعد . الوجل : الخوف .
- (٢) الداماء : البحر .
- (٣) الأوبة : العودة . الجنان : القلب .
- (٤) المقال : القول . أي : أن الرؤية بالعين تنفع في معرفة السر لا الكلام .
- (٥) قال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] . والأمانة الطاعة ، وقد عظم شأنها . وحملها الإنسان على ضعفه ولم يف ، ولم يراع حقها ، فكان ظلوماً ، وبكته عاقبتها جهولاً . وقيل : إن هذي الطاعة تتم باختيار الإنسان وإرادته .
- (٦) الأزهران : الشمس والقمر ، السنا : النور ، والسناء : الرفعة . وفي الأصل : أن الفلك يرتعد من سناها ، أو سنائها .
- (٧) الثرب : التراب . وإقبال يسمي الإنسان على الدوام حفنة التراب .
- (٨) الضيقة : الضياع ، وبه : أي بالغير .
- (٩) الخيال في الفارسية بمعنى النية .
- (١٠) الأوهاق : الحبال التي يصاد بها .

عليها أنت قد كنت الأمانة بإدراكك لذاتك كن قمينا^(١)

السؤال السادس

أهذا الجزء عن كل يزيد ا وكيف البحث عنه لمن يريد ؟

الجواب

وما للذات مقياس لدينا
من الأفلاك تهبط ثم تعلو
فمن بالنفس يملكه الشعور
حوتها ظلمة والضد نور
لها حكم بها الأبواب تسحر
خلوداً في الصميم العيش كانا
مقام الكون منها قد تقلر
أتمأل عن طبيعتها وتسال
وماذا عن طبيعتها لقائل
فما قولسي ؟ وفي قول النبي

وأعظم ما يلوح لناظرينا^(٢)
ببحر الكون تسقط ثم تسمو^(٣)
سواها ، أو بلا ريش يطير
تناات الجنة ، في الحضيض حور^(٤)
ومن قاع الحياة أتت بجوهر
ولكن للعيون بسدا زمانا
وتحفظه بما للعين يظهر
وعنها ما بقدر ليس يفصل
فجير ظاهر والضد مائل^(٥)
بذا الإيمان في قول جلي^(٦)

(١) القمين : الجدير .

(٢) الناظران : العيان . يقول : إن الذات أعظم ما نرى ، وإن كانت الرؤية ليست بالبصر .

(٣) تسمو : تعلو .

(٤) تناات الجنة : بعدت .

(٥) المراد بالضد هو الاختيار . مائل : قائم . وفي الأصل أن الاختيار داخلها .

(٦) قيل : إن جبريل مضى إلى النبي عليه الصلاة والسلام في هيئة رجل وسأله عن الإيمان فقال له : هو أن تؤمن بالله وملائكته ورسوله وبالقدر خيره وشره .

وَمَا لِلْخَلْقِ عِنْدَكَ غَيْرَ جَبْرِ
وَتِلْكَ الرُّوحُ مِنْ تَفْسِ الْإِلَهِ
وَهَذَا الْجَبْرُ وَهُمْ أَوْ ظَنُّونَ
تَصُولُ بِعَالَمٍ لِلْكَيفِ وَالْكَمِّ
وَذَاكَ الْجَبْرُ مِنْهُ إِنَّ أَفَاقَتَ
بِرَغْبَتِهَا خَفُوقُ النُّجْمِ وَاجِبٌ
تَمِيطُ الشُّرَّ عَمَّا أَضْمَرْتَهُ
وَأَهْلُ الثُّورِ قَدْ وَقَفُوا طَوِيلًا
وَمِنْ كَرَمٍ لَهَا خَمْرُ الْمَلَائِكِ
تَقُولُ : وَهَلْ إِلَيْهَا مِنْ سَبِيلٍ
لَكَ الْإِيَّامُ فَاجْعَلْهَا خُلُودًا
لِهَذَا الْعَقْلِ مِنْ حَرٍّ صَدُورٍ
لِعَقْلِ جَزْؤُهُ ، لِلنُّوحِ كُلِّ
وَذَاكَ الْعَقْلُ مَا وَسَّعَ الْخُلُودَ

وَمِنْ بَعْدٍ وَمِنْ قَرَبٍ بِأَسْرٍ
بِخُلُوتِهَا تَلُوحُ بِلَا اشْتِبَاهٍ^(١)
بِغَيْرِ إِرَادَةٍ رُوحٌ تَكُونُ^(٢) ١٩
وَعَنْ جَبْرِ إِلَى الْمُخْتَارِ تُقَدِّمُ^(٣)
لَهَا الدُّنْيَا كَتَلِكَ النُّوقِ سَاقَتِ^(٤)
بِرَحْمَتِهَا تَلَالِاتِ الْكَوَاكِبِ^(٥)
وَجَوْهَرَهَا بِعَيْنَيْهَا رَأَتْهُ^(٦)
أَرَادُوا أَنْ يَرَوْا وَجْهًا جَمِيلًا^(٧)
وَكَانَ عِيَارُهَا تَرِبًا كَذَلِكَ^(٨)
إِذَا أَوْرَدَ مَقَامًا لِلْعُقُوبِ
وَنُحَ فِي الْفَجْرِ ، عَقْلُكَ لَنْ يَفِيدَا
وَمِنْ عَشْرِ نَحِيبِ الْفَجْرِ نُورٍ
وَنُوحٌ دَامَ ، مَا إِنْ دَامَ عَقْلُ
مِنَ الْأَنْفَاسِ مَا يَحْصِي عَدِيدًا^(٩)

- (١) أَي أَنَّ الرُّوحَ فِي خُلُوتِهَا مَعَ اللَّهِ تَبْدُو فِي كُلِّ مَظَاهِرِهَا بِجَلَاءٍ .
(٢) كَانَ هُنَا تَامَةً .
(٣) صَال : غَلَبَ وَقَهَرَ ، فِي الْأَصْلِ أَنَّهَا تَغْيِيرٌ عَلَى عَالَمِ الْكَيفِ وَالْكَمِّ . وَتَمْضِي مِنَ الْجَبْرِ إِلَى الْإِخْتِيَارِ .
(٤) فِي الْأَصْلِ : أَنَّهَا إِذَا نَفَضَتْ عَنْهَا عِيَارَ الْجَبْرِ سَاقَتِ عَالَمُهَا كَمَا تَسُوقُ النَّاقَةُ . وَالنُّوقُ جَمْعُ نَاقَةٍ .
(٥) خَفُوقُ النُّجْمِ : اضْطِرَابُهُ . وَفِي الْأَصْلِ أَنَّ السَّمَاءَ تَدُورُ بِإِذْنِهَا .
(٦) تَمِيطُ : تَزِيغٌ وَتَرْفَعُ .
(٧) أَطْلَقْنَا أَهْلَ النُّورِ عَلَى النُّورَانِيَّةِ ، وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ .
(٨) الْكَرَمُ : شَجَرُ الْعَنْبِ . وَالْمَلَائِكُ : الْمَلَائِكَةُ . وَالْعِيَارُ مَا يُضَافُ إِلَى الدَّنَانِيرِ وَالْدِرَاهِمِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ . وَالْمُرَادُ قِيَمَتُهَا . وَالتَّرِبُ : التَّرَابُ ، فَهِيَ تَسْتَمِدُّ قِيَمَتَهَا مِنْ تَرَابِهَا .
(٩) فِي الْأَصْلِ : إِنَّ أَنْفَاسَنَا تَحْصِي السَّاعَاتِ كَمَقْرَبِ السَّاعَةِ . وَالْعَدِيدُ : الْعَدَدُ .

بخلق الليل يُشغل والنهار
 قصارانا نواخ العشق كانا
 وذات إن بدا المعروف عنها
 لعينك مثلها هذا الضياء ؟
 كيف تخاف من ريب الفناء
 وموتاً غير هذا خاف قلبي
 سكون الخفق في شوق اليم
 وأنفسنا بأيدينا نكفن
 فوئك كامن لك في الكمين
 بجسمك كان حفر للحفير

ومن نار له بعض الشرار^(١)
 وتحوي برهة منه زمانا
 لحلت عقدة في العمق منها^(٢)
 وتحسب أن سيدركها الفناء
 إذا نضجت ، فعنها الموت نائي
 وروحي بل وماء لي وتسربي
 وإبعاد الشرار عن الهشيم^(٣)
 وموت جاءنا نلقى بأعين
 تذكر ، واخش عادية المنون^(٤)
 ومنكر فيه جاوره نكير^(٥)

السؤال السابع

ومن عبر السبيل ومن مسافر ووصف كمال من في ذكر ذاكر ؟

الجواب

أطل نظراً على قلب تردد بصدرك منزل ، إياه فاشهد^(٦)

(١) يقول : إنه لا يأخذ الشعلة بل شرارها .

(٢) المراد بالمعروف عنها العظيم من قدرتها .

(٣) يقول : إن الموت الحق الذي يرهبه هو عدم العشق ، والهشيم : ما يبس وتكسر من النبات .

(٤) المنون : الموت .

(٥) منكر ونكير : اسم ملكين يحاسبان الناس في القبر ، والحفير : القبر .

(٦) المنزل : مكان النزول ومرحلة من المراحل التي ينتهي إليها سالك طريق التصوف .

وفي حَضَرٍ بِذَلِكَ تِلْكَ سَفَرُهُ
فَأَيْنَ مَقَرُّنَا يَا لَيْتَ شِعْرِي
وَمَالِكَ غَايَةً ، لَا تَبْغِ غَايَةً
بِنَا نَضْجاً ظَلَمْتُ وَمَا نَضْجُنَا
وَفِي عَدَمِ الْوُصُولِ لَنَا الْحَيَاةُ
تَجَوَّلْنَا بِرَحْبِ الْأَفْقِ كَانَا
لَغِينَا ، حَوْلَ أَنْفُسِنَا نَدْوُرُ
وَدَوْمًا كُنْ لَذَاتِكَ فِي الْكَمِينِ
وَمَا لِأَجِيحٍ عِشْقٍ مِنْ فَنَاءٍ
كَمَالًا نَظَرُهُ كَانَتْ بِذَاتِ
بِذَاتِ الْحَقِّ تَخْلُو آنَذَاكَ

وَمِنْ ذَاتٍ إِلَى ذَاتٍ ، بِخَطَرَةٍ^(١)
وَمَا لَحْنًا لَشَمْسٍ أَوْ لِبَدْرِ
فَرَوْحُكَ تَنْتَهِي عِنْدَ النِّهَايَةِ
نَقَصْنَا فِي الْمَنَازِلِ أَوْ كَمَلْنَا
بِسَفَرَتِنَا تَحْشَانَا الْمَمَاتُ^(٢)
وَطَنْنَا ذَا الْمَكَانِ وَذَا الزَّمَانِ^(٣)
بِقَاعِ الْكَوْنِ مَوْجُتُنَا تَتَوَرَّ^(٤)
وَمِنْ شَكِّ فَقَرٍّ إِلَى الْيَقِينِ
وَنَظَرُهُ ذِي الْيَقِينِ بِلَا انْتِهَاءٍ^(٥)
وَذَلِكَ بِالْخُرُوجِ عَنِ الْجِهَاتِ^(٦)
تَرَى مَوْلَاكَ وَالْمَوْلَى يَرَاكَ^(٧)

- (١) الحَضَرُ : هُذِ السَّفَرُ . الْخَطَرَةُ : مَا يَلُوحُ فِي الْفِكْرِ . وَمِنْ مَعَانِي السَّفَرِ : السَّيْرُ إِلَى اللَّهِ مِنْ مَنَازِلِ النَّفْسِ حَتَّى يَصِلَ الْعَبْدُ إِلَى مَقَامِ الْقَلْبِ .
- (٢) السَّفَرَةُ : الْمَرَّةُ مِنَ السَّفَرِ . وَالْبَاءُ هُنَا لِلْيَبِيَّةِ . تَحْشَاءُ : اسْتَشْنَاءُ . يَقُولُ فِي الْأَصْلِ : إِنَّ هَذَا السَّفَرَ لَنَا حَيَاةٌ خَالِدَةٌ .
- (٣) الرَّحْبُ : السَّعَةُ . وَالْمَرَادُ بِالْمَكَانِ وَالزَّمَانِ هَذَا الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ . وَفِي الْأَصْلِ مَجَالُنَا مِنَ السَّمَكَةِ إِلَى الْقَمَرِ . وَهُمَا فِي الْفَارْسِيَّةِ مَا هِيَ وَمَاءُ . كَمَا قَالَ إِنَّ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ تَرَابٌ طَرِيقُنَا .
- (٤) لَغِينَا : تَعَبْنَا .
- (٥) أَجِيحُ النَّارِ : شِدَّةُ اشْتِعَالِهَا .
- (٦) الْمَرَادُ بِالْجِهَاتِ : الْعَالَمُ أَجْمَعُ .
- (٧) عِنْدَ إِقْبَالِ أَنَّ هَذَا مَا تَبْلُغُهُ الذَّاتُ فِي أَوْجِ كَمَالِهَا حَتَّى فِي اتِّصَالِهَا الْمُبَاشِرِ بِالذَّاتِ الْمَحِيطَةِ بِالْكَلِّ . جَاءَ فِي سُورَةِ النَّجْمِ عَمَّا شَاهَدَهُ ﷺ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ : ﴿ مَا زِلَكَ الْبَصَرُ وَمَا كُنَّ ﴾ [النَّجْمُ : ١٧] أَيِ : إِنَّ بَصْرَهُ أَثْبَتَهُ مَا رَأَى إِثْبَاتًا صَحِيحًا مُسْتَقْنًا ، فَمَا عَدَا عَنْ رُؤْيَا الْعَجَائِبِ الَّتِي أَمَرَ بِرُؤْيِهَا .

وَمِنْ الْمُفْسِّرِينَ مَنْ قَالَ بِاسْتِحَالَةِ تِلْكَ الرُّؤْيَا كَمَا أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ أَجَازَهَا لِأَنَّ مُوسَى =

بنور فلتتر من ﴿ لن تراني ﴾ بذاتك كن قوياً في حضوره ومما ماج فيك لتعط ذره تحرق حيث يبدو في جلاء برؤيته ، لعالمنا إمام وإيحاء اطلبين إذا افتقدته ولا تمدد إلا الملاً يميناً لأمر الدين والدنيا إمام كمثل الشمس تشرق في الصباح وغربي له حكماً أقاماً بغير العزف ليس له غناء ومن بستانه الصحراء أجمل

وإن أغمضت عينك أنت فإن^(١) حذار من الضياع ببحر نوره^(٢) بجانب شمسنا لتبهر مره وأظهر منك ذاتك في ضياء^(٣) له لا للورى كان التمام^(٤) بفضل ثيابه خذ إن وجدته^(٥) ولا تغمض عن الشخص العيون^(٦) هو الرائي ، وقد عمي الأنام^(٧) لديه شمس أفكار صحاح عن الشيطان قد خلغ الزماما حوته بما يطير به السماء^(٨) مدينته فدغ ، فالفقر أفضل

طلبها .

- (١) قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُومِنٌ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ انظُرْ إِلَيَّ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ لَنْظُرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُومِنٌ صَوْقًا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .
- (٢) هذا صريح في دلالة على أن إقبالاً لا يأخذ بمنهج الفناء في الذات الإلهية .
- (٣) يقول : أنر ذاتك حياً وذاته في الخفاء .
- (٤) الورى : الناس . والمراد هنا بالتمام : الكمال .
- (٥) أخذ بفضل ثيابه : تمسك بما يمكن التمسك به منها .
- (٦) الملاً : هو الشيخ الذي لا يفقه الدين على ما ينبغي . الشخص : الحديدية التي تؤخذ بها السمكة . يقول : إن مثل هذا الشيخ يخدعك ، كما تُخدع السمكة بالشخص لتصاد .
- (٧) الأنام : الناس .
- (٨) يقول : لا غناء ولا صدى عند الغرب إلا بالمعازف ، ولا يطير في السماء إلا بطائرة صنعها . وهذا من الدليل على إغراقه في المادية .

من السرَّاق شرذمةٌ تغيّر
صحا جسمٌ وللزُّوج الثِّباتُ
لدى الكُفَّار زاد الكفر عقلُ
وهذا راصدٌ ولذا الكمينُ
إذا ما شئتَ بلغهم كلامي
على هذا الحسام الروحُ تجري
ليدخل ذلك الصنصامُ غمته

وراء الخبز طالَ بها المير^(١)
مع الذين الفنونُ محقراتُ^(٢)
وللإنسان عند الغرب قتلُ
إلهي ! كن لهم نغمَ المعينِ !
نظامُ الحكم كالسيفِ الحُسامِ^(٣)
يصولُ على الرقاب وليس يدري^(٤)
ولا أهلك الإنسان بَعْدَه^(٥)

السؤال الثامن

أتعرف ما تضمّنته (أنا الحق) أتحسبه هراء حين ينطق^(٦) ؟

الجواب

أعاود عنه قولاً لي يطولُ
بعلقته مجوسيّ أشاعا

وعند القوم سرُّ ما أقول^(٧)
(حياة بالآنا خدعت خداعا)

- (١) السرَّاق : جمع سارق . والشرذمة : الجماعة من الناس .
- (٢) الثبات : النوم . في الأصل : الدين والفن والعلم . وأطلقنا الفنون على العلوم والفن .
- (٣) السيف الحسام : القاطع . يقول : إنّ هذا نظام الحكم في بلاد الغرب .
- (٤) يصول : يشب . وفي الأصل : إنّ هذا السيف لا يعيز في الضرب بين مسلم وكافر .
- (٥) الصمصام : السيف . يريد له أن يستقرّ في ضمته ؛ لأنّه يقتل نفسه بقتله الناس .
- (٦) أنا الحق : قول منسوب إلى الحلاج ، ذلك الصوفي الذي كان يتجوّل في الأسواق ، وقد غلب عليه الوجد والطرب ، وحرص على الدّعوة إلى آرائه وتعاليمه التي خرجت على مالوف القوم في زمانه ، فبلغت من أهل الدين مبلغاً شديداً ، واتهموه بالحلول والكفر ، وأفتوا بقتله ، فصلب في بغداد سنة ٣٠٩ هـ . وإقبال يرى في الحلاج رأياً آخر يناقض رأي قومه ، ويعانده . ولذلك انبرى للدّفاع عنه في عديد من تأليفه .
- (٧) عاود الشيء : عاد إليه . والمراد بالقوم هنا أهل إيران والهند .

سبات الرب فيه الحلم كنا
ولولاه لما وجد المكان
هو العقل المميز بل هو القلب
وفي الأحلام تُفرق ناظريكا
وباستيقاظه يفنى الجميع
لديننا العلم نور بالقياس
تغيّر حسنا سبب التغيّر
فما من حولنا ريح ولون
وهذا كله وهم عجاب
ونخدعة حسنا لا رب فيها
فما ذات لنا في الكائنات
حريم الذات ما بلغته نظره
لها يوم بلا فلك يدور
إذا سميت تلك الذات وهما
معي قل : من تخامره الظنون

وهذا الحلم منه قد خلقنا^(١)
بما يحوي ولا وجد الزمان
هو التفكير والتصديق والريب^(٢)
واقوالا وأعمالا لديكا^(٣)
فمن شوقا يشري أو يبيع^(٤)
وتعويل القياس على الحواس^(٥)
لعلنا ، فيملنا التطسور
ولا يدي لنا الآثار كون^(٦)
على وجه لخالقنا حجاب
دخلنا من خداع الحس فيها^(٧)
بذات حسنا قطع الصلات
تشاهدا بلا نظره بخطر^(٨)
تأملها فما شك يشور^(٩)

كمظهر أي شيء قلت حتما
تأملها ، لتعرف من يكون

- (١) السبات : النوم . يقول : إن هذا الكون وما فيه حلم رآه الله في سباته . وهو ينسب هذا إلى المجوسي ؛ لأن الله جل جلاله لا تأخذه سنة ولا نوم .
- (٢) يقول : إن العقل والقلب هما هذا الحلم .
- (٣) الناظران : العيان .
- (٤) يشري : يشتري .
- (٥) التعويل على الشيء : الاعتماد عليه .
- (٦) الريح : الرائحة . وطالما سئى إقبال العالم عالم الرائحة واللون .
- (٧) التيه : الصحراء التي تاه فيها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر .
- (٨) الحريم : ما يحيط بالبناء كالحرم . الخطرة : الفكرة .
- (٩) يقول : إن أيامها ليست زماناً يحسب بدوران الفلك .

أعمالنا ترى ؟ أورد دليلاً
لقد خفيت ، دليلاً فاطرحن
أراها الحق ما في ذاك باطل
إذا نَفِجَتْ ، لها امتنع الزوال
جناحٌ لو حوت به الشرار
بما أبلاه ربي ما الخلود
لروح طابَ خلد ، تستعار
وما للطود والوادي البقاء !
عن المنصور ما جدوى الكلام ؟
بذاتك ضغ ، ودغ عنك الجدال

بفكرك كان ذلك مستحيلاً^(١)
تفكّر ، ذلك السرّ اكشِفْ
لها أكل ، فأيقن لا تجادل^(٢)
فراقُ العاشقين هو الوصال
لخلد في الخفوق به وطارا^(٣)
ببحث ليس هذا ما يُريد^(٤)
ويشملها من العشق العقار^(٥)
ستبقى الذات ، للذُنْيا الفناء^(٦)
بذاتك فاطلبن ربّ الأنام^(٧)
وحققها بما الحلّاج قال^(٨)

السؤال التاسع

وسرّ الوَحْدَةِ الخافي أتدري أيعلم عارفٌ يا ليت شعري ؟!^(٩)

- (١) يقصد أن العالم ظاهر لنا ، إلا أنه مع ذلك في حاجة إلى دليل ، وهو ما يعجز حتى فكر جبريل .
- (٢) الأكل : الثمر والرزق الواسع .
- (٣) حياء : أعطاه .
- (٤) أبلى في ذلك بلاء حسناً : أظهر قدرته فيه . والمقصود هنا عمل . وفي الأصل أن خلود الله ليس جزاء على عمله ، لأن هذا الخلود ليس له بالبحث والطلب .
- (٥) يشمل : يسكر . العقار : الخمر .
- (٦) الطود : الجبل . يقول أي قيمة لبقاء الجبال والوديان ، فالبقاء للذات وللدنيا الفناء .
- (٧) المنصور : هو الحلّاج . وقد ذكر إقبال معه من يسمى " شنكر چريا " وهو مفسر هندي لكتاب من كتب الهند المقدسة . الأنام : الناس .
- (٨) دع عنك : اترك وأهمل .
- (٩) العارف : العالم ، والحكيم ، والصوفي في ذروة المعرفة .

مقامٌ تحت قُبَّتِها يطيب وفيها النيرانُ إلى مغيب^(١)
ونعشُ الشَّمسِ يحمله المساء كواكبُه لها الكفنُ الضياء
كمنهالِ الرُّمالِ هَوَتْ جبالُ لهذا البحر بعد الحالِ حالُ
على الأزهار عاصفةٌ تشور ورعبٌ للقوافلِ من مغير
وإنَّ بالدُّرِّ زانِ الطُّلُّ زهرا فباقٍ تارةً ليزولَ أخرى^(٢)
بغيرِ سماعها الألحانُ تَفنى وتلقى النَّارُ في الأحجارِ دفناً^(٣)
حمامٌ عنه تَسألُ أبجدي من الأنفاسِ قُيدنا بقيد^(٤)



غزل

لنا الكاساتُ دارثُ بالفناء وقد دُفِناء من داني ونائي^(٥)

- (١) المراد بهذي القبة قبة السماء. وبالنيرين: الشمس والقمر، ولهما المغيب بعد ظهورهما.
- (٢) الطُّلُّ: الندى. وهذا الندى يبقى تارةً ثم يزول تارةً أخرى.
- (٣) يقول: إنَّ الألحان التي لا تسمع تموت في قيثارتها، كما تموت النار الكامنة في الحجر.
- (٤) الحمام: الموت، والتَّسأل: السؤال.
- (٥) الغزل عند الفرس منظومة ذات رويٍّ واحدٍ لا تقلُّ أبياتها عن سبعة ولا تزيد على خمسة عشر، وموضوعها الغزل وغالباً ما تتضمن المعاني الصُّوفية. والشاعر يلتزم في البيت الأخير منه ذكر لقبه الشعري. وإقبال لا يلتزم شروط الغزل في هذي المنظومة.
- دارت الكأس: تناولها الشاربون الواحد تلو الآخر. يقول الشاعر: إننا جميعاً نلقى الفناء.

تَسْمَى سَاحَةً قَدْ جَالَ فِيهَا
بِهَا إِنَّ ذَرَّةً أَبَدَتْ يَفَارَا
أَتَطْلُبُ أَنْ يَقْرَأَ لَنَا قَرَارًا
شَغَافَ الْقَلْبِ فَاحْفَظْ فِيهِ ذَاتًا
هِيَ الدُّنْيَا مَقَامُ الْأَفْلِينَا
بِقَلْبٍ بَاطِلًا مَا إِنَّ أَرْدْنَا
هَنَا الرِّغْبَاتِ مَا هُمْ يَرْمُقُونَ
وَفِي الْإِمْكَانِ تَخْلِيدُ لِذَاتِ
وَمَصْبَاحٍ يَزْفِرْتَنَا تَالِقًا
لَدَى الْقَيُْومِ ذَوْقًا لِلْكَلامِ
فَمِنْ بَرَقِ التَّجَلِّيِّ كَانَ فِيهِ

بَدْنِيَا ، مِنْ نَجُومٍ فِي ضِيَاءِ
فَرْقِيَّةَ نَظَرَةً كُلَّ الْغَنَاءِ^(١)
بُنَا الْأَيَّامُ تَجْرِي جَرِيَّ مَاءِ
وَكُوكِبَهَا سَرَّاجٌ لِلْمَسَاءِ^(٢)
وَذَا الْعَرْفَانُ عِنْدَ الْعَارِفِينَا^(٣)
وَهَذَا الْحَزَنُ مِنْهُ قَدْ أَفْدَنَا^(٤)
وَبِهَجَّةٍ شَوْقِهِمْ مَا يَطْلُبُونَهُ^(٥)
وَجَعَلُ الْوَصْلِ مِنْ هَذِهِ الشَّتَاتِ^(٦)
بِإِبْرَتِنَا سَمَاءٌ سَوْفَ تُرْتَقُ^(٧)
تَجَلَّى فِي جَمْعٍ لِلْأَنَامِ^(٨)
وَذَاكَ الْجَامُ مَنَذَا يَحْتَسِيهِ^(٩)

- (١) الرقية : ما يقرأ على المسحور ليزول عنه أثر السحر . والغناء : الكفاية . وتكفي نظرة تبطل هذا التغار ، كما تبطل الرقية السحر .
- (٢) شغاف القلب : غلافه ، والسراج : المصباح .
- (٣) الإشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآهِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦] وأفل النجم : غاب . وهذا في شأن إبراهيم عليه السلام الذي لم يحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال ، لأن مثل هذا التغير من صفات الأجسام .
- (٤) أقاد : استفاد .
- (٥) يرمق : ينظر ويطلب .
- (٦) الشتات : التفريق .
- (٧) رتق الفتق : سدّه .
- (٨) القيوم : من أسماء الله الحسنى ، وهو بمعنى الباقي . وفي الأصل : الله الحي . الجمع : الجماعة . والأنام : الناس .
- (٩) الجام : كأس الشراب . احتسى : شرب . وفي الأصل : من قدح برق التجلي في قلبه ، وشرب تلك الخمر ، ثم ضرب رأسه بالكأس .

لِمَنْ قَلْبٌ عِيارِ الحَسَنِ مِنْهُ
(أَلَسْتُ) لَخْلُوةٍ قَدْ صَعَّدَتْهَا
لِعَشَقِ أَيُّ نَارٍ فِي التُّرابِ
تَدُورُ الكَاسُ ، لَكِنْ مَا بَقِينَا
لِعِزْلَتِهِ فَوَادِي قَدْ تَحَرَّقَ
وَأَتَرُ حَبَّةٍ فِي الأَرْضِ ذَاتِي

و طَافَ بَيْتٍ مِنْ ؟ مَا زَالَ عَنْهُ^(١)
(بَلَى) أَيُّ المَعَارِفِ رَدَّدَتْهَا^(٢)
وَحَرَّقَ لِحَنَّتَا كَسَمٍ مِنْ نِقَابِ^(٣)
بِمَحْفَلِهِ الحَيَاةُ غَدَّتْ رَيْنَا^(٤)
أَهْيَى مَحْفَلًا مَا إِنْ تَفَرَّقَ
لَهُ قَدْ صُنْتُ لَا لِسَوَاهُ ذَاتِي !

الخاتمة

لِيُشْهِزَ مِنْكَ ذِيَاكَ الحُصَامِ
وَتَمْلِكُ قَدْرَةً فَارْفَعِ نِقَابَا
دُجَاكَ أَنْزِ بِأَنْوَارِ اليَقِينِ
وَعَيْنَكَ فَافْتَحْ عَلَى فَوَادِكَ
وَمِنْ قَلْبِي لَتَقْتَبِسَ الشَّرَارَا
وَالْأَ ، نَارَ غَرِبٍ خَذْ وَحَازِرْ

بِعَمْدِكَ لَا يَطِيبُ لَكَ المَقَامُ^(١)
تَنْلُ شَمْسًا وَبَدْرًا وَالسَّحَابَا
يَدَا بِيضَاءَ أَظْهَرِ لِلْعُيُونِ^(٢)
مِنْ الشَّرَرِ الثَّرِيَّا فِي حَصَادِكَ^(٣)
أَنَا الرُّومِيُّ إِمَّا شُتِ نَارَا^(٤)
وَمُتْ فِي القَلْبِ كِي تَحْيَا بِظَاهِرْ

(١) شهر السيف : أخرجه من غمده . الحسام : السيف .

(٢) الدُّجَى : الليل . واليد البيضاء : المشعة . قال تعالى في سورة طه : ﴿ وَأَضْمَمَ يَنبَكَ إِنْ جَنَّاكَ فَفُخِّجَ بِيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾ [٢٤ - ٢٢ طه] .

(٣) الشرر : جمع شررة وهو ما ينتطير من النار كالشرار . والحصاد : الزرع . في الأصل . من فتح العين على قلبه ، ثمر الشررة ، وحصد الثريا . والثريا مجموع كواكب تشبه بالعنقود والسنبلة في الشعر الفارسي .

(٤) الرومي : هو جلال الدين الرومي من أهل القرن السابع الهجري أكبر وأشهر شعراء التصوف عند الفرس ، وصاحب كتاب العثنوي الذي يعد أعظم الكتب أهمية في التصوف الإسلامي . وإقبال يردد ذكر الرومي في كُتبه ، وينظر إليه نظرة المريد إلى

(١) العيار : ما يضاف من ذهبٍ أو فضةٍ إلى الدينار والدرهم . زال عن المكان : غادره . وفي الأصل : بمنزل من يطوف قمره .

(٢) قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ [الأعراف : ١٧٢] والشاعر يأل عن الخلوة التي ذكرت فيها أَلَسْتُ ، والمعزف الذي رَدَّدَ لِحَنَهَا .

(٣) التراب هنا هو الإنسان .

(٤) ما بقينا : ما دمنا باقين . بمحفله : أي بمحفله الله .

ويتصارع كل فرد مع فرد آخر، ويكون لكل فرد في كل زمان
لما آخر.

وبالعبودية يربط رجل الحق الزنار، وبالعبودية يصبح جوهراً
زائفاً !

ويتعري عصفه عن الأوراق بغير مهر كان (يريد وقت أن يحصل
فصل الخريف) ولا تكون في روحه سوى خشية للموت !

ويضحى بلا ذوق، فيظن الحمة تزيق، وهو ميت بغير موت،
ونعشه على الكتف !

لقد ضيع ماء وجه الحياة، وقنع كالحمير بالتبن والشعير !

فانظر إلى ممكنه ومحاله، وانظر إلى حركته ومكوثته شهوراً
ومنين !

إنهم أيلما في مآثم الواحد منهم بعد الآخر

وفي الوفاء بالوعد أقل من دقائق الساعة !

أرض بور تعج بحصى العقارب، نملها بلسدغ للتبين ويصطاد
العقارب !

صرصرها نار من جهنم، ولزورق إبليس (فيها) ربح المراد ! نار
تدور في الهواء، تتثنى شعلة في شعلة !

نار من نخان مثن كلها مرارة ! نار شديدة للرغوة، تهبج البحار !

على شغورها الحيات في عراقك، حيات ذات لصلال نائرة للسلم !

شعلتها عضوض مثل كلب عفور، مهولة، حارقة للأحياء (لكن)
لورها منطقتي !

ولن تكون لمنات من الزمان في مثل صحارى البلاء هذه لأطبيب
من أن تكون (عبداً) محكوما لحظة واحدة !

في بيان الفنون الجميلة للظلمان

الموسيقى

هناك مهالك في فنون العبودية، فماذا أقول عن ندمة العبودية !؟

إن تغمتها خالية من حرارة الحياة، لكنها تكتي على جدار الحياة
كالسبل.

إن قلب الفلام لسود سواد عارضه، ونغمته رديئة رداة طبعه !

فقد ذهب الحرارة عن قلبه المنجمد، وذهب عنه ذوق القد والذة
اليوم.

وكشف نايه من أسرار وموت أهل البلد في معزاقه.

فهو يجعلك عاجزاً مولود، ويجعلك نافرأ من الدنيا.

إن عينيه تكتحلان بالدموع المتوالية، فلتأ ما أمكك عن دنيا
لحاته.

رسالة العبودية

ترجمة نصية كاملة

(بندگی نامه - منظومة بقبال)

رسالة العبودية

اجى القمر المضيء للعالم ربه فائلا: إن نوري يحيل الليل نهاراً !
تذكرى الأيام التي كنت فيها نائما في ضمير الزمان، بغير ليل
نهار !

لم يكن ثمة كوكب في مولدي، ولم يكن الدوران من طبعي !

وما ارتكت للصحراء مرأة من نوري ولا لكتفى لدر، وما وقع
في البحر هياج لجمالي !

(لكن) أه من سحر الوجود وقتته هذه ! وويلي من هذا الإشراق
والفتوق !

قد تعلمت الإشراق من الشمس وأشرت (دنيا) مترتبة ميتة. مترتبة
دات ضياء (لكنها) بغير فراغ، جبينها من العبودية قد تشوه !

من أنما قد اصطيد كالسمك، إذ هو أحمي جاحد لله، عابد للأسمي !

منذ جعلتني أسير للماء والطين، أخلقتني من الطواف حوله !

من هذا العالم غير مطلع على نور الروح وليس جديراً بالششمس
ولا بالقمر !

دعه في الفضاء القليل اللون، واقطع وشانجنا نحن النورين عنه !

و اعطني من خدمته، أو أوجد من تربيته لم آخر !

بالأفضل لعني المنفتحين أن تكونا محتتمين عيارين، والأفضل
بالإلهي، أن تكون هذه المترتبة بغير نور !

من القلب يموت في الجسد بالعبودية، وتستعمل الروح عبثاً على
الجسد بالعبودية.

بالعبودية يحل ضعف الشيخوخة في الشباب، وبالعبودية تسقط
لأنياب من أسد الغلب.

بالعبودية يتفرق محفل الأمة فرداً فرداً ويكون حسداً وذلك لسي
صراع مع هذا وذلك.

(ولكن) ذلك في سجود، وهذا في قيام، وتمسى أعمالهم وأعمالهم
مثل صلاة بلا أمام.

إن كان بك عطش، فليس في هذا للحرم زمزم، وإنما هلاك الأدمي في خضم صوته ورقعه.

فه يزيل لهيب القلب عنه، ويغشيه غما، ويقدم السم في أقداح جسم.

الغم، يا أخي، قسمان، فاصغ إلينا واجعل شطبتنا مرآجا لعقلك !

ثم يلتهم الأدمي، وغم ياكل كل غم !

ذلك الغم الثاني الذي هو رفقاء، أضحت روحنا بصحبته بغير م.

فيه صراع الغرب والشرق بحر، جملة الموجدات فيه غرقسي !
عندما يحل بقلب يصبح القلب منه بحرا بلا شاطئ !

ما العبودية فهي تغافل عن أسرار الروح، تؤدي أشتوتها بذلك غم الآخر إلى الضلال.

لمني لني لا في لا قول أن نصاته خاطئة،

إن مثل هذا العويل لا يليق إلا بالأرامل !

ك إن النعم ينبغي أن يكون مريعا كالسول، ليزيل الغموم من قلب فرقة بعد فرقة.

ينبغي أن يخلق النعم الجنون، ويحل النار في دماء القلب. ومن داء يمكن أنكاه الشعلة، ويمكن أن يكون للصمت جزءا منه.

هل تعرف في الغداء تلك المقام، الذي يجري فيه الكلام بغير عرف ؟!

إن النعمة الواضحة سراج للفطرة، يكون معناها نقاش الصورة.

لنا وإن كتبت لا أعرف من أين ينبع المعنى، إلا أن صورته واضحة لنا معروفة لدينا.

إن النعمة إن لم يكن لها معنى، تكون مينة ولهيبها يكون من نار باردة !

إن أسرار المعنى قد حلها المرشد الرومي، ولذا يسجد فكري على عتبه.

((فالمعنى ذلك الذي يجذبك، ويجعلك في غنى عن النفس، وليس للمعنى ذلك الذي بجل المرء أصم، وأكثر عشقا للنفوس)).

لكن مطربنا لم يدرك جلاء المعنى

لحق قلبه بالصورة، وفر من المعنى !

لقد رايت لنا من التصوير، ليس إبراهيميا ولا أزريا: ((راهب في حلقة شبك الهوى. متميم مع طائر في القفص. ملك أمام فقير مرتديا الخرقة. رجل من الجبال يحمل حطباً.

عاشق في الطريق إلى بيت الصنم. جوكر (راهب) في خلوة الخراب.

شيخ يحترق بالألام الشبخرقة فيتحول الطين في يده مرآجا، مطرب مثل بنعمة غريبة. بلبل صدح فتقطعت أوتاره.

شباب عمن يصاب بنظرة واحدة. طفل على كتف الأب الشيخ)).

وتقطر من الأقدام مضمون الموت، وفي كل مكان أسطورة الموت ودممته !

إن العلم الحاضر في سجد لدى الأقل، فإنه يزيد الشك ويزيل اليقين من القلب.

وليس من لذة التحقيق بغير يقين، ولا قوة للتخليق (طاقة الخلق بغير يقين، ولا قوة للتخليق (طاقة الخلق) بغير يقين.

وتكرب الرعشات في القلوب بغير يقين، ويشكل عليها تقبل النفس الجديد.

فيكون بعيدا عن الذات ومتألما وحسب، ويكون مرشده هو ذوق الجمهور وحده.

إنه يستجدي الحصن من الفطرة، وهو قاطع طريق، لكنه يتظاهرها بأنه خاوي البدين.

إن البحث عن الحصن في خارج ذلك خطأ فإن ذلك الذي ينبغي أن يكون، ليس هو أمامنا ؟!

إن النقاش عندما يودع ذاته لدى الفطرة، يسقط نقشه ويمحو صورته.

فلم يبرز لون من لونه زمائنه، ولم يضرب محكمه على زجاجها مرة.

وبقيت الفطرة في الطيلسان ذات الألوان المسبعة.. بقيت على قرطاسه عرجاء زمنة !

والفراشة (التي يرسمها) غير خائفة بسبب قلة اشتعاله، والصورة التي يرسمها اليوم لا تعكس صورة الغد.

وليس لنظراته نفوذ في الأفلاك لأن قلبه في صدره غير مبال.

فهو مترب، بلا حضور. خجل، ليس له نصيب من صحبة الروح الأمين.

وفكره محم ا ولا ذوق يحركه. وليس لصيحة سرائيله قيامة.

بين العشق والمذهب في العبودية غرق، وشهد الحياة فيها شيء
للمذاق !

والعشق؟ ختم التوحيد على القلب، وموجهة كل مشكل يقابلك.

وليس العشق في العبودية سوى كلام، فلا يصاحب عملنا قولنا.

إن قافلة الشوق بغير ذوق الرحيل

وبغير يقين وبغير سبيل وبغير دليل !

إن النظم بفرط رخصا في الدين والعمل ويسلم الروح ليبقى على
الدين حيا !

وهو وإن كان اسم الإله على شفاهه، إلا أن قلبه هي طاقة صاحب
الأمر.

إنها طاقة مشرفة اسمها للكتب، فلا تكد بطونها إلا الأكاذيب.

وهذا الصنم إذا سجدت له يكون إليها، فإذا اتجهت في القيام
للواحد، يكون له الفناء.

وذلك الإله (الحق) يمنح العيش والروح، وهذا المولى (المسيد)
يسلب الروح ويصلى الرغبة.

وذلك الإله واحد، وهذا منفذ من الشيطان. وذلك عون للجميع،
وهذا بلا حول ولا قوة !

وذلك الإله علاج لآلام الفرق، وهذا المولى في كلامه نفاق.

إن العبد إذا ركن إلى ذاته تكفر باصبرته وسمعه وعقله.

وإذا يركب أرواح عهده، تكون الأرواح في الأجساد. لكنها عن
الأجساد غائبة.

إنه حي بلا روح، فاي سر هذا ؟ لنتمعن ! فأنى أسوق إليه، مطر
جميلا، فأنظر !

إن الموت والحياة يا متلقي الخلق، ليسا إلا من الاعتبار
وحسب.

فالأسماك بالبحر والصحراء بغير وجود، والطيور في قاع البحار
بغير وجود.

وشجن الصغرى للأصم منعدم، ولذة الصوت والصدى له منعمة !

والأعمى يكون ثملا مسرورا أمام الصناجة، لكنه في عداد الموتى
لما الأكلان !

وإن الروح حية قائمة بالحق، وإلا فهذه ميتة وذلك حي ! إن ذلك
الحق الذي لا يموت هو الحق، والحياة مع الحق حياة مطلقة.

وكل من يعيش بغير الحق ليس إلا ميتا، وإن لم ينح في مأساة
نائج.

فكل ما وراء بنظره في حجاب، وقلبه خال من الذوق والشوق
والهياج.

ولو أن الأعمى قد عد نفسه في عداد الطين لا نطفأ نور الإله في
سميره.

عندما خرج الكليم (موسى) عن ذاته، أصبحت يده مظلمة وعصاه
سنا.

ليس ثمة حياة بغير قوة الإعجاز، وليس كل فرد عارفا لهذه
الأسرار !

ما ذلك للفنان الذي يزيد على الفطرة فيكشف أسرار لهام
لصورتنا؟

وهو وإن لم يكن بحره في احتياج، (إلا أن) نهرنا هو الذي يعمل
ليه بالخراج.

وهو الذي يجذب من بساط الزمان ثيابه، وهو الذي ينال منه كل
حبيب العيار.

بحوره لجمل من حور الجنة؛ ومنكراته ومنته كافر !

وهو الذي يخلق الكائنات الأخرى ويهب القلب حياة أخرى. وهو
الذي يتلاطم بحره وموجهه وي طرح موجه لماننا الدر. ومن سعة
روحه يملأ شأنه كل فراغ. إن فطرته الطاهرة عيار للجميل
والقبيح، وصنعه مشاطة لكل حسن وقبيح.

إنه عين إبراهيم وعين نزر، فبده تهدم الأصنام وتصنعها. وهو
يزيل كل بناء قديم، ويصقل جملة الموجودات. وفي العبودية

يصبح الجسد خلوا من الروح. وأي أمل أفضل ترجوه من جسد
بلا روح ؟

إن ذوق الإيجاد والتجلي يذهب من القلب، فيخلف الأعمى بذلك
عن نفسه.

ولو أنه جعلت جبريل غلاما، لذهب عن القبة البلورية اللون !

يصبح مذهب تقليدا وعمله لزريا، وتكون الندرة في مذهبه كبرا !
يزداد الوهم والتمك في كل جديد عليه، فيقبل على كل قديم
دروس !

قد ذهبت عينه وهما أعمى عن المستقبل، عندما تجاور رزقه
وترب المدافن !

إذا كان هذا هو الفن ! فإما هو موت الأمل: باطنه كربه وظاهره
جميل.

إن الطائر للعقل لا يق أسيرا،

ولو وضعت له شباك من الحرير !

فأنتي لأعماله لوعة المشتاق ؟! وأنتي لأفواه نور الآفاق ؟! فإن
مذهبه ضيق مثل أفاقه، وإشراقه أظلم من عشائه. إن الحياة حمل
ثقل على عتقه، وموته ربيب لحضائه.

والعشق من سجنه الأم، ومن نفسه تخدم نيرانه (نيران العشق).

وإن من تلك الدندان التي لم ترتفع من الطين أبداً

لشمس والقمر والفلك الدوار ؟!

لا تطلبين نوق اللقاء من غلام، ولا تطلبين منه بقلة.

بأن عينه لم تعلن محبة الرؤية، وما كان له في لدنوسا إلا الأكل
والنوم الثقيل والموت.

من حكمه يحل قيده أو أنه وضع على روحه قدا آخر.

هو يجعل له مذهباً كله عقد في عقد، ويأمره بأن يلبس درعا من
هذا المذهب.

بذلك يجعله محكوماً للقهر والحقد، ويزيد فيه الخوف من الموت
لمفاجئ.

حتى يصبح الغلام بأنسا من نفسه، ويختفي الأمل من صدره.

عندئذ يخلع عليه خلعة جميلة حيناً ويضع في يده أيضاً زمام
للأمور حيناً آخر.

إن اللاعب الماهر لا يدع قطعة تقفز خارج يده، إلا بأن يجعل
يدقه يترقى إلى وزير.

قد أذهبت نعمة اليوم عقله، حتى جعلته ينكر المعنى في الغد.

من جسده ضخم من منح للملوك، لكن روحه الطاهرة نحيلة
والممزل.

بأن تتألم روح طاهرة وتأسى، لأفضل من هلاك قرية الأحرار
كلها.

ليس القيد على القدم وإنما هو على الروح

وإنه لمشكل في مشكل في مشكل !

في فن بناء الأحرار

اختر صلبة للذهابين زماناً، وأبصر صنعة للرجال الأحرار
أيضاً.

وانظر إلى أعمال ليك وسوري، وافتح عينيك إن كانت لك جرأة.

قد أخرجاً ذنبيهما، وبهذا أفرجاً على نفسيهما.

قد وضعا الأحجار على الأحجار، وربطاً الزمان بمتعلقتهما
المتفرقة.

إن نظرك إلى ذلك يجعلك أكثر حنكة، ويحركك إلى عالم آخر.

إنه يأتي بالنفث إلى النفث، ويعطيك خبراً من ضمير.

إن ممة الرجال والطبايع الملية، (تجدها) في القلب الحجري لذئيك
للعلين للغالين.

ولا تسألني مسجد من كان هذا، فلا خير عندي ! ولا تسأل الجسد
عن أمر للروح !

أه من احتجابي عن ذاتي، وعن عدم ارتضائي من فرات الحياة.

وأه لقد قلعتني من جذوري وأصولي، وأبعثتني عن مقامي !

إن المحكمات من اليقين المحكم، ويا ويلتي من غصن يقيني وكـ
خلا من الندى.

ليس بي قوة ((إلا الله))

وسجنتي ليست جديرة بهذه السلجة !

انظر إلى ذلك للجوهر الرقيق، وانظر إلى ذلك للتاج الذي تحت
القمر.

إن مرمره أكثر رواء من الماء الجاري ولحظة هناك لنوم مرمر
الأبد !

إن عشق الرجال يفضح سرهم، وتقب الحجر إنما يكون بأبواب
الجفون (الرموش).

إن عشق الرجال طهر وبهاء كالجنة، ويقطر النغم في الحجر
والأجر.

إن عشق الرجال نقد نوعيان للحسان، ويكون للحسن مدمراً لو
حامياً !

لقد تجاوزت همته ذلك الجانب من الكون، وتجاوزت عظم كيف
ولماذا.

وحيث إن ما رآه لا يجوز الخوض فيه.

فإنه رفع للقلب عن ضميره !

إن الجذبات ترتفع بالمحبة، وينال قنراً منها من لا قيمة له
فالحياة بغير محبة ماتم كلها، وأصلها وأغواها كلها قبيحة غير
محكمة.

والعشق يصل للمعرفة، ويمنح الحجر خلاصية المرأة.

ويهب للعشق صدر سيناء ويمنح أهل العقل اليد البيضاء.

وإليه كل ممكن وموجود حائر، وجميلة للعالم مر وهو مكر
النبات.

إن حرارة أفكارنا من نار، وخلق الأرواح لتنفخ فيها شئنه.

ويكفي العشق أن يكون له قنمل والطير والأنمي، ويكفي للعشق
أن تكون له وحده الداران.

إن ملك القلب بخير قهر سحر، وملك القلب مع القدرة هو النبوة.

وقد جمع العشق كليهما في الأعمال ومزج بينهما، وأثار العشق
عالمنا في العالم !

الدِّيَّوَانُ الْخَامِسُ

جَنَاحِ جَبْرِيلَ بِالْجَبْرِيلِ

نَقَلَهُ مِنَ الْأُرْدُوِيَّةِ إِلَى الْفَرَنْسِيَّةِ نَثْرًا
السَّيِّدُ مِيزْزَا سَعِيدٌ قَطْفُ شَاغَتِي
وَالسَّيِّدَةُ سَوْدَانُ بَوَسَاكُ

ثُمَّ نَقَلَهُ مِنَ الْفَرَنْسِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ نَثْرًا
الْأَسْتَاذُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَلُوحِي
ثُمَّ صَاغَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ شِعْرًا
الْأَسْتَاذُ زُهَيْرُ ظَاظَا

محتوى الديوان

يحتوي هذا الديوان على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : إحدى وستون قطعة تتناول أفكار الشاعر الشائعة في شعره في صور شتى ، ورباعيات قليلة .

القسم الثاني : قصائد نظمها في الأندلس حين زارها .

القسم الثالث : قصائد ، ومن عيونها « لينين أمام الله » وهي صورة تمثيلية رائعة ، ويوجد في هذا القسم غير هذه القصيدة ، بعض القصائد منها عن فلسطين ، ومحاورة طويلة بين جلال الدين الرومي ومحمد إقبال .

وقطع كثيرة متفاوتة العناوين ومختلفة المواضيع .

وقد نقله أولاً من الأردوية إلى الفرنسية نثراً ثم نقله من الفرنسية إلى العربية نثراً الأستاذ عبد المعين الملوحي ، ثم صاغه في العربية شعراً الأستاذ زهير ظاظا ، وهو الآن بين أيديكم .

القسم الأول

(١)

دَوْتُ بِصَرْخَةٍ رَغْبَتِي أَرْكَانَ حَضْرَتِهِ الشَّرِيفَةِ
فَاسْتَرْحَمْنُهُ الْعَاكِفُونَ لِفَرْطِ جِرَانَتِهَا الْمُخِيفَةِ
هِيَ ذِي مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ وَحُورُهَا أَسْرَى خِيَالِي
بِصَوْرِي يَكْبُدُ مَا يَفِيضُ بِهِ التَّجَلُّي مَنْ جَمَالِ
إِنْ كَانَتْ اقْتَصَرَتْ عَلَيَّ نَقْشِ الْمَسَاجِدِ هُمَّتِي
لِي سَاعَةً تَجْتَاحُ فِيهَا الْكَوْنُ جِدَّةً نَظَرْتِي
مَاذَا فَعَلْتُ ، أَبَحَّتْ سِرِّي مَا هُنَا ، لَكِنْ لِمَاذَا ؟
وَأَنَا هُوَ السُّرُّ السُّوْحِيدُ لَهُمْ بِصَدْرِ الْكَوْنِ هَذَا
أَنَا مَا سَكَرْتُ بِمَا سُقَيْتُ فَهَلْ بِكَاسِكَ مِنْ ثَمَالَةٍ
مَا مَدَحَةٌ لِلْبَحْرِ أَنْ يَهْبِ النَّدَى ظِلْمًا حِيَالَةٍ

(٢)

لِمَ أَهْتَمُّ بِأَخْطَاءِ النُّجُومِ ؟	وَأَذِيبُ الْقَلْبَ فِي هَذَا الْعَنَا
إِنْ أَصَابَتْ شَأُوهَا أَوْ أَخْطَأَتْ	فَهُوَ شَيْءٌ لَيْسَ يَعْنِينِي أَنَا
ثُمَّ هَلْ يَمَكِّنُنِي أَرْضِي لَهَا	وَأَنَا أَطْلُبُ مَنْ يَرِثُنِي لِحَالِي
لَسْتُ فِي كَوْنِكَ إِلَّا حَفْنَةً	فَلِمَاذَا يُشْغِلُ الْعَالَمُ بِأَلِي
هُوَ لِي أَمْ لَكَ أَنْتَ	عَالَمِي أَمْ عَالَمُكَ ؟
كُلُّ غَيْبٍ وَشَهَادَةٍ	لَيْسَ لِي مِنْهُ نَصِيبُ
جَاهِدِ الْعَقْلَ جِهَادَةً	هُوَ أَمْ أَنْتَ الْمَصِيبُ
أَنَا مَا قَضَّرَ فِي بَحْرِيكَ هَذِينَ مَضَائِي	
رُغْمَ أَنِّي لَيْسَ لِي عِلْمٌ بِمَا خَلْفَ الْقَضَاءِ	
كَيْفَ إِبْلِيسُ الرَّجِيمِ	قَالَ : لَا ، لِلْكَوْنِ هَذَا

ولمّا إذا (أنا حتى الآن لا أدري لماذا) !!
 ليت شعري أنت حقّاً أم أنا موضوع سرّة
 أنا بالنسبة لي طوّختُ في خيري وشرّه
 يا أبا القاسم يا جبريلُ يا قرآنُ إنّي^(١)
 حلفتُ سيرٍ فإليكم أيّها السّادة عنّي
 أيّنا يشرح ما في القول هذا من حلاوة
 أنا أم أنت الذي يمتنّحه هذي الطّلاوة
 عطرُك اللهم في الإنسان ما زال ولو نك
 وبإشراقه هذا النّجم قد أشرق كوكبك
 أنا من آدم فرغ وهو من صنّع يدك
 هل أساءت هذه الرّحلة في شيء إليك

قد تألّفت فرزة ألقاً هذا العذار
 وأدم لي حكمتي في أسره ليّل نهاز
 خذ إلي أسرك قلبي فلقد طابّ التهالك
 أنا لا أرغب أن يكشف حبي وجمالك
 أنت كاللّجة لا ساحل لك وأنا الجدول لا لّجة لي^(٢)
 قل لها تأخذني في حضنها وأغثنني مرة من ساحلي

(١) يريد الشاعر أن يقول : إنّ القلب السليم هو الذي لا يحول بينه وبين الله رسول ولا ملك ، إنّه حتى القرآن الكريم ممكن أن لا يزيد الظالمين إلّا خساراً .
 (٢) المقصود ﴿ تَسْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة : ١١٦] أنت أقرب إلي من حبل الوريد وأنا لا أرى شيئاً ، يا للفضيحة أنا كالجدول ، أيّاً كان ذلك الذي سيمر على صفافه فإنه من غير أن يبذل كبير جهد سيميز بين الحصى الخضراء والزرقاء .
 أما أنت فكاللّجة ، حتى السماء إذا نظرت إليها فلن تجد أكثر من مرآة تعكس زرقتها .

إِنْ أَكُنْ قَوْعَةً فَارْغَةً
أَنْتَ مَنْ يَجْعَلُ مِنْ هَذَا الْحَصَى
رَبِّ مَا قَدَّرْتَ لِي رَجْعَ الرِّيحِ
فَعَسَى تَرْوِي بِهِ قُبْرَةً
مَعَ مَا أَرْهَقَنِي عِبَاءُ الْحَيَاةِ
سَتَرِي كَمْ تَوْبَةٍ فِي صَفْحَتِي
أَنَا قَدْ يَخْمَرُ وَجْهِي خَجَلًا
فَرَجَائِي عِنْدَمَا تَقْرُؤَهَا
اعْرِفُ الْحَبِّ الَّذِي خَبَّاتَهُ
أَنْتَ لَوْ تَجْعَلُهُ قَطْبًا لَهَا
ارْحَمِ الْكَلَّ الضَّعِيفَ
بَدَلًا مِنْ ذَا الرُّغِيفِ

(٤)

فَمَنْ الْمَسْؤُولُ عَنْ هَذَا السُّلُوكِ ؟
جَوْهَرًا يُلْهَبُ تَيْجَانُ الْمُلُوكِ
فَاَحْفَظِ اللَّهُمَّ هَذَا النَّفْسَا
ذَلِكَ الْغَصْنَ الَّذِي قَدْ يَسَا
مَعَ مَا أَخْرَجْتَنِي مِنْ جَنَّتِكَ
وَأَرَى كَمْ رَحْمَةٍ فِي صَفْحَتِكَ
حِينَ تَبْدُو صُخْفِي بَيْنَ بَيْدِكَ
أَنْتَ أَنْظِرْ يَا رَبِّي إِلَيْكَ
عَنْ قُلُوبِ سُنَّتِهَا مِنْ ضَرَمِكَ
لَمْ تَطْفَأْ إِلَّا بِهِ فِي حَرَمِكَ
ضَاعَ فِي حَقْلٍ وَبِيدِ
أَعْطَاهُ قُوَّةَ حَيْدِ

شَكَاوِي أَطْلُبُ تُضْغِي إِلَيَّ
فِيَا طَالَمَا الْعَدْلُ يَبْغِي عَلَيَّ
وَكُلُّ عَلَى قَبْضَةٍ مِنْ تَرَابِ
وَهَلْ هَذِهِ رَحْمَةٌ أَمْ عَذَابُ
تَقَاوُمُ رِيحًا يَسْتَمَانَاكَ
إِلَى الْآنَ تَزْهَوُ بِأَلْوَانِكَ
وَضِيْعٌ وَأَكْثَرُ مِنْ مَزْدَرِي
وَأَنْشَاءُ مَمْلَكَةٍ فِي الْعَرَا
فَتَاهَتْ عَلَيْهِ الْمَهَا وَالْقُبَاءُ
فَلَيْسَ بِصِيدٍ بِهَذَا الْعَرَاءِ
إِلَى عَالَمِ الْحُبِّ لَا تَسْطِيعُ وَصُولًا مِلَالِكَةً فِي الثَّمَاءِ

سِوَاءِ أَهْرَئِكَ أَمْ لَمْ تَهْزَكْ
أَنَا وَقَعَ لَسْتُ أَسْأَلُ عَدْلًا
سَمَاءً وَأَرْضٌ وَرِيحٌ غَضَابُ
فَهَلْ لَكَ فِي الْخَلْقِ مِنْ فَرْحَةٍ
أَنَا الْعَطَشُ خِيَمْتُهُ وَرَدَّةُ
وَبِالرَّغْمِ مِنْ ضَعْفِ أَسْبَابِهَا
وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنْتِي فِي السَّمَاءِ
رَضِيْتُ بِبُؤْسِي الَّذِي اخْتَرْتَهُ
خِلَا الرُّوْضِ مَا فِيهِ مِنْ أَجْمَةٍ
إِذَا كَانَ صَيَاذُنَا مَاهِرًا
إِلَى عَالَمِ الْحُبِّ لَا تَسْطِيعُ وَصُولًا مِلَالِكَةً فِي الثَّمَاءِ

ورأيتُ أنه ليس تُعطى سوى
ومن أين تعرفُ معنى الوصال
سألتك تملأ روح الثَّباب
وتؤتي الشَّواهين عون الجناح
وأمنية العُمر هذي الجراح

(٥)

لمن لا يهابون سَفْكَ الدِّماءِ
إذا لم تنل من ضِرام الهجر
بأنات إقبال هذا الفجر
لتنزل منزلها في القَمَمِ
تقسمها بين كلِّ الأممِ

أفقد الحبَّ بهجته
نفحة الموت جذوته
بلدد العمر حُرقتة
أخذت منه زهرته
قاومت منه شغلته
وأدم فيسه سقطته
يهب الأرض نظرتة

نمط العيش هاهنا
أدرك الحبَّ أحمده
ففي لهيب انتظاره
ضاع عمري بلحظه
تربيت من شراره
هبط له خلد روحه
وانظر الأرض عندما

(٦)

أبدأ هاهنا بتقويم قلبي
مثل يومي غداً أمامك ربي
وترى الحور لوعتي ونحيبي
ياخذوا أيَّ فكرة عن لبيبي
كلَّ وخزٍ رآه عبْر الطريقِ
ذلك الوخزُ في فؤادي الرقيقِ
لم أجد ساحلاً له في حياتي
وأرى ساحلي شعوري بذاتي
وهو بحثٌ بغير لونٍ ومنهجٍ

أنا أرجو ألا يقوم رمادي
ورجائي ألا يكون عذابي
ثم أرجو ألا أخور وأبكي
وعسى هذه المحافلُ ألا
رئما يذكرُ المفاقر يوماً
فرجائي ألا يصير حنيناً
جعل الحبَّ من فؤادي بحراً
أنا أرجو ألا أفاجأ يوماً
ورجائي ألا أكون يبعثي

أنعم إقبال النظر في فلسفة الحياة ، ونظريات السياسة والعمران عند الأمم الغربية ، فتجلت له هذه الحقيقة : إن هذه الفلسفة ، وهذا المنهاج في الحياة يجعلان هذه الدنيا جهنم لا محالة .

وإلى هذا كشف له السنن القرآنية حقائق الحياة حتى رأى البروق الكامنة في الشُّعب ، والعواصف المضمرة في الرياح .

هذا النظر حفز إقبالاً إلى أن يحذر الغرب ، فيقول للغربيين سنة ١٩٠٥ م : « ستقتل حضارتكم نفسها بخنجرها . لا يثبت العرش على حصنٍ رطبٍ ضعيفٍ مضطرب » .

ولم يأل إقبال جهداً ، منذ ذلك الحين إلى آخر لمحات حياته ، في أن يحذر الناس عامة والأمم الإسلامية خاصة من هذه الحضارة الشيطانية ، ويخوفهم عواقبها .



وهذه طائفة من النذر ، اسمها « ضرب كلیم » يكتبها إقبال بعد أن يحطم كل أصنام العصر الحاضر ، ولكنه لا يكتفي بأن يبطل سحر الفرعونية ، والهامانية ، والقارونية^(١) ، بل يهدي هذه الأمة في نور القرآن إلى الأودية المباركة من سينا ، وفاران ، حيث تفيض البركة من ينابيع الأرض ، وينزل الخير من السماء .

هذا ما يتعلق بـ « ضرب كلیم » . ويجدر بنا الآن أن نبرز نقطة من الأهمية بمكان في دراسة إقبال بوجه عام ، وهي : أن شعر إقبال حافل بكلماتٍ معينة ، عربية وفارسية ، لم يقصد إلى مدلولها اللغوي ، إنما استخدمها كاصطلاحات من وضعه هو . إذاً لا يتأتى لأحد أن يتبين ما يرمي إليه الشاعر ما لم يكن ملماً بحدود تلك المصطلحات الخاصة ، مثل « علم وعشق ، ذكر وفكر ، خبر

(١) يعني : صفات فرعون ، وهامان ، وقارون .

ثورة في كل شيء في الحياة
 أيها السّاقى خذ الكأس وهات
 لم نَعُدْ نَنْفَعُ شيئاً لِلْعِبَادِ
 جَعَلْتَهُ هَائِماً فِي كُلِّ وادٍ
 نحن أبناءُ أطباءِ القلوب
 قبلُ أخِينَا به روحُ الشُّعوبِ
 يُوقِدُ الجذوةَ فِي صَدْرِ الحَرَمِ
 أن ترى زمزمَ قُرْبَ الملتزمِ
 في تَبْرِيزَ بستانٍ ونهرِ
 جوقهُ رومي من ذَهَرِ
 هذا النهرِ والبستانِ قومي
 في حضرةِ رومي
 أيها السّاقى إذا الماءُ هطلَ
 وابلاً يا أيها السّاقى فَطَلْ
 لذوي الكدية أسرارَ الملوكِ
 لم أكن أرغبُ عن هذا السلوكِ
 ليس من طغول أو منجار في بيتي هبه
 رغمَ هذا ما لجمشيدٍ على قلبي قيودُ



من الكاساتِ هاتيكِ
 مكاني من معانيك
 الحاناتُ في الهندِ

أيها السّاقى لقد قامَ الغفاة
 ذرّةٌ لم تَحُلْ من عاصفةِ
 نُهَيْتْ خيراتنا أجمعها
 أي عيني قد أصابت ركبنا
 فتنةٌ في القلبِ قد أودت بنا
 أين في ودياننا الماءُ الذي
 لَمْ لَا يَنْطَلِقُ التَّسَوُّقُ السَّذي
 حُجُبٌ غَطَّتْ عيونَ المؤمنين
 رغمَ أنَّ النّهرَ والبستانَ
 لَمْ يَزَالَا لَمْ تَقُمْ جوقهُ رومي من ذَهَرِ
 قل لها إن شئتَ هذا النهرَ والبستانَ قومي
 لو ترى إذ رَقَصَتْ تَبْرِيزَ في حضرةِ رومي
 أنا لا أياس من حقلِ ذوى
 فأعد روثه إن لم يكن
 أيها السّاقى هُمُ قد منحوا
 أنا لو أعطيتُ دنيا أبرويز
 أنا لا أخلو بما أنعمت من موهبه
 أنا بالفطرة أصبحت رقيباً للوجودِ

ألا يا أيها السّاقى
 لعلني أن أرى يـوماً
 لماذا أغلقت أبوابها

مضت هدراً ثلاثاً قرونٍ بَعْدَ سقوطِ سرهندي^(١)
مضت هدراً ثلاثاً قرون في حانِ هَدْمِها
ولم تحمِلِ التُّدمان بُعْدَكَ أَيُّهَا السَّاقِي
ذوت غزليتي لا شيء والأشياء حرَّمه
علينا بائع اللأهوت بَعْدَكَ أَيُّهَا السَّاقِي
قلوبُ أسودنا في الغياب قد هَجَرَتْ تحقُّقَها
مع الضُّوْفِيِّ والمَلَأَ عَيْدُ أَيُّهَا السَّاقِي
مِنْ انتِزَعِ الحقيقةِ مِنْ مَهْنَدِ حَيَاتِنَا هَذَا
وما أبقي لها إلا قراباً أَيُّهَا السَّاقِي
كلامُ القلبِ حينَ يَكُونُ حَيّاً خمرُنا الباقي
ولا كان للأرواح موتاً أَيُّهَا السَّاقِي
أنا ليلٌ بلا قمرٍ وما لي هاهنا قنْزُ
ألا يا أَيُّهَا السَّاقِي بكأسك ذلك البدرُ
بكأسك سرُّ ذِيكَ الشُّكُونِ وهذه الحركة
فأين الماء ، ماذا كان رُدُّ الخضرِ للممكنة

(٩)

ساقِي ما حصل الذي أبغيه الذات عالمها متسى نلغيه
القلبُ منشغلٌ بما عاطيته عَمَّنْ يغنيه ومنْ يَنْقِيه
ذهبت بجوقته كؤوسك كلها لم تبق إلا الصُّمْتُ في واديه

(١) إشارة إلى المصلح الكبير الإمام الترياني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد بن عبد الأحد
السرهندي المتوفى سنة ١٠٣٤هـ ، ويذكره الشاعر في مناسبات عديدة في دواوينه
المختلفة ، انظر للاطلاع على حياته وجهوده الإصلاحية الجزء الثالث من سلسلة
العلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي لكتاب « رجال الفكر والدعوة في الإسلام »
طبع دار ابن كثير بدمشق .

ما مثله متسوّلٌ في حانةٍ باللامبالاة التي ترويه^(١)
لو جاء ماءُ الخضرِ كسرَ كأسه ورثي لذي كلفٍ به يأتيه

ساقِيَّ والكأسُ الصغيرة لم تعد تكفي هلمَّ له بما يكفيه
فرغتِ دنانُ القومِ في أديارهم وأتيتُ أسألك الذي تخفيه
بصري على طمعٍ وقلبي جامعٌ فاسترُ إذا أحبتَ ما أنويه
غادرتُ لؤلؤتي التي أغرقتها في البحر تنعمُ من ضيائك فيه

نظراتُ هذا الشعرِ تسخرُ لُبنا والحسنُ لا يحتاجُ للتنويه
تضفي على لونِ الشقائق رونقاً وتزيدها ألماً بما تضفيه

مرة تبصرُ المحبُّ شريداً مرة تبصرُ الملوكَ لديه
مرة يقحمُ النزالَ عسرياً مرة يحشدُ الدروع عليه

(١٠)

أحرقْتُ رغبتِي بلاهةً سُوقِ فأتتني ملسوُكُه تشتريها
لستُ أبتاعُ سكرةَ الملكِ غُبناً بعبوديتي التي أنا فيها
لا يليقُ الوجودُ هذا بحرٌ سرُّه يشتكي وجودك ذاكاً
لم يجدْ هاهنا من الموتِ بداً أو مفراً من الحياة هناك
لذةُ العشق من فراقٍ وهجرٍ فأتق الله أن تقولَ لماذا
ما ترددتُ أو تشردتُ يوماً أو تسكمتُ في طريقِ كهذا
لا يملُ الشاهين ما يرتجيه بين غابٍ يروّدها وجبالٍ

(١) انظر : « حانة القلندرية في (منطق الطير) للعطار ص ٣٧١ ، طبع دار الأندلس » .

ويرى في اتخاذ العُشِّ عاراً
من تُرى يثر الذَّيِّح لبر
كثرة الدُّرس أم نباهة نفس
سلوة الشرق حين يجرح شعري
جئتُ (آلوند)^(١) مرة بعد أخرى
ليس يحتاجُ زخرف القول معنى
ما استعارت يدُ الحديقة لونا



مرة وحده يغثي الجبالا
يملا القلب غبطة ووصالا
طالما أضلح المنابر بالا
أخذ العلم كله والقتالا

هو ذا الحبُّ مرة ألفَ وإد
مرة بالغياب يثقى وأخرى
طالما ألهب المحارب وجداً
مثلته مثلُ الإمام علي

(١١)

وتاريخ لحظته الحاسمة
وأسياف نظرتة القاسمة
ولم يبق منه سوى وسوسة
إله سوى صنم المدرسة
ولأن ما عرفوا رسمه
هم وثيئون لا يعرفون
رشاقة فطرتة البادئة

ألا يتذكرو يوم اللقاء
وما قدس الحب من بقعة
ذوى الحب في أنفاس العاشقين
وصرنا إلى زمن ماله
يقولون استاذنا آزر
هم وثيئون لا يعرفون
نعم هم إلى الآن لم يعرفوا

(١) آلوند : جبل في إيران جنوبي غرب طهران وهو بمثابة (رضوى) عند شعراء العرب
ومن هنا اختار عزام أن يستبدل آلوند برضوى في ترجماته ومن الجدير بالذكر أن إقبال
نظم جناح جبريل على غرار رباعيات (بابا طاهر الهمداني) الذي يكثر في شعره ذكر
جبل آلوند وميمند .

تَطْرُوحُ مَعْبُدُهُمْ فِي الرِّيحِ
تَعَجَّبْتَ مِنْ عَالَمٍ هَكَذَا
هَبِ الْكَرَمَ رَوْنَقَهُ يَا كَرِيمَ
وَحَانَنَاتُ إِيرَانِ قَدْ أَجْدَبَتْ
يَقْظُونُ شِعْرِي لِأَجْلِ الرَّبِّيعِ
دَمِي وَغِبَارِي هُمَا الْجَوْهَرَانِ
وَأَنْتَ سَفَكْتَ عَلَيْهَا دَمِي
بِفَضْلِكَ لَا أَشْتَكِي الْأَصْدِقَاءَ
وِثْقَابُ الْحَيَاةِ الَّتِي خَضَّتْهَا
فَهْنِي بِسِرِّكَ ذَوْقَ الْفَنَاءِ
فَلَا الْحُزْنَ ثَبَطَ مِنْ عَزْمِهِمْ
نَعَمْ ، عَقْدَ الْفِكْرِ أَطْلَقْتُهَا
مَتَى الْحُبُّ تَمْنَحْنِي سِرَّهُ

(١٢)

يَهَبُ الشَّقِيقُ بِلَا حِسَابٍ خَمْرَهُ
عَجِيباً مِنَ الصُّوْفِيِّ يَتْرَكَ زُهْدَهُ
الْحُبُّ يَجْعَلُ حَيْثُ مَدَّ بِسَاطِفُهُ
يَرِثُونَ شَرَفَهُ أَبْرَوِيزَ بِمَكْرِهِمْ
هَذَا النُّجُومُ عَتِيقَةٌ كَسَمَائِهَا
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْقِيَامَةُ أَرْلَقَتْ
مَوْلَايَ عَيْنَكَ لَوْ أَدْرَتَ لِحَاطَهَا
أَنَا غِبْطَنِي عِنْدَ الصَّبَاحِ تَنْهَدِي
لَمْ لَسْتَ مُهْتَمّاً بِهَذَا كُلُّهُ ؟
عَيْنَاكَ لَا مَعْتَانِ إِلَّا أَنَّهُمَا

وَلَمْ تَبْقَ زَاوِيَةً هَادِئَةً
فَلَا هُوَ عُشٌّ وَلَا هُوَ قَفْصُنْ
فَلَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْ إِلَّا غَصَصُنْ
وَهَذِي الَّتِي فَجَّرَتْ عَيْنَنَا
وَمَا عَلِمُوا مَا الَّذِي بَيْنَنَا
اللَّذَانِ يَجِيشَانِ فِيمَا تَشِيدُ
وَحَلَدُ التَّالِقِ أَجْرُ الشَّهِيدِ
وَلَا أَشْتَكِي جَوْرَ هَذَا الزَّمَانِ
بِفَضْلِكَ أَخْلَعُهُ فِي أَمَانِ
كَمَا فَتَنِي السَّابِقُونَ الْأَوَّلُ
وَلَا الْخَوْفُ أَقْعَدَهُمْ فِي الدُّوَلِ
وَحَلَّصْتَنِي مِنْ شَيْطَانِيهِ
وَتَجْعَلْنِي مِنْ مَجَانِينِهِ

فَتَرَى الْكَؤُوسَ عَلَى مَدَى الْبُتَانِ
لَأَقْلُ بَارِقَةً بِهَذَا الْحَانِ
مِنْ طَعْمَةِ الْمَتَسَوِّلِينَ مَلُوكَا
فَتَنْظُرُ كَانَ كَمَثَلِهِمْ صُغْلُوكَا
هَلْ مِنْ نَجُومٍ غَيْرَهَا وَسَمَاءُ
مَا حَطَّهَا مِنْ هَذِهِ الْفُضُوضَاءِ
عَنِّي لِحْلُ الْوَيْلِ بِي فِي لِحِظَتِي
حَاشَاكَ تَحْرِمْنِي وَدَاعَةَ غِبْطَتِي
وَلَوْ اهْتَمَمْتَ جَعَلْتَ مِنْهُ يَقِينَا
دَلَّتْ عَلَى عَدَمِ اكْتِرَائِكَ فِينَا

أنا لا يلائمني ربيع طافح
ويظن من خيلائه عن فرحة
قالت لي الحمقى تبدد شملنا
فأجبتهم إن كان غير مناسب
حقاً أبو الحن المحقق قال لي :
أظن تبقى الشمس مشرقة إذا

بالزهر لم يُذرك مدى أحزاني
غنى له العصفور في البستان
فكن ابنَ عَصْرِكَ أيها المجنون^(١)
فمن المناسب حربنا المكنون
الروح لا تفنى إذا فني الجسد
هي أنكرت هذا الشعاع إلى الأبد^(٢)

(١٣)

عدم اكتراثك لم يزل وشقائي
رباه أين أنا وأنت وإن يكن
ولك الوجود جميعه أم لي أنا
ما خضت إلا وقعةً نشبت به
ما خضت طوال العمر إلا وقعةً
بحرارة الرومي كنت أخوضها
ما أفلحت تلك العقاب وقد نمت
فلصقنا الملكي سرّاً واحداً
للحُب أغنية وما لغنائها
هي إن تكن أو لم تكن عريّة

لم أستفد شيئاً بكل غنائي
هذا فضاؤك أنت أين فضائي ؟
والكون سخرُك أم تموج ذاتي
في ساحها أنفقت كل حياتي
نشبت على لغز من الألفاظ
حيناً وحيناً باكتئاب الرّازي
وترعرعت بين النُور الكاسرة
لم تدرك تلك العقاب الحائرة
لغة ، ولا تحتاج لالفاظ
فالسّر كل السّر في الالحاظ

(١) شاهد من سعدي شيرازي وهو حرفاً : انسجم مع الزمن .

(٢) في الأصل (أيمن أن تظل الشمس مشرقة لو أنكرت أشعتها) وفي الهامش أن الشمس هي الذات الكونية ، وأشعتها هي الذوات الفردية . قلت : وقريب من هذا .

رباه ذاتك في سماء حياتنا شمس أشعتها ذوات الناس
وقريب من هذا قول شوقي في معارضته لميثة ابن سينا :
يا نفس مثل الشمس أنت أشعة فسي عامر وأشعة في بلقع
فلإذا طوى الله النهار تراجعت شتى الأشعة والتقت في المرجع

ما بين دروشة ولا ملكية
كلتاها تغزو الوجود فهذه
البعض قد ترك الركاب لغيرها
لو اتقن الحادي مقاماً واحداً
الفكر حتى بالفضيلة لم يعد
والقلب حتى بالتجارب كافر
فالإلى متى هذا النفور يهودنا
الله يعلم ما رأت نفسي التي

(١٤)

فرق إذا صلحت أمور الذات
بيد الجنود وتلك بالنظرات
والبعض يكتُم جرحه ويعاني
لم يرغبوا عنه لحاد ثانٍ
يرضى بقول القلب في تفسيرها
ويرد قول الفكر في تقريرها
والى متى تجتاحني أنفاسي
أقسو عليها رحمة بالناس

أنا لا يبدو مجالي هاهنا
وأرى اللعبة من ماء وطين
أي عين هاهنا ما افتتنت
تربث من أعين كانت ترى
كم لنا قافلة مرهقة
إن هذا المشتري والنييرين
هذه الأرض وهاتيك السماء
قفزة واحدة من عاشق
أنت إن حاولت كتمان الهوى
صرخة الحب التي تملكني
رغم ما تطلقه من حيرة
هي عندي وكما أعرفها

إن تكن رباً فيعني عندنا
وجع في الرأس لا يتركه

صرت تهتم بأرضي وسماء
لهناء في صباح ومساء

أَسْتَمِيعُ الْقُدْرَ إِمَّا إِنْ تَكُنْ
فَهُوَ لَا يَعْنِي (تَمَاماً) عِنْدَنَا

(١٥)

رَغِمَ أَنِّي حَافِلٌ بِالْعِيَرِ
كُلُّ مَا أَطْرَفَهُ عَنْ قَدْرِي
أَنَا أَمْ أَنْتَ الَّذِي يَمْلُكُهُ ؟
عَنْ زَمَانِي لَمْ أَكُنْ أَهْتِكُهُ
كَيْفَ لَا تَمَلَأُ أَرْجَاءَ السَّمَاءِ
أَنَا أَمْ أَنْتَ الَّذِي صَاغَ الْغِنَاءُ ؟
مَا الَّذِي يَدْعُو إِلَى تَكَرَّارِهِ
وَمَتَى يَخْرُجُ مِنْ فَخَّارِهِ
مِنْ جَمِيعِ الْعِلْمِ غَيْرَ الثَّرَاهَاتِ
صَارَ لِلْإِسْلَامِ عَاراً فِي الْحَيَاةِ

وَاضِحٌ قَوْلِي ، وَفِكْرِي ثَبَرٌ
طَيْتَنِي هَذِي الَّتِي أَمْلِكُهَا
لَيْسَ عِنْدِي غَيْرَ شَيْءٍ وَاحِدٍ
أَنْتَ لَوْ مَكَّنْتَنِي مِنْ صَوْنِهِ
كَيْفَ لَا تُعْرِبُ عَنِّي صِرْخَتِي
أَنَا غَنَيْتُ كَمَا عَلِمْتَنِي
خَطِئاً إِنْ كَانَ فِي تَصْمِيمِنَا
ذَلِكَ الْإِنْسَانُ مَا قِيَمْتُهُ
رَغِمَ أَنَّ الْغَرْبَ مَا عَلَّمَنِي
فَأَنَا يَوْسُفَنِي (الْمَلَأَ) الَّذِي

كَيْفَ لَا تَشْرِقُ فِي أَرْضِ الْبَشَرِ
قَالَتِ الْحَقِيقَى أَسِيرٌ لِلْقَدْرِ
مِثْلُهَا تِلْكَ الَّتِي فِي مَعْبَدِكَ
فَتَرْفَعُ عَنْ يَدٍ غَيْرِ يَدِكَ
مَا لَهُ عِلْمٌ بِمَا فِي قَلْبِكَ
وَتَرَاهُ تَحْفَظُهُ مِنْ رَبِّكَ

أَيُّهَا الْمَسْلُومُ^(١) يَا نَوْرَ السَّمَاءِ
أَنْتَ سَلْطَانُ اللَّيَالِي لَا كَمَا
إِنَّ أَصْنَامِي الَّتِي فِي مَعْبَدِي
لَمْ تَحْطُمْهَا يَدٌ غَيْرُ يَدِي
ذَلِكَ الْأَعْمَى الَّذِي تَقْصِدُهُ
هُوَ لَا يَبْصُرُ حَتَّى تَقْنَهُ

(١) في ترجمة الشر للأستاذ الملوحي « يا أنت ! وقد اختلف النقاد في تحديد المنادى »

رَبَّاهُ هَذَا الشُّوقُ يَنْبِضُ رَوْعَةً
 بِالرَّغْمِ مِنْ هَذَا فَأَرْخَصُ سَلْعَةً
 مَلِكُ الْمَرَابُوتِ الْبِلَادَ جَمِيعَهَا
 وَالنَّاسُ يَعْتَقِدُونَ رَغْمَ شَقَائِهِمْ
 لَمْ تَمْنَحِ الْعُلَمَاءَ حَتَّى قَشَّةً
 وَالْإِنْكَلِيزَ وَهُمْ عِبَادٌ مِثْلُنَا
 مِثْلَتْ كِنَائَتُهُمْ بِكُلِّ مِلَّةٍ
 هَلْ فِي مَسَاجِدِنَا بِكُلِّ بِلَادِنَا
 قِرَائَتُكَ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَإِنْ يَكُنْ
 لَوْ يَرْغَبُونَ بِرَأْيِهِمْ أَنْ يَجْعَلُوا
 فِرْدَوْسَكَ اللَّهُمَّ لَمْ يَرَهُ هُنَا
 الْإِنْكَلِيزُ بِبِلَادِهِمْ فِرْدَوْسُهُمْ
 مَا زَالَ فِكْرِي فِي سَمَائِكَ حَائِثاً
 تَابَى عَلَيَّ مَلَائِكَةُ فِطْرَتِي
 لَكَ ذَلِكَ الدَّرْوِيشُ جَرَّحَ نَفْسَهُ
 لَا فِي سَمَرْقَنْدٍ وَلَا دِلْهِي وَلَا
 أَنَا لَسْتُ بِسَكِينٍ وَلَسْتُ مَرَاوِغاً
 غَضِبْتَ عَلَيَّ الْأَصْدِقَاءَ جَمِيعُهُمْ
 لَمْ أَسْتَطِعْ أَبَداً أَسْمِي سُمَّهُمْ

وَيَرْوِجُ حَتَّى فِي ابْتِيعِ الدَّاءِ
 عِنْدَ الشَّرَاءِ مَوَاهِبُ الْعُلَمَاءِ
 وَتَقَامَرُوا حَتَّى عَلَى الْأَدْيَانِ
 لِلْإِنْكَلِيزِ بِمَطْلَقِ السُّلْطَانِ
 وَجَعَلَتْهُمْ أَخْلَى الْعِبَادِ وَفَاضَا
 يُغْطُونَ أَبْنَاءَ الْحَمِيرِ رِيَاضَا
 فَهِنَا اللَّحُومُ وَهَاهُنَا الْكَاسَاتُ
 إِلَّا الْمَوَاعِظُ تِلْكَ وَالصَّلَوَاتُ^(١)
 قَاسَى كَلَامَ مَفْشَرِهِ وَعَانَى
 الْقُرْآنَ (بِازَنْدِ الْمَجُوسِ)^(٢) لَكَانَ
 أَحَدٌ وَأَنْتَ هُوَ السَّمِيعُ الْمُبْصِرُ
 وَالْمُسْلِمُونَ إِلَى سَمَائِكَ تَنْظُرُ
 فَاسْجَنُهُ فِي فَلَكٍ مِنَ الْأَفْلَاقِ
 أَنْ أَسْتَمِرَّ بِهِذِهِ الْأَشْرَاقِ
 حَاشَا تَكُونَ لِقَلْبِهِ جِهَتَانِ
 فِي أَصْبَهَانٍ لَهُ مَقَامٌ ثَانِ
 وَالْحَقُّ : أَرْفُضُ غَيْرَ نَفْسِي شَاهِداً
 وَالْحَقُّ لَا يَبْقَى صَدِيقاً وَاحِداً
 حَلَسُوا وَأَعْرَفُوا أَنَّهُ قَتَالُ

(١) المقصود اللادنيوية التي مني بها المسلمون والادينية التي انتهى إليها الغرب ، فليس في كُتائهِ إلا دنيا ، وليس في دنيا المسلمين إلا مساجد .

(٢) البازند : شرح ترجمة معدلة لكتاب زرادشت (رافستا) ويُشير الشاعر إلى عناصر في هذا الدين مثل الثنوية وارتكاب المحارم (من ترجمة الأستاذ الملوحي الثرية) .

(دومند) عندي لا يسئى صخرة
لما قُذِفَتْ لِنَارِ نَمْرُودِ أَتَى
وَصَمْتُ لَمَّا قَالَ : هَلْ لَكَ حَاجَةٌ
رَبِّاهُ ! إِنِّي أَتَعَبَيْتَنِي حَيْرَتِي
الْحَسَنُ مِنْ حَوْلِي بِشَيْعِ وَصَالِهِ
سَكْرَانُ مَغْتَبِطُ الشَّجِيَّةِ مَتَشْرِ
يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ يُخْرَمُ بِرَعْمٍ
لَمْ يَسْتَطِعْ إِقْبَالَ يَكْتُمُ جَرْحَهُ
مَنْ سَوْفَ يُسَكِّتُ ذَلِكَ الْوَقْعَ الَّذِي

وعليه من قلبي الجبال جبال
جبريل يسألني فلم أنكلم
أنا مسلم أنا لست حبة شيلم
ما عاد يمكن أن أغض عيوني
والحُبُّ في صدري يذيع فتوني
بالفقر فرحان الفؤاد بهيجه
من رغبة في الابتسام تهيجه
حتى أمام الله قام وقال
لم يبق للمتجملين جمالا

القسم الثاني

علق إقبال على هذه القصيدة بقوله :

تفضل جلالة السلطان نادر شاه - الذي استشهد بعد ذلك - بدعوتي فاغتنمتُ
زيارة ضريح الفيلسوف السنائي الغزنوي في شهر (تشرين الثاني) عام ١٩٣٣ م
وقد نظمتُ هذه التأملات على نمط قصيدة مشهورة لهذا الفيلسوف^(١) ذكرى
لهذا اليوم السعيد :

« إِنَّا نسير على خُطَى السنائي والعطار »^(٢) .

- (١) القصيدة نمط من الشعر العربي اقتبسه الفرس ، ويُنسج إلى مدح شخصية ما ، أو إلى
تجسيد عقيدة عند أهل التصوف كالسنائي (من ترجمة الأستاذ الطوحي الشريعة) .
- (٢) الشطر الثاني من بيت لمولانا جلال الدين الرومي .

لَمْ تَقْوَ صَحْرَاءَ الطَّبِيعَةِ هَذِهِ
لَوْلَا الْجَنُونَُ أَسَاءَ فِي تَقْدِيرِهَا
بِالذَّاتِ يُمْكِنُ أَنْ نَكْثُرَ سِحْرَ مَا
لَا أَنْتَ تَمْلِكُ فِي الْحَيَاةِ وَلَا أَنَا
صُورُ الْوُجُودِ تَمُوجُ نُضَبَ عَيُونِنَا
لَوْ يَسْتَطِيعُ الْبَحْرُ يَتْرُكُ مَوْجَهُ
بَيْنَ الْمُحَقِّقِ وَالْفَقِيهِ خَصُومَةً
لَمَّا رُئِيَ الْحَلَّاجُ فَوْقَ صَلِيْبِهِ
مَا يَبْنِي مَنْبَرًا وَبَيْنَ صَلِيْبٍ ذَا



رَجُلُ الْبَصِيرَةِ لَا يَذُوقُ هَوَانًا
يَخْتَالُ وَالذَّرْعُ الْوَحِيدُ زَهْدُهُ
جَبْرِيلُ دَعَانِي فِي الْحَيَاةِ وَسُكْرَتِي
أَنَا إِنْ تَبِعْتُ خُطَاكَ خَنْتُ خِلَافَتِي
سَفَكَ الدَّمَاءَ رِسَالَةً مَذْمُومَةً
أَهْلُ السَّمَاءِ صِلَاخُهُمْ فِي أَنْهَمُ
كَمْ ذَا ذَهَبَتْ مُشْرِقًا وَمُغْرِبًا
فَهِنَا كُؤُوسٌ لَا مَذَاقَ لَخْمَرِهَا
طُورَانُ مِنْ إِيرَانَ تَأْخُذُ نَارَهَا
ذَهَبُ الدَّرَاوِيَشِ الَّذِينَ عَهْدَتُهُمْ
وَيَقِيْتُ فِي حَرَمِ يَتَاجِرِ شَيْخِهِ
لَمَّا اشْتَكَى اللَّهُ إِسْرَافِيلُ مِنْ
هَذَا الْفَتَى قَبْلَ الْأَوَانِ يَرِيدُ أَنْ
فَأَجَابَهُ صَوْتُ : أَلَيْسَ أَشَدَّ مِنْ

لَمَّا جَنَنْتُ عَلَى احْتِوَاءِ جَنُونِي
لَمْ أَتَهَا بِمَخَافَتِي وَظَنُونِي
بَعَثَتْهُ مِنْ عَطْرِ وَمِنْ ثَلَوِيْنِ
أَسْرَارَ وَحْدَانِيَةِ التَّكْوِينِ !
فَامْلَأْ عَيُونَكَ مَا مَلَأَتْ عَيُونِي
أَلْقَى بِمَوْجِ الظَّنِّ بَحْرًا يَقِينِي
عَصَفْتُ بِمَنْبَرِ ذَلِكَ الْمَكِينِ
كَسَرَ الصَّلِيبِ تَعْصِبًا لِلدُّيْنِ
لَمْ أَلْقَ غَيْرَ خَصُومَةٍ مِنْ طِينِ

سَيِّانَ عَبْدًا كَانَ أَوْ سُلْطَانًا
لَا يَشْتَكِي زَمَنًا وَلَا شَيْطَانًا
لَا أَنْتَ أَسْتَاذِي وَلَا أَنَا عَبْدُكَ
شَتَّانَ وَجُدِي فِي السَّمَاءِ وَوَجْدُكَ
لَكُنْهَا فِي الْأَرْضِ أَقْدَسُ فَرْضِ
يَسْتَغْفِرُونَ بِهَا لِمَنْ فِي الْأَرْضِ
أَتَفَحَّصُ الْحَانَاتِ فِي الْآفَاقِ
وَهَنَّاكَ خَمْرًا مَا لَهَا مِنْ سَاقِ
وَبِلَاطُ قَيْصَرٍ مِنْ دِمَائِهِمَا نَدِي
لَا يَأْبَهُونَ لَصَارِمٍ وَمَهْنَدِ
بُوشَاحِ فَاطِمَةَ وَمَصْحَفِ أَحْمَدِ
شَكُوَايَ قَالَ - بِحَرْقَةٍ وَتَهْنُدِ - :
يَنْهِي الْوُجُودَ بِشِغْرِهِ الْمَتَمَرِّدِ
هَذِي النُّهَايَةُ مَا تَرَى يَا سَيِّدِي



مِنْ (لَا إِلَهَ) لَنَا
وَكُلُّهُنَّ (إِلَّا اللَّهُ)
الْكُلَّاسُ طَافِحَةٌ
وَالْكُلَّاسُ فِي الْإِثْبَاتِ
الْعَازِفُ الْمَوْجُوبُ
نَبْكَى بِلا صَوْتِ
عَجَبًا لَأَوْرَثَةِ
وَبِذَاتِ لَجَّتْهُ
تُخْفِي بِهَدَاتِهَا
عَصَفَتْ فَمَا تَسْرُكَتْ
رَأَى الْعَبِيدَ بِهَا
وَتَقَرَّرُ الْأَحْرَارُ
لَا شَيْءَ يُقْنِعُنَا
يَسَاتِي بِلَوْلُؤِ
ذَلِكَ السَّرْجِاجِ إِذَا
فَأَنَا أَسْوِيهِ
لِي فِي الْجَهَادِ يَدُ
بِيضَاءُ مَا تُدَّتْ
أَنْظَرُ أَوْرَثَةِ
أَوْ تَنْطَفِي نَارِي
نَارِي وَقَدْ أَذْكَتْ
لَا شَيْءَ يَمْنَعُهَا

كُلَّاسُ يَمْنَعُنَا
كُمَرَتْ بِأَيْدِينَا
بِالتَّقِي فِي الْأَرْوَاحِ
تَبْكِي ذَهَابَ الرِّجَالِ
بِالْعَزْفِ أَخْرَسْنَا
وَنَخْشُونَ أَنْفُسَنَا
بِالنَّهْرِ تُغْرِينَا
ضَاعَتْ مَعَانِينَا
تِيَارَهَا الْمَاحِي
وَكُنَّا لِنَفْسِنَا
لَا نَطْمَعُ لِنَهْ
الرَّأْيِ مَجْمَلُهُ
إِلَّا اجْتِهَادُ وَفِي
مَنْ ذَلِكَ الصَّدْفِ
عَجَّتْهُ فِي الْكِبَرِ
صَخْرًا بِإِكْسِيرِي
فِرْعَوْنَ يَخْشَاهَا
إِلَّا لَمَوْلَاهَا
أَنْ يَنْتَهِي نَفْسِي
فِي قُشَّةِ الْيَسْرِ
مَا اخْطَسَرْتُ مِنْ قَصْبِي
مَنْ ذَلِكَ الْخَطْبِ

متفاههم قلبني
 لحبب علمه
 من عنبر عالمه
 لا قنصر قصيره
 تتعلّق أبداً
 لا غزو للاقمار
 هو سيد الأشياء
 هو شغلّة الساري
 هو مركب من نور
 أعطى جنون الطور
 هو أول المعيدان
 في أعين التكران
 هو رحمة القرآن
 هو سيدي ياسين
 أقلمت عن غوصي
 لولا (سنائي) ما
 لولاه عن بحري
 فلالي في

لا يعرف اليأس
 أن يُزغم النفس
 يستخرج النورا
 يرجو ولا كثرى
 بركاب سيده
 يقطن في يده
 هو خاتم الرسل
 في هذه الشبل
 يمشي أمام الركب
 لغبار هذا الدرب
 هو آخر الدرب
 من نشوة الحب
 للناس أعطاهما
 هو مالكي طه
 وتركب أحمالا
 أقلمت إجلا
 لولاه ما جلت
 أضعاف ما قلت

(٢)

الشاعر الفرخ الحزين معاً أنا
 أوتيت ملكهما بوجه معذبني
 والزهد من شيم الملوك فإن تجد

حذر الحكيم أشوبه بجنونه
 ورميت بالاثنين حول عيونه
 ذا الفقر فيه فمن عظيم فتونه

زهدُ الملوكِ كأبرويز محبةً
وكهداةِ الأسدِ المقيم كما يُرى
لا قعدةُ الشُّوفيِّ مُنْهَدِمِ القُوى
ما قول سادتنا الدَّراوِش التي
هو من رجالِ الله إلا أنه
رجلٌ تَنيرُ طريقه شطحاته
ملكٌ أماراتُ الجنونِ بوجهه
تيمورُ أو جنكيزُ كانَ كلاهما
شعري بفارسٍ والعراقِ محيّرُ
الكافرِ الهندي^(٢) يذبحُ دونما

(٣)

والتي مكّنتني منها الجنونُ
أخذتُ من صَدرِ جبريلَ الأمينِ
عن مصيري هاهنا كيف يكونُ
في رحابِ الكونِ نبوءُ مهينُ
وهي في اليقظة أو في الحلمِ
كثرةُ الحيرة موتُ الهِمَمِ

روعةُ السرِّ التي أعطيتها
إنَّ أنفاسي التي أحْدو بها
لستُ آتي النّجم كي أسأله
هو لا يعرف من أين أتى
ما حياةُ الناس إلا سكرةُ
لا تُضغِ عمرك في تفسيرها

فرحني تفجّر من قـدمي إلى رأسي

(١) يمكن أن يكون في هذا إشارة إلى قصر « دريند عجم » الذي بناه أبرويز لمعشوقته شيرين رمزاً لحبه كالمملك المغولي شاهجهان الذي بنى « تاج محل » في القرن الخامس عشر الميلادي رمزاً لحبه لزوجته « ممتاز محل » .

(٢) انظر من تلقب من الشعراء بالكفري (مكتوبات الإمام الرئاني الجزء الأول ، ص ٣٢) .

والقـلـومُ تطلـب أن
ما سرُّ قلبي ؟ آه
وسمـو نظـرتـه
لا أرتضي بي بدلاً
بكنوز قـسـارون
معراج سيّدنا
بـدت الثـماء به
لابـد يُذهـبنا
فـوجـودنا هـذا
فـي كلّ آونة
يلغـي خـرافات
الـهـة أربـة
إيـاك أن تـرضـي
لا تـرك الرُّومـي^(١)
فـداؤك الشـافـي

أنـسـل من نـفـسي
لضميرـه العـذب
فـي سـكرة الحـب
عـن قلبي المـجنون
وعـلـوم أفـلاطون
عـلم عـظيم الشـان
فـي عـالم الإنـسان
مـا كـان يُخـتمـل
مـا زـال يـكـتمـل
نـصـغي إلـى إعـلان
مـن سـالف الأزـمان
بـالشـعر عـن ذـاتك
عـن كـثير مـرآتـك
ولـهـب حـرقـه
فـي نـار نـظـرتـه

(١) يرى إقبال أن المراحل المختلفة للخبرات الداخلية ترتبط بأحوال مختلفة من الوعي الذاتي ، وبالتالي فالخبرات الداخلية التي نجدها في الأدب الديني العالمي مهما كانت مغلفة في مفاهيم سيكولوجية متقدمة فإنها لا تتركز على وهم ، وإنما تحمل قيمة معرفية كاملة .

والظاهر : أن العلم الحديث ما زال لا يملك الأدوات التي يستطيع بمقتضاها أن يحلل بدرجة مناسبة مضمون هذه الخبرات الصوفية .

ويريد إقبال بتمجيده للرومي أن يعرب عن سخفه على الفلسفة المجردة داعياً إلى الفلسفة التجريدية التي تجلت عند الرومي في مبدأ العشق العيني المشار إليه في قول الرومي : ليس الحرام تنظر إلى وجه الحبيب ، وإنما الحرام أن لا يكون لك حبيب تنظر إليه . انظر مجلة فكر وفن عدد ٣٢ فصل إقبال والرومي .

أَوْ مَا اسْتَعَذَّتْ بِهِ
إِيَّاكَ كُنْتَ تَرَى

(٤)

مَا ضَاعَ مِنْ نَفْسِكَ
جِيحُونَ فِي كَأْسِكَ

أَلَا يَا عَالِمًا فِي الْمَاءِ
ظَاهِرَ ذَلِكَ السِّرِّ
وَهَذَا اللَّيْلِ فِي حَزْنٍ
وَلَحْنٍ مُؤَذِّنِ الْفَجْرِ
نَشَاطِ الدَّهْرِ يَطْلُبُ مَنْ
وَيَخْمَلُ عَيْنَهُ يَجْرِي
غِبَارُ نَحْنِ يَا أَعْمَى
فَحَقْلُ الْكَوْنِ لَا أُدْرِ

بَيْنَ الثُّرْبِ وَالْأَهْوَاءِ
أَنَا أَبْدِيهِ أَمْ أَنْتِ
وَحَرَقْتَهُ وَحَيْرْتَهُ
أَنَا أُعْطِيهِ أَمْ أَنْتِ
أَنَا أَمْ أَنْتِ يَتَقَلَّبُ
أَنَا أَغْرِيهِ أَمْ أَنْتِ
وَلَكُنِّي أَعْيِي ذَاتِي
أَنَا أَسْقِيهِ أَمْ أَنْتِ

(٥)

كَمَا أَنْتَ لَا تَكْتَرُثُ لِلشَّيْنِ
كَمَا أَنْتَ لَا تُضْغِ لِلْقَائِلِينَ
تَعَالَى جِهَادُ النَّزِيهِ الْغَيُورِ
وَجَائِزَةُ الْحَرِّ غَيْرُ الْخَمُورِ
عَلَى الطُّغْمِ يَسْقُطُ مَنْ لَا يَطِيرُ
إِذَا سَلَبَ الْغَرْبُ قَلْبَ الْغَرِيرِ
عَصَاكَ تُصَدِّعُ ضَمَّ الْعِجَالِ
فَدِغُ تَرْفِ الْغَمْدِ مَا لِلْهَلَالِ
إِمَامُكَ يَفْقَدُ مَعْنَى الْخُشُوعِ
أَمْثَلُكَ يَرْضَى بِهَذَا الْخُشُوعِ

وَيَزُ فِي طَرِيقِكَ نَحْوَ الْأَمَامِ
فَلَسْتَ لِنَجْدٍ وَمَصْرِ وَشَامِ
تَعَالَى يَكُونُ لَنَيْلِ الْخُطَامِ
وَغَيْرُ الْغَوَانِي وَغَيْرُ الْخِيَامِ
وَمَنْ لَا يَحُلِقُ فَوْقَ الْغَمَامِ
فَسِرُّكَ يَغْزُو مَصِيرَ الْأَنَامِ
وَتَعْرِفُ سِنَاءَ صِدْقِ الْكَلَامِ
عَلَى فَخْرِهِ غَيْرُ شَكْلِ الْحَسَامِ
وَيَنْقُضُ نَجْوَاكَ عَرُّ الْقِيَامِ
وَتَلِكُ الصَّلَاةِ وَذَاكَ الْإِمَامِ

نسيبُ جبريلَ معصومٌ من الرّيبِ
 كم كانَ مِنْ سفينٍ للقومِ أغرقها
 كنْ ثاقبَ العينِ في قلبِ الأسودِ لها
 جسُّ الطيبِ بقلبي ما أكابذهُ
 تطلعاتُك لا طاقاتُ تحملها
 وما يُسمّى صفاءَ الرّوحِ أعرفه
 هذا الدّمُ القِرْمِزِيُّ اللونِ (نَضْرَتُهُ)

وحكمةُ الذّوقِ تعلو حكمةَ الكتّابِ
 سلّمُ التّصوفِ واللاهوتِ والأدبِ
 جرحٌ فما لثُغاءُ الشاةِ من عَثَبِ
 فقال : ويحك ما تخفيه من طلبِ
 لكن (لك الحقُّ) لا تياس من السّببِ
 وليس هذا الذي في قلبك اللّجبِ
 تدلُّ أنّك لم تشربْ شرابَ غبي

(٧)

لشقائق النعمان قنديلٌ على الأكامِ يشرقُ من جديد^(١)
 ويحسّني العصفورُ في البستانِ ، يرغبُ أن أجدّد في النّشيدِ
 الحورُ صفتٌ بعد صفتٍ والزهورُ مبعثرة
 ضجّ الجميعُ ولا أظنُّ جميعُ هذا ثرثرة

(١) يبدو أنّ القصيدة ستكون غامضةً إذا تُركت بغير تعليق للمؤرّز التي طفحت بها والتي
 تعليقك فكرةً بشرحها عن طبيعة شعر إقبال وما فيه من رمزية مفرقة ، وتستطيع أن تأخذ
 فكرةً واضحةً عن ذلك إذا تأملت ما هُمّش به جناح جبريل - الأصل - من اختلاف التقاد
 في فهم كثير من شعر إقبال .

يشير إقبال في هذه القصيدة إلى أنّ الحضارة قد دخلت في طورٍ جديد ، وهي بحاجة
 إلى ديانة تناسبها ، وهذه الناس الذاهبة هنا وهناك تبحث عن شيء ، وهاهي الذوات
 بدأت تستقل ، كلّ واحد معتصمٌ بذاته وهذا سيجعل تلك الديانة أكثر جمالاً ؛ لأنّ
 الديانة الحقّة إذا نزلت على الفطرة الحرة كانت كمثّل لؤلؤة النّدى على الزهرة
 الحمراء . سيتألق البستان ، وغاية الفطرة هذه هي الجمال كله ، ولا يمكن لهؤلاء
 الذين أصبحت نفوسهم كالمدن في تعقيدها إزاء صفاء الفطرة لا يمكن لهم أن يفهموا
 كلّ هذا ؛ لأن هذه الزحمة في نفوسهم ستحول بينهم وبين تجلّي القصة في ثوبها
 الجديد ، ويختم إقبال رموزه بإشارات لا تحتاج إلى تعليق .

الثُّوبُ أَضْفَرُ أَضْفَرُ وَالثُّوبُ أَزْرَقُ أَزْرَقُ
 وَالْقِرْمِزِيَّةُ قِرْمِزِيَّةُ وَالتَّقْرِدُ مُطْلَقُ
 الْقِي نَسِيمُ الصُّبْحِ لَوْلَوْهُ عَلَى تِجَاجِ الرُّهُسِ
 وَالشَّمْسُ نَوَّرَتِ النَّدَى لِتَزِيدَ مِنَ الْقَوِ الْعُطُورِ
 مِنْ هَذِهِ الْغَابِغَاتِ قَامَ الْحَسَنُ يَبْدَأُ رَقَصَتَهُ
 فِي هَذِهِ الْغَابِغَاتِ لَا فِي الْمَذْنِ نَفْهَمُ قَضَّتَهُ
 اغْرَقَ بِذَاتِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَشَطَّ بِحَرِّكَ فِي حَيَاتِكَ
 إِنْ كَانَ يَزْعُجُكَ اتِّسَابِي فَاتَّسَبَّ لِحِمَالِ ذَاتِكَ
 مَا عَالِمُ الْقَلْبِ ؟ الْمَحَبَّةُ وَالْمَرْوَةُ وَالْحِمَاسَةُ
 مَا عَالِمُ الْجَسَدِ ؟ التَّجَارَةُ وَالتَّمَلُّقُ وَالسِّيَاسَةُ
 يَا أَنْتَ أَنْتَ إِذَا وَجَدْتَ غِنَى الْقَوَادِ فَلَنْ تُرَاعَ
 أَمَا غِنَى الْأَجْسَادِ فَهُوَ وَكُلُّ مَا فِيهِ ضَيَاعُ
 وَإِذَا وَجَدْتَ الْقَلْبَ ثُمَّ أَضَعْتَهُ فَالْحَقُّ أَنَّكَ مَا وَجَدْتَهُ
 وَالْحَقُّ : أَنَّكَ ضَائِعُ الْخُطُوبَاتِ مِنْ وَهْمِ تَصَدَّقَ مَا ظَنَنْتَهُ
 لِإِنْكَلَبَ سَيَادَةُ فِي غَيْرِ قَلْبِ الْمُسْلِمِ
 مَا فِيهِ تَأْوِيلَاتُ شَيْخٍ أَوْ مَسَائِلُ بَرَهْمِي
 لَوْ كُنْتَ تَسْمَعُ لِلْقَلْبِ حِينَ قَالَ وَحِينَ جَلَّلَنِي حَيَاءُ
 لَمَا انْحَنَيْتَ أَمَامَ غَيْرِكَ صَرْتَ مِنْ جَسَدٍ وَمِنْ قَلْبٍ هَبَاءُ

(٨)

دَمُ الْمُسْلِمِ الثُّورُ فِي دَرِيهِ وَمَوْهِيَةُ السُّحَرِ فِي قَلْبِهِ
 وَيَعْتَرِفُ الْعَصْرُ أَنَّ الْجَمَالَ صَبَا وَتَرَعَرَغَ فِي شَعْبِهِ
 وَلَوْ لَا مَدَارِسُ هَذَا الثُّيُوحِ وَأَحْبَارُ سُوءِ وَرَهْبَانُهَا
 لَرَوَى الْمَدِينَةَ مِمَّا ارْتَوَاهُ وَأُورِقَ بِالْحَبِّ بِسَاتِنُهَا
 صَفَارُ الشَّوَاهِينِ مَا ذَنْبُهَا هُمْ عَلَمُوهَا عِنَاقَ الْغَبَازِ

هُم قَتَلُوا الْقَلْبَ فِي صَدْرِهَا هُمْ أَبْدَلُوهَا بِهَذَا الشَّنَارِ
تَرَى النَّشْأَ يَمْلَأُ وَجْهَ الطَّرِيقِ بِرُوحَاتِ نَسْرِ وَغِدَوَاتِ بَارِ
وَمَفْتِي الْمَدِينَةِ وَادٍ سَحِيقِ يَضُجُّ بِمِصْطَلِحَاتِ الْحَجَّازِ
أَنَا لَسْتُ أَفْهَمُ هَذِي الْكَؤُوسِ وَيُؤَسِّفُنِي مِثْلُ هَذَا اللَّجَّاجِ
وَمَنْ كَانَ يَحْسُنُ نَحْتِ الصُّخُورِ تَرْفَعُ عَنْ أَنْ يَصُوغَ الرُّجَّاجِ
يَقُولُونَ إِقْبَالَ مَاذَا يَرِيدُ وَمَنْ أَيْنَ جَاءَ بِهَذَا الشُّلُوكِ
سَأَلْتُ الدَّرَاوِيشَ عَنْ سِرِّهَا وَالْقَيْثَ فِي وَجْوِهِ الْمَلُوكِ

(٩)

هُوَ الْحَبِّ يَمْضِي حِيَالُ الْحَيَاةِ يَغْنَمُهَا فِي وَجْوهِ الثُّرَابِ
وَيَرْسِلُهَا فِي وَجْوهِ الثُّرَابِ يُغْلِفُ فِي الْأَرْضِ أَوْتَارَهُ
كَمَا يَتَغَلَّفُ لِبِنِ النَّسِيمِ إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَذَرِ مَا رِئُهُ
وَمَنْ طَلَبَ اللَّهَ لَا مِنْ سِوَاهِ تَحْوُلُ (دَارًا) لَهُ طَالِبًا
تَحْوُلُ (دَارًا) لَهُ طَالِبًا يَجَاهِدُ لِلْقَلْبِ حُرَّ الْجِهَادِ
وَذَاكَ يَحْصُلُ مَرَّ الْخُلُودِ تَمَعَّنَ بِقَلْبِكَ وَامْتَنَنَ
خَلَا حَرَمُ اللَّهِ مِنْ أَهْلِهِ

(١٠)

الْقَلْبُ يَنْقُصُهُ الْهَوَى وَالْعَيْنُ يَنْقُصُهَا الصَّفَاءُ
مَنْ لَمْ يُغَامِرْ مِثْلَمَا غَامَرْتُ تَدْهَشُهُ الثَّمَاءُ
مَا سِرُّ طِينَتِكَ الَّتِي ذُوقُ التَّجَلُّي نَقْشُهَا

أَتَفِيحُ فِي وَهْمِ الْحَيَاةِ وَأَنْتَ قَلْبَكَ عَرَّشَهَا
 حَاشَا لِأُورُوبَةِ الَّتِي جَفَّتْ دَمَوُوعُ عِيُونِهَا
 حَاشَا تَنْيِرُ بِقَطْرَةٍ مُلْتَثِّ بَلِيلٍ ظَنُونِهَا
 هَلْ يَعْرِفُ الصُّوفِيُّ وَالْمَسَلَّ حَقِيقَةَ جَلْدَتِي
 خَشُّوا بِكُلِّ ثِيَابِهِمْ وَأَنَا أَمْرُقُ جَبَّتِي
 مَا مَرَّقَا يَوْمًا وَلَا حَشُوا وَلَا طَرَفَ الرَّدَاءِ
 فَاَعْجَبْ لَصُوفِي وَمَلَّأْ يَلْجَثُونَكَ لِلرَّيَاءِ
 حَتَّى مَتَى يَا طَيْتِي تَتَوَسَّلِينَ إِلَى النُّجُومِ^(١)
 كَانَتْ نَجُومًا ثُمَّ ضَاعَتْ خَلْفَ أَوْهَامِ الْعُلُومِ
 إِمَّا أَكْفُ أَنَا وَإِمَّا أَنْ تَكْفُ عَنْ الْوُجُودِ
 هَذَا الصُّرَاعُ الْبَارِدُ الْوَاهِي طَرِيقٌ لِلْجُحُودِ
 مَا دُمْتُ صَاعِقَةً فِي الصَّحَرَاءِ أَعْمَلُ وَالْجِبَالِ
 عُثْبٌ وَقَشٌّ يَابِسٌ لَا يَسْتَحَقُّ أَنْ تُفْعَالَي
 الْكَوْنُ مِيزَانٌ يَكُونُ لِذِي الشَّجَاعَةِ وَالْجَلَالِ
 لِلْمُؤْمِنِ الْحَقُّ الْمَخَاطَرُ بِالْحَيَاةِ لِمَا يَنَادِي
 حَاشَا لِمَنْ (لَوْلَاكَ)^(٢) فِي يَدِهِ يَرَى شَيْئًا مَنِيعًا
 مَا مُؤْمِنًا مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْكَوْنِ عِلَّتَهُ جَمِيعًا



(١١)

أَلْفُ خَوْفٍ وَلَا قِيَامٌ لِنَانِي بِحَدِيثٍ مِمَّا يُكَذِّبُ قَلْبِي
 عِنْدَمَا قُلْتُ لِلْقَلَنْدَرِ^(٣) هَذَا قَالَ : أَحَسَّنْتَ إِنَّ ذَلِكَ دَابِي

(١) ربما كان المقصود هنا : « بأبهم اقتديتم » (الحديث) .

(٢) لولاك لما خلقت الأفلاك .

(٣) القلندرية : طريقة صوفية يمكن أن تكون امتداداً للعلامتية ، ويشير السهروردي في =

عوارفه (٢٣٢) إلى عدة فروق بينهما ، وعنه ينقل المقرئ ذلك بتصريف في الخطط (٤٣٢/٢) .

وترتبط نشأتها في التراث الإسلامي بمجيء جمال الدين الساوي إلى دمشق بعد سقوط ساوة في أيدي التتار حوالي عام ٦١٧هـ .

انظر الوافي للصغدي (٢٩٢/٤) . النحيمي (٢٠٩/٢) معجم البلدان (ساوة) ، تليس إبليس (٣٩٨ ، ٤٠٥ ، ٤١٧) . (الكواكب السائرة ١٩١/٣ ترجمة علي بن صدقة) . (وفيه ٤٨/١ ترجمة محمد الجارحي) . (وخلاصة الأثر ٣٨٩/٣ محمد بن أحمد المبادي) وانظر التذكرة التيمورية وعلى هامش لطف السمر (٣٥٣/١) . والمبر (١٤١/٥) والبداية والنهاية حوادث سنة ٧٦١هـ ورحلة ابن بطوطة (٣٣) ونلفت النظر إلى وجود جملة من المعتقدات الزرادشتية ترتبط ببحيرة ساوة ، وفي الحديث (خمدت نار فارس وغارت بحيرة ساوة) وهذا ما يفسر وجود بقايا زرادشتية في الأدب القلندري .

وينبغي أن يخصص رأي دائرة المعارف الإسلامية «النسخة الفرنسية» من أن قلندر يوسف الإسباني هو مؤسس القلندرية وعنها نقل فروخ في (التصوف في الإسلام) ص ٢٦ وكذا حسين مجيب المصري في ترجمته غير المشهورة لأرمغان حجاز (١٥٦) ومحقق لطف السمر (٣٥٣) أو عن قاموس المنجد .

وربما كانت أخبار قلندر يوسف هذا شفوية غير مكتوبة ، أو أنها بمعنى آخر تقليدية . كما أننا غير مطمئنين إلى صحة كون (قلندر نامه) من تأليف شيخ الإسلام عبد الله بن محمد الهروي كما تقطع بذلك دائرة المعارف الإسلامية . «النسخة الإنكليزية» والمرجح أن يكون من تأليف هاتفي (عبد الله بن محمد الهروي) صاحب تيمورنامه و«شاه نامه» الذي ألفه للملك الصفوية ، وهو ابن أخت جامي صاحب النفعات وقد توفي سنة ٩٢٧هـ .

والمشهور أنه عن طريق ربايعيات بابا طاهر الهمداني / التي يرى فيها النقاد مبادئ قوية لربايعيات الخيام / انتشرت نظرات القلندرية للحياة .

والتداخلات التي تحيط بحياة بابا طاهر لها أهميتها في تفسير كثير مما نسب للقلندرية . فمن ذلك اتهامهم بالإيمان بالتناسخ وكون بابا طاهر أحد أولياء (أهل الحق) التناسخية كما في دائرة المعارف مادة أهل الحق ، ومن ذلك أن الدرگزيني الهمداني شيخ الساوي كان من بلدة بابا طاهر كما في الوافي للصغدي .

الذي يَخْشُدُ الجموعَ بحانٍ
خَوْرُ القلبِ لا يداويهِ رازي
المريدُ البسيطُ وهو نقيُّ
اسأل الله نعمةً مثل هذي
رب ما زال نجلُ آدم هذا
صنمُ النفس تحت إبطيه يُضفي
لستُ في صرختي أبْرئ نفسي
وأنا ، كلُّ تهنّاتي (لملأ)
مؤمنٌ لا يكون للحبّ أهلاً
وإذا الكُفْرُ صادفَ الحبَّ يوماً

ظُرِفَ ساقٍ مُنْتَأً في الخلاعة
رغمَ ما في كلامه من براعة
يُرفِقُ التَّوبَةَ النَّصوحَ بكاء
للشيوخ التي تموت رياء
إسرَ وهمٍ وشعوذاتٍ قديمة
حُلَّةُ النَّصرِ فوق شرِّ هزيمة
فاحتراف الإيمان روحُ الشجاعة
يدّعي حملَ مثل هذه القناعة
مؤمنٌ في الجحود جدُّ عريقٍ
قاده الحبُّ مرغماً لطريقي

(١٢)

أو لا تزال مسافراً تسري
والعصر إن القوم في خسرٍ

وتغرُّك الدُّنيا بما فيها
وسل الطبيعة عن فيافيها

ومن ذلك أن الخاكسارية وهم من مقدسي بابا طاهر يطلقون اسم القلندر على من هو في
المرتبة الخامسة من مراتبهم السبعة كما في كتاب (الشبك ص ٥٣) ويلاحظ أن ما فيه
من وصف للقلندر (ص ٥٤) ترجمة حرفية لما في البرهان القاطع (ج ٢ ص ٣٠٤) .
ولا يكاد يختلف حديث إقبال عن القلندر وحديث بابا طاهر عن نفسه ، قارن قصيدة
الشاهين (ص ٣٥٧) بهذه القصيدة التي يصف بها بابا طاهر نفسه كما في دائرة
المعارف ، يقول : إنه قلندر يتقل من مكان إلى آخر ، لا يغطي رأسه سقف .
ويتوشد في نومه وسادة من الحجر ، ويزعجه القلق الروحاني باستمرار ، تمرق قلبه
الكآبة والهم ولا يزهر في قلبه إلا زهرة الأسى وحدها ، حتى الربيع بما فيه من حسن
وسحر يخلفه شقياً بائساً .

يقول : عيناى وقلبي لا ينصرفان بسهولة عن التعلّق بأسباب هذه الحياة الدنيا وقلبي
الشائر يشتمل بين ضلوعي ولا يريحني لحظة واحدة ، أنت أسد أيها القلب أم نمر من
نمور ، أنت الذي لا تكف عن حربي وكفاحي ، سأسفك دمك أيها القلب إذا وقعت في
يدي ، لأرى من أي لون أنت .

يمشي المنافق في نقائمه
وترى الموفق رغم محتته
كف المنافق لا تساعده
والمؤمن الصديق محتته
ما للمنافق من إرادته
يستقبل الأقدار مرتبكاً
المسلم المغوار حجتنا
في نفسه أقدار أمته
حتى تحسن بما أكابده
وجذور غفلتك التي سكرت

(١٣)

فأهدأ قليلاً وكن منها على حذر
وبعض ما فيه موج الشمس والقمر
أن تستطيع احتواء اللحن والوتر
يريد يستبدل البحور بالحجر
من صيحة الحق أو من صرخة السحر
روح الجبال وأين الصعق في الضور
فإذ بها أمة الصحراء في خور
وماله في وجوه القوم من أثر
تلوح بين دخان الغرب بالشّرر
تفوح زعم حروب الكفر والأشر

الحور في الغرب سكر القلب والبصر
بحر الوجود تعالى أن نحيط به
حاشا لقيارة مهما بذلت لها
صوفنا خلف لاهوتني أديرة
والمنبر اليوم والمحارب قد فرغا
أين الأذان الذي كانت تميد له
طوّفت في أمة الصحراء أسألها
رايتهم في سجود لا اتجاه له
مهلاً فقرطبة الحمراء ما برحت
حماسة الشعر هذا من شبيبته

(١٤)

يقظ كمثل المرتضى في حرب

يقظ كما الفاروق يقظة قلبه

حجرُ الفلاسفة المجرب مثله
أيقظ فؤادك إنَّ عُمرَكَ ضائعٌ
أنا ، لا عصاي ولا عصاك تُفيدُه
ستكون في الصَّحراء أحرقٌ باحثٌ
وغزالنا التَّريُّ لست تصيده
ربَّاه أينَ يلوذُ مركبُك الَّذي
أبروحُ في طلبِ الشواطئ مخطئاً
لولا الرِّياء بذلتُ خالصَ زفرتي
كُتِمَتْ مخافةً برهميٍّ لم يزلْ
فإلى متى صمتي وحولي أمةٌ
هذا يُسُبِّحُهِ وذاك يَسْتَفِيهِ
سمعتُ حضارتنا الحديثُ هذه
مَكَرَتْ بعالمهم فظاهرُ أمرها
مولاي خُذْ بيدي لِشربِ إنَّه
ضَيِّفْتُ معرفتي وإيماني على

(١٥)

عيونُ اللذات دافقةٌ خلالِ الصدرِ والصَّدَفِ
بغيرِ تصنُّعٍ منها ولا دَجَلٍ ولا صَلَفٍ
إذا كانت لها أسلوبيها في الهَجَرِ والثُّبُوقِ
فذلك من تواضعها وذلك متهمي الذُّوقِ

(١) إشارة إلى قول مولانا جلال الدين الرومي : سير مرحلة على هدي رائحة المسك خيرٌ
من سير مرحلة في اقتفاء الأثر والدوران حوله .

أَتَلَلْتُ جَيْفَةَ الْغُرْبَانِ هَاتِيكَ الشُّوَاهِيْنَ
إِذَا اخْفَتَتْ مَخَالِبُهَا فَأَعَيْنُهَا سَكَكِيْنَ
مَتَى الْأَوْتَارُ تَلْهُبُهَا بِلُوعَةٍ ذَلِكَ الْحَبِّ
فَنَنْمُوْهُ صَوْرَ إِسْرَافِيْلَ لَا تَفْتِنُ فِي الْقَلْبِ
تَيْتُ الْغُرْبَ لَمْ أَغْبَأْ بِكَرَّةٍ دَلَّ سَاقِيَهَا
كَرَامُ النَّاسِ لَا تَشْجُو غَزَاةَ الْعَصْرِ لَيْسَ لَهَا
وَمَا مِنْ عَاشِقٍ إِلَّا لَهْ مِنْ حُبِّهِ كَوْنُ
غِيَابٍ كَالْحُضُورِ بِهِ مِنْ الْهَيْجَانِ أَدْوْمُهُ
لَعَلَّ الْهَجْرَ لِلْجُرْحِ الَّذِي فِي الْوَضَلِ مَرْمُهُ
وَلَوْ لَا ذَاكَ عَانَيْتُ مَا عَانَيْتُ مِنْ غُصَصِي
وَلَوْ أَنِّي ظَفِرْتُ بِهِ رَجَعْتُ وَلَمْ تَطُلْ قِصَصِي !
إِذَا أَحْيَيْتُ تَلْمُسَهُ فَذَلِكَ فِيضُ أَشْجَانِي
أَقِمُ فِي عَزْلَةٍ وَاقِرَا (مَزَامِيرِي بِإِيرَانِ) ^(١)
وَلَا يَحْزَنُكَ مَا تَقْرَأُ مِنْ شَطْحِي وَمِنْ مَيْلِي
يَقَالُ : يَرُونُ صَوْتَ الشَّرِّ فِي مُتَصَفِّ اللَّيْلِ !

(١٦)

شَبَابٌ قَعُودٌ رَقُودٌ نِيَامُ لَعَجَزِ الْأَمِيرِ وَفُوضَى الْجَنُودِ
فَوَاسِفًا كَيْفَ هَذَا الشُّهَامِ تَطِيْشُ بِلَا هَدَفٍ فِي الْوُجُودِ
يَقُولُونَ بِحَرٍّ عَمِيقٍ عَمِيقُ وَمَا أَضْيَعُ الْبَحْرَ مَا أَضْيَعُ
بَحْثُ بِهِ مَوْجَةً مَوْجَةً وَقَلْبُتُ قَوْعَةً قَوْعَةً
أَمَّا أَنْ تَهْجُرَ أَصْنََامَهُمْ أَمَّا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ قُمْمِكَ

(١) أحد دواوين الشاعر يحتوي على غزليات فارسية تُثير الدهشة بشطحاتها .

وغيابة أصنامهم أنها
أنا كيف أجهز هذا المساء
وشغل الحكيم بهذا العراء
هو الحب ينسبك وقع الجراح
وما الحب إن لم تمت عزة
أنا لم أر السر لو لم أنزل
ومن بذه تعلمذني قال لي
رايت فلاسفة بالآلوف
وذو الوحي يرفع من رأسه
إذا خضبت معركة فلتكن
فمن ﴿ لا تخف ﴾ شعله لم تنزل
بريق الحضارة أوج الثرف
أنا ابن المدينة وابن التجف
غبارهما قطرة للعيون
مقيم برغم رياح القرون

(١٧)

وكان طرف الهوى في ميعه الولع
بما تضم من الحانات والبيع
على الضيق برأى الفاجر الهلع
يشير في حتمه آلام مجتمعي
وتدعي أن هم الشرق جاء معي
ما تدعيه يد العمال من شرع^(١)

كان الشتاء كمثل السيف حدثه
أيام لندن ماخوڑ لطالبها
أيام كنت صلاة الفجر أبعثها
ما لي هنا ولهبي حيث رحى ذكي
وكيف كانت هناك الناس تنكرني
أيام آلت مقاليد الأمور إلى

(١) لعلها إشارة الشاعر إلى تولي حزب العمال الحكومة في إنكلترا أول مرة عام ١٩٢٤ م ، =

فكان في دربِ قُطَاعِ الحجارة ما
 يا لعةً من دمقراطيةٍ طَلَبَتْ
 كانت حكايةً فصلِ الدينِ آخرها
 ذكرتُ دلهي بروما حين طفْتُ بها^(٢)
 كلا الدروس لها سحرٌ وأبهةٌ
 لأبرويز من التُدليس والطَّمع^(١)
 عرشَ الملوك بما أبدته من وَرَعٍ
 إن السياسةَ جنكيزيةَ الجَشَعِ
 فكنت بينهما في ملتقى وجمعي
 ربّاه عفوكم قد أبعدت مُتّجعي

(١٨)

استفتِ قلبك كيفَ المسجدُ افترقا
 وأين ذو جَلَدٍ منهم يمرُّ به
 الحبُّ ، يَخْرِفُ من زَلَّتْ له قدمٌ
 وأنه جرحُ سهمٍ إن صبرت له
 ضاعَتْ عقيدةُ قومٍ في مصادمةٍ
 هيهات يُذَرِّكُها من لَيْسَ في دمه
 درسُ الشريعةِ غيرُ الوجد وهو كما
 وكيف نخرج من محرابه فِرَقا
 تقوى طويته إن تكتُمِ الخُرَقا
 بأنه أقصرُ الأشياءِ أزمانا
 أوتيت من جُعبَةِ الصيادِ سُلوانا
 باثني وسبعين وإد من معانيها
 وجدٌ يؤلف قاصيها ودانيها^(٣)
 رأيت مُتَشَرُّ في جُمْلَةِ الفِرَقِ

(من ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية) .

- (١) يمثل أبرويز حزب المحافظين وهو عند إقبال حزب استعماري صريح (الأصل) .
 قلت : لا يخفى أن المقصود بقوله قطاع الحجارة هنا فرهاد وبذلك : أعطى إقبال أبعاداً
 جديدة لقصة فرهاد وشيرين ومرة أخرى يقول في قصيدة (اجتماع لبنين بفيلهم
 إمبراطور ألمانيا) إذا الشعب لبس تاج السلطان سنستمر أيضاً فوضى المجتمع .
 ذلك التاج هو شيرين ؟ إذا لم يُنم بها أبرويز فسوف يثيم بها فرهاد قاطع الحجارة .
 انظر مجلة فكر وفن عدد ٣٢ ص ٧٩ .
- (٢) عند عودة إقبال من لندن بعد اشتراكه في مؤتمر المائدة المستديرة ، الذي دعت إليه
 الحكومة البريطانية للبحث في الإصلاح الدستوري في الهند زار روما في نهاية عام
 ١٩٣١م وقابل موسوليني (الأصل) .
- (٣) يذكرنا هذا المعنى ببيتٍ ربما كان من شعر بابا طاهر ، أي : كن قلندري الصفة صوفي
 المظهر والمشرّب معروفاً لدى اثنين وسبعين فرقة (الشبك ٥٤) .

وَأَنَّهُ وَكَمَا نَمُتُ تَجَارِبُنَا
غَصْنُ الْيَقِينِ الرَّطِيبِ الْوَجْدُ يَنْبَتُهُ
فَقُلْ لِّذِي هِمَّةٍ بِالْدرَمِ مَجْتَهِدِ
الْحَبِّ فِي قَعَةٍ يَحْلُو فِي سَفِيهِ
وَلَا تَكُونَنَّ ذَا حُبٍّ بِلَا سَفِيهِ
لَنْ تَهْدَأَ الرُّغْدَةُ الْعَلَقَاةُ فِي خَلْدِي
إِنْ لَمْ تَشُقْ بِسَيْفِ الشُّكْرِ جَذْبَتَهَا

(١٩)

وَلَيْسَ فِي بُعْدِنَا عَنْ عَالَمِ الْبَشَرِ
هَذَا الْعَذَابُ عِقَابُ الْجُبْنِ وَالْخُورِ
وَقُلْتُ : أَطْلُبُ مِنْكُمْ زُهْدًا مُقْتَدِرًا
أَضَاعَ أَمْجَادَ تَيْمُورَلَنْكٍ فِي سَمَرِ

الرُّهْدِ إِخْضَاعُ هَذَا الطَّيْنِ وَالشُّرَرِ
فَقُلْ لِّصُوفِيَّةٍ بِالْفَقْرِ رَاضِيَةٍ
وَمَا عَلَيْكَ إِذَا أَنْكَرْتَ مَذْهَبَهُمْ
فَالرُّهْدُ وَالْمَلِكُ لَا يُشْتَحْسَنَانِ لِمَنْ

يَلِيقُ بِالْقَوْلِ هَذَا جِسْمُهُ الْقَمَرِي
وَأَيْقِظَ الطَّيْشُ مِنْهُمْ رَقْدَةَ الْفِكْرِ
وَمَرْقُوا سُرَّهُمْ فِي ثَوْبٍ مَعْتَدِرٍ
فِي سَكْرَةٍ مِنْ كُؤُوسِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
مَنْ رُوحٌ ذِي طَمَحٍ فِي عَيْنِ مُنْبَهَرٍ
لَوْ أَمَعْنُوا قَبْلَ هَذَا التَّيْرِ بِالنَّظَرِ

يَا حَبِّذَا يَغْفُلُ السَّاقِي الْجَمِيلُ فَلَا
إِنَّ الرِّفَاقَ إِذَا جَاشَتْ قِرَائَتُهُمْ
خَاضُوا بِكَلِمَةٍ (عَفْوًا) مَا يَرُوقُ لَهُمْ
أَفِيلَسُوفٌ وَصُوفِيٌّ وَمَجْتَهِدٌ
مَا فِي الثَّلَاثَةِ مِنْ أَبَدِي فَوَا أَسْفَا
كَانَتْ بِزَاوِيَةِ الْأَقْصَاصِ بَغِيَتُهُمْ

(١) فِي تَرْجُمَةِ الْأَسَازِ الْمُلُوحِيِّ النَّثْرِيَّةِ :

لَنْ تَسْكُنِي رَعْدَتِي حَتَّى فِي يَوْمِ الْحِسَابِ ، إِمَّا أَنْ تَشُقْ ثَوْبَهَا أَوْ أَنْ تَشُقْ مَعْطَفَ اللَّهِ !
يُرِيدُ الشَّاعِرُ أَنْ يَقُولَ : لَنْ أَصْحِي بِهَذِهِ الرَّعْدَةِ الَّتِي تَمْتَلِكُنِي وَلَا بَدَّ لِي مِنْ أَنْ أَجِدَ مَنْ
يُصْغِي إِلَيْهَا وَلَوْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنِّي سَأَتَمَسَّكَ بِمَعْطَفِ كِبْرِيَاءِهِ وَلَنْ أَبْرَحَ حَتَّى أَشْقَهُ
بِعُذْبَتِي أَوْ بِمَحْوِهَا بِخَمْرِهِ . (انْظُرْ ص ١١٩ ، مِنْ التَّرْجُمَةِ النَّثْرِيَّةِ) .

سَجَنُ الثُّغْلَتِ لَا قَضِيَانُ تُنْسِكُهُ وَرُبَّ غُلٍّ خَفِيَ بِالْأَثَرِ
تَغْنِيكَ إِنْ حَرَتْ فِيمَا قَلْتُ تَجْرِبُهُ فَمَا التَّجَارِبُ إِلَّا مَرَهُمُ الْحَيَرِ
انْظُرْ خَرَابَ فَوَادِ الْغَرْبِ يَأْكُلُهُ وَعَقْلُهُ فِي كِمَالٍ وَافِرٍ بَطَرِ
يَقْروده الْعَقْلُ فِي نَهْرٍ يَفْجُرُهُ وَخَلْفَهُ قَلْبُهُ يَمْشِي عَلَى كَدَرِ

(٢٠)

رَغِمَ أَنْ الْعَقْلَ لَا يَمْنَعُهُ قَرَبٌ وَبَعْدُ إِنَّهُ وَالْحَقُّ : مَا أَقْبَلَ لِلْحَضَرَةِ بَعْدُ
اسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى وَالتَّعَمُّنَ عَيْنًا لِقَلْبِكَ
إِنَّهَا أَتَمُّ مَا تَكِيْبُهُ مَنْ قَضَى رُبَّكَ أَنَا لَا أَنْكَرُ أَنَّ الْعِلْمَ لِلنَّفْسِ حُبُّور
هَوَ فَرْدَوْسٌ وَلَكِنْ فَارِغٌ مَا فِيهِ حَوْرُ
مَا أَحَقُّ النَّاسَ بِالسَّرَافَةِ مِنْ عَصْرِ سَفِيهِ لَيْسَ فِي الْعَالَمِ قَلْبٌ يَجِدُ الْغِبْطَةَ فِيهِ
إِنَّهُ صَحْوٌ بَيِّنٌ وَاحِدٌ هَذَا الْجَنُونَ ذَلِكَ النَّوْغُ جَنُونَ
مَالَهُ صَحْوٌ يَكُونُ وَعَطَاءٌ حَيَوِيٌّ
قَلْبُ ، قَلْبٌ شَقِيٌّ أَنْتَ لِلْحَضَرَةِ سَرُ
إِنَّ قَلْبًا لَيْسَ فِيهِ إِنَّهَا إِنْ كُنْتَ حَيًّا
كَسَرَ اللُّوْلُو كَسْرًا فَلَمَّاذَا أَنْتَ يَا لَوْ
مُسْلِمٌ أَنْتَ وَقَدْ أَلْهِبَتْ سِنَائِي عَلَيْكَ ؟ !

أولا يزعج قولي: ﴿ أرني أنظر إليك ﴾^(١)

(٢١)

إِنَّهَا الذَّاتُ إِنْ تَمَعَّنْتَ بِحَرٍّ وَمَحَالٌ تَكُونُ جَدُولَ أَنْسٍ رُبَّمَا تَكْسِرُ السَّمَاءَ بِفَأْسٍ وَالَّذِي يَجْعَلُ الْبَحَارَ بِحَاراً لَا يَطِيقُ الْجَبَانَ لَجَّةَ ذَاتِهِ وَقَوَامُ الشُّجَاعِ لَيْسَ عِلُوماً كَيْفَ يَسْتَوْعِبُ الْمَنْجُمُ هَذَا أَنْتَ مِنْ طِينَةٍ يَحْكُ عَلَيْهَا إِنْ فَرَدَوْسَنَا عَلَى الْأَرْضِ هَذِي حَبْذا أَنْ تَكُونَ ثاقِبَ عَيْنٍ بِجَنُونِي فَهَمْتُ عَصْرِي تَمَاماً الْبَسُ الدُّزْعَ مِنْ نَيْجِ جَنُونِي إِنْ شَخَّ الطَّبِيعَةُ الْيَوْمَ هَذَا لِلْيَوَاقِيتِ كَاللَّهْيَبِ أَحْمَرَا	مَالِهِ سَاحِلٌ لِيَخُوضَ جَبَانٍ وَمَحَالٌ لَجْمَعِ أَهْلِ الْهَوَانِ فَبِنَاءِ السَّمَاءِ سَبْكُ زَجَاجٍ تَتَّقِي أَنَّهَا مَحَلُّ الْهِيَاجِ وَيَخُوضُ الشُّجَاعُ فِيهَا وَيَطْفُو تَرِبَ الْعِلْمُ فَالشُّجَاعَةُ لَطْفُ بَطْرِيقِ مَكْبَلِ بِالنُّجُومِ سَرْكُ الْحَيِّ زَيْفُ كُلِّ الْعِلُومِ فِيهِ جَبْرِيلُ لَا يَغِيبُ وَحُورُ حَجَرُ الْعَيْنِ فِيهِ مَاءٌ وَنُورُ وَتَحْمَلْتُ وَقْعَةً بَعْدَ وَقْعَةٍ لَيْسَ ثَوْباً مَرْقَعاً أَلْفَ رُقْعَةٍ وَهِيَ مِنْ طَبْعِهَا السَّخَاءُ لَعَارُ شَكْلُ نَارٍ وَلَيْسَ فِيهَا شَرَارُ
--	---

(٢٢)

جَاءَ مَنْ نَمَوُ الصُّبْحِ كِتَابُ فَإِذَا فِيهِ : مَبْصَرَ الذَّاتِ أَقْبَلُ شَرَفُ الرَّأْيِ ذَاكَ جَاءَكَ مِنْهَا وَحَيَاةٌ تَكُونُ مِنْ غَيْرِ ذَاتِهِ	وَأَنَا جَالِسٌ عَلَى عَرْشِ ذَاتِي صُرْتُ فِي رَتْبَةِ الْمُلُوكِ الْكُفَاةِ وَالْحَيَاةُ الْكَرِيمَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ أَيُّ مَعْنَى لَهَا وَائِيَّةُ قِيمَةٍ
--	--

(١) إشارة إلى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

أيها الفيلسوف دعك وشأني
لست مثلي مسافراً كيف أشكو
ليس سهلاً إذا الدّراويش حجّت
القضايا دقيقة فاستلهمها
لست أخفيك أنني لم يرق لي
لا يصيد^(١) العنقاء صياد سوء
طرزت أم غضت في سماء وبحر
ليس يدعو إلى الرّثاء وجود
ومواء ، فلا تقل عربيّ
سترى الذّكر أجنبيّاً إذا لم

فأنا مدرك إلى أين أمضي
لك دربي وأنت في غير أرضي
من بعيد إلى مدارس شعري
واقض في أمرها إذا كنت تدري
ذلك العيش في طقوس الصّوامع
مليت نفسه بذل المطامع
أم تراجعت عنهما وجئت
كالوجود الذي تعانيه أنت
كنت أو لم تكن فليس يفيد
يك للذكر في الفؤاد شهيد

(٢٣)

النخلة الشّعاء أخذك كوّنت
أنطوف في الحانات تسقي كأسها
ما في مدارسك التي ترناؤها
سرّ الدّراسة في فؤادك كامن

مما تبقى من بقايا طينتك^(٢)
وتطوف مخنوقاً بعلمانيتك
إلا بحوث مغفل وبليد
لو كنت تتقن صرخة التّوحيد

(١) يرى الدكتور كفاي أن اصطلياد العنقاء رمز للظفر بأعمق حقائق العرفان التي تستعصي على الآخرين (المثنوي ، ص ١٠٥) .

(٢) في حاشية ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية : يرى التراث الإسلامي أنّ النخلة خلقت من بقايا الطين الذي خلق منه آدم (عليه الصلاة والسلام) وتسمى (خيمة الإنسان) ويرمز بها إلى آدم أحياناً .

يقول الأستاذ زهير فطاخا (مترجم هذا الديوان شعراً من نثر الأستاذ الملوحي) يريد الشاعر أن يقول : أيها الإنسان إذا كانت النخلة شقيقتك فمن الذي سرق نبيذك أيها المسكين . . . إنها العلمانية .

لم تبق يا مسكين إلا فرصة
اطلب علوم القلب من أستاذها
لك في استعادة سرك المفقود
واجهذ لنيل مقامك المحمود

إن كان زئك زئ سلطان
فغطاونا لا رأس يحمي
ليس النجوم برغم لعبتها
بل موت ذاتك بعدما شقيت
أنا آسف جداً ويحزنني
ضاعت هناك بصيرتي وذوي
أو كان زئك زئ مسكين
فليق إلا رأس شاهين
مؤولة عن هدم أمجادك
ما بين قنقمها وأصفادك
غضبي على ديري ومدرستي
حبي وأظلم درب معرفتي

(٢٤)

دواء البصيرة - هذا الدواء -
وما العقل إلا جدال العلوم
مسيرك أرفع من وقفة
وسر اللآلئ خلد البريق
وما هي جدوى دم في العروق
قل للشقائق في جذرها
وما عده الغرب سقط المتاع
يقولون إقبال في فقره
وعالمه لهب كل
رجاؤك في كشف داء البصر
وحرب الظنون ورجم النظر
وأول معناه ذوق السفر
والأفعمدنها من حجز
إذا كان يطفئ نار الفكر
تجلي فإني نسيم السحر^(١)
بمذهبا رأس مال الظفر
غني على أي كنز عثر
ولا يمنح الناس إلا الشر^(٢)

(١) المقصود قل لهذه المتعلمة : لا تخافي يا أنتِ تعالي إلي فلن أعصف بك أنا لست إلا
جمالاً وعطاء أنا نسيم السحر ولست ربح الظهيرة .

(٢) البيت من روائع إقبال ومعناه : لا جدوى لك من لهب إقبال إذا كنت غير قابل =

أَعَيْنُ الدَّرْوِيشِ لَمْ تَعْبَأْ بِمَا
هَذِهِ التَّيْجَانِ مَا قِيَمَتْهَا
كَيْفَ لَا تَيْأَسُ تَرْجُو صَنْمَاءُ
أَنْتَ هَلْ تَعْرِفُ كَفَرًا آخِرًا
أَنَا لَا أَفْهَمُ مَا قَصْدُ السَّمَاءِ
تَهْبُ السُّلْطَةُ مَنْ لَا يَمْلِكُونَ
وَحَدَّهَا النَّظَرُ مَا أَطْلُبُهُ
نَظْرَةً خَالِيَةً مِنْ جَذْبَةٍ
وَأَنَا مِنْ أَجْلِ هَذَا كُلِّهِ
أَنَا لَا أَجْهَلُ مَا تَقْصِدُهُ
مَعَ هَذَا لَا أَرَى مِنْ زَاهِدٍ
أَنَا لَا أَقْتُلُ ذَاتِي هَكَذَا
وَحَيَاتِي عِنْدَمَا شَرَّدْتُهَا
قِيَمَةُ الْأَشْعَارِ هَذِي أَنَّهَا

أَظْهَرْتُ أَبْهَةً الْإِسْكَانِ
وَهِيَ تَسْتَجِدِّي نِسَاءَ الْبِيدِ
وَمَنْ اللَّهُ تَعَالَى تَيْأَسُ
غَيْرَ هَذَا أَيُّهَا الْمَتَكَسُّ
وَهِيَ بِالسُّلْطَةِ لَوْ شَاءَتْ تَطْبَحُ
أَيُّ مَفْهُومٍ عَنِ الشَّغْبِ الْجَرِيحِ
وَشَوْوَنَ الْقَلْبِ عَنْهَا تَضُدُّ
نَظْرَةً فَارِغَةً لَا تَحْجَرُ
بَاعْتِزَالِ الْقَضَرِ مُحْكُومٍ عَلَيَّ
وَمَصِيرُ الْكُلِّ مَعْلُومٌ لَدَيَّ
مَالُهُ مِنْ طَمَعٍ فِي السُّلْطَةِ
أَنَا حَرٌّ سُلْطَتِي فِي خِلْفَتِي
أَرْضَتِ النَّاسَ جَمِيعاً كَلِمَتِي
خَطَرَاتٌ فِي قُلُوبِ الْأُمَمِ



للاشتمال .

إقبال لا يرضى أن يكون شعلة في يد الآخرين .

« إقبال يشعل ولا يضيء »

وسياتي قوله :

حطب الموقد الغليظ مملٌ
أنا لا أمنح الحصاد لحقلٍ
وأنا رغبتي بحرق الدقاقِ
عملي الفرد والوحيد احتراقي

وَأَتَمَّا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ لَكَ
هَذَانِ جَانِبَانِ مِنْ مَوْضُوعِكَ
شَرَارَتَانِ مِنْ لَهَيْبِ الْحَبِّ
فِي ذَلِكَ السَّهْلِ الْخَصِيبِ الرَّخْبِ
بَصْرَخَةٌ وَزَفْرَةٌ تَنْطَلِقُ
كُلُّ الْجَمَالِ عِنْدَمَا تَحْتَرِقُ
يَمُخَّرُ فِي النَّيْلِ وَفِي الْفُرَاتِ
مِنْ سَاحِلٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ
بِأَنْ يَدُلَّهَا الْمَدَارُ الْحَائِرُ
يَنْقُصُهَا الْيَوْمَ دَلِيلُ مَا هُوَ
وَسِحْرُ الْفَاطِظِ وَرُوحُ لَاهِبِهِ
قَائِدُ هَذِي الْقَافِلَاتِ الذَّاهِبِ
وَيَا الْكَاسِيَةَ وَيَا الْغَضَّتِي
فَمَا وَجَدْتُ زِينَةَ لِقِصَّتِي
لَوْ قُلْتُهَا لَحَيَّرْتَ جِيرِيلاً
هَنَّاكَ مَوْفَ أَنْقَعِ الْغَلِيلِ

لَسْتُ لِهَذِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
وَلَسْتُ مَوْضُوعَهُمَا وَإِنَّمَا
تَطْلُعُ الْعَقْلُ وَوَجْدُ الْقَلْبِ
وَالْعُشْبُ مَوْجُودٌ لِيَحْرِقَا
وَالرُّوضُ هَذَا بَقْعَةٌ تَصْطَفِقُ
أَعْشَابُهُ لَيْسَتْ لِصَنِيعِ عَشْرٍ
حَتَّى مَتَى مَرْكَبُ هَذِي الذَّاتِ
قُدِّرَ أَنْ يَرْكَبَ بِحَرًّا مَالَهُ
فَكَيْفَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ رَغْبَةٌ
رَغَائِبُهُمْ بِالرُّغْمِ مِنْ نَشَاطِهَا
الْحَاطِظُ مَوْهُوبٌ وَعَيْنُ ثَاقِبِهِ
كُلُّ الَّذِي يَمْلِكُهُ مِنْ عُدَّةٍ
فِيَا لِحَسَنِ فَارَسٍ وَوَحْيِهِ
بَحِثْتُ طَوْلَ الْعُمْرِ فِي بَشَاتِهِ
تَرَقُّدٌ فِي حَنْجَسَرَتِي أَغْنِيَهُ
أَحْرَصُ أَنْ تَبْقَى هُنَا مَطْوِيَةً



لَسْتُ دَمْعاً عَلَى مَنَازِلِ رَسِمِهِ
بَيْنَ صَلَاحِهِ وَهَيْكَلِ جَنَمِهِ
فَلَمَّاذَا مَلَأْتَ بِالْخَوْفِ عَشَّكَ
عِنْدَمَا تَحْرِقُ الصَّوَاعِقُ قَشَّكَ
مَلَأْتَ عَالَمَ الْقَلَنْدَرِ طِيًّا

لَسْتُ يَا أَنْتَ فِي الْفَضَاءِ سَجِيناً
يَشْهَدُ الْحَرُّ أَنَّ سِرَّ التَّجَلِّيِ
لَا يَخَافُ الْبِسْتَانَ شَهَرَ خَرِيفِ
يَرْقِصُ الْعَشْرُ فِي السَّمَاءِ لَهِيّاً
الْحَيَاةُ الْحَيَاةُ لَفْظَةٌ سِرٌّ

إِنَّهَا السَّهْمُ مِنْذُ كَانَتْ زَمَنُ
 لَا تَعِيْقُ النُّجُومُ سَرَّكَ هَذَا
 أَخْطُ فِي الْمَوْقِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ
 لَا تَقْلُ لِلذَّلِيلِ دَعْنِي لَوْحَدِي
 لَا يَطِيقُ الْكَرِيمُ ذُلَّ سَوْالِ
 وَمِنَ الْقُوسِ لَا يَزَالُ قَرِيبَا
 فَمَاءُ النُّجُومِ غَيْرُ سَمَائِكَ
 لَتَرَى زُرْقَةَ السَّمَاءِ بِمَائِكَ
 إِنَّ أَمْرًا كَمَثَلِ هَذَا بِدِيهِ
 فَاجْتَهِدْ وَخُذْكَ اجْتَهِادَ فُقَيْهِ

(٢٨)

تَأْتُلُ فَيَلْسُوفُ كُلُّ مَا أَعْطَانِي الْفِكْرُ
 وَلَوْلَا الْحَبُّ مَا أَدْرَكْتُ مَا يَضْمَنُ السَّكْرُ
 وَنَظَرْتُهُ هِيَ الشَّرُّ الْمُشِيعُ بِمَحْفَلِ الْقَلْبِ
 بَلَا دُنَّ وَلَا خَمَرُ تَدُورُ كَوُوسُهَا جَنَبِي
 تَظُنُّ تَنَاقُزَ الْكَلِمَاتِ مِنْ شَعْرِي وَمِنْ أَدْبِي
 فَحَيَاتِنَا عَلَى عِلْمٍ بِمَا مَرَّقَتْ مِنْ حُجُبِي
 إِلَيْكَ الْبِرْعَمَ الظَّامِي لِحَقْدَمِ نَسْمَةِ الضُّبْحِ
 تَأْمَلُهُ تَجِدُ فِيهِ حِكَايَةَ ذَلِكَ الْجُزْجِ
 غِيَابُ أَمْ حُضُورُ لَسْتُ أَدْرِي مَا أَكَابِدُهُ
 فَهَلْ مِنْ بَيْنِهِمْ أَحَدٌ يَشَاهِدُ مَا أَشَاهِدُهُ
 هُنَا يَا أَنْتَ كُلُّ النَّاسِ يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضَا
 هُنَا إِلَّا أَنَا فِيهِمْ غَرِيبٌ يُنْكِرُ الْأَرْضَا
 وَكُنْتُ بِقَصْرِ أَوْرَيْيَةِ مِنْ الْمُمَكِّينِ أَنْ أَبْقَى
 شَرِيطَةً تَحْتُلُ الصَّحْبَاءَ حِينَ أَجُزُّ مَا تَلْقَى
 مَضَى إِقْبَالَ هَوْنًا فِي دُرُوبِ الْفِكْرِ وَاجْتِنَازَا
 وَلَمَّا جَاءَ رَبَّ الْحَبِّ مَالُ الْقَلْبِ وَانْحَازَا

وأخيراً انتبهت ولبت صرختي هذي السماء
وسمعت ما قالوا : أخيراً سوف يَنكشفُ الغطاء
للمأشقين حكايته وتكاد تُفوقُ الحكايه
سارَّ وحزنٌ وانفجارتُ في البدايه والنهائيه
فانظرُ إلى قدرِ الشعوب وكيف يبدأ بالتبؤف
فإذا انتهى فالى المزامير الشجيه والسدفوف
حانات أوربيه كذلك والغريب طقوسها
الشكُرُ يبدأ أولاً وتدورُ بعدد كؤوسها
سيئان يعمورنك في سلطانه سلطان نادز
الكل تسقطه أخيراً سكره الزمن المبادز
ولى زمان الوخذه المطروح في ذرب الفناء
خرجت أخيراً من صدور الغيم عاصفه البقاء
لم يتحمل موجة الشطحات هذي أي ساحل
هتكت يا مجنون أسرار الكتاب بغير طائل

يرحل كل كائن ويذهب
وانت أنت فارس الميدان
يا سيد الجبال والصحراء
أهكذا قيمتك الذاتيه
فيا لها بصيره في كدر
لا تعبى الأرض فإنها لك
لا شك فيما قلته ولا جرم
قول بلا فكر ولا إشاره
حوت وطير ، لجه وكوكب
وقائد الجيوش في الزمان
جندك في الأرض وفي السماء
هدرتها وروحك الفتيه
وياله من قصر في البصر
كن راهباً إن شئت أو كن ملكاً
فقد رأيت اليوم سيد الحرم
وعمل تنقصه الحراره

كُلُّ شَيْءٍ إِلَى التَّجَسُّدِ يَسْعَى
وَحَيَاةٌ بِغَيْرِ ذَوْقٍ ظَهَرُورٍ
قُوَّةُ الذَّاتِ قُوَّةُ الذَّاتِ مَرُّ
خَوَرُ الذَّاتِ يَجْعَلُ السَّيْفَ عَيْناً
شَرَّدَتْ نَفْسَهَا النَّجُومُ وَلَكِنْ
لِفِرَاقٍ يَزُولُ كُلُّ وَجُودٍ
يُظْهِرُ الْبَدَنُ آخِرَ اللَّيْلِ فَرْدَا
كُلُّ نَوْرٍ أَخَذَتْهُ مِنْ غَرِيبٍ
قَلْبُكَ الشَّمْسُ فَأَقْبَسِ النُّورَ مِنْهُ
كُلُّ شَيْءٍ سِوَاكَ - أَنْتَ - سَرَابٌ
شَوْكَ صَحْرَائِنَا يَحُلُّ بِلَطْفٍ
فَامْضِ فِي الشُّوْكَ حَافِياً وَتَفَرَّجْ
لَغْزُ هَذِي التَّدَاخُلَاتِ وَإِنْ لَمْ
شَوْكَ صَحْرَائِنَا يَغُورُ بِرَفْقٍ

(٣٢)

مَا لِمُلْكِكَ الْغَرْبُ خُلْدٌ
كَلَّمَا شَيْءٌ صَرْحاً
عِنْدَمَا أَنْهَيْتُ عَشِيَّ
صَرَخَاتُ الْعُشِّ بِرَقٍ
أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ فَالْزَمْ
مَا عَمَدَا عَبْدُ الْعَبْدِ
سَيِّدُ الْأَحْرَارِ عَبْدُ
فَاحْفَظِ الذَّاتَ وَصُنْهَا
كَيْفَ (إِنْ لَمْ تَكُنْ)
بَلَّغَ الْعَصْرُ أَشَدَّ
ضَحِكَ الشَّرْقِ وَهَدَّ
قِيلَ هَبْ لِلْعُشِّ ذَاتَا
تَمَلَّأَ الْعُشُّ حَيَاةً
لَيْسَ لِلْحَرِّ نَحْوُلٌ
وَدَيْسَةَ اللَّهِ تَسْوُلٌ
حَرَمَ اللَّهُ بِذَاتِهِ
إِنَّهَا مِنْ عَتَبَاتِهِ
أَسَاطِيرَ مَسْطَرُ

أَبْنِ ذَاكَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالطَّبْعِ الْمُتَبَيَّنِ
 كَمْ قُلُوبٍ فِي صَدُورِ
 دُرْسِ الْعِلْمِ اللَّذْنِيِّ
 رِيحًا أَشْرَفَ إِقْبَالِ
 حَدَّثَ الشَّرُّ حَدِيثًا
 عَلَى السَّرِّ الْقَدِيمِ
 كَحَيِّمٍ لَحْمِيْمٍ

(٣٣)

لِمَ تَسْأَلُونَ الْقَوْمَ مَا هُوَ مَصْدَرِي ؟
 مَا زِلْتُ مِنْذُ وَجَدْتُ أَشْرُقُ سَائِلًا
 الْحَرُّ يَنْمُو فِي الْحَيَاةِ بِذَاتِهِ
 يَا أَنْتَ حَتَّى اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ
 أَسْرَارُ رَوْحِكَ جَدُّ سِيمَائِهِ
 بِلَهِيْبِ أَنْفَاسِي الَّتِي أَطْلَقْتُهَا
 سِرِّي تَرْجَمُهُ سَلَاطَةُ أَعْيُنِي
 لَوْ أَنَّ (نَيْشَه) جَاءَنِي بِحِمَاسِهِ
 صَرَخَاتُ وَجْدِي فِي الصَّبَاحِ تَلَطَّحَتْ
 رَبَّاهُ ! أَيُّ جَرِيْمَةٍ فَارَفْتُهَا
 وَأَنَا بِنَفْسِي لَمْ أَحِطْ بِمَصِيرِي
 وَأَغِيبُ فِي وَجْدِي وَفِي تَفْكِيرِي
 وَيَصُوغُ مَا يَخْتَارُهُ مِنْ أَمْرِهِ
 أَفْتَى بِرَأْيِ كَلِيمِهِ فِي عَمْرِهِ
 فَلِمَ التَّرَاعُ عَلَى هِيَآكِلٍ مِنْ حَجَرٍ
 شَاهَدْتُ مَا تَخْفِيهِ أَعْمَاقُ الْقَدَرِ
 لَا تَسْأَلُونِي مَنْ تَكُونُ وَمَا هِيَ
 لَأَرْيُكَ (زَرْدَشْتَه) وَالْهَي
 بَدْمِي وَلَمْ أَسْمَعْ لَهُنَّ جَوَابًا
 لَأَكُونَ مِنْ قَتْلَى الصَّبَاحِ عَقَابًا

(٣٤)

تَدْخُلُ الْحَبَّ بِأَطْوَارِ السُّلُوكِ
 مَا كَانَ لِلرَّازِي وَلِلْمُغْزَالِي
 لَوْ لَمْ يَعَانُوا رَغْبَةَ الصَّبَاحِ
 فَيَا رَيْسَ الرُّثُلِ كُنْ حَلِيمًا
 تَنْقُصُنَا شَجَاعَةَ الرُّسُولِ
 إِيَّاكَ يَا قُبْرَنِي مِنَ التَّلَفِ
 يُعْرِقُ الْجَنَاحَ أَنْ يَطِيرَ
 يَكْشِفُ لِلْعَبِيدِ أَسْرَارَ الْمُلُوكِ
 وَالرُّومِي وَالْعَقَّارِ مِنْ نَوَالِ
 وَصَرَخَةُ الْحَيْرَةِ فِي الصَّبَاحِ
 لَا يَقْتُلُ الْيَأْسُ فَتَى حَكِيمًا
 لَا تَنْقُصُ الرَّغْبَةُ فِي الْوَصُولِ
 فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذَا الْعَلَفِ
 وَرَبُّمَا يَتْرُكُهُ كَسِيرًا

أَعَزُّ مَنْ أَتَاهُ الْإِسْكَندَرُ
ذَرُوشَةُ تَبِمَ عَنْ قَلْبِ مَلِي
شَرِيعَةُ الشَّجَعَانِ هَوْلَاءُ
وَمَا لَهُوْلَاءُ قَطُّ غَالِبُ

(٣٥)

جاء من عندهم كتابٌ جديدٌ
فلذا فيه : يا مسافرُ أمْسِكْ
ربما كُنْتَ ذاهباً من جديدٍ
غُصْنٌ طويلاً فأنت أيضاً عميقُ
أنا (سيفاً خرجت) من غير غنيدٍ
يجرحُ النَّاسَ منظري من بعيدٍ
أيُّ مُسْتَهْزِئٍ بكلِّ مَلامٍ
(هذه الأغبياء تجددُ لُما
امضِ يا شاهدَ الشَّقَاءِ بصمتٍ
بعدما الحفلةُ انتهت وتولَّوا
وهبَ المسلميسن إقبالُ ناراً
ما على الكأسِ في الحقيقةِ لومُ
ذاك إقبالُ كنتُ أبحثُ عنه
وأخيراً وبعد لأي طويلاً

(٣٦)

أنا لولا موجةَ الرُّغْبَةِ لم تَوجدُ حياتي
فحياتي موجةُ الرُّغْبَةِ في أعماقِ ذاتي

وملك (دارا) نظرةَ القَلْبِ
فيه عيبرُ أَسَدٍ عليّ
الجهرُ بالحقِّ بلا رياءٍ
هذي أسودُ الله لا تُعَالِبُ

صرخة الليل أوصَلَتْه إلَيَّا
وتفكَّرُ بما قَطَعْتَ مَلِيَّا
في طريقِ كمثلي تلكَ عَبيْرهُ
وافهم القَصْدَ فالحياةُ قصيرةُ
ضاعَ في غَمْرَةِ المَعَارِكِ غُمْدِي
ويخوضون في مرامي وقصدي
خطٌ فوق المِخْرَابِ تلكَ الحروفا
يقتضي الأمرُ أن يكونوا وقوفاً
إن تكنْ موضوعي لمزقتُ نفسك
جاء دوري وقيل : كَأْسُكَ كَأْسُكَ
فلذا النارُ ذاتها في ذُبُولِ !!
خاملاً طافَ بين أهل الخُمُولِ
وهو مُسْتَعْصِمٌ بحصنِ وُزْخٍ
وقع البارُ في حبالِ فخّي

كُلُّ حِينَ عَالَمِي يَضْطَرُّنِي أَطْلُقُ وَجَدِي
 عَلَى إِنْسَانٍ جَدِيداً يَحْمِلُ اللَّوْعَةَ بَعْدِي
 مَكِينٌ لِلنَّارِ أَنْ تَحْرِقَهُ عَثَّكَ هَذَا
 نَسِئُ الشَّقَاقِي إِذَا لَمْ تَكُ ظِمْآنًا لِمَاذَا
 لَا تَقُلْ فِي الْغَرْبِ رَايَا يَبْرِيحُ يَتَعَلَّقُ
 مَاسُهُ مِنْ كَهْرِبَاءَ جَعَلْتَهُ يَتَأَلَّقُ
 لَا تَتَوَقَّ النَّفْسُ أَنْ تَحْكُمَ أَفَاقَ الْقَضَاءِ
 حِينَ لَا تَصِفُ الْأَبْصَارُ حَقًّا بِالْمَضَاءِ
 أَنَا لَوْ لَمْ تَسْقِ الْأَوْرَاقُ عَنْ عَثِّي اللَّطِيفِ
 عَجَزَ الصِّيَادُ عَنْ صَيْدِي وَلَوْ وَقَتَ الْخَرِيفِ
 عَنْ قَرِيبٍ تَقْلِبُ النِّيَّاتِ أَقْدَارَ الْخِلَاقِ
 لَيْسَ أَوْهَامٌ غَيْبِي إِنَّمَا جَدُّ حَقَائِقِ

(٣٧)

الْعَقْلُ هَذَا لَيْسَ يَقْهَرُ وَسْعُهُ وَسْعَ الطَّبِيعَةِ
 وَجْهًا لَوَجْهِ ضَعْفُهُمَا وَانْظُرْ لِقَوَّاتِهَا الْمُطِيعَةِ
 الْحَقُّ : أَنَّكَ قَدْ أَضَعْتَ الذَّاتَ فَاطْلُبْ مَا أَضَعْتَ
 وَعَلَى الْعَطُورِ وَعَالِمِ الْأَلْوَانِ سَيَطُرُ مَا اسْتَطَعْتَ
 وَانْظُرْ مَقَامَ الْقَبْضَةِ الزَّرْقَاءَ لَيْسَ لَهُ حُدُودُ
 وَاخْتَرْ مَقَامًا مِثْلَهُ يَسْمُو بِذَاتِكَ فِي الْوُجُودِ
 أَشْجَارُ خَوْرِكَ عَارِيَاتٍ حَوْلَ قَارَعَةِ الطَّرِيقِ
 أَوْقِفْ تَمَرُّقَ وَرْدِكَ الظَّامِي وَتَحْطِمْ الشَّقِيقِ
 لَمْ يَسْتَطِعْ ذَوْقُ الطَّبِيعَةِ أَنْ يَوْكُدَ شَعْنَهُ
 اصْنَعْ بِذَوْقِكَ أَنْتَ مَا لَمْ تَسْتَطِعَ هِيَ صُنْعَهُ

وأربابُ الكنيسةِ في سواءِ
جَرَتْ في قلبهم مجرى الدماءِ
ويسألُ عن رضاك (ابنُ السماء)^(١)
بآلافٍ من الطُّرُقِ الدَّقِيقَةِ
رَجَعْتُ به ، بدهشته السَّحِيقَةِ
تجاوزَ حدَّ إدراكِ الحقيقةِ
إذا كان الهوى كانَ الجنونُ
من الحسناءِ تفضَّحه العيونُ
بنو عثمان أتراكُ كذاكَ
وصخرُ أولاءِ مرتفعٍ هناكِ
بلإقبالِ الذي هَجَرَ القُصورا
وقد ملأتِ عوالمها نُسورا
ملوكيَّ لجينيَّ خفيفُ
ويدمي قلبه الحَرَمُ الشريفُ

شيوخُ القومِ أجدرُ بالرُّثاءِ
حصادُ جهودهم ظلماتُ شكِّ
بنفسكِ ثِقْ تجذِّ (نغفور) عبداً
أنا حزني على هجري تبدي
بسكرةِ قربه ، بصُراخٍ وَجِدِ
ومن يكُ شأنه حبّاً وسكراً
جری قدرُ الجمالِ بكلِّ قلبِ
وذنبُ الرّاجعين بلا نصيبِ
أما كانت بنو تيمور تركا
أولئك في ترابِ السند ضاعوا
بِمَ الشُّكَّاءِ في الحَرَمِ استبدَّتْ
ولم تقوَ الملوكُ عليه يوماً
فما هو سرُّه ؟ الشَّاهين هذا
يطيرُ على القُصور فيزدرِها

(٣٩)

في شعوباتٍ من عصورٍ بائدةِ
بلا عصا الكَلِيمِ لا يُعاشُ
بألفِ أسلوبٍ يتمُّ صقلُهُ
ومالُهُ إلا طريقٌ واحدُ
لا يعرفونَ تَرَفَ التوقُّفِ

العلمُ أطلَقَ الحياةَ الراقدةِ
من كلِّ سحرٍ عصرنا مُحاشُ
ذو العقلِ مثلُ نصلِ سيفٍ عقلُهُ
والحبُّ مسكينٌ شريدٌ زاهدُ
حُجَّاجُهُ تَظَلُّ في تلَهُّفِ

(١) ابن السماء : إمبراطور من أباطرة الصين ، وكلنا نغفور ، وللأخير تتبُّ الكؤوس
التغفورية التي يُضرب بها المثل بالجودة والندرة .

لو لم تيسر في ظلام التُّرب نابتةً ما نَشُرت في فضاء التُّور أغصانا
تقضي الحياة بـ « لا » في البدء نافيةً وفي النهاية « إلا » تُكمل الشانا
إن لم تجيء بعدها « إلا » مثبتةً كانت على الموت « لا » في الدهر عنوانا
إن أمةً روحها لم يمض معتزماً عن « لا » فقد آذنت بالهُلُك إيدانا

إلى أمراء العرب^(٢)

هل يُنعدُّ الكافرَ الهنديَّ منطقهُ مخاطباً أمراء العُرب في أدبٍ
من أمةٍ قبل كلِّ النَّاس قد أخذت بحكمةٍ فأعانتها على الثُّوب :
إخاء مصطفىويٍّ دون تفرقةٍ وهجرُ كلِّ غويٍّ من أبي لهب
ما من حدودٍ وأرضٍ كان منشؤها من أحمدٍ العُربِ كانت أمةُ العُربِ

(١) يرى إقبال أنَّ الحياة محوٌ وإثباتٌ ، أو هدمٌ وبناء . فالأمة الصالحة تمحو السيئ وتثبت الحسن . وكلمة التوحيد قائمة على نفي غير الله وإثبات الله . فإن محت الأمة ولم تثبت ، أو هدمت ولم تبين فمآقتها الفناء ، وهو يعني هنا حضارة أوربية عامة والروس الشيوعيين خاصة .

(٢) العرب هم الأمة التي حملت إلى الأمم رسالة الإسلام ، وعلمتها الأخوة والتعاون . والشاعر ينعي على أمراء العرب أن نسوا هذه الرسالة التي بلغوها ، وكانوا أحقَّ بها وأهلها .

فكم يفعل الطيشُ في عقله
لقد بلغت صرختي أوجها
وحذّرني اليوم من كُتُمها
أنا لم أقل ﴿ أرني ﴾ مرة
موسى جديرٌ بالحاجه
وبالرُغم من أن أهل القلوب
فإن الطرائق هذي الجريئة
تضرُّع حاشية السالكين
فأين الحماسة أين التضارة
أنا لم أزل عطشاً ما ارتويت
هو الحبُّ أسمى صعود لنا
نهضنا بأسلوب دروينا
ولما زهّدنا بأسلوبه

ويُنقِصُ رغبته من نُضج
كذلك أغلن شيخ الحرّم
لتسمع ذلك كلُّ الأمم
كموسى لأعرف أسرارهِ
ومثلي جديرٌ بما اختاره
تُهتِك أسرارها في البلاد
فإن الطرائق هذي الجريئة
يضعُبُ إطلاقها للعباد
عيونٌ ضعافت وقلبٌ هلوغ
فأين الحماسة أين التضارة
كذلك عطشان لم ترتو
ولكننا فيه لم ننصو
فكانت لنا أرضروم وشام
ذهبتا دواليك خلف الأنام

(٤٢)

ذاتك فالذات التي تدعّمها
وإن أضاف الحبُّ عوناً أطلقَتْ
أنا خليل هذه الأصنام
في النار القوئي كإبراهيم

معرفة يغطّها جبريل
في الناس ما يُطْلِسُ إسرافيل
وعُدَّتْني معرفة الأيام
فكنتُ في الثيران في نعيم

قافلة القوم بوضع يؤسف
ورُغم هذا غبطة السباحه
أنا على شغري شديد الغيرة
أنا مجالي الذات في مشاعري

حائرة يسخرها التوقّف
تجاوزت غبطة تلك الرّاحه
فقم إذا كنت بلا بصيره
نبيلة كحد سيف باتر

تذكرت رحي دروس الغروب أيام حوره سكرن جنبي
فآه يا لفرحة الحضور وآه من منطقه المفرور

هذا الزمان ليله شديد وأنت عن قافلتني بعيد
لهيب زفرتي هو المصباح لك يسدّد الليل ويقشع الحلك

حكاية ليس لها نظير بسيطة لكنّها تُثير
ثبات إسماعيل مُبتداهها ومقتل الحسين منهاها

(٤٣)

غصن العقيدة في المدارس عارٍ ومذاق أديرة بلا أسرار
بالزغم من طول الطريق وعُمره عيناك ظاعنة وقلبك سارٍ
أسفاً لدين ليس يكسب دولةً ولدولة وقفت كخيبر وجهه
من ابن للاثين كزة خيدر يلقي سخافتها ويضليح فقّهه
لا تبلغ العلماء باطن مؤمنٍ ومذاق رغبته ولطف تأمله
أسراره فيما وراء حدودهم وجمالُه فيما وراء تجمله
وعجوز حانتنا يقول مؤكداً عن صرح أوربة المضيء المعتم
هذي المرايا من جليد ما لها وسع لتعكس نور قلب المسلم

(٤٤)

الحادث المحجوب قبل ظهوره للناس تعلّنه نقاوة مُهجتي
لا حظ للأفلاك من دورانها فالسرّ مظهره جساره صرختي
أترى بلا روح شرارة أنتي أم أنّ عُشّبك ما يزال ندياً

صرخاتُ هذا القلب في صلّاله
لن يَحْمَدَ اللَّهَبُ الذي في طيبي
بالرَّغم من قَدَرٍ قد اِزْتَبَكْتُ به

(٤٥)

في حواشي الصُّوفيِّ إلا غبارا
كَبِدَتْهُ هزيمةٌ وشنّاراً
وارتضى هذه الحياة السَّقيمة
وقصّاراه أن يكونَ غنيمه
يصلُّ الليلَ حولها بالنَّهار
أولياءَ يقولُها للصُّغارِ
في الرّوايا وفي تكايا السُّلوكِ
كيف دَبَّتْ إلى قُصُورِ الملوكِ
أيُّ يومٍ مضى عليك كيومي
يُطْفِئُ النَّجَاحَ في منازلِ قومي
والَّذي عند كلِّ مُلَأٍ وصوفي
ووقوفاً يكونُ مثلَ وقوفي
عريباً أم لا ، معانيه يفيضُ
وعن العالمِ الأخيرِ يفيضُ
نظرةُ السَّاقِي في الفؤادِ كنُضْلِ
فَسَلُوهُ فديته لِسَمِّ قَتْلِي ؟
يَضْبُغُ الرُّوحَ مِنْهُ لونا فلونا
ودواءَ يكونُ للدَّاءِ عَوْناً

ما وَجَدْنَا وقد بَحَثْنَا كثيراً
يَدَّعي أَنه يخوضُ حروباً
كيف زالت حرارةُ الحبِّ عنه
حربُهُ لم تكن لِيَتَغَنَّمْ شيئاً
كُتِبَ القَومُ عنده فوقَ بعضِ
ما تبقي لديه إلا حكايا
ما تعجَّبتُ أن يشيعَ خرابُ
عجبي من نهايةٍ مثلَ هذي
امضِ يا شاهدَ الشِّفاءِ بصمتِ
مثلَ سَجَّادةِ الصَّلَاةِ نفاقاً
الكتابُ الَّذي يَمُوجُ بياضاً
يملاً الحشرَ حيرةً وارتباكاً
وسواءً كان ابنُ آدمَ هذا
وعن العالمِ الَّذي هو فيه
ذهبتُ سكرةُ المساءِ ولكنْ
ولها فيه طعنةٌ بعد أخرى
لا يذمُّ البستانُ مُرَّ غنائِي
رُبَّ سُمِّ يكونُ ترياقَ داءِ

أقصى مواهب أوربة الشيطنة أن
كم وردة قصفت في روضنا يدها
حرارة الحب من خمر اليقين وما
هيب المدارس يا رباه حُرقتها
متى سمواتنا تنشق وزدتها
هذي السماء التي أغرت كواكبنا
سماء شيطان ما فيها ملائكة
العقل حجتنا طراً فما أحد
هذا الجنون - ومن يدري حقيقته -
العقل عند جميع الناس منهجه
والمؤمن الحق هذا الكون أجمعه

ليس سهلاً فقبل بدئك فارجع
موضع الدرة الفريدة صعب
ما لسنجار أول (طفرل) حظاً
حيرة الفكر أم حماسة رومي ؟
هي أسلوب ثعلب في ظلام
حيلة الإنكليز تظهرها أم
أهي في هذه الشريعة قامت
أم هي الوجد في فؤاد ملب

تقلب العَصْر في ليل من التيو
ما مزقت طوق زر واحد فيه
لمنكر الحب إلا الوهم يُفنيه
فحسنها بارد لا رُوح تُذكيه
متى ابن آدمنا هذا ترقبه
اللازوزدية المجنونة الفرحه
رأس منير واكن نظرة وفحة
إلا وللعقل مصباح بمذهبه
لعله هو أيضاً أن يُصاب به
ولم يكن من خصوصيات إنسان
ميراثه ، وأنا - لولاك - برهاني

يرفض البخر أن يقول لماذا
وخلال الطريق تعرف هذا
من عيون القلندر^(١) الملكية
وجد موسى أم فكرة فلسفيه ؟
أم (يد الله) في طريقة حبه ؟
هجمات التركي داخل حربه
تخرس المعبد الذي شيدته ؟
يُمسك الكعبة التي ألهمته

(١) من شيوخ المتصوفة في الهند ، وقد سبقت ترجمته في الديوان الثاني (القسم الأول) .

كُنْ غَنِيًّا وَكُنْ إِذَا مِتُّ عَبْدًا أَوْ أَمِيرًا مَا بَيْنَ (سَمْعًا وَطَاعَةً)
كُلُّ هَذِي الْأَلْقَابِ الْقَابُ وَهَم

(٤٨)

لَيْسَ لِلْجُنْدِ غَيْرُ شَكْلِ سَيْوفٍ لَيْسَ لِلنَّاجِ غَيْرُ لَمْعَةٍ جَوْهَرٍ
فِي عُرُوشٍ وَفِي جِيُوشٍ بَحْثًا مَا عَثَرْنَا عَلَى فُؤَادِ الْقَلْبَانِزِ
لَمْ تَحْصُلْ مِنْ (لَا إِلَهَ) ضِيَاءُ هَذِهِ الذَّاتُ لِلطَّرِيقِ الطَّوِيلِ
أَصْبَحْتَ مَعْبَدًا لِأَصْنَامٍ وَهَمٍ عِنْدَمَا ضِيَعَتْ حَوَارِ الْخَلِيلِ
يَصْنَعُ الْحَزُّ كَوْنَهُ بِجَهَادٍ وَيَرَى فِي تَدَخُّلِ النَّاسِ عَارًا
لَسْتُ أَجْرَةً لِقَصْرِ غَرِيبٍ لَسْتُ فِي وَقْعَةِ الْحَيَاةِ غُبَارًا
كُلُّ مَا فِي سَمَائِنَا مِنْ مَذَارٍ لَا يَسَاوِي مَدَارَ هَذِي الْقُلُوبِ
وَمَصِيرُ الْقُلُوبِ أَبَعْدُ شَاوَأَ مِنْ غِبَارٍ مَثَرْدٍ فِي الدُّرُوبِ
قَالَ أَهْلُ الْبَحَارِ أَهْلُ الْبَرَارِي : لَيْسَ لِلْغَرْبِ غَيْرُ رَاحَةٍ يَأْسِهِ
وَاقِفٌ فِي طَرِيقِ سَبَلِ عَنِيدٍ لَيْسَ يَقْوَى عَلَى حِمَايَةِ نَفْسِهِ
قِفْ قَلِيلًا فَأَنْتَ أَيْضًا قَدِيرٌ وَلَكَ الْحَقُّ فِي اخْتِيَارِ الْحَيَاةِ
كُلُّ فَجَرٍ يَطْلُ تَبْدُعُ كَوْنًا صَرْخَةُ الْوَجْدِ فِي عَوَالِمِ ذَاتِي
أَنَا فِي حَانَتِي قَنَعْتُ بِدَنْسِي لَسْتُ مَمَّنْ يَطُوفُ حَوْلَ الْكَثَائِسِ
أَبْدًا لَا تَقْدُمُ الْخَمَرُ هَذِي نَفْسَهَا فِي رَحَابِ تِلْكَ الْمَدَارِسِ

(٤٩)

لَمْ تَهَبْ لِي الطَّبِيعَةَ الْيَوْمَ فِكْرًا ثَاقِبًا ، غَيْرَ أَنْسِي لَا أَبَالِي
عُدَّتْ طَيْتِي طَيْتِي الَّتِي وَهَبْتَنِي طَيْرَاتِي الْمُخِيفُ غَيْرَ الْيَالِي
طِينَةٌ بِالْجَنُونَ تَضُقُّلِ حِسِّي طِينَةٌ تَجْعَلُ الْغَيْبِي نَبِيهَا
رَبِّمَا مَزَّقْتُ لِجَبْرِيلَ سَرًّا وَرَأَى قَوْلَهُ : ﴿ أَتَجْمَلُ فِيهَا ﴾
طَيْتِي لَا يَهْمُهَا صُنْعَ عَشْرٍ مِنْ دَقَاقِ الْأَغْصَانِ فِي الْبُتَانِ

وَجِيئَ النُّجُومُ يَرْشَحُ عَاراً لِبَرِيْقِ الذَّمْعِ فِي أَجْفَانِي

(٥٠)

يَقْصِدُ الْمُبْدِعُ الْغُورُ بِلَاداً لِمَعَانِيهِ غَيْرَ كُلِّ بِلَادٍ
لَا إِلَى الْكَوْفَةِ الَّتِي مَا اسْتَطَاعَتْ كُنَّ سَيْفٌ وَلَا إِلَى بَغْدَادِ^(١)
نَظَرَاتِي الَّتِي تَمُوجُ قَتُوناً وَالَّتِي تَمَلُّا الْفَوَادِ حُبُوراً
مَتَحَنَّنِي فِي حَانَةِ الْغَرْبِ صَحْواً وَنَشَاطاً وَغَبْطَةً وَسُرُوراً
لَسْتُ أَحْتَاجُ فَيْلُوفاً وَمُلاً مَوْتُ قَلْبٍ هَمَا وَفَيْتُ بِصِيرِهِ
كَيْفَ لِإِلَهِوتِي أَبْدِي أَزْدِرَائِي حِينَ أَلْقَاهُ وَهُوَ رَأْسُ الْعَشِيرَةِ !!
الذَّرَاوِشُ يَطْرِبُونَ لِهَذَا وَالذَّرَاوِشُ دَأْبُهُمْ غَيْرُ دَأْبِي
لَسْتُ أَغْنِي بِمِثْلِ هَذَا فَدَعْنِي أَبْحَثُ الْيَوْمَ عَنْ تَفْشُحِ قَلْبِي
مَمْكَنْ يُشْتَرَى غَنًى (أَبْرُويز) وَمَحَالَّ جِرَاحٍ (فَرِهَاد) تُشْرَى^(٢)

(١) بغداد : عاصمة العباسيين إذاً فهي السلطة المادية ، والكوفة عاصمة علي رضي الله عنه إذاً فهي السلطة الروحية .

(٢) فرهاد : شخصية إيرانية أسطورية وقصة حبه لشيرين مشهورة في الأدب الفارسي ، كان فرهاد قاطع أحجار فشغف بالملكة شيرين شغفاً جنونياً وهي زوجة أبرويز وقبل من أجلها معاناة كل المصاعب أمره وزير أبرويز بحفر قناة في الجبل لجوئ بحر اللبن لعلاج الملكة التي زعم أنها مريضة فحفر فرهاد القناة ، وقيل له عندئذ : إن الملكة ماتت فانتحر عند سماع النبأ .

وعندما علمت الملكة بانتحاره وكانت صحيحة سليمة مضت إلى قبر العاشق وعندئذ انفتح القبر ومضت شيرين للحاق بالحبيب فرهاد . وتناول الشعراء هذه الأسطورة بطرائق مختلفة ، فرأى فيها بعضهم أن الحب لا بد أن يفتك بالمحب والمحبوب معاً . وكان آخر تأويل إنكار استغلال الفقير ورأى في ذلك صراعاً بين رأس المال وبين العمل . الأصل .

قلت : وقد نقل الملحمة إلى العربية المرحوم محمد فريد أبو حديد ، وانظر كذلك (مختارات من الشعر الفارسي) د . محمد غنيحي هلال ، الدار القومية للطباعة والنشر

أنه لا يخاف للسر نشر
تلك أسرارنا وليس وسائس
هبة الفكر من رقاد المدارس
غير مجد في ملتي واعتقادي
برهمي مشعوذ في البلاد

(٥١)

عابت أمام الله جرأة صرخته
ويجمل الدنيا بلؤلؤ نظرت
لا الشام موطنه ولا قاشان
ملك وفي رغباته إنسان
ويعيقه يستأنه المتناهي
لطريق آدم في رحاب الله

(٥٢)

أرني مظهراً لتلك المغازي
فاز رومي بها وأخفق رازي
أي ملكية بلا شعوذات
إن تمكنت في صدور الفئات
ودواء الضعيف ذوق العبادة
فضلاتي كما صلاتك عادة
فوق سجادة بغير حراك
تعلن النصر قبل بدء الحراك !!

والذي يجعل القلب حراً
لست عن متعة أمزق ثوبي
طمعي الفرد والمطامع كثر
رأي غاندي إن كنت غير قوي
ليس إلا عصا الكليم لسحر

إقبال تحزنه الملائكة التي
وقح يهتك للطبيعة سر
لا ينتمي للأرض وهو سليلها
متعدد الأوصاف في قدراته
قلق رياح الخد تملأ صدره
في ظل مذهب الملائكة اهتدت

عَذْبَةً مَلُوهَا الطَّرْبُ
 مَلِكُ تَرْكِ وَلَا عَرْبُ
 حَسْبُهُ كَنْزُهُ الدَّفِينُ
 لَهْجَةُ النَّاسِ أَجْمَعِينَ
 صَنْعَةُ الْعَاجِزِ الدَّلِيلُ
 حَسْبُهُ صَنْعَةُ الْخَلِيلِ
 إِنَّكَ النَّجْمُ وَالْمِدَارُ
 ذَلِكَ النُّقُوعُ وَالْعُبَارُ

لَفْهَةُ التُّرْكِ وَالْعَرَبِ
 لَكِنْ الْحَبِّ لَمْ يَكُنْ
 حَسْبُهُ الْبَعْدُ عَنْهُمَا
 حَسْبُهُ الْخُبُّ إِنَّهُ
 نَحْسَتْ أَصْنَامِ أَزْرِ
 وَالسَّيِّدِ يَطْلُبُ الْعُلَا
 لَسْتَ نَقْعاً مَجْرُداً
 مِنْ جَنُودٍ مَثَابِرِ

(٥٣)

بَدَأَ الْمَسِيرَ فَقُمَ مَعَ الرُّكْبَانِ
 يَتَوَقَّعُ التَّرْجَالَ كُلَّ أَوَانٍ
 دِيراً وَعَصْرُكَ غَيْرُ طَبِيعِكَ فَإِنْ
 أَوْ لَمْ يَدْخُلِ لِلْعَقْلِ مِنْ سُلْطَانٍ
 وَطَوِيلَةً وَكَثِيرَةً الْأَشْجَانِ

دَوَى النَّدَاءُ عَلَى الْقَوَافِلِ مَعْلَناً
 أَوَاهُ مَاذَا يَفْعَلُ السَّارِي الَّذِي
 انْهَضَ فَخَمَرُكَ لَا تَنَاسِبُ هَاهُنَا
 سَيِّئَانِ كَانَ الْقَلْبُ عَبْدًا طَائِعاً
 فَالْتَرَبُّ يَا هَذَا الْمَافِرُ صَعْبَةً

(٥٤)

خَمَدَتْ لَوَاعِجُهَا عَلَى الْأَغْصَانِ
 فَاَنْظُرْ لِأَثَارِي مَدَى الْبُسْتَانِ
 وَهَتَكَتُ لِلْبُطَاءِ مَرَّ الْحَانِ
 وَمَلَأْتُ أَنْفُسَهُمْ بِرَشْحِ دِنَانِي
 أَطْلَقْتُ فِي الْحَرَمِ الشَّرِيفِ لِسَانِي
 مَزَقَّتْهُ بِاللَّحْنِ مِنَ الْحَانِي

نَفْسِي يُؤَجِّجُ نَارَ وَرْدَتِكَ الَّتِي
 لَمْ يَهْدَأْ الْبُسْتَانُ مِنْذُ أَتَيْتُهُ
 أَيْقَظْتُ قَلْبَ الْعَارِفِينَ بِصَدْرِهِمْ
 وَوَهَبْتُ لِلْجِيلِينَ ذَوْقَ لَهْيِهِمْ
 أَنَا أَعْجَمِي الْحَبِّ إِلَّا أَنَّنِي
 كَمْ ثَوْبٍ إِحْرَامٍ عَلَى مَتَضَرِّعِ

متلطخ قلبي بنظرة عادلي
في الشام أم في الكوفة التردُّ الذي
أخشى يكون كلاهما متعسراً
لم تعجبون لمسلم متحرِّق
فقرُّ الجنيد وملك منجار به
بالرغم مما قلتُ قبحي ظاهراً

(٥٥)

أبدأ بريدُ الكرز والإقداما
ما كان في فلَكِ السماء إماما
بلهاء عن شمس الصُّباح تحيدُ
والقلبُ في حُضْنِ العيون مريدُ
في الحقل ما احتملت سيوف سنابله
ونشيد (خسرو) في قلوب بلابله

هذا الهلال بصدقه يتسامي
لولا تجاوزه لكل وجوهه
لا تفتح الأنسام بُزعم وردة
طهر العيون هو الحقيقة كلها
هذي الشقائق تحرق القلب ارتمت
كوقائع (الغوري) و (أيبك)^(١) عطلاً

(٥٦)

يا أيها الإنسان كُنْ يَقْظاً قَدْزُبُك في السماء
لا ترمِ نَفْسَكَ خَلْفَ هذا الصُّبح أو ذاك الماء
الذَّزْبُ ذلك ماله زمينٌ ليأسف ركُبه
ومن الذي يدري ويغرف أين تنشبُ حربُه
لا سرٌّ ينبضُ في التسكُّع والتمحُّل واليقين
فوق المواخير والمساجد والكنائس أجمعين

(١) هو قطب الدين أيبك المتوفى سنة (١٢١٠ م) مؤسس سلالة المعاليك الأتراك ، أولى سلالات سلطنة دهلي بنى مناراً عالياً يُسمَّى اليوم بـ « قطب المنار » (وهي من أهم الآثار الإسلامية في الهند) وخلفه التمش .

لِلوَلَدِ الْفَرْدُ الَّذِي قَدْ نَزَّ عَنْ صَدْرِ الْمَحَارَةِ
مَجْلَاهُ فِي دَمْعِ الصَّبَاحِ وَلَيْسَ فِي خِدَعِ الْحَضَارَةِ
الْقَرْمَزِيِّ الْخَيْدُ لَا يَحْتَاجُ مَسْحُوقاً يَبَاغُ
وَالْعَازِفُ الْمُسَوِّبُ لَا يَرْضَى بِالْحَنِّ الرُّعَاغُ
الْحَنُّ هَذَا الْعَصْرُ يَلْزِمُهَا الْكَثِيرُ مِنَ الذُّكَا
إِذْ طَالَمَا الصَّوْتُ الَّذِي فِي السَّرِّ يَخْطِئُ فِي الْغِنَاءِ

(٥٧)

تَبْكِي أَبَاطِرَ الزَّمَانِ الذَّاهِبِ
مَرَعَى لَخْرَفَانٍ وَوَكْرَ ثَعَالِبِ
بَحْوَارِ مُوسَى فِي رَحَابِ اللَّهِ
وَالْجَمْعُ سَاءَ وَالْمَسْرُودُ لَاهٍ
طَيْفٌ وَمَرٌّ بِذَلِكَ الْبُسْتَانِ
وَهِيَ الَّتِي رَوَّاهُ بِالْأَلْحَانِ
ظُلُمَاتُ تَارِيخٍ يُكَرِّرُ نَفْسَهُ
يُرْوِي حَقِيقَتَهُ وَيَمْلَأُ كَأْسَهُ
لِيُرَوِّحَ حَقِيقَةَ هَذِهِ الْحَسَنَاءِ
ثَمَرَاتُ هَذَا السَّيْرِ فِي الصُّحْرَاءِ

(٥٨)

أَتَذْكُرُ الْبَيْتَ الَّذِي قَدْ قَالَه
(سَيَظِلُّ عَالِمُنَا بِرُغْمِ صَعَابِهِ
الْبَحْثُ يَلْزِمُهُ مَوَاهِبُ بَاشَقِ
سَلْمَانَ^(١) ذَاكَ الشَّاعِرُ الْحُرُّ الْأَمِينُ
(سَيَظِلُّ) مَفْتُوحاً أَمَامَ الْعَامِلِينَ)
وَفَوَادُ لَيْسَ لَا يَخَافُ جُرُوحَا

(١) هو مسعود سعد سلمان : شاعر فارسي مشهور ، ربما وُلد في لاهور في العهد الغزنوي
(إقبال) .

يَجِدُ الشُّجَاعُ طَرِيقَهُ مَفْتُوحًا
يَشْدُو فَلَيسَ السَّرُّ فِي الْإِثْنَيْنِ
السَّرُّ فِي سَمْعٍ وَرَقَةٍ عَيْنِ

مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَغَيْرِ قِرَاءَةٍ
دَغَّ عَنْكَ طَاوُوسًا يَتِيهِ وَيَلْبَلَا
السَّرُّ لَيْسَ بِنَغْمَةٍ وَبَصُورَةٍ

(٥٩)

المعرفة أم التجرد

قَلْبُهُ تَحْتَ عَرْشِهِ مُنْتَقَرَةٌ
عِلْمُهُ بِالتَّجَرُّدِ الْحَقُّ سِرُّهُ ؟
وَهُوَ يَرْمِي لَصَوِّغِ عَيْنٍ وَقَلْبٍ
وَهِيَ بَحْثٌ عَلَى مَجَرَّدِ دَرْبٍ
وَهِيَ لِلنَّاسِ فَيْلَسُوفٌ وَقَاضٍ
وَهِيَ لَيْسَتْ سِوَى أَقَاوِيلَ مَاضٍ
وَهِيَ سَكْرَانَةٌ بِخَمْرِ الرَّذِيلَةِ
لَيْسَ فِيهِ رَذِيلَةٌ وَفَضِيلَةٌ
لَيْسَ سَيِّئَانِ وَالَّذِي يَقْتَضِيهَا
طَبَعَتُهُ السَّادَاتُ الَّتِي يَقْتَضِيهَا
عَنْ جِيوشٍ تَخَافُ وَهَمَّ الْفَنَاءِ
كَسَرَتْ عَيْنُهُ مَرَايَا السَّمَاءِ

لَيْسَ يَقْوَى عَلَى الْقَلَنْدَرِ دَهْرٌ
سِرُّهُ لَيْسَ فِي الْعُلُومِ وَلَكِنْ
هِيَ تَرْمِي لِعَقْلِ عَقْلٍ وَفَكْرٍ
هُوَ دَرْبٌ بِذَاتِهِ مُسْتَقِلٌّ
هُوَ عِنْدَ الصُّعَابِ عَيْسَى وَمُوسَى
هُوَ لِلْسَّرِّ وَالْبَصِيرَةِ رُوحٌ
هُوَ سَكْرَانٌ بِالْفَضِيلَةِ سَارٍ
مُطْلَقُ الشُّكْرِ فِي الْحَقِيقَةِ حَالٌ
الَّذِي يَقْتَضِي التَّجَرُّدَ شَيْءٌ
نَظَرَةُ النَّفْسِ لِلْقَلَنْدَرِ سَيْفٌ
وَاحِدٌ مِنْ جُنُودِهَا الْحَقُّ يُغْنِي
وَإِذَا الْمَرءُ كَانَ صَاحِبَ قَلْبٍ

(٦٠)

لَمْ يُجْمِعُوا إِلَّا عَلَى إِقْصَائِي
وَبَقِيَتْ مَجْنُونًا بِلا صَحْرَاءِ
أَسْتَارُ كَعْبَتِنَا بِوَجْهِ صِيَاحِي
طَافَتْ عَلَى الْحَرَمِ الشَّرِيفِ جِرَاحِي
دُونِي وَمَا حَارُوا بِأَيِّ جَوَابِ

وَقَفَ الْجَمِيعُ يَمَارِضُونَ نَدَائِي
ذَهَبُوا مَعَ الصُّحْرَاءِ خَلْفَ جُنُونِهِمْ
حَمْدًا لِمَنْ رَحِمَ الْعِبَادَ فَأَسْدَلَتْ
وَبَقِيَتْ وَحْدِي مَرَّةً أُخْرَى وَقَدْ
فَقَهَاؤُنَا وَقَفُوا بِصَوْتِ وَاحِدِ

لا مثل أفلاطون بين حضوره
كانت رجال الفكر تنبض جراءة
نفس إذا القرآن ما انتفعت به
إن كنت من وهم بشيء مفرح
في خمير أورئة شعاع ذائب

(٦١)

وغيابه والسلب والإيجاب
وحمية أوحث بها الأعراف
لا الكشف ينفعها ولا الكشف
تأسى فإني في السفينة تفرق
بالزعم من أكارها يتألق

جعل الوجد والتعقل دربا
تركته في ساحه الحب نهبا
ثم كانت عذولة ورقية
مخفل يربك الضمير خطية
فاقرئوهم من شغل إقبال بيتا
كل ما في يديه لولا ولئت
وانتهاك لحرمة الساجدين
لوجوه الزهبان والسالكين
من بقايا الأسرار يكشف بعدي
ليس عصراً لذي جنون ووجد
ثم غصن في البحار واعثر عليها
ليس من شاطئ يقود إليها
من تراني أنا وما جنسي ؟
قصي الكون ؟ أم نهاية نفسي ؟
وكأنني في أرض ذاتي دجيل
سهر دائم وليل طويل
وغنائي أشد نقشا ولونا
تارة أطلب الفراق لأفنى

عجبا من مقامرات ذكي
لم تزل حوله المواجد حتى
كيف ناحت حمامة الأيك قربي
إني مدرك إلى أين يمضي
قيل إن الأتراك بالشعر أدري
(لا يكون القوي جاز ضعيف
ما طقوس المساجد اليوم ؟ ظلم
ما سلوك الكنائس اليوم ؟ سوق
في ردائي الذي تمزق سر
لا يلبق الجنون فالعصر هذا
أضع النفس في البحار وغامر
وأقيم بين ضجوة وتلو
هل لمثلي من الفضاء نصيب
جئت للأرض ؟ أم تخلقت منها ؟
كم تعثرت في متاهات ذاتي
بين نفسي من الخصام وبينني
قصه الحب ألف نقش ولون
تارة أملاً الحياة وصالاً

الْيَقِينُ الْيَقِينُ جَلْسَةُ حَبِّ
سِرُّهُ أَنْ تَقُومَ لَهْ شُكْرًا
كَعْبَةُ الْعُرْبِ أَطْلَقَتْ كُلَّ لَحْنٍ
كَيْفَ تَمُو حَضَارَةُ لَيْسَ فِيهَا
صَوْتٌ قِشَارَتِي الَّتِي سَمِعُوهَا
شَهِدَ الْغَرْبُ أَنَّي غَزَنُوهِي
أَيُّهِيْمُ الْفَوَاذُ فِي كُلِّ حَسَنِ
رُغْمِ أَنَّ الزَّمَانَ لِلْقَلْبِ غُلٌّ
أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي يَشْتَكِينِي
لَا تَخَفْ مِنْ صِرَاحَتِي فِي حَدِيثِي
طِيرَانُ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ كَهَذَا
لَيْسَ يَعْنِي إِنْ كَانَ جَدُّكَ بَارًا
أَوْ لِلْمُسْلِمِ الَّذِي بَاتَ رَسْمًا
سَأَلُونِي فَقُلْتُ : يَوْجَدُ ، قَالُوا :
لَا يَبَالِي الدَّرْوِيْشُ عُسْرَ طَرِيقِ
اسْأَلِ اللَّهَ أَنْ تَكُونَ بِصِيرًا
إِنَّهَا الذَّاتُ عِنْدَمَا تَتَجَلَّى
إِنَّهَا نَفْسُهَا حِجَابٌ إِلَهُ
تَصِلُ الذَّاتُ قَابَ قَوْسَيْنِ لَكِنْ
كُلُّ شَيْءٍ هُنَاكَ تُغْرِبُ عَنْهُ
صَنَمُ الْعَيْنِ كُلُّ لَوْنٍ تَرَاهُ

مِنْ خَلِيلٍ بِنَارٍ نَمْرُودَ يُفْسِكُ
وَقَصَّارَاهُ أَنْ تَلُودَ بِتَقْيِكَ
طَافَتِ الْفَرَسُ وَالْمَغُولُ عَلَيْهِ
حَرَمٌ يَجْمَعُ الْقُلُوبَ إِلَيْهِ
أَعْجَمِيٌّ لَكِنْ لَحْنِي حِجَازِي
حِينَ جَرَّعْتَهُ مَصِيرَ إِيَّازٍ^(١)
أَمْ يُغْنِي لَوْحَدَهُ فِي الرِّحَامِ
لَا يَذُلُّ الزَّمَانُ قَلْبَ مُعَامٍ
لَا تَلْمُزْنِي فَأَنْتَ تَفْضِخُ عَيْنَكَ
إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
مَالِكَ الْيَوْمِ فِي السَّمَاءِ اجْتِيَازُ
أَنَّكَ الْيَوْمَ بِالْوَرَاثَةِ بَارُ
شَغَلْتَهُ عَنِ الْحَيَاةِ جُدُودُهُ
أَيْسَنَ سُلْطَانُهُ وَأَيْسَنَ وَجُودُهُ
وَيَرَى الْعُسْرَ عَوْنَهُ وَنَصِيرَهُ
فَسَلَاخُ الدَّرْوِيْشِ نَوْرُ الْبَصِيرَةِ
تَنْعُمُ النَّاسُ فِي ظِلَالِ النَّبْوَةِ
عِنْدَمَا تَأْخُذُ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ
لَا تَرَى نَفْسَهَا بِعَرْشٍ وَكَرْسِي
صَرَخَةُ الْفَجْرِ فِي قَرَارَةِ نَفْسِي
يَجْعَلُ الْكَوْنَ هَيْكَلًا لِلْعُقُولِ

(١) كما قصَّ الغزنوي صفات إياز التي تنبض إغراء هكذا فعل إقبال بصفاته أوروية فعاد منها
وقلبه في صدره وفي يده قصاصة شعرها منادياً .

إن الحسن الذي يمكن للمقص أن يزلزله لا يتحقق أن يكون كعبة للقلوب .

مُنْكَرٌ أَنْتَ أَنْ تَكُونَ خَلِيلاً
فِيمَ هَذَا الْمُحِبِّ يَغْبِثُ سُكْرًا
لَمْ تَزِدْهُ الشُّبَّاهُ إِلَّا حُبُورًا
عَلِمَ رَازِي تَهَوُّزٍ وَانْحِدَارٍ
يَمَّةُ الشُّكْرِ وَالْمَحَبَّةِ تَبْدُو
أَيْنَ مَنْ أَطْلَقَ الْحَيَاةَ بِعَقْلِي ؟
هُوَ فِي عَزْلَةِ الْفُؤَادِ مَقِيمٌ
أَنَا لَا أَرْكَبُ الْهَوَادِجَ هَذِي
أَرْشِدُ الرُّكْبَ لِلطَّرِيقِ وَأَمْضِي
حَطَبُ الْمَوْقِدِ الْغَلِيظِ مُمْلٌ
أَنَا لَا أَمْنَحُ الْحَصَادَ لِحَقْلِي
قَدْ تَنَفَّسْتُ لَيْسَ مِنْ نَارِ قَلْبِي
شَعْلَةُ الْفِكْرِ لِلطَّرِيقِ ضِيَاءُ
أَرْضُنَا هَذِهِ لَطْهَرِكَ تَهْفُو
قَلْبُكَ الْمُطْمَئِنُّ قَبْضَةُ نَوْرِ
عَنْ يَدِ اللَّهِ طُرْتُ لَا عَنْ غِبَاءِ
وَلَكِ الْخُورُ وَالْمَلَائِكُ صَيِّدُ
أَثَرِي مَا لِلْمُسْلِمِينَ نَصِيبُ
دُمُهُمْ كَانَ لِلشُّعُوبِ مَنَارًا
ذَلِكَ أَنَّ الضُّلُوعَ خَارَتْ قُوَاهَا
سَجْدَاتُ رَتِيَّةٍ فِي خَمُولِ
أَيْهَا الْمُسْلِمُ الْمَشَاهِرُ يَرْجُو
كَنْ وَحِيدًا وَوَحْدِ اللَّهِ وَاكْشِفْ
كُنْ كَمَا الْمَسْجُوعُ كُلُّ حِينٍ تَرَاهُ
انْتَزِعْ مِنْ يَدِيهِ ثَوْبَكَ وَارْجِعْ

فِي صُرَاخِ الصَّبَاحِ بَعْدَ الْأَفُولِ
بِحِبَالِ الصَّنِيدِ الَّتِي أَوْقَعْتَهُ
وَكَأَنَّ الشُّبَّاهُ قَدْ أَطْلَقْتَهُ
وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ عَلِمَ الْقَلَنْدَرُ
فِي السُّلُوكِ الَّذِي يَمُتُّ لِخَيْدَرِ
أَيْنَ ذَاكَ الَّذِي أَبَادَ حَصَادِي
وَسْوَائِي الْوَحِيدُ أَيْنَ فُؤَادِي ؟
أَنَا لَا أَمْتَطِي الرُّكَابَ دَلِيلًا
لَسْتُ عَمَّا يُفْتَشُونَ بِدِيلًا
وَأَنَا رَغْبَتِي بِحَرَقِ الدُّفَاقِ
عَمَلِي الْفَرْدُ وَالْوَحِيدُ احْتِرَاقِي
نَفْسًا بَارِدًا أَهَاجَ رَمَادًا
وَدَلِيلٌ لَهُ وَلَيْسَ مُرَادًا
أَنْتَ بَرَهَانُهَا وَأَنْتَ هُدَاهَا
مَنْحَتُ أَغْيُنِ السَّمَاءِ مَدَاهَا
أَنْتَ شَاهِينُهُ وَأَنْتَ رَسُولُهُ
ذَلِكَ دِينَ وَلَيْسَ شَعْرًا أَقُولُهُ
مَنْ جَنَوِيَ الْحَبِّ الَّذِي أَطْلَقُوهُ
ثُمَّ هُمْ فِي ظِلَامِهِمْ أَهْرَقُوهُ
لَمْ يَعُدْ بَيْنَهَا لَهَيْبٌ يَصُولُ
وَصَفُوفٌ مُعْجِجَةٌ وَذُھُولُ
ثَوْبٌ تَقْوَاهُ كَنْ نَسِجَ حَيَاتِكَ
سِخْرَ الْوَانِنَا بِقُوَّةِ ذَاتِكَ
يَدْرُسُ الشَّاطِئَةُ الَّذِي يَتَغَيِّهُ
لَا تَغْسِرُنَّكَ الْإِقْسَامَةُ فِيهِ

النَّدى شَفَّ عَنْ صُدُورٍ وَرَوْدٍ
فَوَّرَ الْخَضِرَةَ النَّيْمُ صَبَاحاً
أَحْمَرَاؤُ الشَّقِيقِ صَوْرَةٌ نَارٍ
شَعْلَةُ الْعَقْلِ لِلْعَسَافِرِ عَوْنٌ
مَا هُوَ الْعَقْلُ ؟ إِنَّهُ لَيْسَ إِلَّا
وَضَجِيجُ الطَّرِيقِ مَنْ فَعَلَ قَلْبٍ

لَيْسَ فِيهَا مِنَ الْخِلَاعَةِ كُفَاءُ
فَوْرَةٌ مَا لَهَا هُنَالِكَ دِفْءُ
ضَاعَ فِي غَمْرَةِ الْحَيَاةِ فَوَادَةٌ
وَالَّذِي يُلْهِبُ الطَّرِيقَ مُرَادَةٌ
نَارَ مَصْبَاحِنَا بِهَذَا الطَّرِيقِ
لَيْسَ لِلْعَقْلِ مِنْهُ غَيْرَ بَرِيقِ

القسم الثالث

في مسجد قرطبة

وقف محمد إقبال - في عام ١٩٣٢ م ، الذي زار فيه إسبانيا ، ذلك الفردوس المفقود - في جامع قرطبة العظيم وقفه مؤمن شاعر ، وقفه خاشع أمام الإيمان ، الذي جاء بهذه الحفنة المؤمنة العربية التي كان يقودها صقر قريش عبد الرحمن الداخل ، وأخضع هذه البلاد النائية الجميلة لعقيدته وعزمه ، وقفه خاشع أمام العاطفة القوية ، والحب الطاهر ؛ الذي حمله على بناء هذا المسجد العظيم الذي أسس على التقوى ، خاشع أمام العبقرية المعمارية التي أنتجت هذا الأثر البنائي الخالد ، وأمام الفن الإسلامي العربي الذي ظهر في تصميمه الحكيم ، وبساطته الرائعة ، وجماله الفريد ، وأثار كل ذلك إيمانه وشاعريته ، ورأى أن هذا المسجد العظيم صورة للمسلم في هذه الأرض الحنون ، تجلّت فيه أخلاق المسلم وصفاته ، علوّ في الهمة ، واتساع في القلب ، وبساطة في المظهر ، وبراءة في النية ، وثبات على الحق ، وإعلان للعقيدة والمبدأ ، وجمع بين الجمال والجلال ، والأنفة والتواضع .

وتذكّر بهذا المسجد أهله الذين رفعوه وشادوه ، وتذكّر بهم العقيدة التي كانوا يدينون بها ، ورسالتهم التي كانوا يعيشون لها ، تذكر - والشيء بالشيء يذكر - بهذا المسجد ذلك الأذان الذي كان يدوي في الجوّ ، وكان أول ما يسمعه الناس وآخر ما يسمعون ، ذلك الأذان الذي انفردت به هذه الأمة ، فليس له نظير في الأصوات ، والتهافتات ، والإعلانات ، والرسالات ، ذلك الأذان الذي كان يخشع له الكون ، ويضطرب له العالم ، وتزلزل به أوكار الفساد ، ذلك الأذان الذي تنفّس له الصبح الصادق في العالم ، في القرن السادس المسيحي ،

وانطلقت موجة من نور ، عاشت بها الدنيا وما بين العالم اليوم وبين الصبح الصادق إلا هذا الأذان الصادق الذي ينادي به المؤمن الصادق .

وتذكر بهذا الأذان الرسالة السامية السماوية ، التي يحملها ويبلغها هذا الأذان في الآفاق ، والمعاني السامية البليغة التي يتضمنها ، وامتلأ إيماناً و يقيناً بأن الأمة التي تدين بهذه العقيدة ، وتعيش بهذه الرسالة - التي كتب لها الخلود - لا تموت ولا تفنى .

حرّك هذا المنظر الرائع ، وهذا الأثر التاريخي ، وهذا المسجد الغريب الفريد الذي لم يعرف منبره الخطبة ، ولا يلاطه السجود ، ولم تعرف منائره الرفيعة الأذان منذ قرون ، حرّك كل ذلك في إقبال الإيمان والحنان ، والأشجان ، وجادت قريحته الوقادة بهذه القصيدة الخالدة التي أسماها « في جامع قرطبة » وقد كتبها في إسبانيا « وأكثرها في قرطبة .

ذكر محمد إقبال أن هذا العالم خاضع للفناء ، وأن الآثار التي تخلفها الأجيال ، وأن البدائع الفنية التي تنتجها العبقريّة الإنسانية بين حين وآخر ، كتب لها الاضمحلال والاندثار ، ولا يعيش بين تلك الآثار والمنتجات إلا ذلك الأثر الذي أكمله عبدٌ مخلص لله ، وأضفى عليه حيويته وخلوده ؛ لأن عمله يستمد الحياة والنور من عاطفته المؤمنة ، ومن حبه القوي الخالص^(١) - والحب هو أصل الحياة الذي حرم الله عليه الموت - إن الدهر سريع ، ورفيق في سيره ، وهو تيارٌ عنيفٌ لا يقف في طريقه شيء ، والحب هو القوة الوحيدة التي لا تقاوم لأنه سيل ، والسيل لا يمسه إلا السيل ، إن الحب غير خاضع للنظام الرياضي المرسوم ، فله عصورٌ ليس لها اسم في لغتنا ، الحب هو الذي تجلّى في الرسالات السماوية ، وفي الأخلاق النبوية ، وهو الذي أفاض على الكون النور

(١) الحب أو « العشق » كما يسميه إقبال هي العاطفة التي تسمو على المادة والمعدة ، وهي حقيقة جامعة بين الإيمان والحنان ، ولا صلة له بالغرام والعاطفة الجنسية .

والشُرور ونشوة الخمر ، التي سكر بها العارفون ، وتغنى بها المحبون ، الحب قد يقف إماماً في المحراب ، وحكيماً يمسك بيده الكتاب ، وقد يقود الجنود ويهزم الأحزاب ، فله أطوار وأدوار ، وهو رحالة لا يزال في سير وانتقال ، وحلّ وترحال ، له منازل ومقامات يمرُّ بها ويخلفها وراءه ، هو الذي أطلق قيثار الحياة فانطلقت منها نغمات وأناشيد ، وهو الذي استمدت منه الحياة نورها ونارها .

ثم يلتفت الشاعرُ العظيم إلى مسجد قرطبة ، ويقول له : « تدين أيها المسجد العظيم ! في وجودك لهذا الحب البريء » . ولهذه العاطفة القوية ، التي كتب لها الخلود فهي لا تعرف الزوال والانقراض ، إنّ البدائع الفنية إذا لم ترافقها العاطفة ، ولم يسقها دم القلب - الحب - أصبحت مصنوعات سطحية من لون ، أو قرميد ، أو حجر ، أو لفظة ، أو كتابة ، أو صوت ، لا حياة فيها ولا روح . إنّ المعجزات الفنية لا تعيش إلا بالحب ، ولا تقوم إلا على العاطفة والإخلاص ، الحب هو الذي يفرق بين قطعة من حجر ، وقلب خفّاق حنون للبشر ، فإذا فاقت منه قطرة على الحجارة الصماء خفت وعاشت ، وإذا تجرّدت منه القلوب الإنسانية جمدت وماتت .

ويقول في عقيدة مؤمن ، ودلال شاعرٍ محب : « إن بيني وبينك أيها المسجد العظيم ! نسباً في الإيمان والحنان ، وتحريك العاطفة وإثارة الأحران ، إنّ الإنسان في تكوينه وخلفه قبضة من طين لا تخرج من هذا العالم ، ولكن له صدرأ لا يقل عن العرش كرامةً وسمواً ، فقد أشرق بنور ربه » وحمل أمانة الله ، إنّ الملائكة تمتاز بالسجود الدائم ، ولكن من أين لهم تلك اللوعة واللذة التي امتاز بها سجد الإنسان ؟ .

وهنا يتذكر محمد إقبال جنسيته ووطنيته ، ويتذكّر أنّه هنديّ التجار ، وأنّه من إحدى بيوتات « البراهمة »^(١) ، ويتذكّر أنّه أمام أثر إسلاميّ عربيّ صميم

(١) أصله من سلالة برهمية كشميرية تسمى « سبرو » أسلم جده الأعلى قبل مئتي سنة .

قديم ، فيقول : « انظر أيها المسجد ! إلى هذا الهندي - الذي نشأ بعيداً عن مركز الإسلام ومهد العروبة ، نشأ بين الكفار وعباد الأصنام - كيف غمر قلبه الحب والحنان ، وكيف فاض قلبه ولسانه بالصلاة على نبي الرحمة ، الذي يرجع إليه الفضل في وجودك ، كيف ملكه الشوق ، وكيف سرى في جسمه ومشاعره التوحيد والإيمان » .

ويذكره هذا المسجد العظيم بالمسلم العظيم الذي رفعه وشاده ، وبالأمة الإسلامية العظيمة التي تعبد الله في أمثال هذا البيت ، فيرى أنه صورة صادقة للمسلم ، فكلاهما يجمع بين الجلال والجمال ، وكلاهما محكم البنيان ، كثير الفروع والأغصان ، ويلتفت إلى المسجد فيراه قائماً على أعمدة كثيرة ، تشبه في كثرتها وعلوها نخلاً في بادية العرب ، ويرى شرفاته مشرقة بنور ربها ، ومنارتها العالية الذاهبة في السماء منزلاً للملائكة ، ومهبطاً للرحمة الإلهية ، وهنا يقول في إيمان وثقة : « إن المسلم حي خالد لا يزول ، ولا ينقرض ؛ لأنه يبلغ في أذانه تلك الحقائق والرسالات التي جاء بها إبراهيم ، وموسى ، وجاء بها النبيون ، وقد قضى الله بخلودها وبقائها ، فكيف تنقرض الأمة التي حملت هذه الأمانة ، وتكفلت بتبليغ هذه الرسالة ! » .

وينطلق الشاعر العظيم في وصف هذه الأمة التي يمثلها هذا المسجد ، الذي لا يعرف الفوارق الوطنية ، والحدود الجغرافية الضيقة ، فيقول : « إنَّ المسلم لا تعرف أرضه الحدود ، ولا يعرف أفقه الثغور ، وقد وسعت عاطفته ورسالته ومملكته الشرق والغرب ، فليست دجلة في العراق ، ودانوب في أوربة ، والنيل في مصر ، إلا موجة صغيرة في بحره الواسع ومحيطه الأعظم ، إنَّ له عصوراً في التاريخ لا يقضى منها العجب ، وله حكايات ومواقف في البطولة لا تزال موضع الدهشة والاستغراب ، هو الذي أمر العصر العتيق - العصر الجاهلي - بالترحيل ، وافتتح العصر الجديد ، إنَّه إمام رجال الحب والعاطفة ، وفارس ميدان الإيمان والحنان ، لسانه لبنٌ وحسل ، وصيفه علقمٌ وحنظل ، يعيش في ميدان الحرب

القسم الثالث

المرأة



بفضل دمهم العربي ، خفة روح ، وحفاوة ، وبساطة ، وجمالاً شرقياً ، فتكثر
فيهم عيون المها ، ولا تزال عيونهم ترشق بالنبال ، ولا تزال الريح في الوادي
تحمل نفحات اليمن ، ورنات الحجاز .

ثم يخاطب إسبانيا - الأندلس الإسلامي المغموب - فيتغنى بأرضها التي
تطاوالت السماء سموّاً ورفعة ، ويتوجع على أنّ أجواءها لم تسمع الأذان من
قرون ، ثم يذكر ما مر على العالم المتمدن من تقلبات وثورات ، ويتشوّق إلى
ثورة جديدة ، مركزها الشرق الإسلامي ، فيقول : « لقد شهدت ألمانيا ثورة
الإصلاح الديني التي هفت الآثار القديمة والتقاليد العتيقة في أوربة ، فحدثت
أوربة المسيحية عصمة القسوس والباباوات ، وتحزّر الفكر الأوربي ، وتحركت
سفينته في يسر وسهولة ، وشهدت فرنسا الثورة الكبيرة التي اضطربت لها أوربة
اضطراباً ، وأصبح الشعب الطلياني - الرومي - شاباً قتيلاً بلذّة التجديد^(١) ، هكذا
الروح الإسلامية مضطربة قلقة ، تطلب انتفاضة جديدة ، ولكن متى ذلك ؟ إنّه سرٌّ
من أسرار الله ، لا يفصح به اللسان ، والعالم يتمخّض بحوادثٍ جسام ، فلا
يستطيع أحد أن يتكهّن بالمستقبل » ، ويخاطب نهر قرطبة « الوادي الكبير »
ويقول : « إن على شاطئك أيها النهر العزيز ! رجلاً يرى حلماً لذيذاً ، يرى في
مرآة المستقبل عصراً لا يزال في طيّات الغيب ، يرى عصراً قد بدت تباشيره ،
وظهرت طلائعه لعينه ، ولكنها لا تزال محجوبة عن أعين الناس ، لو كشفت
الغطاء عن وجه هذا العالم الجديد ، وبيحت ما في صدري من أفكار وأسرار ،
لشقّ ذلك على أوربة ، وفقدت رشدها ، وجنّ جنونها » .

ثم يعود مرّة ثانية ، يشيد بفضل التجديد في حياة الأمم والشعوب ،
والحاجة إلى الثورة على الأوضاع الفاسدة ، ويقول : « كلّ حياة لا تجديد

(١) قال الشاعر هذه القصيدة قبل الحرب الثانية ، وقد نفخ موسوليني في الشعب الطلياني
روح النخوة والطموح ، والاعتداد بالنفس والقومية الرومية .

فيها ، ولا ثورة أشبه بالموت ، إنَّ الصراع هو حياة روح الأمم ، إنَّ أمةً تحاسب عملها في كل زمان سيفُ بثَّارٍ في يدِ القدر ، لا يقاومه شيء ، ولا يقف في وجهه شيء .^(١)

ويختتم محمد إقبال قصيدته البديعة ، بكلمة حكيمة مأثورة ، مبنية على تجارب واسعة ، ودراسات عميقة ، واستعراضٍ واسعٍ للأدب ، والشعر ، والفن ، والأفكار ، يقول :

« إنَّ كلَّ ماثرة وكلَّ إنتاج ، لم تذب فيه حشاشة النفس ناقصٌ ، وجديرٌ بالقناء والزوال السريع ، وكلَّ رنةٍ أو نشيدٍ لم يَدَمْ له القلب ، ولم تتألق به النفس قبل أن يصدر ، ضرب من العبث والتسلية ، ولا مستقبل له في المجتمع وعالم الأفكار . »

وهذا هو سرُّ الخلود والبقاء للأدب ، والأفكار ، والإنتاج ، وهذا سرُّ تفاعلة الأدب الجديد ، الذي يولد سريعاً ، ويموت سريعاً ، وهذا هو سرُّ التأثير والخلود في شعر إقبال وإنتاجه فهل يسمع أدباؤنا وشعراؤنا^(٢) ؟

(نُظِمَتْ في مسجد قرطبة)

إنَّ هـٰذِي الصَّرِخَةَ الْيَوْمَ التِّي تَفْضُحُ أَمْرِي
صَّرِخَةُ الْقَلْبِ التِّي خَبَّاتَهَا طِيلَةُ عُمْرِي
صَحْبَةُ الْأَطْهَارِ نَوْرٌ وَرَضَا اللَّهُ حُبُّور
وَشَقِيقُ الرُّوضِ كَاسَاتٌ عَلَى النَّهْرِ تَدُور
هَآهُنَا يُمْكِنُ أَنْ أَذْكَرَ وَغَنَاءَ الْمَسِيرِ
وَوَضُوءِي لِصَلَاتِي مِنْ دَمِ الْقَلْبِ الْكَسِيرِ

(١) من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي .

مع من يمشي الذي يمشي على هذا الطريق
 وأنا إلا رجائي ليس لي فيه رفيق
 يكون القصر عشي وأنا أكره لونه
 أنت ذاك العشب والغصن الذي ينشمر كونه
 أنت من أطلقت من صدري صراخ الفجر بعثا
 لي من التوحيد نارا تلهب العالم بعثا
 بك أنفاسي تغني لك تغدو وتروح
 ذات شجر وحماس ونسود وجرور
 أملي أنت وشغلي طلبتي أنت التوحيد
 وأنا هذا نصيبي غير هذا لا أريد
 عندما تخطى قربي تصبغ الصحراء بحرا
 وإذا لم تك في البستان فالبستان صحرا
 أمني مرة أخرى ولو جرعة كأس
 هل أن أخرج يوما من طوافي حول نفسي
 أنا منها في خماس كيف لي أشرب منها
 كل حانات السور حطمتها في البحث عنها
 أيها الشاقي متى تنظر لي عين حنانك
 ومتى الجمهور بالافداح تروي من دنانك
 خلقتك اللهم هذا لم يذوق فتوني
 وأنا، إن لم تبدلني يبدله جنوني
 ما هو العار الذي يلحق هذا الفيلسوف
 وهو بالسر الذي خبأته أنت يطوف ؟



نسمة الأسفار الذي نفحة الله الخيـر

ففي نسيج الزُّوج يجريها كُنُفٌ في الضمير
يصبح الرّاعي كموسى بتعالىم شعيب
﴿ لا تخف ﴾ سيفاً فخذها وفي وحيّ دون ريب

مسجد قرطبة

(نظمت في أرض الأندلس وبخاصة في قرطبة)

(١)

ضياءُ الصُّبح بعد الليل آتٍ (ومن هذين كلُّ الحادثاتِ)
هما في الدَّهر خيطٌ من حريرٍ تلوّن بالحياة وبالمماتِ
هما إيقاعُ أغنية الحجابِ ولحنُ الحقِّ في هذي الرّحابِ
على وتر الخلود لهم نشاطٌ مُلِمٌ بالقرار وبالجوابِ
وعندهما بكلِّ النَّاسِ علمٌ هما حجرُ المحكِّ لكلِّ شغبِ
فلا تفخرْ بقلبك دون زيفٍ وجرب مثلاً جرّنتُ قلبي
فإن هو كان زيفك مثل زيفي ولم يك لي ولا لك أيُّ قيمة
فعيدك مثل عيدي عيدُ موتٍ وحطُّك مثل حظي في الوليمة
وما المعنى ليومك أو ليومي بلا ليلٍ يكون ولا نهار
إذا عبر الثُّبوغُ بأرض قومٍ تولّى مثل زويعَةِ الغُبارِ
حكايَةُ كوننا وهمٌ وظنٌّ وهذي كلُّ أطوار الحكاية
من العَدَمِ البدايةُ أخرجتنا وترمينَا إلى العَدَمِ النّهايةُ

(٢)

الموتُ لا يفتحو رجاءَ الله من هذا السَّجودِ
الحبُّ في دمهم تلوّن بالثباتِ وبالخلودِ

مهما يكن جريان هذا العصور جباراً عنيفاً
 فالحبُّ يَجْرُفُه ولكنَّ سيلُه يَبْدُو لطيفاً
 الأملُ والغدُ ليس وُجْهَتُنَا التي نسعى إليها
 الحبُّ أزمنةٌ بلا أسماء تُطْلَقُ عليه
 ما الحبُّ ؟ ما هو ؟ إنَّه وثباتُ أوقاتِ الصُّفا
 في نفحةِ الوحي الأمينِ على فؤادِ المصطفى
 ما الحبُّ ؟ سكرةٌ وردةٌ خَلَعَ الجمالَ عذارها
 لِعَبِّ الشَّيْءِ بها عليه فقطعتْ أزارها
 الحبُّ في ساحِ الجيوشِ هو المقْدَمُ والنَّيْه
 والحبُّ في الحَرَمِ الشَّريفِ هو المشرُّعُ والفقيه
 أسألُ به متشكِّعاً خلفَ الهوادجِ والقوافلِ
 بين الألوفِ من المنازلِ والألوفِ من المسراجلِ
 الحبُّ ليس مغنياً الحبُّ إبداعُ الأغاني
 أوتاره نورُ الحياة وقوسُه نازُ المعاني



مسجد قرطبة

(٣) و (٤) و (٥) و (٦)

قصرُ التَّاريخِ ومسجدُه ما أروعُ ما صنعتْ يدهُ
 لِلْقَوْمِ بِصَدْرِ حكايتِه صوتُ ما زال يُرَدِّدُه
 ظمأً لا رِيَّ لهُ وبِهِ طَلِبُ الظَّمآنِ ومَقْصِدُه
 يزدادُ برؤيتِه ولها وبيريدُ يقومُ فيقْبِدُه
 وكأنَّ علائقَ زيتته خَفَقَاتُ القُلُوبِ ومَعْقِدُه
 في الصُّخْرِ فنونُ سرائرنا بلطائفنا نتعَهْدُه

لِيَهَيِّجَ رَنِينَ جَوَانِبِهِ بِأَنْيَسِ الرُّوحِ نَزْوَدُهُ
يَا ظِلَّ الْغَرْبِ وَدَوْحَتَهُ مِنْ ذَا تَارِيخُكَ يَجْعَلُهُ
بِكَ أَضْحَتْ تَرْبَةُ أَنْدَلُسٍ حَرَمًا فِي الْغَرْبِ نُمُجْدُهُ
لَا نَدُّ لَهُ فَنِي سُوْدُدُهُ إِلَّا الْإِمَامَانُ وَسُوْدُدُهُ
عَرَبِيُّ اللَّحْنِ حِجَازِيُّ رَوْحُ الْإِسْلَامِ تُخْلَسُهُ
يَعْنِي الْعِطْرَ تَهَبُّ بِهِ أَنْسَامُ الشَّامِ وَتَخْشُدُهُ
نَظَرَاتُ ظَبَائِكَ لَا عِبَةَ بِسَهَامِ الْحَبِّ تَكْبُدُهُ
أَنَا مِنْ كَفَّارِ الْهِنْدِ وَفِي نَظَرَاتِي مَا لَا تَجْعَلُهُ
وَحِمَاسَةً أَغْنِيَنِي هَذَا مِنْ لَحْنِ قَلْبِكَ يُنْشِدُهُ
وَصَلَاةُ الْحَبِّ عَلَى شَفَتِي (وَعَلَى خَدَيْكَ تَوْرُدُهُ)
الْفَتْنَةُ وَجْهُكَ يَوْقِدُهَا وَأَنَا أَشْرَحُ مَا تُوقِدُهُ
تَوْحِيدُ اللَّهِ لَنَا نَوْرٌ وَحَيَاةُ الْقَلْبِ تَسُوِّخُهُ
لَوْ كُلُّ رِيَّاحٍ فِي الدُّنْيَا اجْتَمَعَتْ لَا تَقْدِرُ تُخِمُّدُهُ
يَحْكِيكَ جَمَالًا وَجَلَالًا رَجُلٌ لِلَّهِ تَعَبُّدُهُ
وَحِمَاسٌ ضَحَاةٌ وَوَجْدٌ مَسَاهُ وَمَا يَخْفِيهِ لَهُ غَدُهُ
وَمَسْرُوتُهُ وَمَحَبَّتُهُ وَتَوَاضُعُهُ وَتَوَرُّدُهُ
عَذْبُ الْكَلِمَاتِ خَفِيفُ الرُّوحِ رَقِيقُ الْقَلْبِ مُسْتَهْدُهُ
أَبْدِي الْحَبِّ نَقِي الْخَرْبِ مَصُونُ الْعِرْضِ مَهْنَدُهُ
وَعَلَى يَدِهِ اللَّهُ يَسُدُّ بِلَطِيفِ الْقُدْرَةِ تَغْضُدُهُ
الْعَالَمُ قَصَصُ خِلَافَتِهِ وَسَمَاءُ الْعَالَمِ مَقْبَلُهُ
سِرُّ الْكَوْنَيْنِ بِنَظَرَتِهِ وَعَنِ الْكَوْنَيْنِ تَجَرُّدُهُ
وَسِرَابُ الْعَضْرِ بِنُورِ الدِّينِ وَنَارِ الْحَبِّ يُبَدِّدُهُ
هُوَ أَوَّلُ سِرٍّ فِي الدُّنْيَا وَرَجَاءُ الْكَوْنِ وَمَقْصِدُهُ
هُوَ مِثْلُكَ شَاغِلُ عَالَمِهِ بِقَدِيمِ الْحُسْنِ يُجَدِّدُهُ

كَنَخِيلِ الثَّامِ وَأَغْمِدْهَا شَمَخَتْ فِي الْمَسْجِدِ أَعْمَدُهُ
تَتَأَلَّقُ زَرْقَةً قَبْتَهُ وَتَقِيمُ اللَّيْلَ وَتُقِيمُهُ
وَتَهْدِيهَا فِي وَحْدَتِهَا كَالطُّورِ كَوَاهُ تَهْدِيهِ
بَعَثَتْ جَبْرِيلَ مِنْ أَرْحَامِهَا بِجَمَالٍ أَنْتَ مُحَمَّدُهُ
لَادَى إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى لَشَهِيدِ هَذَا مَشْهَدُهُ

(٧)

إِنَّ أَرْضاً أَنْتَ فِيهَا لَسَمَاءٌ لِلْعُيُونِ
كَيْفَ لَمْ يَمْعِ أَذَانُهَا أَهْلُهَا مُنْذُ قُرُونِ
لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أُسْرَى مَوْكِبُ الْحَبِّ الْغَضُوبِ
لَيْتَ شِعْرِي مَا يَرَى الْآنَ وَفِي أَيِّ الدُّرُوبِ
هَيَّجَ الْأَلْمَانُ حَوْلَ الدُّيْنِ إِصْلَاحاً عَرِيقاً
بَدَّدَ الْأَسْرَارَ لَمْ يَتْرِكْ لَهَا بَيْتاً عَتِيقاً
أَصْبَحَتْ مِنْهُ هَبَاءٌ عَصَمَةُ الْبَابِ الْعَجُوزِ
وَأَفَاقَ الْفُكْرِ لَا يَعْرِفُ شَيْئاً لَا يَجُوزُ
مَنْذُ أَنْ ثَارَتْ فَرَنْسَا بِدَا الْغَرْبِ الْعِرَاقَا
لَمْ تَعُدْ تُبْصِرُ فِيهِ بَعْدَهَا إِلَّا ارْتِبَاكَا
هِيَ ذِي رُومَا الَّتِي شَاخَتْ عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ
تَحْتَنِي خَمِراً جَدِيداً مَعَهَا الْبَابَا نَدِيمِ
فِي فَوَادِ الْمُسْلِمِ الْيَوْمَ كَهَذَا الْغَلِيَانِ
هُوَ سِرُّ اللَّهِ عَنْ تَبَيَّانِهِ كُلِّ اللِّسَانِ
فَارْقُبُوا مِنْ ذَلِكَ الْوَائِسِ فِي بَحْرِ الْقَضَاءِ
وَارْقُبُوا الْكُؤُوبَ الَّذِي يَخْتَارُهُ مَاءُ السَّمَاءِ

تَمِيلُ سَحَابَةُ الْوَادِي فَتَحْكِي فِيهِ غَطَاسَا
 رَمَتْهَا الشَّمْسُ بِالْيَسَاقُوتِ أَكْدَاسَا فَأَكْدَاسَا
 وَأَغْنِيَةُ ابْنَةِ الْفَلَّاحِ تُطْرِبُ رُبَّ رُغْمٍ رَكَّتْهَا
 بِرَقَّتْهَا إِذَا غَنَّتْ وَأَهْتَهَا وَأَتَتْهَا
 كَأَنَّ غِنَاءَهَا فِيضٌ يُقْلُّ سَفِينَةُ الْقَلْبِ
 تَغَازِلُ نَهْرَ قَرْطُبَةَ السَّيِّدِي يَذْخِرُ بِالْحَبِّ
 هُنَاكَ يَرْتَعُ السَّارِي هُنَاكَ تَضْدَحُ الْوَرَقُ
 كَأَنَّ النَّهْرَ تَارِيخٌ يَغْنِي فَوْقَهُ الشَّرْقُ
 نَعَمْ ، مَا زَالَ عَالَمُهُ الْجَدِيدُ يَحُوطُهُ الْقَدَرُ
 وَمِثْلِي لَيْسَ يُعْجِزُهُ عَلَى إِدْرَاكِهِ نَظَرُ
 وَلَوْ هَتَكْتُ أَسْثَارِي وَأَسْفَرْتُ وَجْهَهُ أَفْكَارِي
 لَكَلَّ الْغَرَبُ أَنْ يَحْمِلَ مَسَاغَتَهُ أَوْتَارِي
 حَيَاةٌ لَيْسَ فِيهَا ثَوْرَةٌ مَوْتُ لَطَالِبُهَا
 وَهَلْ لِحَيَاتِنَا فِكْرٌ يَكُونُ لغير غَالِبِهَا
 وَبَدَأَ الْفِكْرُ بَدَأَ تَالُفُ الْأَحْرَارِ لِلخَطَرِ
 وَشَعْبٌ وَاثِقُ الْخَطَوَاتِ سَيْفٌ فِي يَدِ الْقَدَرِ
 إِذَا الْأَثَارُ جَوَّهَرْنَا أَبْنَاهُ عَابَتِهَا النَّقْصُ
 وَإِنْ لَمْ تَأْخُذِ الْأَنْفَامُ عَنْهُ أَضْحَكَ الرِّقْصُ

صرخة «المعتمد»^(١) في السجن

تكادُ صرخةُ قلبي عند حنجرتي تشقُّ من كتفها قلبي وتنطلقُ
كأنها جمرةٌ فيه بلا شرِّ قلبي بها دون كلِّ الناسِ يحترقُ
كذلك تفعلُ بالحرِّ الحياةُ إذا أرادَ شيئاً وحالتْ دونَه الطرقُ
اليسَ عاراً على الأحرارِ يسجنُهُم مع العبيدِ دعِي جيشُه الحَمَقُ
لعلَّ فولاذَ سيفي صيغَ ثانيةً غلاً لكفي التي لم يَنْتِها فَرَقُ
لا أشتِ اللهُ بالأقدارِ حاسدنا فليسَ شيءٌ من الأقدارِ يُسَبِّقُ



(١) المعتمد بن عبَّاد : ملك إشبيلية حالف الفونس السادس فأُسره يوسف بن تاشفين وألقاه في السجن فمات فيه .

وقد نشرت قصائده مترجمة إلى اللغة الإنكليزية في سلسلة (WISDOM OF the east) (من ترجمة الأستاذ العلوشي النثرية) .

(١)

(يلاحظ أن المقطع الأول من القصيدة ترجمة لقصيدة
عبد الرحمن الأول التي وردت في نفع الطيب ٥٤ / ٣ وقد هُوسَت
النخلة في مدينة الزهراء ، والقصيدة كما ذكرها المقرئ) .

تبدت لنا وسط الرُصافة نخلة	تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى	وطول اكتنابي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة	فمثلك في الإقصاء والمُتأى مثلي
سقتك غواصي المُنز في المُتأى الذي	يسُح ويستمري السُماكين بالوئيل

(١) وقد ترجمها الشاعر كما في ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية :

أنت نور عيني
أنت فرح قلبي
أنا بعيد عن وطني
وأنت عندي شجرة من سيناء
ترعرت في أرض الغرب
ومع ذلك فأنت حورية من الصحراء العربية
أنا نقذ صبري في غرتي
وأنت نقذ صبرك في غرتك
أيمكن أن تولني ثمارك في الأرض الغربية
عسى أن يكون ندى الصباح هو الذي يسقيك .

(وقد استوحى إقبال المقطع الثاني من القصيدة ذاتها لذلك آثرنا
نظم المقطع الثاني على نهج أبيات عبد الرحمن) .

وفي الشَّام من أمثالنا عَدَدُ الرَّمْلِ
زماناً غريب الوجه مختلف الشَّكْلِ
مضيتُ به عريانَ مُفْتَشِقاً نصلي
وهل يقدح الزُّند الشرار من الوحل
وحنَّ بذكر الشَّام للأعين النَّجْلِ
فكلُّ بلادِ الله ملكُ ذوي العَدْلِ
وحاشا لأهل الجُودِ توصمُ بالبُخل
فمنزلنا رِئاسُ من عَدَقِ البَذْلِ
وتطلُّب من آثارنا كعبةَ الفضل
هنا انتبذت أرواحها رسلُ النَّحْلِ

وأعجبُ ما في الكونِ غرباً مثلنا
وما زلتُ في التَّطوافِ ألقى على المدى
وليس لهذا البحر من ساحل يُرى
وما من حياةٍ للذي أنفَ الرُّدى
إذا شامَ طرفي البرق زادَ تالُفاً
وما ضرُّنا مُلكُ تركناه خلفنا
سنيني كما كُنَّا بيننا لغيرنا
إذا نَضَبَتْ أجسادنا من دمائنا
ستذكرنا الدُّنيا وتندبنا السورى
يقال هنا صلَّت وضجَّت قلوبهم

إسبانيا

(كُتِبَتْ فِي إِسبَانِيَا سَاعَةَ مَغَادِرَتِهَا)

صَوْتُ الْمَنَائِرِ فِي نَسِيمِكَ يَرْقُدُ وَصَدَاءُ فِي أَرْوَاحِنَا يَتَرَدَّدُ
يَا تَوَّعَّ الْحَرَمَ الشَّرِيفَ تَطَوَّقْتُ بِكَ رُغَّعٌ مِنْ عَاكِفِينَ وَسُجَّدُ
سِيمَاكِ مِنْ أَثَرِ الشُّجُودِ عَلَى الثَّرَى طَرِبُ يَفُوحُ وَنَضْرَةٌ تَجَدَّدُ

تَحْكِي النُّجُومُ أَسْنَةً لِرِمَاحِهِمْ بِإِزَائِهَا لَيْلٌ يَقُومُ وَيَقْعُدُ
مَلُؤُوا وَهَادَكَ بِالْخِيَامِ وَلَمْ تَزُلْ أَوْتَادُهَا بِنَسِيمِهِمْ تَتَأَوَّدُ
إِنْ تَسْأَلِ الْحَسَنَاءُ عَنْ حُنَّائِهِمْ فَتَخِيبُ يُنْصِفُهَا دَمِي الْمَتَوَرَّدُ
يَا طَالَمَا سَفِكْتُ هُنَاكَ دِمَاؤُنَا ظُلْمًا وَنَحْنُ الْمَشْفِقُونَ الْعَوَّدُ

مَا كَانَ صَقْرٌ قَرِيشٍ غَيْرَ مَوْحِدٍ عَجِبًا أَمَا فِي الْمُسْلِمِينَ مَوْحِدُ
خَمَدَتْ حَقِيقَتُنَا وَزَالَ لَهَيْبُنَا وَبَرِيقُ قَرِطَبَةَ الشَّرِيدُ مَخْلَدُ
وَوَقَفْتُ لَا نَوْمِي خَمَدْتُ وَلَا الشُّرَى أَتَكَبَّدُ الْجَرْحَ الَّذِي أَتَكَبَّدُ
عَانَيْتُ مَشْهَدَهُمْ وَقُلْتُ وَقِيلَ لِي سَيِّانُ قَوْلٍ فِي الْعِزَاءِ وَمَشْهَدُ

سُتْهِتَكَ الْأَسْرَارُ عَنْ سِينَانِنَا وَتُبَاحُ أَسْرَارِ لَنَا وَتُبَدَّدُ
وَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَقُومُ بِهَتَكِهَا لِلنَّاسِ أَوَّلَ مَصْلَحٍ يَتَحَمَّدُ

دعاء طارق

نزل طارق بن زياد - القائد الشاب - بجيشه العربي المسلم على أرض إسبانيا ، مدخل أوربة ، وأمر بإحراق السفن التي حملت الجيش الإسلامي لتقطع بالمسلمين أسباب الرّجوع ، ويستطيع أن يقول لإخوانه : « أيها الناس أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر »^(١) ، فيشير ذلك فيهم القوة الكامنة ، والاعتماد على الله ، ثم على سواعدهم وسيوفهم .

صف طارق جيشه أمام العدو ، واستعرضه فرأى أنه لا يكافئ الجيش الإسباني في العُدّة والعَدَد ، ووصول الميرة والمدد ، فإن العدو في مركزه ومملكته ، والجيش الإسلامي غريبٌ منقطع عن مركزه وبلاده ، لا يطمع في ميرة ولا مدد ، إلا ما ينتزعه من أيدي عدوه انتزاعاً ، ويتغلب عليه ، ويعرف أنه لو حدث به حدث ، ودارت عليه دائرة لأصبح خبيراً من الأخبار ، وكان طعمة السباع والنور .

كل ذلك أثار في طارق التفكير والاهتمام ، وفكّر فلم ير حيلة إلا أن يضم إلى هذا الجيش قوة لا تُهزم ، وإرادة لا تغلب ، إنها القوة الإلهية ، وإنها الإرادة الربّانية ، وقد وثق بها طارق ، ووثق أنها معه ، أليس هذا جند الله ؟ أما جاء ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة الناس إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، وقد قال الله : ﴿ وَلَئِنْ جُنَدَاهُمْ لَأَغْلِبُونَ ﴾ [الصفّات : ١٧٣] .

(١) قطعة من خطبة طارق بن زياد .

هنالك وقف القائد المؤمن يناجي ربه ، ويطلب نصره ، وكان في ذلك مقلداً للرسول الأعظم ﷺ - قائد الكتيبة المؤمنة الأولى - إذ عبأ جيشه يوم بدر ، وصفه أمام العدو ، ثم اعتزل في العريش ، ونصب جبهته ييكي ، ويقول : « اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد » ، فتأسى طارق برسوله وسيده ، ودعا بهذا الدعاء العجيب الذي لا يدعو به قادة الجيوش ولا يخطر منهم على بال . وقد سبكه محمد إقبال في قالب شعره ، فزاد في تأثيره وسحره .

قال طارق : اللهم ! إن هؤلاء الفتيان الذين خرجوا جهاداً في سبيلك ، وابتغاء مرضاتك ، رجالاً غامضون مجهولون لا يعرف سرهم وحقيقتهم غيرك . لقد منحتهم طموحاً وعلو همة ، لا يرضون معه إلا أن يكونوا سادة العالم . يحكمون الدنيا كلها بحكمك وينفذون فيها أمرك ، لا يعلوهم غيرك ، أبطال مغاوير ، تنفلق بهيبتهم البحار ، وتنضوي لصولتهم الجبال ، لقد ذاقوا لذة الإيمان والحب ، حتى استغنوا بها عن العالم والمادة ، وهانت عليهم الدنيا وزخارفها وشهواتها ، وذلك شأن الحب إذا خالطت بشاشته القلوب ، ما جاء بهم من بلادهم النائية إلا الحنين إلى الشهادة ، التي هي وطر المؤمن العزيز ، وهم الوحيد ، لا يفكرون في الغنائم ولا في فتح البلاد ، ولا في بسط السيطرة والنفوذ على العباد .

إنَّ العالم قد وقف على شفا حفرة من النار ، لا يمنعه من التردى في الهاوية إلا أن يبذل العرب دماءهم ونفوسهم بسخاء وشجاعة ، إن العالم بحاجة إلى دم عربي زكي ، فلا يروي غليله ، ولا يشفي عليه إلا الدم العربي الطاهر ، ها إن الأزهار والورود في الغابة في انتظار أن تسقى بهذا الدم القاني ، فترفل في حلته ، وقد قدمنا لتزرع نفوسنا ، ونريق دماءنا في هذه الأرض النائية . لتخصب الإنسانية بعد جذب طويل ، ويحل الربيع بعد انتظار شاق طال أمده .

لقد أكرمت يا رب ! رعاة الإبل وسكان الوبر - العرب - بنعم فريدة لم يشركهم فيها أحد ، لقد أفردتهم بعلم جديد ، وإيمان جديد ، وشعار جديد ،

هو : أذان الصبح ، فقد أفلست الأمم من العلم الصحيح ، والإيمان القوي ، والذوق الرفيع ، والدعوة الصارخة السافرة إلى التوحيد ، على حين غفلة من الناس ، أما العرب فقد فاجزوا العالم بصحة علمهم ، وجدة إيمانهم ، وسلامة ذوقهم ، ودوي أذانهم في السكون المخيم على العالم « والظلام الحالك ، لقد كانت الحياة فقدت لوعتها وحرارتها من قرون طويلة ، وقد وجدتها من جديد في قلوبهم الفائضة بالإيمان والحنان » إنهم لا ينظرون إلى الموت كنهاية لهذه الحياة ، وكتلف للنفس الإنسانية ، إنهم يرون فيه فتحاً جديداً ، وعيشاً جديداً ، أعد يارب ! إلى هذه الأمة المؤمنة الحمية الإيمانية والغضبة المؤمنة ، التي تجلّت في دعاء نوح ، فقال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] . حتى تصبح صاعقة على عالم الكفر والفساد ، وأخلق فيها المطامح البعيدة ، والعزائم القوية الشديدة ، واقذف في قلوب الناس رعبتها ، وهبتها حتى تعمل نظراتها عمل السيوف ^(١) .

وقد استجاب الله دعاء طارق - القائد المؤمن المخلص - وانتصر الجيش الإسلامي على عدوه ، الذي كان يفوقه مراراً في العدد والعدد ، وأصبحت إسبانيا النصرانية الأوروبية الأندلس الإسلامي الغربي ، وقامت دولة المسلمين في ربوعها وازدهرت قروناً ولم تضعف ولم تزل ، إلا يفقدهم الروح التي تضلع بها طارق وأصحابه ، وينسيانهم الرسالة التي جاءت بهم من جزيرة العرب ، وبفقرهم في الإيمان الذي امتاز به طارق بين قادة الجيوش ، وفاتحي البلاد ، وبانغماسهم في الشهوات والحروب الداخلية ، ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ يَحْدِثُ اللَّهُ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٢] ^(٢) .



(١) من « بال جبريل » (جناح جبريل) ديوانه .

(٢) من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي .

« نُظِمَتْ فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ فِي الْأَنْدَلُسِ »

حملوا عَنَاءَ الْعَالَمِينَ وَسَارُوا
وَالنُّورَ فِي نَظَرَاتِهِمْ وَالنَّارَ
وَنَرَجَعْتَ لَخَطَاهُمْ الْأَنْهَارَ
وَالْعِشْقَ فِي أَرْوَاحِهِمْ إِعْصَارَ
عِلْمٍ عَلَى الذَّارِينَ لَا يَنْهَارُ
وَإِذَا تَقَحَّصَ فَالْجِرَاحُ غِبَارُ
وَمُطَامِخُ الْهَمِّ الْكِبَارِ كِبَارُ
تَرْجُو رَجَاءَ شَقَائِقِ الثُّعْمَانِ
وَتَضِجُ لَيْلَ نَهَارٍ فِي الْبُسْتَانِ
سَكَّانَهَا وَجَعَلْتَهُمْ أَفْذَاذًا
وَجَعَلْتَ أَعْرَابِيَّهُمْ أَسْتَاذًا
عَرِثَ وَطَلَبْتُهَا مَذَاقُ النَّارِ
كَلَّتْ مِنَ التُّسْرِحَالِ وَالتُّشْيَارِ
هُوَ لِلْبَصِيرَةِ بَابُهَا الْمَفْتُوحُ
يَتَوَسَّلُونَ كَمَا تَوَسَّلَ نُوْحُ
وَهُمْ وَأَنْتَ الْفَرْدَ لَا تَتَغَيَّرُ
وَالنَّاسُ مِنْهَا مُوسِرٌ أَوْ مُغْسِرٌ
إِلَّا ظَنُّونَ الْوَاهِمَ الْمُتَقَسُّوْلُ
سَكْرَانٌ مِنْ مَاضِيٍّ وَمِنْ مُسْتَقْبَلِ

لِذِي الْكُمَاةِ عِبَادُكَ الْأَخْيَارُ
أَصْحَابُ سِرِّكَ وَالسِّيَادَةُ طَبْعُهُمْ
فَعَلْتَ كَمُوسَى فِي الْبَحَارِ عِصِيَّتُهُمْ
الْبَحْرُ حَبَّةُ خَرْدَلٍ فِي كَفِّهِمْ
عَزَفُوا عَنِ الذَّارِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ
نَيْلُ الشَّهَادَةِ لِلْمَوْحِدِ مَطْمَحُ
لَا مَبْيَ غَانِيَةٍ وَسَلْبُ خَزَانَةٍ
كُلُّ الْعِبَادِ عَلَى اخْتِلَافٍ عُرُوقُهُمْ
تَرْجُو مِنَ الْعَرَبِيِّ لَوْنُ دِمَائِهِ
رَبَّاهُ أَنْتَ بَعَثْتَ مِنْ صَحْرَائِهِمْ
وَمَلَأْتَ صَدْرَ الصُّبْحِ مِنْ آهَاتِهِمْ
طَوَتْ الْحَيَاةُ الدَّهْرَ تَشْدُ طُلُبَةً
وَبِرُوحِهِمْ عَثَرَتْ عَلَيْهَا بَعْدَمَا
الْمَوْتُ لَيْسَ نَهَابَةً فِي عَيْنِهِمْ
رَبَّاهُ! فَابْعَثْ مُسْلِمِينَ أَعْرَءَةً
لَتَغْيِّرَاتِ الْعَضُرِ مِنْ ثَوْرَاتِهِ
رَبَّاهُ! أَنْتَ هُوَ الْحَقِيقَةُ كُلُّهَا
الدَّهْرُ مَلِكٌ يَدِيكَ لَيْسَ لِأَهْلِهِ
يَتَنَازَعُونَ عَلَى تَفْهَمِ عَالَمِ

يا من نرى في النفس والآفاق من آياته
الحق : أنك خالداً حيّ يقوم بذاته
ما كان يمكن في وجودك أن يكون على يقين
والعقل يخرج مرغماً عن رأيه في كل حين
ما كان يدرك عقلنا في طيش نظراته السريعة
ما كنت تُرسله من الأنغام في خلد الطبيعة
سيئان رضاء النجوم ومن توغل في النبات
وقفوا على مرصاتهم والكل ينقصه الثبات
اليوم أعلن بعدما شاهدت عالمك الأخير
وأنا الذي كابدت أفهمه وعانيت الكثير
أني - وتعلم - لم أكن وحدي هنالك في غرور
كانت أساطير الكنيسة حول عتقتنا تدور

(١) علق الأستاذ المألوف على القصيدة بقوله : بهم القارئ أن أذكر تعليقا على هذه
القصيدة ورد في كتاب « مدخل إلى فكر إقبال » للكاتب الفرنسي (لوك كلومبتر)
(طبع بيرسيجرس باريس عام ١٩٥٥ م) وفيه ص ٧٣ :

هذه القصيدة العجيبة كتبها إقبال آخر مني حياته ، ويخطيء من يرى فيها تغيراً في
وجهة أفكاره والصحيح أنها تعميق لهذا التفكير . . فليست هي المرة الأولى التي
يفضح فيها إقبال مساوىء الرأسمالية .

ويجب أن نقول إن هذه القصيدة تدل على يفتة وجدان أكثر وضوحاً وأشد وعياً للواقع
الاجتماعي ونجد بها هذا الغضب الرأع الذي كله حب وصفاء .

انظر مجلة فكرو فن عدد ٣٢ ص ٧٩ وما بعدها .

كُنَّا هُنَاكَ مَكْبُلِينَ بِكُلِّ أَغْلَالٍ اللَّيَالِي
أَيَّامَ أَنْتَ تَصَوِّرُ الْأَزْمَانَ فِيهِ عَلَى التَّوَالِي
قَلْبِي يَمْرُقُهُ سِوَالُ فِيهِ فَائِذَنُ بِالسَّوَالِ
تَرْكَّتُهُ خَوْفًا مِنْ عَوَاقِبِهِ أَبَاطِرُهُ الْجِدَالِ
هَذَا السَّوَالُ وَكَانَ طَوَّلُ الْعُمْرِ يَرْمِينِي شَرِيدًا
وَيُثِيرُنِي تَحْتَ السَّمَاءِ أَسَى وَيَتْرَكُنِي وَحِيدًا
هَذَا الَّذِي أَلْقَى بِأَيَّامِي حُطَامًا فِي الْوَهَادِ
هَذَا السَّوَالُ وَكَانَ مَغْرُوسًا كَشَوْكٍ فِي فَوَادِي
هَذَا السَّوَالُ عَنِ الْأَنَامِ وَلَنْ أَجُورَ عَلَى الْأَنَامِ
وَأَنَا تَضَايِقُنِي مِرَاقِبَةُ الطَّرِيقَةِ فِي الْكَلَامِ
فَالْمَرَّةُ لَمَّا تَعَصَّفُ الْأَفْكَارُ فِي أَرْجَاءِ رُوحِهِ
لَا يَسْتَطِيعُ تَخْيِيرَ الْكَلِمَاتِ تَخْرِجَ مِنْ جُورُوحِهِ
[مَنْ كَانَ آدَمُ حِينَ كَانَ الطَّيْنُ صَلَاحًا عَلَيْهِ
مَنْ كَانَ سُبُّدُهُ سِوَالُ لَا أَوْجَهَهُ إِلَيْهِ]
إِيَّاكَ يَعْجِدُ - لَا أَظُنُّ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ -
عَاصِرُتُهُ أَيَّامَ كَانَ الَّذِينَ أَفْيُونَ الشُّعُوبِ
عَاصِرُتُهُ مَتَرُنُحًا بِهِيَ أَكُلُ الصَّنَمِ الْقَبِيحِ
فِي دَرْبِ أَوْرَثَةِ النَّبِيِّ ائْتَمَرْتُ عَلَى الشُّرْقِ الْعَجْرِيخِ
فِي دَرْبِ أَوْرَثَةِ النَّبِيِّ تَبَدُّوْا مَنْارًا لِلْحَيَاةِ
وَالْحَقِّ أَنَّ النَّبِيَّ فِي ظُلُمَاتِهَا نَبْعُ الْمَمَامَاتِ
تَاهَتِ بِأَبْنِيَةِ الْعَصَافِ فَوْقَ أَبْنِيَةِ الْكُنَائِسِ
وَأَنْتَ لِهَيْكَلِهَا الْعَجْدِيدِ بِكُلِّ أَنْوَاعِ النِّفَاسِ
قَالُوا تَجَارَاتُ تَبْدَارُ وَكُلُّ مَا فِيهَا قَمَارُ
وَمَصَادِفَاتُ تَجْعَلُ الْبُلْدَانَ فِي جَيْسِبِ الْكِبَارِ
أَيُّ السِّيَاسَةِ وَالْحُكُومَةِ وَالْكُنَيْسَةِ وَالسَّمَاءِ

رفعوا مساواةً تقال وأشربوا حُبَّ الدماء
 العُزِّي والفقر العبادل والبطالة والفساد
 آيات أوربة التي انتشرت بأنحاء البلاد
 أسفلاً لشعبٍ كاملاً ردَّ المحبَّة للسماء
 حصرت روائعه بما أوحى إليه الكهسباء
 لم يبق بعد حكومة الآلات معنى للقلوب
 كان الحنان ملاذناً فمَحَنه من بين الشعوب
 وبرغم هذا كله تبدو الدلائل أنهم
 سيُبددون ويُفزعون على الهزيمة سنَّهم
 حاناتهم وقعت بما نصبوه من تلك الشباك
 فإذا شيوخُ الشكر مما يشربون بلا حراك
 الحمرة الملقاة فوق وجوههم عند المساء
 آثارُ خمير زائفٍ وخضابٍ زورٍ لا دماء
 رباه! أنت القادرُ الحقُّ الرَّحيمُ العادلُ
 من ذاق من مرَّ المعيشة ما يذوقُ العامِلُ
 الرأسماليون مركبهم يُعزِّبُ في بحارك
 فمتى تُغرِّقه وتأخذ من مظلالمهم بشارك

الملائكة تغني

« مقطوعة تابعة لقصيدة لينين »

والحبُّ لا مأوى له يُؤويه
جارت على السرُّ الذي تطويه
كُهان خلقك في صفوف طغاتهم
يَقْفُونَ للبسطاء بالمرصاد
محزنٌ صباح مساء لا معنى لها
إلا لجوءُ النَّاسِ للإلحاد
والأغنياء من الرِّفاه سُكاري
عوزاً ، وعبدٌ يُطعمُ الأقماراً
طمع تاجج في النفوس وقيدُهُ
هذي عطاياها ، وتلك عبيدُهُ
والحبُّ من ألم الشقاء يصيحُ
يأسو جراح البائسين جريحُ
والحبُّ جوهره حياة الذاتِ
في الغمد بين الذُّلِّ والأهاتِ

والفكرُ حرٌّ لا يُردُّ جماحُهُ
رباه ! لوحثك التي لم تكتملُ
كُهان خلقك في صفوف طغاتهم
يَقْفُونَ للبسطاء بالمرصاد
محزنٌ صباح مساء لا معنى لها
إلا لجوءُ النَّاسِ للإلحاد
والأغنياء من الرِّفاه سُكاري
عوزاً ، وعبدٌ يُطعمُ الأقماراً
طمع تاجج في النفوس وقيدُهُ
هذي عطاياها ، وتلك عبيدُهُ
والحبُّ من ألم الشقاء يصيحُ
يأسو جراح البائسين جريحُ
والحبُّ جوهره حياة الذاتِ
في الغمد بين الذُّلِّ والأهاتِ

« أوامر الله للملائكة »

قوموا إلى كوني الغريبي وأطلقوا فقراءه فيه على الأمراء
أيذلون مساجدي بقصورهم جوراً على خلقي وهم أجرائي

وأرى جمالاً في بهاء أن تُرى في سجدة للقوة الأفلاك
ولنغمة من دون نارٍ تفخة ما الحسن إلا بالجلال يُحاك
لا أرتضي ناراً لجزء ولم تكن ومُـاجـةً ولهيها دراك

المصوّر (١)

قلد الغرب فنٌ عجم وهند عمٌ هذي البلاد موت الخيال
شقني الغم أن بهزاد عصري يُفقد الشرق بهجة الأزال^(٢)
يا خبيراً بفنّه فيه تئت صنعة العصر والعصور الخوالي
كم ترى من خليقة وتربها أرى الذات فوق هذي المجالي

الغناء الحلال (٣)

تفتح القلب نغمة من غناء أي فتح والقلب رهن هُمود ؟
في صدور الأفلاك لحنٌ خفي صاهرٌ حرّه نجوم الوجود

- (١) يرى الشاعر أن المصوّر وكلّ ذي فنٍ ينبغي أن يُظهر ذاته فيما يصوّر لا أن يحاكي الطبيعة ، وأن المحاكاة موت .
- (٢) بهزاد : مصوّر فارسيّ مشهور نبغ أيام الدولة الصفوية ، والشاعر يفتنم لأن بهزاد عصره يقلد الغرب ، فيفقد الشرق البهجة القديمة .
- (٣) يرى الشاعر أن الغناء وكلّ لحنٍ يحلّ إن كان فيه قوة الذات وحرقة الحياة ، ويحرم إن أضعف الذات ، ولم يقبس من الحياة ناراً . الغناء يفتح القلب فكيف يفتحها إن أماته ؟ وفي الأفلاك ألحان طبيعية تذيب النجوم ، وتبرئ الإنسان من الخوف والغم ، وترفع النفس من العبودية إلى السيادة . . إلخ . والنغمة الحبة التي يُحلّها فقهاء الذات لا تزال تنتظر مطرباً يعلنها .

في أرض فلسطين

تحركت السيارات التي كانت تقل ضيوف المؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس عام ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) ، ودخلت في الفضاء الواسع ، وطلعت الشمس ، وأرسلت خيوطها الذهبية ، كأنها جداول نور نبعت من عين الشمس ، ولم يزل الشروق مصدر سرور وإلهام للشعراء ، يجدون فيه الحياة للقلب والنشاط للفكر ، والتقى جمال المكان بجمال الزمان ، فأثار ذلك الشاعرية في الشاعر العظيم والفيلسوف الكبير الدكتور محمد إقبال ، الذي جاء من أوربة يمثل الهند الإسلامية في المؤتمر الإسلامي ، وبدأ يتمتع بهذا المنظر الخلاب ، ويسخو بنظراته - التي يحتفظ بها الشعراء - في سبيل القلب ، فكل نظرة تضيع في جمال الطبيعة ترجع إلى القلب بالربح العظيم ، لأنها تشحن « بطاريته » بالنور الجديد ، والقوة الجديدة .

هذا وقد تهيأ الجو ، وتوفرت الأسباب لإمتاع الشاعر العظيم وإثارة قريحته ، فقد غطت الجو سحائب ذات الألوان ، واكتست جبال فلسطين بطيلسان جميل زاهي اللون ، وهبّ النسيم عليلًا بليلاً ، وهفت أوراق النخيل مصفولةً مغسولةً بأمطار الليل ، وأصبحت الرمال في نعومتها وصفائها حريراً .

ورأى الشاعر العظيم آثار نيران انطفأت قريباً ، وأثافي^(١) متشورة هنا وهناك ، وبقايا من خيام وأخبية ، ضربت في هذه الصحراء بالأمس القريب ، وتخبر بالقوافل التي أقامت ثم ظعنت .

وطاب المكان والزمان للشاعر ، وسمع كأن منادياً من السماء يحثه على أن

(١) الأثافي : الحجارة التي توضع عليها القدور .

حرك هذا المنظر البديع في هذا المكان الرفيع ، الذي أكرمه الله بجمال الطبيعة والرسالات السماوية ، عواطف الشاعر وهاجت قريحته ، وتحرك الحب الدفين ، ومن شأن هذه المناظر أن تثير الدفائن ، وتظهر الكوامن ، فيتذكر الإنسان أحب شيء إليه ، فيحن إليه ، ويتمثله ، ويتغنى به ، وقد حلَّ « الإسلام » ، وحلت الأمة الإسلامية في قلبه محلَّ الحبيب الأثير ، وسيطر حبه على مشاعره ، فما كان من الشاعر المؤمن إلا أنه تذكر حبيبه وتغنى بجماله ومحاسنه ، وركز آماله وأحلامه عليه ، وقال بلسان الشاعر العربي البليغ :

ولما نزلنا منزلاً طلَّه الندى أنيقاً ، وبستاناً من النور حالياً
أجدُّ لنا طيبُ المكان وحسنه منىً ، فتمنينا ، فكنت الأمانيا
وثارت فيه العواطف والخواطر ، ورأى أنَّ ركب الحياة بطيء لا يسايره في أفكاره الجديدة ، وخواطره الوليدة ، ورأى أنَّ العالم عتيق شائب ، وفكره « الإسلامي » جديد فتى ، ورأى أنَّ العالم قد تجددت فيه أصنام وأوثان ، وبنيت هياكل جديدة يعبد فيها صنم القومية ، والوطنية ، واللون ، والجنس ، والنفس ، والشهوات .

وقد تسربت هذه الوثنية إلى العالم الإسلامي والعربي ، أفليس العالم في حاجة إلى ثورة إبراهيمية جديدة ، إلى كاسر أصنام يدخل في هذا الهيكل فيجعل هذه الأصنام جزاًذاً ؟

وسرح طرفه في العالم الإسلامي ، فوجد إفلاساً محزناً في العقل والعاطفة ، رأى العربي قد ضعف في إيمانه وعقيدته ، وفي لوعته وعاطفته ، ورأى العالم العجمي قد فقد العمق والسعة في التفكير ، ورأى أنَّ النظام المادي ، والحكم الجائر المستبد ينتظر ثائراً جباراً جديداً ، يفضب للحق ،

(١) الوصف للمكان والمنظر لإقبال ، نقلناه إلى العربية في لفظنا .

ويثور كالليث ، ويمثل الحسين بن علي في حميته وفروسيته .

ورجا العالم الإسلامي أن يطلع هذا الثائر من ناحية بلد عربي ، ويفاجيء العالم بصراحته وشجاعته ، وتطلع العالم إلى الحجاز - معقل الإسلام وعرين الأسود - فما كان منه إسعاف وإنجاز ، ولم تتجدد معركة كربلاء على ضفاف دجلة والفرات ، مع شدة حاجة الإنسانية إلى ذلك ، ورغم شدة حنين العالم الإسلامي إلى بطله الجديد .

وهناك شعر محمد إقبال أنَّ السبب في هذا التحول العظيم ، هو ضعف العالم الإسلامي في العاطفة والحب ، الذي هو مصدر الثورات والبطولات ، فانطلق يشيد بفضل الحب وتأثيره ، ويقول :

« لا بدُّ أن يعيش العقل والعلم في حضانة الحب » وإشرافه وتوجيهه ، ولا بد أن تسند الدين وتغذيه عاطفة قوية ، وحب منبعه القلب المؤمن الحنون ، فإذا تجرَّد الدين عن العاطفة والحب أصبح مجموعة من طقوس ، وأوضاع ، وأحكام لا حياة فيها ولا روح ، ولا حماسة فيها ولا قوة ، هذا الحب الذي صنع المعجزات ، هو الذي ظهر في صدق الخليل وصبر الحسين ، وهو الذي تجلّى في معركة بدر وحنين » .

وهنا يُقبل الشاعر الكبير على « المسلم » الذي دائماً يستهين بقيمته ، ويجهل مكانته وشخصيته ، فيقول : « إنك غاية وجود هذا الكون ، ولأجلك خلق الله هذا العالم ، وأبرزه إلى الوجود ، وأنت البغية المنشودة ، التي هام في سبيلها الهائمون ، وحار في الوصول إليها الباحثون » .

ثم يستعرض العالم الإسلامي - وقد عرف شرقه وغربه وعربيّه وعجميه - فيحزنه قصر النظر ، وقلة الذوق في رجال العلم والثقافة ، وسقوط الهمة ، وقلة البضاعة^(١) في رجال الدين ، ويرى أن المراكز العلمية والدينية - بمعناها

(١) المراد منها البضاعة العلمية والدينية وما همّ بصدوره .

الواسع - محرومة من عمق الفكر ، وسلامة الذوق ، والنشاط العقلي «
والطموح الذي كان سمة هذه المراكز التي تتزعم العالم الإسلامي ، وتقود
الأجيال البشرية ، ويقول : « إني هائم في شعري وراء الشعلة التي ملأت العالم
أس نوراً وحرارة ، وقد قضيت حياتي في البحث عن تلك الأمجاد التي مضت ،
وأولئك الأبطال الذين رحلوا وغابوا في غياهب الماضي ، إن شعري يوقظ
العقول ، ويهز النفوس ، ويربي الآمال في الصدر ، ولا عجب إذا كان شعري
يملأ القلوب حماسة وإيماناً ، وكان وقعه في النفس كبيراً وعميقاً ، فقد سالت في
شعري دموعي ودمائي ، وفاضت فيه مهبتي ودعائي ألا يخفف الله من هذا
الجوى ، بل أسأل الله المزيد والجديد » .

ثم يقبل في شعره إلى الله ، ويذكر كيف أحاطت تجلياته بالوجود ، كيف
صغر هذا الكون الواسع ، وكأنه ذرة حقيرة أو قطرة صغيرة في جنب هذه السعة
التي لا نهاية لها ، وكيف أشرق نوره على ذرة فكانت شمساً بازغة ، وكيف
تجلى بالجلال فكان في الأرض ملوك كبار ساقوا الأمم وحكموا العالم ، وكيف
تجلى بالجمال فكان زهاد وعباد ، زهدوا في متاع الدنيا ورفقوا بخلق الله
ويقول : « إن الحنين إليك هو حادي الروح ورائد القلب ، وهو الذي يضيء
على صلاتي ، وعبادتي حياة روحانية ، فإذا تجردت صلاتي من هذا الحنين لم أر
أنها تقربني إليك ، لقد وجد عندك العقل والعاطفة ما يعوزهما وما يحتاجان
إليه ، فأصبح العقل - بعد توفيقك - يغيب أحياناً ، ويهيم في البحث بعد ما كان
قد ركذ ، واقتصر على الدراسة والتفكير ، ووثق بنفسه ، وعرفت العاطفة
الحضور والاضطراب » ، ويناجي ربه ويقول : « إن الشمس لم تستطع أن تنير
هذا العالم المظلم ، وقد آن أن تشرق الأرض بنور ربها ، ويعيش العالم من
جديد » .

ويعترف أمام الله بأنه لم يكن سعيداً في دراساته العلمية الطويلة الواسعة ،
وأنه قد اتضح له أخيراً أن المعلومات لا تعطي الثمرات ، وليس كلُّ من درس

علم النخيل تمتع بالرطب ، ويذكر الصراع بين العقل والعاطفة ، والمصلحة والإيمان ، ذلك الصراع الذي لم يزل ولا يزال قائماً حامياً ، ويذكر معركة قامت في فجر التاريخ الإسلامي بين المادة والإيمان ، حمل لواء المادة فيها أبو لهب وأضرابه ، ورفع راية الإيمان فيها محمد ﷺ وأصحابه ، ولكل حلفاء ، ولكل معسكر^(١) .

فليُنظر العالم العربي إلى أي معسكر ينضم ؟ إلى معسكر المادة والمعدة ، أم إلى معسكر الإيمان والإخلاص ، وإلى أي راية ينضوي ؟ إلى الراية الجاهلية التي قاتل تحتها أبو جهل وأبو لهب ، أم إلى الراية المحمدية التي التفت حولها أبو بكر وعمر^(٢) .

في أرض « فلسطين »

كُتبت أكثر هذه الأبيات في فلسطين حين زيارة إقبال لها عام ١٩٣١ للاشتراك في المؤتمر العالمي الإسلامي .

من الفقر أن تأني وفاضك فارغاً وقد طُفَّت في تلك الرياض جميعها^(٣)
« سعدي »

نزلت بريّة الوادي بذِي سلم والشمس ترتع بين البّان والعَلَم

(١) من « بال جبريل » (جناح جبريل) قصيدة « ذوق وشوق » .

(٢) من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي .

(٣) البيت في الأصل :

« ما أفقر من يطوف في كل هذه البساتين ذاهباً لزيارة الأصدقاء ويداه فارغتان » .

وقد ترجمه الفراتي :

واحسرتنا قد عدت فساغ اليد من تحف الدنيا لهذه البلد

انظر البستان (١ : ١٦) .

وفاخ ریح صباح من مواجدها
 بنظرة لجمال الوادي واحدة
 وللمساء سحاب من غلائلها
 ألقت براقع مجلاها على إضم
 نقيّة الخدّ سعف النخل مشرقة
 والرمل كالخزفي في أرجاء كاظمة
 هنا بقيّة أطلال ، هنا لهب
 كم خلف ليلي ركاب من هنا عبرت
 هم أقاموا سكارى هاهنا زمناً
 يرى هنا من نأث عنه أحبّه

(٢)

خمر الحياة كمثل السم عاقبة
 صباح وجع جديد لا يقيم له
 أما لمعتريك الأيـام من طمع
 عباد (سومنات) تخشى أن يحرقها
 لا في لهيب تراث العرب من رصيد
 هل في الحجاز حين من بني مضر
 ألا يهيم على وجه الفرات لهم
 أحسن دجلة لم يفتن سرائرهم
 أما لهم من بقايا الحب باقية
 استغفر الله هل للدين من قيم
 بالحب قدّم إبراهيم واحده
 فسل حنيناً وبدراً عن حروبهما

عندي ، ومن ذا الذي يضيء إلى كلمي
 وزناً زمان تعاطى سكرة القدم
 بغزنويّ جديد غير منهزم
 أمام (سومنات) مبعوث من الحرم
 يُرجى ، ولا في غناء الفرس من نغم
 وهل هنالك محمود من العجم
 قلب ، ولم يلقه خالٍ ولم يهيم
 وحسن دجلة في محرابهم صنمي
 وهم سلاله أهل الحب والتيم
 بغير حب وهل للشعب من قيم
 وابن الحسين على كف الحسين رمي
 كم ضجّ الحب فيهما من فؤاد كمي

في آية^(١) الخلق أنت الرؤ لا أحد
لأجل معنك ما تلقى وما لقيت
ولو تجليت ما أبيت من عصم
قوافل القوم في الوديان والأكم

رهباننا انقطعت عنا بأديرة
لا يرتضي القوم عن حاناتهم بدلاً
وكل منقطع في الدير عنك عمي
بالرغم من أن ساقى الناشئين ظمي

أنا - وفي غزلياتي التي اشتهرت
حكاياتي البحث عن قوم هنا عُدِمَتْ
بصيص نار ذكّت من صالف القدم -
أخبارهم وهنا سادوا على الأمم

للشوك كالورد حظ من نسائمكم
أنا أعيب على ورد بلا جذل
ونسمة الصبح للريحان والسلم
كما أعيب على شوك بلا ألم

هذا الغناء الذي ماج الرجاء به
كما تسيل دماء العازفين على
تسيل أنفاسه من مُهَجَّتِي ودمي
أوتارهم وتروى من أكفهم

فلا تدع لهياج القلب فرصته
أرجو جدائل هذا الشعر تنصفتني
فإن ذلك يعني فرصة العدم
بموجة من معاني هذه اللصم

(٤)

اللوح أنت وما في اللوح من قدر
وكل ما فيه من سطر ومن كلم

(١) يبدو أن إقبالاً في المقاطع الثلاثة اللاحقة يخاطب الله عز وجل ومع ذلك فإن هذا التأويل غير مؤكد .

ويرى تشيشتي أن الحبيب هنا وفيما بعد هو النبي ﷺ .

لو تنطق القبة الزرقاء ما كذبت بأنها ذرة في بحرك العرم

لك الجلال الذي لم تبق روعته لولا جمالك ما ذاق الجيد نوى
نذاك لا تعرف الأنساب نفحته يا من غمرت جميع الناس بالكرم
إن لم تكن نصب عيني في الصلاة فلا قامت على الزور في محرابها قدمي

مذاهب الفكر من بحث الغياب وهت ومشهد الحب من وثب الحضور دمي
بالرغم من ثورة للشمس ساطعة ما زالت الأرض في بحر من الظلم

(٥)

أنا - وتعرف أيامي التي سلفت وما تحملت من كذي ومن سامي -
ما كنت أعرف أن العلم مضيعة وأنه سبب الأطماع والنهم

هزرت كل نخيل الفكر ما سقطت علي غير عراجين من الهرم
لقد نطق وجداني الذي عصفت به مقالات موتور ومُنْتَقِم

الفكر من حيث تأتبه أبولهب وكله كله مكر من الأمم
والحب حيث يكون المصطفى يده وكله كله من مقلتيه نبي

أخذت عنه فنون الحب فاغنموا مذاهب الحب في شعري وفي حكمي

نَهَايَةُ الْحُبِّ أَحْلَى مِنْ بَدَايَتِهِ وَرَيْمًا صَنَعْتَ الْأَجْسَامَ بِالسَّقَمِ

وَلَيْسَ أَغْرَبُ مِنْهُ عِنْدَ مُبْتَدَأٍ وَلَيْسَ أَعْجَبُ مِنْهُ عِنْدَ مُخْتَمٍ
إِذَا رَمَاكَ فَمَا لِلْقَلْبِ مِنْ حَيْلٍ وَإِنْ جُرِحْتَ فَجَرِحْ غَيْرُ مَلْتَمِ

يَا سَائِلِي عَنْ فِرَاقِي بَعْدَ لَيْلَتِنَا وَعَنْ حَظْوِظِي مِنَ الْبُلُوِّ وَعَنْ قِسْمِي
فِرَاقِهِ رَغْبَةً فِي الْقَلْبِ مُحَرَقَةً وَصِرْخَةً مِنْ صُرَاخِ الْفَجْرِ مَلءُ فَمِي
أَهْلُ الْوِصَالِ لَهُمْ قَلْبٌ بِلَا طَلَبٍ وَائِيْ مَعْنَى لِقَائِهِ غَيْرُ مُضْطَرَمٍ
وَهَلْ لِقَطْرَةٍ مَاءٍ مَجْدٌ تَسْمِيَةٌ إِلَّا إِذَا نُبِذْتُ مِنْ عَجْمَةِ الدَّيَمِ

حَاوَلْتُ لَمَّا تَجَلَّى أَنْ أَشَاهِدَهُ وَسَوَّلْتُ لِي نَفْسِي فَتَكَّةَ الْحُرَمِ
بِالزَّغَمِ مِنْ أَنْ طَرَفِي فِي الْهَوَى وَقَعَ أَغْضَيْتُ لَمَّا تَجَلَّى خَشْيَةَ الدَّهَمِ

الفراشة واليراعة

قَالَ الْفَرَّاشُ لِنَفْسِهِ لَمَّا رَأَى رَقَصَ الْيَرَاعُ عَلَى الْمِدَادِ الْأَسْوَدِ
كَمْ فِي حَيَاتِكَ مِنْ غَيْبٍ أَحْمَقٍ مَا ذَاقَ تَصْلِيَةً بِنَارِ الْمَوْقِدِ
سَمِعَ الْيَرَاعُ كَلَامَهُ فَأَجَابَهُ حَاشَا لَأَمْثَالِي بِمِثْلِكَ تَقْنَدِي
حَمْدًا لِرَبِّي مَا خُلِقْتُ فَرَّاشَةً بِجَنَاحِهَا وَسَمُّ الْعَبِيدِ الرُّقْدِ
أَنَا لَسْتُ أَسْتَجِدِي سِوَايَ تَسْوَلًا أَنَا فِي فَوَادِي جُذُوتِي وَتَوَقُّدِي

وصية « إقبال » لولده « جاويد »

باقٍ يذلُّ على خلود حياته
إلا تصليته بشعلة ذاتهِ
ملكاً لهذي الأرض قولُ نبيه
ومن التالُّق ألفُ نوعٍ فيه
مهما استطالت في السماء قواه
أبناءً سيَّده الذي رباه
ما في زمانك من يَصُونُ حياة
ويقولُ لي جاويدُ يذلُّ ماءهُ
لنقاء فكرته ويخضبُ فؤاده
بوصيتي هذي جميعَ بلاده

أبني ! لحنُ الذات في أعماقنا
أبني ! ليلُ الشعب ليس يضيئه
أبني ! قولك : كان آدمُ جدُّنا
فيه من الإيمان ألفُ حقيقة
أبني ! لن يصل الغرابُ لعشنا
هذي الشواهيْن التي يلهو بها
أبني ! صان الله وجهك عالياً
إيَّاك أن يأتي لقبري زائرُ
إقبالُ ما رضي التركُّبَ سيرة
أبني ! ليس بُني إلا مَنْ روى



تسول

إنما السلطان شحاذٌ جَلِفَ
طمعاً في ذلك التاج الصِّلِفِ
يرتدي في القصر ثوباً من ذهبٍ
وعليها من دم الناس حَبَبِ
بقرارٍ مُجحفٍ إثرَ قرارٍ
مثل مَنْ يَشْرِقُ في وَضَحِ النهارِ
شَحَذُوا منها طعاماً للدَّجَاجِ
إنما الشحاذُ من سنِّ الخراجِ

صاح في الحانة سَكْبَرٌ ظريفُ
إيَّكم يخرجُ عن برزته
إيَّكم يَضْبَحُ عُريانَ لِكَيِ
كأُمِّه حمراءُ في لون الشَّقِيقِ
كلُّ ما في قصره جَمْعُهُ
ليس مَنْ يَشْرِقُ في جَنَحِ الدُّجَى
كَمْ بِذاكَ الحَقْلِ من فلاحٍ
بَلَّغُوهم أنني قلتُ لكم



المُلاّ والفردوس

أنا أيضاً كنتُ لكم من ما تحمّلتُ الشُّكوت
 كنتُ من شِدَّةِ غيظي أتمنّى أن أموت
 كنتُ إذ بثّرت الحَبَّابُ بالفردوسِ (مُلاّ)
 فتقدّمتُ أنادي : عفوكم اللهمّ كلّاً
 ليس للمُلاّ اهتمامٌ بمغفانيك وحمورك
 هو سكرانٌ ، نعم سكران ، من غير خمورك
 ما درى من لُجّة الذّوق سوى قيل وقال
 يختَبُ الدّينَ الذي أتزلت تاريخ جَدال
 أنا لا أرضى لنفسي أن أرى عبيدي جناناً
 كيف ترضاهُ زعيماً وهو لا يُخسِنُ شأننا
 لم يُعدْ ياباً إنسانٌ بملاك المنقَر
 فإذا ما جاء يوماً قيل قد جاء المكفّر
 لا يرى في خَلْقِكَ المسكينَ إلّاهُ مُطيعاً
 كيف ترضى عن غيبي كَفَر الناسَ جميعاً
 ليس في الفردوس ذكرٌ لكهموفٍ وصوامع
 إنّما الفردوسُ فيضُ الحبِّ من صَدْرِ الجوامع

الدّينُ والسّياسة

عندي لرهينة الكنائس طُرْفَةٌ فهلّمّ نضحك للحياة قليلاً
 بُنيت لأعداء الملوك وأصبحتُ للطامعين من الملوك سبيلاً

رَأْسُ الْكَنِيسَةِ فِي الْوَدَاعَةِ غَارِقٌ
تَنْوِي الْمَضِيِّ فَيَسْتَبْدُ أَمَامَهَا
هَذَا التَّنَاقُضُ كَيْفَ أَمَكْنَ دَمْجُهُ
مَا لِلْقُصُورِ وَلِلْكَتَائِسِ حِيلَةٌ
فَصَلُّوا عَنِ الَّذِينَ السِّيَاسَةَ بَعْدَمَا
وَتَطَاوَلَ الْبَابَا فَقِيلَ لَهُ : اسْتَخِرْ
وَتَلَفَّتِ الشَّعْبُ الْجَرِيحُ فَلَمْ يَجِدْ
كَانَتْ مَصَالِحَ رَاهِبٍ وَمَتَوَّجٍ
تَسْوِيَةً لَمْ تُبْقِ دَرِيًّا صَاحِبًا
هِيَ فِي الْيَسَارِ وَفِي الْيَمِينِ مَقِيمَةٌ
هِيَ لَعْنَةُ الدُّنْيَا كَمَا أَفْضَى لَنَا
لَنْ نَعْرِفَ النَّاسُ السَّلَامَةَ سَاعَةً
أَبْدًا مَرْقَعَةُ الْجُنَيْدِ لِيُؤْخِذَهَا
إِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ أَرْدَشِيرُ صِرَاحَةً



الأرض لله (١)

مِنْ ظِلْمَةِ الطَّيْنِ رَبُّ الْحَبِّ وَالطَّيْنِ
إِلَى السَّمَوَاتِ سُلْطَانُ السَّلَاطِينِ
فَيَطْلُقُ الزَّهْرَ أَنْغَامَ الْبَاتِينَ
وَاللَّيْثِي نَسَبٌ مِنْ حَوْرِهِ الْعَيْنِ

الْحَبِّ ذُو الْقَصْفِ وَالزَّيْحَانِ يُنْبِتُهُ
وَالغَيْمُ مِنْ لُجَجِ الْأَسْوَاجِ يَرْفَعُهُ
يَسُوقُ لِلزَّهْرِ أَنْسَامًا تَهْجُجُهَا
لِلشَّمْسِ مِنْ نُورِهِ طُوقٌ يَزِينُهَا

(١) العنوان مقتبس من قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٨] .

فقل لصاحب تاج يدّعيه له أفق فإنك مسكين المساكين
مالي ومالك من هذا الثراب سوى ضجيج حين نولي عنه في حين
الأرض لله يعطيها أحبّه والحب عاقبة الغر الميامين

رسالة إلى شاب

سجّادك العجيمى هذا والأثبات الإنكليزي
ماذا يفيدك يا عزيزي !
ماذا تفيدك ثروة حصّلتها في مثل أبهة الملوك بذلتها
أبكي لأجلك يا عزيزي !
هل دقت يوماً غبطة الإيمان أو بأس حيدر أو رضا سلمان
ارحم شبابك يا عزيزي !
سلح الحضارة لا تقاس بذاتك أنظنها ثمناً لكل حياتك
أخطأت جداً يا عزيزي !
المؤمن الصديق سيّد ساعته ورقى عالمه رقى قناعته
فاعرف مكانك يا عزيزي !
لو دبّ روح النسر في قلب الشباب لم يبحثوا عن سرهم بين الثراب
إياك تياس يا عزيزي !
باليأس معرفة الفتى تغتاله وبصيرته والمؤمن الصديق برهانه
فاربأ بنفسك يا عزيزي !
يا أيها الشاهين عشتك ليس في قصر الملوك لو كنت شاهين الجبال حقيقة ما أمسكوك
فارجع لعشتك يا عزيزي !

أنت في العجوة كما شئت تجوز
من شبابي فاغتنم هذي الرموز
قيمة الشاهين في أخلاقه
دمه الشخصي في أعماقه
لا تضيغه سدى هذا الكلام
حين تنقض على فرخ الحمام
فرحة المنقضى من أفق السماء
فرخ ، حتى ولا سفك الدماء !

قال للباز الفتى نسر عجز
لي رموز كنت قد حصلتها
لا تقل أصلي وفصلي أبدا
إنما الشاهين من يخرقه
قوة التدريب روح الشؤدد
سترى قيمته يا ولدي !
ما أريتا فرحة أمتع من
فرخ والله لا يعدله

شقائق النعمان في الغاب^(١)

والذير من أهل الصبابة خال
تلك البراري من يرق لحالي

لمن السماء تزينت بلالي
أشقيقة النعمان هل تجددين في

(١) شقائق النعمان رمز العلمانية والمادية والعقلانية التي تنكر ما يقابلها كما يرى إقبال . وعلى العموم هي رمز لكل ما ليس لظاهرة معنى يجانسه ، فشقائق النعمان حمراء كالنار ، إلا أنها لا تحرق هي كالدّم إلا أنها تفتقر لحيويته فلذلك يبنّدها البستان على ضفافه .

قال إقبال في ديوان الأسرار والرموز (٦٩) في حديثه عن نار الشقائق : إن هذه النار الباردة تمحوها نار دموعي إلا أن إقبالا يعود فيقول : إن هذه الشقائق تحترق لأنها ضيعت معها .

ولهيب دائم دين الشقيق دمه من ذاك يسري في العروق إلا أنه ليس من السهل السيطرة على رموز إقبال التي تظهر أحيانا وكأنها زئبق لمعانيه ، وهي تتبادل الأدوار من أجل تحقيق هدف واحد .

هي رُغم ما تبدي رحابة صدرها
سافرت تائهة وتهت مسافراً
وعلام أيتها الشقيقة سيرنا
موسى غريب عن نوى وديانيا
سيناء أنتِ ونار واديهها أنا
من ذلك الغواص أخرج درنا
هل كان مخفياً فرام ظهوره
البحرُ تكشف ما يكابدُ فطره
شاهدت زوينة تنُّ لموجة
قالت : ألا تبكي لثورة موجة
أنعيقها تلك الرُّمال أمامها



والشمسُ تشهدُ لي بصدقِ مقالِي
لك يا بنَ آدم يا كبيرَ الآلِ

آلامُ آدمَ شمسُ كلِّ حقيقةٍ
هذا الوجودُ بصمته وحماسه



قطعة

رشيقة هيَّجت في الرُّوض شكواه
إن شاء مرَّقه أو شاء أبقاه
ولا يمزق ثوبي غير حُماة

إقبال غنى أمَّام الرُّوض أغنية
ما كنتُ كالزَّهر رهنُ الرِّيح عالمة
أمشي ويمشي جنوني في الطريقِ معي



كتاب السَّاقِي

(١)

تَشْرَ الرِّبَّيعَ عَلَى الْفَلَا يَدُهُ وَأَطْلَقَ عَسْكَرَهُ
وَتَحَوَّلَ الْوَادِي إِلَى حَانَ فَقَامَ وَأَسْكَرَهُ
الْوَرْدُ وَالْثَّرِيرِينَ يُنْسِكُ بِالْأَكْفِ وَالْقُدُودَ
فِي صَبْغَةِ الْوَانِهَا مِنْ كُلِّ مَا خَلَعَ الْوَجُودَ
وَشَقَائِقُ الثُّعْمَانِ تَرْقُصُ فِي الْوِشَاحِ الْأَحْمَرِ
مَا بَيْنَ بَسْمَةِ أَبِيضٍ يَرْنُو وَغَمَزَةِ أَسْمَرِ
وَتَرَى السَّمَاءَ مِنَ الثَّرُورِ تَكَادُ تَسْقُطُ فِي الْفِجَاجِ
وَنَدَى النِّسِيمِ خِلَالِ رُزْقَتِهَا تَكْشُرُ كَالرُّجَاجِ
وَتَدْفُقُ الدَّمَ فِي الْحَجَرِ وَمَضَى يَكَابِدُ مَا هَجَرَ
وَالْقُبُورَاتُ تَرْكُنُ فِي الْأَعْشَاشِ أَغْلَالَ الشَّجَرِ

أَوْ لَهَذَا الْجَدُولِ الْمُحْزُونِ يَقْفِرُ فِي الْوَهَادِ
لَا يَشْتَكِي ضَيْقَ الْحَيَاةِ وَلَا يَمَلُّ مِنَ الْجَهَادِ
يَسَابُ ، يَرْقُدُ ، يَسْتَقِرُّ ، يَهِيْجُ ، يَضْحَكُ ، يَلْتَوِي
يُرْوِي الْجُلُوسَ عَلَى الضُّفَافِ وَبِالْتَمَرُوقِ يَرْتَوِي
وَإِذَا تَجَمَّعَتِ الصُّخُورُ عَلَيْهِ شَتَّتْ حَزْبَهَا
وَاخْتَارَ مِنْ ثَغَرَاتِهَا دَرِيًّا وَمَرَّقَ قَلْبَهَا
يَا أَيُّهَا السَّاقِي فَهَاتِ مِنَ الْكُؤُوسِ مِنَ الدُّنَانِ
لَا تُخْنِ الْقَلْبَ الْجَرِيحَ وَأَنْتَ أَجْدَرُ بِالْحَنَانِ

هذي الشقائق جوقه بالسر تزقصر في الطريق
دعني أبعد خمرتي أسفاً على الكأس العتيق
مبا كل ما دار السقاء به تدور به القلوب
أنا أطلب الخمر التي كانت تُشق لها الجيوب
كانت تفيض كآبة كالورد يذبل في الخدود
فتر إشكالاتنا وتذيع أسرار الخلود
أيتها الشاقي هتاك الأسرار
عمرنا الباقي جلوة الأسرار
للذة التلحين ليس في الأوتار
يضرع الشاهين أصغر الأسرار

(٢)

بذلت أنعام الزمان ونوطة العزف البليد
وتدأخلت آلاته وتمرد النغم الجديد
فرح للفرح الإنكليز وللسدي عري غرورة
ولأن ذات السر يغكس من زجاج الضيق نورة
هوذا على مرأى ومنع الكون يزقصر في المرايا
ويجيش في (آلوند) يلمع في رؤوس الهيملايا
فرح لأن الأرض تلفظ كل سلطان مهيمن
وتعلم الشغب المكبل كيف يأخذ باليمين
فرح لأن الراسمال ينال منه جنون طوره
ولأنه كالساحر المفضوح بعد أداء دوره

لَمْ يَبْقَ إِلَّا الرُّوحُ تِلْكَ وَذَلِكَ الشَّعْبُ الْعِزَّةُ
نَزَلَتْ عَلَى سِينَاءَ صَعَقْتُهَا فَلَمَلَمَهَا حَرًّا
مَا مَسْلَمًا مَنْ يَسْأَلُ التَّوْحِيدَ يَضُقُّ فَأَسَّه
لِيُحَطِّبَهُمَ الْأَصْنَافَ أَجْمَعَهَا وَيَتَرَكُ نَفْسَهُ
نَفْسًا أَقْسَمَ لِأَجْلِهَا مَا شَاءَ مِنْ أَصْنَافِهِ
وَيَرْيِيذُهَا صَنِمًا يَرِافِقُهُ إِلَى إِسْلَامِهِ
هَذَا هُوَ الصَّنَمُ الَّذِي شَيْطَانُهُ عَقْلُ الْعَلِيمِ
خُذَائِقُهُ أَهْلُ الطَّرِيقِ كِتَابُهُ الْعِلْمُ الْأَلِيمُ
أَسْفَا لِحَقِّ يَتَرَكُ الطَّاغُوتَ يُوَدِّعُهُ صَرُوحَهُ
وَيَرَى الْفَقِيرَ يَكَادُ يَلْفِظُ فِي خِصَمِّ الْجَهْلِ رُوحَهُ
كَلِمَاتُهُ هَذَا الْمُبَشِّرُ تَجْذِبُ الْقُلُوبَ الْغَرِيرَ
لِكَنْ ذَوْقُ الْحَبِّ يَنْقُصُهَا وَيَنْقُصُهُ الْكَثِيرُ
وَلَهُ مَوَاعِظُ يُنْظَمُهَا بِدَقَّةٍ مُنْطَقَةٍ
لَكِنَّهَا سَرْعَانِ مَا تَخْفَى بِعُقْدَةِ رُوتِقَةٍ
حَتَّى الْمَرِيدُ فَرَادُهُ بَقِيَّةُ سُبْحَتِهِ أَسِيرُ
حَبَّاتٍ فَخَّ أَوْقَعَتْهُ وَكَوَانِ شَاهِينَا يَطْلِيْزُ
هَذَا الْمَسَافِرُ كَيْفَ يَرْجِعُ مِنْ ظُنُونِ الْارْتِقَاءِ
هُوَ نَفْسُهُ مَا عَادَ يَعْرِفُ مَا الْفَنَاءُ وَمَا الْبَقَاءُ
خَمَلَتْ حَقِيقَتُهُ وَنَارُ الْحَبِّ نَامَتْ فِي فَرَادِهِ
فَإِذَا هُوَ الْمُتَحَرِّقُ الْمَجْنُونُ يَشَخَطُ فِي رَمَادِهِ

(٣)

قُلُوبُ الْقَوْمِ مَا عَرَفَتْ كُلُّدَّةُ خَمْرِكَ الْبَاقِي

(أَدْرَ كَأْساً وَنَاوِلَهَا أَلَا يَا أَيُّهَا الثَّاقِي (١)
 رَمَادِي ذُرُّ أَجْنَحِي بِبَابِ السَّرِّ تَكْتَضُ
 وَمَا مِنْ ذَرَّةٍ إِلَّا لَهَا مِنْ حِينَا حِظُّ
 بِوَدِّي أَنْ أَرَى شَيْخاً يَغْيِرُ وَضَعَنَا هَذَا
 يَوْمٌ وَيَجْمَعُ التَّلْمِيذَ لَلْأَسْتَبَازِ أَمْتَاذَا
 يَخَافُ الْبَازُ عَصْفُوراً يُقَلِّمُ ظُفْرَ مَخْلَبِهِ
 فَآتَ شَبَابَنَا نُوراً تَفِيضُ عَلَى الشُّيُوخِ بِهِ
 وَخَلَّصَهُمْ بِمَا تَخْتَارُ مِنْ قِبَلِ الْعَبِيدِ وَدَيْئِهِ
 وَلَوْ أَلْقَيْتَهُمْ حَطْباً بِنِيرَانِ الْوُجُودِ يَكْثُرُ
 تَصَرَّفَ بِالْجَنُونَ لَهُمْ وَفَجَّرَهُ بِهِمْ شُعْبَا
 فَلَيْسُوا شَعْبَةً مِنْهُ إِذَا لَمْ يَسْقُطُوا تَعْبَا
 شَبَابٌ لَا يَلِيْقُ بِهِمْ مِثَالُ الْجَمْرِ فِي ضَرْمَةٍ
 كَقَلْبِ الْمَرْتَضَى بِأَسَا وَكَالضُّدِّيقِ فِي كَرْمَةٍ
 بَظُلِّ جَمَالِكَ الرَّيَّانِ أَوْرَقَ شُعْبُنَا الْيَبْسُ
 وَلَمَّا أَنْ بَخَلَّتْ بِهِ تَوَقَّفَ ذَلِكَ النَّفْسُ
 أَسْهَمَكَ لَمْ يَعِدْ يَقْوَى عَلَى تَجْرِيعِ امْتَالِي
 أَمِ الرُّكْبُ الَّذِي تَرْمِيهِ أَصْبَحَ فَارِغَ الْبَالِ
 سَأَلْتُكَ هَذِهِ الْحَنَاءَ تُطْلِقُهَا مِنَ الْخَلْرِ
 لِيَعْرِفَ غُذَّلِي مَعْنَى لَهَيْبِ الْعِشْقِ فِي صَدْرِي
 بِشِعْرِي ضَعُ لَهُمْ شَرْكاً وَهَاتِ الْحَبَّ مِنْ سَلْبِي

(١) ذكر العلامة السوداني في شرحه التركي على ديوان حافظ أن هذا البيت الذي افتتح به حافظ ديوانه هو من قصيدة ليزيد بن معاوية وقد غاب بعض الشعراء على حافظ الشيرازي فعلته هذه .

انظر العقد الجوهري شرح ديوان الجزري ، ص ٣ .

وخلَّ حُسامَكَ الهنديَّ يجرُّ كُلَّ ذِي قَلْبٍ
مرادي رشفُ أَسْرَارٍ
وإلا قَلْبُكَ لِلطَّنْجَلِابِ
ركبنا البحرَ في فلكِ
فأجرى الرِّيحُ عاصفةً
ذوَتْ عَيْنَـايَ مَن أرقِ
وهذا الدَّمْعُ في عينيَّ



وَوَثْبِي في طُموحاتي
خشوعي في عذاباتي
الَّتِي أَمَحَوَ بِهَا ذَاتِي
ونوعُ طرقتي هـذي
ونفسي وهي مرآتي
وفكري وهو بُسْتَانُ
وجيشُ ظنونها العاتي
وحضنُ يقينها المُنْصِي
تَضِجُ بِهِ عَرَكَاتِي
وقلبي وهو ميدانُ
ودروشتي التي تبدو
وتمزجها بأهاتي
وسألتك أن تعفها
بموكبِ جيلنا الآتي
وتسقيها لقافتي

(٤)

وَبُةٌ بَعْدَ وَثْبَةٍ فِي الْحَيَاةِ
إِنَّهُ الْبَحْرُ دَائِمُ الْحَرَكَاتِ
وَاحِدًا فِي تَمَوُّجَاتِ الدَّوَاتِ
ذَاكَ بَحْرٌ مِنَ الْحَيَاةِ تَجَلَّى
وَالَّذِي يَحْتَوِي جَنُونَ الدُّخَانِ
اللَّهِيبُ الَّذِي تَأْجَّجَ فِينَا
وَهُوَ رَاضٍ عَنْ كُلِّ مَا يَصْنَعَانِ
يَرْفُضُ الْمُكْتَبَ بَيْنَ مَاءٍ وَطِينِ
إِنَّهُ قَاطِنٌ وَسَارٍ بِآنِ
مَا الَّذِي يَطْلُبُ اللَّهِيبُ بِهَذَا
حَذِرَ الْمَوْتِ فِي شَبَاكَ الْمَعَانِي
فِي فِرَارٍ إِلَى السَّمَاءِ تَرَاهُ

إِنَّهَا الْوَحْدَةُ الَّتِي كَبَّلَتْهَا
رُغْمَ كُلِّ التَّعَدُّدِ تَبْقَى
إِنَّ أَبْعَادَ مَعْبَدِ الْعَصْرِ هَذَا
وَلِسُومَنَّا كُلَّ عَصْرِ وَجُودٍ
نَحْنُ فِي ظِلِّهِ مَعاً وَاخْتِلَافِي
وَاللَّهِيبُ الَّذِي تَأْجَّجَ فِيْنَا
حَلَقَاتُ اللَّهِيبِ نَحْنُ وَلَكِنْ
فِي بَرُوقٍ وَفِي نَجُومٍ مُشْعٍ
فِي غِيَاظٍ وَفِي رِيَاظٍ مُقِيمٍ
لَا يَعْيبُ زَهْرَكَ الْمُفْتَحُ شُوكِي
لَيْتَ شِعْرِي يَفِيدُ كَيْدُكَ هَذَا؟
هُوَ ذَا يَنْسِفُ الْجِبَالَ بِحَزْمٍ
هُوَ حِيناً تَرَاهُ بَازِئاً وَحِيناً
وَهُوَ حِيناً حَمَامَةً دُونَ عُشٍّ

(٥)

الرَّاحَةُ الْكُبْرَى بِقَلْبِكَ وَالسَّكِينَةُ خُدْعَتَانِ
فَالْكُونُ ذَرَّاتٌ يَهْتَجُّهَا بِرَقِصَتِهِ الرُّمَانُ
وَقَوَافِلُ الْأَشْيَاءِ فِي الْأَفَاقِ تَضْرِبُ بِالْإِذْفُوفِ
وَتَرْوِحُ تُنْمَعُنُ فِي التَّجَلُّدِ لَا تَفْكُرُ بِالْوُقُوفِ
التَّيْرُ مَعْنَاهَا الْعَمِيْقُ بِهِ تَجُولُ بِهِ تَصُولُ
فَدَعِ الْوُصُولَ لِمَنْ يَرِيدُ فَلَيْسَ مَطْلَبُنَا الْوُصُولُ

(١) اهتم إقبال بنظريات « أنيشين » التي وضعت حداً للهندسة التقليدية (الأستاذ الملوحي
في ترجمته الشريفة) .

تَوَقُّ إِلَى الطَّيِّرَانِ يَتَرَكُ مَرَّهَا يَتَفَطَّرُ
وَتَحْسُنُ رَاحَةَ صَدْرِهَا فِي وَثْبَةٍ لَا تَقْطُرُ
وَتَجِلُّ ، تَعْقِدُ مَا تَجِلُّ ، تُقِيمُ تَهْدِيمُ مَا تُقِيمُ
فِرْدَوْسُهَا أَنْ تَسْتَمِرَّ وَرَوْحُهَا التَّيَرُ الْمُقِيمُ
وَإِذَا ابْتَدَاهَا الْمَوْتُ وَهُوَ النَّدْفُ فِي وَجْهِ الْحَيَاةِ
وَمِنَ الْعَسِيرِ كَفَاخُهُ تَمَضِي إِلَيْهِ فِي ثَبَاتٍ
وَيَذْوِقُهَا الثَّنَوِيَّ تَنْقَسِمُ اثْنَتَيْنِ إِلَى الشُّزَالِ
وَتَرْوَحُ تُخَشِّدُ فِي الشُّهُولِ تَعُودُ تُخَشِّدُ فِي الْجِبَالِ
كَالْفُصْنِ إِنْ جَرَّدَتْهُ مِنْ سَكْرَةِ الدُّنْيَا صَحَا
وَازْدَادَ فِي وَقْتِ السَّرَّيْنِ تَنْوُورًا وَتَفْطَحَا
لَا شَيْءَ أَسْرَعَ مِنْ تَذَارُكِهَا لَمَّا أَفْسَدَتْ مِنْهَا
الْوَقْتُ سَلْسَلَةً وَكُلُّ جَهَاتِهِ يَضْدُونُ عَنْهَا
شَفْتَانِ فِي فَمِهَا أَزَلُّ إِلَى أَبِي أَسَدٍ
الْوَقْتُ بَيْنَهُمَا كَالنَّفْسِ فِي الْجَسَدِ !

(٦)

مَوْجَةُ الْأَنْفَاسِ سَيْفٌ جَعَلَتْهُ السَّذَاتُ حَادًّا
طَلَبَتْ ذَاتُكَ شَيْئًا نَبْلُهُ يَضْعُوبٌ جِدًّا
هَذِهِ ذَاتُ شَرِيرٍ هَذِهِ ذَاتُ مُقِيمٍ
إِنَّهَا الْيَقْظَةُ وَالْعَزَلَةُ وَالسَّرُّ الْحَمِيمُ
إِنَّهَا السَّذَاتُ سَوَالٌ فِي طَرِيقِ الْمُسْتَدَلِّ
مَثَلُهَا الشُّوقُ إِلَى الْعُزْلَةِ فِي وَقْتِ التَّجَلِّيِ
إِنَّهُ الْبَحْرُ الَّذِي تَحْمِلُهُ قَطْرَةُ مَاءٍ
وَهِيَ فِي الظُّلْمَةِ وَالنُّورِ عَلَى حَذِّ سَوَاءٍ
وُلِدَتْ مِنْكَ وَمَنْعِي فَأَضَعْنَاهَا كَلَانَا

وَأَنَا أَزْهَقُ ظَنِّي
أَزْلِيَّاتِي وَرَائِي
وَأَنَا رُغْمَ غِيَّاتِي
إِنَّهَا الذَّاتُ الَّتِي تَمُخَّرُ فِي بَحْرِ الْحَيَاةِ
فَتُساغِغِي لَطِمَاتٍ وَتُقَاسِسِي لَطِمَاتٍ
عِنْدَمَا تَطْمَعُ أَنْ تَقْلِبَ آمَالَ الشُّبَّانِ
تَتَخَفِّي وَتُدِيرُ اللَّحْظَ مَنْ تَحْتَ النُّقَابِ
فَتَرَى الصَّخْرَ تَمْرَابِأً صَِيقاً مَقّاً تُدِيرُ
وَتَرَى الْعَالَمَ وَجْداً يَتَحَنَّنِي لَوْ يَطِيرُ
إِنَّهَا الْبَدْءُ جَمِيعاً إِنَّهَا ذَاكَ الْغُبَارِ
إِنَّهَا فِي الْبَدْرِ أَضْوَاءُ وَفِي الصَّخْرِ شَرَارِ
إِنَّهَا فِي ظُلُمَةِ النُّجُورِ إِذَا شَعَّ النُّهَارُ
مَا لَهَا أَعْلَى وَأَدْنَى مَا لَهَا جَارُ وَدَارُ
مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ لَمْ تَزَلْ جِلْفَ كَفَاحِ
أَحْرَقَتْ آدَمَ لَمَّا إِذَا آدَمُ لَحَبَنُ
وَإِذَا فِي بَوْبِ الْعَيْنِ انْطَبَاعَاتُ السَّمَاءِ
قَبْحُ السَّلَامَةِ أَنَّهَا فِي عَيْنِ صَاحِبِهَا قَذَى
وَالْعُنْفُ حَرْبُ الذَّاتِ فَالشَّرَفُ السَّرْفِيعُ أَوِ الْأَذَى
الذَّاتُ عِنْدَ تَجَاهِلِ الْأَهْوَاءِ مَرَهُمُهَا الْأَكِيدُ
وَتَجَاهُلُ الْأَهْوَاءِ دَرْبُ الذَّاتِ وَالْخَبْرُ الْوَحِيدُ
(محمود) تَرْفَعُ رَأْسَهُ ذَاتُ تَوَلُّفٍ جَنَدُهُ
و (إياز) عِنْدَ النَّاسِ مَلَأُ الْأَرْضَ مَمَّا عِنْدَهُ

لَمَّا أَرَادَ الْغَرَضِيُّ بِحَطِّهِمُ الصَّنَمِ الْكَيْسَ^(١)
 جَاؤُوا إِلَيْهِ بِكُلِّ أَصْنَافِ الْجَوَاهِرِ وَالْحَرِيرِ
 فَرَمَى بِمَا جَمَعُوهُ فِي بَحْرِ وَبِلَدَّةٍ جَمِيعَةً
 وَأَجْسَابَ جَثَتْ لِكُنْيِ أَحْطَمِهِ وَلَيْسَ لِكُنْيِ أَبِيقَةَ
 قَلَانَ أَسْمَى هَادِمَ الْأَصْنَامِ خَيْرٌ فِي السُّلُوكِ
 مِنْ أَنْ أَسْمَى بِأَنْعِ الْأَصْنَامِ مِنْ بَيْنِ الْمُلُوكِ
 لَيْسَ الشُّجُودُ تَهْدِيلُ الْكَتِفَيْنِ مِنْ قَرْطِ الْقُعُودِ
 مَا كَانَ يَغْنِي عَنْ سَجُودِ آخِرٍ فَهُوَ الشُّجُودُ
 مِنْ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ وَالْأَلْوَانِ عَالَمُنَا خَلِيطُ
 وَجَلُّ يَطَارِدُهُ الْفَنَاءُ مِنَ الْمُحِيطِ إِلَى الْمُحِيطِ
 أَصْنَافُ الْأَلْوَانِ وَأَصْوَاتُ تِلْمُ الْكُونِ لَمَّا
 أَسْفَأَ عَلَى سَمْعٍ وَعَيْنٍ أَلْفَا عُنْيَا وَضَمًّا
 الْأَمْرُ مَرَحَلَةٌ وَدَرْبُ الْذَاتِ تَذَخَّرُ بِالْمَرَا حِلِ
 مَا أَبْعَدَ الْجُزُرِ الَّتِي تَغْرِيكَ عَنْ تِلْكَ الشَّوَا حِلِ
 يَا أَنْتَ نَارُكَ لَمْ تَكُنْ مِنْ مَوْقِدٍ هَذَا لَهْيُهُ
 ضَاعَتْ شَرَارُتُكَ الَّتِي كَانَتْ بَنْظَرِهَا تَهْيُهُ



<p> عِبْدُكَ الْعَالَمُ فَاؤْمَرُ غَيْرِ الْمَوْقِفِ وَانْظُرْ امْضِ لَا تَرْكُنْ لَشَيْءٍ لَهْثَةً الرَّاكِنِ مِنْ ظَاهِرِ الْعَالَمِ سَحَرُ </p>	<p> فَهُوَ لَا يَهْرُبُ مِنْكَ إِنَّهُ يَضْدُرُّ عَنْكَ وَانْضُ عَنْ كَوْنِكَ هَوْلَةً سُرْعَةً مَا يَبْصُرُ حَوْلَةً وَعَصَا مُوسَى ثِبَاتُكَ </p>
--	---

(١) الأبيات ليست في الأصل وإنما هي توضيح لمراد إقبال بقوله : هتة محمود .

أَسَدُ اللَّهِ الَّذِي يَقْتَنِي صَالِحَ الْعَالَمِ ذَاتُكَ
 جَوْهَرُ الْكَسْبِ قَدِيمٌ فَكَرُّكَ الْكُشْفُ الْجَدِيدُ
 أَيْنَ كَفَّ تَنْظِيمُ الْجَوْهَرِ فِي سِلْكِ فَرِيدِ
 إِلَيْهَا الْمَسْلَمُ فَارْقُبْ نَظْرَةَ الدُّنْيَا إِلَيْكَ
 فِي مَلَأَ مِنْ رَجَاءٍ يُغْفِرُ الْعَزْمُ عَلَيْكَ
 إِنَّ لَلْإِمَادِ شَغْلًا حَوْلَ أَقْطَارِ الْوُجُودِ
 عِنْدَمَا تَكْشِفُ عَنْ ذَاتِكَ تُدْعَى لِلشُّجُودِ
 لَسْتُ فِيمَا قَلْتَهُ أَشْرَحُ لِلْعَالَمِ قَدْرَكَ
 فَأَنَا حَاوِلْتُ حَتَّى الْآنَ أَنْ تَفْتَحَ صَدْرَكَ
 مَرَّقَ الْكَلِمَةِ ضِيْقٌ عَنْ مَعَانٍ نَقْتِفُهَا
 نَحْنُ مَرَاةَ مَعَانٍ كَدَّرَ الْكَلِمَةَ فِيهَا
 زَفَرْتِي تُضْمِرُ صَدْرِي وَأَنَا بَيْنَ الشُّيُوفِ
 غَيْرَ أَنَّ الْقَوْلَ مِنْ خَشْيَتِهِ يَرْجُو الْوُقُوفِ
 أَنَا مِنْ كَثْرَةِ مَا حَلَّقْتُ أَلْهَيْتُ النَّوَاحِي
 فَلَوْ اجْتَزَتْ قَلِيلًا أَحْرَقَ الثُّورُ جَنَاحِي

الزَّمن

شُعْلَةُ الْعُمْرِ مِنْ لَهيبِ الثَّوَانِي
 غَذَّكَ الطَّعْمُ فِي جَبَالَةِ أَمْسٍ
 يَرْقُبُ النَّاسُ طَالِعًا ذَا خِيَالٍ
 وَأَنَا ذَلِكَ الْخِيَالُ وَلَكِنْ
 يَسْقُطُ الْعَالَمُ الْجَدِيدُ بِكَاسِي
 مَبْحُ الْقَوْمِ لَعِبَةً فِي يَدِيهِمْ
 أَشْعَلَتْهَا تَغْيُّرَاتُ الزَّمَانِ
 فَتَرَفَّقَ بِيَوْمِكَ الْمُتَغَانِي
 وَيَخْوضُونَ فِي جَمِيعِ الْأَمَانِي
 يَضْعُبُ الْيَوْمَ شَرْحُ تِلْكَ الْمَعَانِي
 قَطْرَةُ قَطْرَةٍ كَرَشِيعِ الدُّنْيَانِ
 أَنَا مُبْحَثِي لِيَالِي زَمَانِي

كُلَّ حَبَاتِهَا عَرَفْتُ وَلَكِنْ
وَلِكُلِّ طَرِيقَةٍ وَسَلُوكُ
مَرَّةً أَجْعَلُ الْأَعْنَةَ سَوَاطِ
لَكَ مِنْ حَفْلَةِ اللَّقَاءِ نَصِيبُ
لَيْسَ مِنْ عَادَتِي أَخْبِيءُ كَأْساً
بِذِي هَذَا التَّعَرُّجَاتِ عَسِيرُ
وَهِيَ لَيْسَتْ لِرَاصِدٍ فِي غُرُورِ
إِنَّ عَيْناً خَيَّيرَةً بِقُؤَاهَا
شَفَقُ الْأَفُقِ ذَاكَ نَهْرُ دِمَاءِ
وَانْتَظِرْ مَطْلِعَ الصَّبَاحِ وَقَهْقَه



لَا أَسْوِي بَيْنَ الْجَمِيعِ بِشَانِي
بَعْضُهَا فَارِسِي وَأُخْرَى حِصَانِي
مَرَّةً أَجْعَلُ الشَّيَاطِ عَيْنَانِي
فَإِذَا لَمْ تَكُنْ فَلَسْتَ بِجَانِ
لِنَدِيمٍ عَلَى كَرَامَةِ حَانِي
وَهِيَ لَيْسَتْ تَعَرُّجَاتِ جَبَانِ
وَهِيَ لَيْسَتْ لِمُقْتَفٍ فِي هَوَانِ
غَيْرُ مُحْتَاجَةٍ لِحَمَلِ مِينَانِ
فَتَحْمَلُ نَهْرَ الدَّمَاءِ وَعَانِ
حَاكَتْ اللَّغْزَ ذَاكَ أَسْطُورَتَانِ

هَذِهِ الْفِكْرَةُ الْجَرِيئَةُ عَزَّتْ
إِنَّ عُشّاً هِيَ الصُّوَاعِقُ فِيهِ
لِأَنَّهَا الرِّيحُ وَالْفَضَاءُ جَمِيعاً
كَانَ جُنْدُ الْقَضَاءِ لِلْمَوْتِ ذِعْراً
وَإِذَا أَنْتَ جِئْتَ بِالسَّيْفِ طِفْلاً
ذَهَبَ الْعَالَمُ الْقَدِيمُ قَتِيلاً
فَامرِ الْإِنْكَلِيزَ حَتَّى تَوَلَّوْا
إِنَّ هَذَا الصُّوْفِيَّ يَحْمِلُ نَاراً
مَلَا اللَّهُ دَرْبَهُ بِمَعَانِ



سُلْطَاتِ الطَّبِيعَةِ الْمُسْتَبَدَّةِ
لَيْسَ صَعْباً لِمِثْلِهَا أَنْ تُهْدَّ
إِنَّهَا الْبَحْرُ وَالسَّفِينَةُ عِنْدَهُ
فَإِذَا بِالْقَضَاءِ يَقْتُلُ جُنْدَهُ
أَمْسَكَ الطُّفْلُ لِلْجَمَالِ فِرْنْدَهُ
أَتَرَى يَنْلَمُ الْمُقَاتِلُ بَعْدَهُ
وَكَذَا الدَّهْرُ لَا يَقَامِرُ وَحْدَهُ
لَا تَبَالِي بِرِيحِ تِلْكَ الشُّكُوكِ
عَلِمْتُ قَلْبَهُ سَلُوكَ الْمُلُوكِ

آدَمُ يُغَادِرُ جَنَّةَ عَدْنَ

والملائكة تودّعه

أَنْتَ مَوْحُودٌ وَإِلَّا
كُنْتَ مِنْ طِينٍ وَيَبْدُو
كَأَنَّكَ التَّفَخُّةُ مِنْهُ
وَيَقُولُونَ تَرَابٌ
وَمَعَ النُّكْتَةِ هَذَا
كَلِّفَ بِالْحُسْنِ حَتَّى
لَكَ فِي الْحُلُمِ نَعِيمٌ
دَمْعُكَ الصُّبْحَ لَدَيْنَا
يَطْلُبُ الرُّوضِ لِيَسْقِي
فَاكْشِفِ الْأَسْرَارَ وَارْقُصِي
إِنَّمَا الدُّنْيَا بِكَاءٍ

لَمْ نَجِدْ لِلْفَرْ حَلًا
أَنَّ ذَاكَ الطِّينَ وَلَّى
زَيْبِقًا فِي السَّرِّ حَلٌ
قُلْ عَسَى هَذَا وَعَلَى
أَحْمَلُ الْعَالَمِ كُلًّا
أَنْتَ فِي الْحُلُمِ تَصَلَّى
يَغْمُرُ الْيَقْظَةَ ظِلًّا
يَمْلَأُ الْجَنَّةَ طَلًّا
زَهْرُهُ مَمَّا تَمَلَّى
تَرْقُصِي الْجَوْقَةَ دَلًّا
وَعِنَاءٌ لِيَسَّ إِلَّا

روح الأرض تستقبل آدم

فَأَتَى الْأَرْضَ فَقَالَتْ
أَنْتَ يَا آدَمُ فَاعْلَمْ
حَوْلَكَ الْعَالَمُ فَاَنْظُرْ
وَوَرَاءَ الْحُجُبِ حُسْنٌ
لَا تَكُنْ نَافِذَ صَبْرٍ
ضَجَّةُ الْعَالَمِ هَذَا
لَكَ مَا فِي الْكَوْنِ مُلْكٌ

إِنَّهُ آدَمُ جَاءَ
كُنْتَ مِنْ طِينٍ وَمَاءٍ
وَتَمَعَّنُ فِي السَّمَاءِ
فَتَأْمَلُ مَا وَرَاءَ
وَاحْتَمَلُ وَهُمْ الشَّقَاءُ
حَرْبُ خَوْفٍ وَرَجَاءُ
مِنْ بَحَارٍ وَفَضَاءُ

هذه الشَّخْبُ جميعاً هذه اليُّنْدُ العَرَاءُ

(٢)

كُنْتُ مِنْ وَجْهِ مَلَاكِ فِي أَنْدَهاشِرِ وفَناءِ
فَقُحِّلِ المَرَاةَ وانظُرْ فِيكَ أَسْرَارَ القَضَاءِ
نَظَرَاتٍ ذاتُ مَغْزِيٍّ أَطْلَقْتُ سِرَّ البَقَاءِ
وَشَراراتُ صَراخِ يَتَعَالَى فِي السَّمَاءِ

(٣)

إِنَّ ضَوْءَ الشَّمْسِ هَذَا مِنْ شَراراتِكَ ضَاءِ
عَالِمٌ أَنْتَ جَدِيدٌ أَنْتَ وَالْكُونُ سَوَاءِ
أَنْتَ فَرْدُوكَ ذاتُ مَالِها قَطُّ انْتِهاءِ
جَسَدٌ ؟ لَا لَيْسَ هَذَا جَسَداً هَذَا جِزَاءِ
أَيُّها الرُّهْرَةُ فانظُرْ كَيْفَ تَمْضِي فِي العَطَاءِ

(٤)

كُلُّ أَوْتَارِكَ تَبْكِي أَيُّها العَوْدُ الشَّرِيدِ
كُلُّ مِيراثِكَ حَبِّ فَتَخَيَّرَ مَا تَرِيدِ
سَيُّدُ الْأَسْرَارِ فِي المَعْبَدِ مِنْ وَقْتِ بَعِيدِ ثَمَّ تُبْذِرُ وَتُعِيدِ
تَنْفِقُ اللَّذَاتِ وَتَبْلِي تَمْطِي كُلَّ جَدِيدِ
ثُمَّ فِي غَيْرِ كَثِيرِ

قطعة

تُطْلِيءُ حِيناً وَتُسْرِعُ حِيناً نَحْطاي كِمِثْلِ نَيْمِ الصَّبَاحِ
تَرْقُعُ مَا انْقَدَّ عِبرَ السَّنِينَا أَنَا شَوْكَتِي إِيمَرَةً لِلوَرُودِ

بدأبي كَسَوْتُ ثِيَابَ الْحَرِيرِ هَذَا الشَّقَائِقَ وَالْيَاسَمِينَ

الْمُرْشِدُ وَالْمُرِيدُ

إقبال وهو التلميذ الهندي يوجه إلى مرشده
أسئلة نجد أجوبتها كاملة مدرجة في كتابه
(المثنوي) وهو يوردها بنفسها بالفارسية .

قَالَ إِقْبَالَ لِرُومِي	يَا إِمَامَ الْعَاشِقِينَ
لَمْ يَزَلْ يَمْلَأُ سَمْعِي	ذَلِكَ الْقَوْلُ الْمَبِينُ
وَتَرُ الْعُودَ وَقْشُرُ الْعُودِ	وَالْعُودُ سَجُونُ
عِنْدَمَا تَبَسُّ فِيهِ	يَبْسُ اللَّحْنُ الدَّفِينُ
عَصْرُنَا النِّشْوَانُ هَذَا	تَنْتَشِي مِنْهُ الظُّنُونُ
رَقِصَةُ الْأَجَادِ لَا تَمُحُو	أَسَى الْقَلْبِ الْحَزِينِ
مَبْدَأُ الْعَالَمِ يَا أَسَاذُ مَا شَاؤُوا	يَكُونُ
لَيْسَ فِي قَلْبِ حُضُودٍ	أَوْ بِوَجْدَانِ يَقِينُ
كَيْفَ يَتَوَعَّبُ سِرًّا	ذَلِكَ الصَّدْرُ الْمُهِينُ
رَدًّا لِلصَّدِيقِ مَا يَسْرُوي	عَنِ الْوَحْيِ الْأَمِينِ
كَيْفَ جَرَّتْهُ إِلَى الْأَوَاهِمِ	قِيَامُ قِيَامَةِ طِينِ
رُغْمَ مَا أَنْفَقَهُ لِلْمَجْدِ	مَنْ كَدَّ الْقُرُونُ
قَالَ رُومِي أَيُّ فَرْقٍ	بَيْنَ لَحْنٍ وَطَنِينِ
إِنَّ فَنِّ السَّمَاعِ الْحَقِّ	سَلْطَانُ الْفَنُونِ
كَالْعَصَافِيرِ وَلَيْسَتْ	كُلُّهَا تَأْكُلُ تِينِ
قَالَ : طَوَّفْتُ لِأَجْلِ الْعِلْمِ	فِي شَرْقٍ وَغَرْبِ

وَأَنْتَ الْآنَ وَحِيدٌ وَالْأَسَى يَمْلَأُ قَلْبِي
 قَالَ : هَذَا طَبُّ كَفٍّ لَيْسَ أَهْلًا لِعِلَاجِكَ
 جَعَلْتُ مِنْكَ مَرِيضًا فِي فِرَاشٍ مِنْ لَجَاجِكَ
 اسْأَلِ الْأُمَّ عِلَاجًا مِنْ عِفَاقِيرِ الْأَمَانِ
 إِنَّ نَصَفَ الطَّبِّ مِنْ عِلْمٍ وَنَصَفًا مِنْ حِنَانٍ
 قَالَ يَا مَنْ شَرَحْتَ نَظْرَتَهُ ضَيْقَ فِرَادِي !
 أَمَلَسِي أَفْهَمُ مَا تَفْهَمُ مِنْ أَمْرِ الْجَهَادِ
 قَالَ : مَنْ سَوَّى لَكَ الْأَصْنَامَ سَوَّى لَكَ فِاسَهُ
 وَبِأَحْجَارِ الْحَبِيبِ يَضْرِبُ الْحَادِقُ كَاسَهُ ^(١)
 لَا تَقْلُ لَيْتَ وَلَوْلَا مَا عَلَى هُكِّكَ بَاسُ
 أَنْتَ يَا هَذَا الَّذِي يَجْرُحُ فِي الدَّهْرِ وَيَأْسُو
 قَالَ : حَوْرُ الْقَرْبِ الْقَتْلُ فَتَنْ الشَّرْقُ شَبَاكَ
 صَرَعَتْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا تَرَى فِيهِ جِرَاكَ
 قَالَ : يَا إِبْرَاهِيمَ ! اخْذْ ظَاهِرًا يَطْفِئُ عَلَيْكَ
 عِنْدَ مَا تَفْرِكُهَا الْقَضَاةَ انْظُرْ لِيَدَيْكَ
 قَالَ : يَا رُومِي ! وَسِخْرُ الْإِنْكِلِيزِيِّ الْإِمْسَا
 بِأَخِذِ الطَّالِبَ لِحِمَا ثُمَّ يَرْمِيهِ عِظَامَا
 قَالَ : كَالْعَصْفُورِ إِنْ لَمْ يُكْمَلِ الرِّيشَ وَطَارَ
 هَجَمَ الْقَطُّ عَلَيْهِ وَرَمَاهُ لِلصَّغَارِ
 قَالَ : إِنَّ الدُّيْنَ وَالْقَوْمِيَّةَ الْيَوْمَ صَرَاعُ

(١) في المثنوي (كسر زجاجة الحبيب لا يكون إلا بحجر الحبيب) ومعناه كما شرحه
 د . كفاي : إنه لاحق لإنسان في أن يميت إنساناً آخر قاله وحده هو الذي يميت سواء
 كان ذلك بفعل مباشر أو بأمر واجب الاتباع مما نصت عليه الشريعة .
 انظر ترجمة د . كفاي للمثنوي ص ٦١٣ .

أَنْتَ هَلْ تَدْرِي بِمَاذَا يَتَهَمَنِي هَذَا النَّزَاعُ
 قَالَ : مَا فِي اللَّيْلِ لِلزَّائِفِ وَالْمَحْضَرِ عِيَاذُ
 وَدَلِيلُ الذَّهَبِ الْخَالِصِ إِشْرَاقُ النَّهَارِ
 قَالَ يَا شَيْخُ ! بِمَاذَا أَمَّا الذَّرْبُ الْقَصِيرُ
 وَيَأَيُّ الْأَمْرِ أَغْنَى بَعِيدَانِ أَمْ بَصِيرُ
 قَالَ : يَا إِبْرَاهِيمُ مَا هَذَا الَّذِي لَيْسَ يَبِينُ
 إِنْ تَكُنْ تُبْصِرُ يَعْنِي أَنْتَ إِنْسَانٌ مَبِينُ
 يَمْلَأُ الْمُهْجَةَ حَقُّ وَحَبِيبٌ دَامِغُ
 مَا عَدَا ذَلِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ جَوْرُ فَارِغُ
 قَالَ : يَا مَنْ مَلَأَ الشُّرُوقَ بِمَا يَحْيِي الْقُلُوبَ
 مَا الَّذِي يَغْصِفُ بِالشُّرُوقِ وَمَادَاءُ الشُّعُوبِ
 قَالَ : مَا أَعْرِفُ شَعْباً مَاتَ إِلَّا مَاتَ لَقَا
 حَبِيبَ الْأَحْجَارِ بِخَوْرٍ وَظَنَّ الشَّهْدَ سُمَا
 قَالَ : يَا شَيْخُ ! وَهَذَا الْمَسْلَمُ الضَّائِعُ كَوْنُهُ
 دُمُهُ أَصْبَحَ ثَلْجاً عَطَرُهُ غَابَ وَلَوْنُهُ
 قَالَ : يَا إِبْرَاهِيمُ ! إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَعْباً
 وَرَجَا الْقُلُوبِ لَا تَجَرُّوهُ أَنْ تَجْرَحَ قَلْبُهَا
 قَالَ : يَا أَسَدَا ! إِنَّ الشُّرُوقَ وَالْحَقَّ أَقْوَلُ
 كَسَدَتْ فَالْبَيْعُ أَيُّ الْبَيْعِ يَحْظَى بِالْقَبُولِ
 قَالَ : أَذْهَبَ وَاشْتَرَى الْحَيْرَةَ بِالْعَقْلِ الظَّنِّينِ^(١)
 إِنَّهُ وَهْمٌ وَظَنٌّ وَهِيَ حَقٌّ وَيَقِينُ
 قَالَ : جِيرَانِي جَمِيعاً نَدَمَاءُ لِلْأَمِيرِ

(١) انظر « المثنوي » ترجمة كفاي « حيرة المحب أمام الحبيب لا حيرة من يولييه ظهرو »

وأنا فوق حصيري حاسسُ الرأسِ فقير
 قال : كن خادماً حرّاً قلبه دون حسدود
 لا تكن في مجلس السلطان من بعض القروء
 إن تكن عبداً لإنسانٍ له قلبٌ كبير
 هو خيرٌ من طوافٍ بين ندمانِ الأمير
 قال : يا هذا الذي يُتهم في وجد الكبار !
 ضعتُ من قلّة علمي بين جبرٍ واختيار
 قال : يا إقبال ! ما الشاهين ؟ يبدو كالغراب
 ريشه يُضبطُ تاجياً ريشُ هذا للثّراب
 يطلب الموتى غرابٌ ظفرُهُ عيبٌ عليه
 وترى الشاهين يمضي أكله صنعٌ يديه
 قال : ماذا يأمل الإسلام من هذا السلوك
 الكبي نرضى بفقيرٍ أم إلى طيش الملوك
 قال رومي : جنة الإسلام في ظل الشيوخ
 ليس ما تطلبه الرهبان من أمن الكهوف
 قال : يا أستاذ ! كيف الخوض في ماء وطين
 أين ما يوقظ قلبي وهو في صذري سجين
 قال : لا تشمخ كنعشٍ فورااء النعش كفف
 وتواضع كحصانٍ أينما شاء يخفف
 قال : يا أستاذ ! أين البعث من ضعف يقيني
 وأنا أجهلُ ما أجهلُ من أسرار ديني
 قال : ما أنت وهذا ابتعث النفس بذاتك
 ثم سل نفسك ماذا إنَّها دربُ حياتك
 قال : يا أستاذ ! إنَّ الذات تمضي في السماء
 تحملُ الظلمة والنور على حد سواء

مع هذا غابَ عنها
 هي مِنْ فَقْدِ التَّجَلِّي
 في ازدهارٍ وإنهيارٍ
 هي مما افتقرَ منه
 قال رومى : ليس إلا
 لكن الموضع (مَنْ يوقعه بين الشباك)
 قال : يا أستاذ ا قل لي
 أنت للإسلام شمسٌ
 قال رومى : كلُّ حَبٍّ
 لا تكن بُزْعَمَ وردٍ
 كن على حُبِّك فحًّا
 واسترِ البُرْعَمَ واضرب
 قال : يا أستاذ ! ما
 أنا ما جئتكَ إلا
 هو ذا قلبي بِضْذري
 بين كدٍّ وخمولٍ
 قال : يا إقبالُ لَنَا
 أنا لي مثلك قلبٌ
 إنَّما القلبُ سماءٌ
 وله ربٌّ حواءُ
 ما لملك القلبِ يا إقبالُ دربٌ تسلكُه
 مُتَهَيِّى الحِكْمَةَ أَنْ تَحْكُمَ عَنْ يَمْلِكُ
 قال : يا أستاذ ا فكري
 وأنا في الأرض هذي
 لِمَ نسترشد بالمُضْلِحِ لا يُضْلِحُ أهْلُه ؟

ما يجلبه القِراقُ
 في جحيمٍ لا يُطاقُ
 شأن أربابِ الوصول
 في جراح لا تزول
 إلا الحبيبُ أهلاً للمراكِ
 مَنْ يوقعه بين الشباكِ (هل لهذا الشعب حَرْقُك
 في ضمير الكون شرقُك
 يرغِبُ العُصفورُ نَقْرَه
 تقصفُ الأطفالُ ظَهْرَه
 يمنعُ الحائِم طَوْلَه
 قصباً نَفَسَكَ حَوْلَه
 الحربُ التي تملأُ جنَبَكَ
 قلتَ لي قلبَكَ قلبَكَ
 وأنا جُلُفٌ طريقي
 ملءٌ مرآتي برقي
 أهلُ فقهِ وأصولٍ
 وكمما أنست تقوون
 عرشُه في متواها
 ولها ربٌّ حواءها
 ما لملك القلبِ يا إقبالُ دربٌ تسلكُه
 مُتَهَيِّى الحِكْمَةَ أَنْ تَحْكُمَ عَنْ يَمْلِكُ
 قال : يا أستاذ ا فكري
 وأنا في الأرض هذي
 لِمَ نسترشد بالمُضْلِحِ لا يُضْلِحُ أهْلُه ؟

وَلَمَّا عَارَفُوا بِالْبُذَيِّنِ بَغِيرِ الدُّيِّنِ أْبَلَّة
قَالَ رومِي بعدما استرسل في الكون الكبير :
فِي سَمَاءِ اللَّهِ يَسْرِي مَنْ عَلَى الْأَرْضِ يَسِيرُ
قَالَ : يَا أَسْتَازَا ! لَا أَبْصِرُ فِي الدُّزْبِ مَنْارَا
أَيْنَ مَنْ يَقْدَحُ لِلْحَكْمَةِ فِي صَدْرِي نَارَا
قَالَ : يورِي العلمَ نَاراً يسابِسُ الخبزَ الحلالَ
وَالَّذِي يَأْكُلُ كَذَّ النَّاسِ يُفْنِيهِ الضَّلَالُ
قَالَ : يَا أَسْتَازَا ! إِنَّ الْعَصِيرَ يَتَدَعِي النَّزَالَ
وَلَهَيْبَ الشَّعْرِ يَخْبُو
قَالَ : يَا إقبال ! لَسْنَا
عِنْدَمَا الْأَحْبَابُ تَأْتِي
بِدُّ الْعُزْلَةِ وَازْهَبْ
تَتَرِي النَّاسُ فِرَاءَ
قَالَ : أَيْنَ الْهِنْدُ ضَاعَتْ
وَرَجَالَ الْقَلْبِ فِيهَا
قَالَ : يَا إقبال ! هَذَا الَّذِي النَّاسُ لَا تَعْرِفُ رُوحَا
وَكَفَى الْيَوْمَ جُرُوحَا
جَسَداً مَا فِيهِ قَلْبُ
وَهُوَ لِلْأَحْيَاءِ رَبُّ
مَنْ صُورَاخٍ وَصِيَاخٍ
لَيْسَ مَا يُذْهِشُ أَنْ يَذْهَبَ أَدْرَاجَ الرِّيَاخِ

جبريلُ والشَّيْطَانُ

التَّقَى سَيِّدُنَا جِبْرِيلُ إِبْلِيسَ الرَّجِيمِ
قال : ما شاهدتَ قل لي أيها الخُلُ القديم ١٩
ما جرى في عالم الألوَانِ والعُطَرِ الجديذ
قال : شوقٌ وطموحٌ وبكاءٌ ونشيدٌ
قال : ما زالَ حديثُ القومِ في الحضرةِ خلُقك
أولا يُمكن أن يُزقَعَ في الجلبابِ خبزُك
قال : هيهاتَ ولكِن لَسْتُ تدري ما أسرُّ
هو في الظاهرِ يُشقي وهو في الحقِّ يُسرُّ
قَدْخُ السرِّ الذي أسْكِرني منه تكثُرُ
ورجوعي للأعالي بعد سُكري بتعسُّرِ
أنا حتَّى لا أطيقُ العيشَ في تلكِ الأعالي
أنتَ للرَّحمةِ حالٌ وأنا اللُّعنةُ حالِي
ذلكَ العالمِ ما معناه من غيرِ أوابذٍ؟
إنَّه الموثُّ الذي تُعرفُ لولا ما أكابذُ
فإذا كنتَ حياةً بقنوطي للوجود
أترى الواجبَ أبقي في قنوطي أم أعود
قال : لكنَّ عندما استكففتَ كِبَراً أن تطيعه
نالكَ العارُ ونالَ المَلَأُ الأعلى جميعه
صارَ شُغْلُ المَلَأِ الأعلى أمامَ الله خوفاً
يَهْدُرُ الدُّغْرُ عليه تملأُ الرُّعدةُ جوفه
قال : يا جبريل لكنَّ جرأتي سرُّ البقاء
وهبتُ للحمماً المسنونَ شوقاً للثَماءِ

أنت في الشاطئ ترونو لِصِراعاتِ المواقف
 أنا أم أنت الذي تَصْفَعُهُ تلكَ العواصف
 عندما تَصْصِفُ ريحي لُجَجَ البحرِ الجليَّة
 لا يرى إلياس والخضرُ من المواقف حيله
 فإذا أمكن يوماً تسألُ الله تعالى
 فأننا أرجو أن تسأله هذا السؤال
 دُم من ذاك الذي خَضِبَ تارِيخَ ابنِ آدم^(١)
 دُم من هذا (دمي أم دُمه أم دم آدم)
 صاغني الله تعالى شوكةً تجرحُ قلبه
 أنت لا تُثَقِّن إلا النَّفْيَ والإثباتَ قربة

قطعة

بالأمرِ أوصى مُرشدُ أصحابه	بوصيةٍ سبحان ربك من وهب
أغلى وأثمنُ من بحورِ لآلىء	يا ليتها كُتِبَتْ بماءٍ من ذهب
في خميرِ أورويةٍ لشعبٍ كاملٍ	سُمٌّ يُسَمِّمُ ذاته وإرادته
تفني بنيه بالتسكُّعِ خلفها	تمحو مواهبه تُبيدُ كرامته

(١) يبدو أن إقبالاً يريد أن يقول : إن ما نفخه الله تعالى في آدم من روحه هو ما في دماء ابن آدم من حنين إلى الخير والشرير يسيل تلك الدماء لتقي نبتة الأرض ، ومن باب آخر يحاول إقبال أن يدافع عن المعتقدات الغيبية في التصور الإسلامي ؛ خاصة وجود الشيطان الذي يجري في الناس مجرى الدم كما في الحديث .

الأذان

قال نجمُ الصُّبحِ لـلـأفلاكِ يوماً لاجِياً
 أحـدٌ منكم رأى آدمَ يوماً صاحِياً
 سَعَّـرَ المـرِـيـخُ مَـمَّـا قاله نجمُ الصُّبحِ
 قال : هل ينفع شيئاً صاحياً أو غير صاح
 تدركُ الأقدارُ ما تفعلُ في هذا الظُّلامِ
 وأرى الخيـرَ لـمـداومتـه في أن تنام
 قالت الرُّمـرة : أفْ غَيِّـرُوا المـوضـوعَ هـذا
 تُنْفِـقُ اللَّـيـلَةَ في الباطلِ واللغو لماذا
 فيم نهتمُّ لهذي الـذِّرة العـمـيـاءِ قولوا
 فأجاب البدر هذا النجم في الأرض يصولُ
 نحنُ في الظُّلـمة نـبـدو وهو يبدو في النُّهار
 روحُه سرُّ الـليـالي قلبُه قَطْبُ المـدارِ
 وهو لو أدرك معنى سهر الليل وذائقه
 جاز أطباق الثُّريا وأرى الله طـبـاقـه
 إنَّه في صَـنْـدِـه يستر نوراً باهراً
 وهو أطلقه لـم يـمـيـقِ في نجمـاً سـامـراً
 فعـلا صـوـتُ أذانٍ بينما هُـمُّ في جدالٍ
 يا لها صرخة وعظ صدَّغَتْ قـلـبَ الجبالِ

قطعة

رُغـمَ ما يـوجـد في رِـگة شعري من عُيوب

رِيمَا تَبْلُغُ يَوْمًا كَلِمَاتِي لِلْقُلُوبِ
 مَا عَلَى الشَّارِعِ لِيَوْمٍ كَيْفَمَا قَسَالٌ وَعَبْرٌ
 أَنَا يُغْنِينِي عَنْ الشَّعْرِ نَدَاءُ (اللهُ أَكْبَرُ)
 أَنَا تَغْنِينِي إِذَا أَخْفَقْتُ فِي كَشْفِ النَّوَائِبِ^(١)
 مَلَأَتْ وَتَسْرَاتِي لِي بِهَاتِيكَ الزَّوَايَا
 مَقْشَرُ الْجَنَابِ هَذَا دِينُهُمْ لَا يَسْتَطِيعُ
 عَرَفُوا النَّفْسَ وَلَمَّا نَظَرُوا فِي اللَّهِ هَاعُوا
 وَعَبَادُ الْجَنَابِ الْآخِرِ عُمَالُ مَنْاجِمٍ
 هَمَّ عَنِ اللَّاهُوتِ أَغْرَابٌ وَفِي الْبَحْثِ أَعَاجِمُ

الحب

مَنْ شَهِدَ الْحُبَّ الَّذِي زَعَمُوهُ ابْحَثُوا عَنْهُ فِي جَمِيعِ الْفَجَاجِ
 سِمَةُ الْعِشْقِ لَا تُتَّخَذُ لَشَعْبٍ دُونَ شَعْبٍ وَلَا تُبَاخُ لِرَاجِي
 فِي هِيَاجِ الْفُؤَادِ لِلْحُبِّ مَرٌّ كَهِيَاجِ الْفَرَاشِ حَوْلَ السُّرَاجِ
 إِنَّمَا الْغَزَنَسُويُّ صَنُوْهُ إِسَارُ إِنْ يَكُنْ قَلْبُهُ بِغَيْرِ هِيَاجِ
 رَوْحَ الْحُبِّ مَوْقٌ كُلُّ حَكِيمٍ حَاكَ آرَاءَهُ بِهِ لِلزَّوْاجِ
 هِيَ لَوْلَا تَدْخُلُ الْحُبَّ فِيهَا لَعِبَةٌ مِنْ لَأَلِيٍّ مِنْ رُجَاجِ
 رَجُلُ الْحُبِّ لَا يَذِلُّ لَشَيْءٍ مُسْتَقِلُّ الْفُؤَادِ حُرُّ الْمَزَاجِ
 لَيْسَ يَحْتَاجُ أَوْ يَخَافُ مَلِيكًا إِنَّمَا الْخَوْفُ مَظْهَرُ الْاِحْتِيَاجِ
 تَاجُ إِسْكَندَرَ الشَّهِيرِ مَتَاعٌ وَأَنَا الْفَقْرُ وَالتَّدْرُوشُ تَاجِي
 أَنَا أَبْنَى الرُّجَالِ بِالْفَقْرِ هَذَا وَهُوَ بَيْنِي مَدِينَةٌ مِنْ رُجَاجِ

(١) يقارن إقبال بين الإسلام والمسيحية .

رسالة نجم

بَعَثَ النَّجْمُ لِي يَقُولَ : مُحَالٌ أَنْ يَعِيقَ الظُّلَامُ شُعْلَةَ ذَاتِي
أَنْتَ مِثْلِي مُسَافِرٌ ذُو لَهَيْبٍ فَأَنْزِ بِاللَّهَيْبِ لَيْلَ الْحَيَاةِ

إلى جاويد^(١)

لَتَكُنْ لِقَلْبِكَ يَا بَنِي مَكَانَةً
كُنْ فِي أَمَاسِيهِ وَفِي أَسْمَارِهِ
وَعِي الْفُؤَادَ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا فَإِنْ
أَخْرَجْتَ مِنْ صَدْرِ الْوُرُودِ حَدِيثَهَا
إِيَّاكَ يَوْمًا أَنْ تَدِينْ لَصَانِعِ
صُغْ مِنْ تَرَابِ الْهِنْدِ كَاسَكَ وَافْتَحْزِ
أَبْنِي عَرَجُونَ بِدَالِيَةِ (أَنَا)
مِنْ هَذِهِ الْأَعْنَابِ أَعْصِرْ خَمْرَةً
أَنَا عَيْشَةُ الْأَمْرَاءِ لَمْ أَبْهَ لَهَا
فَادْخُلْ سَجَلُ الْفَقْرِ بِاسْمِكَ إِنَّهُ

فِي مَوْطِنِ الْحَبِّ الْبَعِيدِ النَّائِي
نَقْمًا يُجَدِّدُ حَرْقَةَ التُّدْمَاءِ
وَهَبَّتْكَ إِثَاءَ يَدِ الرَّحْمَنِ
وَنَزَعْتَ صَمْتَ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ
فِي لَيْلِ أَوْرِيَةِ يَصُوعُ زُجَاجَا
وَارْفَعْ بِلَادَكَ فَوْقَ رَأْسِكَ تَاجَا
أَيَّاتُ شَعْرِي هَذِهِ أَعْنَابِي
حَمْرَاءُ تُلْهَبُ بِالْحَيَاةِ شَبَابِي
أَنَا عِشْتُ دُرُوشًا مَعَ الْفُقَرَاءِ
فَخَرُّ النَّبِيِّ وَسَيِّدُ الْأَسْمَاءِ

الدين والفلسفة

مَحَلُّ الدِّينِ مِنْ يَدِ فِيلَسُوفٍ مَحَلُّ الشَّمْسِ مِنْ كَيْدِ السَّمَاءِ

(١) قدم إقبال هذه القصيدة بقوله : « جواب أول رسالة تلقيتها منه وكتبها بخط يده وأرسلها إلى لندن » .

له في كل يوم وهمٌ بحثٌ
 أنا في ظل بيتي أم غريبٌ
 قد استوحشتُ من جبل ووادٍ
 أضعتُ على رسوم القوم حُمري
 تعجّب جنت من أين (ابن سينا)
 أرافق في طريقي كل سارٍ
 ولم أر في طريقي متعلداً
 يكون من الصّباح إلى العساء
 وهل سفري بعيداً أم قريب؟
 فأين تراء يستتر الحبيبُ
 اقتشُ عن بصير بالرسومِ
 وساءلني ستذهب أين (رومي)
 وأعطيه نصيباً من طريقي^(١)
 يكون إلى نهايته رفيقي

رسالة من أوربة

الاعتصامُ بجبلِ الحسنِ ضيّعنا
 وللبصيرة بحرٌ عاصفٌ حظيت
 أنا لقافلة الروميّ متبعٌ
 هب عصرنا مشوّياً آخرأ فلقد
 طريقُ حُرّية الأحرارِ مظلمةٌ
 في الليل من بحثنا عن شاطئ البصر
 من قعره غطسة الروميّ بالذّرير
 وهل لقافلة الروميّ من أثر
 جارت رسالة أوربة على البشر
 تضيئها شعلة الروميّ بالشّرر

(١) شاعراً دخله بعض التحوير من شعر غالب الشاعر الأردني الكبير في القرن التاسع عشر ، وله دواوين رائعة باللغة الأردية والفارسية ، وقد سبقت ترجمته في الديوان الثالث .

جواب

على ابنِ آدمَ أن يرعى العُلَى أنفًا ولا يجوزُ له بل لا يليقُ به هُم يُضْحِكُون بالمُقتاتِ من كَلٍّ ومن تَخَلَّق بالقرآن مجدَّة كظبي (خوتان)^(١) يرعى نبتة الجودي أكلُ الشَّعير ورعى العشب والعُودِ وَيَخْضَعُونَ لِمَن نَواهُمُ الشَّانَا وَأَصْبَحَتْ نَفْسُهُ لِلنَّاسِ قَرَانَا

على قبر نابليون

التَّوَقُّ لِلْفِعْلِ سَيْفُ الْخَالِدِينَ به وقبل مولد نابليون خاضَ به جبال (آلوند) هدَّتْهَا حماسُهُ تصير صرخةُ أهلِ الله صَرَخَتِ والتَّوَقُّ لِحِظَّتِهِ لَا تَسْتَمِرُّ فَإِنْ وَقَامَ يَشَارُ لَيْلُ الْقَبْرِ مِنْكَ لِه (مسيرنا نحو وادِ الصُّفْتِ لِدُّهُ تَشَوُّ فِي جُبَّةِ الْأَسْرَارِ أَقْدَارِ إِسْكَنْدَرُ الْأَرْضِ أَمْصَاراً فَاْمَصَارِ وَأَطْلَقْتَ سَيْلُ تيمورلنك تيارا إِذَا أَصْرَتِ عَلَى الْإِيمَانِ إِصْرَاراً لَمْ تَفْتَنَّمْ نَيْلَهُ فِي وَقْتِهِ غَاراً لَا يَسْتَقِرُّ إِلَى أَنْ يَأْخُذَ الثَّارَ أَنْ تَمَلَّ الْقُبَّةَ الزَّرْقَاءَ آثَاراً)^(٢)

(١) خوتان : بلدة كانت تحت حكم التتر المسلمين ، تنسب إليها طباء المعك .

(٢) شاهد من شعر حافظ الشيرازي وقد أورده إقبال بالفارسية .

نشاطٌ جديدٌ وفكرٌ جديد
صَبَا شَعْبُهُ أَنْ يَرُدَّ الصُّبَا
نشاطٌ جديدٌ وفكرٌ جديد
يصوغان من حجرٍ لؤلؤاً
تَأَمَّلْتُ رُومَا وَقَدْ جَدَدْتُ
فَقُلْتُ : أَيَا رَبِّ مَاذَا أَرَى
حَيَاةٌ تُقَرُّ عِوَنَ الشُّيُوخِ
فِيَا لِلتَّجَلِّي الَّذِي هَاهُنَا
وَهَلْ تَسْتَطِيعُ رُؤُوسُ الرُّهُورِ
سَمَاؤُكَ يَا نَفْعَةَ الثَّائِرِينَ
وَرُوحُكَ تَنْتَظِرُ الْعَازِفِينَ

يُشْرُهُمَا أَمَلُ الثَّائِرِ
إِلَى مَجْدِ أَمْتِهِ الْغَابِرِ
وَهَذَانِ مَعْجَزَةُ الْقَادِرِ
وَتَاجُاً لِحَاضِرِهِ الزَّاهِرِ
بِتَجْدِيدِهَا حَيَرَةَ النَّاطِرِ
وَهَذَا الْهُدَى خَطأٌ أَمْ صَوَابٌ
وَتَذَكِّي الطُّمُوحَ بِصَدْرِ الثُّبَابِ
وَيَاللِّحْمَاسَةَ مَاذَا تُذِيعُ
أَنْ تَتَوَارَى بِفَصْلِ الرَّبِيعِ
تَهْرُؤُ غَانِيكَ أَقْطَارَهَا
فَمَنْ سِيَهِيْجُ أَوْتَارَهَا

(١) في ترجمة الأستاذ الملوحي الشريفة :

نظم إقبال هذه القصيدة حوالي عام ١٩٣١م حين زار موسوليني بعد عودته من لندن وانقضاء مؤتمر المائدة المستديرة الذي دعت إليه الحكومة البريطانية للبحث في الإصلاح الدستوري في الهند ، ويبدو أنه نظمها قبل استيلاء هتلر على السلطة . وفي قصيدة تالية يقارن إقبال بين عمل موسوليني وبين أعمال السياسيين الإنكليز بهذه العبارات :

بحجة نشر الحضارة سُوغْتُمْ أَمْسَ تِلْكَ الْمَذَابِيحَ الْجَمَاعِيَّةَ وَالْمَجَازِرَ كَمَا يَسُوغُهَا الْيَوْمَ
مُوسُولِينِي .

وعن غزو الحبشة دان إقبال مرة أخرى رئيس الحكومة الإيطالي وكتب قصيدة عنوانها :
(جثة الحبشة) مايلي :

وَأَسْفَا مَرَأَةً شَرَفَ الْكَنِيسَةِ حَطَمْتَهَا رُومَا إِلَى أَلْفِ كَسْرَةٍ أَيُّهَا الْحَبَرُ الْأَعْظَمُ ، يَا هَذَا مِنْ
حَادِثٍ مَرْوَعٍ (الْأَصْلُ) وَانْظُرْ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِغَضَبِ إِقْبَالَ عَلَى مُوسُولِينِي مَجْلَّةُ فِكْرٍ وَفَنٍ
عَدَد ٣٢ ص ٧٤ - ٧٥ .

وَمَنْ ذَا الَّذِي صَاغَ هَذَا الْجَمَالَ
هُوَ الْحَرُّ ذُو النَّظَرَاتِ الَّتِي

وَبَارَكَ بِالْحَبِّ تِلْكَ الثُّمُوسُ
بِهَا تَقْتَدِي نَظَرَاتِ الشُّمُوسِ

سؤال

قَالَ دُرَيْشُ أَبِي
أَنَا لَا أَشْكُو إِلَيْكَ الْفَقْرَ وَالْعِيْشَ الْمَحَالَا
لَكِنِ اللَّهُمَّ قُلْ لِي أَنْتَ أَرْسَلْتَ الْمَلَائِكَ؟
لِيَقِيمُوا سُلْطَنَةَ الْأَوْغَادِ فِي ظِلِّ سَمَائِكَ

إلى فلاح البنجاب

أَيُّهَا الْفَلَاخُ مَا سِرُّ الْحَيَاةِ؟
أَنْتَ فِيهَا مِنْذُ آلَافِ السِّنِينَ
خِمِدْتَ نَارُكَ فِي الْعَلِينِ الَّذِي
قُلْ لِمَنْ أَدْنَى فِي هَذَا الصُّبْحِ
لَمْ يَقُلْ لِلنَّاسِ حَيٍّ لِلْفَلَاخِ
هُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى مَادِبِهِ
كَيْفَ تَرْضَى أَنْ يَكُونُوا هَكَذَا
إِنَّ تَبْعَ الْخَضِرِ لَا يِلْفُغُهُ
لَيْسَ يُجِدِي الْهَمُّ فِي شَيْءٍ إِذَا
حَطَّمِ الْأَصْنَامَ يَوْمًا وَاحِدًا
حَطَّمِ الْأَوْثَانَ أَوْثَانَ الْعُرُوقِ

مَا الَّذِي يَكْتُمُهُ هَذَا الْمَدَارُ
خَلْفَ مُحَرَّاتٍ يُغَطِّيكَ الْغُبَارُ
عَلَقْتَ أَكْوَامُهُ فِي نَعْلِكَ
أَرْنِي اللَّهَ الَّذِي فِي فَعْلِكَ
إِنَّمَا حَيٍّ عَلَى الْفَلَاخِ قَالَ
أَنْتَ أَرْسَلْتَ لَهَا كُلَّ السُّلَالِ
وَهُمْ مِثْلُكَ مِنْ حِمَاةٍ طِينِ
وَجِلَّ مِنْ ظِلْمَاتِ الْمُعْتَدِينَ
لَمْ تَضَعْ ذَاتَكَ تَحْتَ التَّجَرِبَةِ
لَا تَخَفُ مَعْبَذَهَا أَنْ تَخْرِبَهُ
وَاهْدِمِ الْأَصْنَامَ أَصْنَامَ الْقِبَائِلِ

وانضُ أغلالَ التقاليد التي تتعنى خلفها من غير طائل
لا تقل أنشدُ في الدين الخلاص وامنح الكهان روحانيته
إنَّ دينَ الله في الدين الذي يهبُ الإنسانَ وحدانيته
أحفظَ القلبَ الذي تحمله لا تدعه تحت أقدام العباد
الذي يزرعه في صدره يجدُ المتعة أيامَ الحصاد

نادر شاه ملك الأفغان

في حضور الحقِّ كان الحَدَثُ الفرْدُ الكبير
غيممةً تحملُ في أعماقها روحَ الرُّهور
رأتِ الفردوسَ في الدُّربِ فقالت للسماء^(١)
أوه ما أجمل هذا هاهنا نلقي الدُّلاء
فأجابتها وقالت تترك الهند لقابل
أدركي عشباً جديداً ظمئاً في أرضِ كابل
وعسى نادرُ يأتي ليرى هذي الحقائق
علَّه يغسلُ بالدمع جراحاتِ الشَّقائِق^(٢)

-
- (١) في ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية : « ربما كانت الهند التي مرَّ بها نادر شاه قادماً من باريس إلى إيران لمحاربة (بهجه سقا) الذي خلَّع أمان الله خان عن عرشه ، هي المقصودة بهذا الفردوس ، وهم يرددون (الهند جنة نيشان) يعني إنَّ الهند تشبه الفردوس كما يقولون عن روما : إنها المدينة الخالدة » .
- (٢) جراح شقائق النعمان هي آلام الأفغان .

حلمٌ تَتَرَى^(١)

كُلُّ شَيْءٍ حَوْلَنَا يَسْلُبُنَا
أَنَا لَا أَسْتَاءُ أَنْ تَزْمُقَنَا
يَلَيْسَتْ أَثْوَابُنَا أَجْمَعُهَا
مَا الَّذِي أَفْعَلُهُ فِي وَحْدَتِي

مَجَدَّنَا حَتَّى سَجَّاجِيذُ الصَّلَاةِ^(٢)
شِزْرًا أَعْيُنُ أَوْلَادِ الطُّغَاةِ
جَبَّةُ الشَّيْخِ وَجَلْبَابُ الْأَمِيرِ
مَا الَّذِي يَفْعَلُ إِيْمَانِي الْكَبِيرِ



وصية « خوش حال خان »^(٣)

يَا أُمَّةَ الْأَفْغَانِ شَدُّوا بَعْضَكُمْ
مَا شَاهَدْتُ عَيْنَايَ أَجْمَلَ مَنْظَرًا
يَرْمُونَ فِي بَحْرِ السَّمَاءِ شِبَاكَهُمْ
أَطْفَالُ كُوَهْسْتَانِ وَعَدُّ مَفْعَمٍ
لَيْسُوا أَقْلٌ مِنَ الْمَغُولِ شَجَاعَةٌ
أَنَا (خُوشْ حَالُ) أَحَبُّ قَبْرًا إِنْ أَمْتُ
لَا رِيحَ تَصْفَعُهُ بِنَقَمٍ خَامِلٍ
مَا تَبْقَى غَيْرُ جَمْرِ هَامِدٍ

بَعْضًا وَكُونُوا سَادَةَ الْأَفْغَانِ
كَجَمَالِ صَيَّادِيكُمُ الْفَتِيَانِ
(صَيْدُ النُّجُومِ رِيَاضَةُ الشُّجْعَانِ)
مَتَوَاتِبٌ فِي قَلْبِ كُوَهْسْتَانِ
لَيْسُوا بِأَدْنَى مِنْهُمْ فِي شَأْنِ
فَوْقَ الْجِبَالِ مَمَرَّدُ الْبُنْيَانِ
مَرَّتْ عَلَيْهِ خِيُولُ مَغْلَسْتَانِ
يَتَخَفَّى تَحْتَ أَكْوَامِ الرَّمَادِ

- (١) في ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية : « إذا كان إقبال يؤيد ثورة « خوش حال خان » فليس من الغريب أن يؤيد تطلعات التتر في تركستان إلى الاستقلال . »
(٢) في ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية : « يعني أن الأتقياء ينهوننا . »
(٣) في ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية :
من المهم أن نذكر أن إقبالاً رغم نزعه للجامعة الإسلامية يمدح ثائراً على الإمبراطورية المغولية في عهد (أورنك زيب) وإقبال لا يريد فرض الوحدة من الخارج ولكنه يريد وحدة عفوية تنبثق من الداخل .

أَيُّ رِيحٍ فَوْقَهُ لَوْ عَصَفَتْ
 غَطَّتِ الرِّيحُ بُخَارِي كُلِّهَا
 (وَتَطَلَّغْتُ لِنَفْسِي فَإِذَا
 بَيْنَمَا أَنْدَبُ حُطِّي فَجَاءَ
 وَإِذَا مَرَقْدُ تِيْمُورَلْنِكْ قَدْ
 كَانَ نُورًا أَيْضًا فِي صُفْرَةٍ
 قَالَ لِي : يَا أَيُّهَا الْبَاكِي أَنَا
 إِنَّ بَابَ اللَّهِ مَفْتُوحٌ وَإِنْ
 أَنْتَ مِنْ أَبْنَاءِ طُورَانِ وَإِنْ
 فَهِيَ الذَّاتُ لَهُيْبًا آخِرًا
 أَنَا حَطَّمْتُ بِهِذِينَ الْجِيُوشَ

جَعَلْتُ مِنْهُ حَدِيثًا لِلْعِبَادِ
 وَسَمِرَقَنْدَ بَلِيلَ قَاتِمِ
 أَنَا فَصْرٌ مَالَهُ مِنْ خَاتِمِ ^(١)
 زَلَزَلْتُ أَرْضَ سَمِرَقَنْدَ السَّمَاءِ
 بِدَّةَ اللَّيْلِ بِسَيْفٍ مِنْ ضِيَاءِ
 كَضِيَاءِ الشَّمْسِ مِنْ قَبْلِ الْأُفُولِ
 رُوحُ تِيْمُورَلْنِكْ فَاسْمَعْ مَا أَقُولُ
 سَدَّتِ الْأَيَّامُ أَبْوَابَ التَّرْزُ
 فَرَّقْتُ أَبْنَاءَ طُورَانِ الْبَشَرِ
 وَبَرِيقًا ثَانِيًا مِنْ مَقَلَّتِكَ
 لِمَ لَا تَخْلُفْنِي فِي أَمَّتِكَ



الحالة النفسية والظرف

الرَّأْيُ بَعْدَ شَجَاعَةِ الشَّجْعَانِ
 إِنْ كُنْتَ يَقْظَانًا فَأَنْتَ مَظْفَرُ
 كُلِّ الْحَيَاةِ عَلَى اخْتِلَافِ ظُرُوفِهَا
 فِي كُلِّ وَقْتٍ لِلْمَسَافِرِ جِدَّةٌ
 كَلِمَاتُنَا مَعَ أَنَّهَا لَمْ تَخْتَلِفْ
 فِي سَجْدَةِ الْجَنْدِيِّ نَلْمَحُ غِبْطَةً
 هُوَ مُسَلِّمٌ لَكِنْ وَهَذَا مُسَلِّمٌ
 لِلنُّسْرِ كَالشَّاهِينَ جَوْ وَاحِدٌ

هِيَ أَوَّلُ وَهُوَ الْمَحَلُّ الثَّانِي
 وَالْحَالُ خَيْرُ ذَخَائِرِ الْإِنْسَانِ
 ظِلٌّ تَوَلَّفَهُ ظُرُوفُ الْحَالِ
 وَمَنَازِلُ الْقُلُوبِ الْمَقِيمِ خَوَالِ
 لَا فِي مَعَانِيهَا وَلَا فِي لَفْظِهَا
 لَيْسَتْ كَسَجْدَةِ نَاسِكٍ فِي وَعْظِهَا
 مَا زَادَ عَنْ قَرَائِنِ قِرَائِنِهِ
 لَكِنْ لِكُلِّ مِنْهُمَا طَيْسَرَانُهُ

(١) تعليق إقبال : بيتٌ لشاعر مجهول ربما أوردته الطوسي في شرح الإشارات .

أبو العلاء المعري

ليأكل اللحم لا يلوي على دين
وليس يقتات إلا من يد الطين
يريد يلقاه فيما اختار مُرَتِكَا
شاعة السبخ ألقى فوقه وبكى
يداك حتى دَخَلَتِ النَّارَ بِالسُّيُخِ
وما لجأت إلى شجبي وتويخي
وللطبيعة إذ قالت لطالها
وقدّر الموت للمستضعفين بها

يقال : إنَّ المعري لم يكن أبداً
يقال : كان نباتياً بمذهبه
شوى له مرةً مستهزئاً خَجَلاً
لكنَّ شيخَ اللُّزوميَّات حين رأى
وقال : يا أيُّها المسكينُ ما اقترفتَ
لو كنتَ بازاً لأعطوك الدَّجاجَ فِدَى
لم تُلقِ بالكِ لِلأديانِ إذ وَعَظْتَ
اللهُ سَحَرِ للاقوى خلانقه

سينما

ويذيعُ في السينما معانيه
عادت له بِرَواجٍ ماضيه
جاءت تُريدُ تبيُّغه فينا
وثناً وصاغَ لِعَضْرِهِ الدُّنْيَا
ما كان غيرَ طقوسِ أوْثانٍ
هي في الحقيقة ثوبه الثَّانِي
ما صاغَ من طينٍ وفخَّارٍ
أصنامها من مارجِ النَّارِ
هذا الرَّمَادِ وذلكَ الطِّينِ
لم يتركَا شرفاً لِمُتَكِبِينَ

أيعبُودُ آزرُ مرةً أخرى
أصنامُها في صَدْرِ صالِتها
ما كان يُنَحْتُ قَبْلُ من صنمٍ
صاغت لنا الدُّنْيَا لِنَعْبَدَها
ما كان فُتْناً فَتْنَه أَبَداً
فتفحصُ السِّينِما التي ظَهَرَتْ
هو صاغَ أصناماً لِعالمه
وتصوَّغَ صالِتها لِعالمِنا
ما في زوايا المعبدينِ يسوى
إن لم يَلِ التَّوْحِيدُ أمرَهما

إلى جماعة « بيرزاده »^(١) في البنجاب

جزتُ البلاد إلى ضريح مجدد^(٢)
وعلى التراب من الضريح تالُّق
لا غرو للأسرار تلمع هاهنا
من ردّ جاهنكير عن يده وما
هذا المكان من الوجود ضريحه
الهند تعرف أرضها وسماؤها
هو أحمد المختار للمحن التي
لما وقفت على ضريح مُجدد
فشكوت دروشة الزمان له وما
فأجاب : طرفك ليس يبصر قلت : لا
من أين التمس البصائر إنني
فأجابني ذهب الذين عرفتهم
لا تكثر منهم بصاحب شطحة
أرني قلنوة لذويهم لهم
ذهبوا مع الفقهاء خلف ملوكهم

ووقفت لي لي نادباً ونهاري
غبطته في قصر السماء جواري
فها هنا توارى صاحب الأسرار
ذلت عماثته لوصمة عار
وهنا يقيم معلّم الأحرار
كيف اقتداها من جحيم النار
نالت شريعة أحمد المختار
دار الحديث عن الزمان الدائر
ألقاه من شوقي وعزمي الخائر
هو مبصر لكن يغير نفوذ
أصبحت في عيني كالمنبوذ
لم يبق سر في دم البنجاب
مجنونة ولو ارتدى جلابي
لم ترض قنزع العمامة جارا
لم يتركوا لذوي القلوب منارا

سياسة

تقضي السياسة أن نُحدّد أولاً أدوارنا في لعبة الثيجان

- (١) بيرزاده : تعني عضواً في طريقة رئيس جماعة روحية ومؤسس هذه الطريقة كانوا دراويش أنقياء ، ولكن أولادهم انقلبوا إلى الماديين .
(٢) يريد به إقبال مجدد الألف الثاني الشيخ السرهندي .

لا الشاه أنت بها ولا أنا بيدق هذا اختيار الأعب الشيطان
إن البيادق إن أعافت نفسها دلت على شاه بلا سلطان

التجرد

ليس التجرد أن تقيم على الطوى وقواك خائرة وبئسك مقدم
فمن التجرد ما يطبخ بأهله ومن التجرد ما يعز ويكرم
أنا لم أجد عند الملوك تجرداً أحلى وأجدي منه في شابور
شابور في صنع الإمارة مسلم فتعلموا الإسلام من شابور

الذات

لا ترضين فضة بالذات أو ذهباً ولا تبغ بشار ذلك اللها
إليك ما قال (فردوسي) الذي كشفت للفرس أقواله الأستار والحجبا
(المال يوجد حتى حين تفقده فلا تكن وقحاً إن رمته طلباً)^(١)

فراق

الطور حول الشمس يزهو إذ يفارقها صباحاً غزلته من ذهب الحرير فصار للذنيا وشاحاً
والكون مغتبط بما جلب الفراق من التسلي

(١) شاهد من ديوان الفردوسي بالفارسية .

مترنخ في صمته نشوان من مضع الثجلى
هل تعرف الأنهار والأفلاك أسرار التشوُّف
هل يرتوون من الفراق ويكتوون من التلهُّف
أنا قمتي قلق الفراق سواء مالى من منى
هو في الصميم من الثراب وما الثراب سوى أنا

الذير

لا العصر للقول بالأغاز مُختلِّمٌ ولا أنا أستطيع اليوم إلغازا
مضى الذين إذا قالوا لميَّهم قم ، قام فيهم بإذن الله واجتازا
فما الذي بعدهم في الذير تفعله جماعة بمذاق الذير كقار
أخدمة لقبور القوم ما برحوا أم أنهم لقبور القوم حُقار

شكوى الشيطان

قال إبليس الرجيمُ يشتكي الله تعالى
ما لنجل الطين هذا فوق ناري يتعالى
هو ذا آدم بعدي هو ذا كرم الثراب
واهن الروح كيبر الكرم موفور الثياب
عقله في الأوج لكن قلبه يلفظ روحه
ما لقلبي غيرك اللهم لو تأسو جروحه
كلما يجعل منه الشرق معيار الثجاسة لا تبالي حكماء الغرب أن ترفغ راسه

حورُ فردوسيك تخشى عالم الفردوس يُقفر
جثثك اللهم بالحجّة كي ترضى وتغفر
فتر الغرب الديمقراطي تسركي لسجودي
لم يعد من بعده في الأرض معنى لوجودي

دم في الشرايين

لا تخش نيل السوء من رجل
وارغب عن المحروم من دمه
رجل يحرك قلبه دمه
إياك من لم يهديهم دمه
إن كان فيه دم وناموس
فالخير من كفته ميؤوس
لا الفقر يخرجه ولا الجود
سود الدماء عقولهم سود

الطيران

تشكت التينة للعصفور
قالت له : يا أيها المغرّد
لو أن لي أجنحة وعونا
أجابها العصفور في وداعة
قال لها : أيّتها المكيّنة
قولك لا ينم عن غباء
أذعين الظلم في عين العدل
الطيران سرّنا المحجوب
من معبد الألوان والعطور
حتى متى يكفر هذا المعبد
أغرقت بالجمال هذا الكونا
إجابة في منتهى البراعة
كيف تطيرين وأنت تينة
ولنما يدعو إلى الرثاء
وأنت أخرى من أريت بالعدل
لا يستطيع نيله مجذوب

معلم المدرسة

أمام روح التلاميذ التي اختنقت
الحق ما قال كاغاني^(١) وَيَسْحَرُنِي
(إذا الجدار أمام الشمس ترفعه
بينني المعلم هذا صرخ فخار
ما قال من بيت شعر بد شعاري
فلن ترى نورها في باحة الدار)



الفيلسوف

يعرف الفيلسوف كيف يطير
جذ فارغ وعلم غزير
يرسم النسر في السماء دوائر
لو أضافوا إليه روح الشجاعة
لا تنرئك المظاهر هذي
كالشواهين والطيور الحرائر^(٢)
هي تقتات من إوز وبط
فهو يخفي نقيضها في السرائر
أني معنى له إذا حرموه
وهو يقتات جيفة وفطيسة
متعة الانقضاخ فوق الفريسة



(١) كاغاني : هو شاعر فارسي من القرن السابع عشر الميلادي .

(٢) النسر : رمزاً لمتومطي الشجاعة عند إقبال فهو لا يصل إلى رتبة الشاهين لأنه يأكل من فرائس غيره ، إلا أن قيمته تتجلى في أنه مهما كان من الغربان على الجيفة فإنها لن تجد غير الانسحاب إذا لمحت قدوم النسر إلى الساحة ، وستقف ترمقه من بعيد مترقبة ما إذا سيبقي على شيء لها أم لا .

الشاهين (١)

ثم ألقيت كل شيء ورائي
ليس يقات غير حب وماء
وهما في سجيّتي ودمائي
لوعة العندليب عند المساء
ليس تُغري منشأ في العراء
وأذلت حمامة كبريائي
وأروّي حماستي وإبائي
وأنا هاهنا حليف مضائي
وهو الفرزد في رحاب السماء

جزت في الأرض بلدة بعد أخرى
ذلك العالم الذي زعموه
أنا نجل الصحراء والرّهْد ديني
أجهل الرّهْر والنسيم وما في
ورجال البستان تغري ولكن
أين مجدي إذا شقيت لجوع
بافتراسي أصون عزة وجهي
كل طير له من الأرض عش
كيف يبني قلندر الطير عشاً



(١) في ترجمة الأستاذ العلّوحي النثرية :

الشاهين : الطير المختار عند إقبال لأنه :

١ - لا يبني لنفسه عشاً يعني أنه درويش .

٢ - يطير إلى الأعالي .

٣ - ليس بخيلاً ، ويقنع بالزهد .

٤ - لا يأكل مما يقنصه الآخرون ، يعني أنه يصون كرامته .

وينبغي أن يفهم من البند الرابع أنه رمز للمجتهد الذي يعاف التقليد كما يعاف الشاهين فريسة غيره .

المريدُ الشائر (١)

أنا فانوسي الذي أمْلِكُه شمعةً في قصعةٍ من خَرْفِ
 إن أَقْنَتُ الليلَ ذابَتْ وإذا هَبَّتِ الرِّيحُ عليها تنطفي
 ما الذي يَفْعَلُه سيّدنا بالمصاييح التي حول المزار
 ثمّ ما معنى مزارٍ وضريح وستورٍ وعطُورٍ وجمّار
 يا إلهي كمّ لنا من كعبةٍ كمّ لنا من صنمٍ في الحرم
 وفقاعاتٍ قبابٍ فوقهم جعلتنا ضحكةً للأمم
 ليس ما يعطى لهذي الأولياء من نذورٍ باسمهم إلّا رَبا
 المرابي دائماً مختبئٌ ووليّ القوم في القبر اختبأ
 أتراهم سلكوا كالأولياء إنّما هم أولياء بالوراثه
 ملا الغربان أو كَار النُسور خلَصَ اللهُ من القوم تراثه



آخر وصايا هارون

قال الرّشيد لابنه يوصيه : ها أنذا اختُصِرْتُ
 ستمرُّ بعدي أنت في هذا الطّريق كما مررتُ
 أبني إنّ الموتَ نورٌ في عيون المؤمنين

(١) من المهم أن نشير هنا إلى أن قصيدة إقبال هذه لا تتناقض مع وقفة إقبال على ضريح
 سنائي ومجدّد وقوله : سيكون ضريحي كعبة الأحرار ، وأمثال ذلك ، فهو لا يريد هنا
 أن يقرر عقيدة ما ، ونستطيع أن نفهم مراد إقبال من قصيدته السابقة (الذّير) .
 وفي مناسبة أخرى يقول إقبال : إنّ الصوفية حين تفسر تفسيراً خاطئاً وتقدم إلى
 الجماهير غير المتعلمة من خلال الأشعار المحببة ؛ يمكن أن تكون أكثر خطراً من
 حشود جنكيزخان .

والنُّور هذا لا تشاهده عيون الكافرين

إلى عالمِ نفس

دع عنك فكرَك فالإعصار جرَّارٌ وليس تجدي ببحر الذَّات أفكارُ
وأين أنتَ بهذا البحر من جُزُرٍ صغيرة ما أتاهما قطُّ بخارُ
إن لم تشقْ كموسى ثوبَ لُجَّتِها فحطَّتْ الصُّمْتُ إنْ وافاك إعصارُ

أوربة

مقتبسة عن نيتشة

أشباه (شيلوخ)^(١) في المِرْصاد واقفةً مَكْرُ الثَّعالب يُفْري قوَّةَ الأسدِ
لا بدَّ تسقطُ أوربة إذا نُصِجَتْ في كيس شيلوخها المجهولِ للأبدِ

الأسدُ والبغلة

قالَ للبغلة يوماً أسدٌ أنتِ حقاً لكِ سرٌّ من أبوكِ
فأجابته ألا تُعرِفُنْسي أنا خالي فخرُ إصطبلِ الملوكِ

(١) كذا في الأصل ويبدو أنه تحريف (شيلون) وستكون الفكرة أشدَّ إغراءً إذا كنا مصيِّين في رأينا . انظر مادة شيلون في قاموس الكتاب المقدس .

فكرة حرّة^(١)

ألا ترثني لعصفور
إذا استخفى وحاول أن
يحاول أن يكون
وليس له من الطيران غير القال والقيـل
هل العصفور بين الشوك كالعصفور في الجنة
بربك هذه حرّية في الفكر أم جنّـه
فقل لمفكّر حرّ أضلّ الفكر وجدانه
تعالى الله أن يلهمّ ما يُبطل قرآنه
وهل يهدم مجدّ الشّعب غير الفكرة الحرّة
وهذي الفكرة البلهاء سيّدها (أبو مرّة)



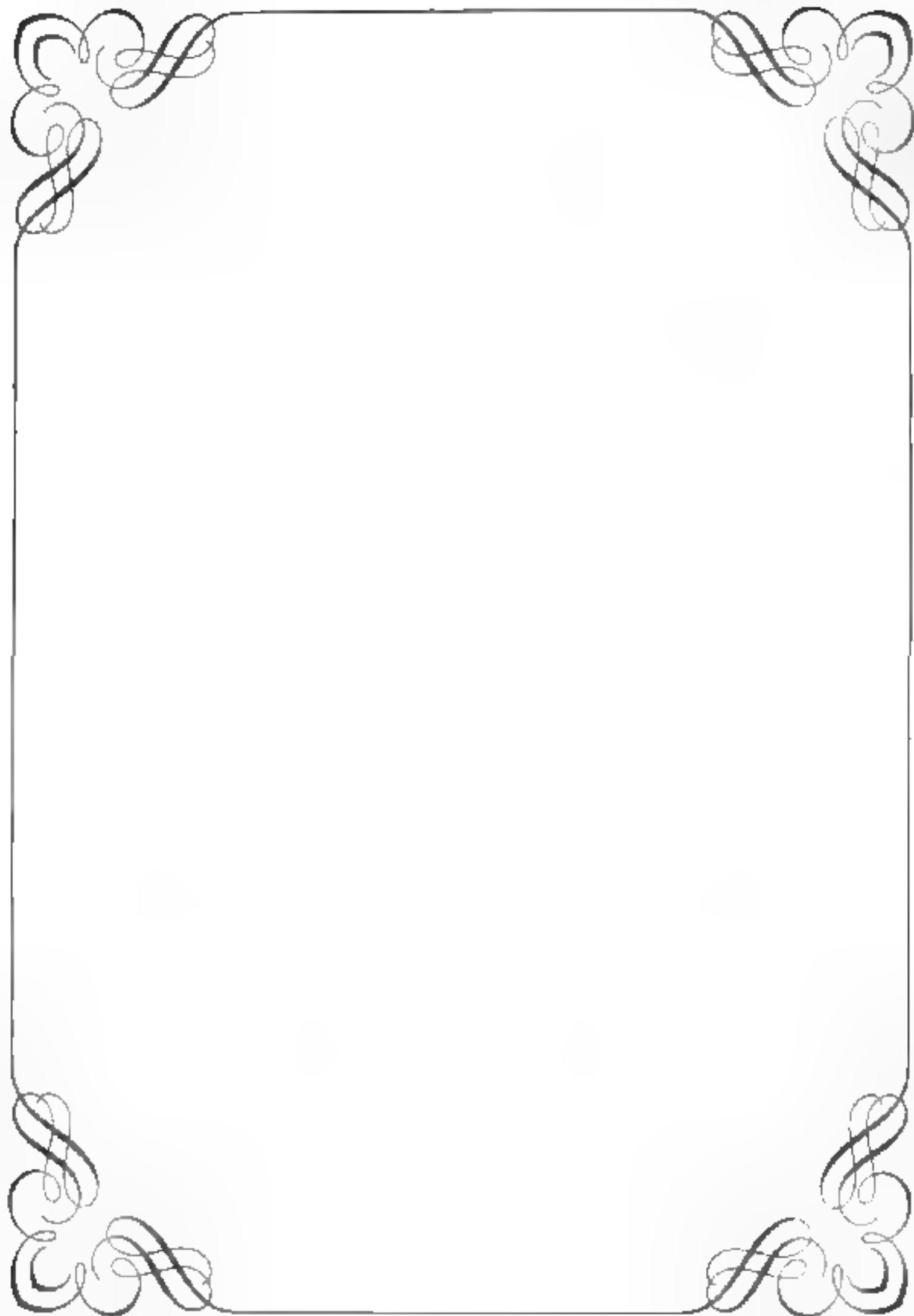
النّسر والنّملة

قالت النّملة للنّسر الذي
أنت ترعى في باتين النّجوم
قال : لكن أنا لا أبحث عن
لست ألقى نظرة حتّى ولا
مرّ يوماً ما على وادي النّمل
وأنا في شقوة العيش المذلّ
مؤني مثلك في هذا الثّراب
للسّماوات التي فوق السّحاب



(١) في ترجمة الأستاذ الملوحي الثرية :

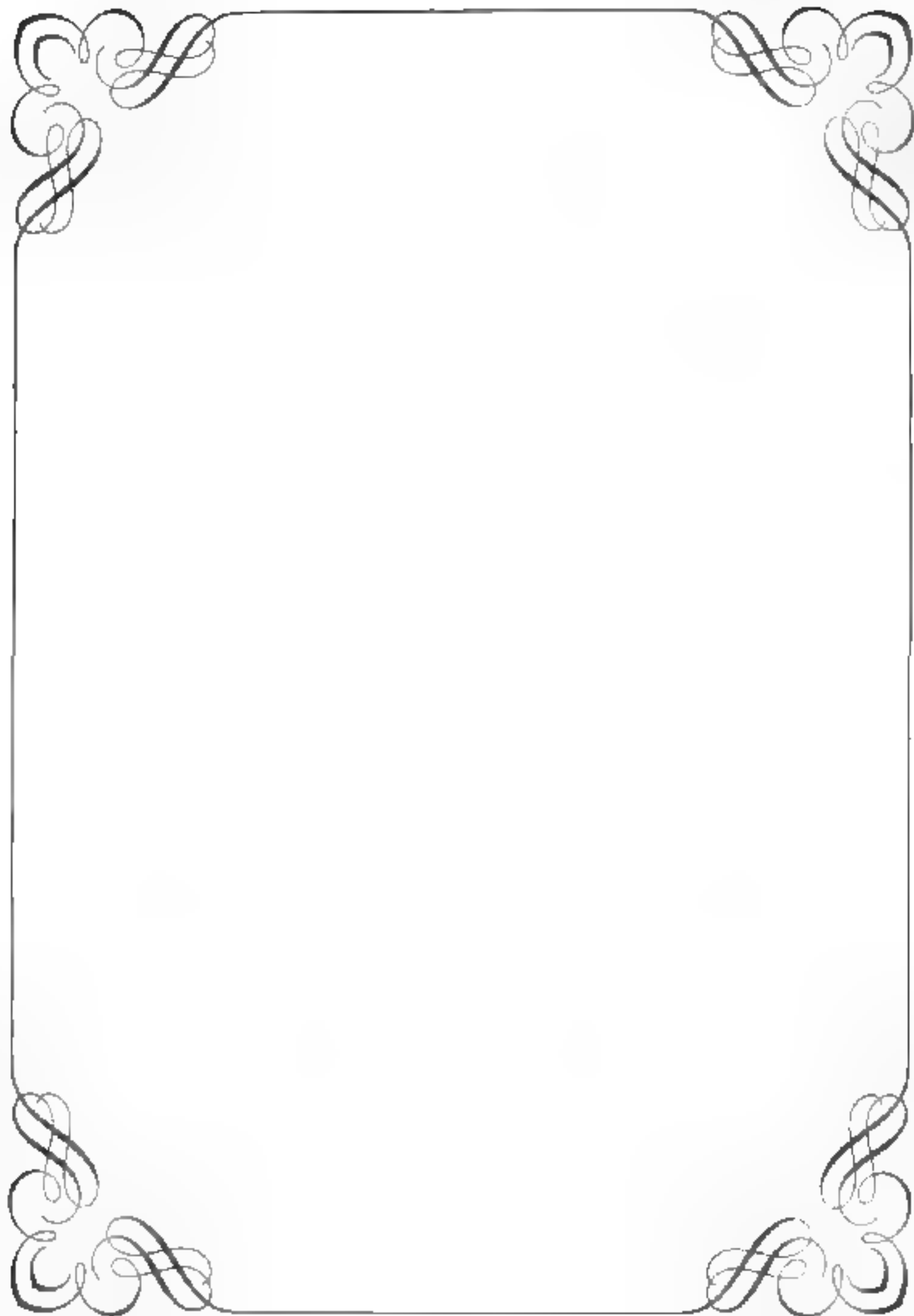
نرى أن الشاعر لا يقصد الفكرة الحرّة على الإطلاق وإنما يقصد (فكرة حرّة معينة) هي
كما ورد في دائرة معارف لاروس مادة LIBRE (الفكرة الحرّة هي رأي المفكرين
الأحرار . والمفكر الحرّ : هو الذي يفكر ويتحدّث في حرّية في موضوع الدين) .



الذَّيْوَانُ السَّادِسُ

ضَرْبُ الْكَلِيمِ
ضَرْبُ كَلِيمٍ

نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ شِعْرًا
الدُّكْتُورُ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَزَّام



هذا الديوان الثالث^(١) لمحمد إقبال باللغة الأردوية ، نُشر عام ١٩٣٦م . ولم ينشر في حياته ديوانٌ بعده ، يشتمل هذا الديوان على آراء ونظرات في الناس جماعات ووحداً وفي الدين والتربية والفنون والأدب والسياسة ، فهو أدخل في الفكر والفلسفة ، ولكن فيه من العاطفة والخيال ما يدخله في الشعر .

وكل حقيقة في هذا الكون أهل أن تدخل في الشعر ، إن صبغتها عاطفة الإنسان ، أو صورته خياله ، وموضوعات الشعر تتوالى من محيط دائرته إلى مركزها ؛ بعضها عند المحيط يدخل في الشعر قليلاً ، ويجاور ما هو خارج الدائرة . وبعضها أدخل في الدائرة ، وهكذا تتوالى إلى مركز الدائرة ، على قدر نصيب الموضوعات من العاطفة والخيال .

فالكلام في هذا الديوان (ضرب الكلیم) شعر يقارب الحقائق المجردة أحياناً ، لكنه في جملته أقرب إلى المحيط منه إلى المركز .

والديوان في جملته ضرب يفجر الماء من الحجر لا موسيقاً وغناءً ، كما قال إقبال :

كفاحٌ شديد ، وضربٌ شديد فلا تبغ في الحرب عزف الوتر
ومن أجل هذا سمّاه إقبال « ضرب الكلیم » ، رمزاً إلى قصة موسى عليه الصلاة والسلام حين ضرب بعصاه الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً .
فلعل القارئ يقدر خفايقه في معرض من الشعر شفاف أكثر مما يلمس فيه خيال الشعر وزينته وبهجته .

(١) وهو الثالث بالأردوية ، وأما بترتيب الدواوين بالفارسية والأردوية فهو السادس .

الأول : ثورة على « الإسلام غير المنزل من الله » وضعه الأعاجم وخيلوا إلى الناس أنه عين الإسلام ، وفرضوه على الأمة التي بُعثت لتمحو ما لا يلائم الدعوة القرآنية . وكان هذا الكيد للإسلام انتقاماً من الهزيمة التي أصابت الأعاجم بسيفوف المسلمين . فقد علموا أن سرَّ القوة والسطوة في هذه الأمة لمجاهدة ، سنن القرآن وعقائده التي تبعث الحياة في النفوس . فكادوا لها ليعبدوها عن القرآن ، ويريكوها في حباله « الإسلام غير القرآني » . وقد أحكموا كيدهم حتى حسب المسلم الغرُّ هذا السراب ماء . لقد أدخلوا في الإسلام فلسفة اليونان المخدرة ، وخضوع المجوس للسادة ، وشرعية اليهود والمعنية بالصور والأشكال ، كذلك عمدوا إلى هذه الأمة التي كانت شعلة من العمل والإقدام « فجعلوها بالاستسلام واليأس كومة من رماد » .

والقسم الأول من رسالة إقبال نذير الموت لهذا الإسلام غير المنزل « وبشير الحياة للإسلام القرآني » .



والقسم الثاني من رسالة إقبال احتجاجٌ دائم على هذه الفتن التي تموج بها الحضارة الغربية ، والتي يذهب موجهها بشباب الأمة الإسلامية كما يذهب السيل بالغشاء . وضرب الكليم هو إيذان هذه الحضارة بالحرب .

ما حضارة العصر الحاضر ؟ ولماذا يشتدُّ إقبال في معاداتها ؟
لا نعرف جواب هذا السؤال حتى نعلم ما الحضارة الإسلامية .

إنَّ من يتدبر القرآن يتجلى له أن الإسلام نظام حياة يسمى ديناً . فقد بيَّن القرآن للحياة الإنسانية مقاصد ، وحدَّ حدوداً ، وجعل للإنسان الاختيار والاجتهاد غير متعذِّ هذه الحدود وهذه المقاصد ، والحدود لا تتبدل ، فهي حقائق أبدية ، وقيم للحياة خالدة . يتبين من القرآن أنَّ للحياة مظاهر مختلفة متغيرة ، ولكن لها ينبوعاً واحداً لا يتغير ، وهذا ينبوع أصل هذه الحقائق التي ذكرت آنفاً .

والإيمان بوحدة ينبوع الحياة ، ينبوع الحقائق الأبدية ، يؤدي حتماً إلى هذه النتائج .

(أ) كلُّ إنسانٍ مودعٌ في فطرته إمكانات الحياة ، وغاية الحياة نموُّ هذه الممكّنات وتجلّيها . وهذه الجواهر الفطرية الخفية إذا فضجت وتلاّلت تجلّت ذات الإنسان . وحفظ هذه الذات وخلودها هما غاية سعي الإنسان وجهده .

(ب) والناس آحادٌ في أخوة شاملة عامّة ، لا تحدها الأوطان ، والأقوام ، واللغات .

(جـ) ثم فلاح النوع الإنسانيّ في أن يمضي في الحياة على شريعة واحدة ، يتلقّى بالوحي ، وهو اليوم محفوظ بين دفتي القرآن تحت هذه السماء .

في الإسلام نظامٌ للمعاش محكم ، قائم على هذه القواعد المحكمة . يمضي الإنسان به على منن التقدّم والترقي ؛ حتى يبلغ في مراحل الكمال سדרه المنتهى .

واليك خصائص هذا النظام :

(أ) في هذا النظام يستطيع كلُّ فردٍ في الجماعة أن يمثل في نفسه الصفات الإلهية التي يسمّيها القرآن « الأسماء الحسنى » . وهي ينبوع القيم الدائمة في الكائنات .

(ب) وتستحكم نفس الإنسان فيستطيع أن يوازن بين هذه الصفات كلها ، فقد وصفت الأسماء بأنها الحسنى . ولا يكون الحسن بغير اعتدال وتناسب .

(جـ) وتتجلّى في الإنسان بصيرة يصعّب بها حكمه ، ويستقيم رأيه ، فيعلم أيّ هذه الصفات الإلهية تقابل أيّ الحادثات الخارجية التي تنتابه .

(د) ثم يبدو في الجماعة - التي تؤلفها أفرادٌ من هذا القبيل - قدرةٌ على تسخير عالم الطبيعة ، وصلاحيّةٌ للانتفاع بهذا التسخير في فلاح الإنسان وسعادته .

(هـ) وبالإيمان المحكم بوحدة المخلوق ، ووحدة الكائنات ، ووحدة الأمة

واثلافها تتوافق الأضداد الظاهرة بين الإنسان والكائنات ، وبين الإنسان والإنسان ، وبين الإنسان ونفسه ، فيزول التنافر والاضطراب عن الجماعة الإنسانية .

(و) ثم يرى كل واحد في هذه الجماعة نفسه مظهراً للمصفة الإلهية « رب العالمين » ، فيقوم على الإنسانية بالحق والعدل غير راجح أجراً ، ولا عوضاً . فتيسر لوحدان الجماعة ضروريات الحياة ، وتنمو فيهم القوى القطرية ، وتذلل لهم الوسائل والأسباب أبداً .



هذه خلاصة المدنية القرآنية في كلمات قليلة . وعلى عكسها المدنية الحاضرة . فهي تناقض هذه الأصول كل المناقضة .

هذه المدنية قائمة على هذه الفلسفة : إن الحياة تنشأ من اجتماع العناصر ، المادية اتفاقاً ، وتنفى بتفرق هذه العناصر . والدنيا هي دنيا هذه العناصر المادية التي يتغير فيها كل شيء . فليس فيها قيم دائمة ، وليس فيها قانون لمكافأة الأعمال . والخير ما يجلب لواحد أو جماعة نفعاً خاصاً (ولو كان في هذا هلاك آحاد ، أو جماعات أخرى) . والشر ما يضرّ واحداً أو جماعة . وكل أمل هؤلاء الوحدان والجماعات في الحياة أن تجرّ إلى أنفسها منفعة . وعمل العقل والعلم أن يهيئ الأسباب والوسائل أو الحيل والمكائد لتحصيل هذه المنفعة .

ونتيجة هذه الفلسفة (مدنية العصر الحاضر) في الأفراد : أن في كل سنة من تلك الأفراد فرداً يختلّ عقله ، فيرسل إلى مستشفى المجانين ، كذلك دُلّ إحصاء أهل الغرب أنفسهم . ونتيجة هذه الفلسفة في الجماعات : أن أمم العالم في شغل بالقتل ، وسفك الدماء ، والتدمير ، أو بالاستعداد للقتل ، والسفك ، والتدمير .



أنعم إقبال النظر في فلسفة الحياة ، ونظريات السياسة والعمران عند الأمم الغربية ، فتجلت له هذه الحقيقة : إن هذه الفلسفة ، وهذا المنهاج في الحياة يجعلان هذه الدنيا جهنم لا محالة .

وإلى هذا كشف له السنن القرآنية حقائق الحياة حتى رأى البروق الكامنة في الشُّعب ، والعواصف المضمرة في الرياح .

هذا النظر حفز إقبالاً إلى أن يحذر الغرب ، فيقول للغربيين سنة ١٩٠٥ م : « ستقتل حضارتكم نفسها بخنجرها . لا يثبت العرش على حصنٍ رطبٍ ضعيفٍ مضطرب » .

ولم يأل إقبال جهداً ، منذ ذلك الحين إلى آخر لمحات حياته ، في أن يحذر الناس عامة والأمم الإسلامية خاصة من هذه الحضارة الشيطانية ، ويخوفهم عواقبها .



وهذه طائفة من النذر ، اسمها « ضرب كلیم » يكتبها إقبال بعد أن يحطم كل أصنام العصر الحاضر ، ولكنه لا يكتفي بأن يبطل سحر الفرعونية ، والهامانية ، والقارونية^(١) ، بل يهدي هذه الأمة في نور القرآن إلى الأودية المباركة من سينا ، وفاران ، حيث تفيض البركة من ينابيع الأرض ، وينزل الخير من السماء .

هذا ما يتعلق بـ « ضرب كلیم » . ويجدر بنا الآن أن نبرز نقطة من الأهمية بمكان في دراسة إقبال بوجه عام ، وهي : أن شعر إقبال حافل بكلماتٍ معينة ، عربية وفارسية ، لم يقصد إلى مدلولها اللغوي ، إنما استخدمها كاصطلاحات من وضعه هو . إذاً لا يتأتى لأحد أن يتبين ما يرمي إليه الشاعر ما لم يكن ملماً بحدود تلك المصطلحات الخاصة ، مثل « علم وعشق ، ذكر وفكر ، خبر

(١) يعني : صفات فرعون ، وهامان ، وقارون .

ونظر « سوز وساز ، أو درویش وقلندر ومردخو » وأخرى غيرها . ومع أن كل واحدة من تلك الاصطلاحات لها أهميتها إلا أن من بينها اصطلاحاً هو بمثابة المحور لفكر إقبال ، المحور الذي حوله يدور شعره كله ، ألا وهو « خودي » الذاتية . لقد كان هذا اللفظ يستعمل عندنا (بالاردوية) من قبل بمعنى الكبرياء والغرور (الأنانية) لكن إقبالاً أفاض عليه معنى خاصاً مغايراً للمعنى القديم الذي لم يلبث أن اختفى في أيامنا هذه أمام مزاحمه الجديد .

فماذا يعني إقبال بـ « خودي » ؟ .

إن الإجابة عن هذا السؤال تأبى إلا البسط والتفصيل ، لأن فلسفة إقبال هي فلسفة « خودي » سواء بسواء ، بحيث لا يمكن الإحاطة بمغزى هذا الاصطلاح بدون استعراض فلسفته برمتها . وليس هذا مقام التفصيل والإطناب ، إلا أنه نظراً إلى تكرار وجود هذا الاصطلاح في « ضرب الكلم » يتحتم علينا أن نعرفه تعريفاً خاطفاً بكلمة موجزة قدر الإمكان :

هل شخصية الإنسان ووجوده الفردي « أنا » عبارة أخرى « أنا » حقيقة مستقلة ، أم هي من نسج الخيال فقط ؟ هذا هو السؤال الذي قلما أغفل مفكرو أية أمة من أمم العالم الإجابة عنه . فذهب أفلاطون ومن ورائه حكماء إيران والهند ، إلى أن الكون لا يتمتع إلا بالوجود الكلي ، وأن ذات الإنسان (شخصيته أو « أنا ») وهم وخدعة لا غير . ثم إن هذه الخدعة إنما تستمد القوة من العمل الذي هو بدوره ينشأ من الرغبة . فالطريق إلى التخلص من هذه الخدعة هو أن يتدرج الإنسان من ترك الرغبة إلى ترك العمل ، لكي يتلاشى حجاب ذات الإنسان في بحر الوجود الكلي . وفناء الذات هذا هو النجاة والغاية من الحياة . فهذه هي فلسفة الحياة التي ظهرت وانتشرت بيننا باسم نظرية وحدة الوجود والتي حوّلت المسلمين من أمة دائبة في العمل إلى جمادٍ لا حراك به .

وقد عني إقبال بتفنيد فلسفة الحياة هذه ، ومعارضتها بضدها أعني فلسفة « خودي » ، وتتلخص هذه الفلسفة الأخيرة في أن الوجود ليس كلياً يشمل

الكون من حيث المجموع ، بل هو فردي يخص جميع الموجودات كلاً على حدة . حتى أن الله أيضاً فرد ، وإن كان متميزاً عن سائر الكون في طبيعة وجوده الفردي الخاص . فـ «خودي» عبارة عن أسمى صورة للحياة الفردية التي بها تتشكل شخصية الإنسان ، ووجوده المستقل . وعلى هذا فالغاية من الحياة الإنسانية هي إثبات «خودي» لا سلب الذات . ويعتقد إقبال : أن الإنسان كلما تشبه بذلك الفرد الكامل العزيز الوجود (الذي يطلق عليه «أنا» المطلق أو الله) أصبح هو نفسه منفرداً عزيز الوجود ، وذلك بما يسمى بتقوية «خودي» وإحكامها . و«التشبه بالله» إنما يعني استمرار الإنسان في التحلي بصفات الله إلى أن يتم بذلك جذب «أنا المطلق» في نفسه (نفس الإنسان) . والمحك الذي يكشف عن قوة «خودي» وضعفها هو مدى تغلب الإنسان على الموانع التي تعترض سبيله في الحياة ، ولا يخفى أن أعظم تلك الموانع هي المادة ، ولكن لا يفهم من هذا أن المادة شرٌ يستوجب الابتعاد والنفور منه ، فإنها ليست شراً ، إنما هي وسيلة لإيقاظ الهمم ، وإبراز قوى الإنسان من مكانها .

واحتناك الموانع والعوائق ، وتغلب الإنسان عليها يصل بـ «خودي» إلى أن تستطيع الصمود حتى لصدمة الموت - الأمر الذي يسر لها الحصول على الحياة الخالدة . فكل عمل يؤدي إلى تقوية «خودي» خير ، كما أن كل عمل يؤدي إلى إضعافها شر .

ويبين إقبال المراحل المختلفة لارتقاء «خودي» فيقول : إن المرحلة الأولى هي (خلق المقاصد) أو (توليد الرغبات) ، فإن الرغبات والأمانى هي عين الحياة وأصل القوة من حيث إنها تحرك وتدفع إلى العمل . والمرحلة الثانية لخلق المقاصد هي مرحلة الجهاد المتواصل لتحقيق تلك المقاصد ، والحماس للحصول على المقاصد والسبق إلى الغايات هو ما يسمى بـ «العشق» في عرف إقبال . ثم إن هناك ثلاثة شروط للنجاح في هذا الجهد : أولها الطاعة ، أعني الانقياد التام لأوامر الله ، وذلك يستلزم إنشاء مجتمع على النظام الذي جاء به

القرآن . وينتج من الطاعة ضبط النفس ؛ الذي هو الشرط الثاني للنجاح . وليس المراد بضبط النفس القضاء أو الضغط على الشهوات ، بل مجرد « كظمها » أي : تغيير مجراها ، وتحويل وجهتها ، بحيث يتم التوازن بينها ، ذلك التوازن الذي يتجلى بأكمل وجوه في الذاب الإلهية الجامعة لصفات متضادة متعادلة للغاية .

وإذا تمّ تطهير الفكر والعمل ، وتهذيب النفس على النحو الذي تقدّم ، وصل الإنسان إلى المقام الذي يسمّيه إقبال « نيابة الله » . وذلك هو الشرط الثالث . وإنما يعني إقبال - « نيابة الله » القوة التنفيذية التي تتولى إجراء حدود الله (أحكام القرآن) في العالم . (ولا تعني نيابة الله الحلول محلّ الله ؛ لأن ذلك يستلزم خلوّ المحل ، وانعدام شاغله أولاً) .

هذا المقام هو « مقام المؤمن » والمقام الذي يؤكد إقبال أنه يمثل آخر مدى قوة « خودي » واستحكامه . إذا انتهى الإنسان إلى هذا المقام غلب هو على الدنيا ، ولم تغلب الدنيا عليه - الحال التي تسمّى في عرف إقبال « الفقر » (حال الدرويش أو القلندر) « وهي عبارة عن تسخير جميع الكون ، ثم الاستغناء عنه بحيث يكون الإنسان مظهراً لتلك الصفة من صفات الله التي ذكرها بقوله « الصمد » و« غني عن العالمين » . والجماعة التي تنتظم أفراداً هذه حالهم هي الأمة المسلمة . وأقصى ما تهدف إليه رسالة إقبال هو البحث الجديد لهذه الأمة التي قيل عنها :

ميان امتان والامقام است كه آن امت دو كيشي را امام است
نياسا يـد زكار آفرينش كه خواب و خستكي بروي حرام است

(إنها تعلو فوق الأمم ؛ لأنها أمة نيطت بها الإمامة في الدنيا والآخرة فهي لا تني عن مواصلة أمور الخلق ؛ لأنّ النوم والتعب محرمان عليها) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨] وقيل عنها أيضاً :

ياغان عندليبي خوش صغيري براغان جره بازي زودكبري
 أمير او سلطانسي فقيري فقير او به درويش اميري
 (إنها في البساتين عندليبُ حسن التغريد ، وفي الصحاري باز خفيف سريع
 الانقضاض ، الأمير فيها فقير على الرغم من كونه سلطاناً ، كما أنَّ الفقير فيها
 أمير على الرغم من كونه درويشاً)^(١) .

﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ [البقرة : ١٤٣] .



(١) قام بترجمة هذه الكلمات من الأردوية الأستاذ الدكتور محمد يوسف (المدرس بكلية
 الآداب بجامعة القاهرة) .

فَطَسْرُهُ الْحُسْرُ لَا تُطِيقُ مُقَاماً فَنَاطِلُ السَّيْرِ دَائِباً كَالنَّيْمِ
أَلْفُ عَيْنٍ تَشْقُ صَخْرَكَ فَاضْرِبْ بَعْدَ غَوَاصٍ فِي (الدَّائِثِ) ضَرْبَ الْكَلِيمِ



إلى القارئین

إذا لم تُصب في الحياة النظر
كفاحٍ شديدٍ ، وضربٌ شديد
مَعِينُ الحياة دماء القلوب
فليس زجاجُك كُفءَ الحجر^(١)
فلا ترجُ في الحرب عَزَفَ الوتر
ولحنُ الدِّمَا لا المِياهِ الفِطَر^(٢)



-
- (١) أنت بالنظر الصائب صلبٌ تطيق الصدام في الحياة ، وإن لم يصب نظرك كنت كالزجاج لا تقوى على الصدام .
- (٢) لحن المِياه يستخرج من أوان نصف ، ويوضع فيها الماء مقادير مختلفة على نسب محددة ، ويضرب عليها . وهذه تسمى « جل ترنك » أي : لحن الماء . فقال الشاعر : إنَّ الفطرة لحن دم ، لا لحن ماء . يعني : أنَّ أنغامها تتبعث من دماء الناس ، لا من المِياه .

يَقْظَةُ « الذات » لا أراها بدَيْرٍ لا ولا تُجْتَلَى لَدَى الْمِحْرَابِ
 إِنَّ رَوْحَ الشُّعُوبِ فِي الشَّرْقِ غَافٍ مِنْ سُمُومِ التَّرْيَاقِ ، رَهْنُ غِيَابِ^(١)
 إِنَّ تَضِيقَ بِالْجِهَادِ فِي الْأَرْضِ ذُرْعاً فَحَرَامٌ مَسْرَاكُ فَوْقَ الشَّحَابِ^(٢)
 لَيْسَ مِنْ خَيْفَةِ الْمَمَاتِ نَجَاةٌ إِنْ تَرِ (الذات) هَيْكَلًا مِنْ تَرَابِ^(٣)
 لَيْسَ يُخْفِي صُرُوفَهُ الدَّهْرُ لَكِنْ لَكَ قَلْبٌ وَنَاطِرٌ فِي حِجَابِ
 قَدْ مُنِحَتْ الْهَشِيمَ فِي آسِيَا إِذْ أَنْ نَارِي حَدِيدَةً فِي التَّهَابِ^(٤)

ذَنْبُ إِقْبَالِ الْيَانُ وَإِنْ كَانَ شِيَةِ الزَّمَانِ نَزَرَ الْوَصَالِ^(٥)
 هَاجَ أَنْغَامُهُ عَكُوفاً عَلَى الْخَشْخَاشِ مَوْتَى إِلَى طُلَابِ الْمَعَالِي
 فَمَهِيضُ الْجَنَاحِ أَلْفُ دَارٍ قَدْ رَنَا الْيَوْمَ لِلْفَضَاءِ الْعَالِيِ^(٦)
 فَعَدَاةُ التَّغْرِيدِ فِي الْأَسْحَارِ وَحْنِيْنٌ وَمُتَعَةٌ الْأَبْصَارِ^(٧)

(١) الترياق : الأفيون .

(٢) يقول : إن لم يستطع الإنسان المجاهدة على هذه الأرض ، فاشتغاله بالفلك ، وما وراءه حرام .

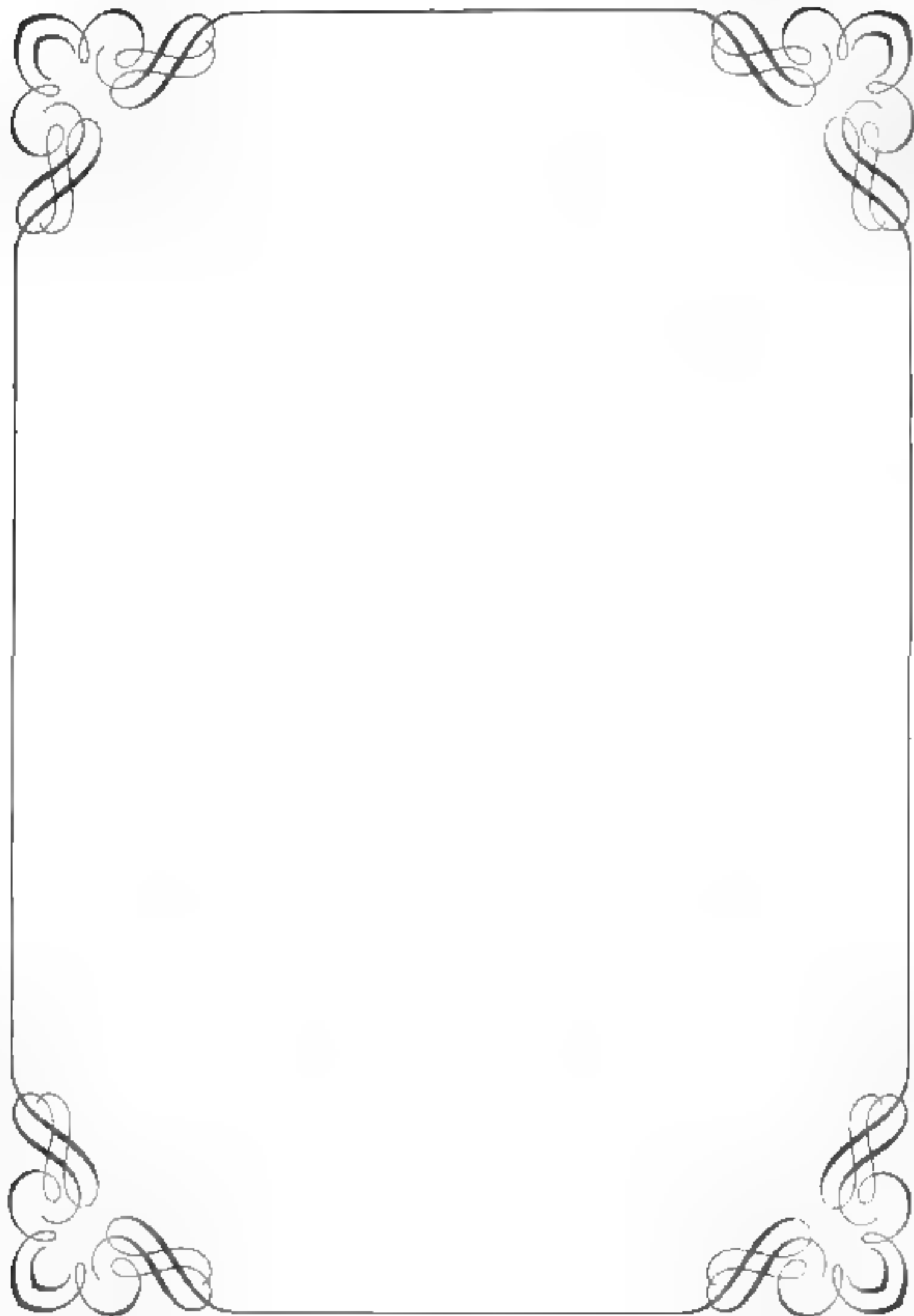
(٣) يرى إقبال أن الحياة الخالدة بقوة الذات . فمن حسب ذاته تراباً كالجسم لم يخلص من خشية الموت .

(٤) ناري شديدة الالتهاب ، فأنا قادرٌ على إحراق هشيم آسيا ؛ أي أممها التي هي كالهشيم ؛ أي إزالة مفسدها وإعدادها للحياة .

(٥) إقبال قليل المخالطة للناس ، ولكن بيانه سائر فيهم .

(٦) إقبال دعا إلى طلاب المعالي العاكفين على الأفيون حتى طمحت الطير الداجنة كسيرة الجناح إلى عنان السماء لتطير .

(٧) دعاء على إقبال بأن يحرم مما يحب من التغريد . . إلخ جزاء إيقاظه الغافلين .



القسم الأول

الإسلام والمسلمون



الصباح

إِنَّا لَنَجْهَلُ مَطْلَعَ الصُّبْحِ الَّذِي يُدْعَى بِیَوْمٍ أَوْ غَدٍ فِي الْأَزْمَنِ
لَكِنَّمَا الصُّبْحُ الَّذِي ارْتَجَّتْ لَهُ ظُلُمُ الْعَوَالِمِ ، مِنْ أَذَانِ الْمُؤْمِنِ

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (١)

مُنْتَمِرٌ فِي الذَّاتِ مَعْنَى بَعِيدٌ	سُرُّهُ	لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
سَيْفُ الذَّاتِ قَاطِعٌ غَيْرُ نَابٍ	شَحْدُهُ	لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
عَصْرُنَا يَبْتَغِي خَلِيلًا حَظُومًا	وُثْنُهُ .	لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (٢)
إِنَّ دُنْيَاكَ مَوْثُنٌ لَا تَصْدُقُ	زُورُهُ .	لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
فِي مَتَاعِ الْغُرُورِ تَسْعَى وَتَبْغِي	رَبْحُهُ !	لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
يَا أَمِيرَ الْخَسَارِ وَالرَّبْحِ يَنْسَى	نَفْسَهُ !	لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
مَالُ دُنْيَاكَ وَالْبَنُونَ خِدَاعٌ	كُلُّهُ .	لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
هِيَ أَصْنَامٌ وَاهِمٌ قَدْ بَرَاهَا	وَهْمُهُ .	لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
حَبَسَ الْعَقْلُ فِي مَكَانٍ وَوَقْتُ	كَفَرُهُ .	لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
لَا زَمَانَ وَلَا مَانَ فَحَطَّطَمَ	غَلَّهُ .	لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

(١) بنى الشاعر هذه الأبيات على كلمة التوحيد بلفظها العربي فجهدت في الملاءمة بينها وبين الوزن وجعلتها ردفاً وبنيت الروي قبلها على الهاء غير ملتزم حرفاً آخر .
(٢) الوُثْنُ : جمع وثن ، والموثن : مكان الأوثان .

الاستسلام للقدر^(١)

من القرآن قد تركوا المساعي وبالقرآن قد ملكوا الثريا
إلى (التقدير) ردوا كل سفي وكان زماهم قدراً خفياً
تبذلت الضمائر في إصار فما كرموه صار لهم رخصاً

المعراج^(٢)

وذرة طار فيها الشوق صاعدة تُغير في عرصات الشمس والقمر
يا رفقة المرج ا تلقى الصقر مقدمة دُراجة تملأ الأنفاس من شرر
المسلم السهم ، والأفلاك غايته سرائر الروح في المعراج فاذكر^(٣)
جهلت **﴿ والنجم ﴾** أسراراً فلا عجب ما زال مدك محتاجاً إلى القمر^(٤)

-
- (١) يقول إقبال في هذه الأبيات : إن المسلمين احتجوا بالقرآن في القصور عن السعي ، ومن هذا القرآن نفسه ملك المسلمون الآفاق . وقد ركنوا اليوم إلى القدر وكان عزمهم من قبل قدراً . والحق أن العبودية بدلت النفوس ، فأوا حسناً ما كان عندهم قبيحاً .
- (٢) الذرة التي يملؤها الشوق تعلو على الشمس والقمر ، والدراجة إذا ملأ صدرها الحماس قاتلت الصقر ، فإنما القوة الحق قوة الروح ، لا شيء يستعصي عليها .
- (٣) يريد أن في المعراج سر الروح . وهو رمز إلى أن المسلم سهم هدفه الفلك .
- (٤) جهلت أسرار الآيات في أول سورة النجم ، التي يذكر فيها الوحي ، وتقريب الرسول إلى ربه . وليس جهلك عجباً ، فإن نفسك لم تكمل ، ولا تزال خاضعة لما يؤثر فيها محتاجة إليه ، كما يحتاج البحر إلى القمر في مده .

إلى سيد مصابٍ بالفلسفة

لو لم تُؤَلَّ « ذاتك » النسياناً
أصداف (هيكل) من الخوالي
فكيف صاح تحكّم الحياة
وطَلَبُ الإنسان للثبات
يُحوّل الدُّجى إلى الإشراق
وأنسى في الأصل سُومَناتي
وأنت من أولاد هاشمي
في عَصَبِي فلسفة الأشياء
أحاط إقبالُ بها تفصيلاً
عاقبة العقل إلى شتاتٍ
ونقمة الأفكار دون صوت
الذين في حياتنا تقويم
(قلبك فاربط بالهدى المحمدي
إن تك بالطريق غير داري

لم تَحْمِلْنِ زُنَّارَ (بَرَجَسَانَا)^(١)
طَلَسْمَةُ جميعه خيالي
وكيف تجتازُ الزمانَ (الذاتُ) ؟
وقصده دستور ذي الحياة ؟
أذن مؤمنٌ يدا الآفاق
إلى مناة سَلَفِي واللاتِ^(٢)
وطيتي من نسلِ بَرَهْمِي
قد مُزِجَتْ بطيتي ومائي
وإن يكن عرفائه قليلاً
فلسفة بُعد من الحياة
للذة الأعمال حادي الموت
الذين أحمدُ وإبراهيمُ
« أبا علي » اتركُنْ يابن علي
فالقرشي اتبعه لا البخاري^(٣)



- (١) برجسون : فيلسوف فرنسوي « ويلفظ اسمه في الهند بركسان ، وهيكل : فيلسوف ألماني .
- (٢) سومنات : معبد كبير في الهند هدمه السلطان محمود الغزنوي حينما فتح الهند ، ويشيده الهنادك اليوم . واللات ، ومناة من أصنام العرب .
- (٣) هذان البيتان من شعر الخاقاني في « تحفة العراقيين » وأبو علي والبخاري في البيتين : ابن مينا .

الأرض والسماء

صاح علّ الذي رأيتَ ربيعاً هو في أعين خريف الزّمان
سالك النهج ! كلّ حين شؤون لا تفكر في الربيع والخسران
رُبّ ما خلّقه بدياك أوجاً هو أرض لعالم غاب ثان

اضمحلال المسلمين

إنّ كان ذا الذهب الذي يقضي الحوائج في الدّنى
فالفقر صاحٍ مُيسّر ما لا يُيسّرُه الغنى
شبان قومي لو تحلّوا بالشّجاعة دينا
لم تُلف صغلكي أقلّ من الملوك تصوّنا
الأمر ليس كما زعمت وقد وصفت المؤمنا
فزعمت أنّ طماحه من قلّة المال انثنى
إنّ كان في الدّنيا بدا لي جوهر فيه سنا
فمن التّصعّب قد بدا لا بالخزائن والقنى

العلم والعشق

كان لي العلم غروراً : إنّما العشق جنون
قال لي العشق مجيباً : إنّما العلم ظنّ
لا تكن سوس كتاب يبا أميراً للظنون
فمن العشق شهود ومن العلم حجاب
من لهيب العشق نار ثورة في الكائنات

وشهـودُ (الـذاتِ) للعـشق ، وللعـلم الصـفـات
 ومـن العـشق ثبـات
 وعـلمنا سـؤل جـلـي
 معـجـزات العـشق مـلك
 وعـبـد العـشق أدنـسا
 ومـن العـشق زمـان
 إنـمـسا العـشق بـقـيـن
 ألقـة المنـزل فـي شـرع مـن الحـب حـرام
 خطـر البـحر حـلال
 خفـة البـرق حـلال
 علمنا نـزل كـتاب
 وحـياة وممـات
 عـشقنا خـافي الجـواب
 زانـه فقـر وديـن
 هم لـه عـرش مـكين
 ومـكان ومـكين^(١)
 وبـه يفتـح بـاب
 راحـة السـرب حـرام
 وفـرة الحـب حـرام^(٢)
 عـشقنا أم الكـتاب



اجتهاد

حكمة الدّين كما قد زعموا
 ما بها لذة سعي دائب
 أين منهم جراءة العقل لدى
 آه للتقليد والأسر بما
 علّمت في الهند من أيّ طريق؟
 لا ولا فيها من الفكر العميق
 مخفل يهفو إلى الفكر مشوق
 ألقوه وزوال التحقيق

(١) يستعمل كثيراً في الآداب الإسلامية غير العربية كلمة مكين مع مكان . ويراد بها من يحل في المكان .

(٢) الحب لا يرضى القرار ففي شرعه ألفة المتمزل حرام ، وحلال ركوب الخطر في البحر ، وحرام الدعة على البر . وخفقة البرق التي تحرق اليبدر حلال ، ووفرة الحب ؛ أي : الجمع والادخار وحب السلامة حرام . وذكر البرق واليبدر شائع في الشعر الفارسي والأردي .

بَدَّلُوا الْقُرْآنَ لَا أَنْفُسَهُمْ كَمْ فَقِيرٍ مُبْعَدٍ مِنْ تَوْفِيقٍ^(١)
وَكَفَى الْقُرْآنَ نَقْصاً أَنَّهُ مَا هَدَى الْمُؤْمِنَ مِنْهَاجَ الرِّقِيقِ^(٢)

شكر وشكوى

لَكَ الْحَمْدُ إِنِّي عَبْدٌ جَهْلٌ وَلَكِنْ وَصِلْتُ بِسَرِّ الْغِيُوبِ
مَنْخَتُ الْقُلُوبِ هِيَاماً جَدِيداً أَثَرْتُ الْبَعِيدَ بِهِ وَالْقَرِيبَ
وَمِنْ حَرِّ شَذْوِي يُرَى فِي الْخَرِيفِ طَرُوباً بِصَحْبَتِي الْعَنْدَلِيبِ
وَلَكِنْ خُلِقْتُ بِأَرْضِي بِهَا نَفُوسُ الْعَبِيدِ بِرِقِّ تَطْلِبِ

الذكر والفكر

ذَاكَ لِلْـلَّـالِكِ الطَّمُوحِ مَقَامٌ نَزَلَتْ فِيهِ «عَلَّمَ الْأَسْمَاءَ»^(٣)
وَمَقَامُ التَّفْكِيرِ قَوْلُ ابْنِ سِينَا وَمَقَامُ الْعَطَّارِ بِالذِّكْرِ ضَاءٌ^(٤)
وَلِذِكْرِ «سَبْحَانَ رَبِّي» وَالْفَكْرِ يُقَيِّسُ الزَّمَانَ وَالْأَرْجَاءَ^(٥)

- (١) كرر إقبال هذا المعنى في شعره ، يقول : إن النفوس قد ضعفت ، فأولت القرآن تأويلاً يلائم ضعفها إشفاقاً من تكاليفه .
- (٢) يعني أن الذين بدلوا القرآن المذكورين في البيت السابق لم يجدوا في القرآن طريقاً إلى العبودية التي سكنوا إليها ، فحسبوا القرآن ناقصاً .
- (٣) الآية : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١] .
- (٤) في الأصل : العطار والرومي ؛ أي : فريد الدين العطار ، وجلال الدين الرومي ، وهما من كبار شعراء الصوفية .
- (٥) الذكر يتصل بالحقيقة الإلهية ، والفكر في شغل بقياس الزمان والمكان .

شيخ الحرم

يَخْفَى عَلَيْكَ مَقَامُ آدَمَ فِي الْوَرَى فَالْنَفْسُ مَا نَالَ إِلَهَ وَصَالُهَا^(١)
 مَا فِي أَذَانِكَ مِنْ صَبَاحِي دَعْوَةٍ أَوْ فِي الصَّلَاةِ جَمَالُهَا وَجَلَالُهَا

القدر (٢)

رَبِّمَا يَبْلُغُ الْكَثِيمُ مُنَاهُ وَيُنَالُ الْكَرِيمُ ضَيْمُ الزَّمَانِ
 عَلٌّ فِي مَنْطِقِ الْقَضَاءِ خَفَاءُ وَيُرَى دُونَ مَنْطِقِ فِي الْعِيَانِ
 عَلِمَ النَّاسُ ذِي الْحَقِيقَةِ طَرًّا وَجَلَاهَا التَّارِيخُ كُلُّ أَوَانِ
 نَحْوَ مَعَى الْأَقْوَامِ يَرْنُو الْقَضَاءُ نَظَرَةً كَالْحُسَامِ فِيهَا مَضَاءُ

التوحيد

قُوَّةٌ كَانَ فِي الْحَيَاةِ عَلَى الْأَرْضِ فَصَارَ التَّوْحِيدُ عِلْمَ الْكَلَامِ
 زَدُّهُ فِي الْفَعَالِ غَيْرَ مَضِيٍّ جَهْلُنَا الْيَوْمَ مَا لَنَا مِنْ مَقَامِ
 قَائِدَ الْجَيْشِ ! قَدْ رَأَيْتُ غُمُودًا مِنْ « هُوَ اللَّهُ » مَا بِهَا مِنْ حُسَامِ^(٣)

(١) يخفى عليك مقام الإنسان ، ولهذا أخذت إلى الأرض فلم تصل إلى الله .

(٢) يقول إقبال في هذه الأبيات : إنَّ القضاء يبدو غير تابع للمنطق ، ولعل له منطقاً خفياً ، وعلى كل حال نرى حقيقة لا جدال فيها ، هي أنَّ عين القضاء تنظر إلى مساعي الأمم ، فتقضي فيها على قدر مساعيها .

(٣) رأيت غموداً ليس فيها حسام من التوحيد ، وفي الأصل : من « قل هو الله » أي قل هو الله أحد .

ما درى الشيخ أنَّ توحيدَ فكرٍ دونِ فعلٍ ، يُعدُّ لَقْوَ كلامٍ^(١)
يا إماماً لركعةٍ كيف تدري في السورَى ما إمامةُ الأقوامِ ؟

العلمُ والدينُ^(٢)

العلم يخلق إبراهيم موثقه إذا تراء نديمَ القلبِ والنَّظيرِ
هذي الحياةُ وهذا الكونُ ، ما يُدلا ما مُحدثٌ وقديمٌ قولٌ ذي بصرِ
ما يُحسنُ المرجُ تريبَ الزهور إذا لم تشركِ النَّسماتُ العُلَّ في الزَّهرِ
العلم إن لم يُضِفْ نَجوى الكليم إلى رأي الحكيم فما للعلم من قدرِ

المسلمُ الهندي

قال البرهمنُ : خائنٌ أوطانه والإنكليزُ تقول : هذا مجتدي
ونبوءةُ البنجاب قالت : كافر مستمسكٌ بقديمه لا يهتدي^(٣)
أيان صوتُ الحقِّ يعلو هاهنا ؟ ويلٌ لقلبي في الصُّراع المُجهَدِ^(٤)

-
- (١) لا يفيد توحيد الأفكار دون توحيد الأفعال ، فإنَّ ثمرة وحدة الفكر وحدة العمل .
(٢) العلم وحده عاجز مُضل حتى يتَّصل به القلب ويصاحبه الإيمان ، ويهديه العشق . فإن كان كذلك خلق هو إبراهيم ليحطم أوثانه التي يصنعها . هذا شأن الحياة ، لا قديم فيها ولا حديث ، والعلم والبصيرة أو العقل والقلب كالعلل والنسيم لا بدَّ من اشتراكهما في تربية الزهر .
(٣) نبوة البنجاب يقصد بها من ادعى النبوة (هو مرزا غلام أحمد القادياني) .
(٤) هذا الشطر مضمن في الشعر ، وقد جاء في الأصل بلفظ فارسي .

على ذكر الإذن بحمل السيف^(١)

أيها المسلم تَذَرِي اليومَ ما
هو مصراعٌ من البيت الذي
وأرى مصراعه الثاني في
أنت يا مسلم - إن تظفر به -
قيمة الفولاذ والعُصْب الذَّكَر
مضمراً فيه من التَّوْحِيدِ سِرَّ
سيفٍ فقِرٍ تحويه كفُّ حُرِّ
خالدٍ أو حيدرٍ يومَ المَكْرِ^(٢)

الجهاد^(٣)

الشيخُ أَفْتَى أَنَّهُ عَصَرُ القلم
أما دَرَى الشيخُ بأنَّ وعظَّه
فما ترى السُّلَاحَ كفُّ مسلمٍ
مَنْ قلبه يهابُ مَوْتَ كافرٍ
فعلَّمَن تركَ الجهادِ طاغياً
أما ترى الغربَ بدا مُدَجَّجاً
يا مُفْتِياً على الكنيسِ مُشْفِقاً
الحربُ في المشرقِ شرٌّ داهِمٌ
ما السيفُ فيه حاكمٌ بين الأممِ
في مسجدٍ قد صار من لَغْوِ الكَلِمِ ؟
بل قلبه من لَذَّةِ الموتِ حُرِّمٍ
فكيف ميتةُ الشَّهِيدِ يَغْتَنِمُ^(٤) ؟
مِنْ كَفِّهِ يسيلُ في العالمِ دَمٌ
ليحفظَ الباطلَ في عِرْضِ عَمَمٍ ؟
قد حازَ في أحكامِهِ أولو الفَهَمِ
والحربُ في المغربِ شرٌّ لا جَرَمِ

(١) أذن الإنكليز للناس بحمل السيوف بعد أن حرَّم حمل السلاح كله ، فنظم إقبال هذه الأبيات .

(٢) يريد خالد بن الوليد ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

(٣) قامت طائفة في الهند تنكر الجهاد ، تقول : إن هذا عصر الدعوة بالقلم لا القتال بالسيف ، وتدعو المسلمين إلى السلم ، فيأخذ عليهم إقبال أنهم يدعون المسلمين ولا سلاح في أيديهم ويتركون الأمم المدججة في السلاح التي تشن الحرب بين الحين والحين .

(٤) يريد بموت كافر : الموت في غير جهاد .

إِنْ يَنْتَهِجِ الْحَقُّ فَكَيْفَ حَاسِبُ الْمَسْـلَمِ لَا الْفِرْنَجُ ذَلِكَ الْحَكَمُ ؟

القوة والدين

كم أصاب الإنسان في هذه الأرواح
ويقول التاريخ في كل عصر :
هي سيل غشاؤه الفناء والعلم
وهي سُمٌ بغير دين . وبالدِّين
ضِيٌّ مِنْ إِسْكَندَرٍ وَمِنْ جَنْكِيْزٍ
خَطَرٌ فَزَطُ قُسْوَةٍ لَعَزِيزٍ
وما أثلَّ الوردى من كنوز
دواءٍ لكسلٍ سُمٌّ نَجِيزٍ

الفقر (١)

الفقر يعضي بلا سلاح في حومة الحرب كالزُّجُوم

(١) يشيد محمد إقبال بالفقر في مواضع كثيرة من شعره في هذا الديوان وفي غيره ، ويعده مفتاح كل خير والوسيلة إلى كل سُودد ، والمقتحم كل عقبة ، ومن الأبيات التي ذكر فيها الفقر في هذا الديوان .

في القطعة : « على ذكر الإذن بحمل السيف » :

أيها المعلم تدري اليوم ما
هو مصراع من البيوت الذي
وأرى مصراعه الثاني في
وقوله في القطعة « الفقر والملكية » :

الفقر يعضي بلا سلاح
وقوله في قطعة « السلطان » :

تعلم فألف مقام وثمان
وقوله في قطعة « الإمامة » :

يُمِرُّ عليك من فقرٍ مِنَّا
فيطبع منك سيفاً للمنايا

وكل ضرب له سديد
حماسه قص كل عصر
يا غيرة الفقر أنجدينا
عبادة الغرب جمع مال
إن ثار من قلبه التليم
قصة فرعون والكليم
واهدي إلى نهجك القويم
تنخر في روحه السقيم

وقوله في القطعة « نكتة التوحيد » :

أي ملك مقام فقر ، ولكن تؤثر الذل مذعناً ما احتيالي
وقوله في القطعة التي أولها « متاعك في الحياة فنون علم » :
وما إن ذل قوم قد أعدوا حماس العشق والفقر الغيور
ويتبين للقارىء من التأمل في هذه الآيات أن الفقر في لغة إقبال ليس عدم المال أو
قلته ، ولا هو حاجة إلى ما يعيش به الإنسان ويعتز به من متاع الدنيا . فما يعني إقبال
حين يذكر الفقر ويثبده ويبالغ في إكباره ؟ الذي يدركه القارىء من كلام الشاعر : أن
الفقر الذي يعنيه الشاعر هو خلاص النفس من قيد التملك أو الطمع ، ومضيها عاملة
مقدمة لا يغطيها وجدان ولا يذلها حرمان . وربما يملك الفقير قناطير من الذهب وربما
يكون ملكاً مسلطاً لا يُعمر سلطانه مال أو متاع .
وليس هذا المعنى بعيداً عما فسر به بعض الصوفية الفقر .

في « رسالة القشيري » :

سئل يحيى بن معاذ عن الفقر ، فقال :

« حقيقته ألا يستغني إلا بالله » .

وقال الشبلي :

« أدنى علامات الفقر أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها في يوم ثم خطر له أن لو

أمسك منها قوت يوم ما صدق في فقره » .

وفي الرسالة أيضاً :

« وقيل : صحة الفقر ألا يستغني الفقير في فقره بشيء إلا بمن إليه فقره » .

وفي كتاب « حوارف المعارف » للسهروردي :

وقال الكتاني : « إذا صحَّ الافتقار إلى الله تعالى صحَّ الغنى بالله تعالى ، لأنهما حالان

لا يتم أحدهما إلا بالآخر » .

فترى أن الفقر في هذا الكلام ليس عدم الملك وقوات المال ، ولكن ألا يرتبط الإنسان

بما أدرك أو بما فات ، أعني أن لا تكون الدنيا في قلبه وإن كانت في يده .

العشق والشكر ما أباحا أن أضبط النفس في همومي
فقدتكم لم تفتح إلا بزوج من النسيم^(١)

الإسلام

إنَّ نارَ « الذات » ، والنور لديها
إنَّ نارَ « الذات » ، فاقبس من لظاها
هي تقويمٌ وجودٌ وهي أضلُّ
إنَّ قلبي الغربُ من الإسلام لفظاً
هي للإسلام رُوحٌ مستير^(٢)
في حياة الخلق نورٌ وسُفورٌ
للتجلى أخفيت خلفَ ستور
فله اسمٌ آخرُ : الفقرُ الغيور^(٣)

الحياة الأبدية^(٤)

صدفت لنا هذه الحياة ، وذاتنا
ما قيمة الصدف الذي لا يستطيع
إن صانست الذات المتينة نفسها
كالقطر من نيسان في الصدفات^(٥)
يُحيل قطرات إلى دُرّات
أعيث على الأيام كلَّ ممات

- (١) كيم الزهر لا يفتح إلا بالنسيم ، وبيان الشاعر وشكواه كالنسيم تفتح بهما نفسه .
(٢) رُوح الإسلام هي الذات نارها ونورها .
(٣) إنَّ نفر الفرنج من لفظ الإسلام فنحن نسميه اسماً آخر فيه حقيقته هو الفقر الغيور .
(٤) يؤكد الشاعر في هذه الأبيات رأيه في الذات أنها مقصد الحياة ، وأنها إن قويت واستحكمت ، لم تمت .
(٥) يقال : إنَّ الأصداف تكون على سطح الماء مفتوحة ، فإذا نزل مطر نيسان تدخل في كل صدفة قطرة منه فتطبق عليها حتى تتحول دُرّة . والشاعر يجعل الحياة صدفةً ، والذات قطرة من نيسان . ويريد أن تحكم الحياة الذات كما تحيل الصدفة القطرة دُرّة .

تَعْلَمُ ؛ فَأَلْفُ مَقَامٍ وَشَانِ
إِذَا انْجَلَتْ (الذَّاتُ) فِي قَهْرِهَا
وَتَوَزَنَ فِي ذَا الْمَقَامِ الْقَوَى
وَإِنَّكَ فِي ذَا الْمَقَامِ عَظِيمٌ
وَمِمَّا ذَاكَ بَغْيٌ وَقَهْرٌ وَلَكِنْ
فَمَا يَسْتَطَاعُ بِقَهْرِ وَيَغْيِ
وَأَعْيَاكَ فِي الدَّهْرِ حَفِظُ لِفَقْرٍ
وَكَانَ عَلَى الدِّينِ سِيمَا سَجُودِ
وَكَانَ عَلَى الشَّمْسِ مِنْهُ سَنَاءُ
لِفَقْرٍ بَدَأَ فِيهِ رُوحُ الْقُسْرَانِ
فَهَذَا مَقَامٌ لِمَلِكِ الزَّمَانِ
قُوَى مُؤْمِنٍ تُبْتَلَى بِامْتِحَانِ
وِظْلٌ مِنْ اللَّهِ فِي ذَا الْمَكَانِ
هُوَ الْعَشَقُ وَالْوَجْدُ مِلءُ الْجَنَانِ
عَلَى الْأَرْضِ حَفِظُ الْوَرَى فِي أَمَانِ
فَأَصْبَحْتَ فِي الرِّقِّ خِدَنَ الْهَوَانِ
تُبَارِي الْكَوَاكِبَ مِثْلَهُ الْعِيَانِ
فَهَلْ فِي نَجُومِكَ مِنْهُ مَعَانِ ؟

إِلَى الصُّوفِيِّ

تَرَى عَيْنَاكَ دُنْيَا الْمَعْجِزَاتِ
وَمِنْ دُنْيَا الْخِيَالِ عَجِبَتْ ، فَاَعْجِبْ
تَبَدَّلَهَا بِنَظَرَةٍ غَيْرِ رَاحِ
وَفِي عَيْنِي دُنْيَا الْحَادِثَاتِ
لِدُنْيَا لِلْحَيَاةِ وَلِلْمَمَاتِ
وَكَمْ تَدْعُوكَ دُنْيَا الْمُمَكِّنَاتِ

(١) السُّلْطَانُ الْحَقُّ هُوَ أَحَدُ شُؤُونَ الْفَقْرِ ، كَمَا يَفْسُرُهُ الشَّاعِرُ ، فَهُوَ تَجَلَّى « الذَّاتِ » - ذَاتِ الْفَقِيرِ - بِالسُّلْطَانِ طَغْيَانًا « أَوْ بَغْيًا إلخ . . (كُتِبَتْ فِي بَهْوِ بَالٍ فِي رِيَاضِ الْمَنْزِلِ دَارِ السَّيِّدِ رَأْسِ مَسْعُودِ) .

صريح الفرنج

- ١ -

مَنْ تَجَلَّى الْفَرَنْجُ نَلَتْ وَجُوداً فَهُمْ مِنْكَ هَيْكَلًا قَدْ أَقَامُوا
وَمِنْ (الذات) هَيْكَلُ التُّزْبِ خَالٍ أَنْتَ غَمْدٌ مُذْهَبٌ لَا حَسَامُ

- ٢ -

وَوُجُودُ الْإِلَهِ عِنْدَكَ رَيْبٌ وَأَرَى الرَّيْبَ فِي وَجُودِكَ أَنْتَا
إِنَّمَا الْكَوْنُ جَوْهَرُ (الذات) يُجَلَّى فَانْظُرْنِي أَيُّ جَوْهَرٍ قَدْ دَفَنْتَا

التصوُّف^(١)

إِنَّ عِلْمَ الْإِلَهِوتِ فِي مَلَكُوتٍ لَيْسَ لِلدِّينِ آمِيَا - لَيْسَ شَيْئًا
وَقِيَامُ الْأَسْحَارِ فِي طَوْلٍ وَجَدَ لَيْسَ لِلذَّاتِ رَاعِيًا - لَيْسَ شَيْئًا
ذَلِكَ الْعَقْلُ صَاعِدًا لِلتُّرْبَا لَيْسَ بِالْوُجْدِ سَارِيًا - لَيْسَ شَيْئًا
يَنْطَلِقُ الْعَقْلُ « لَا إِلَهَ » وَلَكِنْ لَيْسَ بِالْقَلْبِ مُسْلِمًا - لَيْسَ شَيْئًا^(٢)
كَلِمَاتِي خَوَافِقُ وَمَنَا الْإِصْبَاحُ لَمْ يَبْدُ خَافِقًا - لَيْسَ شَيْئًا

(١) يقصد الشاعر أنَّ علم الكلام إن لم يصلح الدين فهو لا شيء . وكذلك الذكر الذي لا يحفظ « الذات » والعقل الذي لا يصحبه العشق ، والفكر الذي لا يتجيب له القلب .

(٢) أي : يقول العقل : « لا إله إلا الله » . . . إلخ .

الإسلام الهندي

بوحدة الأفكار تحيا أمة
لا تحفظ السوحدة إلا بالقوى
يا عابداً ليس لديه قوة
وهات إسلاماً به تصوّف
للشيخ في الهند أجيزت سجدة
ودونها الإلهام يُلقى ملحداً^(١)
لم يفلح العقل هنا ولا اهتدى
أذهب إلى كهف وسبح واعبدا
إلى الردى والذلّ واليأس هدى
فحبب الإسلام خيراً سيّدا

قطعة (٢)

ما القلب مات ، قلب
يمحو الفؤاد داء
بحرّك في سكّون
لا وحش أو هياجاً
وفي السماء سرّ
مساهاج طرف نجم
رمى نسيّد صبحي
شراة أكنّت
دنيا غدا وأمس

فأحبي ذا الرميما
في أمم قديما
مُحجّر أم أنيما ؟
أو ساحلاً لطيمما
لست به عليمما
منك فتى كليمما
أبساءك الهشيمما^(٣)
في طيتي قديمما
يصرهما عليمما

- (١) بغير توحيد الأفكار تعمّ الفوضى . فالإلهام الذي هو سبيل الإيمان يصير إلحاداً .
(٢) عنوان هذه القطعة في الأصل (غزل) والغزل عندهم أبيات قليلة تجمع أفكاراً مختلفة .
(٣) الأباء : القصب ، وهو سريع الاحتراق . ثم القصب يحرق أحياناً لإخصاب الأرض ، قالشاعر يعني أنه يحرق الأنفس لتزاد حياة .

مَنْ حَازَ مِثْلِي عَيْنًا جَرِيثَةً هَجُومًا

الدُّنْيَا (١)

كَذَاكُمْ بَدَا لِي بِوَقْلَمُونِ وَقَلْبْتُ فِي الْمَلَكُوتِ النَّظْرُ
فَهَذَا هَلَالٌ ، وَهَذِي نَجُومٌ وَهَذَا عَقِيقٌ وَهَذَا حَجَرٌ
وَعَيْنُ الْبَصِيرَةِ أَعْمَلَتْهَا فَأَوْحَتْ إِلَيَّ صَحِيحُ الْخَبَرِ
فَهَذَا تَرَابٌ وَتِلْكَ سَمَاءٌ وَذَلِكَ طُودٌ وَهَذَا نَهْرٌ
وَلَا أَكْتُمُ الْحَقَّ : أَنْتَ وَجُودٌ وَلَا شَيْءَ مَا سَاحَ فِيهِ الْبَصَرُ

الصَّلَاةُ (٢)

تَلَوْنُ فِي كُلِّ ثَوْبٍ مَنَاءٌ وَشَابَ بَنُو الذَّهْرِ وَهِيَ فَتَاءُ
فَهَذَا السَّجُودُ الَّذِي تَجْتَوِيهِ بِهِ مِنَ الْوَفِّ الشُّجُودُ نَجَاةٌ (٣)

(١) أَنَا كَذَلِكَ أَبْصَرْتُ دُنْيَا الْأَلْوَانِ الَّتِي تُشَبِّهُ بِوَقْلَمُونِ ، وَأَعْرِفُ الْهَلَالَ وَالنَّجْمَ وَالسَّمَاءَ وَالْأَرْضَ . . إلخ ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ وَجُودٌ حَقٌّ ، وَمَا عَدَاهُ لَيْسَ شَيْئًا .

(٢) الْأَصْنَامُ لَمْ تَنْقَطِعْ عِبَادَتُهَا ، فَلَا تَزَالُ تَظْهَرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي صُورٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَتَعْبُدُ ضُرُوبَ الْعِبَادَاتِ . فَاعْلَمْ أَنَّ سَجُودَ الصَّلَاةِ الَّذِي يَثْقُلُ عَلَيْكَ يَنْجِيكَ مِنْ آلَافِ السَّجُودِ لِهَذِهِ الْأَصْنَامِ .

(٣) تَجْتَوِيهِ : تَكْرُمُهُ .

ليس هذا العقل ذو الوهم من حرياً بالإمامة
فحياة الظن والتخمين ضَعُفٌ وَسَقَامَةٌ
ليس في فكر نور أو إلى السعي استقامه
كيف يجلسو في حياة ذلك الليل ظلامه ؟
إن لغز الحسن والقبح ليُعَيِّي ذا الفهامه
حين لا تجلسو الحياة السر منها مستهامه

هزيمة

خلا الصوفي من حرق وكذ ؛ شراب (أَلَسْتُ) معذرة البطالة^(٢)
وفر إلى ترهبه فقيه يرى في الشرع معترك البسالة^(٣)
إذا خشي الرجال وغى حياة فتلك هي الهزيمة لا محالة

العقل والقلب

سيطر العقل على الكون أميراً وطوى الأفلاك والأرض مسيراً
ذا جلال يخضع الكون له غير قلب ثار بالعقل جسوراً

- (١) العقل ظن وتخمين ، لا تضيء به النفس ، فلا تنجلي به ظلمات الحياة . وإنما إدراك الحسن والقبح بالوحي ، وهذا لا يتاح إلا بأن تجلو الحياة أسرارها بنفسها .
- (٢) يوم « أَلَسْتُ » أو عهد « أَلَسْتُ » إشارة إلى الآية ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، فالصوفي في سكر بذكرى « أَلَسْتُ » يتعلل به ، ويعتذر لبطالته .
- (٣) لما رأى الفقيه أن الشرع جهاد وكفاح فز إلى الترهب .

سكر العمل

في طريق الصوفي سُكْرُ الحال وطريقُ الفقيه سُكْرُ المقال
ونشيد الشَّعر المرجَّع مَيِّت خامدُ اللَّحن لم يُشَبَّ بجمال
بين نوم وبقظة غيرُ صاح بين سُكر الأفكار والتَّلبال
وبنفسٍ مجاهدٍ لا أراه ! فيه سُكرُ الأعمال لا الأقوال

القبر (١)

لا يجد القلندرُ راحةً وإن ثوى بقبره تحت الثرى
سكنةُ الأفلاك في الضَّريح لا فساحةُ الأفلاك أو طولُ الثرى

همة القلندر (٢)

يقول للزمان ذلك الفتى : امض إلى حيث يسير المؤمنُ
مالك في معركي من طاقة حذارٍ من قلندرٍ لا يُذعن

(١) فكرة الشاعر أن النفس القوية المجاهدة لا تسكن في الحياة ولا بعد الموت . والقلندر
أو القلندري : الحر الذي لا يركن إلى سكون ، ولا تقيد به رغبة أو رهبة .

(٢) القلندر : يعني به الشاعر الإنسان الذي لا يصل نفسه بمال ، ولا أهل ، ولا دار وهو في
الأصل اسم رجل ذهب هذا المذهب ، وأحدث طريق كان سالكوها يُدِيمون السفر ،
لا يلبثون في مكان ، ولا يقيدهم ملك ، ولا أهل ، ولا وطن ، ويحلِقون رؤوسهم .
وسُيَّي سالك هذه الطريقة : قلندر باسم صاحب الطريقة .

وقد رأى المترجم أن يبقى اللفظ في الترجمة لأنه عَلِمَ في الأصل ، وجعله أحياناً وصفاً
وأحياناً نسب إليه ، فقال : القلندرُ والقلندريُّ .

إذا طغى اليمُّ فهيا أقدمن ما حاجتي ملاحه والشفن
لقد محّا سحرّك تكبيرى فهل تقوى على جحوده يا وهن ؟
يحاسب الأفلاك ذا القلندر وقاهر أيامه لا يقهر



الفلسفة

ليس يخفى على القلندر فكر ساور النشء ظاهراً أو خفياً^(١)
أنا عندي بكلّ حالِك خبير فبهذا الطريق سرّت ملياً
لا يقيم الحكيمُ في شرّك اللف ظ ولا بالحروف كان خفياً
ليس همّ الغواص أصداف بحر يتغنى الغائصون دُرّاً بهياً
إنّ في حلقة المجانين عقلاً في شرار يرى لهيباً مضياً^(٢)
إن أغلى من الجواهر ، معنى صدّق القلب سرّه مطويّاً
فلسفات ما سطرت بدم القلب مَـسـوّات أو للمات تُهَيّا



رجال الله

إنّما الحرُّ من يُجيد ضراباً لا الذي حربه تدور هُراء
وسجايّا الأحرار تجمع تاجاً ذا سناء ، وخرقة وقبّاء^(٣)

(١) القلندر هنا إقبال نفسه .

(٢) بين الذين يعدون مجانين من أصحاب القلوب المحية من يرى الحقائق الكبيرة في مظاهر صغيرة ، فيرى في الشرارة لهيباً عظيماً .

(٣) سجية الحر فيها عظمة الملك ، وفيها خلق الصوفية لابسى الخرقة ، وفيها فقه العلماء لابسى القباء .

من خفايا تُرابهم أخذ الدهرُ شراراً فصاغ منه ذكاه
 فطرةٌ حرّةٌ تعاف الدنيا من طواف الأصنام عاشت براء
 أنت في الكفر والتدين جَمْعاً وثنيٌ تُقدّس الأهواء^(١)

الكافر والمؤمن^(٢)

أمر عند البحر قال الخضر لي قولاً أعبه^(٣)
 تبتغي الترياق من مُمٍّ فرنّج تتقيّه ؟
 فخذن قولاً سديداً هو بالسيف شبيه
 ذا مضياء وضيياء خيرة الصيقل فيه :
 إنّما الكافر حيرانُ له الأفاق تيه
 وأرى المؤمن كروناً تاهت الأفاق فيه

- (١) الأحرار منزّهون عن عبادة الأصنام ، وأنت في إيمانك وكفرك لا تخلو من عبادتها .
 (٢) يكرّر الشاعر هذا المعنى كثيراً : إنّ المؤمن مسيطرٌ على الكون ، يتصرف فيه ، لا يضل فيه ، ولا يحار ، فهو سائر على قانون يرفعه على الأحداث والغير ، وإنّ غيره مقهور في الكون حائر ، تتلقفه أحداثه ، وتقلبه غيره .
 والفكرة مأخوذة من مشنوي جلال الدين الرّومي . فقد قصّ المشنوي قصة افتقاد حليلة الرسول في طفولته وطلبها إياه والهة ، وأنّ جبريل لقيها ، فقال لها : لا تخشي عليه أن يتيه في الأفاق ، فهذه الأفاق تتيه فيه .
 (٣) يروى أن الخضر صاحب إسكندر سارا حتى بلغا أرض الظلمات ، وفيها عين الحياة ، فشرب منها الخضر ، فخلد ، ولم يهتد إليها إسكندر . فينسب الشعراء إلى الخضر المعرفة والحكمة ، ويقولون عنه ما يشاؤون .

المهديُّ الحقُّ

كلُّ نَوَى في مَحْبَسٍ من صُنْعِهِ : سَيَّارُ إفرنج وثابتٌ مشرق^(١)
والشَّيْخُ في حَرَمٍ وخَبَرُ كَنيسةٍ لا جِدَّةٌ في القول أو في المنطق
أهلُ اليَاسَةِ في شِرَاكِ قَدِيمِهِم والشَّعْرُ أَفْلَسُ في خَيَالٍ مُغْلِقِ
من لي بمهديٍّ له نَظَرٌ يَزْلِزُ عَالَمَ الْأَفْكَارِ ، غَيْرَ مَمْخِرِقِ

المُؤْمِنُ

- ١ -

في الدُّنْيَا

مع الصَّخْبِ لَئِنْ كَمَسُ الحَرِيرُ بَعِيدٌ من المَحَكِّ ، المؤْمِنُ^(٢)
حَدِيدٌ إِذَا مَا طَفَى بِاطْلَلُ جَرِيءٌ لَدَى المَعْرَكِ ، المؤْمِنُ
من الطَّيْنِ ، لَكِنْ عَلَى الطَّيْنِ يَسْمُو وَيَأْبَى عَلَى الفَلَكِ ، المؤْمِنُ
وما هُمُّهُ صَيْدٌ طَيْرٍ وَلَكِنْ يَصِيدُ من المَلَكِ ، المؤْمِنُ

- ٢ -

في الجَنَّةِ

تَقُولُ المَلَائِكُ فِي غِبْطَةٍ : خَيْبٌ إِلَى قَلْبِنَا ، المؤْمِنُ

(١) الفرنجي : الدالِب في العمل ، كالكوكب السَّيَّار ، والشرقي : القاعد عن السير ، كالكوكب الثابت .

(٢) القافية مردوفة بكلمة « المؤمن » والروئي الكاف التي قبلها .

وللحور شكوى إلى ربها : سريع إلى هجرنا ، المؤمن

محمد علي الباب (١)

أجاب (الباب) في حفل	مفيضاً في مقالات
وفات الشيخ توفيق	بإعراب (السموات)
سرت في الحفل غلطته	فلاقوه بسمات
فقال (الباب) : لم تذكروا	وفاتكم مقاماتي
ثوى القرآن بالإعراب	في حبس وإعنات
وإن إمامتي جاءت	بتحرير لآيات

القدر (٢)

الخالق وإبليس

إبليس : يا إلهاً أمره كن	ليس عنه من مَحِيد
لم يُصَبِّب آدم مني	بمعدو أو حسود
ويل غر ، من زمان	ومكان في حدود
كيف أستكبر عن	أمرك أو كيف أحيذ

(١) ناقش جماعة من العلماء في إيران محمد علي المسمى : الباب ، فقرأ من القرآن ، فلهن في إعراب السموات . فضحك الحاضرون ، فقال : إن بشري إمامتي تحرير الآيات من الإعراب .

(٢) مأخوذة عن محيي الدين بن عربي .

كَانَ فِي عِلْمِكَ أَنِّي حَائِذٌ عَنْ ذَا السُّجُودِ

الخالق : هل عرفت السرَّ هذا
إبليس : بعدُ يا مَنْ مِنْ تَجَلِّيهِ
(الخالق ناظراً إلى الملائكة)
قَبْلَ أَوْ بَعْدَ الْجُحُودِ ؟
كَمَالَاتُ السُّجُودِ

خِشْيَةُ الْفُطْرَةِ فِيهِ
قَالَ : مَا شِئْتَ سَجُودِي
ذَلِكَ الظَّالِمَ سَمَّيْ
إِنَّهُ سَمَّيْ زَمَاداً
عَلَّمْتَهُ ذَاكَ عَزَّاراً
أَنَا لَا أَمْلِكُ أَمَّاراً
اخْتِياراً فِيهِ جَبَّاراً
شُعْلَةً فِيهِ وَجَمَّاراً

أَيْنَ رُوحَ مُحَمَّدٍ ! (١)

أَرَى الْمَلَّةَ الْبَيْضَاءَ بُدِّدَ نَظْمُهَا
وَلَيْسَ بِبَحْرِ الْعُرْبِ لَذَّةُ ثَوْرَةٍ
وَلَا رَكْبٌ لِلْحَادِي وَلَا زَادَ عِنْدَهُ
فَيُبْنِ لَنَا الْأَسْرَارَ رُوحَ مُحَمَّدٍ !
فَمَسْلُوكُ انْظُرْ حَالَهُ ، أَيْنَ يَذْهَبُ ؟
وَفِي الصَّدْرِ مَوْجٌ غَالَهُ ، أَيْنَ يَذْهَبُ ؟
وَقَطْعُ الْفِيَا فِي هَالِهِ ، أَيْنَ يَذْهَبُ ؟
حَفِيزٌ لَا يَ ، يَالَهُ ، أَيْنَ يَذْهَبُ ؟

(١) يصف الشاعر في هذه الأبيات غمّه وحيرته ، فالأمة الإسلامية انفرط عقدها ، وفي صدره موجٌ ، ولكن بحر العرب الذين ماجت بهم أحداث التاريخ ليس فيه هياج اليوم ، فيخلط به هذا الموج . وهو حادٍ ولكن لا زاد له ، ولا قافلة يحدوها . وأمامه فيافي هائلة . وهو حفيظٌ على آيات الله يبتغي أن يسير بها . فهو يلتمس سبيله في هذا العالم ويسأل روح الرسول أين يذهب .

مدنية الإسلام

حياة المسلم أعرف في بياني
سناً كالصبح مغربه طلوع
ولا كالعصر ، خلوا من خياء
حياة بالحقائق في قرار
عناصرها بؤلّفها جمال
وحسن الخلق من عجم لديها
كمال العقل فيها والجنون^(١)
وحيد ، كالزمان له شؤون
ولا فيها من الماضي فتون
وليست ما يُطلسم أفلطون^(٢)
تمثّل فيه جبريل الأمين
ونار العرب فيها والشجون

الإمامة^(٣)

أتسألني : الإمامة ما مداها ؟
إمام العصر حقاً من تراه
بمراة الممات يريك وجهه الـ
حبّاك الله مثلي بالخفايا
فتسام ما تشاهد في البرايا
حبيب فتجتوي عيش الدنايا

(١) الجنون هنا معناه الحماس للعمل والإقدام في غير مبالاة . فحياة المسلم في رأي الشاعر تجمع العقل والإقدام . وهي كالشمس تغرب لتطلع . وهي فذة لا نظير لها ، ولكنها كالزمان في شؤون متعددة ، وهي قائمة على الحقائق ، وجامعة عناصر الجمال والقوة .

(٢) ليست قائمة على أفكار أفلطون ، التي ترى الحقائق في عالم المثل ، لا على هذه الأرض .

(٣) يقصد إقبال من ادّعوا الإمامة في الماضي وفي عصره . ويرى أن الإمام من يعلم بأصغابه عن قيود الحاضر المشهود إلى عالم المعنى الفسيح غير المحدود . . إلخ .

ويشعركَ التخلفَ عن كمالِ
يُمِرُّ عليكِ مِنْ فَقْرٍ مِسْنًا
فَتُونَ المَلَّةَ البيضاءَ إمامًا
فينفخُ فيك مشبوبَ السَّجَايا^(١)
فيطبعُ منك سيفًا للمنايا
كَأَنَّ المسلمينَ به سبايا^(٢)

الفقر والترهب^(٣)

إسلامك الموهومُ شيءٌ آخرُ ؛
شَتَانٌ ، فانظر ، بين خلوة راهبٍ
في الروح والأبدان يبغي جلوةً
هو صيرفي الكائنات وجوده
فاسأله عما ترتثيه أعالمُ
لما أضاع المسلمون على المدى
لم يبقَ فيهم من سليمان ولا
الفقرُ عندك كالترهب يظهر
وشراع فقرٍ في عُبابٍ يمخر
فنهاية الإيمان (ذات) تبهر^(٤)
فعن الفناء أو البقاء يخبر^(٥)
أم موج رائحة ولون يزخر ؟
ذا الفقر - لما ضاع هذا الجوهر
سلمانَ دولةً عِرَّةً لا تُقهر

-
- (١) يشعرك ما فيك من نقص وما فاتك من كمال .
(٢) فتنة الملة الإسلامية إمامٌ يحكُم أصحاب السُّلطان من إذلال المسلمين .
(٣) يشيد إقبال بالفقر ، وينسب إليه المعجزات . وهو فيما يؤخذ من كلامه : التحرر من الطمع والحرص ، وألا يملك الإنسان ما يملكه فيذله ، ويصدُّه عن الحق والخير . وهو لا يشبه الرهبانية في شيء . فمن حسب الفقر رهبانية فلاسلامه غير الإسلام الذي يعرفه الشاعر .
(٤) الضمير في « يبغي » يرجع إلى الفقر ، وهو يطلب تجلِّي الروح والجسم . وتجلي الذات هو مقصد الإيمان .
(٥) هذا الفقر ينقد الكائنات ، فيقول : هذا للفناء وهذا للبقاء ، وهذا حق ، وهذا باطل .

تَظَلُّ الدَّهْرَ مِنْهَا فِي حُبُورٍ
طَمَوحٍ مَا أَرَاهُ بِالصَّبُورِ
بِفَلَسْفَةٍ مَعْقُودَةِ الشُّطُورِ
عَلَى مُوسَى وَفِرْعَوْنَ وَطُورِ^(٢)
لَأَنْفَاسٍ بِهَا خَرُّ النُّشُورِ
جُنُونِي - لَا أَلُومَكَ - فِي قُصُورِ^(٣)
وَلَا تَكُ مُهْذِرًا عِنْدَ الْبَصِيرِ
خَمَاسَ الْعِشْقِ وَالْفَقْرِ الْغَيُورِ

مَتَاعُكَ فِي الْحَيَاةِ فَنُونُ عِلْمٍ
وَمَا عِنْدِي مَتَاعٌ غَيْرَ قَلْبٍ
لَأَهْلِ الْفِكْرِ مَعْجَزَةٌ تَجَلَّتْ
وَأَهْلُ الذِّكْرِ شَادُوا مَعْجَزَاتِ
أَقُولُ لِمُسْلِمٍ : مَا فِيكَ صَدْرُ
وَمَزَقْتُ الْجِيُوبَ وَأَنْتَ خَالٍ
أَقِلُّ الْقَوْلَ وَافْتَحْ عَيْنَ قَلْبٍ
وَمَا إِنَّ ذَلِكَ قَوْمٌ قَدْ أَعْدُوا



التَّسْلِيمُ وَالرِّضَا

عَلَى كُلِّ غَصَنِ تَيَّسَنَ أَنْ النَّبَاتَ مَشُوقٌ لِرَحْبِ الْقَضَاءِ
جُنُونُ النُّشُوءِ بِهِ وَالنَّمَاءِ
فَمَا ذَاكَ مَعْنَى الرِّضَا بِالْقَضَاءِ
وَمَا ضَاقَ مُلْكُ الْإِلَهِ ، فَسِيحُوا

فَمَا قَرَّ فِي ظِلْمَةِ التَّرَبِّ حَبٌّ
فَلَا تَبْغِ فِي فِطْرَةٍ تَرَكَ سَعِي
لَأَهْلِ النَّمَاءِ فَضَاءٌ فَسِيحُ

(١) عنوان هذه القطعة في الأصل « غزل » والغزل في عرف شعراء الفرس ومن قبلهم : أبيات قليلة في موضوع أو موضوعات . وربما لا تشتمل على شيء مما يسمى بالغزل في الشعر العربي .

(٢) يقصد بموسى وفرعون كل من له صفات موسى أو صفات فرعون ، فلهذا نكّرت الاسمين « وصرفتهما .

(٣) يعني : إني لم أصيرك مثلي مجنوناً ؛ لأن جنوني لم يكمل ، فلم يؤثر فيك ، فاللوم عليّ لا عليك .

نكتة التوحيد^(١)

إِنَّ سِرَّ التَّوْحِيدِ طَوْعُ يَبَانِي شِدَّتْ فِي الرَّأْسِ مَوْتَنَا ، مَا احْتِيَالي ؟^(٢)
 رَمَزُ شَوْقِي بِلا إِلَهٍ خَفِيٍّ لَيْسَ فِي الْفَقْهِ يَتْنَا ، مَا احْتِيَالي ؟
 كَمْ سُرُورٍ فِي حَرْبِ حَقٍّ وَزُورٍ لَسْتُ فِي الْحَرْبِ مَطْعَنَا ، مَا احْتِيَالي ؟^(٣)
 كَمْ تُجَلِّي الْأَفَاقَ نَظْرَةً حَرًّا حَجَبَ الرِّقِّ أَعْيْنَا ، مَا احْتِيَالي ؟
 أَيُّ مُلْكٍ مَقَامُ فَقْرٍ ! وَلَكِنْ تَوَثَّرَ الذِّلُّ مُدْعَنَا ، مَا احْتِيَالي ؟



الإلهام والحرية

إِنَّ لِلْحُرِّ مَلْهَمًا نَظَرَاتٍ تَحْفِزُ الْقَوْلَ وَالْفِعَالَ بِنَارٍ
 حَرُّ أَنْفَاسِهِ يَشِيعُ بِرَوْضٍ فَتَرَى الرُّوضِ مُزْهَرًا مِنْ شَرَارٍ
 يَهْبُ الْعَنْدَلِيبُ سَيْرَةً بَسَارٍ كَيْفَ حَالَتِ طِبَائِعُ الْأَطْيَارِ ؟
 يَنْحُ الْمُجْتَهِدِينَ شَوْكَةً جَمًّا عَارَفُ النَّفْسِ وَالْهَ الْأَسْحَارِ^(٤)
 وَوَقَى اللَّهَ حَكْمَةً لَذِيلٍ مَثَلُ جَنْكِيْزٍ طَالَعَ بِالذَّمَارِ^(٥)



- (١) بنى الشاعر هذه القطعة على القافية المردوفة فحاكىته في الترجمة . والمروي حرف النون في موثنا ، ومطعنا . . إلخ (المترجم) .
- (٢) يمكن أن يبين سِرَّ التوحيد ، ولكن ما حيلني وقد بنيت في رأسك معبداً للأوثان . وقد وضعت كلمتي مصنم وموثن لمكان الصنم والوثن ، ترجمة لكلمتي بت كده ، بتخانها ، ونحوهما .
- (٣) كَمْ سُرُورٍ فِي مَجَاهِدَةِ الْبَاطِلِ بِالْحَقِّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ .
- (٤) جَم : يراد به جمشيد أحد ملوك الفرس في الأساطير .
- (٥) يريد أن حكمة الذليل تدمر الأمم كغارات جنكيز خان .

الرُّوح والجِسم (١)

تَحْيِرُ النَّاسُ فِي ذَا اللَّغْزِ مِنْ قَدَمٍ :
وَمَشْكَلِي فِي اضْطِرَابِ بِي وَفِي ثَمَلٍ
وَمَشْكَلٌ لَكَ أَنَّ الْخَمْرَ مِنْ قَدَحٍ
مَا اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى ؟ وَكَيْفَ الرُّوحُ فِي بَدَنِ ؟

ما جوهر الرُّوح أو ما جوهر البدن ؟
وثورة وسرور النفس والحزن
أو أن من خمرة كأساً ، لذي زَكْنِ (٢)
جمراً بدا في رمادٍ منه للقطنِ

« لَاهور » و « كراجي » (٣)

قَدْ تَوَلَّى اللَّهَ عَبْدٌ
هُوَ بِالْمَوْتِ إِلَى عَا
كَيْفَ تَقْدُونَ شَهِيداً
ذُمُّهُ مِنْ حَرَمٍ أَعْلَى
أَهَ لِلْمُسْلِمِ غَفْلَانٌ
سِرٌّ ﴿ لَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ

مُسْلِمٌ مَا أَمَرَا
لَمْ رُوحِ سَافَرَا
لِخَلْوٍ أَوْ أَثَرَا
وَأَغْلَى جَوْهَرَا (٤)
نَسِيئاً مَا دَرَى :
إِلَهًا آخَرَا (٥)

- (١) يقول إقبال في هذه الأبيات : إنَّ همي في هذه الحياة القلق ، والثورة ، والسرور ، والحزن . وأنت شغلت نفسك بهذه الأسئلة ولم تشعر بحقيقة الحياة .
- (٢) الزكن : الفطنة .
- (٣) روي أنَّ هندوكياً في لاهور اسمه : راجيال « أساء الأدب في الحديث عن الرسول صلوات الله عليه ، فذهب إليه مسلم علم الدين ، وقتله في غير وضوء ، وأن رجلاً من الهنادك في كراجي فعل فعله ، فذهب إليه مسلم من كوهات في غير مشاورة ، ولا مؤامرة فقتله . وأراد المسلمون أن يودوا دية القتيلين وينجوا القاتلين من العقاب ، فكتب إقبال الأبيات .
- (٤) يعني : أنَّ كل ما تبذلون لا يساوي دم الشهيد . . إلخ .
- (٥) الآية : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٣] .

النُّبُوَّةُ (١)

لَسْتُ الْمُحَدِّثُ وَالْفَقِيهَ وَلَا الْوَلِيَّ وَلَا الْمَجْدُّ
لَا عَلِمَ عِنْدِي بِالنُّبُوَّةِ كَيْفَ تَوْصِفُ أَوْ تَحَدِّدُ
لَكِنَ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي الْأَيَّامِ لِي نَظَرٌ مَسْدُودُ
أَوْحَى إِلَيَّ بِسِرِّهِ الْغَلَكُ الْمَحِيضُ فَلَا أَفْنَدُ
فَرَأَيْتَ فِي ظُلُمَاتِ هـ إِذَا الْعَصْرُ ذَا الْحَقِّ الْمَوْئِدُ :
عِنْدِي حَشِيشُ الْمُسْلِمِينَ نُبُوَّةٌ فِيهِمْ تَجْدُدُ
مَا إِنْ لَسَدِيهًا دَعْوَةً لِلْبَاسِ وَالْمَجْدِ الْمَخْلُودُ



الإنسان

ذَا طَلَعْتُمْ الْكَوْنَ وَالْعَدَمَ مُنَى الْإِنْسَانُ مِنْ قِدَمِ
هُوَ سِرُّ اللَّهِ جَلٌّ فَلَا يَحْتَوِيهِ الْوَصْفُ فِي كَلَمِ
إِنَّ هَذَا الدَّهْرَ مِنْ أَزْلِ مِنْ سَفَارٍ بَاءَ بِالسَّقَمِ
وَمَضَى الْإِنْسَانُ سِيرَتَهُ لَمْ يُصَبِّ بِالضَّعْفِ وَالْهَرَمِ
وَإِلَيْكَ السِّرُّ أُعْلِنَسَهُ إِنْ تَسَفَّهُ غَيْرَ مَتَّهِمِ :
مَا بَدَأَ رَوْحاً وَلَا بَدَنًا ذَلِكَ الْإِنْسَانُ لِلْفَهْمِ



« مكة » و « جنينا »

كَمْ حَدِيثٍ عَنِ الشُّعُوبِ سَمِعْنَا وَحَدَّثَ النَّاسَ حُجَّيْتُ عَنْ عِيَانِ

(١) يعني الشاعر بهذه الآيات من أدعي النبوة ، ودعا إلى المسالمة والكف عن الجهاد .

حكمة الغرب فُرقةُ النَّاسِ والإِمداد : سلامٌ فيه تَوْخُّدُ العُمَرانِ
ومَقالٍ من مَكَّةٍ لَجَنِيوا : قد وعاه اللَّيْبُ في كُلِّ آنٍ :
خَبَّرَني اليَقينُ : هل عَصَبَةُ الأقدارِ : أو خَيْرٌ أو عَصَبَةُ الإنسانِ ؟

يا شيخَ الحَرَمِ

وَدَّعِ الخُلُوةَ يا شَيْخَ الحَرَمِ واسمَعْنِي في الفَجْرِ مِنِّي ذا النِّعَمِ
يَحْفَظُ اللهُ لَكَ الفَتِيانَ في حُكْمِ نَفْسِي ، واشتعالٍ في الهممِ
هُمَّ عَنِ الغربِ زَجاجاً أَخَذُوا عَلِمَتْهُمُ صَدْمَةُ الصَّخْرِ الأصمِ
طُولُ ذُلِّ أَظْلَمِ القَلْبِ بِهِ أَدْرِكُ الحَيْرانَ في هَذي الظُّلَمِ
في جَنُونِي مِنكَ أسرارٌ بَدَثَ فاجزني يا شَيْخُ عَن هَذا اللَّمَمِ^(١)

المَهدي^(٢)

أرى الأَقْوامَ تَمْضِي في حَياةٍ على قَدْرِ التَّخَيُّلِ في الحَياةِ
فَمَجْذُوبُ الفَرَنجِ على خِيالٍ مِنَ المَهدي قَادَ إلى النِّجاةِ^(٣)

(١) يعني : أن نشوته وولاه وقد عبر عنهما بالجنون أدركا أسرار شيخ الحرم ، فأفشيها ، فهو يسأل الشيخ أن يكافئه عن هذا الجنون .

(٢) كتب سبنجلر يقول : إنَّ ضعف المسلمين من إيمانهم بالقدر والمهدي . فردَّ إقبال بأنَّ هاتين العقيدتين غريبتان عن الإسلام . وكتب مولانا أسلم جراجبوري يأخذ على إقبال أنَّه يذكر المهدي في شعره أحياناً . فكتب إقبال هذه الأبيات يبين رأيه في عقيدة المهدي ، ويذكر أنَّه يتوصل بها أحياناً إلى نفخ الحياة في موتى الأحياء .

(٣) يعني الفيلسوف الألماني نيتشه ، الذي تكلم عن الإنسان الكامل .

فَإِنْ تَنفَرِمِنْ الْمَهْدِيِّ يَنْفِرُ غَزَالُ الْمِسْكِ مِنْ هَذِي الْفَلَاةِ^(١)
 إِذَا مَا الْحَيُّ مِنْ جَهْلٍ تَرَدَّى بِأَكْفَانٍ وَأَغْرَقَ فِي سُبَاتٍ
 أُتْسِلِمَ ذَا الْجَهُولِ إِلَى الرُّدَى أَمْ تَمَزَّقَ عَنْهُ أَثْوَابَ الْمَمَاتِ^٢ ؟

المؤمن

إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ الْعَجِيبَ الشَّانِ كَلُّ حِينَ جَدِيدَ شَانٍ وَأَنْ
 هُوَ فِي قَوْلِهِ السَّيِّدِ وَفِي الْفَعْلِ عَلَى اللَّهِ وَاضِحُ الْبَرَهَانِ
 فِيهِ قَدَسِيَّةٌ إِلَى جَبَرُوتٍ وَمِنْ الْقَهْرِ فِيهِ وَالْغَفَرَانِ
 إِنَّ تُؤَلَّفَ هَذِي الْعَنَاصِرُ كَانَ الْمُسْلِمُ الْمُسْتَعْلَى عَلَى الْحِذَّانِ
 هُوَ تُرْبٌ سَمَا يَجَاوِزُ جَبْرِيلَ وَيَأْبَى الْحُلُولَ فِي الْأَوْطَانِ
 لَسْتُ تَدْرِي بِسِرِّهِ فَتَرَاهُ قَارِئاً وَهُوَ صُورَةُ الْقُرْآنِ
 فِيهِ عِزٌّ عَلَى الْقَضَاءِ دَلِيلٌ وَهُوَ فِي الْعَالَمِينَ كَالْمِيزَانِ^(٢)
 هُوَ بَرْدُ النَّدَى بِقَلْبٍ شَقِيقٍ وَيَقْلِبُ الْبَحَارَ كَالطُّوفَانِ^(٣)
 لَيْلِهِ وَالنَّهَارُ لَحْنُ حَيَاةٍ فِي أَنْسَجَامِ كَسُورَةِ الرَّحْمَنِ
 إِنَّ فِكْرِي مَطَالَعُ لِنَجُومٍ نَجْمِكَ أَعْرِفُ طُلُوعَهُ فِي يَيَانِي^(٤)

- (١) يعني أن هذه الفكرة تعطر بها النفوس المقفرة ، وتحمل ما يحمله غزال المسك في الفلاة ، فلا تحرم الناس منها .
 (٢) يقول إقبال في مواضع كثيرة : إنَّ عِزَّ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْقَدْرِ أَوْ هُوَ مُشِيرٌ عَلَى الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ ، وَإِنَّ رَأْيَهُ وَعَمَلَهُ مِيزَانُ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ فِي الْحَيَاةِ . وَهَذَا يَقُولُ : إِنَّ مِيزَانَ الْأَعْمَالِ فِي الدَّارَيْنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
 (٣) هُوَ تَارَةٌ كَالنَّدَى يَبْرُدُ قَلْبَ الشَّقَاتِ ، وَتَارَةٌ كَالْمَوْجِ الْهَائِجِ فِي الْبَحْرِ .
 (٤) يَقُولُ : أَيُّهَا الْبَاحِثُ عَنْ مُسْتَقْبَلِهِ فِي طَوَالِعِ النُّجُومِ هَلُمَّ أَدْلُكَ عَلَى أَسْبَابِ السَّعَادَةِ ، فَإِنَّ فِكْرِي يَطْلُعُ نَجُوماً صَادِقَةً تَدُلُّ عَلَى السَّعْدِ وَالنَّحْسِ .

المُسلم البنّجايي^(١)

مجدّد في كل حين مذهبا يحلّ في مرحلة ليركبا
في حلّبة التحقيق يكرّ وإذا قامره داع غويّ غلبا
حبالة التأويل إن تُنصب له هوى من العُشّ إليها مُعجبا

الحُرّية^(٢)

ألا مَنْ يطيق اليوم نُصحاً لمسلم وحريّة الأفكار من ربّه أمر
من الكعبة اجعل بيت نار وإن تشأ فموثّن أفرنج به الزور والسحر
وإن شئت فالقرآن تأويل لاعبٍ فجدّد لنا شرعاً يلائمه العصر
رايتُ بأرض الهند أيّ عجيبة فإسلامها عبد ومسلمها حرّ

نشر الإسلام في بلاد الإفرنج

هذي الحضارة ما تدّين قلبها فأخوة الإفرنج بالعصبات
فلئن تنصّر برهميٍّ لم يزل للإنكليز إليه نظرة عبات
ولو أنّهم قد أسلموا لم يرفقوا بالمسلم المنكود من إعنات^(٣)

(١) عُرف أهل البنّجاي بكثرة التعلّ والدعوات المبتدعة .

(٢) ينمى إقبال في هذه الأبيات على من يدعون الحرية حين يتحدثون في الإسلام وحضارته ، فإذا عُرِضت أوربة وحضارتها خنعوا لها فكراً وفعلاً .

(٣) لو أنّ الإنكليز أسلموا لم يُحسنوا معاملة المسلم .

لو لم تيسر في ظلام التُّرب نابتةً ما نَشُرت في فضاء التُّور أغصانا
تقضي الحياة بـ « لا » في البدء نافيةً وفي النهاية « إلا » تُكمل الشانا
إن لم تجيء بعدها « إلا » مثبتةً كانت على الموت « لا » في الدهر عنوانا
إن أمةً روحها لم يمض معتزماً عن « لا » فقد آذنت بالهُلُك إيدانا

إلى أمراء العرب^(٢)

هل يُنعدُّ الكافرَ الهنديَّ منطقهُ مخاطباً أمراء العُرب في أدبٍ
من أمةٍ قبل كلِّ النَّاس قد أخذت بحكمةٍ فأعانتها على الثُّوب :
إخاء مصطفىويٍّ دون تفرقةٍ وهجرُ كلِّ غويٍّ من أبي لهب
ما من حدودٍ وأرضٍ كان منشؤها من أحمدٍ العُربِ كانت أمةُ العُربِ

(١) يرى إقبال أنَّ الحياة محوٌّ وإثباتٌ ، أو هدمٌ وبناء . فالأمة الصالحة تمحو السيئ وتثبت الحسن . وكلمة التوحيد قائمة على نفي غير الله وإثبات الله . فإن محت الأمة ولم تثبت ، أو هدمت ولم تبين فمآقبتها الفناء ، وهو يعني هنا حضارة أوربية عامة والروس الشيوعيين خاصة .

(٢) العرب هم الأمة التي حملت إلى الأمم رسالة الإسلام ، وعلمتها الأخوة والتعاون . والشاعر ينعى على أمراء العرب أن نسوا هذه الرسالة التي بلغوها ، وكانوا أحقَّ بها وأهلها .

الأحكام الإلهية^(١)

قيدَ القضاء ترى أم قيدَ أحكام
في كلِّ حين ترى التقديرَ في غير
إنَّ النبات وإنَّ الجامدات لها
والمؤمن الحرُّ لا شيء يقيدُه
ما أعجزت هذه أربابَ أفهام
رهينُها بين لذاتِ وآلام^(٢)
من القضاء قيودُ ذاتِ أحكام
لكن لخالقه في قيد أحكام

الموت^(٣)

في اللحد أيضاً يبقى
إنَّ يـك قلبٌ حيّاً
هـذي النجوم تمضي
والذاتُ فيها راحٌ
إنَّ منَّ جسماً موثٌ
فلـوجـود قـطـبٌ
الغيبـابُ والحضـور
فالـقلبُ لا صـيـور
كشـرٍ يـطـير
فـي أبـدٍ سُـرور
واحتـجب الطـهور
مـنـالـه عـيـر

(١) إقبال يؤمن بحرية الإرادة ، وينفر كلُّ النفور من الاعتقاد بالجبر والاستسلام للأحداث . وفي هذه الأبيات يقول : إن الجماد والنبات خاضع لقوانين لا يحيد عنها ، وأما المسلم فهو خاضع لأحكام الله لا لقوانين طبيعية تسيره مجبراً . وهذه الفكرة تلقى قارىء شعره في مواضع كثيرة .

(٢) عالم الطبيعة والحادثات في تغير مستمر فمن خضع له تداولته اللذات والآلام .

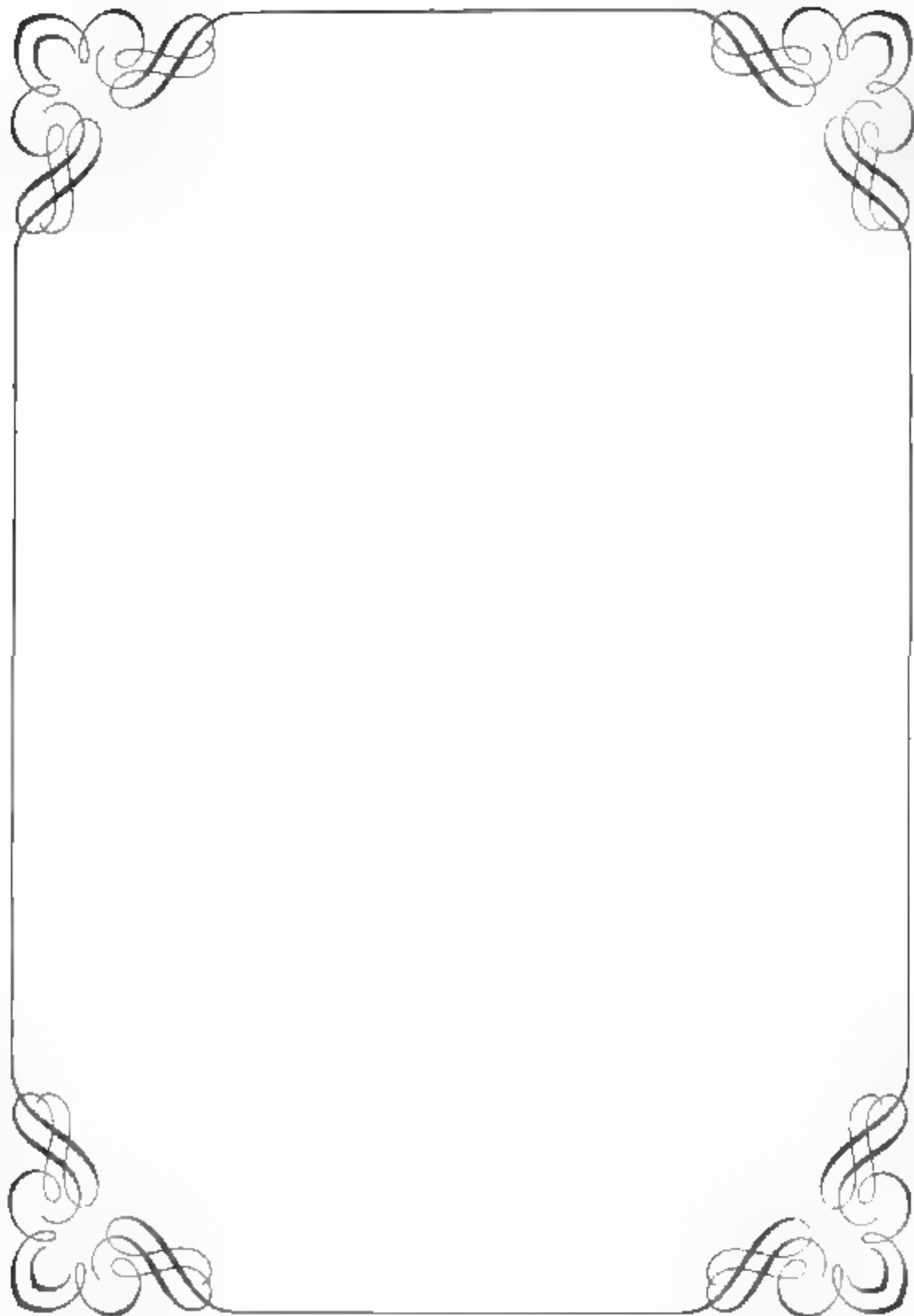
(٣) يرى الشاعر : أنَّ القلب الحي لا يموت ، فهو حيٌّ بعد الموت ، طموح طلعة ، لا يرضى بالسكون والقرار . وإنما حياة القلب في رأيه بقوة الذات (خودي) . والموت لا ينال الذات حين ينال الجسم .

قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ (١)

إِنْ تَحُلْ دُنْيَا فَلَمْ تَفُتِنْ أَرْضٌ مِنْ «أَنَا الْحَقُّ» انطوى فيك قلب لا تُرْغَ مما ترى ؛ لفرنج
وسماء ، قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
ومضياء ، قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ (٢)
وسمياء ، قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ (٣)



-
- (١) في هذه الآيات يشر إقبال بالمستقبل الوضاء على رغم الخطوب ، ويقول : تغيرت الدنيا ، ولكن الأرض والسماء كما كانت . وكلمة « قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ » مكررة بلفظها في الأصل .
- (٢) يرمز إلى قصة العلاج الصوفي الذي قال أنا الحق . يقول للمسلم : فيك روح تتسب إلى الأرواح العظيمة .
- (٣) لا يرعك ما يحيط بك من فتن الإفرنج ، فهي سيمياء لا حقيقة له .



القسم الثاني

التَّعْلِيمُ وَالتَّحْرِيبَةُ



المقصود (١)

اسبينوزا :

يبصر العاقلُ الحياةَ وليست غيرَ نورٍ وجلوةٍ تُستحبُّ
أفلاطون :

يبصر الموتَ عاقلٌ . فحياةٌ
ما إلى الموت والحياة الثغات
كشرارٍ بجنحٍ ليلٍ يشبُّ
مقصودُ الذات رؤية الذات حسب (٢)



إنسان هذا العصر

حُرم العشقَ وللعقل به
تبغ العقلَ شروداً سادراً
نكسزات كشجاع يشار (٣)
ما هدى العقلَ لديه بصراً
وعلی الأفلاك دام السُفراً
غاب عنه نفعه والضررُ
ما به ليلُ حياة يُسفرُ
هو من حكمته في شرك
من شمع الشمس في قبضته



-
- (١) بين هنا الشاعر رأي اسبينوزا الفيلسوف ورأي أفلاطون ورأيه هو في المقصود من هذه الحياة . كُتبت هذه الأبيات في بهو قال في رياض منزل (دار السيد راس مسعود) .
(٢) هذا رأي إقبال .
(٣) التكرة : عضة الحية ، والشجاع : نوع من الحيات .

أُمُّ الشَّرْق

كَيْفَ تُجَلِّي حَقَائِقَ لَعِيُونٍ عَمِيَتْ بِالْخُضُوعِ وَالتَّقْلِيدِ
كَيْفَ يُحْيِي الْفَرْنَجُ عُرْباً وَفُزْساً بَفَنُونٍ تَسِيرُ نَحْوَ اللُّحُودِ

التَّنْبِيْهُ (١)

نَظَرَ الْمُنْجَمُ فِي جِبَاكَ نَجُومَهُ لَكِنْ مَقَامُ الْذَاتِ عَنْهُ يُسْتَرُ
مَنْ يَدْرِ أَنَّ الْذَاتَ أَرْفَعُ مَنْزَلاً عَرَفَ الزَّمَانَ وَصَرْفَهُ لَا يُقْهَرُ (٢)
وَجَمِيْلَ أَنْظَارِ يَرَى وَفِيحَهَا وَحِلَالَ قَلْبٍ وَالْمَحْرَمَ يُبْصِرُ

مُصْلِحُو الشَّرْق (٣)

يَتَسْتَفْتِ فَلَا أَرْجِي فِي أَنْاسٍ لَهُمْ فَرٌّ كَفَرُ السَّامِرِيِّ (٤)

(١) فِي هَذِهِ الْآيَاتِ يَنْعَى إِقْبَالَ أَيْضاً عَلَى الْإِنْسَانِ اهْتِمَامَهُ بِعَالَمِ الطَّبِيعَةِ وَإِهْمَالَهُ نَفْسَهُ ، وَيَقُولُ : إِنَّ تَقْوِيَةَ الذَّاتِ وَتَقْدِيرَهَا يَمِينُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْحَادِثَاتِ وَيُبَصِّرُهُ الْجَمِيلَ وَالْقَبِيحَ فِي الْبَصِيرَةِ ، وَالْحِلَالَ وَالْحَرَامَ ، حِلَالَ الْقَلْبِ وَحَرَامَهُ (اسْتَفْتِ قَلْبِكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمَفْتُونَ) .

(٢) أَرْفَعُ مَنْزَلاً مِنَ الْفَلَكَ .

(٣) يَأْخُذُ الشَّاعِرُ عَلَى مُصْلِحِي الشَّرْقِ أَنَّهُمْ لَمْ يَخْرِجُوا لِلنَّاسِ شَيْئاً ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَمْسِكُوا بِالسَّنَنِ الْمَصَالِحَةِ الْقَدِيمَةِ ، وَلَا أَخَذُوا بِالسَّنَنِ الْحَدِيثَةِ .

(٤) السَّامِرِيُّ : الَّذِي صَنَعَ لِقَوْمِ مُوسَى عَجَلاً مِنَ الذَّهَبِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ ، فَتُحَرِّقُ سَحَرُ وَضَلَالٌ .

سُقاةً في رُبوع الشرق طافوا على التُدماء بالقَدَح الخلي
سحابٌ ما حوى برقاً قديماً وليس لسيده من برقي فتى



الحضارة الغربية

أرى تثقيفَ إفرنج فسَادَ القلب والنُّظَر
فَروحُ حضارةٍ لهم خَلَتْ مِنْ عَقَّةِ الوَطَر
إذا ما الروح جانبها جمالُ الصُّفوفِ والطُّهر
فأين جمالُ وجدانٍ ولطفُ الذُّوقِ والفِكر



أسرار ظاهرة^(١)

ما بهم حاجةٌ إلى السيف قومٌ مِنْ حَدِيدٍ يُصاغُ فيهم شبابُ
أين منك الأفلاكُ؟ إنَّك حُرٌّ وهي قَهَرٌ ذهابها والإيسابُ
ما اصطخاب الأمواج؟ لذة سعيٍ والسلاكي يصوغها الوهابُ
ليس يَهوى الشاهينُ مِنْ طولٍ خفقٍ يا أخا العزم لا ينلُكَ التُّرابُ



(١) قال موسوليني لإقبال حين لقيه : مَنْ ملك الحديد ملك كلَّ شيء . فأجاب إقبال :
من كان هو حديداً فهو كل شيء . وقد ضمن هذا المعنى البيت الأول من هذه
الآيات .

وصية السلطان تيبو (١)

طاوي اليدهاء شوقاً ! أقبلن	لا تمرّج ، منزلأ لا تقبلن (٢)
لا ! وإن سار بليلى محملاً	فامض شوقاً ، محملاً لا تقبلن
جدول الماء ! تقدّم مُسرِعاً	واغد نهرأ ، ساحلاً لا تقبلن
لا تحز في مصنم الكون وسر	في البرايا ، ضلأ لا تقبلن
يا مُذيبَ الحفل ! لا تقبل له	حُرقة ، كن مشعلاً ، لا تقبلن
كل قلب ذل للعقل فقد	قال ربي أزلاً : لا تقبلن
وخذ الحق وثني باطل	فشوب حق باطلا لا تقبلن



قطعة

إلى عصابات الغرب ما أنت متمر ولستُ بهندي ولا أنا أعجمي

(١) السلطان تيبو كان من ملوك المسلمين في ميسور جنوبي الهند . وقد حارب الإنكليز زمناً طويلاً ، وحاول أن يؤلب عليهم دولاً إسلامية ، ويتفق مع نابليون ، وكان في مصر حينئذ . فجمع له الإنكليز ما استطاعوا . فلما يس من النصر ألقى بنفسه من قلعة فمات سنة ١٢١٣ هـ .

وهو عند إقبال ممن تتجلى فيهم (الذاتية) فقد جعل هذه الوصية على لسانه . وفي هذه الأبيات أصول من فلسفة إقبال :

يدعو إلى السير الدائب ، وهجر المحمل ولو في صحبة ليلي ، وإلى المضي والتقدّم والنماء ، فهو يدعو جدول الماء أن يسير حتى يصير نهرأ ، وإلى السيطرة على هذا الكون والعلو عليه حتى لا يفضل الإنسان فيه ، وإلى أن يحرق الإنسان بحرارة ذاته ولا يقبس من أحد نارأ ، وألا يذل القلب للعقل .

(٢) القافية مردوفة والروي اللام في منزلأ وساحلاً . . . إلخ .

فقد علمتني (الذات) تحليق نافر
بعينك أني كافر غير مسلم
فدينك تعداد لأنفاس مُحجَم
تبدلت فالتبديل في الشرع حكمة
فلست أرى في بيدك اليوم جنة
إذا حاد عن نار الحياة منغم
يمرُّ على الدارين غير محووم
وانت بعيني كافر غير مسلم
وديني إحراق لأنفاس مُقَدِّم^(١)
فليس يُطبق الظبي شرعة ضيغم^(٢)
تثب بهذا العقل نار التقدّم^(٣)
فموت شعوب لحن هذا المنغم^(٤)

اليقظة

خدن حق تبّهت فيه (ذات)
نظرات لديه تُشرق فيها
إيو عبد الآفاق ! كيف تداني
أنت في البر قاعد عن طلاب
كالحمام المصنم البراق
ما انطوى في الذرات من إشراق
رجل الله صاحب الآفاق
وهو في البحر محرم الأعماق

تربية الذات

رتب « الذات » بالرعاية بُصر
(كف تُرب) يُشيع في الكون ناراً^(٥)

-
- (١) أنت تدين بالسكون والإحجام ، فحياتك عدّ أنفاس ، وأنا أدين بالجد والإقدام فحياتي إحراق أنفاس .
(٢) كرر إقبال هذا المعنى ، يقول : إن الجماعة إذا ضعفت لم تستطع السير على شريعة القوة ، فهي تعمل في تبديلها بدل أن تبدل نفسها .
(٣) يرمز إلى هيام مجنون ليلي في البقاء . والمجنون في شعر إقبال الإقدام في غير مبالاة .
(٤) إذا لم تكن الألحان ناطقة بحرقة الحياة وكذّها فهي مميتة للهمم .
(٥) تكثر الكناية عن الإنسان بكف من تراب ، أو قبضة من تراب .

إِنَّ سِرَّ الْكَلِيمِ فِي الدَّهْرِ يَبْدُو وَشُعَيْبٌ وَالرَّعْيُ لَيْلَ نَهَاراً^(١)

حرية الفكر

بحرية الأفكار هلك جماعة إذا لم يكن فيها تدبير عالم
فحرية الأفكار في رأس جاهل طريق لرد الناس مثل البهائم

حياة الذات

إِنَّ الذَّاتُ حَيْثُ فَالْفَقِيرُ مَمْلُوكٌ ترى طغراً أو سنجرأ لا يشاكل^(٢)
إِنَّ الذَّاتُ حَيْثُ فَالْبَحَارُ ضَحَاضِحٌ إِنَّ الذَّاتُ حَيْثُ فَالْحَزُونُ مَخَامِلُ
تَرى فِي الْحَيَاةِ الْوَحْشَ قَاهِرَ لَجَّةٍ وفي موته موجُ السَّرابِ سِلَاسِلُ

حكومة^(٣)

يَرْضَى الْمَرِيدُونَ قَوْلَ حَقٍّ ليسوا عن الحقِّ بالعُتَاةِ
وَالشَّيْخُ قَوْلَ الْفَقِيرِ يَقْلِي وليس للحقِّ بالمُؤَاتِي
قَدْ قَعَدَتْ أُمَّةٌ وَبَاءَتْ فِي خَلْبَةِ السَّعْيِ بِالْخَزَاةِ
إِنْ شَغَلَتْ عَقْلَهَا يَبْحَثُ فلسفة الذات والصفات

(١) يعني فسحة البیداء وتربية روح عظيمة كشعيب ، والجدة الدائب .

(٢) طغول وسنجر من ملوك السلاجقة .

(٣) بمعنى حكم .

دستورُ ذا الدير ليس فيه
لكنمنا راحته نصيب
الشهد عند الشباب فيها
المسر من مورد الحياة

المدرسة الهندية

إقبال أقصر ، هنا لا تعرف الذات
الخير ألا ترى في عين قبرة
فلحظة الحر عام للذليل فكم
ولحظة الحر من خلد رسالته
وفكرة الحر من حق منورة
كرامة حبة مائلة
حسب العقيد تعليماً وتسرية

فما لمدرسة هذي المقالات
من البزة مقامات وحالات
تبطىء السير بالعبدان أوقات
ولحظة العبد من موت فجاءات
وفكرة العبد تغشاها الخرافات
والعبد من غيره تأتي الكرامات
تصويره ولحون والنباتات^(١)

التربية

فرق علم وحياة
هو في الرأس ذكاء
قدرة في العلم تبدو

ليس فيه من خفاء
وهي في القلب ذكاء^(٢)
ومتاع وثراء

(١) يكنى عن الدنيا بالدير القديم ، وقد حذفت القديم في الترجمة .

(٢) يعني : حسب الدليل أن يعنى بهذه العلوم والفنون ، لا تدرك نفعه معاني الحياة السامية التي تسيطر بها على العالم .

(٣) ذكاء : انتقاد .

مُعْضِلٌ أَنْ لَيْسَ فِيهِه وَأُولُو الْأَبْصَارِ نَزَرُوا
لَيْسَ بِدَعَا أَنْ كَأَسَا
مَا طَرِيقُ الشَّيْخِ فِي الْمَكْتَبِ
كَيْفَ بِالْكَبْرِيتِ إِشْعَا
فِي خُطَا السَّيْرِ اهْتِدَاءُ
وَأُولُو الْعِلْمِ زُهَاءُ
لَكَ مِنْ رَاحِ خَلَاءِ
لِلْقَلْبِ ضِيَاءُ^(١)
لُ سِرَاجِ الْكَهْرِبَاءِ؟

الحسن والقبح^(٢)

إِنَّ لِلْفِكْرِ طُلُوعاً وَغُرُوباً
عَالَمُ الذَّاتِ بِهِ عُلوٌّ وَسُفْلٌ
فِي اعْتِلَاءِ الذَّاتِ مَا يَبْدُو جَمِيلٌ
كَنْجُومِ سَابِحَاتٍ فِي الْعُسُوفِ
وَاعْتِرَاكُ الْقَبِيحِ فِيهِ وَالْجَمَالِ
وَقَبِيحٌ مَا بَدَا فِي الْأَسْتِفَالِ

موت الذات

مِنْ مَمَاتِ الذَّاتِ فِي الْغَرْبِ ظِلَامٌ
مِنْ مَمَاتِ الذَّاتِ فِي الْغَرْبِ خَمُودٌ
مِنْ مَمَاتِ الذَّاتِ فِي الْهِنْدِ جَنَاحٌ
مِنْ مَمَاتِ الذَّاتِ يُعْرِي مُسْلِمًا
وَبِمَوْتِ الذَّاتِ فِي الشَّرْقِ جَذَامٌ
وَلَدَى الْعُجَمِ عُرُوقٌ وَعِظَامٌ
هَيْضٌ فِي الْأَقْفَاصِ وَالْعَشُّ حَرَامٌ
مِنْ ثِيَابِ سَادَنُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ^(٣)

(١) المكتب - المدرسة : وفي تركية : المدرسة خاصة بالعلوم الدينية ، والمكتب لما يسمى مدرسة في مصر . والكلمة بعينها في الأصل .

(٢) هنا رأي لإقبال في الحسن والقبح متصل بفلسفته في الذات وقوتها وعلوها . يقول : ما تدركه الذات في اعتلائها جميل ، وما تدركه في استفالها قبيح .

(٣) في الأصل « شيخ الحرم يبيع ثوب الإحرام ويأكله » والمعنى أن موت الذات قعدت بالمقيمين في الحرم عن المساعي ، وصوغت لهم مفساف الأمور ، فطوعت لهم =

ضيف عزيز

ضميرٌ أولي المدارس في ازدحام
وهذا العصرُ ماضٍ في هواء
بأفكارٍ كما امتلأ القفيزُ
ففي جنبات قلبك أخل بيتاً
جميعاً من قبيح لا يميزُ
عسى يشوي به ضيفٌ عزيز^(١)

العصرُ الحاضر

فأين يُصيب المرء ناصحَ فكرة
مدارسُ فيها كلُّ عقلٍ محسّرٌ
وأجواءُ هذا العصر لا تُنضجُ الثمر
أطاحت بعشق الغرب أفكارٌ ملحد
ولكنُ بها الأفكارُ عِقْدٌ قد انتثر
وعبْدَ عقلُ الشرق فوضى من الفكر

طالب العلم^(٢)

الله يحبُّوك علماً
فإنَّ بحركِ زهواً
بمناجيات الغُباب
ما يُبتلى باضطراب
لن تستطيع فراغاً
في السُّفر من أبواب

أنفسهم أن يأخذوا ثوب الإحرام ليمشوا به .

(١) ينبغي أن يخلى القلب حيناً من الأفكار المتراخمة التي تشغله ليفرغ للواردات النفسية ، والمعاني الروحية العالية .

(٢) يريد إقبال بالتعليم إيقاظ نفس الطالب ، وتحريكها ، وإثارتها للنظر ، وحفزها للمطالب العالية ، لا تلقينها مسطورات الكتب .

فَأَنْتَ قَارِي كِتَابٍ وَلَسْتُ أَهْلَ كِتَابٍ

امتحان (١)

قال نهر الطود يوماً للحجر : بسقوط وانتكاس تفتخرا
أنت للاقدام والغم لقي وأنا يشتاقني بحر وبر
لم تذهبة من جدار مرة كيف تُدرى أزجاج أم حجر ؟

المدرسة (٢)

ملك الموت عصرنا يتوقى كل نفس بفكرة في المعاش
يرجف القلب من كفاح حياة وهي موت لمشفق من هراش
أبعد الدرس عن ججك جنونا صاخ بالعقل : لا تلذ ينقاش (٣)
عين صقر منحتها وعليها وضع الرق نظرة الخفاش
حجبت دونك المدارس سرّاً هو في اليد والرؤاسخ فاش

(١) في الآيات التالية يضرب إقبال مثلاً لرايه في أن الكد والجهد يقربان الإنسان ، ويرفعانه ، وأن الحياة لا تكمل دون عناء - يمثل بالنهر المنحدر من الجبل بهوي من صخر إلى صخر ... إلخ .

(٢) يقول إقبال : إن المدارس وسيلة إلى الوظائف ، وسبيل إلى المعاش ، وهي لا تقدم بالإنسان على جهاد الحياة ، بل تهبط بالفطرة ، وتحجب عن الإنسان أسرار الخليفة . وإن يكن عنى مدارس الهند فما أشبه كثيراً من المدارس بها ! .

(٣) جنون يقول للعقل أقدم ولا تتعلل بالجدل وتلد بالمعاذير .

الحكيم نيتشه^(١)

أي قدر لذا الحكيم ولكن لم يكن أهل نكتة التوحيد
ليس إلا لذي البصيرة يبدو سرٌ معنى بـ (لا إله) بعيد
أرسل الفكر أسهماً في سماء وحوى الشمس بالخيال المديد
طاهر الطين في الترهيب لكن لذة الإثم نصب طرف حديد

الأساتذة

إن كان تربيةً الياقوت مقصداً فما شعاع رمت الشمس حيران^(٢)
وما المدارس أو ما الدارسون بها وللروايات عم الأرض إذعان
كانت جديراً بقود العصر أدمغة يقودها العصر ما فيهن نكران

قطعة

يلغ المنزل سار لا ينام مُسرج عين هزبر في الظلام
إنما للعبد ثمنى راحة ليس للحر على الأرض حمام

- (١) إقبال يعجب بنيتشه الفيلسوف الألماني وفي فلسفته شبه بفلسفته ، ولكنه يأخذ عليه أنه عرف العقل لا القلب ، وأدرك العلم لا العشق . وهنا يقول : لم يكن « لنكتة التوحيد أهلاً ، وأنه كان ضرورة عفاً ، ولكن كان يتشوّف إلى لذة الإثم ، فيكثر الحديث عنها .
- (٢) يقول الطيبون القدماء : إن العقيق والياقوت ونحوهما من الأحجار النفيسة تنضج بأشعة الشمس . ويقول إقبال : إن كان القصد تربية النشء فلا تجدي هذه الأشعة الحائرة المتفرقة . تربية النشء تقتضي أن يؤثر الأساتذة في التلاميذ تأثير أشعة الشمس المنجمعة في الأحجار النفيسة .

قد أزاغ العينَ في الغرب سناً لك من صاحب ﴿ ما زاغ ﴾ إمام^(١)
 ذاكم الحفل الذي أكوّسه كنجوم ، لمحةً فيه المقام
 أعمت الأسفار جئاً فالتصبا لم تعطر لك من روضٍ مشام^(٢)

الدين والتعليم

قد عرفنا قدرَ أشياخ الحرم كلُّ دعوى دون إخلاصٍ سقم
 ولتعليم النصارى نغم ليس من دينٍ وخلقٍ ذا النغم
 تكتبُ السُّلَّ على أقدارها أمةً بالذات فيها لا تُهم
 ربما تغفرُ للفرْد ولا تغفرُ الفطرةَ آثام الأمم

إلى جاوريد^(٣)

- ١ -

حربٌ على الأديان ذا الزمان مرَّكبٌ في طبعه الكفرانُ

(١) يشير إلى الآية في سورة (النجم) ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا كُنَّ ﴾ [النجم : ١٧] وصاحب ما زاغ هو الرسول عليه السلام .

(٢) يعني أنَّ العكوف على الكتب أمات الحس . فالتصبا تمرُّ على الروض ، وتأتي الأيك فلا تشم رائحة الروض فيها . حجبت الكتب عن النفس إدراك المعاني الروحية العالية ، وأغفلت الإنسان عن وحي الكون .

(٣) جاوريد ابن الشاعر ، وباسمه نظم « جاوريد نامه » الديوان الخالد .
 والأبيات الآتية معارضة لشعر نظامي الجنزي (الكنجوي) الذي ينصح فيه ابنه . وقد ختم إقبال كل قسم من الأقسام الثلاثة الآتية التي قسم إليها نصيحة جاوريد ببيت فارسي من أبيات نظامي التي نصح بها ابنه . ونظامي من أئمة شعراء الفرس .

سُدَّةُ أَهْلِ اللَّهِ - فَاظْلُبْنَهَا -
 لَكِنَّهُ « الْحَقُّ » عَصْرُ سَحَرٍ
 عَيْنُ الْحَيَاةِ مَاؤُهَا نَضُوبٌ
 مَنْ كَانَ فِي نَظَرَتِهِمْ سِهَامٌ
 لَكِنَّمَا الدَّارُ الَّتِي سَرَّاجٌ
 إِنَّ تَكَ (لَا إِلَهَ) فِي ضَمِيرِ
 عُشِّكَ فَوْقَ (الذَّاتِ) أَحْكَمَنَّهُ
 الْأَدْمِيُّ يَا بَنِيَّ بِحَرٍّ
 مِنْ حَبَّةٍ تَرَى الْوَفَا حَسْبُ
 لَا تَغْفَلَنْ فَلَاتَ حِينَ لَغَبٍ

- ٢ -

أَرْفَعُ مِمَّا شَيْدَ السُّلْطَانِ
 السَّحَرُ فِي أُمُورِهِ مِيزَانُ
 فَأَيْنَ رَاحُ اللَّيْلِ وَالرَّيْحَانُ
 مِنْهُمْ خِلَا الْكُتَّابِ وَالْدِيَوَانِ
 أَنْتَ لَهَا مَذَاقُهَا عِرْفَانُ^(١)
 فَالْغَرْبُ مِنْ تَعْلِيمِهِ أَمَانُ
 ثُمَّ اطْرَبْتَنُ مَا شَاءَتْ الْأَغْصَانُ
 فِي كُلِّ قَطْرَةٍ بِهِ طُوفَانُ
 إِمَّا جَفَا رَاحَتَهُ الذَّهْقَانُ
 الْعِلْمَ حَصَّلَ وَاسْتَهَنَ بِالضَّعِيفِ

لَمْ تَنْضِجِ الْحَيَاةَ فِي هُمَامِ
 لَمْ يَظْفَرِ الصَّيَادُ بِالْمَرَامِ^(٢)
 طَرِيقُهُ حَرَارَةُ الْإِقْدَامِ^(٣)
 الْقَقْرُ بِالْغَيْرَةِ فِي تَمَامِ

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّدْرِ حَرُّ قَلْبٍ
 إِنْ يَنْشَطِ الْغَزَالُ فِي ذِكَا
 مَاءُ الْحَيَاةِ هَاهُنَا قَرِيبٌ
 فِي غَيْرَةٍ أَرَى طَرِيقَ حَقِّ

(١) يعني : دار إقبال التي نشأ بها جاويد .

(٢) إِنَّمَا يَصَادُ الصَّيْدُ حِينَ يَغْفُلُ ، أَوْ يَبْطِئُ . فَإِنْ كَانَ يَقْظًا وَثَابًا لَا يَظْفَرُ بِهِ الصَّيَادُ .
 فَالْإِنْسَانُ لَا تَخْضَعُهُ الْحَادِثَاتُ إِنْ صَحِبَهُ الذِّكَاءُ وَالْإِقْدَامُ .

(٣) مَا تَحْمِلُ الْقَلْبَ الذَّكِيَّ وَصَارِمًا وَأَنْفًا حَمِيًّا تَعْتَنِبُكَ الْمَظَالِمُ
 مَاءُ الْحَيَاةِ يَوْجَدُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَالسَّبِيلِ إِلَيْهِ الْجَدُّ وَالْكَدُّ ، وَشِدَّةُ الْعَطَشِ . كَمَا قَالَ فِي
 رِسَالَةِ الْمَشْرِقِ :

غَصْنُ الْحَيَاةِ نَدِي مِنْ ظَمْثِنَا فِي الطَّلَابِ

يَا قَرَّةَ الْأَعْيُنِ مُسْتَحِيلٌ
لَيْسَ الْمَقَالُ فِي الْأَنَامِ نَزْرًا
وَإِنَّمَا بَيْنَ الْوَرَى مُتَاعِي
وَصَدَقُ أَقْوَالُ بِهَا تَرَانِي
مَوْهَبَةُ الْخُلَاقِ لَا تُرَاثُ
لِنُورِ عَيْنِيهِ يَقُولُ نَصَحًا
أَبُوتِي لَيْسَتْ بِذَاتِ بَالٍ

لِبَاشِقِ ضَرَاعَةِ الْحَمَامِ^(١)
كَمْ أَنْوَرِي عِنْدَهُمْ وَجَامِي^(٢)
نُوحُ خَالٍ فِي دُجَى الظُّلَامِ
فَسي نَظَرُ الدُّنْيَا مِنَ الْكِرَامِ
نِبَاهَةُ الذُّكْرِ عَلَى الْإِيَامِ
مَا أَجْمَلُ الْمَقَالُ مِنْ نَظَامِي^(٣)
فِي حَلْبَةِ السَّبْقِ إِلَى الْمَعَالِي

- ٣ -

عَبْدٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ ذِي اللَّيَالِي
وَلَا أَرَى نَشْوَانَ فِي كِفَاحِ
فَإِنْ تَكُنْ ذَا هَمَّةٍ فَأَقْدَمِ
الْأَدْمِي مِنْهُ فِي صِفَاتِ
هَذَا الْمَقَامِ لِلْبُغَاثِ حَتَفِ
تُضْيِءُ عَيْنَ الْعَقْلِ مِنْ سَنَاءِ
سَطْوَةِ (مَحْمُودِ) تُصِيبُ فِيهِ
فَذَاكَ فِي دُنْيَاكَ إِسْرَافِيلُ

الذِّينُ وَالِدَوْلَةُ فَعْلٌ هَازِي
فَلَيْسَ إِلَّا كَلِمٌ نَوَازِي
وَابْتَغِ فَقْرًا أَصْلَهُ حَجَازِي^(٤)
كَاللَّهِ مُسْتَغْنٍ بِلَا إِعْوَازِ
فَإِنَّمَا هَذَا مَقَامُ الْبَازِي
مَا بَابِنِ سِينَا كُجِلَتْ وَالرَّازِي
إِنْ لَمْ يَكُنْ طَبْعُكَ مِنْ إِيَّازِ^(٥)
مِنْ نَقَّخَاتِ النَّايِ فِي اشْمُزَازِ^(٦)

- (١) الباشق ضرب من الطيور الجوارح . ولا يذل الباشق كالحمام . فكذلك الكرام لا تضرع ضراعة الحمام .
- (٢) ليس الكلام في الناس قليلاً ، فكيف فيهم من شاعر مثل الأنوري والجمامي . وهما من كبار شعراء الفرس .
- (٣) نظامي شاعر فارسي كبير ذكر في مقدمة هذه الأبيات .
- (٤) فقر نسب إلى الرسول الحجازي . راجع المقدمة في الكلام على الفقر .
- (٥) السلطان محمود بن سبكتكين وغلّامه إياز يشيع ذكرهما في الآداب الإسلامية الشرقية . وضرب محمود وإياز هنا مثلاً للمعظمة والحقارة .
- (٦) فذاك : إشارة إلى الفقر فنفسه لا يلائم الناي ولكن صور إسرافيل .

ساريةً بالكون في ارتجاز
بلا سلاح في الزمان غازٍ
عطيةً الوهاب هذا الفقر

تظسرتُه الميعةً الليالي
وصاحب الفقر الغيور هذا
إمارة المؤمن فيه سرُّ



القسم الثالث

المرأة



الرَّجُلُ الْإِفْرَنْجِي

كم حكيم قد تمنى حلّه مشكل المرأة في هذي الحياة
لا تلثمها في فساد شائع شهدت بالطهر كل الثّرات
عشرة الإفرنج نهج مُفسدٌ جهل الحمقى طباع المحصّنات

سؤال

إلى عالم الغرب من أسلمت له الروم والهند يُزجي سؤال :
كمال معاشره عندكم حياءُ النساءِ وعُطلُ الرجال ؟^(١)

حجاب

أرى فلكاً كل حين للون ولم تنضُ دنياك هذا الإهاب
ولا فرق ما بين عرسٍ وعرسٍ فذي في نقابٍ وذا في نقابٍ^(٢)
ولم يزل الناس رهناً حجابٍ ومن برزت ذاته من حجاب ؟

(١) الحياء : الخلو من الحمل .

(٢) نقاب الرجل والمرأة في هذا البيت يفسره ما في البيت الذي بعده ، أنَّ الذات لا تزال في حجاب . والعرس : الزوج للرجل والمرأة .

الخلوة

فَضَحَ الْعَصْرَ جَنَّةً بِالشُّفُورِ نُورُ عَيْنٍ وَظُلْمَةٌ فِي الصُّدُورِ
إِنْ تَجُزَّ مَتَعَةُ الْعَيُونِ مَدَاهَا كَانَ فِيهَا الشَّتَاتُ فِي التَّفْكِيرِ
قَطْرَةُ الْمَاءِ لَا تُحَوِّلُ دُرًّا دُونَ أَصْدَانِهَا بِقَاعِ الْبَحُورِ
تُمْسِكُ الذَّاتُ نَفْسَهَا حِينَ تَخْلُو لَا خِلَاءَ بِمَسْجِدٍ أَوْ دِيْوَرِ

المرأة

إِنَّمَا الْمَرْأَةُ لَوْنٌ فِي رَسْمِ الْكَائِنَاتِ
لَحْنُهَا يَنْفُثُ نَارَ الْوُجُودِ فِي صَدْرِ الْحَيَاةِ
ذَلِكَ الطَّيْنُ تَعَالَى فَوْقَ أَوْجِ الثِّيَرَاتِ
إِنَّهَا دَرَجٌ لِيَدِيهَا كُلُّ دُرٍّ مِنْ صَفَاتِ
مَا لَأَفْلَاطُونَ تَرَوِي مِنْ قَضَايَا مَعْضَلَاتِ
وَهُوَ مِنْهَا كَشَرَارٍ مِنْ ذَكَايِ الْجَمَرَاتِ^(١)

حرية النساء

قَضِيَّةُ عَصْرِ لَسْتُ فِيهَا بِفَيَصِلُ وَإِنْ كُنْتُ بَيْنَ الشَّهْدِ وَالسُّمِّ أَفْرِقُ
وَمَا نَفْعُ أَقْوَالٍ تَزِيدُ مَلَامَتِي وَقَبْلَ بَنُو التَّمْدِينِ عَنِّي تَفْرُقُوا
يَبِينُ هَذَا السُّرُّ وَجَدَانُ مَرَأَةٍ وَيَفْجِزُ عَنْهُ فِي الرُّجَالِ الْمُحَقِّقُ

(١) يعني : أن المرأة لا تتخلف ، ولن تلد الفلاسفة .

أحرية النسوان أجمل زينة أم الجيد بالدر الثمين يطوق^(١)

حصانة المرأة

في الصدر حق ليس يُدركه من حاز برد دماؤه عصب
حفظ الأنوثة في يدي رجل
إن غاب هذا الحق عن أمم لا العلم يحفظها ولا الحجب
فكسوف شمس فيهم كتب

المرأة والتعليم

موت الأمومة إن رامت حضارتهم فالموت عاقبة الإنسان في الغرب
إن يجعل المرأة التعليم لا امرأة فالعلم موت يراه صاحب القلب
إن تحرم الفتاة الدين مدرسة فالعلم والفرق موت العشق والحب^(٢)

المرأة

بغيره يتجلى جوهر امرأة ووحده يتجلى جوهر الرجل
حرارة الشوق سر في بلايلها كيائها لذة التخليق كالشعل

(١) هذه قضية لا يفصل فيها إلا المرأة : أحرية المرأة كما نرى اليوم أحب إليها . أو غل عنقها بعقد من اللؤلؤ في رعاية زوج وصيانة بيت .

(٢) إن أغفلت المدرسة الدين الذي يحفظ للمرأة حرمتها وحدودها ؛ فعلمها وفنها موت عاطفة المرأة ، وذهاب الحب الحق .

من هذه النار أسرارُ الحياة بَدَت
كذلكم في فؤادي للنساء أَسَى
والخلقُ والموتُ منها في وَغَى زَجَلِ
لكنَّها عقدةٌ أَعِيثَ على الحيل^(١)



(١) هو كذلك يرثي للمرأة مما أعدتها الفطرة له وما حملتها إياه . ولكن لا حيلة لأحد في هذا .

القسم الرابع
الأدب والفنون



الدِّينُ وَالْفَنُّ

الدِّينُ وَالْفَنُّ والتدبير والخُطْبُ والشعر والنثر والتحرير والكتب
كلُّ يُحِيطُ بِمَكْنُونٍ يَضُمُّ بِهِ ؛
وَمِنْ ضَمِيرِ سَلِيلِ الطِّينِ مَطْلَعُهَا
إِنْ تَحْفَظِ «الذَّاتَ» هَذِي فَالْحَيَاةُ بِهَا
كَمْ أُمَّةٌ تَحْتَ هَذِي الشَّمْسِ قَدْ خَزِيَتْ
وَالشَّعْرُ وَالنَّثْرُ وَالتَّحْرِيرُ وَالْكَتَبُ
فِي صَدْرِهِ يَتَوَارَى جَوْهَرٌ عَجَبُ
لَكِنْ لَهَا مِنْ وَرَاءِ الرُّفْرِ مَضْطَرَبُ^(١)
أَوْ لَمْ تَطُقْ ذَلِكَ فَهِيَ السَّحَرُ وَالْكَذِبُ^(٢)
إِذْ جَانِبَ الذَّاتِ فِيهَا الدِّينُ وَالْأَدَبُ

التخليق

جِدَّةُ الدُّنْيَا بِتَجْدِيدِ الْفِكْرِ
هَمَّةُ الْغَائِصِ فِي «الذَّاتِ» لَهَا
قَاهِرُ الْأَيَّامِ مِنْ أَنْفَاسِهِ
رِيحُ أَصْحَابِ مِنَ الْيَسَدِ أَتَتْ
لَيْسَتْ الدُّنْيَا بِصَخْرِ وَمَنْدَرُ
مِنْ غَدِيرِ الْمَاءِ بَحْرٌ قَدْ رَخِرَ
هِيَ أَعْمَارُ خُلُودٍ فِي الدَّهْرِ
لَا عَجِيبُ إِنْ بَدَأَ خِذْنَ سَفَرُ^(٣)

(١) سليل الطين : الإنسان .

(٢) الدين وسائر ما ذكره في البيت الأول مقصدها حفظ الذات . . . إلخ .

(٣) يعجب إقبال بالبادية : لأنَّ الذات فيها أقوى ، ولذكرى الرسول وأصحابه الذين أخرجوا للعالم الحياة والقوة . وهو يجد من البادية ريحاً تبشر بصاحب معيد له ، يدعو دعوته ، ويحقق أمله .

جُنُون

واهِنُ البيت شاعِرٌ وفقيهُ وطوى اليدَ - ويحه - المجنونُ
في طمّاح الجنون أيُّ كمالٍ حين تعدو اليداء منه فنون^(١)
قله في الدروس أيضاً مجالٌ ليس وقفاً على الفياضي الجنون

إلى شعره

لي من فعلك شكوى : همت في حُبِّ الطلوع
شغيت عن قلبي فالأس رارُ عن قلبي تشيع
لا تكن مثل شرارٍ نداءً عن نارٍ يضيغ
والتمس خلوةً صديرٍ فيه من نارٍ ضلوع

مسجدُ « بارس »

يا نظري لا يخدعُك فُتْه للرّور هذا الحرّم المغرّبُ
وليس هذا حرّماً لكنّه عند الفرنج للغرام ملعبُ
قد أخفت الإفرنج رُوحَ موثني في صورة من حرّم تكذّب^(٢)
إنّ الذي شيد هذا موثناً دمشق من عدوانه تغرّبُ

(١) إن تجاوز اليداء إلى الحضرة فتونه ، وفيه إشارة إلى مجنون ليلي .

(٢) الموثن : معبد الأوثان .

الأدب^(١)

رأيتُ العشق يقفُو اليوم نهجاً من العقل الإلهي القويم
وليس يُريق ماءً الوجه ذلاً على عَتَبَاتِ محبوبٍ غريم
محا التقليدَ في روح قديم وأحيا الروح في جسد قديم

البصيرة

الريُّعُ النضيرُ ملءُ الفضاء وجيوشُ الشَّقِيقِ في الصحراء
وشبابٌ ومتعةٌ وسُرورٌ ودلالٌ ونشوةٌ بالفتاء^(٢)
وعيونُ النُّجومِ في حَلَكِ الليل وسَبَّحَ الأفلاكُ في السدأماء^(٣)
وعُروسُ الهلالِ في هَوْدَجِ الليل تهَادى بموكبٍ للقاء
وتبدَّى ذُكاءٌ في رَوْنَقِ الصُّبح وصمتُ الأفلاكِ في ذا الرُّواء
سَرَّحَ العينَ ، لا تكَلَّفُ أجراً لا يباغُ الجمالُ في ذا الفضاء

مسجدُ قُوَّةِ الإسلام^(٤)

تملاً صدري همومُ مفزودٍ لم يبقَ إلا اذْكَارُ مفقودٍ^(٥)

(١) بهذا يُجمل الشاعر طريقة الأدب الحديث ، فهو مزاج من القلب والعقل . وهو يجدد الروح في صور قديمة ، أو يحرر من التقليد الأرواح العتيقة . (كُتبت هذه الأبيات في بهو فال . - رياض المنزل - دار السيد راس مسعود) .

(٢) الفتاء : الشباب .

(٣) الدأماء : البحر .

(٤) مسجد عظيمٌ شامخٌ في دهلي ، هدمت بعض جدره .

(٥) المفزود : حزين الفؤاد .

قد خجلت « لا إله » لا حرق
 في الخلق كل العيون تنكرني
 من صبحرك المسلمون في خجل
 فإنمبا كفة ما تمثله
 جلال تكبيره لذي أذن
 وما صلاتي بقلب ذي حرق
 ولا أذاني جلال مقتدر

ولا تجل نساء ملحود
 أعبا إيازا مقام محمود^(١)
 لجوهر كالزجاج معدود^(٢)
 صلاة حر ربيب توحيد
 فيه وغي هالك وموجود
 ولا دعائي دعاء معدود
 فكيف ترضى مجود رعدود

مسرح

تضيء حريم وجودك ذاتك
 لها فوق أوج الثريا مقام
 أمن « ذات » غيرك تعمّر قلباً
 فلا تبعثن وثنها بعد موت
 كمال المحاكاة أنت تفنى

كفاح بها وسرور حياتك
 جليت بها وتجلت صفاتك
 معاذ الإله ! ترى أين ذاتك ؟
 فتحيا مناتك فيها ولاتك^(٣)
 فكيفك هم الحياة مماتك^(٤)

(١) السلطان محمود وإياز مولا ، أي لا ينال العبد مقام السيد .

(٢) لجوهرهم الضميف كالزجاج .

(٣) الوثن : جمع وثن . ومعناه واللات صنمان ذكرا في القرآن .

(٤) كمال التمثيل أن يفنى الممثل فيما يمثله ، فعليك أن تفنى فيمن تحاكيه ما دمت مقلداً فتستريح من عناء الحياة .

شعاعُ الأمل^(١)

- ١ -

ذُكاءٌ وتجمُّعٌ منها النَشْرُ^(٢)
عجبتُ عجبتُ لدنيا الغَيرِ
وجورُ الزَّمانِ بكنٍّ استمرَّ
تَلالُؤُ ذُرَّائِهِ كالشَّرَرِ
طوافُ الصُّبَا في رياضِ الزَّهرِ
ودغْنُ البِداةِ ودغْنُ الحَضَرِ

تنسادي أشعتها في ضَجَرِ
عجبتُ لدنيا نهارٌ وليلٌ
إلامَ الهَيَامِ بهذا الفضاءِ
فلا دَعَا في اتقادِ برملِ
ولا دَعَا في دوامِ طوافِ
تجمُّعِنَ في صدريّ المستنيرِ

- ٢ -

إلى الشمسِ تبغي لديها قرارا
دُخانُ المصانعِ يكسوهُ قارا
كعالمٍ غيبٍ بصمتِ توارى
إلى نورِ صدركِ آوى الحَيَارِ^(٣)

تداعى الأشعةُ من كلِّ صوبِ
وصاحت : تعذّر في الغربِ نورٌ
وفي الشرقِ قلبٌ بصيرٌ ولكن
أنوارِ العوالمِ لا تهجُرنا

- ٣ -

كنظرةِ حوراءٍ تغزو الضميرُ
تري زئبقاً في ضياءِ يمورُ
أرى ذرَّةَ كشمسٍ تنيّرُ

شُعاعُ جريءٍ له نظرةُ
ولا يستقرُّ على حالٍ
يقول : أضياءُ على الشرقِ حتى

(١) لعلَّ الشاعر يعني نفسه بشعاع الأمل . الشمس يثبت من إضاءة في الشرق أو الغرب ، فدعت أشعتها إليها ، فجاءت الأشعة إلى صدر أمها معترفة بياسها إلا شعاعاً جريئاً يقول للشمس : ذريني أضياء الشرق ، ولا تياسي ، فكل ليلٍ إلى صباح . الشاعر يرى في أمله ودعوته في الشرق هذا الشعاع .

(٢) النشر : المنتشر المتفرق .

(٣) الخطاب للشمس .

وأجلو عن الهند هذا الظلام
ففيها من الشرق آماله
تضيء بها أعين النيرين
وكم عاش في أرضها غائص
فأعور أعواده عازف
ينام البرهمن في سدة
ومسلمها خلدن محرابه
فلا يحزننك من الشرق نوم
قضت فطرة الله أن تبديلي

أمل (٢)

لا ولا رب لــــواء
رَبَّتْ في اللقاء
وهيــــام وغنا
أم ســــواء ذا العطاء (١)
ففي محيــــاه ضياء
الكون منه في امتلاء
يك كــــراً ذا البلاء
هــــود للحر سبــــاء (٢)

لست من أجناد حرب
بيد أني في صروف الدهر
عُدَّتْني ذكر وفكر
لست أدري أهو شعــــر
إن عبيد الحق يُزهِى
من جلال ظــــل فكر
ليس دون الكفر إن لم
أن يرى بالحاضر المشــــ

(١) الخطاب للشمس .

(٢) كتب في بهوبال - رياض منزل (دار السيد راس مسعود) .

(٣) هو يدري أنه وهب الذكر، والفكر، والهيام، والغناء، ولا يدري أهذا شعر أم شيء آخر .

(٤) ليس أقل من الكفر أن يأسر الحر ما يراه ويشهده ، فيقيد به فكره وعمله . فالحر =

لا تذب غمًا فكم في الدهر سر أدوارٍ وضوء
كم نجوم حادّاتٍ سوف تجلوها السماء

البصيرة

لم تُخفِ هذي الكائنات ضميرها شوقُ الظهور يشورُ في ذراتها
إنَّ صاحبَ النظراتِ شوقُ بصيرة تبدّل الأيَّامُ في جَلَّواتها^(١)
من ذي البصيرة في الليالي قد غدا أنباء من خضعوا لها ساداتها
مِنْ ذي البصيرة لي جنون نائر عرفت به الذرات طيَّ فلاتها^(٢)
هذي البصيرة لا تيسر لامرئ تخزي القلوب بنفسه ويماتها

إلى أهل الفن^(٣)

رأيت الكواكب لمحات نورٍ وذاتك بالعشق رهنٌ خلود

« لا يقبده ما يسمى « الأمر الواقع » .

- (١) يعني أنَّ نظرة البصيرة تنفذ إلى حقائق الأشياء فترى الدنيا على غير صورتها الظاهرة .
- (٢) الجنون : هو الحماس والإقدام . ويعني الشاعر أنَّ بهذه البصيرة ثار هذا الجنون في نفسه ، فهذه الذرات التي تطوي الفلاة تعلمت من جنونه طي الفلاة . والشاعر يقرن الجنون بالفلاة إشارة إلى قصة مجنون ليلى (تراجع المقدمة في معنى الجنون) .
- (٣) مذهب الشاعر أنَّ الفنَّ ينبغي أن يحرر من محاكاة الطبيعة ، وينبغي أن يصور « ذات » صاحب الفن . فالكواكب لمحات من نور لا ثبات لها ، و« الذات » العاشقة خالدة . وضمير الإنسان لا تحده الألوان . والذات تخلو للذكر والفكر ، وتظهر للشعر والإنشاد غير خاضعة لهذا العالم . والروح المستعبدة فيها عبد ، والروح المقدرة نفسها تسيطر على كل شيء .

تعالى ضميرك عن كل لونٍ فعفت من اللون كل القيود
وغيبة ذاتك ذكر وفكر ومحضرها شعرها والنشيد
إذا أضنت الروح آلام رق ففتك عبد رهين سجون
وإن عرفت قدرها كنت حقاً على الجن والإنس رب الجنود

قطعة

تأثير الموج كم لدى البحر دُر وعلى الساحل الصموت غناء^(١)
في شراري سنا البروق ولكن رطبة العود هذه القصباء^(٢)
ولك الوقت والتصرف فيه ليس يا غرُّا للنجوم غناء
قد رأينا عجيبة من جنون فيه رَفُو لما يشق القضاء^(٣)
إنما الكامل الخلاعة شهم دون من الكروم فيه إنشاء^(٤)
والى اليوم حانة الشرق فيها خمرة للشعور منها جلاء^(٥)
يتس الميصرون من أمم الف عرب ففيها بواطن سوداء

- (١) الدُر في ثورة الموج ، وليس في سكون السواحل إلا الغناء ، فالحياة جد وكد ، لا سكون .
- (٢) شراري يحرق كالبرق ، ولكن هذه النفوس كالقصب الرطب لا تشتعل .
- (٣) بعض الجنون يغير ما يظنه الناس قضاء ، فهو يرفو ما يمزقه القضاء ، أي يصلح في هذا العالم مذلاً للطبيعة ، وما يحسبه الناس قضاء وقدراً في هذا الكون .
- (٤) رجل نشوان بفكره وعمله مقدم بنفسه في غنى عمن يؤثر فيه سكران بغير خمر .
- (٥) الخمر المؤثرة تحجب الشعور ولكن خمرة الشرق لا تؤثر فهي تزيد الشعور جلاء .

الوجود

أنتَ تحت الشمسِ تمضي كشرارٍ لستَ تدري ما مقاماتُ الوجودِ
ليس في فنك للذات بناءٌ ويلُ تصوير وشِدو وقصيدُ
ليس في المكتب والحانة إلا درسُ إغناء به الذات تبيدُ
ليت شعري هل تعلمتَ وجوداً لحيـاةٍ ودوامٍ وخلودِ

الغناء

صاح من أين لناي نشوة؟ صوتُ عودٍ ذاك أم من قلب حي؟
صاح ما القلبُ؟ ومن أين له قوةٌ سَكرى تحدث كلَّ شيءٍ
ولماذا نظيرة منه سرت مثلَ ربيعٍ صرصرٍ في تحت كَي^(١)
ولماذا ذلك السرُّ له : من حياةٍ فيه يحيا كلُّ حي^(٢)
ولماذا كلُّ حينٍ مبدلٌ واردة زُمرّاً تهفـو إليـ
ولماذا صاحبُ القلبِ ازدرى ملكَ رومٍ ومُنَى شامٍ و رِي
إنَّ وعى للقلبِ رمزاً مطربُ طويي الفنُّ له أسرع طي^(٣)

-
- (١) كي : كيكائوس أحد ملوك الفرس القدماء ، وفي الأساطير أنه كان له تحت يطير به .
(٢) لماذا خص القلب بهذا السر : أن بحياته تحيا الأمم .
(٢) إن عرف المطرب رمز القلب ، فأرسل في نغماته خفقات القلوب ، طوى مراحل الفن ، فبلغ غايته دون عناء .

النسيم والندى

النسيم :

لم أرقَ في فلك النجوم وإثني في شقْ أثواب الأزاهر أعملُ
وأسيرُ عن وطني غريباً مجبراً في مسمعي شدوُ البلايل يثقلُ
قل لي ، فقد أعطيتَ سرَّ كليهما ، المرجُ أم فلكُ الكواكبِ أجملُ^(١)
الندى :

لو لم تكن في المرج رهنَ هشيمه لرأيتَه سرَّ الكواكب يحملُ^(٢)

أهرام مصر^(٣)

شادت الفِطْرة كُتباناً لها في سُكونٍ من ياب قد وقْد
رُوع الأفلاك فيه هرمٌ أي كَفْ صوَّرت هذا الأبد
مِنْ إصارِ الكون حرُّزُ صنعة صائدُ ذو الفن أم صيداً يعدُّ^(٤)

(١) و(٢) يسأل النسيم الندى وقد هبط من السماء إلى المرج ، أيهما أجمل . فيقول الندى لو لم تتعلق بالهشيم ، وتقف عند المظاهر لرأيت في المرج سرَّ الكواكب ، وما وجدت فرقاً بين السماء والمرج .

(٣) في هذه الأبيات يشيد إقبال بالإنسان وقدرته على الإبداع ، ويشير إلى ما قال في أبيات أخرى من أنَّ صاحب الفن لا يحاكي الطبيعة ، بل يسيطر عليها ، ويؤثر فيها .

(٤) لم يحاك بني الهرم كتيان الرمال ، بل شاد هذا الأثر الخالد ، فحور الصنعة من أسر الخليفة ، فإن صاحب الفن صائد لا صيد ، يأسر الخليفة ولا تأسره .

مخلوقات الفن

قد رأى ذو بصير سرَّ الذات وجلا الفن لعين جنَّات^(١)
 ما به الذات ولا الكون يرى فهو من جهد حياة في نجا^(٢)
 تعس الكافر من أصنامه من حطام لعنا^(٣) واللات^(٣)
 هالك صلّى عليه فنه في ظلام اللحد يرنو للحياة^(٤)

إقبال

قال للرومي^(٥) في الخلد سنائي : لا يزال الشرق بالتقليد يؤسر
 قال منصور : ولكن قد سمعنا أن سرَّ الذات أفشاء قلندر

الفنون الجميلة

نظرات الأفاق مُتعة عين سرّحوا العين يا أولي الأبصار

- (١) ذات الإنسان أو مركز وجوده (خودي) في فلسفة إقبال .
- (٢) ليس في هذا الفن الذات ، ولا فيه عالم الصباح والمساء ، فهو فرار من جهاد الحياة .
- (٣) المقلد في الفن يتخذ أصناماً من بقايا أصنامٍ مهطمة كانت في العصر الخالية .
- (٤) في الأصل : أنت ميت وفنك أمام جنازتك .
- (٥) جلال الدين الرومي أكبر شعراء الصوفية ، ومجد الدين السنائي طليعة شعراء الصوفية الكبار ، ومنصور في لغة صوفية الفرس والهند هو الحسين بن منصور الحلاج الصوفي المعروف . والشاعر يتخيل : أن السنائي قال في الجنة للرومي : لا يزال الشرق في أسر القديم . فقال الحلاج : قد ظهر مجذوب أفشى للناس سرَّ الذات فهو حري أن يبدل الحياة في الشرق .

غَيْرَ أَنِّي أَقُولُ : مَا نَظَرَاتُ لَا تَجَلِّي كَوَامِنَ الْأَسْرَارِ^(١)
 مَقْصِدُ الْفَنِّ فِي الْحَيَاةِ لَهَيْبٌ أَبَدِيٌّ فَمَا وَمِضُّ الشَّرَارِ^(٢)
 قَطْرُ نَيْسَانَ ! مَا اللَّالِيءُ إِنْ لَمْ تَتَلَاظِمَ بِهَا قُلُوبُ الْبَحَارِ^(٣)
 مَا نَسِيمُ الصَّبَاحِ فِي الشَّعْرِ وَاللَّحْنِ إِذَا مَا أَدْوَى سَنَا الْأَزْهَارِ^(٤)
 لَيْسَ إِلَّا الْأَعْجَازُ بِحَيِّ فَنٍّ لَيْسَ ضَرْبُ الْكَلِيمِ فِيهِ ، عَوَارِي^(٥)

صُبْحُ الْمَرْجِ^(٦)

الرَّهْرَة :

وَافِدَ الْأَفْلَاكِ ! هَلْ خِلْتِ بَعِيداً مُوْطِنِي ؟ لَا إِنَّهُ غَيْرُ بَعِيدِ

النَّدَى :

مَنْ يَطْرُ مَا بَيْنَ أَرْضٍ وَسَمَاءٍ يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ غَيْرُ بَعِيدِ

- (١) إِنْ لَمْ تَتَفَذْ نَظَرَاتُ صَاحِبِ الْفَنِّ إِلَى حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ ؛ فَمَا هِيَ بِمَجْدِيَّةِ .
 (٢) الْفَنُّ يَصَوِّرُ لَهَيْبَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيِّ ، فَلَا قِيَمَةَ لِلْفَنِّ الَّذِي يَخْرُجُ شَرَاراً لَا يَلِيْثُ أَنْ يُطْفَأَ .
 (٣) قَطْرُ الْمَطَرِ فِي نَيْسَانَ يُخْلِقُ مِنْهُ الدَّرُّ فِي الصَّدْفِ . يَقُولُ الشَّاعِرُ : يَا قَطْرُ نَيْسَانَ !
 مَا قِيَمَةُ الدَّرِّ الَّذِي لَا يَضْطَرِبُ لَهُ قَلْبُ الْبَحْرِ . يَعْنِي : أَنَّ بَدَائِعَ الْفَنِّ يَنْبَغِي أَنْ يَجِيْشَ
 لَهَا قَلْبُ الْعَالَمِ .
 (٤) إِنْ كَانَ نَسِيمُ الصَّبْحِ الْمَتَمَثِّلُ فِي إِنْشَادِ الشَّاعِرِ وَلَحْنِ الْمَغْنِيِّ يَذْبُلُ الزَّهْرُ فِي الرِّوْضَةِ وَلَا
 يَنْضَرُّهُ فَأَيُّ نَسِيمٍ هُوَ ؟ !
 (٥) حَيَاةُ الْأُمَمِ بِالْإِعْجَازِ ، فَالْفَنُّ الَّذِي لَا إِعْجَازَ فِيهِ عَارِيَةٌ لَا دَوَامَ لَهَا .
 (٦) خُلَاصَةٌ مَا يُؤْخَذُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ غَيْرَ غَافِلٍ
 عَنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ، كَضَوْءِ الصُّبْحِ يُغْشِي السُّهُولَ وَالْجِبَالَ وَلَكِنَّهُ مُوَصُولٌ بِالْفَلَكَ ،
 وَعَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ لَيْسَا مُتَبَاعِدَيْنِ كَمَا قَالَ النَّدَى : إِنَّ الطَّيْرَانَ يُعْلَمُ أَنَّ الْأَرْضَ
 لَيْسَتْ بِعِيدَةٍ مِنَ السَّمَاءِ .

أقبلن في الرّوض كالصُّبح رقيقاً ليس يؤذي وطؤه قطر الندى
واحضن الأجيال واليّد ولكن من غرا الأفلاك لا تحلّ بدا

الخاقاني (١)

ذا صاحب تحفة العراقيّن ذو القلب يراه قرّة العين
تنشق لفكره الثّور الحُجبُ جميعها تُنير
يجتاز بعالم المعاني لا يسمع قول : ﴿ كُنْ تَرْنِي ﴾ (٢)
فاسأله بذلك الثّراب والدّهرُ يجيشُ في عُباب (٣)
ذا محرم عالم الثّواب كم دلّ بموجز الخطاب (٤) :

- (١) شاعرٌ فارسيّ كبيرٌ ، توفي في تبريز سنة ٥٨٢ هـ . وله من الكتب « تحفة العراقيّن » .
سجل فيها ما رأى في العراقيّن العربي والعجمي حينما مرّ بهما في طريق الحجّ ، وله
ديوانٌ ، ومنظومة اسمها « هفت إقليم » (الأقاليم السبعة) .
وهذه الأبيات جاءت في الأصل في القافية المزدوجة وعلى وزن = مفعول مفاعِلن
فعولن . وهو ضربٌ شائع في الشعر الإسلامي الشّرقي وهو مشتقٌّ من الأوزان العربيّة ،
ولم أجده في الشعر العربي إلا في أبيات لبهاء الدين زهير أوّلها :
يا مَنْ لعبت به شمولٌ ما ألطف هذه الشمائل
وقد ترجمتها على قافيتها ووزنها لأزيد في شعرنا مثلاً في هذا الوزن إلى أبيات زهير .
(٢) ينكشف له عالم المعاني ، فلا يسمع منه ﴿ كُنْ تَرْنِي ﴾ [الأعراف : ١٤٣] وهذا رمز
إلى الآية في قصة موسى : ﴿ كَأَلْكَ تَرْنِي ﴾ .
(٣) أسأله عن هذا العالم الأرضي وعن حوادث الدّهر . وفي القرآن الكريم ﴿ فَشَكَلْ بِهِمْ
حَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٩] أي أسأل عنه .
(٤) المحرم : المطلع على الرّ . واستعملها شعراء الفرس وغيرهم فأقررتها في العربيّة
وليت بعيدة من المعنى الأصلي .

« ناهيك بشرُّ هذا العالم إيليسُ ثوى ومات آدم »^(١)

الرُّومي^(٢)

ما زال طَرْفُكَ فِي خَلْطٍ وَفِي سِنَّةٍ وَعَنْكَ ذَاتُكَ فِي الْأَسْرَارِ لَمْ تَزَلْ
وَلَمْ تَزَلْ فِي صَلَاةٍ لَا قِيَامَ لَهَا وَبِالْفُرَاعَةِ عَزَّ الرُّوحُ لَمْ تَصِلْ^(٣)
وَمِزْهَرُ «الذَّاتِ» أَوْتَارٌ مَقْطَعَةٌ مَا زِلْتَ عَنْ نَغْمَةِ الرُّومِيِّ فِي شُغْلٍ

الجَدَّة^(٤)

إِنْ صَدَقْتَ نَفْسُكَ فِي الدَّهْرِ النَّظَرِ تُنَوِّرُ الْأَفْلَاكَ مِنْكَ فِي الْبَكْرِ
وَتَسْتَضِيءُ الشَّمْسُ مِنْكَ بِالشُّرْرِ وَيَنْجَلِي قَدْرُكَ فِي سَيْمَا الْقَمَرِ
وَالْبَحْرُ يَلْقَى مِنْكَ مَوْجاً ذَا دُرٍّ وَتَسْتَحْيِ إِعْجَازَ صُنْعِكَ الْفِطَرِ^(٥)

-
- (١) حسبك تعريفاً بهذا العالم أن آدم مات ، وبقي إيليس أي : بقيت نزعات الشر في هذا العالم . فهو عالمٌ محنٌ وجهاد . وهذا البيت مضمَّن من شعر الخاقاني .
- (٢) هو مولانا جلال الدين الرُّومي صاحب المثنوي ، والشاعر يُتخذه إماماً ، ويشيد بذكره في شعره .
- (٣) الصلاة قيامٌ وسجودٌ ، يقول الشاعر : إنهما رمزُ الدلال والفُرَاعَةِ (ناز ونياز) أي : الخضوع والسيادة ، ولكن بعض الناس صلاتهم سجودٌ بغير قيام . . . إلخ .
- (٤) يرى الشاعر أن الإنسان لا ينفذ ببصره إلى حقائق الأشياء . يقول : إنك إن صدقت النظر فيما حولك ، رأيت دنيا أخرى جديدة غير التي تراها ، وتغيّر إدراكك هذا العالم ، وتبيّن أنه مسخرٌ لك .
- (٥) تستحي الخليفة من صنعمك المعجز ، تراه أحسن منها .

تخذت أفكار الورى مرآتك فكيف لا تبلغ حتى ذاتك^(١)

مرزا بيدل^(٢)

ذي سماء وجمال وفجاج ذاك حق أم عيون في اعوجاج ؟
فرق الآراء إثبات ونفي أهى دنيا أم خداع في الحجاج ؟
عقدة قد حلها بيدل حقاً أعجزت من قبله كل علاج :
« ما بدا ذا المراج لو في القلب وسع » بان لون الخمر من ضيق الرجاج «

الجلال والجمال^(٣)

حسبي كمالات قوة من خيذر وكفاك من أفلاطن الإدراك

(١) إنك استعرت أفكار الناس فلم تبلغ في هذه الحياة حتى ذاتك ، فقد أضعتها بالتقليد .

(٢) من شعراء إيران ، ذهب إلى الهند أيام السلطان شاه جهان ، فأكرم السلطان وفادته ، وهو شاعر صوفي له ديوان كبير يغلب فيه التعمق وتكثر الدقائق .

وقد أعجب إقبال بفكرة في بيت لبذل ، فبنى عليه هذه الأبيات « وهي : أن هذا العالم الحسبي لا خطر له ، بل لا وجود له إلا عند من ضاق عن إدراك الحقائق الكبرى التي يختفي معها هذا العالم . كالخمر يظهر لونها كأس الزجاج لضيقها . وترجمة البيت في النشر :

« لو أوسع القلب ما ظهر هذا المرج ، خرج لون الخمر من شدة ضيق الزجاج » .

(٣) الشاعر من المعجبين بالقوة ، الداعين إليها ، وهو يدعي هنا الإجمال بغير جلال ، يرى الكمال في شجاعة علي لا في خيال أفلاطون ، ويرى سجود السماء للقوة جمالاً - وقد تخيل الشعراء أن انحناء السماء في رأي العين سجود - والنعمة التي لا قوة فيها نعمة ضائعة ، بل لا يحب أن يجازى إلا بنار شديدة الالتهاب .

وأرى جمالاً في بهاء أن تُرى في سجدة للقوة الأفلاك
ولنغمة من دون نارٍ تفخة ما الحسن إلا بالجلال يُحاك
لا أرتضي ناراً لجزء ولم تكن ومُـاجـةً ولهيها دراك

المصوّر (١)

قلد الغرب فنٌ عجم وهند عمٌ هذي البلاد موت الخيال
شقني الغم أن بهزاد عصري يُفقد الشرق بهجة الأزال^(٢)
يا خبيراً بفنّه فيه تئت صنعة العصر والعصور الخوالي
كم ترى من خليقة وتريها أرى الذات فوق هذي المجالي

الغناء الحلال (٣)

تفتح القلب نغمة من غناء أي فتح والقلب رهن هُمود ؟
في صدور الأفلاك لحنٌ خفي صاهرٌ حرّه نجوم الوجود

- (١) يرى الشاعر أن المصوّر وكلّ ذي فنٍ ينبغي أن يُظهر ذاته فيما يصوّر لا أن يحاكي الطبيعة ، وأن المحاكاة موت .
- (٢) بهزاد : مصوّر فارسيّ مشهور نبغ أيام الدولة الصفوية ، والشاعر يفتنم لأن بهزاد عصره يقلد الغرب ، فيفقد الشرق البهجة القديمة .
- (٣) يرى الشاعر أن الغناء وكلّ لحنٍ يحلّ إن كان فيه قوة الذات وحرقة الحياة ، ويحرم إن أضعف الذات ، ولم يقبس من الحياة ناراً . الغناء يفتح القلب فكيف يفتحها إن أماته ؟ وفي الأفلاك ألحان طبيعية تذيب النجوم ، وتبرئ الإنسان من الخوف والغم ، وترفع النفس من العبودية إلى السيادة . . إلخ . والنغمة الحبة التي يُحلّها فقهاء الذات لا تزال تنتظر مطرباً يعلنها .

يهجرُ الناسَ منه خوفٌ وغمٌ إيَّازُ يسمو إلى محمود^(١)
 تيهُ هذي النُّجومُ يفتنى ولكن أنتِ تبقى ونعمة التَّوحيدِ^(٢)
 قد أحلَّت شريعةُ الذاتِ لحناً لم يزل في انتظار شاذٍ مُجيدِ^(٣)

الغناء الحرام

ما بذكرى من التصوُّف وجدُّ أو برأيي ثوابهم والعذابُ
 قرَّب الله مذهبي من فقيه عُرِفَتْ عنه سُنَّةٌ وكتابُ :
 « إن سَرَتْ في اللحون دعوةٌ موتِ حَرُمَ النَّايُ عندنا والرِّبابُ »^(٤)

النافورة

لا يُطَيِّني مِيرُ النُّهرِ مطرداً مُسائراً تُربِّه جنباً إلى جنبِ
 دع ذاك ، وانظرْ إلى نافورةٍ بَسَقَتْ تُصَعِّدُ الماءَ منها قوةُ القلبِ^(٥)

-
- (١) السلطان محمود بن سبكتكين وخادمه إيَّاز .
 (٢) يشبه عالم الكواكب بالتيه ، ويقول : إنه يقنى ، ويبقى الإنسان ونغمته الموحدة .
 (٣) اللحن الذي أحلته شريعةُ الذاتِ ، وهو الذي يحيي النفوس ويقويها ، لم يظفر به أحدٌ ، فلا يزال يتنظر مطرباً .
 (٤) هذا مذهب : الألحان التي تميت النفوس حرام .
 (٥) لا يُعجب الشاعر بالنهر يسائر الأرض ، بل يُعجب بنافورة قوية تقذف الماء عالياً في الهواء .

في غابة الشرق نائي يبتغي نفساً
من كان في ذاته من رقة خور
إناءها من زجاج كان أو خزف
لم تبصر الشمس من دُنيا يُخال بها
طورٌ جديدٌ ، و برقٌ كلّ آونة
يا شاعرَ الشرق هل في صدرك النَّفسُ ؟
فقلْ له من لُحونِ العُجم يحترسُ
اجعل بخمرِكَ سيفاً لمعه قَبَسُ
مجدٌ بغير الجلال المرُّ يلتَمَسُ
لا قَرَبَ الله للعشاقِ ما التمسوا

شعر العجم

كم بشعر العُجم من سِخر ولكن
صمتُ طير الصُّبح أولى من غناء
ليس ضرباً ما يشقُّ الطود لكن
يَنحِتُ العصرُ أيا إقبالاً صخراً
منه سيفُ الذَّاتِ ذو حدٍّ قليل
إن سرى باللَّحن في الرّوض ذبول
ليس منه عرشُ بَرويز يعيل^(٢)
فاحذرْ من كلِّ ما يُبدي الوذيل^(٣)

- (١) ينفرُ إقبالٌ من شعر الرِّخاوة والذَّلة ، ويقول هنا : من ضعفت « ذاتهم » فليحترسوا من ألحان العجم ، فهي تدعو إلى الرقة والترف .
- ولا بدُّ للشعر أن يكون في حدّة السيف ، ملائماً لمعركة الحياة مهما تكن صورته ، كالخمر في زجاج أو صراحية ، ينبغي أن تكون محرقة . وليس لشوق الشاعر غاية ففي كل حين طورٌ جديدٌ ، و برقٌ للتجلّي جديد .
- (٢) ليس ضرباً ما لا يزلزل عرش بَرويز وإن شقَّ الجبل . والإشارة إلى قصة فرهاد الذي شقَّ طريقاً في الجبل ، ولم يظفر بشيرين ، كما وعده بَرويز .
- (٣) الوذيلُ : جمع وذيلة ، وهي المرأة . والشطر فارسيٌّ من شعر العراقي . ومعناه : احذر من كلِّ ما يبين في المرأة « أي هذا عصر حقائق لا خيالات . ينحت الصخور ، ويحطم كلَّ ضعيفٍ ، فكلُّ ما بدا في الزجاج فلا تركز إليه » .

أصحابُ الفنِّ في الهند

تخيّلُهُم جَنَازَةً كُلُّ عِشْقٍ وظَلَمَةٌ فَكْرُهُم لِلْحَيِّ قَبْرُ
وَمَوْتُهُم بِهِ نَقْشُ الْمَسَايَا وليس لَفْتُهُم بِالْعِيشِ خُبْرُ^(١)
يُنِيمُ الرُّوحَ فِي إِيقَاطِ جَسَمٍ ودون المجد يُدَلُّ مِنْهُ سِتْرُ
يُسْحَرُ لِلْأَنُوثَةِ كُلِّ شَيْءٍ لهم قَصَصٌ وَتَصَوِيرٌ وَشِعْرُ^(٢)

الرَّجُلُ الْعَظِيمُ

هو في الحب عميق وهو في البُغْضِ عميق
قَهْمُهُ فَبَرُوقُ عِبَادِ اللَّهِ بَرٌّ وَشَفِيقٌ
نَشَأَتُهُ ظَلَمَةُ التَّخْلِيدِ بِالنَّاسِ تَحِيُّقٌ
غَيْرَ أَنَّ الطَّبْعَ بِالْإِلْبِ دَاعٍ وَالخَلْقَ خَلِيقٌ
هو في المَجْمَعِ خَالٍ وَمِنْ الْحَشْدِ طَلِيقٌ
مِثْلُ شَمْعِ الْحِفْلِ ؛ فِي الحفْلِ وَحِيدٌ وَرَفِيقٌ^(٣)
مِثْلُ شَمْسِ الصُّبْحِ ؛ فِكْرُ فِيهِ نُورٌ وَبَرِيقٌ
لَفْظُهُ حَرٌّ يَسِيرُ لَكِنَّ الْمَعْنَى دَقِيقٌ
نَظَرُهُ فِيهِ سَدِيدٌ عَنْ بَنِي الْعَصْرِ سَحِيقٌ

(١) المَوْتُن : مَعْبِدُ الْأَوْتَانِ .

(٢) الفنُّ الهِنْدِيُّ بِالشَّهَوَاتِ الْجَسْمِيَّةِ ، وَيُفْتَنُ فِي تَصَوِيرِهَا ، فَهُوَ يَوْقُظُ الْجَسْمَ ، وَيُنِيمُ الرُّوحَ ، وَيُسْحَرُ كُلُّ شَيْءٍ لِلْأَنُوثَةِ .

(٣) يَكُونُ فِي جَمْعٍ مِنَ النَّاسِ وَكَأَنَّهُ وَحْدَهُ ، لَهُ فِكْرُهُ ، وَنَظَرُهُ . مِثْلُ الشَّمْعَةِ فِي الْحِفْلِ رَفِيقَةُ الْحَاضِرِينَ ، وَوَحِيدَةٌ بِحَرَقَتِهَا وَنُورِهَا .

ليس يدري أيُّ حالٍ فيه أُمِّياخُ الطريقِ

عالم جديد^(١)

مَنْ كَانَ حَيَّ الْقَلْبَ فِي الدُّنْيَا فَمَا
يَخْفِي عَلَيْهِ مِنَ الْقَضَاءِ ضَمِيرُهُ
تَجَلُّوْهُ رُؤْيَاهُ كَوْنًا مُحَدَّثًا
يَدْعُ الْمَشَالِ يَرْوُقُهُ تَصَوُّبُهُ
فَإِذَا جَلَّ صَوْتُ الْأَذَانِ مَنَامَهُ
شَادَ الَّذِي فِي حُلْمِهِ تَعْيِيرُهُ
وَلِهَيْكَلُ الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ طِينُهُ
هَذَا الضَّمِيرُ ، وَرُوحَهَا تَكْبِيرُهُ

خلق المعاني

خَلَقَ الْمَعَانِي مِنَ الْخَلَاقِ مَوْهَبَةً
لَكِنَّ لِلْفَنِّ فِي الْفَنِّانِ إِجْهَادًا
مِنْ حُرْقَةٍ فِي دَمِ الْبَانِي ، مَشِيدَةً
حَانَاتُ حَافِظٍ أَوْ زُونَاتُ بِهِزَادَا^(٢)
مَا جَوْهَرٌ يَتَجَلَّى دُونَ مَجْهَدَةٍ
مِنْ وَمُضَةِ الْفَاسِ نَارَتْ دَارُ فَرِهَادَا

(١) الرَّجُلُ الْعَظِيمُ يَرَى فِي مَنَامِهِ أَوْ خَيَالِهِ عَالَمًا جَدِيدًا ، فَيَعْمَلُ عَزْمُهُ ، فَلَا يَسْتَعْصِي عَلَيْهِ أَنْ يَحْقُقَ فِي عَالَمِ الْحَقَائِقِ مَا رَأَى فِي الرُّؤْيَا أَوْ الْخَيَالِ .
وَهَذَا الْعَالَمُ الْجَدِيدُ الَّذِي يَخْلُقُهُ نَاشِئٌ مِنْ نَفْسِهِ ، فَهَيْكَلُهُ : جَسَدُهُ الصَّغِيرُ ، وَرُوحُهُ : تَكْبِيرُهُ ، وَإِيمَانُهُ ، وَعَزْمُهُ .

(٢) حَافِظُ الشِّيرَازِيِّ الشَّاعِرِ الْفَارْسِيِّ الْكَبِيرِ ، وَحَانَاتُهُ : شَعْرُهُ . وَبِهِزَادٍ مَصُورٍ فَارْسِيٍّ مَشْهُورٍ عَاشَ فِي أَيَّامِ الدَّوْلَةِ الصَّفَوِيَّةِ . وَالزُّونَاتُ : جَمْعُ زُونَةٍ وَهِيَ مَعْرُضُ الْأَصْنَامِ ، أَوِ الدُّسَى ، يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْجَمَالِ وَالزَّيْنَةِ .

المُوسِيقَا

دَلَّ عَلَى بَرْدِ دَمِ الْمُغْنِي
لَحْنٌ لَهُ الْوَجْوه لَا تُنِيرُ^(١)
أَنْفَاسُ زَامِرٍ مُمَوِّمٌ لَحْنِ
إِنْ كَانَ لَمْ يَطْهُرْ بِهِ ضَمِيرُ^(٢)
بِالشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ فِي رِيَاضِ
مِنْ الشَّقِيقِ شَاقِنِي الْمِيرُ
فَمَا مَرَدْتُ بَيْنَهَا بِمَرْجِ
شَقَّتْ بِهِ جُيُوبَهَا الرُّهُورُ^(٣)

لَذَّةُ النَّظَرِ

أَيُّ ذَاتٍ حَوَى فَتَى الصِّينِ مَنْ قَا
لَ لَجْلَادِهِ أَمَامَ الْحِمَامِ :
مَنْظَرٌ رَائِقٌ ، تَمَهَّلْ ، تَمَهَّلْ
لَأَرَى لَحْظَةً وَمِضْ الْحُصَامِ^(٤)

الشُّعْرُ

لَمْ أَدْرِ سِرَّ الشُّعْرِ إِلَّا نَكْتَةً
سَيَّرُ الشُّعُوبَ تُبَيِّنُهَا تَفْصِيلاً

- (١) اللحن الذي لا تنير له وجوه السامعين دليل على برود نفس المغني ، وخمود عاطفته .
(٢) لا بد للمطرب من طهارة الضمير لتكون ألحانه صدى الضمير الطاهر ، وإلا فأنفاسه في اللحن سمٌّ للسامعين .
(٣) زهور الشرق والغرب لم يهج بها الطرب فتمزق جيوبها كما يفعل من يغلبه الطرب من حزين أو فرح - يعني : لم يظهر المطربون أسرار النفس ، ويبدو مكنون الضمير الإنساني ، ولا تزال « الذات » محجوبة .
(٤) رجل صيني قام أمام الجلاد وال سيف وصلت فلم يشغله هذا المقام عن الإعجاب يوميض الشيف ، فقال للجلاد : أمهلي لأمتع النفس بهذا المنظر . فهذا يعجب به إقبال أي إعجاب ، ويرى فيه ذاتاً كاملة .

الشَّعْرُ فِيهِ مِنَ الْحَيَاةِ رِسَالَةٌ أَبَدِيَّةٌ لَا تَقْبَلُ التَّبْدِيلَ
إِنْ كَانَ مِنْ جَبْرِيلَ فِيهِ نِعْمَةٌ أَوْ كَانَ فِيهِ نَفْخُ إِسْرَافِيلَ^(١)

الرَّقْصُ وَالْمُوسِيقَا

إِنَّ لِلشَّعْرِ بِهِجَةً ضَاءَ مِنْهَا رُوحُ جَبْرِيلَ وَالرُّجِيمُ اللَّعِينُ
وَمِنَ الْمَوْسِيقَا ابْتِهَاجٌ شَوْقٌ وَكَذَا الرَّقْصِ نَشْوَةٌ وَقُتُونُ
قَدْ سَمِعْنَا فِي الصُّيُنِ قَوْلَ حَكِيمٍ فِيهِ أَفْشَى مَخَبَّاتِ الْقُنُونِ :
إِنَّ لِلْمَوْسِيقَا مِنَ الشَّعْرِ رُوحاً وَمِنَ الرَّقْصِ جَسْمُهَا فِي الْعَيُونِ

ضَبْطُ النَّفْسِ

دَابُّ أَهْلِ الزَّمَانِ شَكْوَى الزَّمَانِ لَيْسَ لِلْحَرِّ آهَةٌ فِي طَعْمَانِ
قَدْ أَسْرَّ النِّجْوَى إِلَيَّ عَلِيمٌ مِنْ شِيُوخِ الْقُلُوبِ وَالْعِرْفَانِ :
إِنَّ كَظْمَ الثُّوَّاحِ شِيْمَةٌ لَيْثٍ وَمِنَ الثُّوْحِ شِيْمَةٌ الثُّغْلَانِ

الرَّقْصُ

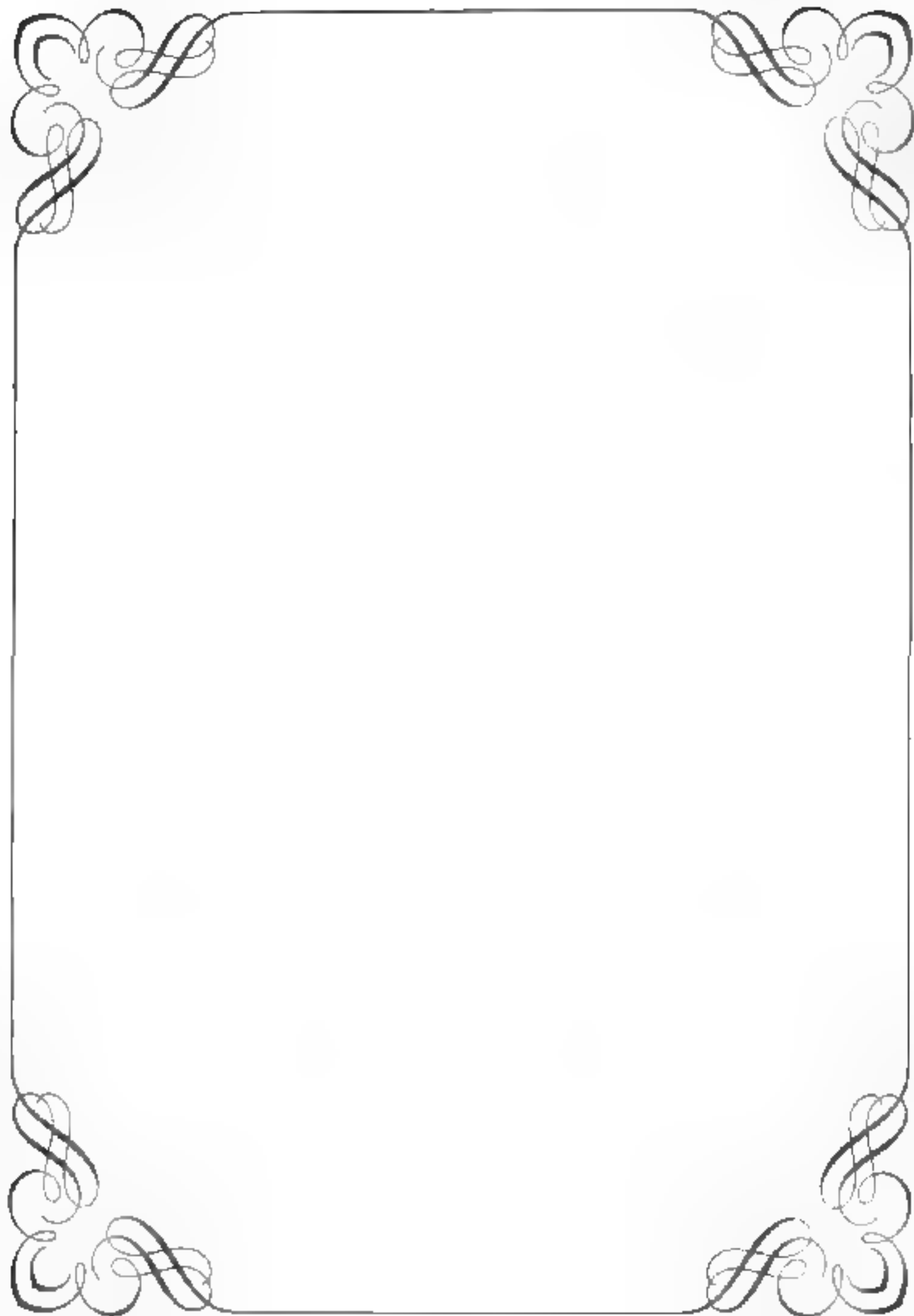
دُعْ لِأَهْلِ الْغَرْبِ رَقْصاً بِجَسُومٍ إِنَّ رَقْصَ الرُّوحِ مِنْ حَزَبِ الْكَلِيمِ
فَبِهَذَا الرَّقْصِ سُلْطَانٌ وَفَقْرٌ وَبِذَاكَ الرَّقْصِ هَمٌّ لَا يَرِيمُ

(١) الشعر يحمل رسالة من الحياة أبدية إن كان جميلاً هادياً ، كتغيمات جبريل (وجبريل رسول الوحي) أو كان فيه صقٌّ وبعثٌ ، كصوت إسرافيل .

القسم الخامس

سياسات الشرق والمغرب





انقلاب

أبمشرقٍ أو مغربٍ نازُ الحياة ونورُها
فهنّا تموتُ ذواتُها وهناك ماتَ ضميرُها
وأرى القلوبَ لثورةٍ ملءُ البلادِ زفيرُها
فلعلَّ دنيّاك القديمة للمماتِ مَسيرُها

تملُّق^(١)

جهلتُ أمورَ الناسِ غيرَ مجرّبٍ ولكنَّ ربَّ القلبِ للغيبِ يشهدُ
فقلُّ لوزيرٍ ما بدا لك مادحاً فذاك دُستورٌ وعهدٌ مجدّدُ
إذا قال : صقرُ الليلِ لليومِ مادحٌ فهل ذاك حقٌّ أو دهانٌ يردّدُ^(٢)

المناصب^(٣)

سحرُ الفرنجة قد أحاط بمؤمنٍ يا ويحَ عيني قد همتُ عبْرأتُها

(١) العنوانُ في الأصل (نخوش آمد) وهي عبارة فارسيّة بمعنى مرحباً أو أهلاً وسهلاً . ومعناها بالأردوية التملُّق . وقد كتب إقبال هذه الأبيات حينما وضع الإنكليز نظام الاستقلال الداخلي لولايات الهند ، وكثرت مناصب الوزراء فيها .

(٢) إذا قال أحد المادحين لليومه وهي لا تطير إلا ليلاً إنها صقراً لليل فهل هذا حقٌّ أو ملق ؟

(٣) هذه الأبيات قيلت في الأحوال التي أنشئت فيها الأبيات السابقة .

فلعلّ منصبك الرفيع مباركٌ هذي القضية معضِلٌ إخفاؤها
فالأثباتُ من جرّاه حانَ مماتها : شريت عقولهم وخاب شراتها^(١)
ولا شرك في حكم لعبدٍ إنّما

أوربة واليهود^(٢)

نظامٌ ومالٌ وعيشٌ رغيدٌ وظلمةٌ صدر لها القلبُ يقلي
دخانُ المصانع في الغرب داج فواديه ليس بأهل التجلّي
رأيتُ حضارته في احتضارٍ تموت اعتباطاً ، وما الموت يُملي^(٣)
فليس غريباً تولّي اليهود كنائسه بعد هذا التولّي

عبودية الأنفس^(٤)

ليس يخلو زمانٌ شعبٍ ذليلٍ من عليم وشاعرٍ وحكيم
فرقتهم مذاهبُ القولِ لكنّ جمّع الآراء مقصدٌ في الصميم :

- (١) الأممُ المحكومة لا يمكن أن تشارك حاكميها في الحكم مهما وضعوا لها من نظم . شريت : بيعت ، والشراة : البائعون .
- (٢) إقبال توفي سنة ١٩٣٨م فهو لم يشهد حرب فلسطين ولم ير تسلط اليهود على أوربة وأمريكا ، كما رأينا . ولكنه نظر إلى الحوادث نظرة عارفٍ خبير .
- (٣) تموت في شبابها ، والموت يمهل .
- (٤) لا تخلو الأمم الذليلة من شعراء وحكماء وعلماء يسلكون مسالك شتى إلى غاية واحدة ، هي أن يروضوا الأمة على الخضوع ، ويمحووا من سجلها الإقدام حتى ترضى بالرق ، هذا مقصدهم ، كلٌّ تأويل في القول تحيّل لهذا المقصد .

« عَلِّمُوا الْبَيْتَ جَفَلَةَ الظُّبْيِ وَامْحُوا هُمُومَ غِبْطَةِ الرُّقِيقِ بِرَقٍ قَصَصَ الْأُسْدُ فِي الْحَدِيثِ الْقَدِيمِ ^(١) كُلُّ تَأْوِيلِهِمْ خِدَاعٌ عَلَيْهِمُ

الرُّوسُ الشُّيُوعِيُّونَ

إِنَّ سَيْرَ الْقَضَاءِ جِدُّ عَجِيبٍ أَيُّ سِرٍّ حَوَى ضَمِيرُ الرُّمَانِ
لَيْسَ يَأْلُو الصَّلِيبَ سِرًّا قَبِيلٌ كَانَ يَرْجُو النِّجَاةَ بِالصُّلْبَانِ
أَمَرَ الْوَحْيُ مُلْحَدِي الرُّوسِ « هُذُّوا مَا أَقَامَ الْقُسُوسُ مِنْ أَوْثَانِ »

الْيَوْمُ وَالْغَدُ

مَنْ عَدَاهُ لِيَوْمِهِ فِي جِهَادٍ نُورُ نَفْسٍ وَشُعْلَةٌ فِي الْكُبُودِ
مَالَهُ الْحَقُّ فِي مَتَاعٍ وَهَمٍّ يَسْتَسِيرَانِ فِي الْغَدِ الْمَوْعُودِ
لَيْسَ أَهْلًا لِمَعْرَكِ الْغَدِ مَنْ فِي سِيرِهِ (الْيَوْمُ) لَيْسَ بِالْمَعْدُودِ

المشرق

جَيْبُ الشَّقَاتِ مَنْ شَدَوِي غَدًا مِرْقًا وَنَسْمَةُ الصُّبْحِ رَوْضًا تَطْلُبُ الْآثَا ^(٢)

(١) فِي هَذَا الْبَيْتِ مَقْصِدُ الْقَاتِلِينَ الْمَذْكُورِينَ فِي الْبَيْتَيْنِ السَّابِقِينَ .

(٢) أَنَا شَدَوْتُ حَتَّى مَرَّقْتُ شَقَاتِي النِّعْمَانَ جَيُوبَهَا وَجَدًّا ، وَنَسِيمُ الصَّبْحِ لَا يَزَالُ يَطْلُبُ رَوْضًا يَنْضُرُ أَزْهَارَهُ .

ما «مصطفى» أو «رضا» جلّى حقيقتها فالروح في الشرق جسماً تطلب الأنا^(١)
وحيّ ذاتي عقابٌ غير أن لها ذا العصر جذعاً وحبلاً يطلب الأنا^(٢)

سياسة الإفرنج

يا ربّ نذك في غرب سياسته وما تعبد إلا الهام والرؤسا^(٣)
خلقت إبليس فرداً من لظى لهب ومن تراب أقامت ألف إبليسا

العبيد

تعلمت بين الغرب والشرق حكمة أراها لأهل الرق أجدى الفوائد :
فلا ملك أو فقراً وديناً وحكمة يؤسس إلا فوق صخر العقائد
فلما خلا منها ضمير جماعة فأفعال رعديد وأقوال هامد

إلى أهل مصر

من أبي الهول أتني نكتة وأبو الهول طوى السر القديم^(٤)

(١) لا مصطفى كمال ولا رضا بهلوي كان مظهراً لروح الشرق ، فهي تطلب الآن بدنأ تظهر فيه .

(٢) وذاتي تستحق العقاب بما دعت الناس إلى اليقظة والحرية ، ولكن العصر لا يزال يطلب حبلاً وجذعاً ليصلبني ليس قادراً على صلي .

(٣) الروس : أي : الرؤساء ، أي : لا يعبد هذه السياسة إلا رؤساء أوربة وحكامها .

(٤) أبو الهول : رمز العقل والقوة ، رأس إنسان على جسم أسد .

بذلت سِرَّ شعوب جملة قوة لم يجفها العقل الحكيم
طبعها في كل عصر مائل يُبدل الشكل ويبقى في الضميم
فهي طوراً في حُسام المصطفى وهي طوراً في عصا موسى الكلیم

الحبشة

(١٨ آب سنة ١٩٣٥)

عقبان أوربة بغير علم في جيفة الأحباش أي سم
قد آن للميتة أن تعجفا
حضارة تكمل بالمخزاة وعيش أقوام على الغارات
وكل ذئب طارد خروفا
وجه الكنيسة اكتفى شئارا روما أراقت ماءه نهارا
يا باب قد أضحي الوري أسيفا^(١)

أوامر إبليس إلى أبنائه الساسة^(٢)

عليكم بالبرهمن فاربكوه بأشراك السياسة والحبال

(١) يعني : الباب رئيس الكاثوليك .

(٢) يصور الشاعر في هذه الأبيات عمل الساسة بأوامر أبيهم إبليس . وإنما يأمرهم بإبعاد أهل الأديان كلها من الذين ، ولا سيما المسلمون ، هؤلاء الصابرون المستميتون . وقد خصَّ العرب الذين نشأ الدين في حضانتهم ، والأفغان الذين تسيطر عليهم حمية الدين . . إلخ .

ثم أوصاهم بإخراج إقبال من الزوض لأن نفسه يشعل الحقائق + أي : يثير النار في الشباب ، فيبعدهم عن سياسة إبليس .

وأصحاب الرُّنابير اطردهم
وذلكم الصُّبورُ على الرزايا
فروح محمدٍ منه اسلبوه
وفي العَرَبِ اقذفوا في كلِّ فكرٍ
بأرض العُزْبِ للإسلام كيدوا
وفي الأفغان بالذِّين اعتصامٌ
عليكم بالفقيه فأخرجوه
وقوَّاماً على الحرم اسلبوهم
غزال المسك من ختن أثيروا
واقبال له شذوٌ مثير
من المَرَج اطردهوا هذا المغني



جماعةُ الأممِ الشرقيَّة (٤)

سُخِرَ الماء والهواءُ مسخَّر
جبروتُ الفرنج غرَّتْه رؤيا
إن جنوا للشرق طهرانُ صارت
ليس بدعاً إن القضاء تغير
علها غيرَ ما رآه تُعبِّر
فلعلَّ التبديلَ للأرض يُقدِّر

(١) ذلكم الصبور .. إلخ . يعني : المسلم .

(٢) يريد بقوَّام الحرم من تولى هداية المسلمين إلى دينهم في الحرم وغيره .

(٣) بلاد ختن في تركستان كانت معروفةً بمسكها ، وغزالُ تن مشهور في الشعر الفارسي وما يتصل به .

ويريد الشاعر : أدخلوا الأرض من المعاني الجميلة التي تعطرها . أي : أدخلوا بلاد المسلمين من السنن القويمة ، والآمال العالية .

(٤) كتبت في شيش محل (دار أمير بهوبال) .

المُلْكُ الخالد

إني لغَوَّاصُ المعاني فِطْرَةً لكُنْتُي بَحْرَ السَّيَاسَةِ أَحْذَرُ
ما إن يُحِبُّ الدَّهْرُ مُلْكَاً خالداً ولو أنَّ فيه من الرُّؤْيَى ما يَسْحَرُ
فَرهاذُ أبْقَى الدَّهْرُ نَحْتِ صَخُورِهِ لم يَسَقَ من برويز مُلْكٌ يُؤَثَّرُ

الجمهورية

بدا السُّرُّ في قولهِ من أريبٍ وما كان من قَبْلِهِ يُعْلَنُ^(١) :
نظامُ الجماهير حُكْمٌ بِهِ تُعَدُّ العِبَادُ ولا تُوزَنُ

أوربة وسورية

أهدت الشَّامَ إلى الغرب نبيًّا هو عَفٌّ ومُواسٍ وصَبُور
ومن الغرب إلى الشام هدايا من قمارٍ ونساءٍ وخمُور

من مُوسوليني

(إلى أُنْداده في المشرق والمغرب)

أرى العصرَ يَأْبَى من مُسولينَ جُرْمَهُ وأخيارُ أوربةٍ عليَّ غَضابُ

(١) سيظهر .

كلانا بآلات التمدين آخذ
وقد نقموا مني غراماً تملك
لمن شعبذات الحكم تبقي ممالكاً
أينفخ في الأعواد أبناء قيصر
نهتم خيام البدو والزرع والقرى
قصداً من التمدين قتلاً وغارة
أنتقم أفعال الثيوف جراب
أما ثار منهم بالضعاف ضراب
ولا ملك أو ملك بهن يصاب
ويجبي إليكم عامر ويباب^(١)
وكم كان منكم للعروش نهاب
ألسكم فخر ويومي عاب ؟

شكوى

مستقبل الهند من يدري ؟ وما برحت
دهقانها من ظلام اللحد مطرح
الجسم والروح للباغين قد رهنا
رضيت رقاً لأوربة بلا أنف
يا ويحها ، درة في التاج ترتهن^(٢)
ولم يزل مزقاً تحت الثرى الكفن
لم يبق في أرضها دار ولا سكن
فمنك شكواي لا منها ، وبني حزن

انتداب

ملك الحضارة أين يحتم سيرة ؟
فسي حيث لا خمر ولا قمر ولا
والروح في بدن قوي خافت
حيث المدارس غائص ينبوعها
في عصرنا هذا السؤال يسير :
ضيق الثياب على النساء يجور
لكن على سنن الجدود يسير
وابن البداوة في الذكاء جسور

(١) يشغل أبناء الرومان بالزهر والموسيقا وغيرهم يملكون الأرض ، ويضربون الخراج حتى على الصحارى .

(٢) كان الإنكليز يقولون : إن الهند أثمن درة في تاج الإمبراطورية .

يُفتي جهابذة الفرنجة أنما هذي البقاغ من التمدن بُور^(١)

السِّياسةُ اللّادينيّةُ

ما الحقّ مخفّر عن فؤادي مِرءه
فسياسةُ اللادينِ عندي خِئةٌ
لنّما قلّي حكمُ الفرنج كنيسةً
شَرِهَتْ لأموالِ العباد كنيسةً
فلقد حباني الله قلباً مُبصراً
مات الضميرُ بها وإبليسُ افترى^(٢)
ساموا كشيطانٍ بلا قيدٍ جرى
فإذا الخُميسُ سفيرُها بين الوري^(٣)

شبكة التمدين

أمانُها علّت عن كلّ ريبٍ
فأوربة نصيرةُ كلّ شعبٍ
كراماتُ القساوسِ أن أضاروا
ولكن من فلسطينَ بقلبي
تشكّي الدهر من ظلمٍ وضُرٍ
وتلكم عُقدةٌ ليست لحلٍ
سراجُ الكهْرُبَاء بكُلِّ فكرٍ
من الترك الجُفَاء نَجوا فلاقوا
وللشّام الكسيرةُ حرٌّ جَمَرٍ
بأشرالكِ التمدن شرٌّ أسر^(٤)
تُلاقني كلّ تدييرٍ يُعسر

(١) حيثما وُجدَ الناس على الأخلاق القويمة والقطرة السليمة قال الفرنج هذه الأرض في حاجة إلى التمدن ، فأرسلوا إليها ملك التمدن باسم الانتداب .

(٢) إبليس افترأها .

(٣) الخُميس : الجيش .

(٤) في هذا استهزاء : يقول : إن أوربة أدعت أنها أنقذت الشام وفلسطين من قسوة الترك ، ولكنها أوقعتهم في شرٍّ أسر .

نصيحة

قال لُزْدٌ من الفرنج لنجل
أظلم الظلم للمساكين إعلام
إنَّ للملك ميرَّة فاكثمتنه :
ويحمض التعليم فاغمس نفوساً
أين منه الإكسير ؟ هذا محيل
أبغ مَرَأَى يدوم فيه المراد^(١)
خِرَافِد شريعة الأسد^(٢)
لا تَرُم بالسُّيوف قهر العباد
ثم صُغ طينها وفاق المراد
جبل التُّبر كومة من رماد

قرصان وإسكندر

إسكندر :

جزاؤك في سلاسلك ارتهان
فقد صيرت وُسع البحر ضيقاً
القرصان :

سكندر ! للفتوة لم توفق
فإنَّ القتل دأبي لا أماري
كلانا اليوم قرصان : ير
أيجمل بالفتى فضح السُفوق ؟
كذاك القتل دأبك يا صديقي
تصول ، وصلت في بحر عميق

-
- (١) أطلب المنظر الذي لا تنتهي منه العين ، أي : المطعم الذي لا يحد .
(٢) أظلم الظلم أن تعلم الغنم سيرة الأسد : أي : تعلم الأمم الدليلة طريق الحرية والقوة .
(٣) صمم السيف : أصاب المفصل ، فقطعه .

عصبة الأمم^(١)

مِسْكِينَةٌ مِنْذُ زَمَانٍ تُحْتَضِرُ لَا فَاةَ مِقُولِي بِسَيِّءِ الْخَبَرِ^(٢)
وَمَوْتُهَا مُحْتَمٌّ لَكُنَّمَا يَدْعُو الْقُتُوسُ أَنْ يَزُولَ ذَا الْخَطَرِ
عَجُوزُ أَوْرَبَةُ يَجُوزُ عَيْشُهَا عَلَى رُقَى إِبْلِيسَ أَيَّاماً أُخَرِ^(٣)

الشَّامُ وَفِلَسْطِينَ

مَرَحَى لِحَانَاتِ الْفَرَنْجِ فَقَدْ مَلَأَتْ بِهِنَّ زَجَاجَهَا خَلْبُ
إِنْ فِي فِلَسْطِينَ الْيَهُودُ رَجَتْ فَلْيَاخُذَنَّ إِسْبَانِيَا الْعَرَبُ
لِلْإِنْكِلِيزِ مَقَاصِدُ خَفِيَتْ مَا إِنْ يُرَادُ الشَّهْدُ وَالسَّرَطَبُ^(٤)

أَثْمَةُ السِّيَاسَةِ

مَا رَجَائِي بِسَاسَةِ قَدْ أَسْفُوا وَإِلَى الْأَرْضِ أَخْلَدُوا إِدْرَاكَ
نَظَرَاتُ إِلَى ذُبَابٍ وَنَمَلٍ فَهَمُّ الْعَنْكَبُوتِ مَدَّتْ شِبَاكَ
حَبَّذَا الرِّكْبُ قَدْ هَدَاهُ أَمِيرُ ذُو مَرَامٍ تُجَاوِزُ الْأَفْلَاكَ

(١) العنوان في الأصل : جمعية أقوام .

(٢) يعني لا أودُّ أَنْ أَخْبَرَ بِمَوْتِهَا .

(٣) الظاهر أَنَّ الشَّاعِرَ نَظَّمَ هَذِهِ الْآيَاتِ حِينَمَا كَانَتْ عَصْبَةُ الْأُمَمِ فِي آخِرِ سَنَوَاتِهَا .

(٤) بِلَادُ الْعَرَبِ كُلُّهَا مَعْرُوفَةٌ فِي الْهِنْدِ بِالنَّخْلِ ، وَيَقُولُ الشَّاعِرُ لَيْسَ قَصْدُ السِّيَاسَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ مَا تَعْلَنُ مِنْ عِمَارَةِ الْبِلَادِ بَلْ لَهَا مَقَاصِدُ خَفِيَّةٌ .

نزعات العبودية

بأسبابٍ سَقَمِ الشُّعُوبِ خَفَاءُ يَقْصُرُ فِي شُرُجِهِنَّ الْبَيَانُ :
بشِرعِ الأسودِ إمامِ العبيدِ يرى دائماً حِكْمَةَ الثُّعْلَبَانِ^(١)
كَلِيمُ الْإِلَهِ يُرَى لَعْنَةً على قومه في خُطوبِ الزَّمانِ
إذا كان في السرِّ هذا الكَلِيمُ لِقُوَّةِ فرعونَ طَوْعَ الْبَنَانِ



صلاة العبيد^(٢)

قالَ بعدَ الصَّلَاةِ حَلَفُ جِهَادٍ : كم يطيلُ الصَّلَاةَ فيكم إمامُ
ما درى ذاكُمُ المجاهدُ المؤمنُ الفِرُّ صلاةَ العبيدِ كيف تُقامُ
كم لدى الحُرِّ في الحياةِ كَفَاحُ غَيْرَةُ الحُرِّ للشُّعُوبِ قِوامُ
حُرْمِ العبيدِ حُرْقَةُ الكَدِّ عَجْزاً فعلى وقتهِ المُضَيُّ حَرَامُ
لا تعجَّبْ إذا أطالَ سَجُوداً ما لديه سوى الشُّجُودِ مَرَامُ
رَبِّ وَفَّقْ أُمَّةَ الهِنْدِ يوماً لسجودِ تَحِيَّاتِهِ الأَقْوامُ



(١) أسباب مرض الأمم أئمةً أدلَّةً ، يرون في شريعة الأسود فلسفة الثعالب ، كالذين حادوا بالمسلمين عن شريعة الحياة والقوة إلى مذهب الخنوع والاستكانة . والحكمة هنا الفلسفة ، والثعالبان : الثعلب الذكر .

(٢) جاء إلى لاهور وقد من الهلال الأحمر التركي فصحبهم إقبال في صلاة المسجد الكبير ، فأطال الإمامُ الصَّلَاةَ ، فسأل أحدُ رجال الوفد : لماذا يطيل الصلاة إمامكم هذه الإطالة ؟ فكتب إقبال هذه الأبيات .

إلى عرب فلسطين

لا يزال الرُّمانُ يَصَلَّى بنارٍ لم تزل في حَشَاكَ دونَ خمودٍ^(١)
لا دواءَ بلنَّسَدن أو جنيوا بوريدِ الفرنجِ كفَّ اليهودِ^(٢)
ومن الرقِّ للشعوبِ نجاةٌ قوةُ الذاتِ وازدهسارُ الوجودِ

الشرق والغربُ

علَّةُ الشرقِ ذلَّةٌ واقتداءٌ ونظامُ الجمهورِ في الغربِ داءٌ
مَرَضُ القلبِ والبصيرةُ فاشِرٌ ما بشرقٍ ولا بغربٍ شفاءٌ

نزعات التسلُّط

(إصلاحات)

أرى رحمةَ الصَّيادِ سِتْراً لقهره ولم يُجدِ فينا ذا الصَّغِيرُ المجددُ^(٣)
وقد زَيْنَ الأقفاسَ بالزُّهرِ ذابلاً لعلَّ أميراً للإسارِ يُغرِّدُ

(١) يعني : أن النار التي سرت في الزمان من تاريخ المسلمين لا تزال في نفس المسلم لم تخمد .

(٢) يعني : يقبض اليهود على وريد أوربة .

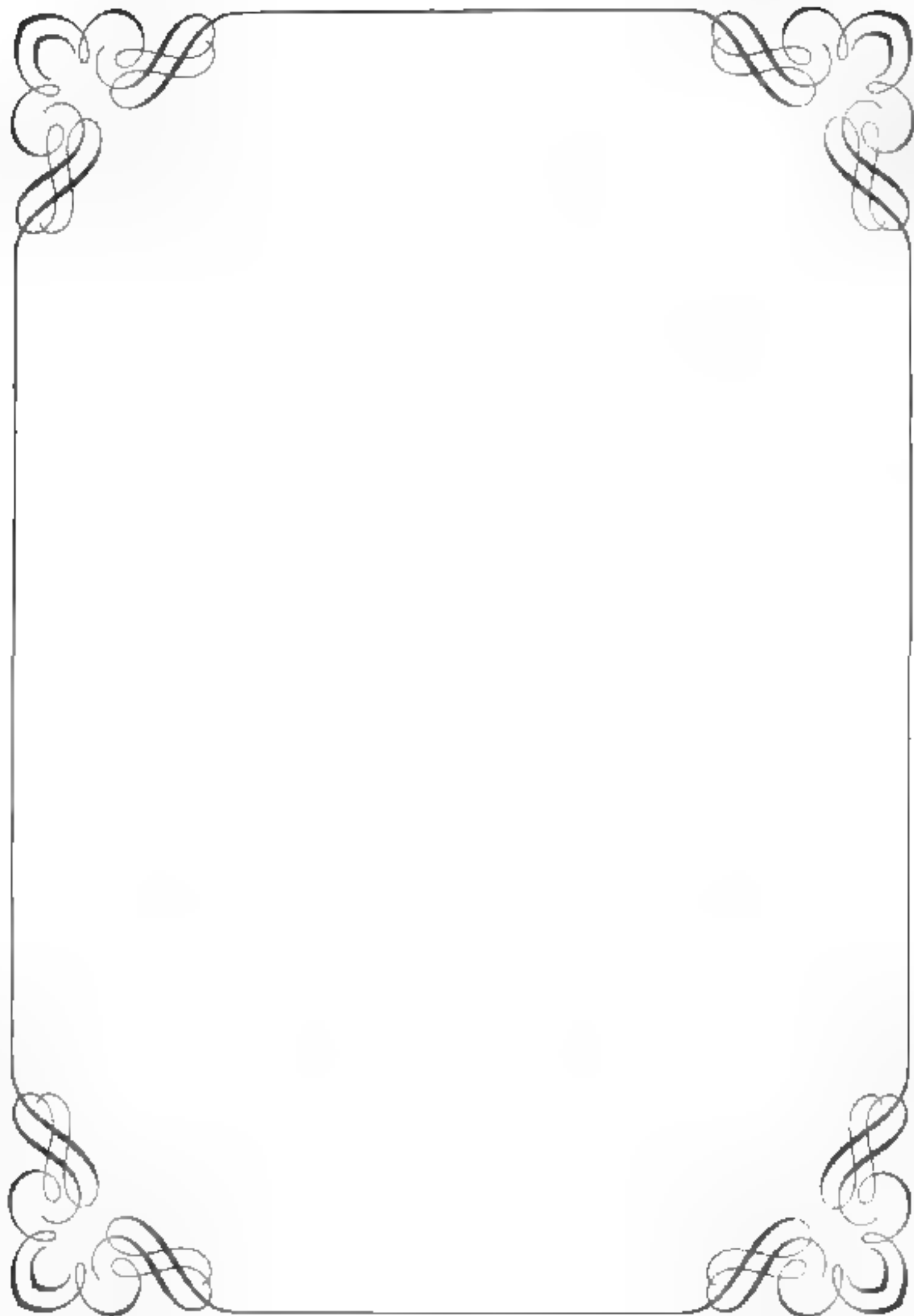
(٣) يقصد الشاعر ما دعاه الإنكليز إصلاحاً ، حين جعلوا للهند نوعاً من الحكم الداخلي ، يقول :

ما يزال الصياد قاسياً ، وإن تظاهر بالشفقة ، ولا يرققه أن تجدد له غناء . وإنما همُّه أن يرضى الأسير فهو يزئُّ الأقفاس بزهور لا نضرة فيها ، لعلَّ الطائر يرضى بقفصه .

القسم السادس

أفكار محراب غل الأفغاني

للشاعر إعجابٌ بالأفغان لقوتهم وبسالتهم ، واعتزازهم
بجبالهم ، وحميتهم الإسلامية ، وقد تخيّل الشاعر أنَّ شاعراً
(محراب غل) أنشأ هذا الشعر الذي في الصفحات التالية ، بيّن
عمّا في نفوس هؤلاء الناس وما في معيشتهم كما يُريد الشاعر
(إقبال) .



يا جبالِي أَيْبَانَ عَنْكَ الْمَسِيرُ وَتَرَابُ الْأَبَاءِ هَذَا الضُّخُورُ
لَا زَهْشُورٌ وَلَا صَدَى عِنْدَ لَيْبِ فِيكَ مِنْذُ الْأَزَالِ تَأْوِي الضُّقُورُ
جَتِّي فِيكَ مَخْرَمٌ وَشِعَابٌ مَاؤُكَ الثُّورُ ، وَالتُّرَابُ الْعَبِيرُ
لَنْ يَكُونَ الشَّاهِينَ عَبْدَ بُغَاثِ الْحَفِظُ الْأَبْدَانِ رُوحِي أُبِيرُ
خَلْعَةُ الْإِنْكَلِيزِ أَمْ مَخْخَقُ ثَوْبِ إِيهِ فَقْرِي الْغَيُورُ ! مَاذَا تُشِيرُ ؟

تَنَافَرُ النَّاسُ دَائِمٌ أَبَدًا لَسْتُ وَلَا أَنْتَ الْقَضَاءُ فَضْلُهُ
فِي الذَّاتِ غُصْنٌ ، لِلزَّمَانِ ذَا أَمَلِ دَوَاؤُهُ فِي الْجُرُوحِ أَرْسَلُهُ
تَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ وَاحِدًا بَطْلًا إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ « لَا شَرِيكَ لَهُ »

يَجُوزُ أَنْ تُبَدَلَ أَنْتَ ، لَا تَحُلْ بِدَعْوَةٍ أَنَّ الْقَضَاءَ يُبَدَّلُ
إِذَا سَرَى فِي ذَاتِكَ انْقِلَابُهَا فَجَاءَتْ أَنَّ الْفَضَاءَ يُبَدَّلُ
يَبْقَى الشَّرَابُ وَالْفَنَاءُ إِذْ تَرَى رَسْمَ « الثَّقَاةِ » وَالْإِنَاءَ يُبَدَّلُ
تَدْعُو بِتَحْقِيقِ الرَّجَاءِ جَاهِدًا وَدَعْوَتِي أَنَّ الرَّجَاءَ يُبَدَّلُ

وَمَا فَلَّكَ جَائِرٌ فِي السَّيْرِ وَمَاذَا ذِكَاةٌ وَمَاذَا الْقَمَرُ ؟
أَرَى رَكْبَهَا جَاهِدًا فِي الْمَسِيرِ وَأَقْعَدَهَا طَوْلُ هَذَا التَّقَرُّ
سَيَكْنَدُ زَمْجَرَ كَالرَّعْدِ حِينًا وَعِنْدَكَ يَا مَوْتُ حَيْدُ الْخَبَرِ
وَعَائِلَتُ بَدَهْلِي يَدَا نَادِرِ بِضَرْبِ سَيْفِ حَكِي فَاخْتَصِرُ ^(١)

(١) نادر شاه : ملك إيران وأفغانستان ، فتح دهلي ، وتوفي سنة ١١٦٠ هـ .

وتبقى الجبال وأفغانها
تذل الحوائج صيد الرجال
إن الذات أيدها فقرها
قوام الشعوب بحر فقير
لك الملك والحكم رب القدر !
تري الليث كالثعلب المحقر
فندي وعندك ملك البشر
إلى سدة الملك ما إن نظر

- ٥ -

مدارس ثم ضوضاء ولهو
وسم الحر هذا ليس علماً
وما أدب وفلسفة غناء
تحكم في الطبيعة رب فن
فرب الفن من بركات فن
وذلك إن شا قطرت عليه
وغم دام في العيش الوفير
إذا كان الجدا كف الشعر^(١)
قوام الفن في جهد المسير^(٢)
يضيء الليل كالصبح المنير
يطوع لحكمه كل العسير
آية الشمس كالطل التضرير^(٣)

- ٦ -

عالم التجديد إن يظفر بحر
لا تدغ ذاتك بالتقليد لغوا
بارك التجديد قوما ليس فيهم
خشيتي أن وغي التجديد في الشرق
موجد من حوله طاف الزمان
جوهراً فرد فخطه بصوان
غير حفل الأمس ، ذكرى وعيان^(٤)
على التقليد للغرب دمان

- ٧ -

تبذل الأقوام في البلدان
في الروم والشام وهندستان

- (١) العلم الذي جدواه كف من شعر ؛ أي : متاع قليل ، ليس علماً ولكن سماً للأحرار .
(٢) الفن بالجهد المستمر لا بالأدب والفلسفة .
(٣) رب الفن إن شاء قطرت عليه آية الشمس (أي شعاعها) كالندى ، فجعلها مادة فنه .
(٤) التجديد بركة لقوم لا يذكرون ، ولا يرون إلا صور الماضي .

يَابْنَ الْجِبَالِ هُبْ لِلرُّمَانِ وَأَفْرِكُنْ ذَاتَكَ بِالْعِرْفَانِ

ذَاتَكَ بِالْعِرْفَانِ

يَا غَافِلَ الْأَفْغَانِ

ذَا مَوْسَمٌ وَمَاؤُهُ عُيَابٌ وَعَسْجَدٌ يُنْبِتُ ذَا التَّرَابِ

مَنْ لَمْ يَرَوْ زَرْعَهُ احْتِسَابٌ فَكَيْفَ يُدْعَى الْغُرُّ بِالْدهْقَانِ

ذَاتَكَ بِالْعِرْفَانِ

يَا غَافِلَ الْأَفْغَانِ

مَا لَمْ يَهْجُ فِي مَوْجِهِ الزُّخَارِ فَأَيُّ بَحْرِ ذَاكَ فِي الْبَحَارِ ؟

مَا لَيْسَ فِيهِ ثَوْرَةُ الْإِعْصَارِ فَكَيْفَ يُدْعَى عَاصِفَ الْأَكْوَانِ

ذَاتَكَ بِالْعِرْفَانِ

يَا غَافِلَ الْأَفْغَانِ

مَنْ اهْتَدَى وَنَفْسَهُ أَصَابَا مَقْلَباً فِي طِينِهِ التَّرَابَا

فَحَرْتُ ذَا الْعَبْدِ الَّذِي قَدْ طَابَا يُفْدَى بِكُلِّ الْجَسَاءِ وَالشُّلْطَانِ

ذَاتَكَ بِالْعِرْفَانِ

يَا غَافِلَ الْأَفْغَانِ

جَهْلُكَ هَذَا مَا بِهِ مِنْ عَارٍ قَدْ صَيَّرَ الْجَهْلَ مِنَ الْفَخَارِ

كَمْ عَالِمٍ فَاضِلٍ مِمَّارِي مُتَاجِرٍ بِالذِّينِ وَالْإِيمَانِ

ذَاتَكَ بِالْعِرْفَانِ

يَا غَافِلَ الْأَفْغَانِ

- ٨ -

يُدْعَى الزَّاعُ أَنَّ رِيثَكَ قُبْحٌ وَيَقُولُ الْخَفَّاشُ : أَعْمَى جَهْلٌ

مَا رُذَالُ الْبُغَاثِ يَا صَقْرُ ! تَدْرِي فِي عَنَانِ السَّمَاءِ كَيْفَ تَصُولُ

كَيْفَ تَدْرِي بِحَالِ طَائِرٍ عَزَمَ كُلُّهُ فِي الْمَطَارِ عَيْنٌ تَجُولُ

ببواب بازيلاً لا تقس
عندليب عثبه كالمحيس
من أذان برحيل الغلس
في مسير حاجة بالجرس
قادت فيه حياة الأنس
ما سرى في صدره من نفس
نظر المؤمن شزراً فاقبس

لا يشف العشق داب الهوس
رب روضي حال حتى ليرى
مزمع الأسفار لا يبغي صدئ
أثرى قافلة الموج لها
خدع العين فتى مدرسو
وهو ميت ومن الغرب اجتذى
إن تُرد تربية القلب فمن

حليف طهارة وفتى ضراب
وفي يوم الكريهة ليث غاب
وحسب الغاب من شرر الثقاب
بفقر حيدرٍ واحتساب
فلا تنظر إليه بارتباب^(١)

سواد عيون عثرته فتى
يُرى في السلم ظيلاً ذا جمال
به نارٌ تحرق كل شيء
جاء الله أبهة ومُلكاً
سبيل التاج حسر الرأس عنه

يسطیع نوراً ذا السراج الخابي^(٢)
والحر فيه باسمٍ لحراب
أترأه أهل تطاعني وضراب

في بارحاتك لآث أنواره
يشكو الضعيف من الزمان صروفه
من صوت طير الضبح يدهش ذا الفتى

(١) وهو حاسر الرأس ولكنه طموح إلى التاج ، أو هو في همته وعزته كصاحب التاج ، فلا تحقره بأنه حاسر .

(٢) هذا السراج الخابي هو الذي أضاء لك البارحة ، فهو أهل لأن يضيء مرة أخرى ، يعني : الإسلام .

حنري لأئك في طباع طفولة والغرب تاجر سكر وجلاب^(١)

- ١٢ -

بلا دين ولا دين
دواء العاجز المغلوب
وصياد المعاني ما
فضاء مونسق لكن
يقوم ذاته سخر
فهذا الرفر أحسنه
ودير الكون ، زون الرير
على الكفار متول
إمام المسجد ! امثقه
زوي المحراب حاجبه

هوث في الفخ رجلاه^(٢)
لا غلاب إلا هو
رجث في الغرب عيناه
غمزال المسك خلاه^(٣)
بدمع العين أواه^(٤)
على الأمواه تلقاه
سح والألوان معناه^(٥)
وذو الإيمان مولاه
أميراً حين يغشاه
ولم تعجبه تقواه^(٦)

- ١٣ -

دنياك في عيني شيء آخر أنى لعينك - ليت شعري - تظهر

- (١) يخاف على المسلم أو الشرقي لأن فيه طبع الطفل يحب السكر والجلاب . وأوربة تحسن التجارة بهما ، فهو يتهافت على تجارتها .
- (٢) يشير إلى مصطفى كمال وأتباعه سياسة لا دينية ، وأخذ الحروف اللاتينية للغة التركية .
- (٣) لا يجد صياد المعاني في أوربة غزلاً مسكياً يصيده وإنما هي فضاء لا صيد فيه . أي لا يجد المعاني الجميلة التي يحبها .
- (٤) الأواه : المتعب ، الرقيق ، كثير الدعاء .
- (٥) هذا العالم الذي هو معرض لأصنام من الألوان والروائح ، يستعبد الكفر ، ولكنه مسخر للمؤمن .
- (٦) تخيل زاوية المحراب تقطياً لصلاة أمير ليس فيها معنى الصلاة .

مَاذَا التَّقَلُّبُ فِي عَقُولِ شَبَابِنَا
شَيْخَ الْمَسَاجِدِ مَا دُعَاؤُكَ مُخْرَجٌ
مَا «الذَّاتُ» يُرْجَى فِي رِبَاطِ خَلْقِهَا

فِي كُلِّ صَدْرٍ قَدْ تَبَدَّى مَحْشَرٌ
أَبَهُ الْحَيَاةُ بِلَا جِهَادٍ تَنْظَرُ^(١)
هَلْ لِلشَّرَارِ مِنَ الزَّمَادِ تَسْعَرُ^(٢)

- ١٤ -

كُلُّ عَشَقٍ دُونَ إِقْدَامِ هَوَى
وَبِلْتَا مِنْ تَرْفٍ أَيْسَنَ فَتَى
خَلْوَةُ الْأَطْوَادِ لَيْسَتْ وَحْشَةً

وَيَذُ اللَّهُ بِعَشَقٍ مَخْطَرٍ
تَخِذْ الْأَهْوَالَ زَادَ الشَّقَرِ
يَعْرِفُ «النَّفْسُ» بِهَا ذُو الْبَصَرِ

- ١٥ -

عِلْمُ فَقِيرٍ لِسَالِكٍ غَيْرُ صَغْبٍ
لَا يَكُونُ الْفُلُودُ جَوْهَرَ سَيْفٍ
إِنَّ قَهْرَ الْإِلَهِ فَقِيرٌ ذَلِيلٌ
قَدْ سَبَاكَ الْفَرَنْجُ نَفْسًا وَلَكِنْ

حَدَّثَ النَّاسَ عَنْ هُدَاهِ الضَّمِيرُ
إِنْ يَكُنْ فِي الطَّبَاعِ مِنْهُ حَرِيرٌ
وَمَسِيلُ السُّلْطَانِ فَقِيرٌ غَيُورٌ
أَنْتَ يَا مُؤْمِنُ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ^(٣)

- ١٦ -

مَوْتُ الشُّعُوبِ بُعْدُهَا
وَالذَّاتُ إِمَّا رُكْسَتْ
فَقِيرٌ تَرَاهُ شَاكِيًا
بِقَافٍ عَلَيْهِ مَسْحَةٌ
وَلَمْ يَزَلْ مُيَسَّرًا
أَنْ يَجْعَلَ الصُّخُورَ كَالذَّرَاتِ غَيْرِ مُعْجَزِ^(٤)

عَنْ جَذَبَاتِ الْمَرْكَزِ
فَلِلْمَعَالِي تُرْكُزِ
جَوْرَ الزَّمَانِ اللَّحْزِ
مَنْ اجْتَدَاهُ الْكَزْزِ
لِلْبِرِّ فَعِلْ الْمُعْجَزِ
الذَّرَاتِ غَيْرِ مُعْجَزِ^(٤)

(١) فِي الْأَصْلِ شَيْخُ الْحَرَمِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْمَسَاجِدُ عَامَّةٌ .

(٢) الرِّبَاطُ : مَقَامُ الصُّوفِيَّةِ ، وَفِي الْأَصْلِ خَافَقَةٌ .

(٣) جَاءَ هَذَا الْمَصْرَاعُ فِي الْأَصْلِ بِالْفَارْسِيَّةِ .

(٤) لَا يَحُولُ دُونَ هِمَّةِ الْحَرِّ شَيْءٌ مِنْ عَالَمِ الْمَادَّةِ فَهُوَ يَحِيلُ الصُّخُورَ ذَرَاتٍ ، فَلَا تَكُونُ فِي -

فَأَيْنَ يَا مُؤْمِنُ أَنْتَ
مِمَّا فِي جِهَادٍ لِنَدَّةٍ
يَا شَفِيسُ مِنْ مُرَادِي الْمَشْرِقِ
وَإِكْسِي جِبَالِي حُلَّةً

الْيَوْمَ لِمَ تُبَسِّرُ
جَمْرُكَ فِيهِ مُعْوزِي^(١)
سِرْقِي هِيَ فَا بَرُزِي
تُزْهِئِي بِلَوْنِ الْقُرْمُزِ

- ١٧ -

إِنْ يَكُنْ فِي الْأَلُوفِ رَبٌّ يَقِينُ
رَبِّمَا تَنْشِئُ الصَّحَارَى فَقِيرًا
بِيرَاحٍ لَكَ أَكْتُبُنْ لَكَ حَقًّا
ذَا الْفَضَاءِ الَّذِي يُسَمَّى سَمَاءً
هُوَ فَوْقَ الرُّؤُوسِ يُذْعِنُ سَمَاءً

نَفَخَ النَّارَ فِي شَبَابٍ وَثِينٍ
يَخْلُقُ الدَّرَّ مِنْ حَصَى فِي الْجِيُوبِ^(٢)
لَمْ يَخُطَّ الْجَبِينُ رَبُّ الْغِيُوبِ^(٣)
لَيْسَ شَيْئًا لَدَى الْعُقَابِ النَجِيبِ
وَهُوَ أَرْضٌ تَحْتَ الْجَنَاحِ الْهَبُوبِ

- ١٨ -

أَيُّ قَوْلٍ لَشِيرِشَاهٍ رَشِيدٍ
خَلَعُوا ثَوْبَ أُمَّةٍ جَمَعْتَهُمْ
ذَهَبَ الْمَدِينُ فِي الْجِبَالِ شِعَاعًا
حَرَمٌ فِيهِ حُرْمَةُ اللَّاتِ تَسْرَعِي

فِي اخْتِلَافِ الْقَبِيلِ ذَلَّ الْعَبِيدِ^(٤)
وَأَزْدَهُوا بِالْوَزِيرِ وَالْمَحْسُودِ^(٥)
كُلُّ حَزْبٍ لِلْبُدَى فِي سَجُودِ^(٦)
فَحْبَاكَ الْمَوْلَى بِضَرْبٍ سَدِيدِ^(٧)

طريقه عقيبات .

(١) ليس في الجهاد لندة ما لم تكن فيه حرارة الإيمان . وجمر المؤمن يفتقد اليوم في الجهاد .

(٢) الجيوب وجه الأرض ، وهو يشير إلى الرسول صلوات الله عليه وسلامه .

(٣) اكتب حقلك بقلمك ، فإله تعالى لم يكتب على جبينك مستقبلك ، كما تزعم .

(٤) شيرشاه : أحد أمراء الأفغان .

(٥) الوزير ، والمحسود من قبائل الأفغان في إقليم الحدود من باكستان .

(٦) اللبد : الصنم .

(٧) هذا حرم ولكن فيه أصنام . فالله يوفقك لضرب تكسر فيه الأصنام ، كما كسر الرسول -

ليس الذي يُدرك الألوان بالبصر
يا مؤمناً قد شأى الإفرنج منزلة
وحانة الغرب للضادي مفتحة
لك العمات بهذا الشكر مستر
هل يسمعن بنو الخانات موعظتي
بل مُغتن عن ضياء الشمس والقمر^(١)
تقدمن . ليس هذا مُتتهى السفر
ما الشكر فيها بعلم العصر بالثكر
إن لم يكن فيك للتوحيد من سر^(٢)
في شملة لست ذا تاج ولا سر^(٣)

مقاصد الفطرة العلياء يحفظها
يراقب السحر في التمدين يُطله
للحسن واللفظ صاغ الروض بلبه
يا شيخ كم تعجب الأبصار مدرسة
هل يعرف الذم للإسلام من شبه
من عاش في اليد أو في الطود إنانا
في فقره أودع الخلاق سلطانا
وتنشىء اليد للإقدام عبقانا
لكن في اليد فاروقاً وسلمانا^(٤)
في نشوة تتحدى السيف غضبانا



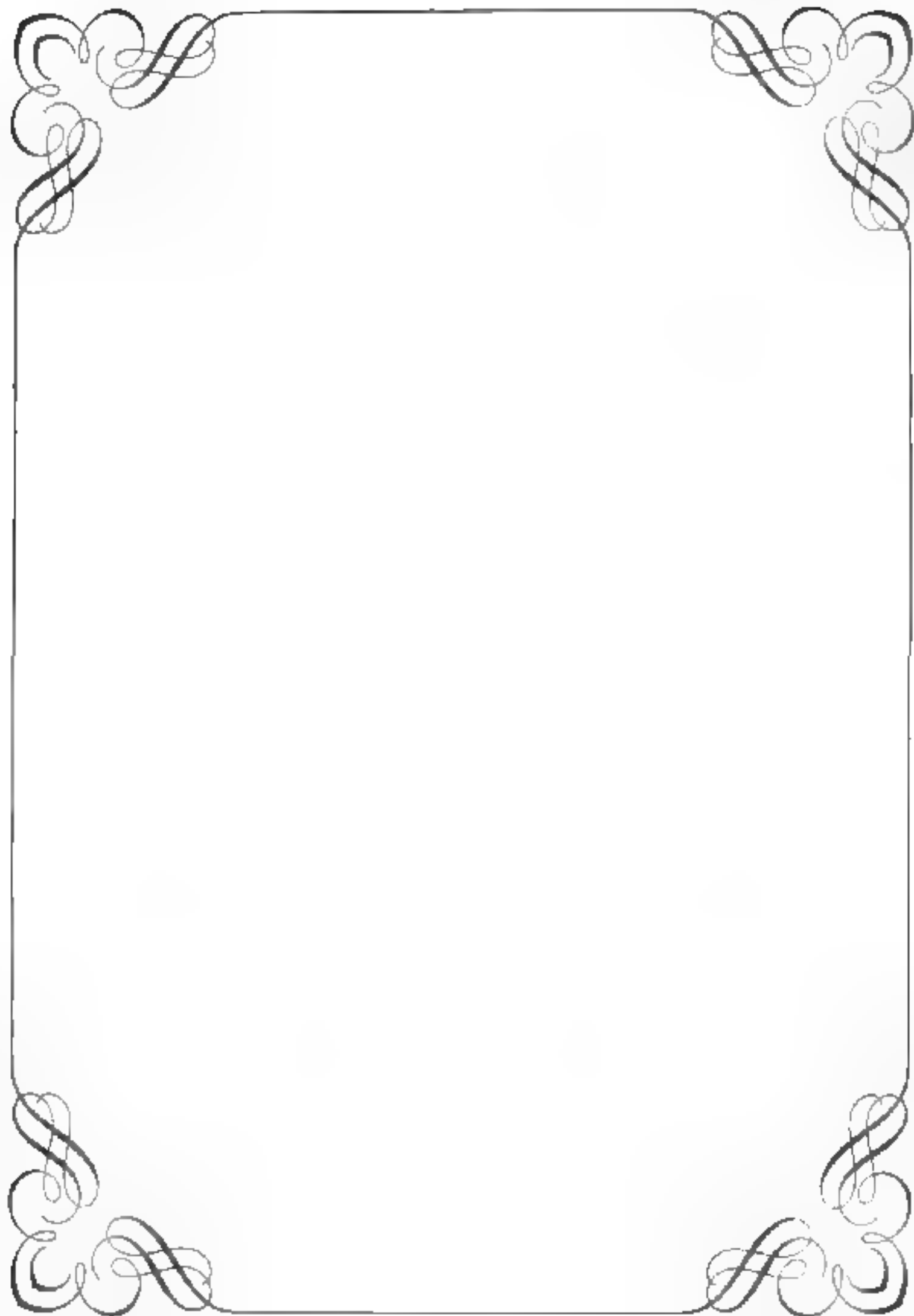
أصنام الكعبة .

- (١) ليس بمبصر الذي يرى الألوان ، بل ما أدرك الحقائق والأسرار التي لا يحتاج في رؤيتها إلى الشمس والقمر .
- (٢) لا خير في أن تأخذ علوم العصر وتنشي بها ، ولكن الهلاك فيها أن تغفل بها عن الإيمان والتوحيد .
- (٣) الخانات : جمع خان ، ومعناه : الأمير . يعني يسمع هؤلاء الأمراء قولي وأنا في ثياب خشنة ، لست ملكاً ولا أميراً .
- (٤) يعني : الأصحاب الكرام ، مثل : عمر الفاروق ، وسلمان الفارسي .

الدِّيَّوَانُ السَّابِعُ

رِسَالَةُ الْخُلُودِ
جَاوِيدِ نَامَهِ

نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ شِعْرًا
الدُّكْتُورُ حُسَيْنُ مَجِيدِ الْمَصْرِيِّ



يعتبر هذا الديوانُ الثُّحفةُ الأدبيةُ لمحمد إقبال ، وهو عبارةٌ عن شعرٍ (مثنوي) للفلسفة الدِّينية ، ويحتوي على نحو ألفي مقطعٍ شعريٍّ مزدوج ، طبع عام ١٩٣٢م ، وإنَّه يُبرزُ قُوَى الشاعر الفكريَّة وذراها الرفيعة ، وفيه توريَّةٌ إلى جاويد ابن الشاعر ، ويشتمل هذا الديوان على ثمانية أقسام ، وفيها يحكي الشاعر قصَّةَ سفرٍ في الأفلاك كقصَّة دانتى الشاعر الإيطالي ، تبدأ القصَّة بمقدمةٍ فيها مناجاةٌ وفصولٌ أخرى ، إلى أن تظهر روحُ جلال الدِّين الرُّومِيّ ، فيشرحُ أسرارَ المعراج ، وهو دليلُ الشاعر في هذه الرحلة . ثمَّ يأتي زورابه وهو روح الرُّمان والمكان ، فيحملُ الشاعرَ ودليله جلال الدِّين الرُّومِيّ إلى العالم العلويّ .

وفي القسم الأول يزورُ الشاعرُ « القمر » وهنا قدَّمه الرُّومِيّ إلى الحكيم الهندي المعروف باسم « جهان دوست » (محبُّ الدنيا) يجلسُ تحت شجرةٍ يأكلُ ويشربُ في تأملٍ وتفكيرٍ على طريقة اليوجا الهندية ، وحديثه مع الرُّومِيّ واضحٌ ، وهو يبيِّن للإنسان أنَّ الطريقَ إلى التقدُّم يمكنُ خلالَ المزج بين الثقافة الشرقيَّة والغربيَّة ، فالشرقُ قد ركز على الرُّوحانيات مهملًا المادِّيات ، بينما الغرب قد ركز على المادِّيات مهملًا الرُّوحانيات .

ويوافقُ الحكيمُ الهنديُّ على ملاحظاتِ الرُّومِيّ ، لكنَّه ينقلُ إلى الشاعر أخباراً مشجعةً ، وهي أنَّ الشَّرقَ النائم الكسلان هو مع هذا كله في طريقه إلى اليقظة من النَّوم والانشغال .

ويذهبُ الشاعرُ إلى وادي جرغميد ، حيث يرى الشاعرُ كتبَ البوذه وزردشت والمسيح ومحمد ﷺ ، والشاعر لا يقابلُ الرُّسل شخصياً بل من خلال كتبهم ، وهو يشرحُ تعاليمَ كلِّ رسولٍ على لسانِ أربع شخصياتٍ ، فتعاليمُ بوذه تُشرحُ على لسان فتاةٍ راقصةٍ ، بينما زردشت على لسانِ أهرمن ، وتعاليمُ المسيح

على لسان تولستي ، وتعاليم محمد ﷺ على لسان أبي جهل .

وفي القسم الثاني ينتقل الشاعرُ بعد ذلك إلى « عطار » حيث يقابل جمالَ الدين الأفغاني^(١) وسعيدَ حلیم باشا ، وهنا يقدّم الرُّومِيَّ الشاعرَ على أنه « زنده رود » أو « النهر الحي » وهو الاسم الذي يستخدمه الشاعر من هنا فصاعداً خلال الكتاب . وفي إجاباته عن أسئلة الأفغاني ، فإنَّ الشاعر يصفُ الأخطاء التي ترتكبها أممُ الشرقِ خاصَّةً الترك ، والفرس ، والعرب ، في تغريبهم لأنفسهم ، ويقارنُ سعيدُ حلیم باشا بين الشرق والغرب ، ويبين أنَّ إنقاذَ وخلاصَ الجنس البشريَّ يَكْمُنُ في المزج والتأليف بين كلتا الثقافتين ، أو كما يعبر الشاعر في تزواج العقل بالعشق .

ويحكى سعيدُ حلیم باشا بعد ذلك للنهر الحيّ (زنده رود) أنَّ دين الله قد أصابه الفسادُ من جرّاء تعصُّبِ « المُلّا » فقد اقتصرت وظيفته على خلقِ المتاعب .

وينتقلُ الشاعرُ في القسم الثالث إلى « فلك الزحل » ، حيث يزورُ مسكنَ الآلهة القديمة ، ويأخذُ الرُّومِيَّ الشاعرَ إلى إقليمٍ يقعُ مباشرةً تحت نهر ، حيث يقيم فرعون وكتشز ، ويقدّم فرعونُ الاعتذارات ؛ لأنَّه لم يعترف بالولاء والإخلاص لموسى ، ويحذّرُ الآخرين كي يكونوا أكثر حذراً في مثل هذه الحالات ، ويقارنُ الرُّومِيَّ بين « الأثوقراطية »^(٢) والاستعمارية في الشرق .

وفي القسم الرابع يتَّجه الشاعرُ إلى « المريخ » حيث يقابل فلكياً ، ويناقشُ الشاعرُ مع حكيم المريخ مشكلةَ القضاء والقدر ، وفي رأي الحكيم أنه من

(١) فيلسوف الإسلام في عصره ، نشأ في كابل ، جال في الشرق والغرب ، دعا إلى الوحدة الإسلامية ، له مؤلفاتٌ معروفة ، منها : « إبطال مذهب الدهريين » أصدره الشيخ محمد عبده مجلة « العروة الوثقى » في باريس عام ١٨٨٤م ، توفي عام ١٨٩٧م .

(٢) الحكم الفردي .

ويقابلُ الشاعرُ كذلك نادر شاه ، وأحمد شاه ، والشاعر الهندي بهر قري هري ، وبينما هو يستعدُّ لمغادرة إقليم ما وراء الأفلاك يسمعُ الصَّوتَ الإلهيَّ المقدَّسَ يوضحُ له أن السرَّ الحقيقيَّ للتقدُّم والتطوُّر يكمنُ في نموِّ ، وتطوُّر القرديات ، والمجتمعات ، وهنا تنتهي الرحلة .

وفي القسم الثامن الذي هو الأخير يخاطب فيه الشاعرُ الشَّبابَ عن طريق ابنه جاويد فينصحُهم بتجنُّب الرفقةِ الشرِّيرة ، وأن ينمُّوا شخصياتهم وذاتياتهم عن طريق الجهاد والكفاح المستمر .

وقد نقلَ هذا الديوانَ من الفارسيَّة إلى العربيَّة شعراً الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري بعنوان « في السماء » ، ويُقدِّم الآن إلى القراء هذا الديوان في عنوانه الأصيل الذي سمَّاه الشاعر بـ « جاويد نامه » (رسالة الخلود) توريةً إلى ابنه « جاويد » وهو الآن بين أيديكم .



بَدَّدَ الْغَيْبَ بَنُورٍ قَدْ بَدَا
يَا إِلَهِي مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ هَبْنِي
آيَةُ التَّخْيِيرِ فَيَمَنْ أَنْزَلْتَ
(عَلَّمَ الْأَسْمَاءَ) سِرٌّ مِنْ دَرَاهِ
مِنْ جَمِيعِ الْخُلُقِ مِنْذَا تَضَطَّفِي
قَدْ رَشَقْتَ الصَّدْرَ مِنَّا بِالسَّهَامِ
لَكَ وَجْهٌ هُوَ قَرَأَنِي وَدِينِي
لَوْ رَمَتْ أَلْفَ شُعَاعٍ شَمْسُنَا
قَبْلُ هَذَا الْعَصْرِ قَبْلُ مَنْ نُهَى
وَيَمُرُّ الدَّهْرُ مِنْ عَمْرِ الْوُجُودِ
أَنْتَ مَا لَمْ تَقْلَحِ الْأَرْضَ الْجَدِيدَةَ
إِنْ نَمَّا مِنْ ذَلِكَ الطُّيْنِ الْقَمِيْنِ
أَنْتَ بَدْرٌ مَرَّ بِي فِي مَخْدَعِي

وَعَلَى الدَّهْرِ سَيِّقِي سَرْمَدًا^(١)
إِنَّ يَوْمِي مُزْمَهُرٌ فَلْتُغْنِنِي^(٢)
هَذِهِ الْأَفْلَاكُ فَيَمَنْ حَيَّرْتَ^(٣)
أَسْكُرْتُ مِنْ خَمْرِهَا أَوْ مِنْ سَقَاهُ^(٤)
فِي إِلَيْهِ بُخْتُ بِالسَّرِّ الْخَفِيِّ^(٥)
حَرْفٌ ﴿ادْعُونِي﴾ ، لِمَنْ هَذَا الْكَلَامُ؟^(٦)
أَتَضُنُّ ؟ وَعَلَى رُوحِي الْحَزِينِ
مَا رَأَتْ فِي الشَّمْسِ نَقْصًا عَيْشًا
أَيْنَ رُوحٌ لِي تَنَاهَى صَبْرُهَا^(٧)
كَيْ نَرَى رُوحًا وَمَا فِيهَا خُمُودٌ
لَمْ تَنْلُ مَا كُنْتَ تَبْغِي مِنْ رَغِيْبَةٍ^(٨)
قَلْبُ إِنْسَانٍ فَذَا كُنْزٌ ثَمِينٌ
ظَلَمَةَ الرُّوحِ تَأْمَلُهَا مَعِي

(١) السَّرمَدُ : الدائم .

(٢) ازْمهر اليوم : اشتدَّ برده .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة لقمان : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان : ٢٠] أي سخر الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والثمار ، والأنهار ، والدواب للإنسان ليتنفع بها .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١] أي أسماء المسميات ، فأراه الأجناس التي خلقها ، وعلمه أن هذا اسم فرس ، وهذا اسم بعير ، وعلم جرا .

(٥) اصطفى : اختار .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى في سورة غافر : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ اتَّبِعُوا آيَاتِي لَعَلَّكُمْ أَتَّقُونَ ﴾ [غافر : ٦١] أي : اعبدوني أتبكم .

(٧) التَّهى : العقل . وتناهى : بلغ النهاية .

(٨) فَلَاحِ الْأَرْضِ : شقها ليزرعها . والرغبة : الأمر المطلوب .

لَمْ نُزْهِ عَنْ هَشِيمِ شَعْلَةٍ
عِشْتُ مَا قَدْ عِشْتُ لَكِنْ فِي الْفِرَاقِ
اِفْتَحَنْ كُلُّ بَابٍ لِي هُنَاكَ
هَاكَ صَدْرِي فِيهِ أَشْعِلُ لَهَا
نَسْخُ تِلْكَ النَّارِ عَوْدِي أَوْقَدَنْ
أَجْجِ النَّسَارَ بِكَأْسِي خَمْرَةٍ
قَدْ طَلَبْنَاكَ وَمَا تَبَدُّو لَنَا
وَعَنِ السَّرِّ أَمِطْ سِتْرًا خَفَاءَ
دَوْحُ فَكْرِي لَا يُرْجَى مِنْ ثَمَرِ
قَدْ وَهَبْتُ الْعَقْلَ فَاْمُنَحْنِي الْجَنُونَ
إِنَّمَا لِلْعِلْمِ فِي الْفِكْرِ الْمَقَامُ
وَإِذَا الْعِلْمُ عَنِ الْعِشْقِ انْفَرَدَ
فِيهِ سِخْرُ السَّامِرِيِّ ظَاهِرُ
بِالتَّجَلِّيِ عَالَمُ الْقَوْمِ اهْتَدَى
عِشُّنَا لَوْلَا التَّجَلِّيِ سَقَمُنَا
هَذِهِ الدُّنْيَا بِهَا بَحْرٌ وَبِرْ

أَيَخَافُ الْبَرْقُ لَيْلًا زَلَّةً
أَهْدِنِي رَبِّاهُ مَزْرُقَ الرُّوَّاقِ^(١)
وَأَجْعَلِ الطَّيْنَ نَجِيًّا لِلْمَلَائِكِ^(٢)
وَدَعْ الْعُودَ وَأَضْرِمْ حَطَبًا
وَعَلَى الْكَوْنِ دُخَانِي بِدَدَنْ
وَبَغْضِ الطَّرْفِ هَبْنِي نَظْرَةً
إِنَّمَا كَانَ عَمَانَا ذَنْبَنَا
أَوْخِذِ الرُّوحَ الَّتِي مَا إِنْ تَرَاهُ^(٣)
أَرْسِلِ الْمَعُولَ أَوْ رِيحَ السَّحَرِ^(٤)
وَإِهْدِ هَذَا الْقَلْبَ لِلْجَذْبِ الدَّفِينِ
عُشْتُ ذَاكَ الْعِشْقِ قَلْبٌ لَا يَنَامُ
مَسْرَحًا أَضْحَى لِأَفْكَارٍ تُعَدُّ
عِلْمُنَا مِنْ غَيْرِ وَحْيٍ سَاحِرٍ^(٥)
مَا رَمَاهُ الْوَهْمُ فِي جَوْفِ الرَّدَى
عَقَلْنَا مَسْرُورٌ وَجَبْرٌ دِينُنَا
نَحْنُ نَزْنُو وَهِيَ مِنْ يَرْوِي الْخَبِرَ

(١) مَزْرُقُ الرُّوَّاقِ : السَّمَاءُ .

(٢) يَرِيدُ بِالطَّيْنِ نَفْسَهُ ؛ لِأَنَّهُ إِنْسَانٌ خَلَقَ مِنْ طَيْنٍ . وَالتَّجْيِ : صَاحِبُ السَّرِّ . وَالْمَلَائِكَةُ : الْمَلَائِكَةُ .

(٣) خَفَاءَ : أَخْفَاءَ .

(٤) الدَّوْحُ : جَمْعُ دَوْحَةٍ وَهِيَ الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ .

(٥) بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ مُوسَى لِمِيقَاتِ رَبِّهِ ، تَحْيِيْنُ رَجُلٌ يُسَمَّى السَّامِرِيُّ غَيْبَتَهُ ، وَأَخَذَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حُلِيِّ نِسَائِهِمْ ، وَأَلْقَاهَا فِي النَّارِ ؛ لِيَسْبِكَ مِنْهَا عَجَلًا ، وَجَعَلَهُ بِحَيْثُ يَكُونُ لَهُ صَوْتُ كَالْخَوَارِ ، وَخَدَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِقَوْلِهِ : هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى .

فإلى الدار فؤاداً ضلّ رُد
من ترابي ما نما إلا الكلام
إنّني في الكون ذيّاك الغريب
ريثما كالشمس يطوى بالغروب
من غدي والامس إنني مُنطلق
أنت نور خالدي نحن الشرار
قل لمن ما ماز موتاً من حياه
جانب آفاقاً وليس بالضمبور
إنني الفاني فهب أنت البقاء
يا إلهي هب فعالي والكلام
ليس من دنيائي هذاك الخطاب
إنني بحرٌ سكوني لا يلبق
وعلى الساحل دُنيا تستقر
قد يشئت من شيوخ الأقدمين
وعلى الفتيان يثر ما أقول

فلقمة البذر إليه فلتغد^(١)
وكلام الهجر يخلو من ختام
من بعيد فلتقل إنني قريب
فكل صوب وشمال وجنوب
وراء كل نجم استبق^(٢)
ولنا الأنفاس عمرٌ مستعار
أي عبد غار من صنع الإله^(٣)
لم يسر بغياب أو حضور^(٤)
وأنا الأرض أسكنني السماء
كل خير ، ومسيرى للأمام
لا ولا يلك السما هذا الكتاب
أين من غاص على قاعي العميق^(٥)
وترى في البحر موجات تفر
ولدي عن غدي قولٌ مبين
وليكن كل عميق كالضحول^(٦)



(١) فلقة البذر بكسر الفاء : القطعة منه .

(٢) استبق : تسابق .

(٣) ماز الشيء : فرزه عن غيره .

(٤) جانب البلاد : قطعها .

(٥) غاص على اللؤلؤ : غطس يستخرجه .

(٦) الضحول : جمع ضحل ، وهو الماء لا عمق له .

تمهيد سَمَويّ

في اليوم الأول لِلْخَلْقِ ، تنشئ السَّماءُ على الأرضِ بِالْمَلَامِ
لِلْخُضُورِ لِسَدَّةٍ أَوْ لِلْغِيَابِ
كَانَ لِلْأَنْفَاسِ خَيْطٌ فَانْقَطَعَ
حَيْثُمَا تَمَضَى تُشَاهِدُ قَائِلًا
عَلِّمُوا الْأَنْجَمَ طَرَأَ مَيَّزَهَا
هَذِهِ الشَّمْسُ أَقَامَتْ خِيَمَةً
أَوَّلُ الْإِصْبَاحِ فِي الْأَفْقِ انْبَثَقَ
كَانَ لِلْإِنْسَانِ أَرْضٌ قَاحِلَةٌ
الْجِبَالُ لَيْسَ فِيهَا مِنْ نَهَرٍ
مَا شَدَّتْ فِي الْغُضَنِ طَيْرٌ بِالْغِنَاءِ
التَّجَلَّى غَابَ عَنْ بَحْرِ وَبَرٍ
فِي ربيعٍ مَا بَدَتْ مِنْ خُضْرَةٍ
لَا تِلْكَ الْأَرْضُ مَزْرُقُ الْفَلَكَ
وَفَضَائِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ ضَرِيرٍ
قَدْ يَطُولُ الثَّرْبُ طَوْدًا فِي الْمَا
فَلْتَعِشِي مَثَلَمَا عَاشَ الْجَمِيلُ
فَاعْتَرَى الْأَرْضَ مِنَ اللَّوْمِ الْخَجَلُ

وبها قد خُلِقَ الْكَوْنُ الْعُجَابُ
بَنَتِ الْحَيْرَةَ صَرْحًا مَا انْصَدَعَ^(١)
بَعْدَ شَوْقٍ : لَسْتُ مِثْلِي يَا فُلَا^(٢)
مَنْحُوها فِي السَّمَاءِ نُورُهَا^(٣)
زَانَهَا الثَّبْرُ رَسُومًا جَمَّةً
وَرَأَى الْكَوْنَ وَلِيدًا فَاغْتَنَقَ
لَا تَمُرُّ فِي ثَرَاهَا قَافِلَةٌ
وَالْفِيَا فِي تَحْتَ غَيْمٍ مَا انْتَهَمَرُ
لَا وَلَا فِي الْمَرْجِ سِرْبٌ مِنْ ظَبَاءٍ
وَلَهَا الثَّوْبُ دَخَانٌ وَانْتَهَرُ
وَانْطَوَتْ تَحْتَ الثَّرَى فِي غَبْرَةٍ
« مَا رَأَتْ عَيْنٌ كَهَذَا هَيْتَ لَكَ ! »^(٤)
لَكَ نُورٌ مِنْ سِرَاجِي أَيُّ نُورٍ
لَا يَضَاهِي فَلَكَا أَوْ أَنْجُمًا^(٥)
أَوْ فَمُوتِي مِنْ شَنَارٍ لِلدَّلِيلِ^(٦)
بَعْدَ حَزْنٍ وَضِياعٍ لِلْأَمَلِ

(١) الصرح : كلُّ بناءٍ عالٍ .

(٢) يا فُلَا : ترخيمٌ يا فُلَانٍ .

(٣) طَرَأَ : جَمِيعًا .

(٤) هَيْتَ لَكَ : هَلُمَّ وَتَعَالَ .

(٥) الثَّرِبُ : الثَّرَابُ . وَالطَّوْدُ : الْجَبَلُ .

(٦) الشَّنَارُ : الْعَيْبُ وَالْعَارُ .

وَمَنْ الظُّلْمَةُ أَضْوَاهَا الْأَلَمُ
 يَا أَمِيناً لَسْتَ تَدْرِي مَا الْخَبِيرُ
 النَّهَارُ نَوْرُهُ مِنْ مُعْتَرِكِ
 نَوْرُ هَذَا الصُّبْحِ مِنْ شَمْسٍ جَرِيحِ
 نَوْرُ تِلْكَ الرُّوحِ مَاضٍ فِي سَفَرِ
 مِنْ كِتَابِ الرُّوحِ أَسْقَطْتَ «الْعَنَى»
 يَمْلِكُ الْعَقْلُ مِنَ الدُّنْيَا الْعَنَانِ
 يَهْتَدِي الْفِكْرُ وَمِنْ غَيْرِ الدَّلِيلِ
 يَا لَهُ تَرْباً يَطِيرُ كَالْمَلَكِ
 يَخْزُ الرُّقَاءَ جِسْمٌ فِي الْمَسِيرِ
 ثَوْبُ دُنْيَانَا مَحَا عَنْهُ الْوَضَرُ
 وَرَقِيقُ الدِّينِ سَفَاكَ الدِّمَاءِ
 تَسْتَنِيرُ عَيْنُهُ بِالْكَائِنَاتِ
 مَنْ تَلْغَى عِشْقُهُ مِنْ حُسْنِ ذَاتِ

وَنَدَاءُ جَاءَ مِنْ فَوْقِ الْقِمَمِ^(١)
 أَيُّ بَأْسٍ؟ ذَاتَكَ امْتَنَحَهَا النَّظَرُ
 لَيْسَ مِنْ نَوْرِ آتَانَا مِنْ فَلَكِ^(٢)
 مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ أَنْوَارُ لِرُوحِ
 يَسْبِقُ الشَّمْسَ شُعَاعاً وَالْقَمَرَ
 وَهِيَ تَبْدِي مِنْ ثَرَاكِ ذَا السَّنَا^(٣)
 وَلِهَذَا الْعِشْقُ غَزُوُ اللَّامِكِ
 عَيْنُهُ يَقْطِي وَفَاقَتْ جِبْرِئِيلُ
 وَلَهُ يَبْدُو رِبَاطاً ذَا الْفَلَكِ^(٤)
 إِبْرَةً قَدْ خَرَقَتْ ثَوْبَ الْحَرِيرِ
 فَضَّلَهُ فِي عَيْنِهَا نَوْرُ الْبَصَرِ^(٥)
 وَهُوَ كَالْمِهْمَازِ فِي جَنْبِ الْقَضَاءِ^(٦)
 لَتَرَى الذَّاتَ تَجَلَّتْ فِي الصُّفَاتِ
 سَيِّداً أَضْحَى لِكُلِّ الْكَائِنَاتِ^(٧)



-
- (١) أضواها : أضعفها .
 (٢) المعترك : موضع العراك والقتال . والمراد به معترك الحياة .
 (٣) السنا : النور .
 (٤) الرباط : مبنى لنزول المسافرين كما أنه لإقامة المتعبدين .
 (٥) الوضر : الوسخ .
 (٦) رقيق الدين : الملحد .
 (٧) تلغى النار : تلهبت .

أغنية الملائكة (١)

ويوماً تبهر الصلصال نورياً بأنوار
ويوماً تُضبح الأرضُ سما من نجمٍ أقدار
خيالُ المرءِ ظمآنٌ ، سيولُ الدهرِ ترويه
ويوماً خارجَ الأفلاكِ في أمِنٍ سَتْلَقِيه
وفي معنىٍ لإنسانٍ تأملِ أنتَ ثمَّ اسأل
ويوماً تغدّ تطويحُ سَيُمنسي ذلكَ الأكمل
ويعلو منه شأنٌ لم يكن في أمه شياً
ويوماً أنتَ لا تلقاهُ عندَ الله مَرْضِيَا



تمهيدٌ أرضيٌّ

تلوحُ روحُ جلالِ الدينِ الرومي ، وتناولُ بالشَّرحِ سرَّ المعراج
شُعلةٌ لِلْعِشْقِ شَبَّتْ في المدينة
تَنشُدُ الخلوةَ في طُودِ أَشْمِ
أو على السَّاحِلِ مِنْ بحرِ خِضَمٍ (٢)
فَقَصَّدْتُ الْبَحْرَ أَلْقِي نَظْرَةً
زرقَةً فيها يواقيتُ تَذُوبُ
للماءِ مكسبٌ لونَ الشَّحرِ
وطَلَبْتُ في خيالي مُنْتَهَى (٣)

- (١) هذه المنظومة من بحر الهزج ، وهو في العربية سداسيُّ أصلاً ، ولا يستعملُ إلا رباعياً ، غيرَ أنَّ الفرس يستعملونه ثمانية . وقد أوردناه ثمانية كما ورد في هذا الشعر الفارسي .
(٢) الطودُ الأشمُ : الجبلُ المرتفع . البحرُ الخِضَمُ : العظيمُ الواسع .
(٣) المُهْجَةُ : دَمُ القلبِ . والمرادُ به هنا القلبُ .

إِنِّي الْفَاتِي وَمَالِي مِنْ خُلُود وَأَنَا حَيٌّ وَمِثْلِي فِي الْخُلُود
ظَامِيٌ وَالنَّبْعُ عَنْ ثَغْرِي بَعِيد لِإِذَا بِي مَشَدُّ هَذَا الشَّيْدُ

غزل

اَفْتَحِ الثَّغَرَ لَذَّةَ الشَّهْدِ أَطْلُبُ أَظْهِرِ الْخَدَّ رَوْضَةَ الْوَرْدِ أَطْلُبُ
هَذِهِ الْكَأْسُ فِي يَدِي وَبِأُخْرَى شَعْرُهُ ، إِنَّ رَقْصَةَ الْوَجْدِ أَطْلُبُ^(١)
فِي دَلَالٍ تَقُولُ قُمْ أَنْتَ عِنَّا قُلْ وَكُزْزُ ، فَقَوْلَةُ الْقَنْدِ أَطْلُبُ^(٢)
أَنْتَ يَا عَقْلُ فَانصَرِفْ عَنْ هَذَا أَنْتَ يَا عِشْقُ صَحْوَةَ الْجَدِّ أَطْلُبُ^(٣)
إِنَّ تِلْكَ الْحَيَاةَ كَالسَّيْلِ تَمْضِي وَأَنَا الْحَوْتُ لُجَّةَ الْمَدِّ أَطْلُبُ^(٤)
ذَاكَ فَرَعُونَ أَرْمَضَ النَّفْسَ جَوْرًا نَوْرَ مُوسَى بَلِيلَةَ الْبَرْدِ أَطْلُبُ^(٥)
طَافَ فِي اللَّيْلِ شَيْخُنَا بِسَرَّاجِ قَالَ إِنِّي مُوجِّلُ الْعَوْدِ أَطْلُبُ^(٦)
وَرَفَاقِي كَرِهْتُ مِنْهُمْ خِصَالًا رُسْتَمًا لِي وَسَيِّدَ الْأَسَدِ أَطْلُبُ^(٧)

(١) يريد برقصة الوجد رقص المولوية ، وهم أتباع جلال الدين الرومي المعروف بمولوي ، وكانوا يرقصون ، على أن الرقص والسماع مما يشير في القلوب لوحة العشق الإلهي . وسنصف رقصهم تفصيلاً في الصفحات الأخيرة من الكتاب .

(٢) القَنْدُ : السكر .

(٣) الهذاء : الاسم من هذي بمعنى تكلم بغير المعقول لمرض أو غيره .

(٤) اللجة : معظم الماء . والمَدُّ : ارتفاع ماء البحر .

(٥) ذكرنا ليلة البرد هنا لأن موسى عليه السلام كان يرعى غنمه ومعه امرأته في ليلة باردة وأراد أن يقدح بزنده فما أخرج الزند ناراً غير أنه شاهد ناراً من بعيد ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا أَلْوَى ۖ إِلَيْكُمْ يَتَاهَا ۚ قَبَسَ أَوْ أَحْدَسَ عَلَى النَّارِ هَذَى ﴾ [طه : ١٠] .

(٦) العود : العودة وجعلناها مؤجلة للمبالغة .

(٧) رستم : بطل الأساطير الفارسية المشتهر بشجاعته وشهامته في الملاحم ، وأردنا بسيد الأسد أسد الله وهو عليّ كرم الله وجهه .

كم بحثنا ، وأي شيء وجدنا

قلتُ إنني برغم ذا فقد أطلبُ

فوق ماء أغبر الموجُ نام
إن منها الليلُ شيئاً قد سرق
روحٌ « رومي » مزقت كلَّ الشُّور
إنه شمسُ الضُّحى في طلعتِه
وينورُ سرمدِيّ قَدْ أضاء
شفتاه فيهما سرُّ الوجود
إن هذا القولُ مرآةٌ تدلّت
غيرُ موجودٍ وموجودٌ؟ أجبني
قال لي الموجودُ ما يعني الظهور
للسُّجودِ زينةٌ تُدعى « أنا »
ألفوا يومَ « الستِ » مجعاً
إن تكنَ حيّاً أو الميتَ الدفين
شاهداً فلتتخذهُ من شعور
غابت الشمسُ وفي الأفقِ الظلام
يشهدُ الكوكبُ بالنُّورِ اتّلق
ولها من خَلْفِ أطوارِ ظُهور^(١)
وشبابُ شبهِه ، في مِيعَتِه^(٢)
من حُبُورِ الخلدِ غطاءُ الرِّداء^(٣)
فكُ عنه القولُ فكاً للقيود
وهو علِمَ فيه نارٌ قد تجلّت
غيرُ محمودٍ ومحمودٌ؟ أجبني
فالموجودُ يقتضي هذا الظهور
رغبةً في الذاتِ برهانٌ لنا^(٤)
« أينَ مَنْ يشهدُ ؟ » قالوها معاً^(٥)
أو تجذُّ بالروحِ سلٌّ عن ذا الأمين^(٦)
أو عيونٍ مالها إلّا نور

(١) رومي : هو جلال الدين الرومي . والأطوار : الجبال .

(٢) مِيعَةُ الشباب : أوّلُه .

(٣) السُّرمدِيّ : الخالد . والحُبُورُ : الثُّرور .

(٤) أنا هنا بمعنى الذات أو الفرد . وفي رأي إقبال أن حياة الإنسان لن تكون إلا فردية ، ولا وجود لحياة كلية في واقع الأمر . وتجلّي الحياة في الفرد ليس إلّا . فالأنا أو الإنسان يسمو ويخلد بالعمل ، وإلى تلك الحقيقة كانت إشارة الإسلام .

(٥) يُكثِرُ شعراءُ التصوّف من الفرس ذكرَ يومِ « الستِ » مشيرين بذلك إلى قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُ رَئِيكَ مِنْ بَيْنِ مَا دَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

(٦) المراد بهذا الأمين : الشَّاهد .

واجعل الثاني شعور الآخرين
ولتكن ذات الإله خير شاهد
أنت إن واجهت ذئلك الضياء
الحياة هي للذات الوصول
لم تلاثم مؤمناً قط الصفات
ما هو المعراج ؟ مرجاة لشاهد
شاهد عدل ومآ قاله
ما لإنسان ثبات في الحضور
ذرة لا تلق من هذا اللهب
أن تزيد الثور فيك ذاك أخلق
جسمك البالي جذد بالصقال

شاهد الذات بعين الآخرين
ولها نور به ذاتاً فشاهد
نلت طولاً سمردياً للبقاء
وهي ذات ليس يخفيها سدول^(١)
ما اختيار المصطفى إلا لذات
واختبار ، وتراه عين شاهد
عيشنا البستان أزهار له
أو هو الكامل لا يشكو القصور^(٢)
ثم ضنه مثل تذكار الحبيب
أن تضاميه بشمس ذاك اليق
واختبر ذاتك عثر فالعمر طال

ليس بالمحمود إلا ذو الوجود

عيشنا لولاه ما يعلو الوقود^(٣)

قلت كيف نحن نمضي قصدنا الحق
وبعيد أمر عن أمرنا
قلت والسلطان إما كان لك
انتظر يوماً تعري الكائنات

لجبال ومياه كيف ذا الشق^(٤)
والزمان شطه في حلقنا^(٥)
لاستطعت اليوم تحطيم الفلك^(٦)
والغبار طال من ذيل الجهات

(١) السدول : جمع سدل ، وهو الستر . واللام في اللذات بمعنى إلى .

(٢) الحضور عند المتصوفة هو حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبي عنده
كالحكم العيني . ونقيضه الغيبة ، وهي غيبة القلب من دون الله حتى يغيب عن نفسه ،
ويستطيع مشاهدتها .

(٣) الوقود : النار وأثقادها . والدخان هو المراد بما يعلوها ، وهو متفرق متبدد .

(٤) الحق : هو الله جل وعلا .

(٥) الشخص : حديدة عقاء يصاد بها السمك .

(٦) إما : مركبة من إن الشرطية وما الزائدة .

الأقل لا ترى والأكثر
قوله ﴿إلا سلطان﴾ تذكّر
بـولادٍ إلهـذا الألمي
بـولادٍ أنت قد تمضي بعيدا
ليس من ماء وطين ذا الولاد
ذاك من جبر وذا بالاختيار
بالبكا ذاك وذا بالابتسام
ذا سكون ، سيره في الكائنات
ذا لليل ولصبح حاجته
مولد للطفل بطناً قد فطر
ودليل العالمين في الأذان

أنت منه وهو منك ما ترى
أو فئت في الوخل والذر المبعثر^(١)
كنت في دنيا الجهات الأربع^(٢)
وتفك عنك هاتيك القيودا
ما دراه قط إلا ذو فواذ
ظاهر هذا وذا خلف الستار
باحث هذا وللثاني المرام
ذاك قط لا يسير في الجهات
ما هما إلا لذاك دأبه
للرجال المولد الدنيا فطر
ذاك بالروح وهذا باللسان^(٣)

مولد للروح حلت جسمنا

زلزل الدنيا فماجت حولنا

قلت لمولد معنى لا أراه
إنما دنياك غيب أو حضور
ولذات ذوبها في جلوة
جلوة للذات في نور الصفات
عقلها الدافع نحو الجلوة
والى العالم هذا العقل جاء

قال شأن من شؤون للحياه
ثابت هذا وللثاني المروور
وتراها جمعت في خلوة
لكن الخلوة من نور لذات
عشقها الماضي بها للخلوة
كي تحل اللغز من طين وماء

- (١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿يَتَخَفَتِ الْهَيَّةُ وَالْإِنْسَانُ أَنْ تَقْدُوا مِنْ أَهْوَايَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَتَقْدُوا لَا تَقْدُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن : ٢٣] والشاعر يصف قدرة الإنسان بطاعة الرحمن . والذر : صفار النمل .
(٢) الولاد : الولادة . والألمي : الذكي الحصيف .
(٣) جرت العادة بالأذان في أذن الوليد .

كلّ جلمود له أضحى أديبا
عينه تالف ذوقاً للنظر
يزهّب السّير فيمضي كالضريـر
حيث كان العقل فوق القوّة
أمـره شيئاً فشيئاً ينتظم
ما درى العشق شهوراً من سنين
ويشـقّ العقل شقّاً في الجبل
ومن العشق جبال كالمهـشـم
إنما العشق ييات اللأمكان
ليس يقوى العشق من ريح وماء
خيـراً نال بخبز من شعير
رامن نمرود بلا ضرب حطـم
إنه في الرّوح ، في العين البصر
والرّماد العشق والعشق الضـرم
وهو سلطان وبرهان مبين
أمـنا والغد وهو اللأزمان
من إله الكون ذاتاً يطلب

ثم أمسى البرق والغيم الخطيبا
لا كعربيد جريء في الغرر^(١)
نملة أنت تراه إذ يسير
أم من يهوى ويبد الخطوة^(٢)
فمتى أمر له يوماً يتم
لا ولا حتّى قريباً من شطون^(٣)
أو حواليه يطوف في مهـل
وقلوب كالشموك إذ تقوم^(٤)
والممات دون قبر للعيان^(٥)
لا ولا من قوّة للاقوياء^(٦)
شق ذلك البدر العنير
جيش فرعون بلا حرب هزم^(٧)
كامن فيها وها منها انتشر
يفضل الدّين ومن علم أهم
ولـه قد عقر الكون العجين
ما دنا أو شط وهو اللامكان
ولـه الكون جواد يركب

(١) العربيد : من يؤذي نديمه في سكره ، والمراد به هنا الصّوفي . والغرر : التعرّض للهلاك .

(٢) أمّ : قصد . والوثيد : البطيء .

(٣) الشّطون : البعيد .

(٤) الشموك : الأسماك .

(٥) اليبات : الهجوم ليلاً . والعيان : المعاينة والمشاهدة .

(٦) الريح والماء والتراب والنار هي العناصر الأربعة .

(٧) حطم بمعنى حطّم .

منه يبدو ما لقلب من مقام
يَهْبُ العشاق رُبّاً نَفْسَهُمْ
عاشق أنت ؟ على اللاصوب أقدم
أنت يا من أنت ميت في الحفير
لك لحن مطرب في المنمع
المكان والزمان ازكبن
اشحذ الأذن واشحذ عينكا
« من بسمع منه صوت النمل مراً
تخرق النظرة لي كل الستور

يطل الفتنة في دنيا الحطام
بأذلين العقل قرباناً لهم
وعلى ذاتك موتاً فلتحرم^(١)
القيام ممكن من غير صور^(٢)
فإلام منك صوت الضفدع
ذلك الزنار عنك أطرحن^(٣)
ما تراه عنه فاسأل عقلكا
فمن الدهر وعى للدهر سراً^(٤)
في عيون مالها ذل الأسير

إنما الإنسان هذاك النظر
فيه من كان يهوى قد غمر
كل هذا الجسم فاضهر في النظر
فعليك وعليك بالنظر^(٥)

من سموات تخاف ! لا تخف
الزمان والمكان فلتشاهد
نظر من جلوسه إنما سبق
حبة في جوف طين مظلّم
وهي لا تسدري قريباً أنها

وسعة الدنيا تخاف ! لا تخف^(٦)
فيهما حالاً لروح أنت واجد
فاختلاف الغد والامس انبتق
لا ترى علو الفضاء الأعظم
قد تمد في السماء غصنها

(١) الصوب : الجهة .

(٢) الحفير : القبر .

(٣) الزنار : حزام يتمنطق به أهل الذمة .

(٤) هذا البيت للشاعر الفارسي جلال الدين الرومي .

(٥) هذان البيتان من شعره كذلك .

(٦) الوسعة : الاتساع .

ولها الجوهرُ نغرقُ للنماء

ومقامٌ ، وهما أيضاً سواء^(١)

قلتُ إنّ الجسمَ للأرواحِ مَحْمِلٌ أبصرَ الرُّوحَ وعن جسمٍ فَمِل^(٢)
إنّما الجسمُ تعلقُ الرُّوحِ حال قولُكَ المحمّلُ زوراً ومحال
ما هي الرُّوحُ ؟ احتراقٌ بالوجيب وهي ذوقُ الغزو للأفقِ الرّحيب^(٣)
واعتيادُ اللونِ والريحِ والجسد والمَقَامُ في الجهاتِ بالعدد^(٤)
القريبُ والبعيدُ في الضمير إنّما المعراجُ تغيّرُ الشُّعور
في الشُّعورِ ذاكُ من جذبٍ وشوق خلّصنُ الذاتُ من تحتِ وفوق

ليسَ هذا الجسمُ للرُّوحِ النّظيرُ

والثّرابُ مانعاً من أنْ نطير^(٥)



« زروان » وهو روحُ الزّمانِ والمكانِ

يمضي بالمسافر في سفرته إلى العالم العلوي^(٦)

دبّ في رُوحِي فتورٌ من كلامه زئبقُ ذرّاتٍ جسمي من أمامه^(٧)

(١) النماء : النمو ، يقول : إنّ الحبة هي جوهرها .

(٢) المحمّل : شقّان على البعير يُحمّل فيهما العدلان .

(٣) الوجيب : خفّاقان القلب .

(٤) المقصود بتلك الجهات الجهات الأربع أو الاتجاهات الأربعة .

(٥) التراب هنا هو مادة جسم الإنسان .

(٦) زروان في المجوسية أو الزرادشتية هو الزمان المطلق . وعند بعض المجوس : الذين يقولون بوجود إلهين أهورامزدا إله الخير وأهريمن إله الشر ، وأنّ هذين الإلهين ظهرا من زروان ، ويُعرفون بالزروائيّة ، كما يذهبون إلى التوحيد ، ويرفضون الثنوية .

(٧) يعني بقوله : إنّ ذرات جسمه كالزئبق : أن جسمه يرتعد . ومن : بمعنى في .

بُعْتَةً شَاهَدْتُ بَيْنَ الْخَافِقِينَ
مَلَكٌ يَهْبِطُ مِنْ هَذَا الْغَمَامِ
هَذِهِ كَاللَّيْلِ وَالْآخِرَى مُنِيرُهُ
فِي الْجَنَاحِ حَمْرَةٌ أَوْ صَفْرَةٌ
فِي طَبَاعٍ مِنْهُ سَرَبٌ لِلْخَيَالِ
فَتَسْرَاهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي سَمَاءِ
قَالَ زُرَّوَانُ أَنَا الدُّنْيَا قَهَرْتُ
كُلَّ نَدِيرٍ بِتَقْدِيرٍ رَأَيْتُهُ
إِنَّ بِي لِلزَّهْرِ فِي الْغُصْنِ الثَّمَاءِ
تُصْبِحُ الْحَبَّةُ إِنْ طَرَتْ الْغُصُونَا
وَأَنَا مِنْ لِي الْعَتَابُ وَالْخِطَابُ
الْحَيَاةُ وَالْمَمَاتُ وَالنُّشُورُ
فِي يَدَيِ الْإِنْسَانِ بَلْ كُلُّ الْمَلَائِكِ
مَا قَطَفْتُ مِنْ وَرُودٍ فَهُوَ لِي
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَسِيرٌ فِي طَلْسَمِي
« لِي مَعَ اللَّهِ » حَدِيثٌ مِنْ وَعَاهُ
إِنْ أَرَدْتَ لِي رَحِيلاً مِنْ هُنَالِكَ

السَّمَاءُ فِي غَمَامٍ كَاللُّجَيْنِ^(١)
طَلَعَتَاهُ فِي الْبَيَاضِ وَالْقَتَامِ^(٢)
هَاهُمَا يَقْظَى وَوَسْنَى كَالضَّرِيرَةِ^(٣)
وَلُجَيْنٌ أَزْهَرَتْهُ خُضْرَةٌ^(٤)
بَيْنَ أَرْضٍ وَنَجُومٍ فِي انْتِقَالِ^(٥)
لِجَنَاحَيْهِ جَدِيدٌ مِنْ فُضَاءِ
وَأَنَا مِنْ قَدْ ظَهَرْتُ وَاخْتَفَيْتُ
كُلُّ حَيٍّ فِي شِبَاكِي قَدْ حَمَلْتُهُ
وَلِتِلْكَ الطَّيْرِ فِي الْوَكْرِ الْغَنَاءِ
وَبِفَيْضِي الْوَضْلُ نَالَ الْعَاشِقُونَ
أُظْمِئَ الظَّامِي وَآتَى بِالشَّرَابِ
وَأَنَا النَّارُ وَجَنَاتٌ وَحُورُ
وَبَنِي عَالَمٍ مِنْ فِيهِ هَالِكٌ^(٦)
أَمْ مَا لِنَظَرِيكَ يَنْجَلِي
وَتَشِيخُ فِي زَفِيرٍ مِنْ قَمِي
مَرَى الْمَغْمُورُ فِي لُبْسٍ وَعَاهُ^(٧)
« لِي مَعَ اللَّهِ » اذْكُرَنَّ فِي فُؤَادِكَ

(١) الخافقان : المشرق والمغرب . اللجين : الفضة .

(٢) يقول : إن له طلعتين أو وجهين ، أحدهما : أبيض ، والثاني : أسود . والقتام : السواد ، والظلام .

(٣) وسنى : نائمة .

(٤) أزهر المصباح : أضواء .

(٥) سرب مربياً : مضى في الأرض على وجهه .

(٦) الملائك : الملائكة .

(٧) يشير إلى قوله ﷺ : « ولي مع الله وقت » .

قد نسيْتُ عالمي من قُدرته
أو كأنَّ عالمي قد غيَّرا !
والى دُنيا الكونِ قد مَضَيْتُ^(١)
عالمًا آخرَ إنِّي قد مَلَكْتُ
من تُرابي غيره ها قد وَجَدْتُ
ويقلبي زادَ نورَ للبصرِ
والنجومُ لحنها لحنُ عُجاب

أيُّ شيءٍ كان لي من رؤيته
عالمًا آخرَ أبدي يا ترى
بَيْنَ ألوانٍ وريحٍ قد قَضَيْتُ
وأنا عن عالمي هذا انقَطَعْتُ
لِضِياعِ عالمي إنِّي حَزِنْتُ
خَفْتُ جِسمي ، ذاك رُوحِي ما اسْتَقَرَّ
والخفايا ما عليها مِنْ حِجَاب



زَمَرَةٌ^(٢) النُّجُوم

لكَ عشقٌ هو سرُّ الكائنات
مرحباً ولتمضي في دنيا الجهات
نساءً كانا في شديدٍ من نزاع
ما أثارَتْ من تجلِّي المعجزات^(٣)
وجديدٍ فيه يبدو للتجلِّي
في قلوبِ العاشقين الشِّبَاتِ^(٤)
الحياةُ إنَّها هذا النِّماء

عقلُكَ الحاصلَ كان للحياة
ففعالاً ، أنت يا هذا التُّراب
وعليك المشتري والزُّهرةُ الحـ
رغبةٌ في نظرةٍ منك أثارَتْ
وطريقٌ للحبيب ، كم جديدٍ
إنَّما هذا الحنينُ للوحيد
الحياةُ إنَّها هذا الصِّفاء

(١) الريح : الراححة . وقضى : مات .

(٢) الزمزمة : الترتُّم ، أو التكلُّم بصوتٍ خفي . وقد آثرنا أن نترجم هذه المنظومة على نسقها في أصلها .

(٣) الزُّهرة : كوكبٌ معروفٌ وقد سكنت الهاء فيها لضرورة الشعر . يقول الشاعر : إنَّ رغبةَ المشتري والزُّهرة في نظرةٍ منك إليهما وهما المتنافسان عليك ، مما أثار هذا التجلِّي .

(٤) الشيق : المشتاق .

الحياة مُلك ربي ، بساعدي الي
غزلُ إن شاق منك النفس يو
شحنة السلطان يبدو ثم خد
في العراق والشام بل وهن
هؤلاء يطلبون الحلو ذو
كي يموّر البحر بالأمواج مؤ
متعة للتبلى يجري بالهدى
الفقير كان ناراً كل مل
الملوك حبيبهم في بطشهم
إن للصوفي عزاً ياله
إن للصوفي جذباً من كلي
يقتل الصوفي بالعينين لـ
ذاك يبغى السلم والصلح وهم
ذا وذاك يا عمري يفتحها
ولهذا كان قول لئس

مخطو سريعاً ولتسر حتى الفناء^(١)
ما فله رجع الصياح ، امتحن
حيرا بحان ، جرّة الرّاح امتحن^(٢)
د ثم فرس ، يالفون الطّعم حلوا
ما ، طعم هذا العشق مرّاً ، امتحن
رأ وهو طام في غرام واحتدام^(٣)
ر من حذور السهل نهراً ، امتحن^(٤)
لك ليس إلا من غشاء ، فاعلمن
من مُغدم رقع النداء ، فاعلمن^(٥)
عزّاً ، وهذا الملك للإسكندر
سم الله ، لكنّ ذاك سحر السامري
سكن الملوك بالجيوش قتلهم
يبغون بالهيجاء حُكم الجائر^(٦)
ن عالمين ، والدوام بُغية
لكنّ لذاك كان عنف القاهرة^(٧)

(١) التماء : التّمؤ . وتسرع حتى الفناء : أي إلى الأبد .

(٢) الشحنة : من يقوم للسلطان بضبط اليد . والخمير : من يمد من شرب الخمر . والرّاح : الخمر .

(٣) يموّر : يضطرب . الطامي : المحتلىء الجائش . العارم : العنف والشدة . والاحتدام بهذا المعنى .

(٤) الهدير : صوت أمواج البحر . والحذور : المكان ينحدر منه .

(٥) الغشاء : ما يحمله السيل من القش واليابس من أوراق الشجر . يقول : إنّ للفقير ناراً تحرق الملك قشاً وصوت الفقراء إذا ارتفع بالشكوى قوّض ملك الملوك .

(٦) الهيجاء : الحرب .

(٧) أي أنّ الصوفي والملك كل منهما له عالم يفتح ، وإن اختلف هذان العالمان ، وكيفية =

فَتَعَالَىٰ وَتَقَدَّمَ ، قَبْضَةُ الصُّوفِي قَدَّمَ ، سَدُّ ذِي الْقَرْنَيْنِ حَطَمَ
أَحْيَ مَا كَانَ لِمُوسَىٰ مِنْ رَسْمٍ م ، لَيْسَ هَذَا السَّخَرُ غَيْرَ الْمَيْنِ ، حَطَمَ^(١)



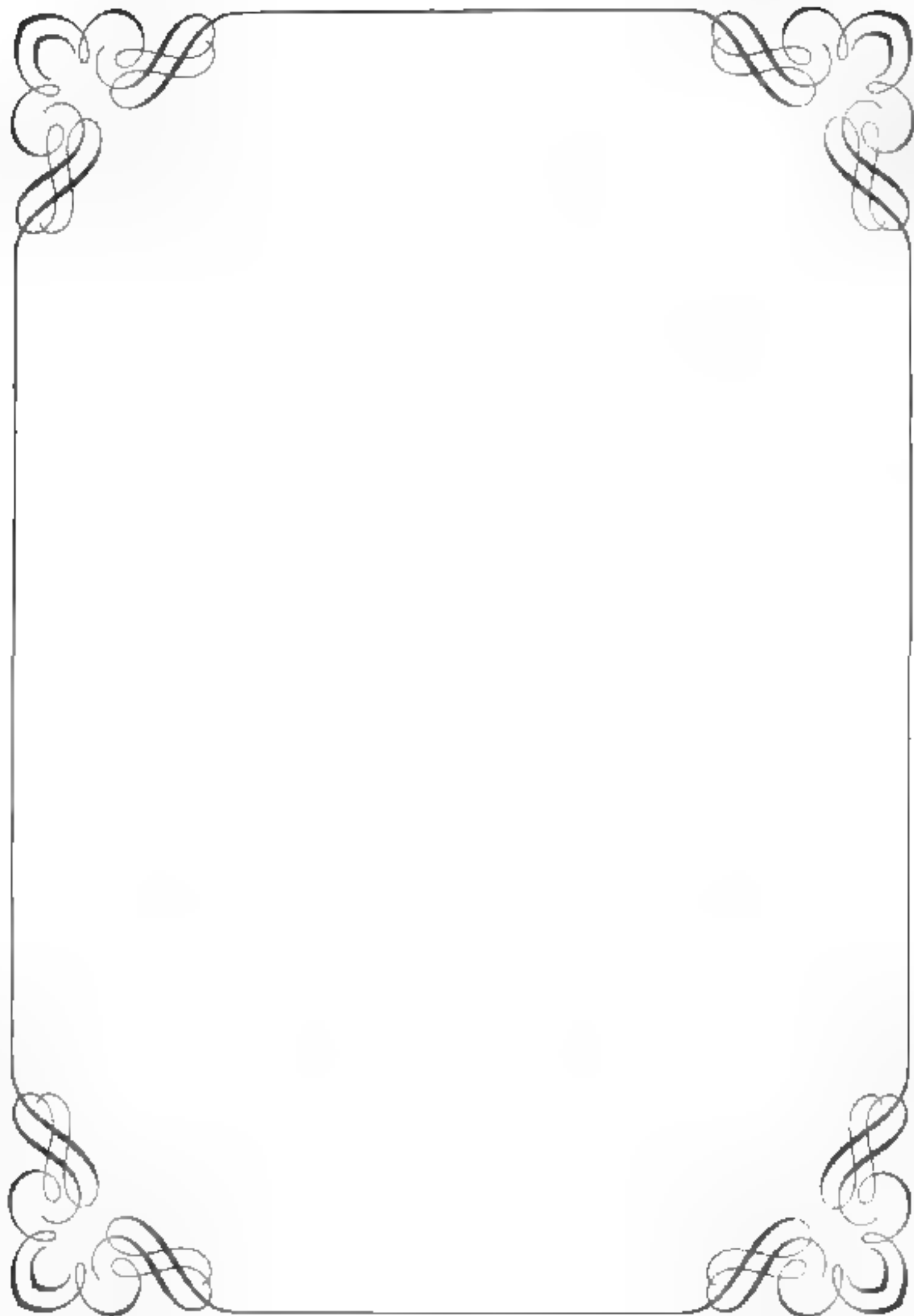
فتحهما ، كما تختلف رغبة الصوفي عن رغبة الملك في الدوام .

(١) المين : الكذب . والكلام في الشطر الأول من هذا البيت منصرف إلى ذي القرنين الذي قيل عنه إنه الإسكندر الذي ملك الدنيا ، كما قيل : إنه كان نبياً . وسمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا ، يعني شرقها وغربها . وقيل كان له قرنان أي صغيرتان ، أو انقرض في وقته قرنان من الناس ، كما ذهب بعضهم إلى أنه سُمِّيَ ذا القرنين لقرنين على تاجه ، وهو من الروم ، وإقبال يلصق إلى ما جاء في القرآن عنه ، وهو قوله عز من قائل : ﴿ قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّهٗ أَبْجُوجٌ وَمَغْجُوجٌ مُّفِيدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْمَلُ لَكَ خَزَائِمًا مَّا أَنْ تَجْمَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَتًا ﴾ [الكهف : ٩٤] .

القسم الأول

فَتَاكَ الْقَمَر





إِنَّمَا الْأَرْضُ لِرَبِّي وَالسَّمَاءُ
كُلُّ مَا لِلنَّاطِرِينَ قَدْ بَدَا
لَا تَسِرْ مِثْلَ الْغَرِيبِ فِي دِيَارِكَ
إِنَّ مِنْكَ الْقَوْلَ كُلُّ يَمَثِلِ
عَالِمٍ لِلْعَيْنِ وَالْأَذِنِ الصَّنَمِ
أَشْبَهَ الْمَجْنُونِ فِي وَادِي الطَّلَبِ
إِنَّ طَوَيْتَ الْأَرْضَ طَيًّا وَالسَّمَاءَ
غَيْرَهَا سَبْعًا مِنْ اللَّهِ أَطْلُبَنَّ
خَارِجَ الذَّاتِ بِشَطِّ الْكُوْثَرِ
لَوْ بَكَفَ الذَّاتِ عَنْ بَحْثِ أَمَانِ
الْثَرِيًّا مَا وَرَثْنَا وَالْ
بَعِيُونَ لَصَفِيٍّ فَاقِدِ
لَا تَخَفْ مِنْ غُرْبَةٍ مَرَّتْ
وَبَأْمَرٍ أَوْ بَنْهِيٍّ قَدْ
وَالزَّدى مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا
كُنْ كإِبْرَاهِيمَ فِي قَوْمٍ وَ
عَالَمِكَ أَطْوِ عَلَى حَدِّ
كَمْ زَمَانٍ وَمَكَانٍ تَسْأَلُ
لَا تَسِرْ خَيْرًا وَشَرًّا يَنْبِ
كَانَ هَذَا الْقَبْرُ خَيْرًا مِنْ

وَتَمُوتُ الرُّوحُ مِنْ طُولِ الْمَقَامِ
أَيُّهَا الرَّاحِلُ ، فَاْمْضِ لِلْأَمَامِ
وَمَعَ النُّجْمِ تَطْيِبُ سَفَرْتُكَ
حِينَ كَانَتْ فِي الْفَضَاءِ وَطَاتِي
حَبْذَا مِنْ غَيْرِ وَقَفِي رَحِ
مَا عَلَا الْقَيْتُ تَحْتَ نَفْذِ

(١) اخترمه الموت : أخذه .

(٢) المجنون هنا هو قيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى . وقد ولّاه العشق حتى عقله ، وهام على وجهه في القفار . وشعراء التصوف يرمزون به إلى العاشق الإلهي ووكب بمعنى قام . والإشارة إلى إبراهيم عليه السلام الذي قام في قومه أصنامهم .

(٣) يريد سبع سموات يطلبها وما لا يحصى كثرة من الأزمنة والأمكنة .

(٤) انبرى : تعرض .

هذه الغبراء قنديل الليالي
اقتربت في صمودي واقتربت
قوله « الرومي » : بدد كل شك
عند البذر ولكن تألفه

ليله والمُنبِخ فيه ما يرى
فيه غيران لإعجاب الوري^(٣)

ما لصمت ولرعب في الجبل
تأمل « خافطين » و « يلدرم »
ما زكا عشب يتلك الأرض قط
الجهام ، والرياح العاصفات
سالم ما فيه من لون وصوت
يس في بطن له أصل الحياة
سليلاً لذكاء ذا الوجوه
قوله : « الرومي » : تابع خطوتك
ما اختفى بفضل فيه ما ظهر
ما ذكي اللب كل ما حصل
ظهر الدنيا لعين باصرة

وعلى رأسي ظلي قد بدا لي
وعلى البذر جبلاً قد رأيت
وترسم ما تراه للفلك^(١)
منزلاً في نهجنا ذا نعرفه^(٢)

ظهره الأخدود والجوف اشتعل
والدخان فوق نار تضطرم^(٤)
لا ولا طير جناحاً قد بسط
ناشبت حرباً لها تلك الموات^(٥)
لا حياة فيه أو آثار موت
لا ولا في الضل سائر الحادثات
لانقلاب قط ما كان الولود^(٦)
وعلى ما نلت شدد قبضتك
ولدينا فيه كان المتقرر
فسمعك احتججه والمقل^(٧)
إنها الميزان وهي الناظرة

(١) الرومي : جلال الدين الرومي . وترسم الدار : نظر إلى آثارها وتأملها .

(٢) المنزل : مكان النزول . والتهج : الطريق .

(٣) الغيران : جمع غار وهو الكهف . والوري : الناس .

(٤) خافطين ويلدرم : اسم جبلين يتخيلهما الشاعر في القمر .

(٥) الجهام : السحاب لا مطر فيه . والموات : الأرض الخربة .

(٦) ذكاء : الشمس . والسلي : الابن . والولود : الوالدة .

(٧) اللب : العقل . السمع : الأذن . احتجن الشيء : جذبه إليه .

أَيْنَمَا يَخْمَلُكَ مَوْلَانَا انْطَلِقْ لَا تَفَكِّرْ فِي سِوَاهُ وَاصْطَفِقْ^(١)
 ثُمَّ شَدَّ الْكَفَّ مَنِي فِي مَهْلٍ
 وَإِلَى غَارٍ حَيْثُأَ قَدْ وَصَلَ



الحكيم الهندي الذي أثر الخلوة في غارٍ من غيران القمر

ويسميه أهل الهند « صديق الناس كافة »

<p>ودخلتُ ذلكَ الكهفَ العميق تحملُ المصباحَ شمسُ اللُّخول ! وكأنَّ العقلَ مَنِي ماتَ عَنِّي ما بقلبي الصُّدُقُ أو بَرُذُ اليقين ظَهَرَ الصُّبْحُ ولم تَبْرُغْ ذُكَاءُ^(٢) أرضُ جنِّ نخلُها مِثْلُ الأَكَمِ^(٣) أو خيالي يتهادى في المنام^(٤) والظُّلالُ ومضَى نورُ تَظْهَرُ لا ولا في الأفقِ من ألوانٍ ورِدٍ^(٥) وأمَّحَى صُبْحُ ليلٍ من قَتَامٍ^(٦)</p>	<p>كضربٍ قادنِي هذا الرِّفِيق من ظلامٍ فيه ذا بدرٍ ملول وعذابِي طال في وهمي وظنِّي ومَضَيْتُ واللُّصُوصُ فِي الكَمِينِ جلوةٌ لاحتَ لعيني في جلاء هذه الأحجارُ عِبَادَ الصَّنَمِ كانَ من ماءٍ وطِينٍ ذا العَقَامِ النِّسِيمُ مِثْلُ خمرٍ تُشْكِرُ ما رأيتُ قُبَّةً مِثْلَ لَأَزَوَزِدِ ما أقامَ الثُّورُ في أسْرِ الظُّلَامِ</p>
---	--

(١) مولانا هو جلال الدين الرومي . اصطفيق : تحرك ، واضطرب .

(٢) بزغت الشمس : أشرقت . وذُكَاءُ : الشمس .

(٣) الأكَم : جمع أكمة : وهي الهضبة .

(٤) يتهادى : يتمايل في مشيته .

(٥) اللَّأَزَوَزِد : حجر تشبه زرقته زرقه السماء .

(٦) القَتَام : السواد والظلام .

وحكيم الهند في ظلّ جلس
جنمه الوهنان عرى كله
وعلى الإنسان من طين مفضل
لا يُعَدُّ الوقت إماماً تمرُّ
قال للرومي من هذا الرقيق ؟
عينه في الكحل نور للغلس^(١)
حيه بيضاء تسعى حوله
صورة تلك الدنى ممّا تخيل^(٢)
والزمان لا يفيد أو يضُرُّ
منية الدنيا بعينه البريق !

الرؤمي^(٣)

إنّه الجوّال في وادي الطلب
غرة منها له رأيّ مديد
كأسه قد أصبحت قوس السماء
كالعقاب صيده للنيران
كلّم الأرض كمن نشى بدن
لدخان منه نار في صعود
ناح كالنّاي لفزط الاشتياق
لست أدري السرّ في صلّصاله
والمقام ، والذي في منزله
يُشبّه السيّار في السّير اضطرب
وعلى عيب له إني شهيد^(٤)
فكره يبغي إلى الوحي انتماء
في السّماء طوفه بالخافقين^(٥)
والجنان عنده بيت الوثن^(٦)
ورأيت الكبرياء في سجود
وقتل في الوصال والفراق
لست أدري السرّ في صلّصاله
والمقام ، والذي في منزله

(١) الغلس : ظلمة آخر الليل .

(٢) الدنى : جمع دنيا .

(٣) هو جلال الدين الرومي أكبر وأشهر شعراء التصوف عند الفرس . وقد سبقت ترجمته في الديوان الثاني (القسم الأول) .

(٤) الغرة : الغفلة وعدم التجربة .

(٥) النيران : الشمس ، والقمر ، والخافقان : المشرق والمغرب .

(٦) نشى : سكر . والدن : جرّة الخمر . والفرس يشبهون الحسناء بالوثن أي الصنم في الحسن .

جهان دوست

ما لِرَبِّ الكونِ لونٌ ، وهو لون
أيُّ ربِّ أيُّ إنسانٍ وكون ؟

الرومي

إنَّما الإنسانُ سَيْفٌ لِإِلَهِه ذَلِكَ الْكَوْنُ مَنْ قَدْ تَرَاهُ
شَاهِدَ الشَّرْقِ الْإِلَهَ وَخَدَهُ وَأَشَاحَ الْغَرْبُ عَنْهُ خَدَهُ^(١)
أَنْ تَرَى اللَّهَ بِعَيْنِكَ التَّقَاةَ أَنْ تَرَى الذَّاتَ وَلَا يَشْرُ الْحَيَاةَ^(٢)
وإنَّ العَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا انْعَمَقَ رَحْمَةَ الرَّحْمَنِ بِالْعَبْدِ اسْتَحَقَّ
إِنْ غَفَلْتَ ذَاتَ يَوْمٍ عَنْ قَدَرِ فإِنْ غَفَلْتَ ذَاتَ يَوْمٍ عَنْ قَدَرِ
فَارِقِ الصَّلَاصَالَ رَوْحَ ذُو شَرَرِ

جهان دوست

فِي طَلَسَمِ لِلوُجُودِ وَالْعَدَمِ ذَلِكَ الشَّرْقُ بِسَرِّ مَا أَلَمَ
مَا لَنَا أَهْلَ السَّمَاءِ إِلَّا النَّظَرُ فِي غَدٍ لِلشَّرْقِ تَحْقِيقُ الْوَطَرُ
شَاهَدَتْ عَيْنِي عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ مَلَكاً مِنْ قُبَّةِ الرُّرْقَا نَزَلَ
كَانَ مَنْ عَيْنِيهِ ذَوْقُ النَّظَرِ وَهُوَ بِالْعَيْنِينَ دُنْيَانَا غَمَزَ
قُلْتُ سَرّاً عَنْ صَفِيٍّ لَا تَكُنْ أَرْضُنَا كَيْفَ تَرَاهَا أَذْكَرُنْ
حُسْنُ نَجْمٍ لَاحَ فِي أَفْقٍ عَشِيقَتَا فِي قَلِيبِ السَّحَرِ قَلْباً قَدْ رَمَيْتَا^(٣)

(١) أشاح عنه وجهه : أعرض متكرهاً .

(٢) التقاة : التقوى .

(٣) القليب : البئر . والإشارة إلى البئر التي تكس فيها هاروت وماروت . وهما شيطانان كانا يُعلِّمان الناس السحر في بابل . ويقال : إنهما ملكان عشقا النساء وعلقا منكسين في بئر . كما قيل : إنهما مثال لرجل اتقى ربّه ، واقترب منه ، ثم أضله الشيطان .

قَالَ يَتَدُوْا اَلْاَنَ هٰذَا الْمَشْرِقُ شَمْسُهُ الْاٰخَرٰى عَلَيْهِ تُمْشِقُ
يَظْهَرُ الْيَاقُوْتُ مِنْ صَخْرِ الطَّرِيْقِ يَوْسُفُ يُخْرِجُ مِنْ جُبِّ عَمِيْقٍ^(١)
وَيُوَلِّيْ عَنِ دِيَارٍ مِنْ كَفَرٍ لِيَرٰ عَنِ ذٰلِكَ الْكُفْرِ الْمَقَرَّ^(٢)
حَبْذَا شَعْبٌ بِرُوْحٍ قَدْ خَفَقَتْ ذَاتُهُ مِنْ طِينِهِ هٰذَا خُلِقَ
حَامِلُ الْعَرْشِ بِاَعْيَادٍ فَرِيْحٍ^(٣)

إِنْ رَأَى لِلشَّعْبِ عَيْنًا تَنْفَتَحُ

غَاصَ شَيْخُ الْهِنْدِ فِي صَمْتٍ قَلِيْلًا فَرَأَنِيْ تَهْتُّ فِيْ فَهْمِيْ مَلُوْلًا
قَالَ : مَوْتُ الْعَقْلِ ؟ قُلْتُ : تَرُكُ فِكْرٍ قَالَ : مَوْتُ الْقَلْبِ ؟ قُلْتُ : تَرُكُ ذِكْرِ
قَالَ : جِسْمٍ ؟ قُلْتُ : تُرْبٌ قَدْ تَرَاهُ قَالَ : رُوْحٍ ؟ قُلْتُ : رَمْزٌ لِّلْإِلَهِ
قَالَ : وَالْإِنْسَانُ ؟ أَبَدِي سِرُّهُ قُلْتُ : كَوْنٌ ؟ قَالَ : وَجْهٌ شَطْرُهُ^(٤)
قَالَ : عِلْمٌ ؟ قُلْتُ : قَشْرٌ لَا يَطْيِبُ وَالذَّلِيلُ ؟ قُلْتُ : وَجْهٌ لِلْحَبِيْبِ
قَالَ : مَا دِيْنُ الْعَوَامِ ؟ : مَا سَمَعْنَا قَالَ : دِيْنُ الْعَارِفِيْنَ ؟ : مَا رَأَيْنَا

طَابَ نَفْسًا قَرَّ عَيْنًا مِنْ مَقَالِي

صَفْوَةٌ مِنْ حِكْمَةِ الْقِيِّ بِيَالِي^(٥)

(١) الجبُّ : البئر العميقة . والإشارة إلى قصة يوسف عليه السلام مع إخوته الذين غاظهم أن يؤثروا أبوه عليهم ، فذهبوا به وجعلوه في الجب ، ثم تركوه وجاؤوا أباهم فيكون مدّعين أن الذئب أكله . وجاءت قافلة ، فلما أدلوا الدلو في الجبّ تعلّق بها يوسف ، وأنجاه الله من الهلكة .

(٢) في الأصل إشارة إلى إبراهيم عليه السلام وما جاء عنه في سورة الأنعام وهو ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَإِلَى الَّذِينَ أَنَاسًا مِمَّا لِّلْهٰٓئِلِ إِنَّكَ وَرَبُّكَ وَرَبُّكُمْ فَرِحُوا بِآيَاتِنَا عِزًّا ﴾ [الأنعام : ٧٤] .

(٣) حامل العرش : أحد الملائكة الذين يحملون العرش .

(٤) الشطر : الجهة والناحية . وشطره منصوب على الظرفية .

(٥) صفوة الشيء : خلاصته وخياره . والبال : القلب .

تسع كلماتٍ للعارفِ الهنديِّ

ليس يُخْفِي عَالَمُ ذَاتِ الْإِلَهِ
غَائِصاً مَا رَدَّ رَسْمٌ فِي الْمِيَاهِ

أَنْتَ إِنْ فِي غَيْرِ ذِي السُّنْيَا وَلِذْتُ
بِشَبَابٍ غَيْرِ هَذَا قَدْ نَعِمْتَ

بَعْدَ مَوْتِ رَبَّنَا ، وَهُوَ الْحَيَاةُ
لَا يُحَسُّ الْعَبْدُ شَيْئاً بِالسُّوْفَاةِ
نَحْنُ طَيْرٌ بِجَنَاحٍ لَا تَطِيرُ
عَلَّمْنَا بِالْمَوْتِ مَقْطُوعُ النَّظِيرِ

إِنَّمَا الْوَقْتُ سَمَامٌ فِي الشَّهَادِ^(١)
رَحْمَةً فِي قَهَرٍ قَهَّارِ الْعِبَادِ
وَبِلَوْحٍ قَهْرُهُ فِي كُلِّ صَوْبِ
رَحْمَةً فِيهِ مَقَضَتْ مِنْ غَيْرِ أَوْبِ

إِنَّمَا الْمَوْتُ كَفُورٌ يَا حَكِيمَ

(١) السَّمَامُ وَالشَّهَادُ : جَمْعُ شَمٍّ وَشَهْدٍ .

أَنْتَ إِنْ جَاهَدْتَ أَمْوَاتاً مُلِيمٌ^(١)
وَمَعَ النَّفْسِ الْغَيِّ فِي قِتَالٍ
يَا لَهُ اللَّيْثُ الْهَـصُورُ وَالْفَزَالُ^(٢)



كَافِرٌ صَاحِي الْفَوَادِ ذُو صَنَمٍ
يَفْضُلُ الْمُؤْمِنَ نَامٍ فِي الْحَرَمِ



عَمِيَتْ عَيْنٌ رَأَتْ غَيْرَ السَّادَادِ
لَا تَرَى الشَّمْسَ اللَّيَالِي فِي سَوَادِ
صَحْبَةٍ لِلْحَسْبِ وَالطَّيِّبِ النَّمَاءِ
صَحْبَةُ الْإِنْسَانِ وَالطَّيِّبِ الشَّقَاءِ
يَرْضَى الْحَبُّ مِنَ الطَّيِّبِ الْعَذَابِ
لِيَرَى الثُّورَ كَتِيرٍ فِي أَنْكَابِ
قَدْ سَأَلْتُ الْوَرْدَ ذَا الصُّدْرِ الْجَرِيحِ
أَيُّ حَسَنِ لَكَ مِنْ طِينٍ وَرِيحٍ ؟
فَأَجَابَ : يَا حَكِيمًا مَا شَعَرُ
بُخْمُودِ الْبَرْقِ هَلْ يَأْتِي الْخَبْرُ !
رَوْحُنَا فِي الْجِسْمِ جَذِبٌ وَأَنْجَذَابِ
مَنْكَ مَا يَخْفَى لَدَيْنَا كَالشَّرَابِ^(٣)

(١) جاهد العدو : قاتله . والمليم : المعلوم .

(٢) الهصور : الذي يهصر فريسته .

(٣) يقول : إنَّ الروح في جسمنا مما يقع بين الروح والجسم من تجاذب . وجذبك خفي
أما جذبنا فظاهر .

تَجَلَّى سُروش^(١)

أوصد العارفُ باباً للكلام
إنَّه بالشَّوقِ والدُّوقِ انجذَبَ
بالحضورِ مِنْهُ ذراتُ كطور
في أساطير الليالي غايَّة
شعرُها المِعْطارُ حتَّى خضرها
وهي في سُكْرِ التَّجَلِّي أغرقت
ولديها دارُ مصباحِ الخيال
فيه تبدو كلُّ ألوانِ الثُّكُول
قلتُ للزُّومِي بالسِّرِّ العليم
قال : « ذا الجسمُ لُجَيْنٌ يُلْمَعُ
ثُمَّ حَسَّ الشَّوقُ فيه للظُّهور
ومن الغُربةِ كان ذا نصيب

أشكرته الذَّاتُ لا تِلْكَ المُدام
في وجودٍ من شهودٍ قد وَقَبَ^(٢)
أو فلا نورٍ ولا حتَّى ظُهُور^(٣)
كوكبٌ مِنْهُ الظُّلامُ خالِيَّة^(٤)
والشُّهوبُ نورُها مِنْ نُورِها^(٥)
وتَغَنَّتْ ما بكأسِ أشْكَرَتْ
فلكأ كم دَارَ في الدَّهرِ الطُّوال^(٦)
نَمِرٌ يَفْرِسُ أو صَفَرٌ يَجُولُ^(٧)
اكشفِ الأسرار ، لي فهمٌ سقيم
وهو في فِكْرِ الإلهِ يَنْبُعُ
فاتى الدُّنيا خَلَتْ مِنْ كُلِّ نُورٍ
كلُّنا يا صاحٍ في الدُّنيا غَرِيبُ^(٨)

- (١) سروش : اسمُ ملكٍ في الديانة الزرادشتية ، واسمه مشتق من : سراوشا ، بمعنى السماع في الفارسية القديمة ، وهو رمزٌ للطاعة ، ومرشدُ الأرواح في الآخرة .
- (٢) وقب : دخل .
- (٣) الطور : الجبل .
- (٤) الغاية : المرأة التي يغنيها حسنُها عن أن تتحلَّى . والحالية : هي التي تلبس الحلي .
- (٥) المعطار : من تعود أن يتعهد نفسه بالمطر . والشُّهوب : جمع سَهَب ، وهو السَّهْلُ المنبسط .
- (٦) مصباح الخيال : مصباحٌ ما يعرف بخيال الظلِّ ، وهو مصباحٌ يُدار حوله ستار فيه نقوشٌ وصور . والطوال : الطويل .
- (٧) الثُّكُول : جمع شكل . وفريس النمر : اقترب .
- (٨) يا صاح : بمعنى يا صاحبي .

عرفوه بسُروش ، كالملائك أبعد الحسن وقد أدنى كذلك
 فتح البرعوم من بالندى وبأنفاس رماداً أوقداً^(١)
 منه الحان لأوتار القريض . وشقوق الشتر بالبيت الأريض^(٢)
 ثم غنى فشهدت عالما
 أسمع الألعان جمرأ مضرما

لحن سُروش

أخشى عليك ركوب بحر من مَراب
 وكما ولدت العُمَر تطوي في الحجاب^(٣)
 لِمَقْخَرٍ كحل عن جفوني أغسله
 فأرى مصير الشغب في هذا الكتاب^(٤)
 في كل صوب انطواء لآخ لي
 للبزق كان الموت في جوف اللحاب
 في الغرب كنت وقلما عيني رأت
 من كان ذا لحن تجافى عن حساب
 دُنياك فاملك إن أردت القرب لك
 الروض خذ يا عطره في الماء ذاب^(٥)

(١) البرعوم : الزهرة قبل أن تفتح .

(٢) الستر هنا كسوة الكعبة . والأريض : المعجب للمين .

(٣) يريد ذلك الغشاء الذي يكون على الوليد حين يولد ويعده . جواباً كذلك الحجاب الذي يحجب المعرفة .

(٤) الفخر هو الرازي صاحب تفسير القرآن .

(٥) في هذا تلميح إلى شطر من بيت من ماثورات الصوفية وترجمته (إنه في وأنا فيه كالعطر =

مَا أَنْتَ إِلَّا لِفَتَا يَا زَاهِدًا
 أَنْيَيْتَ طُوفَانًا تَوَارَى فِي الْحَبَابِ^(١)
 اللَّحْنَ تَسْمَعُ مَا تَسْرِى مِنْ مُطَرِّبِ
 حُورِيَّةٍ قَدْ عُرِّبَتْ تُبْكِي الرُّبَابِ

الرحيل إلى وادي يرغميد المسمَّى عند الملائكة وادي الطواسين^(٢)

<p>قَوْلُهُ لِلطَّامِنِينَ السَّلَسِيلِ قَوْلُ « اللَّهُ هُوَ » حَبَاها حَرْ جَعَرَ^(٣) كَانَ لِأَفْلَاكِ مِنْهَا نَفْضَةٌ وَبِهَا الْمُلْكُ الْفَقِيرُ وَاجِدٌ ثُمَّ يَصْحُو الْقَلْبُ كَالرُّوحِ الْأَمِينِ^(٤) سَارِقُ الْقَلْبِ وَإِبْلِسُ النَّظَرِ رُوحُهُ مِنْ سِخْرِ قَوْلِ جَرْدِهِ وَضُرُوبُ الْكُفْرِ حَتَّى الْأَنْبِيَاءِ^(٥)</p>	<p>إِنَّمَا الرُّومِيُّ لِلْعِشْقِ الدَّلِيلِ قَالَ : « إِنَّ النَّارَ إِنْ كَانَتْ بِشَعْرِ نَغْمَةٍ مِنْهَا الْهَشِيمُ رَوْضَةٌ وَعَلَى الْحَقِّ الْعَلِيِّ شَاهِدٌ وَبِهَا دَفَقُ الدِّمَاءِ فِي الْوَتِينِ نَازِمُ الْأَشْعَارِ بِالسُّخْرِ اشْتَهَرَ شَاعِرُ الْهِنْدِ إِلَهُ أَيْدِهِ عَلَّمُوا الشُّعْرَ أَفَانِينَ الْغِنَاءِ</p>
---	--

(في ماء الورد) .

(١) الْحَبَابُ : الففقايع التي تعلقو الماء والشراب .

(٢) الطواسين : جمع ط . س ، وهما حرفان في أوائل سور قرآنية ، وهي : النمل ،
 والشعراء ، والقصص . وللحلاج كتاب الطواسين . وقد جعل إقبال هذا الاسم اسماً
 للمكان الذي تتجلى فيه صفات الأنبياء .

(٣) حباها : حبا فلاناً كذا وبكذا : أعطاه .

(٤) الوتين : عرق في القلب . والروح الأمين : جبريل .

(٥) الأفانين : الأساليب والأجناس . والضروب : الأنواع والأشكال .

لفظهم ما فيه شيء من ألم
إنَّ خيراً من لحونِ أفسدت
يَبْحَثُ الشَّاعِرُ طَوْعاً بِالسَّليقة
لَيْسَ إِلَّا القلبُ في صدرِ الشُّعوب
نَقَشَ الشُّكْرُ ونازَ عالِما

في الأنام يُخلَقُ الرُّوحُ السُّويّا
ورثَ الشَّاعِرُ من ثَمِّ النُّبِّيا

سَرَّها لا تطوِّ عن مثلي بِقُوَّة
والعصوْرُ كُلُّها مِيزَاتُها
كُنَّا في حقلنا زرعٌ لها
بجناحِ الرُّوحِ فِكْراً علَّقت^(١)
تقرأ النُّورَ وتتلُّو النَّازعات^(٢)
منكِروها قد تجافوا عن كمال^(٣)
غضبُ الله نراها صولة
فبها شيئاً رأيتُ ما رأته
لترى ما ليسَ بذُّ أن ترى^(٤)

في جدارٍ من صخورٍ بالقمر
للطَّسواسمينِ أطلَّ منك النُّظر

ويطيِّرُ بجناحِ جبرئيل

يعرفُ الشُّوقُ الطريقَ لا الدَّلِيل

(١) أضغت الرؤيا : أتى بها ملتبسة .

(٢) الحطيب : الكثير الحطب .

(٣) الرُّوح : جبريل .

(٤) في الأصل : أن سورة النجم ، والنور ، والنَّازعات من شفة النبوة .

(٥) تجافى عن الشيء : مال عنه .

(٦) يرغميد : اسم جبل في القمر .

لَبْعِيدُ عِنْدَهُ كَالْخُطُوتَيْنِ فِي الْمَقَامِ يَشْتَكِي مِنْ فَرْطِ أَيْنِ^(١)
 مِثْلُ نَشْوَانٍ قَصَدْتُ ذَا الْجَبَلِ وَرَأَيْتُ مَا رَأَيْتُ مِنْ قُلَلِ^(٢)
 أَيُّ قَوْلٍ لِي ؟ وَمَا وَضَفِي لَهُ ؟ هَذِهِ الْأَنْجُمُ طَافَتْ حَوْلَهُ
 عِنْدَ أَهْلِ الْفَرْشِ ضَاءٌ فِي الضَّمِيرِ عِنْدَ أَهْلِ الْعَرْشِ فِي الْجَفْنِ الْبَصِيرِ
 عَيْنُنَا وَالْقَلْبُ رَبُّ قَدْ حَبَانَا لَا كُتْنَاهُ السُّرُّ فِي الدُّنْيَا هَدَانَا
 سِرُّ دُنْيَانَا سَأْبَدِي مِمَّنْ سُدِلُ^(٣)
 وَحَدِيثِي عَنْ طَوَاسِينِ الرُّسُلِ

طَاسِينِ جَوْتَامَا بُودَا^(٤) تَوْبَةُ الرَّاقِصَةِ اللَّعُوبِ

جَوْتَامَا

الشُّمُولُ وَالْحَبِيبُ ، لَيْسَ شَيْئًا^(٥)
 بَلْ وَحَوْرٌ فِي الْجَنَانِ ، لَيْسَ شَيْئًا
 كُلُّ مَا أَنْتَ تَسْرَاهُ سَوْفَ يَفْنَى

(١) فرط الأين : شدة التعب .

(٢) القلل : جمع قلة ، وهي القمة .

(٣) السُّدُلُ : السُّرُّ .

(٤) التزمنا في هذه المنظومة ما يعرف في الشعر الفارسي بالرديف ، وهو كلمة أو عبارة ترد في نهاية كل البيت على أن تسبقها قافية موحدة ، وجعلنا القافية في الترجمة نفس القافية في الأصل (المترجم) .

(٥) الشُّمُولُ : الخمر .

الْفَلَا وَالشَّاطِطَانِ ، لَيْسَ شَيْئاً^(١)
 عَلَّمَ غَرَبَ حَكْمَةً لِلْمَشْرِقِ
 مَعْبِدٌ وَالطَّائِفَانِ ، لَيْسَ شَيْئاً^(٢)
 ذَاتَكَ اذْكُرْ وَامْضِ وَاعْبُرْ
 أَنْتَ هَذَا ، الْعَالَمَانِ ، لَيْسَ شَيْئاً
 هُذِبَ عَيْنِي لِي طَرِيقاً شَقَّهَا
 كُلُّ مَا فِيهَا عِرَانِي ، لَيْسَ شَيْئاً
 دَعَاكَ مِنْ غَيْبٍ فَمَا وَهَمَ بِشَيْءٍ
 لَا تَكُونُ أَوْ تَكُونُ ، ذَاكَ شَيْءٌ^(٣)
 لَا تَكُونُ جَنَّةً كَالْجَنَّةِ
 لَوْ أَهْلُ الْجِنَانِ ، ذَاكَ شَيْءٌ^(٤)
 رَاحَةَ الرُّوحِ طَلَبْتَ ، مَا تَسَاوِي !
 فِي حَيْبٍ دَمَعْتَانِ ، ذَاكَ شَيْءٌ
 نَظَرَةٌ وَالْعَيْنُ مَكْرَرٌ وَالتَّغْنِي
 يَا لِهَذَا مِنْ حُسْنٍ ، مِنْهُ شَيْءٌ^(٥)
 كَانَ خَيْراً فِي الْمَعَانِي ، ذَاكَ شَيْءٌ

-
- (١) الْفَلَا : جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة .
 (٢) ذَكَرْنَا الطَّائِفَ بِالْمَعْبِدِ فِي الْمَثْنَى مَعَ إِرَادَةِ الْجَمْعِ (المترجم) .
 (٣) كَانَ هُنَا تَامَةً .
 (٤) يَرِيدُ الشَّاعِرُ لِيَقُولَ : إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا مَأْوَى لِلْمُتَّقِينَ جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى عَمَلِ الصَّالِحَاتِ .
 (٥) الْحُسْنُ : الْحَسَنُ .

الرَّاقِصَة

لَا تَزِدْ أَحْزَانَ قَلْبِي مَا لِقَلْبِي مِنْ قَرَارٍ
 زِدْ جَمَالَ الشَّعْرِ ثَنِيًّا ، يَا لَهُ لَيْلُ السَّرَارِ^(١)
 فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ مِنِّي . مَتَكَ أَنْوَارُ التَّجَلِّيِ
 فَأَذَقْتَ الشُّمْنَ وَالْبَذَرَ مَرِيرَ الْإِنْتَظَارِ
 إِنَّ ذَوَاقَ الْحُضُورِ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ عِشْقًا
 يَخْدَعُ الْعِشْقُ فُؤَادًا مِنْ مُنَاهُ فِي الْخُمَارِ^(٢)
 فِي صَفَاءٍ إِنَّ تَرْتُمْتُ بِلَحْنٍ لِي جَدِيدٍ
 عَادَ طَيْرُ الرِّيَاضِ عَوْدَ مُشْتَاكِ الدِّيَارِ
 طَبِيعِي السَّامِي وَهَبْتَ حُلًّا عَنْ سَاقِي قِيودي
 خِرْقَةً مَهْنِي لَتَحْظِيَ بِقَشِيبٍ مِنْ إِزَارِ^(٣)
 أَيُّ مَعْنَى لِلْكَلامِ ؟ وَالصُّخُورُ تَحْتَ فَاسٍ
 يَحْمِلُ الْعِشْقُ الْجِبَالَ ثُمَّ يَمْضِي فِي انْحِدَارِ^(٤)



طاسين زرادشت^(٥)

أهرمن يختبر زرادشت

مَا خَلَقْتُ مِنْكَ نَايَاتِ الْبُكَاءِ وَرَبِيعِي مِثْلُ شَهْرِ فِي الشِّتَاءِ^(٦)

(١) الثني : كلُّ شيءٍ بعضه على بعض . وليلةُ السَّرَارِ : آخر ليلة في الشهر .

(٢) الخمار : الضُّدَاعُ مِنْ شِدَّةِ الشُّكْرِ .

(٣) الخرقه : ثوب الزاهد . والقشيبُ : الجديد . والإزارُ : الملحفة وكل ما يستر .

(٤) يمضي في انحدار : أن يمضي في سرعة وخفة .

(٥) زرادشت : هو نبيُّ الفرس القديم الذي اعتقد وجود إله للخير هو أهورا مزدا وآخر للشر

يسمى أهرمن . وجاء قومه بكتاب يسمى : الأبتاق .

(٦) النايات : جمع ناي .

أَنَا فِي الدُّنْيَا أَعَانِي صَوْلَتِكَ بِدُمَائِي قَدْ رَسَمْتَ صُورَتَكَ
 إِنَّ مِنْ سَيِّئِكَ لِلْحَقِّ الْحَيَاةَ
 وَالْيَدُ الْبَيْضَاءُ لِي مِنْهَا الْمَمَاتُ^(١)

أَخَذَ بِالْعَهْدِ مِنْ رَبِّ خَيْلٍ وَمِزَاجُ الرِّيحِ فِي الْكَامَاتِ سَمٍ
 إِنَّ نُوحًا لَمْ يَجْزِ غَيْرَ الدُّعَاءِ
 اعْتَزَلَ فِي الْغَارِ وَازْحَلَ عَنْ دِيَارِ
 وَبَعِينَ اجْعَلِ التُّرْبَ السَّذْهَبَ
 كَالْكَلِيمِ فِي الْجِبَالِ كُنْ شَرِيدًا
 وَتَنَاسَ شَيْمَةً لِلْأَنْبِيَاءِ
 يَمِينِ مَنْ هَانُوا تَهْوُونَ الْفِطْرَةَ
 الْوَلِيِّ إِنْ شَأَى يَوْمًا نَبِيًّا
 ضَلَّ مِنْ وَفَقَ هَوَى نَفْسٍ عَمِلَ^(٢)
 وَلَهُ الْمِنْشَارُ وَالذُّودُ النَّعَمُ^(٣)
 وَالذُّعَاءُ كَانَ يَخْلُوا مِنْ غَنَاءِ^(٤)
 نَحْوَ أَهْلِ الثُّورِ عَنْ مَعْضٍ اخْتِيَارِ
 وَيَنْجُواكَ السَّمَاءُ مِنْ لَهَبٍ^(٥)
 وَاخْتَرِقَ مِمَّا رَأَتْ عَيْنٌ بَعِيدًا^(٦)
 دَعَاكَ مِنْ فَرْطِ الذُّكَا وَالذُّهَاءِ
 وَالزَّمَادِ فِي الرِّيحِ الْجَمْرَةِ
 لِلْهَوَى كَانَ النَّبِيُّ دَاءَ عَصِيًّا^(٧)

قُمْ وَفِي عُشٍّ انْفِرَادٍ عَزَلَتِكَ
 وَلَتَدْعُ هَذَا التَّجَلِّيَ خَلُوتِكَ



- (١) يُلَمِّحُ إِلَى طُورِ سَيْنَاءَ ، وَإِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ طه : ﴿ وَأَضْمَمْنَا يَدَكَ إِلَى جَنَابِكَ فَقَرَّبْهُ مِنْ عَيْنِنَا غَيْرَ مَسْمُومٍ ﴾ [طه : ٢٢] .
- (٢) الْخَيْلُ : الْمَخْبُولُ الَّذِي اخْتَلَطَ عَقْلُهُ .
- (٢) الْإِشَارَةُ إِلَى تَعْذِيبِ زَكَرِيَّا بِالْمِنْشَارِ ، وَإِيُوبَ بِالذُّودِ .
- (٤) الْغَنَاءُ : الْكَفَايَةُ .
- (٥) التُّرْبُ : التَّرَابُ ، وَالتَّجْوَى : الْمَسَاوِي .
- (٦) يَرِيدُ قَوْلَهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ طه : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ رَأَاهُ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا تَلْقَى سَاءَ الْيَوْمِ أَمَّا مَوْسَى فَهُوَ عَلَى الْغَارِ هَدًى ﴾ [طه : ٩ و ١٠] .
- (٧) شَأَى : سَبَقَ وَكَانَ أَفْضَلَ . وَالذُّعَاءُ الْعَصِي : هُوَ الَّذِي لَا شِفَاءَ لَهُ .

زرادشت

الضياءُ البَحرُ والسُّطُّ الظُّلم
 في فؤادي الموجُ دُفَاعٌ يَمُورُ
 صورةٌ ما كان فيها مِنْ طِلاءٍ
 وإلهُ الشرِّ رَسَامُ الدِّماءِ^(١)
 أظهرِ الذَّاتَ ، قهاتيك الحياه
 واختبارُ المرءِ ما أدت يده
 يُنضِجُ الذَّاتَ التردِّي في البلاء
 عن قضاءِ الله قد تمحو الخفاء
 رَجُلٌ اللهُ رأى به الله ذَاتَه
 في دماءِ خرَّ كي يُنهي حياته
 بالدماءِ العِشقُ يَسْمُو وَيَسُودُ
 وله العِبدانُ منشَارٌ وَعُودُ^(٢)
 في سبيلِ الله ما يجري يَطِيبُ
 مرحباً بالصَّدِّ إن صَدَّ الحَيِّبُ
 لا ترى عيني التَّجَلِّي وَخَدَهَا
 تَرْمُقُ الحُسْنَ عِوْنَ حَوْلَهَا^(٣)
 خلوةُ الإنسانِ ؟ وَجَدُ سَعَرَا
 إنَّها البَحْثُ ، وَجَنَعٌ قَدْ يُرى
 خلوةٌ في العِشقِ مِنْ شَأْنِ الكَلِمِ
 إنَّ تجلَّى كانَ كالملكِ العظيمِ^(٤)
 خلوةٌ أو جَلْوَةٌ في القلبِ وَقَدْ
 ومَقَامٌ أو هما حالٌ وَوَجَدُ^(٥)
 ويلوحُ فيهما الرَّحْمَنُ آيَةً
 بدأ الأولى وذِي الأخرى نَهَايَةً^(٦)

- (١) ارتطم : ازدحم ، وتراكم .
 (٢) الدُّفَاع : معظم السيل والموج . ويمور : يضطرب .
 (٣) يقول : إنَّ « أهرمن » إله الشر رسمها بالدماء .
 (٤) يقصد تعذيب المسيح عليه السلام بصلبه ، كما يعتقد المسيحيون ، وتعذيب زكريا عليه السلام بالمنشار .
 (٥) لا يريد أن يرى الحسن وحده ، بل في جماعة .
 (٦) الكلیم : موسى عليه السلام .
 (٧) الوَقْدُ : النار .

النبؤات ، كما قلت ، المَلَل ، يخلق الإنسان عَشْقُ إن كَمُلَ
 حَبْذا رَكُوبٌ ولله الميسر^(١)
 ويدنيانا كأرواحٍ نطير

طاسين المسيح

(رؤيا تولستوي الحكيم)

<p>فيه وإد ما به رفَّ النبات^(٢) بسماء الشمس ظمأى فوق نار وهو يجري دافقاً مثل المجرة^(٣) زاخر طام وذو موج حنيق^(٤) جازعاً وهو يكاد يفرق ظامى ، من زئبق هل يشرب لحظها يأسر ألف سارية^(٥) شرها الخير وكان الخير شراً ما بكاك بل وموصول التحيب واسمي افرنكين واسم الساحر^(٦)</p>	<p>شامخ قد ضم أنواع الممات فيه نور البذر قار من غبار والغدير زئبق قد قار فوره لا ارتفاع لا انخفاض في الطريق صاح شاب قد حواه الزئبق منه ذاك الغيم ما إن يقرب وعلى الشط رأيت غائية علمت من مخرها العباد كُفرا يا ترى من أنت قلت فلتجيبني إن في عيني مخر السامري</p>
--	--

(١) الركب : ركبان الخيل ، أو الإبل .

(٢) الشامخ : المراد به الجبل . ورفَّ النبات : اهتز نضارة .

(٣) الغدير : النهر . والمجرة : مجموعة من النجوم تشبه النهر .

(٤) الطامي : المعتلى . والحنيق : الشديد الغضب .

(٥) الغاية : الحسناء . والسارية : الجماعة .

(٦) افرنكين : من فرنكي في الفارسية بمعنى الإفرنجي في العربية . وإقبال يجسد التفرنج على أنه أفسد المسيحية الأولى . أما الإنسان المغمور في ماء النهر فهو رمز إلى الخائن

الجليدُ فجأةً كأنَّ الفَديرَ
رَدَّدَ الشُّكوىَ ومنَ قلبٍ وِجَعٍ
قالتَ افرنگين : فكَزَ فِكْرُهُ
إنَّما عيسى سراجُ الكائناتِ
اذكُورُنَّ بيلاطوسَ الممتقعِ
لذَّةَ الإيمانِ في رُوحِ حُرْمَتِ
ما عَرَفَتِ الوحيَ والجسمَ اشترِيتِ
ولذا فالرُوحُ أموالُ فَقَدْتَ ١

وَمِنْ الحسَناءِ تجريحُ الملامِ
قالَ : « من خدعك ، فالزُّورُ الجليّ
ذلُّ عقلٍ ذلُّ دينٍ من فسوقك
الودادُ منك ضُرٌّ خفيّةُ
أنتَ بالماءِ وبالطينِ عَقَدْتَ
حكمةَ الإنسانِ حلَّتْ مشكلاتُ
ما لدى المُنصِفِ قطُّ أيُّ رَبِّ
المسيحُ أسكَنَ الرُوحَ البَدَنُ

كَانَ في قلبِ الفتى حرُّ الحُسامِ
باعَ شيخٌ أمّةً أو بَرَهَمي
هانَ حتّى العشقُ من سَومٍ بسوقك ٢
مِنكَ هذا الحَقْدُ موثٌ بَغْتةِ
صلةً ، والعَبْدُ مِنْ رَبِّ سَلَبْتَ
وبها چنگيزُ صِرْتَ في غِزاةِ
في ذنوبٍ لك فَاقَتْ كُلَّ ذَنْبِ
أنتَ من أذَرَجْتَ ميتاً في الكَفَنِ ٣

الذي خانَ المسيحَ عليه السلام .

(١) الكَبِيرُ : المحطَّم .

(٢) وِجَعٌ : بمعنى تَأَلَّمَ ، ومَرِضَ .

(٣) اللَّعَاحُ : المثالي . يقول : إنَّ نوره يغمُرُ العالمين .

(٤) بيلاطوس : هو من يعتقِدُ المسيحيون أَنه القاتلُ إني بريء من دم المسيح .

(٥) اللجين : الفضة .

(٦) الفسوق : ترك أمر الله وعصيانه . السُومُ : من سام السلعة ، أي : عرضها وذكر ثمنها ، فكان المنافقون يتخذون الدين سلعةً لتجارته .

(٧) يريدُ ليقول : إنَّ المسيحَ عليه السلام أحيَا الموتى .

ما صنعنا كان من ناسوتِهِ كَانَ مَا لِلْقِسْمِ مِنْ لاهوتِهِ
بمما لك نعيًا قاطبة
لا تموتي ، لتري ما العاقبة ،^(١)

طاسن محمد (ﷺ) (نياحة أبي جهل في حرم الكعبة)

زارث روح عمرو بن هشام - زعيم الجاهلية والنخوة العربية - مكة ، وقد
أصبحت بلد الإسلام والتوحيد ، وطهر بيت الله للطائفين والقائمين والركع
السجود ، وحُرِّمت عبادة الأصنام والأوثان الجاهلية « فلا اللات ، ولا مناة ،
ولا هبل » ولا العزى ، ولا أساف ، ولا نائلة^(٢) ، وقام المؤذن على شرفات
الحرم ينادي بأعلى صوته خمس مرات : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن
محمدًا رسول الله » .

وذهبت نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالآباء ، وأصبح الناس يعتقدون أنهم من
آدم ، وآدم من تراب ، فلا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي إلا
بالتقوى ، وسمع الناس يتلون : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وأصغى إلى الناس في غدوهم ورواحهم ، فلم يسمعهم يفتخرون ببلد أو
نسب ، ووطن أو شعب ، وطاف في الناس ، فلم ير أحداً يعير أحداً بأمه ، أو
سواده ، أو حرفته ، أو حبشيته ، أو عجميته ، ويتناول بعربيته ، أو قرشيته ،

(١) قاطبة : جميعاً .

(٢) كان أكثرها أصنام قريش ، والتي كانت لغيرها كانت قريش تعظمها ، راجع ابن هشام
وابن الكلبي .

وغشي مجالس الناس ، فلم يسمع مفاضلة بين عدنان وقحطان ، وبين ربيعة ومضر ، وبين بني عبد مناف وبين عبد الدار ، وبين بني هاشم وبني عبد شمس ، ولا مساجلة في مآثر الجاهلية . وأيام العرب ، ورأى الناس بالعكس يرجعون إلى عبد أسود . قد فاق الناس في علمه وفقهه ، ويلتقون حوله ، ويصدرون عن رأيه .

ودقق في حديث الناس ، وآدابهم ، وعاداتهم ، وأخلاقهم ، وسلوكهم ، وعقيدتهم ، فلم ير عرفاً جاهلياً ، أو نزعة عربية ، أو نعة قومية ، يتعلق بها سيد بني مخزوم ، ويقرّ عيناً ، ورأى أنّ الحياة القديمة قد نُسخت وأبطلت ، وولد مجتمع جديدٌ قام على أساس من العقيدة ، والخلق ، والفضيلة ، والتقوى ، وتغيّرت الموازين والقيم ، وتغيّرت عقول الناس ونفوسهم ، وسُمِعَ يُنشد في حزينٍ واستعجاب :

فما النَّاسُ بالنَّاسِ الذي عهدتهم ولا الدَّارُ بالدار التي كُنْتُ أَهْرَفُ
لقد أشكلت الأمور على سيد بني مخزوم ، وأبهمت مكة عليه ، وهو ابنُ البلد ، وسيّد من ساداتها ، فلولوا البيت ، ولولا الحطيم ، ولولا الحجر ، ولولا زمزم ، ولولا المكان ، الذي كان يجلس فيه مع سادة قريش ، ويمتحن فيه ضعفاء المسلمين : لأنكر مكة . وأنكر الوادي ، ورأى أنّه قد ضلّ الطريق .

لقد كان يرى في الدّين « الجديد » الذي جاء به محمد ﷺ الخطر والضرر على الدين الذي قام على تقديس القومية الضيقة ، والعصبية القرشية ، والنظام الجاهليّ الذي يقوم على النسب والوطن ، وتفضيل الدّم والعرق ، ويرى العالم كلّهُ في حدود « المملكة القرشية » التي قامت في مكة ، ولا يُعنى بخارج هذه الحدود .

ويرى الفضل كلّهُ في العرب ، فغيرهم عجمٌ وعلوج ، لا يستحقّون مدحاً ،

ولا يستحقون رحمة ، ولا يستحقون عدلاً ، لقد كان يرى كل ذلك ويتوقعه ، وكان من أشد الناس حماسة في الدفاع عن الجاهلية ، وأصدق الناس فِراسة في معرفة غايات الإسلام ، ولكنه على بعد نظره وذكائه ، لم يكن يعرف أنَّ الأمر يبلغ بالناس هذا المبلغ ، وأنَّ الإسلام يؤثر في الناس هذا التأثير ، وأنَّ الجاهلية تطرد من عاصمتها ومهداها هذا الطرد الشنيع .

هاجت النخوة الجاهلية في أبي جهل ، وثارَت روحه ، ورثي متعلقاً بأستار الكعبة ، يستغيث على محمد ﷺ وينوح ، ويقول : ﴿ إِنَّ قُلُوبَنَا - معشر الجاهليين - قروحٌ وجروح ، تسيل دماً مما صنع محمد ، فقد أطفأ نورَ الكعبة ، وحطَّ من مكانتها وقدرها ، لقد نعى قبصرَ وكسرى ، وتنبأ بزوال الملوك والسلطين ، ونادى بأعلى صوته : ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [يوسف : ٤٠] و ﴿ إِنَّكَ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الأعراف : ١٢٨] واغتصب شبابنا ، فثاروا علينا ، وفُتِنُوا به وبدينه الجديد ، ساحرٌ يسحر بكلامه قلوبَ الناس وعقولهم ، وهل كفر أعظم من قوله : « لا إله إلا الله » ، وإنكارُ جميع الآلهة التي آمن بها الناس ، وعبدوها في جميع الأعصار والأمصار ، إنَّه طوى بساط دين الآباء ، وفعل بآلهتها الأفاعيل ، لقد جعل اللآت ، ومناة جذاذاً بضرباته الموجعة ، فليت العالم ينتقم منه ، ويأخذ ثأر الآلهة ، يا حجباً ! لقد جرَّد القلوب عن معبود مشهور يُرى ويُلمس ، وربطها بمعبود غير مشهود لا يُرى ولا يُلمس ، حتى كان هذا الإيمان بالغيب أقوى وأعمق من الإيمان بالمشهود الموجود ، هل لهذا الإيمان أساس ؟ وهل لما لا يُرى وجود ؟

أليس من الجهل والضلالة ، والعمى والبلاهة سجودٌ لغائب ؟ هل يجد الإنسان لذَّةً وحلاوةً في ركوع وسجودٍ أمام غائب ؟

إنَّ دينه حتفٌ للوطنية والقومية ، إنَّه من قريش ، ولكنه لا يفضل حراً على عبد ، وغنياً على فقير ، وعربياً على عجمي ، يجلس مع مولاة على مائدةٍ واحدةٍ ، ويأكل معه ، أسفاً إنَّه لم يعرف قدر العرب الأحرار ، وأكرم العلوج

والعبيد السود ، لقد اختلط الأحرار البيض بالعبيد السود ، واختلط الكريم بالثميم ، والجميل بالذميم ، وذلّ العرب ، وذلّ بنو قصي .

إننا لا نشك في أنّ هذه المؤاخاة ، التي يحدث عليها محمد كثيراً ، مبدأ عجمي ، وقد تحقق لدينا أنّ سلمان مزدكيّ ، وأنّ ابن عبد الله خُذع به ، وجرّ البلاء والشقاء على الأمة العربية ، لقد جهل هذا الفتى الهاشمي قيمته وشرفه ، لقد أعمته هذه الصلاة التي يصلّيها ، هل لعجمي أصل عدنانيّ ، وهل لأعجمي نطق عربيّ ولهجة مصرية ؟ عجباً لعقلاء العرب ! هبوا من نومكم ، اغلبوا هذا الكلام الذي يسمّيه محمد وحياً ، بكلامكم البليغ الساحر .

ولماذا لا تنطق أيها الحجر الأسود ! ولا تشهد بصدق ما نقول ! ولماذا لا تقوم يا هبل ! يا إلهنا الأكبر ! ولا تتزع بيتك من هؤلاء الضبابة ، أغرّ عليهم ، وعكّر عليهم الحياة ، أرسل عليهم ريحاً صرصراً عاتية ، تجعلهم أعجازاً نخلٍ خاوية ، يا مناة ! يا أيها اللات ! فبالله ! لا ترحلنا من ديارنا ، وإن رأيتما الرحيل فبالله ! لا ترحلنا من قلوبنا ، وإن كان لا بدّ من الرحيل ، فلا تعجّلا ، وأمهلانا أياماً نتمتع بكما ،^(١) .

وإليك هذه الأبيات المترجمة بالعربية شعراً ، يقول فيها إقبال :

صدرنا ناراً تلظت من محمد	فسراج الكعبة الوضاء أحمّد
وبهلك الزوم أو كسرى تغنى	سلّب الفتيان طراً من يدينا
ساحر والقول منه ساحر	ويقول « لا إله » كافر !
وبساط دين آباء طسوى	وأذاق ما عبدناه التوى ^(٢)
حطّم اللات فكانت كالفئات	منه فلتقتصر كل الكائنات ^(٣)

(١) من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الندوي ، صفحة ١٦٩ - ١٧٤ .

(٢) التوى : الهلاك .

(٣) الفئات : كسرة الشيء بعد أن يتفتت .

نَاطَ مِنْهُ الْقَلْبُ بِالْغَيْبِ الْكَثِينِ وَمَعَ الْحَاضِرِ بِالتَّخْرِ الْمُبِينِ^(١)
وَيَعِيبُ الْمَرءُ لِلْغَيْبِ النَّظَرَ أَيْنَ شَيْءٌ لَيْسَ يَبْدُو لِلْبَصَرِ^(٢)
الضَّرِيرُ مَنْ لَغِيبٍ يَشْجُدُ يَا لِهَذَا الدِّينِ أَعْمَى يُعَدُّ
مِمَّا الشُّجُودُ وَلَرُبُّ لَا يُخَدُّ
الصَّلَاةُ مَا ارْتَضَاهَا قَطُّ عَبْدٌ !

فِي قَرِيشٍ بَتْ أَصْلًا لِلنَّسَبِ يَا لَدِينٍ مَنَكْرٌ فَضَّلَ الْعَرَبِ^(٣)
الْوَضِيعُ كَالرَّفِيعِ عِنْدَهُ لِلْخِوَانِ فَهَوَ يَدْعُو عَبْدَهُ^(٤)
مَا دَرَى فَضْلًا لِأَحْسَرَارِ الْعَرَبِ وَدَّ أَحْبَاشٍ غِلَاطٍ قَدْ خَطَبَ^(٥)
وَلَحْمِ الْقَوْمِ بِالسُّودِ اجْتِمَاعِ يَا لِعَمْرِي عَرُّنَا هَذَا مُضَاعِ
الْمَسَاوَاةُ أَرَاهَا أَعْجَمِيَّةِ دَانَ سَلْمَانَ بِدِينِ الْمَزْدَكِيَّةِ^(٦)
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَخْدُوعٌ بِهِ فَاذَاقَ الْعُرْبُ مِنْ تَخْرِيهِ
وَبَنِي هَاشِمٍ جَافَى قَوْمُهُمْ بِالصَّلَاةِ فِي ظَلَامٍ عَيْنُهُمْ !
أَيْنَ مِنْ عَدَنَانَ أَصْلُ الْأَعْجَمِيِّ أَيْنَ مِنْ مَسْجَبَانَ صَمْتُ الْأَبْكَمِ^(٧)
لِخَوَاصِرِ الْعُرْبِ عَيْنٌ لَا تُرَى قَمُ زَهِيرٌ شَقٌّ مَرْكُومَ الثَّرَى^(٨)

(١) الكنين : المستور .

(٢) يقول : إن الشيء الكائن وحده هو الذي يشاهد .

(٣) بت : قطع .

(٤) الخوان : ما يوضع عليه الطعام .

(٥) خطب الوُدَّ : طلبه .

(٦) لم يكن الصحابيُّ الجليل سلمان الفارسي على الديانة المزدكية قبل إسلامه بل على الزرادشتية . والمزدكية تدعو إلى المشاع في الأموال والنساء . ولكن الشاعر هنا يبالغ في التهكم بأبي جهل وجهالته ، فيقول إنه توهم أنَّ النبي ﷺ عرف المساواة عن سلمان ، وهو يُجري على لسان أبي جهل من الكلام ما يؤيد أنَّ أبا جهل من الكافرين .

(٧) مسجبان مضرب المثال في الفصاحة عن العرب .

(٨) هو الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى من أصحاب المعلقات ، وجاء في سيرته أنه رأى قبل موته بعام كأنه رفع إلى السماء ثم انقطعت به الحبال . وفسر رؤياه لبنية =

أنت في صحرائنا خيرُ الدليل

قُمْ وحطّم سِخْرَ لَحْنِ جِبْرِئِيل

قُلْ وَحَدَّثْنَا طَوِيلًا يَا حَجَرَ ! ما رأينا منه ؟ واصدُقنا الْخَبَرَ

قَابِلَ الْأَعْدَارِ أَنْتَ يَا هَبْلَ عَنْكَ ذُو مَنْ دِيننا ما إِنْ عَقَلَ

رَأْسُهُمُ الْقَوْلُ لَذِيبٍ أَوْ هَضُورِ وَلَيْكُنْ فِي نَخْلِهِمْ مُرُّ الثُّمُورِ^(١)

صَرَصَرًا واجعلْ هَوَاءَ الْبَادِيَةِ إِنَّهُمْ أعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ

لَا تُدُومِي ، لَا تُرِيْمِي يَا مَنَاةَ أَنْتَ مَا فِينَا قُلُوبٌ خَافِقَاتُ^(٢)

تَسْكُنَانِ بَيْنَ جَفْنَيْنَا الْجِدَاقَا

مَهْلَةٌ إِنْ كُنْتَ أَزْمَعْتَ الْفِرَاقَا^(٣)



= بقوله : سيكون بعدي أمرٌ يعلو من اتبعه فخذوا بحظكم منه . وما حال الحول حتى

يُؤْمِتَ النَّبِيَّ ﷺ . والمركوم : الذي بعضه فوق بعض .

(١) الهصور : الأسد . والثُّمُور : جمع تمر .

(٢) اللَّات وَمَنَاة : من الأصنام التي كانت العرب تعبدُها في جاهليتها . لا يريم : لا يفارق مكانه .

(٣) الجِدَاق : جمع حَدَاقَة ، وهي معظم سواد العين . والشَّطْر الثاني من البيت مما اقتبسه

إقبال عن شاعرٍ عربي .

ایکمال اپنے نرسہ عبادیہ اقبال
کے ساتھ

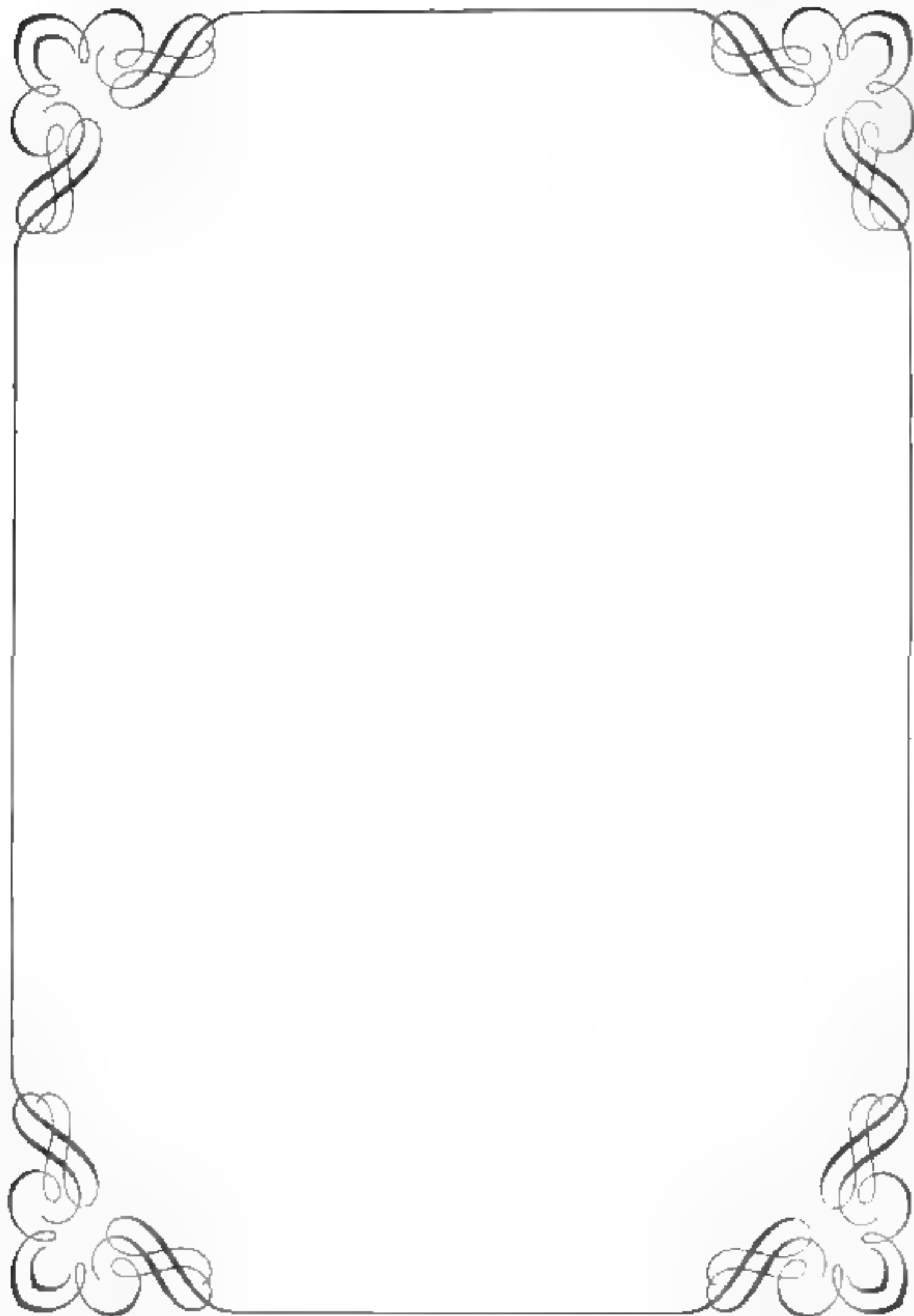


العلامة محمد اقبال مع نجله جاوید

القسم الثاني

فلكُ عطار





ساعة مع السيّد جمال الدين الأفغاني^(١)

خرج الدكتور محمد إقبال مع شيخه ومربيّه الروحي والفكري - الشيخ جلال الدين الرومي - في سياحة روحية فكرية ، ومرّ في جولاته - الخيالية - بمنازل كثيرة ، التقى فيها بشخصيات ماضية ، من أصحاب الديانات والفلسفات ، وقادة الفكر والرّجالات ، وتحدّث معهم في مسائل كثيرة .

ومرّ في رحلته بمنزل بكر ، لم يظأه آدميٌّ بقدمه ، وظهرت فيه الطبيعة بجمالها ، وتمثّلت فيه الدّنيا بسهولة ، وجبالها ، وميادينها ، وأزهارها ، وعاش منذ آلاف السنين في عزلة من المدنية والصناعة الإنسانية ، وأعجبَ الشاعر جمالُ الطبيعة ، ورقة الهواء ، وخريفُ الماء في هدوء الصّحراء .

وأقبل إلى شيخه الرّوميّ ، فقال وقد قرّع أذنه صوتٌ عذبٌ رقيق : ما لي أسمع الأذان ، ولا أرى أثر إنسان ؟ فهل أنا واهمٌ ، أم حالمٌ ؟

قال الرّوميّ : إنه منزلُ الصّالحاء والأولياء ، وبيتنا وبينه نسبٌ قريب ، فقد قضى فيه أبونا آدمٌ يوماً أو يومين ، لمّا هبط من الجنة ، قد شهدَ هذا المكانُ زفرائه وأثاته في السّحر ، وبلّت دموعه التراب ، يزوره أصحاب المقامات الرفيعة ، كفضيل ، وأبي سعيد ، والعارفون الكبار ، كجنيد ، وأبي يزيد ،

(١) هو جمال الدين الأفغاني ، ذلك المصلح الدّيني ، والسياسي ، والاجتماعي ، ورجل الفكر الحرّ والأدب العالي ، ومن له الرّيادة في دعوته إلى الحقّ ومكافحته للباطل . وكان الدّاعي إلى التجديد في الإسلام ، راغباً في إصلاح العالم الإسلامي بالرجوع إلى القرآن . بعد أن فترت عنه همم المسلمين ولم يأخذوا بتعاليمه الدّاعية إلى شحذ الهمم وتحرير العقول ، كان الأفغاني عظيم الأثر ، واسع النفوذ ، دائب العمل في مصر على الخصوص ، توفي عام ١٨٩٨ م .

فلنقم ولنشرع لتدرك الصلاة في هذه البقعة المباركة ، وننال لذّة الروح ، ونعمة الخشوع التي حُرِمناها في العالم المادي .

ونهضا من مكانهما مسرعين فوجدا رجلين يُصليان ، أحدهما أفغاني ، والآخر من الأتراك . ونظر فيهما ، فإذا إمام الصلاة جمال الدين الأفغاني ، يصلي خلفه الأمير سعيد حليم باشا ، فقال الرومي : إنّ الشرق لم ينجب في العصر الأخير أفضل منهما ، وقد حلّا كثيراً من عقدي والغازي ، أما الإمام السيد جمال الدين ؛ فقد نفخ في الشرق الناصري روح النشاط ، ودبّت بدعوته الثائرة الحياة في الأموات والجمادات ، وأما الزعيم سعيد حليم فقد جمع بين القلب الجريح الدّامي ، والفكر المحلّق السّامي ، والروح القلقة ، والعقل الكبير المستنير ، إنّ ركعتين مع مثل هذين الرجلين من أفضل العبادات ، وأعظم القربات .

وقرأ السيد جمال الدين سورة « والنجم » فأنشأ هدوء المكان والزّمان ، وشخصية الإمام ، وجمال القرآن جواً خاشعاً رهيباً ، رقّ فيه القلب ، وفاضت فيه العين ، وكانت قراءة لو سمعها إبراهيم الخليل لأعجب بها ، ولو سمعها جبرئيل لأثنى عليها ، وكانت قراءة تغلق النفوس ، وتذيب القلوب ، وتعلو بها صيحة التكبير ، والتهليل في القبور ، وكانت قراءة ترفع الحجاب ، وتبضح بها معاني أم الكتاب .

وندع محمد إقبال يحكي قصّته ، قال : « قمتُ بعد الصلاة ، وقبّلت يده في أدب ومحبة وقد قدّمني أستاذنا الروميّ إلى السيد ، وقال : إنّه جوالّ جواب في الأفاق » لا يستقرّ في مكان ، ويخمل في قلبه عالماً من الآمال والآلام ، لم يعرف غير نفسه ، ولم يخضع لأحد ، فيعيش حراً طليقاً .

وأقبل عليّ السيد جمال الدين ، فقال : حدثني يا عزيزي ! عن العالم الذي عشت فيه زمناً ، وعن المسلمين الذين أصلهم تراب ، وينظرون بنور الله .

قلتُ : يا سيدي ! لقد رأيتُ في ضمير الأئمة التي خلقت لتسخير العالم

معركة حامية ، وصراعاً دامياً بين الدين والوطن ، لقد ضعف الإيمان في قلب هذه الأمة ، ففقدت روحها ، وقطعت الأمل من سيطرة الدين وسيادته ، فلجأت إلى الوطنية والقومية ، أصبح الأتراك والإيرانيون سُكاري بصهباء أوربة وتشوتها ، وأصبحوا فريسة كيدها ودهانها ، أصبح الشرق خراباً بحكم الغرب وسيادته ، وذهبت الشيوعية بيهجة الدين وبهاء الملة .

سمع الأفغاني كل ذلك في صبر وأناة ، وفي تألم وحزن ، ثم انفجر قائلاً :
إنَّ الباقعة الأوربيَّ هو الذي علّم أهل الدين الوطنية والقومية ، أما هو فلا يزال يبحث عن مركز لجميع الشعوب والأوطان ، ولكنه بذر في الشرق بذور الخلاف والانشقاق ، وشغل شعوبه بمصر والشام والعراق ، فتحرّز أيّها المسلم الشرقي ! من قيود الوطنية والقومية ، وكن « عالمياً آفاقياً » بمنبر كلّ بلد ووطنه ، وكلّ أرض أرضه ، إن كنت تميز بين « الجميل » و « القبيح » فلا تربط نفسك وقلبك بالتراب والحجارة والقرميد ، إنَّ الدين هو أن ينهض الإنسان من الحضيض ، ويعرف قيمة نفسه ، إنَّ الذي عرف « الله » وآمن به ، لم يسمع هذا العالم ، ولم ينحصر في الجهات ، إنَّ العشيش ينبت على التراب ، ويفنى في التراب ، ولكنَّ النفس الإنسانية أسمى من أن يكون مصيرها هذا التراب ، إنَّ آدم لو خلق من ماء وطين ، فقد يابى أن يدور حول هذا الماء والطين . إنَّ جسمه يميل به إلى الأرض ، وروحه تطير به في الأجواء الفسيحة ، إنَّ الروح لا تنحصر في الجهات ، وإنَّ « الحرّ » لا يعرف القيود والحدود ، فإذا حُبس في « التراب »^(١) اضطرب وثار ، لأنَّ الصقور لا تستريح ولا تهدأ في الأوكار .

إنَّ هذه الحفنة من التراب ، التي نسميها « الوطن » ونطلق عليها أسماء « مصر » و « إيران » و « اليمن » ، بينها وبين أهلها نسبٌ ؛ لأنَّ هذه الشعوب قد نهضت من أرضها ، ولمعت من أفقها ، ولكن لا ينبغي أن تنطوي على نفسها ،

(١) يعني به « الوطن » .

وتنحصر في حدود أرضها ، أما ترى إلى الشمس تطلع بسنائها ونورها من الشرق ، ولكنها لا تلبث أن تتحرّر من حدود الشرق والغرب ، وتسيطر على العالم وتحتضنه . إنّ فطرتها بريئة من الشرق والغرب ، وإن كان مولدها وظهورها في الشرق .

أما الشيوعية يا عزيزي ! فإنّ مصدرها ذلك الإسرائيلي ، الذي خلط الحقّ بالباطل ، وآمن قلبه وكفر عقله ، إنّ الغربيين فقدوا القيم الروحية ، والحقائق الغيبية ، وذهبوا يبحثون عن الروح في « المعدة » إنّ الروح ليست قوتها وحياتها من الجسم ، ولكنّ الشيوعية لا شأن لها إلا « بالمعدة والبطن » ، وديانة « ماركس » مؤسسة على مساواة البطون . إنّ الأخوة الإنسانية لا تقوم على وحدة الأجسام والبطون ، إنّما يقوم على محبة القلوب ، والفة النفوس .

إنّ الملوكة سمنّ بطراً على الجسم ، صدرها مظلم خاوي ، ليس فيها قلب خفّاق ، إنّها كالنحلة تجلس على كلّ زهرة ، وتشرّب منها الرّضاب ، وتفادرها إلى زهرة أخرى ، وتبقى هذه الزّهرات يلوّنها وشكلها ورائحتها ، ولكنها أوراق بالية ، وحشائش ذابية ، كذلك الملوكة تستحوذ على الشعوب والأفراد ، وتمتصّ منها دماءها ، وتركها أجساداً هامدة .

إنّ « الملوكة » و « الشيوعية » تلتقيان على الشرّ والنّهامة ، والقلق والسّامة ، والجهل بالله ، والخداع للإنسانية ، الحياة عند الشيوعية « خروج »^(١) ، وعند الملوكة « خراج » ، والإنسان البائس بين هذين الحجرين قارورة الرّجاج ، إنّ الشيوعية تقضي على العلم ، والدين ، والفنّ ، والملوكة تنزع الروح من أجسام الأحياء ، وتسلب القوت من أيدي العاملين والفقراء ، لقد رأيت كليهما غارتين في المادّة ، وجسمهما قويّ ناضر ، وقلبهما مظلم فاجر .

(١) يعني : تجرّد من العقائد ، والعواطف ، والآداب ، والحضارات .

ألا ! من يبلغ « روسيا » أن القرآن وتعاليمه في وإد والمسلمين في وإد ، لقد انطفأت شرارة الحياة في صدور المسلمين ، وانقطعت صلتهم عن النبي ﷺ إن المسلم اليوم لا يؤسس حياته ، ولا ينظم مجتمعه على مبادئ القرآن ، وقد أفلس لذلك في الدّين والدنيا ، لقد ثلّ عرش قيصر وكسرى ، ونعى على ملوكيتهم ، ونصب لنفسه عرشاً ملوكياً ، وترجع عليه ، واقتبس من المعجم الملوكية وأساليها ، وبذلك تغيّر نظره إلى الحياة ، وتغيّر منهج تفكيره .

لقد حطمت « القيصرية » والكسروية « مُثَلَّ المسلمين في العصر القديم ، فاعتبري أيتها الأمة الروسية ! من تاريخنا ، عليك بالثبات والاستقامة في معركة الحياة ، فإذا كنت قد كسرت هذه الأصنام « الملوكية والوطنية » فلا تعودى إليها ، ولا تطوفي حولها مرّة ثانية . إن العالم اليوم يطلب أمة تجمع بين التبشير والإنذار ، وبين الرّحمة والشّدّة ، فاقبسي من الشرق ديانتَهُ وروحانيته ، لقد أصبحت ديانات الإفرنج ودساتيرهم عتيقة بالية ، فلا تعودى إليها مرّة ثانية ، لقد أحسنت إذ ألغيت الآلهة القديمة ، وقطعت مرحلة النفي « لا إله » فعليك أن تبدئي مرحلة الإثبات « إلا الله » ، وهكذا تكملين مهمتك ، وتُتمين رحلتك العظيمة ، إنك تبحثين عن نظام للعالم ، فعليك أن تبحثي له عن أساسٍ مُحْكَم ، وليس هو إلا الدين والعقيدة .

لقد محوت يا روسيا ! أساطير الأولين أسطورة أسطورة ، فعليك أن تدرسي الآن القرآن سورةً سورةً ، وما أدراك ما القرآن ؟ إنّه نعيّ للملوكية والشّخيرة ، وحتفٌ للاكتناز والأثرة ، وحياةٌ للصعلوك ، وبشرى للملوك ، إنّه يذمّ الذين يكتزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله ، ويحثّ على إنفاق كلِّ ما فضل عن حاجة الإنسان ، ويقول في صراحة : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا كُفِينَا ﴾ [آل عمران : ٩٢] إنه يحرم الربا ، ويحلّ البيع ، ويحثّ على القرض الحسن ، وهل يتولّد من الربا إلا الشرور والفتن ، والقساوة والضراوة ؟ إن اكتساب الرزق من الأرض جائز ، فكلُّ ما في الدنيا ملكٌ لله تعالى ، ومتاعٌ

للمبد ، والإنسان أمينٌ في مال الله ، ووصيٌّ على أرضه ، وخلقهُ ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَخِّلِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد : ٧] ، قد انتكست رايةُ الحقِّ بطغيان الملوك ، وخربت القرى والمدنُ بظلمهم ، وعبثهم . إنَّ المبدأ الذي يقرُّره القرآن : أنَّ قوت بني آدم من مائدة واحدة ، وأنَّ الأسرة الإنسانية كُلُّها كنفس واحدة^(١) .

إنَّه لما قامت دولةُ القرآن ، اختفى الرهبان والكهَّان ، أقول لك ما أؤمنُ به وأدين : إنه ليس بكتابٍ فحسب ، إنَّه أكثر من ذلك ، إذا دخل في القلب تغير الإنسان ، وإذا تغير الإنسان تغير العالم . إنَّه ظاهرٌ ومستترٌ ، كتابٌ حيٌّ خالدٌ ناطقٌ ، إنَّه يحتوي على جدود الشعوب والأمم ، ومصير الإنسانية .

لقد ابتكرتِ تشريعاً جديداً ومستوراً جديداً ، فجديرٌ بك أن تنظري إلى العالم بنور القرآن نظراً جديداً^(٢) .



والآن إليك هذه الأبيات المترجمة بالعربية شعراً :

يقول إقبال :

وَتَجَلَّيْهِ جَلِيًّا قَدْ رَأَى ^(٣)	الترابُ كُلُّ مخلوقٍ شأى
وَالْجُودُ قَنَصْتُ أَحْبُولَتِي ^(٤)	أبْكَانَ أَمْ يَكُونُ مَقْطَعَتِي
إِنَّنِّي مِنْهَا وَإِيَّاهَا مَلَكَتُ ^(٥)	أَنَا فِي الزَّرْقَاءِ لِي شِفَاءُ شَقَقْتُ
أَمْ أَرَاهَا مِنْهُ فِي الصُّدْرِ ارْتَمَتْ	أَفْؤَادِي فِي حَنَوْ عَانَقَتْ

(١) قال الله تعالى : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَمْشِكُمْ إِلَّا كَفَّةً وَبَوْنَةً ﴾ [لقمان : ٢٨] .

(٢) مأخوذ عن « روائع إقبال » لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني التُّدوي ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٣) شأى : تفوَّق على غيره .

(٤) السَّقْطَةُ : المرأةُ مِنَ الوقوع والتردي . وَقَنَصَ : اصطاد . والأحْجُولَةُ : المصيدة .

(٥) الزَّرْقَاءُ : السماء .

ما الذي يخفى وما شيءٌ ظَهَرَ
 في سماءٍ غيرها طيراً خَفَقَتْ
 عالمٌ بالبرِّ والدَّأْماءِ مُفْعَمٌ
 عالمٌ من بَغْضِ أَرْماءٍ ظَهَرَ
 ما عَلَيْهِ صورةُ لوحِ الوجود
 قُلْتُ لِلرُّومِيِّ يَا حَسَنَ الْيَبَابِ
 أَيْنَ آثَارُ الْحَيَاةِ هَاهُنَا ؟
 قَالَ لِي « هَذَا مَقَامُ الْأَوْلِيَاءِ
 آدَمٌ عَنْ خُلْدِهِ حِينَ ارْتَحَلَ
 ورأى هذا الفضَاءَ زَفَرَتَهُ
 زَائِرُوهُ مِنْ خَوَاصِّ الْكُتَلِ
 بِوَسْعِيْدٍ وَالْفُضَيْسِلِ بَيْنَهُمْ

لَسْتُ أَدْرِي كُنْهَ مَا تَحْتَ الْبَصَرِ
 فَرَأَيْتُ عَالِماً مَا إِنْ رَأَيْتُ
 مِنْ ثَرَانَا إِنَّهُ خَيْرٌ وَأَقْدَمُ^(١)
 لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ فِيهِ مِنْ أَثَرِ^(٢)
 لَيْسَ لِلْفُطْرَةِ مِنْ تَقْدِ حَدِيدِ^(٣)
 فِي الْجِبَالِ حِذَا هَذَرِ الْعُبَابِ^(٤)
 وَالْأَذَانُ فَاضٌ مِنْهُ سَمْعُنَا !^(٥)
 أَرْضُنَا وَالْأَرْضُ فِي فِيءِ الْإِنخَاءِ^(٦)
 ذَلِكَ الْعَالَمُ يَوْمًا فِيهِ خَلْ
 وَبِفَجْرِ وَهُوَ يَشْكُو ، رَنْثَةً^(٧)
 كُلُّهُمْ فِي قَوْمِهِ هَذَا الْعَلِيِّ
 بَايَزِيدُ وَالْجُنَيْدُ عِنْدَهُمْ^(٨)

(١) الدَّأْمَاءُ : البحر .

(٢) الْأَرْمَاءُ : جمع رمي ، هو السَّحَابَةُ الصَّغِيرَةُ .

(٣) التَّقْدِ الْحَدِيدِ : التَّقْدِ الشَّدِيدِ الْحَادِ .

(٤) الْيَبَابِ : الْخَرَابِ . وَالْعُبَابِ : الْمَوْجِ .

(٥) يَعْجِبُ الشَّاعِرُ لَوْجُودِهِ فِي أَرْضِ خَرَابٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَسْمَعُ صَوْتَ الْمُؤَذِّنِ .

(٦) الْفِيءُ : الظِّلُّ .

(٧) الرَنْثَةُ : الصَّوْتُ ، أَوْ صَوْتُ الْقَوْسِ .

(٨) أَبُو سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْخَيْرِ مِنْ مَشَاهِيرِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي أَوَائِلِ الْقُرْنِ الْخَامِسِ الْهَجْرِيِّ . وَمِنْ أَذَاعُوا بَيْنَ النَّاسِ فِي خِرَاسَانَ نَظْرِيَّةَ وَخُدَّةِ الْوُجُودِ . وَلَهُ رِبَاعِيَّاتٌ يَعْجُرُ فِيهَا عَنْ مَذْهَبِ الصُّوفِيِّ وَهُوَ رَقِيقُ الْمَعَانِي أَصْبَلُ الشَّاعِرِيَّةِ . وَالْفَضِيلُ شَيْخُ الْحَرَمِ الْمَكِّي كَانَ فِي الْحَدِيثِ ثَقَّةً ، أَخَذَ عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ الشَّافِعِيُّ . وَهُوَ فِي عُنَادِ زُهَادِ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ وَفَاتِهِ عَامَ ١٨٧ هـ . وَبَايَزِيدُ أَوْ أَبُو يَزِيدَ الْبَطَّاسِيُّ أَوَّلُ صُوفِيٍّ نُسِبَتْ إِلَيْهِ الشُّطْحَاتُ ، وَأَرَادَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ غُلُوهَ فِي شُّطْحَاتِهِ ، وَتَوَفَّى عَامَ ٢٦١ هـ . أَمَّا الْجُنَيْدُ فَصُوفِيٌّ بَغْدَادِيٌّ مَرْمُوقٌ الْمَنْزِلَةِ مِنْ أَهْلِ الصُّحُوحِ لَا أَهْلِ الشُّكْرِ ، أَيُّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ غَلَاةِ =

قُمْ مَعِيَ كَيْمَا نَصَلِّي رَكَعَتَيْنِ

وَنَذَابُ بَرَهَةٍ أَوْ بَرَهَتَيْنِ ۝

إِنَّمَا الرُّومِيُّ دُومًا فِي الْحَضُورِ مَشْرِقُ الطَّلَعَةِ ذَوْقًا فِي الشُّرُورِ
قَالَ : « إِنَّ الشَّرْقَ قَطُّ مَا وَلَدُ مِثْلَ هَذَيْنِ فَقَدْ حَلًّا الْعُقْدُ
سَيِّدُ السَّادَاتِ مَوْلَانَا جَمَالِ مِنْهُ يَحْيَى الطُّيْنِ وَالصُّخْرُ الْمَقَالِ
وَرَثِيْسُ الثَّرَكِ مَنْ يُدْعَى حَلِيمَا كَانَ فِي فِكْرٍ وَفِي جَاهٍ عَظِيمَا
مَعَ هَذَيْنِ الصَّلَاةُ طَاعَةٌ وَجَزَاءُ مَنْ يُصَلِّي جَنَّةٌ

سُورَةُ النَّجْمِ تَلَاهَا شَيْخُنَا غَمَرَ الصَّحْرَاءَ صَمْتُ هَاهُنَا
وَيَشِيرُ اللَّحْنُ وَجَدًا فِي الْخَلِيلِ وَكَذَا فِي عَمَقِ رُفُوحِ جِبْرِثِيلِ
وَيَذُودُ الصَّبْرُ عَنْ قَلْبِ صَبُورِ يَرْفَعُ « إِلَّا اللَّهُ » مِنْ كُلِّ الْقُبُورِ
يَهْبُ النَّارُ دَخَانُ الرُّفْرِةِ وَلِدَاوُدَ ضِرَامُ السَّكْرَةِ
وَبِذَا اللَّحْنِ الظُّهُورُ لِلْغِيَابِ وَارْتِفَاعُ السُّتْرِ عَنْ أُمِّ الْكِتَابِ
وَالصَّلَاةُ بَعْدَ أَنْ تَمَّتْ نَهَضْتُ وَيَدَيهِ فِي خَشْوَعٍ قَدْ لَنَّتْ
قَالَ « هَذِي ذَرَّةٌ تَطْوِي الْفَلَكَ عَالَمٌ مِنْ حُرْقَةٍ فِيهَا اعْتَرَكَ ^(١)
ذَاتُهَا مِنْهَا تَلَقَّتْ نَظْرَةً لَمْ تَهَبْ قَلْبًا وَكَانَتْ حُرَّةً
وَحَثِثْتُ فِي الْوُجُودِ سَيْرُهَا زَنْدَهُ رُودٌ إِنَّنِي سَمَّيْتُهَا ^(٢)



المتصوفة ، ويعبد أول المتكلمين في التوحيد ببغداد ، وكانت وفاته عام ٢٩٧ هـ .

(١) اعترك : اختلج واضطرب .

(٢) زنده رود في الفارسية بمعنى التهر الحي ، وهو اسم نهر عظيم يجري بمدينة أصفهان في إيران . ولكن الشاعر أخذ عن الشاعر الألماني كوته في منظومة له بعنوان « نشيد محمد » وقد عرفها إقبال وترجمها ، وفيه يشبه الشاعر الألماني روح النبوة بالنهر المتدفق المزيد ، كما قال المستشرق الإيطالي باوزاني .

الأفغانيُّ

زندۀ رود ، تِلْكَ دَنِيَانَا تَكَلَّمْ
يا تُرَابِيَّأ سَمَاوِيَّ البَصَر
أَرْضَنَا صِفْ أَوْ سَمَانَا أَنْتَ أَغْلَمْ
أُمَّةُ الْإِسْلَامِ عَنْهَا مَا الْخَبِرُ ؟

زندۀ رود

أُمَّةٌ قَدْ دَوَّخَتْ كُلَّ الْأُمَمِ
وَتَمُوتُ الرُّوحُ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ
فِيهَا فَكْرُ الدِّينِ وَالْأُوطَانِ عَمَ
بِأَسْهَابِهَا مِنْ قُوَّةِ الدِّينِ الْمَبِينِ
وَيُشْصِرُ فِي الْخُلُوقِ جَرَّرُوا^(١)
وَالشُّيُوعُ لَانْحِطَاطِ الدِّينِ بَابِ
مَنْ نُفُودِ الْغَرْبِ فِي الشَّرْقِ الْخَرَابِ

الأفغانيُّ

الدِّينُ وَالْوَطَنُ

مَكْرٌ لَوْرِدِ الْغَرْبِ كَمْ أَعْيَا الْفَطَنُ
مَرْكَزاً يَبْغِي وَأَنْتَ فِي النِّفَاقِ
فَطَنَ الْقَوْمَ بِمَعْنَى لِلْوَطَنِ^(٢)
أَنْسَ حَتَّى الشَّامَ ، دَغْ أَمَرَ الْعِرَاقِ
فَلْتَفُكْ عَنْكَ قَيْدُ مَنْ حَجَرِ^(٣)
ذَاتَهُ الْقَلْبُ الطَّهُّورُ كَيْ يَرَى
لَمْ تَعُدْ تَحْوِيهِ هَاتِيكَ الْحُدُودُ^(٤)
مَا هُوَ الدِّينُ ؟ الْقِيَامُ مِنْ ثَرَى
« اللَّهُ هُوَ » مَنْ قَالَهَا قَوْلًا يَجُودُ

(١) الشَّصْرُ : حديدَةٌ مَعْقُوفَةٌ يُصَادُ بِهَا السَّمَكُ حِينَ يَتَعَلَّقُ مِنْ فَمِهِ . يَقُولُ إِقْبَالُ : إِنَّ الْأَوْرَبِيِّينَ خَدَعُوا الْعَرَبَ ، وَالْفَرَسَ ، وَالتَّرِكَ ، وَجَذَبُوهُمْ إِلَيْهِمْ كَمَا يَجْذِبُ الصَّيَّادُ السَّمَكَ .

(٢) فَطَنَ : فَهَمَ .

(٣) يَرِيدُ بِالْحَجَرِ الْمَنَازِلَ الَّتِي تَتَأَلَّفُ مِنْهَا الْمَدَنُ .

(٤) يَجُودُ : يَحْسَنُ .

فَشَّةٌ فِي الْأَرْضِ قَامَتْ مِنْ تُرَابٍ وَيَلُ رُوحٌ فِي التُّرَابِ مِنْ تَبَابٍ^(١)
يُخْلِقُ الْإِنْسَانَ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ لَوْنُهُ كَالْوَرْدِ مِنْ مَاءٍ مَعِينٍ^(٢)
بَشَرٌ لِلْإِنْسَانِ فِي الطِّينِ الدَّوَامِ إِنْ يَوْ لَمْ يَغْلُ ذِيكَ الْمَقَامِ
يَا حَكِيمُ ، الرُّوحُ تَسْمُو عَنْ جِهَاتٍ ضَاقَ حَسْرٌ بِقِيُودِ مُثَقَّلَاتِ

مِنْ ظِلَامِ الْأَرْضِ حَرٌّ قَدْ يَتَوَزُّ

مَا كَفَارٍ فَعَلْتَ تِلْكَ الصُّقُورُ !

قَبْضَةُ الطِّينِ تَسْمِيهَا الْوُطُنَ دَعَاكَ مِنْ مِصْرَ وَفُرْسِ وَالْيَمَنِ^(٣)
بَيْنَ أَوَطَانٍ وَقَوْمٍ نَسَبُهُ إِنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْهَا نَبْتُهُ
أَنْتَ إِنْ أَمَعَنْتَ فِي هَذَا النَّظَرِ دَقَّةً أَذْرَكْتَ دَقَّتْ كَالشَّعْرِ
فَمَنْ الشَّرْقِ ذُكَاءٌ تَطْلُعُ بِاجْتِرَاءٍ وَتَجَلُّ تَسْطَعُ^(٤)
فِي عَذَابٍ وَاصِبٍ مِنْ نَارِ قَلْبٍ عِنْدَ فَكِّ الْقَيْدِ مِنْ شَرْقٍ وَغَرْبٍ^(٥)
بِالتَّجَلِّيِ أَشْكِرَتْ فِي شَرْقِهَا أَفْقاً مَا أَفَلَّتْ مِنْ غَرْوِهَا

مِنْهُمَا قَدْ قَطَعْتَ أَصْلَ السَّبَبِ

إِنَّهَا لِلشَّرْقِ لَكِنْ فِي النَّبِّ^(٦) !

الشُّبُوعِيَّةُ وَالرَّأْسَمَالِيَّةُ

صَاحِبُ « الْمَالِ » سَلِيلٌ لِلنَّخْلِيلِ وَيَلَا جَنْبِرِيلَ أَضْحَى كَالرُّسُولِ^(٧)

(١) التَّبَابُ : الْهَلَاكُ وَالْخَرَابُ .

(٢) الْمَعِينُ : الْجَارِي .

(٣) الْفُرسُ هُنَا بِمَعْنَى بِلَادِ الْفُرسِ .

(٤) ذُكَاءٌ : الشَّمْسُ .

(٥) الْوَاصِبُ : الدَّائِمُ .

(٦) يَقُولُ : إِنَّ الشَّمْسَ قَطَعْتَ كُلَّ صِلَةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ .

(٧) يَرِيدُ كَارْلَ مَارْكَسَ صَاحِبَ كِتَابِ رَأْسِ الْمَالِ .

مبطلٌ ، في الرِّئِغِ حَقًّا يُضْمَرُ مؤمنُ القلبِ بعقلِ كافرٍ
 إنَّ أهلَ الغربِ أفلاكاً أضاعوا طلبوا الرُّوحَ ببطنٍ حينَ جاعوا !
 ما استمدَّ الرُّوحُ حسناً من جَدِّ وعلى الجِسمِ الشُّيُوعِيُّ اعْتَمَدُ
 قوله في كُفْرِهِ هذا المُبين ليس إلا في مساواة البُطُونِ

في صميم القلبِ ذبَّاك الإخاء

ما احتوى أصلاً له طينٌ وماءٌ^(١)

الجسومُ بالثُّرَاءِ سُمِّنَتْ والضُّدُورُ مِنْ قلوبٍ جُرِّدَتْ^(٢)
 يالَهُ الرُّثُورُ يسرعى وردةً ثم يمضي ، نالَ مِنْهُ شَهْدَهُ
 إنَّ عُضْنَ الوَزْدِ هذا حُنْهُ وله البُلْبُلُ هذا لَحْنُهُ^(٣)
 عَنْ جَمالٍ راقٍ فلتَطوِ النَّظْرُ اقْصِدِ المعنى ودَعْ عَنْكَ الصُّورُ

أَنْ تَرى لِلْقَلْبِ موتاً يَضُغُ

أَنْ تَسْمِيَ الطِّينَ وَزْداً يَكْرُبُ^(٤)

يَمْلِكُ الْرُوحَ نَدَّ صَبْرُهَا تَخْدَعُ النَّاسَ وَيَبْدُو كُفْرُهَا^(٥)
 لهما العيشُ الخروجُ والخَرَجُ حَجْرانِ ، والورى هذا الرُّجَاجُ^(٦)
 هذه ديناً وعلماً حَطَمَتْ يَلُكُ روحاً ورغيفاً حَرَمَتْ
 لهما في الماءِ والطِّينِ الفَرْقُ أَظْلَمَ الْقَلْبُ وذو الجِسمِ التَّلَقُّ
 والحياةُ الاحتراقُ والعَمَلُ

(١) يقول : إنَّ الإخاء في الروح لا في الجسد .

(٢) يراد بالثراء الرأسالية .

(٣) درج شعراء الفرس على قولهم : إنَّ البلبُلَ يَغشَقُ الوردة ، ويغني لها ، وهم يشبهون بالبلبل عاشق الذات الإلهية .

(٤) كل في الفارسية بفتح الأول بمعنى الوردة ويكسره بمعنى الطين ، ولبقاء الفرس ولوع بذكر هذين الاسمين على أنهما رمز للتقيضين . ويكرب : يثير الحزن .

(٥) يتحدث الشاعر عن الشيوعية والرأسالية . ونَدَّ : بعد .

(٦) يريد بالخروج والخراج : الإنتاج ودفع الضريبة .

وَالشُّوَيْدَاءُ لَتُلْقَى فِي الْوَحْلِ^(١)

سميد حلیم باشا^(٢) الشرق والغرب

إِنَّ فِي الْغَرْبِ الذِّكَا أَصْلُ الْحَيَاةِ
وَيَعشَقُ يَغْرِفُ اللَّهَ الذِّكَا
وَإِذَا الْعِشْقُ الذِّكَا صَادِقاً
أَنْهَضَ الْعَالَمَ الثَّانِي اضْئَعْنَ
لِلْفِرْنَجِ شِعْلَةً قَدْ بُلِّلَتْ
جُرْحُوا لَكِنْ بَحْدٌ سَيَفْهَمُ
تَشْوَةً مِنْ كَرَمِهِمْ لَا تَطْلُبُنْ
لِلْحَيَاةِ النَّارُ فَلْتُشْعَلْ بِنَارِكَ
اضْئَعِ الْعَالَمَ وَارْفَعْ مِنْ مَنَارِكَ
و « كَمَالٌ » حِينَ نَادَى بِالْجَدِيدِ
لَيْسَ لِلْكَعْبَةِ تَجْدِيدُ الْحَيَاةِ
مَا تَغْنَى الثَّرْكُ مَا قَالُوا نَشِيداً
وَالْهَوَى فِي الشَّرْقِ سُرُّ الْكَائِنَاتِ
وَلْعِشْقُ بِالذِّكَا ذَا الْعَلَاءِ
عَالِماً آخَرَ قَطْعاً حَقّاً
بِالذِّكَا ذَلِكَ الْعِشْقُ امْرُجَنْ
قَلْبُهُمْ مَاتَ وَعَيْنٌ فَتَحَتْ
يَا لَهُمْ صَرْعَى كَمِثْلِ صَيْدِهِمْ^(٣)
جِدَّةً مِنْ عَصْرِهِمْ لَا تَأْمَلُنْ^(٤)
قَالَ : إِنَّ الْمَخَوَ لِلْعَهْدِ الْعَهْدِ^(٥)
إِنْ أَتَى الْكَعْبَةَ غَرْبِي بِلَاثِ !
بَلْ قَدِيمُ الْغَرْبِ سَمُوهُ الْجَدِيدُ

(١) الشُّوَيْدَاءُ : حَبَّةُ الْقَلْبِ .

(٢) هُوَ سَمِيدُ حَلِيمٍ بَاشَا الصُّدْرِ الْأَعْظَمِ الَّذِي قُتِلَ عَامَ ١٩٢١ فِي رُومَا . وَلَقَدْ فَرَّضَ إِيَّاهُ
حَتَّى عَلَى خُصُومِهِ لِإِسْدَادِ رَأْيِهِ ، وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِ . وَالْجَامِعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَفْغَانِيِّ أَنَّ كِلَا
مِنْهُمَا صَاحِبُ نَزْعَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ إِصْلَاحِيَّةٍ .

(٣) الصَّيْدُ : مَا يَصَادُ .

(٤) الْكَرْمُ : شَجَرُ الْعَنْبِ .

(٥) كَمَالٌ هُوَ مُصْطَفَى كَمَالٍ أَوْ كَمَالُ أَتَاتُورُكْ وَائِدُ تَرْكِيَّةِ الْحَدِيثَةِ . وَالْعَهْدُ : الْقَدِيمُ .

نَفْسٌ آخِرُ فِيهِمْ مَا خَفَقَ عَالَمٌ فِي الْقَلْبِ مِنْهُمْ مَا انْبَسَقَ
 وافقوا العالمَ هذا لا جَرَمَ فِيهِ ذَابُوا شَمْعَةً تَحْتَ الضَّرَمِ^(١)
 فِي الصُّمِيمِ طُرْفَةٌ لِلْكَائِنَاتِ لَمْ تَكُنْ تَقْيِيدُ تَقْوِيمِ الْحَيَاةِ^(٢)
 إِنَّ حَيَّ الْقَلْبِ خَلَّاقَ الدُّهُورِ وَمَنْ التَّقْلِيدَ كَانَ ذَا الثُّمُورِ
 مُسَلِّماً إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلِ مَنِيرٍ فِي الْكِتَابِ انْظُرْ وَفِي هَذَا الضَّمِيرِ^(٣)
 كَمْ دُنَى تَظْهَرُ فِيهِ مِنْ سُبُورِ وَالْعُصُورُ مَرُّهَا تَلَوُ الْعُصُورِ
 إِنَّ دُنْيَا مِنْهُ تَكْفِي عَضْرَبَا إِنْ عَقَلْتَ أَنْتَ فَاجْعَلْهَا لَنَا
 يَوْمُنُ الْإِنْسَانُ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ كُلُّ دُنْيَا يَرْتَدِيهَا بِمِثْلِ ثَوْبِهِ
 وَإِذَا دُنْيَاهُ رُئِثَتْ ثَوْبُهَا قَدَّمَ الْقُرْآنُ دُنْيَا غَيْرَهَا^(٤)

زنده رود

زورقُ نَخْنُ بِلا هَدْيِ جَرَى
 عَالَمُ الْقُرْآنِ أَيْنَ ؟ مَنْ دَرَى

الأفغاني

عَالَمٌ فِي صَدْرِنَا هَذَا اخْتَفَى فِي انْتِظَارِ « قُمْ » لِلْإِنْسَانِ غُضَا
 لَيْسَ فِيهِ أَيْ لَوْنٌ أَوْ دِمَاءٌ مَا لَغَرِبِ مَا لَدَيْهِ مِنْ بَهَاءِ

(١) الضَّرَمُ : الحطب المشتعل والمراد به هنا النار .

(٢) الطُّرْفَةُ : الشيء العجيبُ النادر .

(٣) الْكِتَابُ : الْقُرْآنُ .

(٤) رُئِثَ الرَّجُلُ ثَوْبُهُ : جَعَلَهُ رَثًا أَيْ غَيْرَ صَالِحٍ .

ليس فيه من ملوك أو عبيد مثل قلب في خلوة من حدود^(١)
 عالم الحُسن ، ومن فيض النظر بذره ألقى بقلب من عَمَرُ^(٢)
 سرمدِيّ فيه أحداثٌ تَدُومُ محكماتٌ فيه تهدي من يروم^(٣)
 لا يهابُ باطنٌ فيه التَّغَيَّرُ وله الظاهرُ دوماً في التطوُّر
 بين جنبيك ، عليك بالنظر
 محكماتٌ ، ألقِ سمعاً للخبر^(٤)



مُحْكَمَاتُ الْعَالَمِ الْقُرْآنِيّ خلافةُ الإنسان

أثرُ العشق بدا في العالمين ويرى في المرء مَنَّا رأي عَيْن
 ليس سرُّ العشق من دنيا الرّحم ما إلى سام وحام يَخْتَكِمُ^(٥)
 كوكبٌ ، ما من شروقٍ أو غروبٍ لا ولا يذري شمالاً من جنوب
 قول ﴿إني جاعلٌ﴾ تقديره بين أرضٍ ومما تفسره^(٦)

(١) يشبه هذا العالم بقلب المؤمن الذي يخلو من الحدود .

(٢) يذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أسلم بعد أن ألقى نظرة على آية قرآنية ، وهو يهيم بقتل أخته التي كانت قد أسلمت سراً .

(٣) السُرمديّ : الدائم الخالد . والمحكمات : الآيات التي أحكمت فلا تمر حاجة سامعها إلى تأويلها لبيانها كقصص الأنبياء . ويقابلها المتشابهات .

(٤) أي أن هذا العالم في داخلك وبين جتبيك . فانظر في نفسك واستمع إلى الآيات المحكمات .

(٥) الرّحم : القراية . وسام أحد أبناء نوح ؛ وينسب إليه الجنس السامي ، وكذلك حام وهو أبو السودان .

(٦) قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا

الحياة مِنْهُ كَانَتْ وَالرُّدَى
الإمام وَالصَّلَاةُ وَالْحَرَمُ
غِيَّةُ يُمَيِّ زُوَيْدًا ذَا الْحُضُورِ
مِنْهُ كَانَ اغْتِبَارُ الْكَائِنَاتِ
يَا لَهُ بَحْرًا بِلا شَطْ يَفُورُ
إِنَّمَا الْإِنْسَانُ دُنْيَا قَدْ وَسِغُ
وَتَجَلَّى فَلِذَا نَوْرُ السَّمَاءِ

نَوْرَ دُنْيَانَا وَنَارًا أَوْجَدَا
وَالْمِدَادُ وَالْكِتَابُ وَالْقَلَمُ
مُلْكُهُ مَا فِيهِ خَدٌّ أَوْ نُفُوزُ
واعتدالٌ فِيهِ قَاسُ الْمُمَكِّنَاتِ
قَلْبُهُ قَدْ أُغْرِقَتْ فِيهِ الدُّهُورُ
هَذِهِ الدُّنْيَا لَهُ لَمْ تَسِغُ
وَاخْتَلَى يَوْمًا فَجَبْرَائِيلُ نَائِي^(١)

وَعَنِ الْأَفْلَاكِ أَعْلَى قَدَرُهُ
وَالْحَمِيدُ مَنْ تَغْنَى شُكْرُهُ

مَا الْحَيَاةُ يَا بَصِيرٌ هَلْ فَهِمْنَا
يَرْبِطُ الْجَنَسِينَ مَوْصُولُ الصَّلَاتِ
تُشْعِلُ الْمِرْأَةَ نِيرَانُ الْحَيَاةِ
أَضْرَمَتْ فِي الرُّوحِ مِنْهَا نَارَنَا
مَمَكِّنَاتُ الْعَيْشِ مِنْهَا فِي الضَّمِيرِ
إِنْ يَغِيبُ عَنْ هَذِهِ النَّارِ الشَّرَرُ
مَا لَنَا مِنْ قِيَمَةٍ ، مِنْهَا لَنَا

أَنْ تُرَى اثْنَيْنِ ، وَفَرَّدَ مِنْ عَشِيقَتَا
يَرُشْمَانِ شَوْقَ تِلْكَ الْكَائِنَاتِ^(٢)
طَبَعُهَا لَوْحٌ لِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ^(٣)
جَوْهَرٌ فِيهَا أَتَمُّ خَلْقِنَا
وَثَبَاتُ الْعَيْشِ فِي وَهْجِ الشُّعُورِ^(٤)
لَمْ يُلَخْ جِسْمٌ وَرُوحٌ لِلنَّظَرِ
رَسَمْتَنَا وَأَجَادَتْ رَسْمَنَا

إِنْ حَبَاكَ اللَّهُ عَقْلًا لِلتَّفَكُّرِ
طَهَّرَ النَّفْسَ بِتَقْدِيرِ لَهَا انْقِلَابُ

أَفْسَدَ الْإِيمَانَ فِيكَ عَصَرْنَا
يَكْشِفُ السَّرَّ الْخَفِيِّ قَوْلُنَا

لَقَامُونَ ﴿ [البقرة : ٣٠] ﴾ ومعنى استخلاف الله آدم في الأرض أنه سيكون له سلطان
عليها ، وسيتمزف في موادها ليجعلها ملائمة لحاجاته .

(١) بقوله : إِنَّ جَبْرِيْلَ لَمْ يَقْتَحِمْ عَلَيْهِ عِزْلَتَهُ .

(٢) الجنسان : المراد بهما الرجل والمرأة .

(٣) اللوح : ما يكتب فيه .

(٤) الوهج : اشتعال النار .

فِي الْجِسْمِ الْخَلْقُ نَارٌ تَنَقِّدُ
 مَنْ يَنْلُ مِنْ هَذِهِ النَّارِ النَّصِيصَا
 إِنَّهُ ذُو الرَّأْيِ فِيمَا قَدْ عَمِلَ
 مُدَّةً فِي الْغَارِ ظِلُّ الْمُصْطَفَى
 رَسَمْنَا قَدْ أَغْرَقُوا فِي مُهْجَتِهِ
 وَعَلَى انْكَارِ رَبِّ إِنْ قَدْزْنَا
 لَوْ أَنْارَتْ فِيكَ رَوْحٌ كَالْكَلِيمِ
 فَالْخِيَالُ فِيكَ تَحْيِي عِزْلَةً

ثُمَّ تَأْنِي بَعْدَ بَحْثٍ ضَالَّةٍ^(٢)

مِنْ مَقَامَاتٍ لَنَا عِلْمٌ وَشَوْقٌ
 بِهِجَةً لِلْعِلْمِ تَحْقِيقٌ دَقِيقٌ
 صَاحِبُ التَّحْقِيقِ رَامَ الْمُتَجَلِّي
 عَيْنُ مُوسَى رُؤْيَا الدُّنْيَا أَرَادَتْ
 ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ إِنَّهَا الْمَعْنَى الدَّقِيقُ
 إِنْ تُلَخَّ لِلْعَيْنِ آثَارُ الْحَيَاةِ
 هَذِهِ الْآفَاقُ بِالْعَيْنِ الزَّمَقْنَ

لَهُمَا فِيمَا جَرَى لِلْقَوْمِ حَقٌّ
 مَتْعَةٌ لِلْعِشْقِ خَلْقٌ قَدْ يَلِيقُ
 صَاحِبُ الْخَلْقِ بِذَاتِ يَخْتَلِي
 وَإِلَيْهَا رَغْبَةُ التَّحْقِيقِ سَاقَتْ
 وَلَتَضِغَ فِيهِ فَذَا الْبَحْرُ الْعَمِيقُ^(٣)
 تَسْتَمِدُّ النِّبْعَ جَوْفَ الْكَائِنَاتِ
 وَتَجَلِّي رُبُّهَا لَا تَطْلُبُنْ

(١) اَعْتَمَلَ : عَمِلَ عَمَلًا يَتَعَلَّقُ بِهِ دُونَ سِوَاهُ . وَالْمُبْتَكِرُ : الْمَجْدُّ لَا يَقْلُدُ غَيْرَهُ .

(٢) الضَّالَّةُ : النَّاقَةُ الضَّائِعَةُ الَّتِي لَا يَعْرِفُ لَهَا صَاحِبٌ . وَالْمُرَادُ هُنَا مَا يَرَادُ مَعْرِفَتَهُ .

(٣) الشَّاعِرُ يُرِيدُ قَوْلَهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ : ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ انْزِلْنِي مُنْزِلًا مُبَارَكًا ۚ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ ۚ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِرَبِّهِ الْكَافِرِينَ لَا تَجْعَلْ لِي جَنَّةً ۖ وَكَرَّمْتُ سَفَرًا ۚ لَوْلَا أَنَّكَ بِرَبِّهِ لَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۚ﴾ [الْأَعْرَافُ : ١٤٣] وَقَدْ تَضَارَبَتْ أَقْوَالُ الْمَفْسُرِينَ فِي مَعْنَى تِلْكَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ . وَفِي شِعْرِ لَجَلَالِ الدِّينِ الزُّوْمِيِّ : أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْوُجُودِ مِنَ الْعِلْمِ ، وَالرُّؤْيَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَا ظَهَرَ وَخُلِقَ .

خلوة تحفظ كل من صنع
جوهرأ في خاتم كانت لمع^(١)

الحكم الإلهي

إنَّ عبدَ الله لا ينبغي المقامُ
إنَّه حرٌّ وذو نفسٍ زكية
دينه والعرفُ من ربِّ كريم
جاءَ عقلٌ في الغرورِ حدة
خيرُ كلِّ النَّاسِ ينبغي وحيَ ربِّي
ويكونُ السُّلمُ أو حتَّى المصافُ
وإذا الإنسانُ أضحى أمراً
وَمَنْ القَهْرُ صُدُورُ أيِّ أمر
ولغير الله أمرٌ مخضٌ كُفِّر
أمرٌ بالأمْرِ زكى عقله
إنَّ صقراً في ذرى جوٍ يطير
قهره القانون ، مفقود البصيرة
من قوانين بنى حصناً له
صعوة في أمره قد يستشير^(٢)
يضع الإثمَ في العينِ الضَّريرة^(٣)

(١) يقول : إنَّ الخلوة تحمي كل من أوجد شيئاً ، وهي فص من الجواهر لخاتمته .

(٢) الزكية : الطاهرة .

(٣) جاز : تجاوز .

(٤) المصاف : الموقف في القتال .

(٥) الذرى : جمع ذرّة وهي أعلى الشيء . والصعوة : أنثى الصَّع وهو عصفور صغير .

(٦) الإثم : الكحل .

صاحب الأرضِ البدين ، كان شِرْعَه

والتَّحِيلُ زَارِعٌ مَا اقْتَاتَ زَرْعَه^(١)

بشَسَ مَا فِي الْغَرْبِ حَقًّا حُكْمُهُمْ وَيَزِيدُ الْمَيْتَ مَوْتًا صُوْرُهُمْ^(٢)
يَسْحَرُونَ ، خَذَعُ دَهْرٍ خَذَعُهُمْ مِنْ شُعُوبِ الْأَرْضِ كَانَ نَزْدُهُمْ^(٣)
يَسْرِقُونَ ، ذَا ثَرِيٍّ ذَاكَ كَسَادِحِ بِالْعَدَاءِ بَعْضُهُمْ لِلْبَعْضِ كَاشِخُ^(٤)
يَكْشِفُ السَّرَّ جَلِيًّا قَوْلُنَا سَلَمَةً نَحْنُ وَهُمْ تُجَارُنَا
جَفَنُهُمْ فِي الْمَالِ حُبًّا قَدْ جَمَدُ كُلُّ أُمَّ أَدَمًا ثَقُلُ الْوَلَدُ^(٥)
وَيَلْهَمُ الْخَوْفًا عَلَى حُلُوِ الثَّمَرِ يُخْرِجُونَ الْمَاءَ مِنْ جَذَعِ الشَّجَرِ !
وَلَكَيْلًا يَبِيعُ الْعُودُ الرَّنِينَا فِي الْبَطُونِ قَتَلُوا حَتَّى الْجَنِينَا
عِنْدَهُمْ مِنْ كُلِّ فِرٍّ كَثْرَةٌ كُلُّ مَا حَصَلَتْ مِنْهُمْ عِبْرَةٌ

يَا أَمِيرًا كَانَ مِنْ تَقْلِيدِهِمْ

الْكِتَابَ اقْرَأ ، وَعُذِّ مِنْ أَسْرِهِمْ^(٦)

الأَرْضُ مِلْكُ اللَّهِ

إِنَّمَا الْإِنْسَانُ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ لَامِتْلَاكِ الْأَرْضِ فِي حَرْبٍ وَغَرْبٍ
كَعُرُوسٍ وَلَهَا كُنَّا الرُّجَالَا سَحَرْتُنَا ، قَطُّ مَا نَلْنَا الْوَصَالَا

(١) البدين : السمين . والشَّرْعَةُ : الشريعة . واقتات الشيء : اتخذهُ قوتاً .

(٢) السُّور : ما ينفخ فيه إسرافيل يوم القيامة ليعث من في القبور .

(٣) النرد : شيء معروف يلعب به مع تحريك قطع من العاج على لوح من الخشب .

(٤) كَشِخَ لَهُ بِالْعِدَاوَةِ : أَضْمَرَهَا لَهُ .

(٥) جمدت العين : قل دمعها ، أو انقطع . وآده الحمل : أثقله .

(٦) الكتاب : القرآن الكريم .

ضَعَنْتُ كُلَّ خَدَاعٍ دَلَّهَا
أَيُّ شَيْءٍ رُمْتُ مِنْ ذَاكَ الْحَجَرِ
وَعَنِ الْيَقْظَانِ مَنْ نَامَ افْتَرَقَ
هَذِهِ الْأَرْضُ مِنْحَنَاهَا مَتَاعَا
مَالِكَ الْأَرْضِ إِلَيْكَ الْقَوْلُ عَنْهَا
وَالْإِمَامَ لَيْتَ شِعْرِي تَبْقِيَانِ
طُفْتُ بِأَفْلَاكِ السَّمَاءِ كَالْعُقَابِ

إِنَّمَا الْأَرْضُ لِرَبِّي ، ذَاكَ ظَاهِر

كُلُّ مَنْ أَنْكَرَ هَذَا فَهُوَ كَافِر

لَمْ أَقُلْ دَغٌّ عَنْكَ هَاتِيكَ الدُّيَارَا
أَرْفَعَنَّ عَنْ جَوْهَرِ الْأَرْضِ الثَّرَابَا
فِي الْجِبَالِ أَضْرِبُ بِفَأْسٍ صَخْرَهَا
وَطَرِيْقُ أَزَرَ فَلْتَجْتَنِبْهَا
بِالْجَمَالِ لَا تَصِلْ قَلْباً سَقِيمَا
عَالِمَا تَمْلِكُ مِنْ حَسَنِ أَنْارَا
التَّقَطُّ حَبُّ النُّجُومِ طَرُ عُقَابَا
وَيَنْوِرُ مِنْكَ أَوْقِدْ نَارَهَا
وَكَمَا تَهْوِي لَكَ الدُّنْيَا أَقْمَهَا^(٨)
أَعْطِهَا قَلْباً لَهَا كَانَ الْحَرِيمَا^(٩)

(١) الدَّلُّ : الدلال . ويقول : إنها لا تقبل عشاقها .

(٢) الحجر هنا رمز إلى الدار والوطن . والإنسان سوف يرحل عن دنياه وما البقاء إلا لوطنه وداره من بعده .

(٣) الشَّيَار هو الكوكب السيار ، وضدُّه الكوكب الثابت .

(٤) شَرَى الشَّيْءُ : اشتراه . والمنحة لا تباع ولا تشتري .

(٥) يقول : حسبك أن تجني من الأرض رزقك ، وتحفر فيها قبرك .

(٦) ليت شعري : لبني أشعر أي لبني أعلم .

(٧) العقاب : من جوارح الطير . والرَّجْسُ : القذر .

(٨) أَرَزَ : هو أبو إبراهيم عليه السلام . وجاء في سورة الأنعام قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أُنْشِئْتُ أُصْنَأُ إِلَهَةٌ إِيَّاكَ وَتَوَكَّلْ عَلَىَّ ﴾ [الأنعام : ٧٤] .

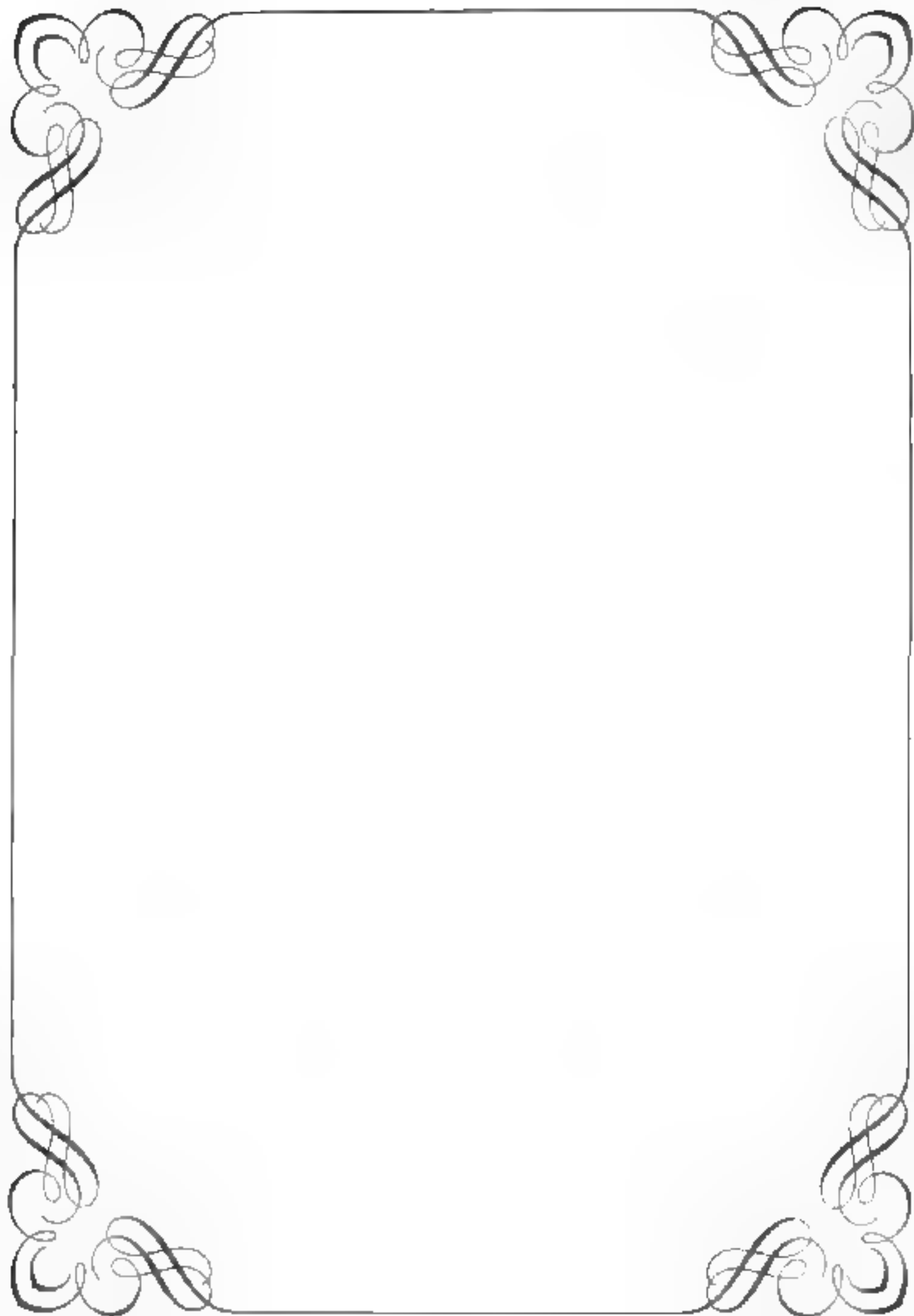
(٩) الحريم : كل موضع تلزم حمايته . يقول : إنَّ القلب يحيط بتلك الأرض وتلزم حمايتها وحمايته .

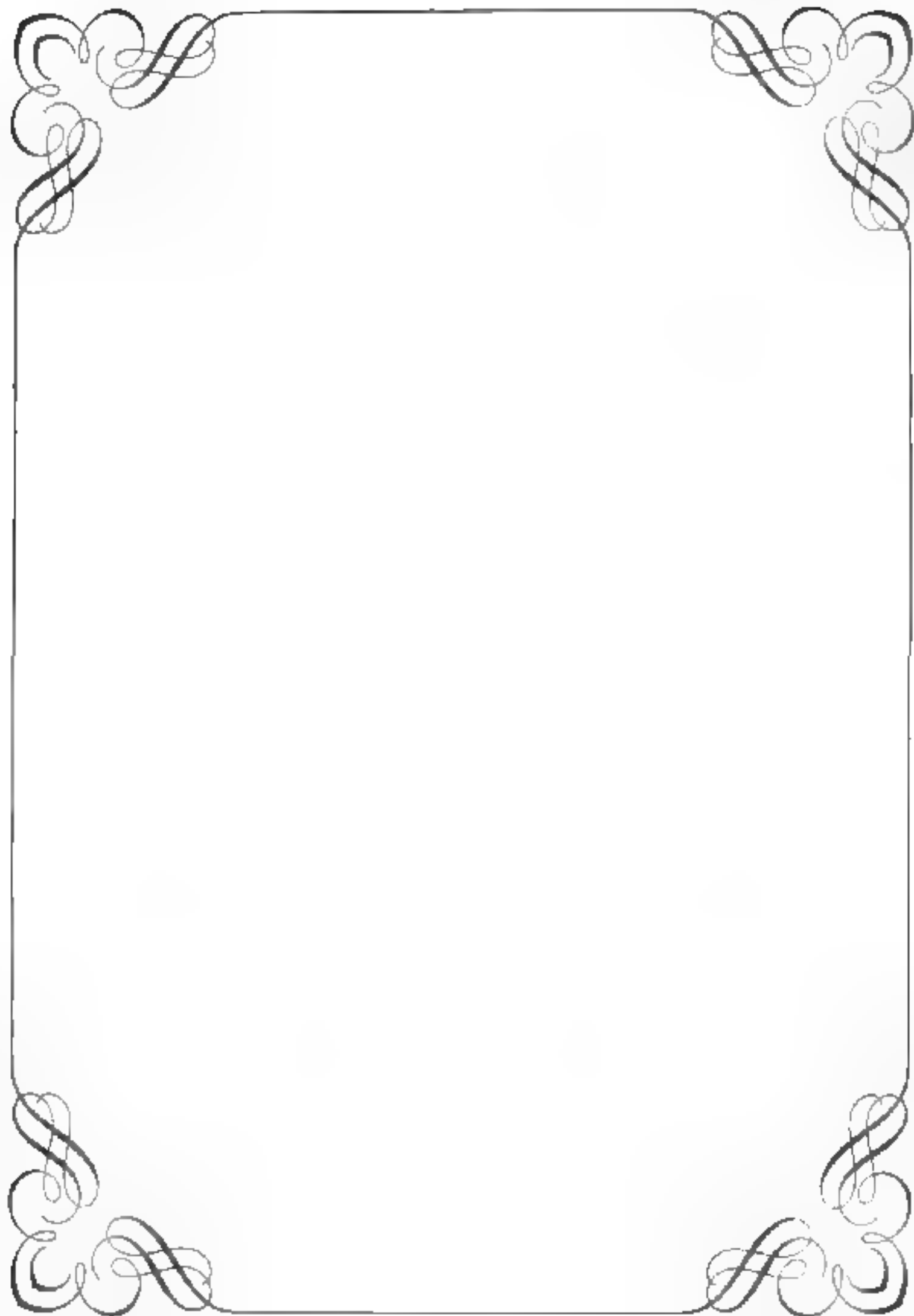
أَمُوتُ ؟ مَا لَنَا مَالٌ وَقَبْرُ أَنْضِيعُ ؟ وَلَنَا أَهْلٌ وَوَفْرُ^(١)
 « لَا إِلَهَ » وَلَهَا الْقَلْبُ اتَّسَعَ عَالِمًا فِي الذَّاتِ إِنْسَانُ جَمَعَ
 كَيْفَ فَقْرُ الْجُوعِ أَوْ فَقْرُ الْعُرَاةِ
 حُكْمُ سُلْطَانٍ ، فَدَغْ ذِكْرُ الْعُقَاةِ^(٢) ١



(١) الوفير : الكثير من المال .

(٢) يقول : إِنَّ الْفَقْرَ هُوَ حُكْمُ الْحَاكِمِ . وَالْعُقَاةُ : السَّائِلُونَ وَالْفُقَرَاءُ . وَالْمُرَادُ بِهِمْ هُنَا الرُّهَادُ .





الحكمةُ خيرٌ كثير

قال ربّي إنها الخيرُ الكثيرُ	إن تجذّه فاغتنيه يا بصير ^(١)
ولحرفٍ وهبَ العلمُ الجناحا	للخيسِ رونقَ الغالي أتاحا ^(٢)
والى الأفلاكِ علمٌ قد طلغ	نظرةً من مُقلبةِ الشمسِ اقتلغ
للوجُودِ ، ما يرى تفسيره	والمصيرُ للورى تفسيره ^(٣)
للصحارى قال جودي بالحبّاب	للبحارِ قال مُوجي بالسراب ^(٤)
عينه دوماً على ما قد جرى	أصلَ تلكَ الكائناتِ كي يرى
كتبي ، ربه إمّا ذكر	ويقطع الفكرِ عن ربّ كفر ^(٥)
ويغيّر القلبِ علمٌ كان شراً	نوره الظلماءُ بحرٌ ضلّ برا
من دخانِ عالمٍ أضحى كفيفا	والربيعُ فيه قد أمسى الخريفا ^(٦)
الفيافي والرياضُ الناضرات	والجبالُ هدمتها الطائرات
صدّر أهل الغربِ يضيئه اللهب	لذةً للسّطو والغزو استطابوا ^(٧)
نكسوا الأوضاعَ في أيامنا	نهبوا الأموالَ من أقوامنا

(١) قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ يَأْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

(٢) أتاح : هبّا .

(٣) أي أنّ ما يراه العلم ، ويحكم به ، هو وحده ما يفسر الوجود .

(٤) الحبّابُ : النفاخات على سطح الماء . والسراب : ما يشاهد نصف النهار كأنه ماء .

(٥) إمّا : تتألف من إن الشرطية وما الزائدة .

(٦) الكفيف : الأعمى . أي أنّ المتصاعد من الدخان والغاز يعمي العيون .

(٧) اللهب : مصدر من لهبت النار أي اشتعلت .

وَاسْتَمْدُوا بِطَشِ إِبْلِيسَ الرَّجِيمِ قَتْلُهُ مَا زَالَ كَالْأَمْرِ الصَّعُوبِ
 تَضِيحُ الْأَنْوَارِ نَاراً بِالْجَحِيمِ^(١) كَانِ أَوْلَى مُؤْمِناً أَنْ تَجْعَلَهُ
 إِنَّهُ قَدْ ضَاعَ فِي عُمُقِ الْقُلُوبِ^(٢) مَا جَلالٌ لَيْسَ فِيهِ مِنْ جَمالٍ
 وَيَسِفُ لِلْكِتَابِ تَقْتُلُهُ^(٣) عَلَّمْنَا بِالْعِشْقِ عِلْمُ الْمُؤْمِنِينَ
 أَيُّ هَجَرٍ ذَاكَ يَخْلُو مِنْ وَصَالٍ جَنَّةٌ عَلَّمْنَا لَنَا مَا لَمْ نُحِبْ
 وَيَغْيِرُ الْعِشْقُ عِلْمُ الْكَافِرِينَ وَلَنَا الْعَقْلُ كَسَهُمْ لَمْ يُصِبْ
 هَبْ عِيُونَ الْعُمَى نوراً تَشْهَدُهُ
 وَاهِدٍ لِلْإِيْمَانِ مِنْ تَبَتْ يَدُهُ^(٤)

زنده رود

مَحْكَمَاتُ لِي أَبَتْ فِي الْكِتَابِ عَالَمٌ مَا زَالَ يَطْوِي فِي الْحِجَابِ^(٥)
 الثَّقَابُ عَنْ جِبِينِ مَا رَفَعَ وَلَمَّاذَا مِنْ فُؤَادٍ مَا طَلَعَ
 وَلَدَيْنَا عَالَمٌ فِيهِ الدَّيْبُ لِلْبَلَى ، وَالنُّومُ فِيهِ لِلشُّعُوبِ
 فِي التَّارِ خَمَدَتْ نَارُ الْغِلَابِ أَلَمَنْ أَسْلَمَ مَوْتَ وَالْكِتَابِ^(٦)

سعيد حلیم باشا

إِنَّ دِينَ الْحَقِّ كَالْكَفْرِ الضَّرَاحِ إِنْ تَرَدَّى الشَّيْخُ فِي الْكَفْرِ الْمَبَاحِ^(٧)

- (١) يقول إنهم عززوا قوتهم بقوة إبليس . ومعاشرة أهل الجحيم تجعل النور نارا .
- (٢) الصَّعُوبُ : الصَّعْبُ . ويصعب قتل إبليس لأنه اختفى في القلب .
- (٣) الكتاب : القرآن .
- (٤) يقول : هب عيون العميان بصرأ لرؤية الله بقلوبهم : ومن تبَّت يداه هو أبو لهب . قال تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] .
- (٥) الكتاب : القرآن .
- (٦) غالبه غلاباً بمعنى قاهره .
- (٧) الضَّرَاح : الخالص . وتردَّى في الشيء : سقط .

طَلُّنَا يَبْدُو كَبْحَرٍ عِنْدَنَا وَيُرَى فِي الْبَحْرِ هَذَا طَلُّنَا ^(١)
 مِنْ أَعَاجِيبِ لِمَنْ بَاعَ الْكِتَابَا كَمْ تَعَالَى صَوْتُ جَبْرِيلَ انْتَحَابَا
 فِي السَّمَاءِ لَمْ تَشْفُهُ جَوْلَةً عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ قَوْلَةً ^(٢)
 مَا نَصِيئاً نَالَ مِنْ دِينِ النَّبِيِّ فِي ظِلَامٍ لِضِيَاعِ الْكَوْثَبِ
 وَضَرِيرُ الْقَلْبِ يَهْذِي فِي الثُّفَاقِ نَعْمَةُ الْأُمَّةِ مِنْهُ فِي الثُّفَاقِ ^(٣)
 مَكْتَبٌ ، شَيْخٌ ، وَأَسْرَارُ الْكِتَابِ أَكْمَهُ وَالشُّمُسُ كُفْهَهَا لَا تَحَابِي ^(٤)
 دِينَ مَنْ يَكْفُرُ تَدِيرَ الْجِهَادِ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَيْخٌ فِي الْفَسَادِ
 « رَجُلٌ اللَّهُ لِدُنْيَا الرُّوحِ كَانَا » قُلْ لِمَنْ فِي عِزَّةِ الرُّوحِ اسْتَكَانَا
 أَنْتَ يَا مَنْ لِلْحَيَاةِ الْفَكْرُ مِنْكَ وَثَبَاتُ الشُّغْبِ قَوْلٌ قِيلَ عَنْكَ
 حَفِظْتُ قَوْلَ اللَّهِ كَانَ دَيْدُنُكَ نَشْرُهُ فِي النَّاسِ كَانَ مَذْهَبُكَ
 ارْقِعِ الرِّاسَ تَكَلَّمْ يَا كَلِيمَ مَنْ يَدِيكَ يَصُدُّ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ
 عَنْ بِيَاضِ الشُّغْبِ حَدَّثَنَا طَوِيلَا وَلْتَذَكَّرْ بِالْفَلَا ظِيئاً جَمِيلَا ^(٥)
 أَنْتَ حَقّاً مُتَنَبِّرٌ مِنْ مُحَمَّدَ
 وَضَعْنَا الْحَالِي فَصْفَهُ ، أَيْنَ نَوْجُذَا
 مَا اسْتَمَدَّ رَجُلُ اللَّهِ الْبَشَرُ وَاسْتَمَدَّ مِنْ إِلَهٍ قَدْ عَفَّرَ

- (١) الطُّلُّ : التَّنْدِي .
 (٢) أم الكتاب : اللوح المحفوظ . وكلُّ العلوم منسوبة إليه ومتولدة منه . يقول : إن هذا الشيخ لا يبحث فيما وراء الطبيعة ، ولا يعرف القرآن حقَّ المعرفة .
 (٣) يهذي : يتكلم بغير معقول . ويعمه : يتردد في الضلال ، ويتحير في طريقه ، وكلام هذا الشيخ يوقع الناس في الحيرة والخلاف .
 (٤) الكمه : جمع أكمه وهو من ولد أعمى .
 (٥) قال تعالى في سورة طه : ﴿ وَأَضْمَمْنَا يَدَ الْيَمِينِ إِلَى جَنَاحِكَ وَفَرَّجْنَا بِهَا الْغَشِيَّةَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ﴾ [طه : ٢٢]
 وببضاء : أي : مشعة . ومن غير سوء : من غير عاهة . والفلا : جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة .

كُلُّ يَوْمٍ سَعِدَتْ رَوْحُ بِقُرْبِهِ كُلُّ يَوْمٍ كَانَ فِي شَأْنِ كُرْبِهِ
مُؤْمِنًا أَوْقِفَ عَلَى السِّرِّ الْخَفِيِّ «كُلُّ يَوْمٍ» مُدٌّ بِالشَّرْحِ الْجَلِيِّ^(١)
مَا لِرَكْبٍ نَزَلَ إِلَّا الْحَرَمَ فِي قُلُوبٍ مِنْهُمْ اللَّهُ الْحَكَمُ
وَطَرِيقاً آخِراً مَا إِنْ ذَكَرْتَ
نَظَرَةً أُخْرَى لَهُمْ مَا إِنْ عَرَفْتَ

الأفغاني

مَنْ حَدِيثِ الْمُصْطَفَى نِلْتَ التَّصِيْبَا ؟ كَانَ دِينَ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا غَرِيْبَا^(٢)
إِنَّهُ قَوْلٌ مِنَ الْأَقْوَالِ بِكَرْ مَا عَنِ الْفَقْرِ قَطُّ أَهْلُ ذِكْرِ
عَنْهُ مَشْغُولٌ بِبَحْثِ حُقْبَةٍ نَدْرَةُ الْآيَاتِ كَانَتْ غُرْبَةٍ^(٣)
إِنَّهَا فِي كُلِّ عَصْرِ تَخْتَلِفُ أَفْهَمَنْ مَا أَقُولُ يَا ثَقِيفُ^(٤)
أَمْنَحِ الْقُرْآنَ مَنْ فِكْرٍ مَزِيدَا وَكَمَا شِئْتَ افْتَتِحْ عَصراً جَدِيدَا
عَنْ كِتَابِ اللَّهِ مَنْ زَاغَ السُّتَارَا فِيهِ أَهْلُ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ الْحَيَارَى^(٥)
هَؤُلَاءِ الرُّؤُوسُ شَيْئاً أَبْدَعُوا أَوْجَدُوا الْخُبْرَ وَدِيناً ضَيَّعُوا

- (١) جاء في سورة الرحمن : ﴿ يَسْأَلُهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ بمعنى يفتقر إليه كل من فيهن ويطلب منه الرزق والعون . وهو يغفر ذنباً ويشفي مقيماً ويقم سليماً ويغفر غنياً ويغني فقيراً ويرفع قوماً ويضع آخرين .
- (٢) التلميح إلى قوله ﷺ : (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ) أي : أن المؤمنين المتمسكين بإيمانهم سوف يجدون أنفسهم في مقبل الأيام بين قوم غرباء ، كما كان شأنهم في أول أمرهم . وهذا يذكرنا بحديث آخر ، وهو : (يأتي زمانٌ يكون فيه القابضُ على دينه كالقابضِ على الجمر) .
- (٣) الحُقْبَةُ : المدة من الدهر ، لا وقت لها .
- (٤) الثَّقِيفُ : الحاذق الفطن .
- (٥) زاح : أزاح .

بِاللُّسَانِ الْحَقِّ قُلْ وَانْظُرْ بِعَيْنٍ
أَبْلَغَ الْقَوْمِ مِنِّْي لَفْظَتَيْنِ

رسالة الأفغاني إلى شعب روسيا

إِنَّ لِلْقُرْآنِ قَضِداً آخِراً
قَلْبُهُ مَا فِيهِ نَارٌ تَسْتَعِمِرُ
ثَمَرَ الْقُرْآنِ عَبْدٌ مَا أَكَلُ
قِصَراً أَفْنَى وَكِسْراً حَطْماً
دَوْحَةُ السُّلْطَانِ طَالَتْ وَاسْتَوَتْ
وَمِنَ الْمَلِكِ اخْتِلَافُ النَّظَرَةِ
وَاخْتِلَافُ الْعُرْفِ بِلِ الْفِكْرَةِ
وَمِنَ الْمَاضِي قُلُوباً تَقْتَطِفُ
أَنْتَ قَوَّضْتَ بِنَاءَ الْقِصْرِ
عِبْرَةً مِّنَا اتَّخَذَ عِبْرَ الْعُصُورِ
حَوْلَ أَصْنَامٍ حَذَارٍ مِنْ طَوَافِ^(١)
شَعْبَهَا شَيْخاً وَمِنْ شَيْخِ أَفَادَتِ^(٢)
كَيْفَ تَنْسَى يَوْمَ مَاضٍ مُّعْرِقِ^(٣)
وَلَكَ الْقَصْرِ الْجَدِيدُ تُوْجِدُ

أَنْتَ أَرْسَيْتَ الْأَسَاسَ الْمُخْتَلِفَ
نَحْنُ فِي الْمَاضِي هَدَمْنَا الْكِسْرَوِيَّةَ
كِي تُبَيِّرَ الْيَوْمَ مَصْبَاحَ الضُّمِيرِ
وَلَتُنَبِّتَ قَدَمَيْكَ فِي الْمَصَافِ
هَذِهِ الدُّنْيَا الْعَجُوزُ قَدْ أَرَادَتْ
ثُمَّ وَلَّ الْوَجْهَ نَحْوَ الْمَشْرِقِ
شِعْلَةً أُخْرَى بِرُوحٍ تُوقِدُ

(١) الذَّهَاقُ : المَمْتَلِئَةُ .

(٢) الْمَصَافُ : مَوْقِفُ الْقِتَالِ .

(٣) أَفَادَ : اسْتَفَادَ . وَكَأَنَهَا تَسْتَفِيدُ مِنْ شَيْخٍ بِعَظْمِهَا وَبِنَصَحِهَا .

(٤) وَلَّ : وَجَّهَ . الْمُعْرِقُ : الْعَرِيقُ فِي الْكَرَمِ . يُرِيدُ لِيَقُولَ : إِنَّ بَيْنَ الرُّوسِ وَالشَّرْقِ
صِلَاتٌ تَارِيخِيَّةٌ مُّجِيدَةٌ .

إِنَّ دِينَ الْغَرْبِ قَدْ أَمْسَى رَمِيماً لَا تَشَاهِدُ ذَلِكَ الدَّيْرَ الْقَدِيمَا^(١)
وَتَلَلْتَ الْحَاكِمِينَ الْيَوْمَ تَلَا أَتُرَكُّنَ « لَا » وَلَتَيْمَمُنْ نَحْوُ « إِلَّا »^(٢)
إِنَّ « لَا » ضِمْنَنْ كَلَامٍ كَانَ نَفِيَا أَنْتَ بِالْإِثْبَاتِ خُذْ دَوْمَا لِنَحْيَا^(٣)

وَإِذَا شِئْتَ نِظَامَ الْعَالَمِ
فَلْيَكُنْ فَوْقَ الْأَسَاسِ الْمُخْتَلَمِ

وَمَنْ التَّارِيخَ تَمْخُو كُلُّ بَابٍ فَاقْبِسِ الْأَنْوَارَ مِنْ أَمِّ الْكِتَابِ
مَنْ يَقُولُ مَاتَ كَثَرَى مَاتَ قَيْصَرُ؟ بَيْنَ سَوْدٍ بِالْيَدِ الْبَيْضَاءِ بَشَّرُ؟^(٤)
دَخَلَ مِنْ هَذَا التَّجَلِّيِ لِلشَّيْءِ أَتَرَكَ الْغَرْبَ وَأَذْرَكَ كُنْهَ ذَاتِ^(٥)
وَيَمْكُرِ الْغَرْبِ إِنْ كُنْتَ الْخَبِيرَا لَا تُقْلِدْ ثَعْلَباً بَلْ كُنْ هَضُورَا^(٦)
أَمِلْ الثَّغْلَبِ فِي الدُّنْيَا طَعَامُ قَوْلُ أَشَدِّ اللَّهِ « حُرٌّ أَوْ حِمَامُ »^(٧)
يُضْبِحُ الثَّغْلَبُ ذِيكَ الْأَسَدِ دُونَ قِرَآئِنَ ، وَمُلْكِكَ مَا اسْتَنْدُ
فَقَرُّهُ مُلْكٌ وَذِكْرُهُ نَسَمٌ فِكْرُ وَاهِبَ الْفِكْرِ الْكَمَالَ كَانَ ذِكْرُ
كَانَ تَهْذِيباً لِأَشْوَاقٍ وَذَوْقُ إِنَّهُ فِي الرُّوحِ « لَمْ يُوجَدْ بِحَلْقِ
فِي الضُّدُورِ مِنْهُ نَارٌ تَلْتَهَبُ وَأَجِيجُ النَّارِ لَمَّا تَسْتَطِبُ »^(٨)

يَا شَهِيداً فِي هَوَى الْفِكْرِ الْجَمِيلِ
ذَا تَجَلَّى الْفَكْرُ فِي قَوْلٍ طَوِيلِ

(١) الرميم : العظم البالي .

(٢) تل : صرع . ويمم : وجه . والإشارة في « لَا » و « إِلَّا » إلى « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .

(٣) دوماً : دائماً .

(٤) السُّود : المرب .

(٥) الشَّيْءُ : الألوان .

(٦) الهضور : الأسد .

(٧) الحِمَام : الموت . والمعنى نعيش أحراراً أو نموت .

(٨) أجيج النار : تلهبها . لما تستطب : لم تستحسن إلى الآن .

ما هو القرآن ؟ هُلِكَ الظالمينا
أهل جزص أي خير حَقُّوا
ليس من هذا الربا إلا الفتن
يَجْعَلُ الإنسانَ صَخْرِيَّ الفؤاد
عن منال رِزْقُ أرضٍ ما امتناع !
الأمينُ العَبْدُ والرحمنُ مالِكُ
الملوكُ نَكُّوا اللهُ رَأْيَهُ

والخلاصَ كَانَ لِلْمُسْتَعْبِدِينَا^(١)
﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا ﴾^(٢)
مَنْ دَرَى مَا لَذَةُ الْقَرْضِ الْحَسَنِ ؟
أو كَلَيْتَ أَذْرَدَ وَسَطَ الْمَصَادِ^(٣)
مُلْكُ رَبِّ وَهِيَ لِلْعَبْدِ الْمَتَاعُ
كُلُّ شَيْءٍ غَيْرَ وَجْهِ اللهِ هَالِكٌ^(٤)
وَالْقُرَى مِنْ ظُلْمِهِمْ فِي الذِّلِّ غَايَةٌ^(٥)

خَبَرْنَا والماء تحوي مائده

إِنَّمَا النَّاسُ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ^(٦)

صورة القرآن لما أَظْهَرَتْ
وأقول ما بقلبي يُضْمَرُ
مثبه الرَّحْمَنُ يَخْفَى وَهُوَ ظَاهِرُ
وَلَقَرْبٍ فِيهِ أَقْدَارٌ وَشَرْقُ
قال جُذْ بِالرُّوحِ جُذْ لِلْمُسْلِمِ
أَنْتَ يَا مَنْ ذَلِكَ الشَّرْعُ اتَّخَذْنَا

صُوراً أُخْرَى بِوَاهَا أَبْطَلَتْ
أَكْتَابُ ذَاكَ ؟ شَيْءٌ آخَرُ ؟
دَائِمٌ حَيٌّ وَمِنْطِيقٌ يُجَاهَرُ^(٧)
كُنْ سَرِيعَ الْفَهْمِ أَسْرِعْ مِثْلَ بَرْقِ
فَوْقَ مَا تَحْتَاجُ طَوْعاً قَدِّمُ
فِي كِتَابِ اللهِ نَوْرًا لَوْ رَأَيْتَا

(١) الهلك : الهلاك .

(٢) قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاكُمْ تُنْفِقُوا فَاَتَىٰ ذِكْرُ اللَّهِ يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَلَنْ يُخْلِكَ اللَّهُ بِهِ عِلْمُهُ ۚ ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

(٣) الأدرد : من ذهب أسنانه . والمصاد : مكان الصيد .

(٤) يذكر بقوله تعالى في سورة القصص : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] .

(٥) الإيماء إلى قوله تعالى في سورة النمل : ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَخَلَكُوا مَرْبِيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ [النمل : ٣٤] .

(٦) قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [الأنعام : ٩٨] .

(٧) المنطيق : البليغ . ويجاهر : يرفع الصوت .

لَعَرَفْتُ مَا تَعَالَى وَاتَّخَذْتُ

فِي الْحَيَاةِ وَفَهِنْتُ مَا الْقَدَرُ

مَا مَعَ الثَّاقِي حَوَانَا الْمَحْقَلُ مِعْزَفُ الْقِرَآنِ دَوْمًا يَهْدِلُ^(١)
لَوْ خَلَا عَزَفٌ لَدَيْنَا مِنْ أَثَرِ فِي السَّمَاءِ لَا سَتَمَعُنَا لِلْوَتَرِ
ذَكَرُ رَبِّي عَنْ شُعُوبٍ فِي غَنَى لَزِمَانٍ وَمَكَانٍ مَا انْتَشَى^(٢)
أَيْسَ مِنْ ذِكْرِ لِرَبِّي مِنْ ذَكْرٍ مَا لِرُومٍ مَا لَشَامٍ مِنْ خَبَرٍ^(٣)
لَوْ أَرَادَ اللَّهُ عَنَّا حَمْلَهُ لَا سَطَاعَ لِمَوَانَا نَقْلَهُ^(٤)
ذَلِكَ التَّقْلِيدُ فِينَا قَدْ رَأَيْتُ رِغْدَةً لِلرُّوحِ فِي جَسْمِي وَجَدْتُ^(٥)
فِي غِبْدٍ قَدْ يُخَرِّمُونَ ذِكْرَهُ فِي غِبْدٍ قَدْ يُخَرِّمُونَ ذِكْرَهُ
وَيَقْلِبُ الْغَيْبُ يَلْقَى نَارَهُ

جلال الدين الرومي

يرغب إلى زنده رود أن يقول شعراً

إِنَّمَا الرُّومِيُّ فِي جَذْبٍ تَفَجَّرَ وَعَرَفْتُ الْقَوْلَ فِيهِ كَيْفَ أَثَرُ
صَعْدَ الرُّفْرَةَ نَاراً لِلْكُبُودِ مَكَبَ الدَّمْعِ دِمَاءَ لِلشَّهِيدِ^(١)
بِالسُّهَامِ رَاشِقٌ قَلْبَ الرُّجَالِ سَيْدُ الْأَفْغَانِ خُصٌّ بِالْمَقَالِ^(٢)

(١) المِعْزَفُ : آلة الطرب . وَهْدَلُ الْحِمَامِ : صَوْتُ .

(٢) يقول : إِنَّ ذَكَرَ اللَّهِ لَيْسَ خَاصًّا بِشَعْبٍ خَاصٍّ ، وَلَا يَنْسَبُ إِلَى زَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ .

(٣) يريد ليقول : إِنَّ ذَكَرَ اللَّهِ مُفَصَّلٌ عَنْ ذَاكِرِهِ ، وَلَا صِلَةَ لَهُ بِالْمَكَانِيَةِ .

(٤) غرضُ الشَّاعِرِ أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْصُّ بِذِكْرِهِ قَوْمًا بَعْضَهُمْ .

(٥) يعيب التقليد عند المسلمين .

(٦) الكبود : جمع كبد .

(٧) المراد بسيد الأفغان السيد جمال الدين الأفغاني .

« حمرة لالفت ضئها في الوتين
 بالمُنَى الأرواح سِلَّ ذو زَيْد
 وأشار ثم قال « زنده رود
 ناقة من أينها ضاقت خطاها
 امتحان الطاهرين بالبلاء
 وعَنِ النِيلِ ابْتَعِدْ مِثْلَ الكَلِيمِ
 ومموط الحق أمسك باليمين^(١)
 إنما اليأس لها موت الأبد
 فليكن بالشعر نارا ذا الوجود
 آدها الحمل وأن من حذاها^(٢)
 فلنزد في طول جهد للعلماء^(٣)
 كالخليل فلتسز نخو الضريم^(٤)

من حبيب نعمة ماجت بطلب
 أمّة تكسب داراً للحيب



غزل زنده رود

ليس زهر في الرياض بالمقيم أبدا
 أين معنى ما وجدنا بعد بحث يا ترى
 ومن الذات تعلم أنت حرفاً واحترق
 إنه يمضي كأماج النسيم أبدا
 مكتب يبقى وحان كالعقيم أبدا
 تغدّم الخانقاه نارا للكليم أبدا^(٥)

- (١) حمرة الأفق هي الشفق . والوتين : عرق في القلب . والشموط : حبال تتدلى من الشرج .
 (٢) الأين : التعب . آده الحمل : أثقله . وحدا الإبل : ساقها ، وغنى لها . يقول : إن غناء من يسوق الناقة يبني أن يصبح أبنياً بعد تعب ناقتة .
 (٢) العلماء : جمع ظامىء . وهذا البيت يتصل بما قبله وما بعده في وجوب الشعور بالجهد والعذاب لامتحان النفس .
 (٤) الضريم : الحريق وهو هنا ناز إبراهيم عليه السلام . والشاعر يذكر بما وقع لكليم الله موسى ، فقد أوحى الله إلى أمه أن تقدفه في النيل ليلقيه بالساحل .
 (٥) الخانقاه : مبنًى يقيم فيه المتصوفة . والكليم : موسى عليه السلام . والشاعر يلمح إلى تلك النار التي آنسها موسى ، وهي عند الصوفية رمزاً للمعرفة .

لا تَحْدُثُ عَنْ صَفَاءٍ مِنْ بَخَانِقَاهُ سَكَنُ
 وَمِخَ الشَّغْرِ تَرَاهُ وَالْأَدِيمِ أَبْدَا^(١)
 كَمْ بِيُوتٍ شَيَّدُوها وَسَطَ بَيْتٍ وَاحِدٍ
 لَا يَشِيرُ الْقَلْبُ رَبِّاً لِلْمُقِيمِ أَبْدَا^(٢)
 لَيْسَ خَطْبِياً أَنْ يَضِيقَ بِالنَّدَامَى مَجْلِسِي
 إِنَّهُ إِلَّا تَرَى كَأْسَ التَّدِيمِ أَبْدَا !

.. ..

- (١) الأديم : الجلد المدبوغ ، ووجه الأرض ، وقد ترجمنا به كلمة سجادة في الأصل رغبة منا في الاحتفاظ بنفس القافية والوزن في الترجمة العربية . أما الرديف وهو الكلمة التي تكرر بعد كل بيت فهي في الأصل (كل) وترجمناها بـ (أبداً) وهي ظرف زمان للتأكيد في المستقبل .
- (٢) يريد الشاعر بالبيوت بيوت العبادة . ويقول : إنَّ الموحَّدين لهم جميعاً فكرة واحدة لا ريب فيها ، وهو يُعجَبُ لانقسام القوم فرقاً وطوائف .

فلك الزهرة

يَحْجُبُ الثُّورَ بِدَايَتِنِ السَّحَابِ
وَاجْهُونَا بِالثُّنُورِ عُلُقَتِ
كَيْ تَزِيدَ النَّارُ فِي الْقَلْبِ اشْتَعَالَا
وَبِوَقْدٍ مِنْهُ فِي وَرْدٍ دِمَاءِ
هَكَذَا مِنْ تُزْيِهَا الْأَرْوَاحُ قَامَتْ
وَالطَّرِيقُ يَحْتَوِي مَوْتاً وَخَشَرَا
فِي الْفَضَاءِ دَارَ مُزْرَقِ الْفَلَكَ
وَهِيَ إِبْرَاهِيمُ أَوْ ذَاكَ الْحَرِيمِ
السَّمَوَاتِ وَهَذِي خَيْبَرُ
مِنْ فضاء الصَّفِيقِ مِنْ حِجَابِ^(١)
لِلتَّجَلِّي كُلِّ نَارٍ أُخِمِدَتْ
وَتَرَى غُضْناً وَبِالْأَثْمَارِ طَالَا
زُبْقاً بِالرَّقْصِ مِنْهُ كَانَ مَاءِ
وَبِمَا لَا تَشْهَدُ الْعَيْنَانُ لَاذَتْ^(٢)
فِيهِ لَكِنْ زَوَّدُوا بِالنَّارِ سَفَرَا^(٣)
هَابِطٌ يعلو وما يعلو انْسَبَكَ^(٤)
كَالذَّبِيعِ ، فِي الْفِدَاءِ لَا يَلُومُ^(٥)
لَا يُجِنُّدُ الطَّغْنِ إِلَّا خَيْدُرُ^(٦)

(١) الصفيق : ضد الرقيق .

(٢) الثُّرْب : التراب .

(٣) السَّفَر : المسافرين . يقول : إِنَّ النَّارَ كَانَتْ زَاداً لَهُمْ .

(٤) انْسَبَكَ الذَّهَبُ : ذُوبَ وَأَفْرَغَ فِي قَالِبٍ . وبذلك يشبه انخفاض واستواء ما ارتفع .

(٥) الذبيح : هو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام الذي أطاع واستسلم .

(٦) حيدر هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وفي غزوة خيبر أرسل النبي ﷺ إلى علي لفتح أحد الحصون وكان عليّ أرمداً . فقال : ما أبصرُ سهلاً ولا جبلاً . فذهب إليه وقال : افتح عينيك ففتحهما فما رمد بعدها ، ثم دفع إليه اللواء ، ودعا بالنصر له ومن معه . وشدّ عليّ على الأعداء فانكشف المسلمون وثبت هو وقتل من بارزه . وانهزم اليهود إلى حصنهم وبارزه يهوديّ آخر وضربه ضربة شديدة حطمت ثورمه . فتناول كرم الله وجهه بآباً عند الحصن ليترس به عن نفسه . ولم يزل معه حتى فتح الحصن . قيل وكان هذا الباب ثقيلاً فلم يحمله أربعون رجلاً .

طَهَّرَ الرُّوحَ الصُّرَاغُ الْمُتَمَرُّ إِنَّهَا تَجْرِي بِهِ أَوْ تَنْقَرُ
 وَهِيَ فِي نَوْرِ عَلَى نَوْرٍ تَطِيرُ وَلَدَيْهَا الصَّيْدُ جَبْرِيلُ وَخُورُ^(١)
 ثُمَّ ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ يَضْحَى النَّصِيَا
 لِمَقَامٍ عَبْدُهُ تَمْسِي الرَّقِيَا^(٢)
 فِي مَقَامِي لَسْتُ أَدْرِي أَيْنَ كُنْتُ إِنِّي عَنْ كُلِّ خُلَانِي نَأَيْتُ
 تَعْدَمُ الْحَرْبُ بِصَدْرِي عَسْكَرَا مِنْ لَهُ عَيْنٌ كَعَيْنِي قَدْ يَرَى
 مَنْ دَرَى مَا الْحَرْبُ فِي كَفْرِ وَدِينِ وَخَذَهَا نَفْسِي كَزَيْنِ الْعَابِدِينَ^(٣)
 أَيُّ مَعْنَى لِلطَّرِيقِ وَالْمَقَامِ ؟ إِنَّ شَكْوَايَ السُّرَاجُ فِي الظُّلَامِ^(٤)
 أَهْلَكَ الِيمُ الشُّيُوخَ وَالشُّبَابَا هَاكَ شَيْخَاً وَاحِداً جَارَ الْعُبَابَا^(٥)
 قَدْ رَفَعْتُ السُّتْرَ وَالسُّتْرُ انْطَوَى أَرْهَبُ الْوَصَلَ وَتَبْكِينِي النَّوَى^(٦)
 الْوَصَالُ آخِرُ الشُّوقِ الْحَزْرَا مَا لَشَكْوَى وَزَفِيرٍ مِنْ أَثْرَا
 سَالِكَ مَا إِنْ رَأَى مَثَنَ الطَّرِيقِ مِنْ فَرَاغٍ إِنْ يَكُنْ غَيْرَ الْمُفِيقِ^(٧)

- (١) الصيد : ما يصاد .
- (٢) يريد الشاعر قوله تعالى في سورة النجم : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم : ١٧] . أي ما مال بصر النبي ﷺ عما رآه وما تجاوزه بل أثبتته أو ما عدا عن رؤية ما أمر برويته من العجائب . وقد رأى من آيات الله الكبرى ليلة المعراج .
- أما قوله (عبده) فالمقصود به قوله تعالى في السورة نفسها ﴿ فَوَحَّى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ [النجم : ١٠] أي أوحى إلى عبده جبريل ما أوحى جبريل إلى النبي ولم يذكر الوحي تفخيماً لشأنه .
- (٣) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي أبي طالب الملقب بزين العابدين رضي الله عنه ، رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية . وقد عرف بصدقة السر ، والحلم ، والورع . وهو الوحيد الذي نجا من موقعة كربلاء . وكانت وفاته عام ٩٤ هـ .
- (٤) السراج : المصباح .
- (٥) اليم : البحر . والشباب : الموج .
- (٦) النوى : البعاد .
- (٧) الفراغ هنا هو : سكون النفس .

إِنَّ لِي قَلْبًا وَمِنْ ذَوْقِ النَّظَرِ عالماً يَشْتاقُ ، بالشَّوقِ اسْتَعَزَّ^(١)
 إِنَّمَا الرُّومِي بِرُوحِي تِلْكَ أَعْلَمُ قَالَ يَا مَنْ عَالِماً تَبْغِي تَسَلَّمُ
 فِي يَمِينِ الْعِشْقِ نَحْنُ وَهُوَ يَلْعَبُ فَتَأَمَّلْ ، يَحْتَوِينَا أَيُّ كَوْكَبِ^(٢)
 عَالَمٌ وَالْأَسْرُ مِنْ طِينٍ وَمَاءٍ مِنْ سَوَادِ الْمِنِّكَ يَبْدُو فِي كِسَاءِ^(٣)
 وَبَعِينِ مَرْقَتْ كُلَّ الْحُجُبِ أَنْظِرُنْ وَاخْتَرِقْ كُلَّ الشُّحُبِ
 سَتَرِي الْأَرْيَابَ حَتْمًا كُلَّهَا وَأَنَا أَعْلَمُ حَقًّا حَالَهَا
 (بَعْلُ وَمَرْدُوخُ وَيَعْقُوقُ وَنَسْرُ وَفَسْرُ رَمِ خَنْ وَلَاتُ وَمَنَاةُ وَعَسْرُ وَغَسْرُ)
 إِنَّهَا لِلْبَعْثِ تَأْتِي بِالذَّلِيلِ
 فَالزَّمَانُ لَيْسَ فِيهِ مِنْ خَلِيلِ^(٤)



عودة الجاهلية

مرَّ شاعرُ الإسلام - في بعض زياراتِه الرُّوحِيَّةِ وسياحاتِه الفكريَّةِ - بوادٍ ،
 اجتمعت فيه الآلهة القديمة التي عبدتها أممُ الجاهلية ، ونحتت أصنامها
 وتمائيلها ، وبنت عليها هياكلَ ومعابد ، وعكفَ عليها السَّدنة والكُهَّان ، وتغنَّى
 بها الشعراءُ والأدباء ، وكان مَجْمَعُ الآلهة القديمة من شعوب مختلفة ، وبلادٍ
 مختلفة ، وعصورٍ مختلفة ، فهذا إلهُ المصريين القدماء ، وهذا ربُّ التَّبابعة ،
 والأدواء من اليمن ، وهؤلاء آلهةُ عربِ الجاهلية ، وأولئك آلهةُ وادي الفرات ،

(١) استعرت النار : اشتعلت .

(٢) هذا الكوكب هو كوكب الزُّهرة .

(٣) الأس : الأساس . وهو يشبه هذا العالم بالكعبة وعليها الكوة السوداء .

(٤) يقول إنَّ هذه الآلهة تقدِّم الدليل على بعثها . فما في زماننا إبراهيمُ الخليل عليه السلام
 محطَّمُ الأصنام . وقد أوردنا أسماءها كما وردت في الأصل الفارسي ، فلتلقِ كُلُّ وادٍ
 ضُمَّةً ليستقيمَ الوزنُ كما هو الشأن في الفارسية .

وهذا إله الوضلي ، وذلك ربّ الفراق ، هذا من سلالة الشمس ، وذلك ختن القمر ، وهذا زوج المشتري .

ثم إنهم أشكّالٌ وألوان ، فهذا قد سلّ السيف بيده ، وهذا تقلّد حية ولوaha حول عنقه ، وكلّهم وجلون مشفقون من الوحي المحمّديّ ، الذي أحدث الثورة الكبرى عليهم ، وأفسد عليهم العيش ، وولد العالم الجديد القائم على نبذ الأصنام ، والمؤسّس على عقيدة التوحيد ، وكلّهم ساخطون حانقون على ضربية إبراهيم .

لقد كانت هذه زيارة مفاجئة سرّ بها الآلهة ، وتفاءلوا بها ، وكان « مردوخ » أول من انتبه لهذه الزيارة ، ورخّب بالإنسان القادم ، وأخبر زملاءه به : أبشروا يا إخوتي ! فإنّ إنساناً قرّ من الله ، وثار على الأديان السماوية ومراكزها ، وأقبل إلى العهد الماضي ، ليتوسّع في العلم والنظر ، وجاء يتمنّع بالآثار العتيقة ، ويتحدّث عن مجدنا ، إنّها بارقة أملٍ لاحت بعد مدّة ، ونفحة هبّت من أرضٍ حكمتها طويلاً ، ونعمنا فيها كثيراً .

وكان بعلّ - إله الفينيقيين والكنعانيين القديم - أول من اهتزّ لهذه الزيارة ، فأنشأ يغني في طربٍ ومرح ، ويقول : « إن الإنسان اخترق السموات العلى ، يبحث عن الله ، فلم يجده ، فليست هذه العقائد التي يدين بها الإنسان إلا خواطر تسنخ له ثم تغيب ، كالأمواج ترتفع ثم تتوارى ، إنّهُ لا يرتاح إلا إلى المحسوس المشهود .

حبّا الله الإفرنج الذين عرفوا طبيعة الشرقيين ، الذين أعادوا إلينا الحياة ، وبعثونا من مراقدنا ، فانتهزوا يا زملائي الكرام ! هذه الفرصة الذهبية ، التي أتاحها لنا الدهاء الغربيون ، ألا ترون كيف نسي آل إبراهيم عقيدة التوحيد ، ونسوا العهد والميثاق الذي أخذ عليهم ، ونسوا لذّته .

إنهم صحبوا الغربيين مدّة من الزمان ، وعاشوا معهم ، ففقدوا ثروتهم ،

وضيِّعُوا ذَلِكَ الدِّينَ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، وَالَّذِي بَعَثَ فِيهِمُ الرِّيحَانَ
وَالْيَقِينَ .

إِنَّ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ الْحَرَّ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الْحُدُودَ وَالْجِهَاتِ ، وَلَا يَعْبُدُ غَيْرَ
الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَصْبَحَ يُؤْمِنُ بِالْوَطَنِ ، وَيَقْتُلُهُ ،
وَيَعْبُدُهُ ، وَيَقَاتِلُ فِي سَبِيلِهِ ، وَيَكْفُرُ بِاللَّهِ ، وَيُهْجِرُهُ وَيَتَنَاسَاهُ .

لَقَدْ خَضَعَ الْمُسْلِمُونَ لِنُفُوزِ الْغُرَبِيِّينَ وَمَجْدِهِمْ ، وَأَصْبَحَ شَبَوُخُهُمُ الْكِبَارُ
وَعُلَمَاؤُهُمُ الْعِظَامُ يَتَقَلَّدُونَ شِعَارَهُمْ ، وَيَقْتَفُونَ آثَارَهُمْ ، فَلَنَسْتَبَشِّرُ وَلَنَسْتَهْزِ هَذِهِ
الْفُرْصَةَ .

لَقَدْ هَادَ إِلَيْنَا الشَّبَابُ ، وَحُقَّ لَنَا أَنْ نَطْرَبَ ، فَقَدْ انْهَزَمَ الدِّينُ ، وَانْتَصَرَتِ
الْوَطَنِيَّةُ وَالْجَنَسِيَّةُ . إِنَّ الْمَصْبَاحَ الَّذِي أَنْارَهُ مُحَمَّدٌ ، تَأَلَّبَ عَلَيْهِ مِثَّةُ أَبِي لَهَبٍ ،
يَطْفِئُونَهُ ، إِنَّا لَا نَزَالُ نَسْمَعُ صَوْتَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَكِنَّهُ صَوْتُ يَصْدُرُ عَنْ
الشَّفَتَيْنِ ، وَلَا يَصْدُرُ عَنِ الْقَلْبِ ، وَكُلُّ مَا غَابَ عَنِ الْقَلْبِ سَيَغِيبُ عَنِ الْفَمِ .

لَقَدْ أَعَادَ سَحَرُ الْغُرَبِ دَوْلَةَ إِلَهِ الشَّرِّ وَالظُّلْمَةِ ، وَشَبَابَهُ ، وَأَصْبَحَ الدِّينُ الْإِلَهِيُّ
مَهْدَدًا ، فَطَوَّبَى لَنَا وَإِخْوَتِنَا الَّذِينَ قَطَعُوا الرِّجَاءَ مِنَ الْحَيَاةِ ، وَاعْتَكَفُوا فِي
الْخُلُوتِ وَالْمَغَارَاتِ .

لَقَدْ كَانَ عِبَادُنَا أَحْرَارًا ، لَهُمُ التَّصَرُّفُ الْمُطْلَقُ ، وَالْحَرِيَّةُ الْكَامِلَةُ فِي
حَيَاتِهِمْ ، لَمْ نَتَقْلَهُمْ بِعِبَادَةٍ وَطَاعَةٍ ، وَإِنَّمَا طَلَبْنَا مِنْهُمْ رُكْعَةً لَا سَجُودَ فِيهَا ، وَقَدْ
أَثَرْنَا فِيهِمُ الْعَاطِفَةَ الدِّينِيَّةَ بِالْأَنَاشِيدِ وَالْأَغَانِي ، فَلَمْ تَكُنْ صَلَاتُهُمْ إِلَّا مَكَاءً ،
وَتَصَدِيَّةً ، وَنَغْمَةً ، وَأَغْنِيَةً ، وَأَيُّ لَذَّةٍ فِي صَلَاةٍ لَا غَنَاءَ فِيهَا ، وَلَا مُوسِيقًا ؟ !

إِنَّ النَّاسَ لَا يَبْدُوْنَ بِمُفَضِّلِينَ عِبَادَةَ طَاغُوتٍ مُشْهُودٍ عَلَى عِبَادَةِ إِلَهٍ غَائِبٍ ، وَرَبِّ
لَا يُرَى بِالْأَبْصَارِ ، ^(١) .

(١) من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الندوي . صفحة ١٧٥ - ١٧٨ .

وإليك هذه الأبيات المترجمة للعربية شعراً ، يقول فيها إقبال :

<p>أظلمَ الغَيْمُ وَلِلْمَرْيَحِ الخُفُوقُ الرياحُ البحرُ فيها قد تعلَّقُ لا يرى شَطْطَ وموجٍ يَهْدُرُ ومَعَ الرُّومِيِّ في بحرِ السَّوَادِ إنَّه المِسْفَارُ لَكِنْ لَمْ أَسَافِرْ عاجزاً قُلْتُ كلاماً كُوراً وإذا للعينِ أطوادُ تلُوحُ وإذا في النَّجْدِ والسَّهْلِ الرِّيعُ ولنا الطَّيْرُ تَغَنَّتْ بِالْجَوَى ذاكَ قَيْضٌ مِنْهُ للجِسمِ البَقَاءُ وَمِنْ الطُّودِ نَظَرْتُ نَظْرَةً واستوى الوادي ومدَّ جانبيه</p>	<p>في الظَّلامِ تَفْقِدُ النُّورَ البُرُوقُ (١) شَقَّتِ الثُّوبَ بِدُرٍّ كَمْ تَأَلَّقُ ما على صَرْخِ الرِّيحِ يَغْدِرُ (٢) حُلماً كُنَّا بِسوداءِ الفُؤَادِ (٣) وعلى هذا رَأَيْتُ غَيْرَ صَابِرٍ (٤) «عالمٌ آخِرَ عَيْنِي لا تَرَى» وغديرٌ في مروجٍ وهي قَيْحٌ (٥) وَالنَّسِيمُ يالَهُ مِسْكَاً يَضُوعُ (٦) والينابيعُ وعُشْبٌ ما استوى (٧) وَلَعَيْنِ الرُّوحِ في الجِسمِ الجلاءُ لأرى الدُّنْيَا تَرْفُ نَضْرَةً (٨) إِنَّ ماءَ الخضرِ مشتاقٌ إليه (٩)</p>
---	---

(١) الخفوق : الخفق والخفقان .

(٢) هَدَرَ البحرُ : ارتفع خريره .

(٣) الرومي : هو جلال الدين الرومي ، وسوداء القلب وسوداؤه : حبه .

(٤) المِسْفَارُ : الكثير الأسفار .

(٥) الأطواد : الجبال . والغدير : النهر . والفيح : الواسعة .

(٦) النجد : ما ارتفع من الأرض . وضاع المسك : انتشرت رائحته .

(٧) الجوى : الحزن . ما استوى : ما ارتفعت سوقه .

(٨) رَفَّ النباتُ : تَلَّأ نَضْرَةً .

(٩) استوى : أصبح مستوياً ، جاء في الروايات الفارسية أن الإسكندر رغب إلى الخضر عليه السلام أن يكون دليله في رحلة طويلة تكتنفها المصاعب والمعاطب إلى ماء الحياة وهو ينبوع في أرضٍ بعيدة تسمى دار الظلمات . ومن نَهَلَ نَهْلَةً منه ضَمِنَ أن يكون من الخالدين . ومضى الخضر مع الإسكندر ، وشاهد الخضر هذا الماء كأنه خيطٌ من =

كُلُّ رَبِّ فِيهِ مِنْ ذَاكَ الرَّؤْمَنُ
 ذَاكَ مِنْ أَرْيَابِ عُرْبٍ أَوْ عِرَاقٍ
 وَسَلِيلُ الشَّمْسِ صِهْرٌ لِلْقَمَرِ
 وَاحِدٌ يَخْتَالُ بِالسَّيْفِ الْحُسَامِ
 كُلُّهُمْ يَبْتَغِ مِنْ ذِكْرِ الْجَمِيلِ
 « إِنَّمَا الْمَرْءُ مِنَ الْمَوْلَى هَرَبٌ
 وَكَأَنَّ الْعَقْلَ مِنْهُ أَوْمَضَا
 ظِلٌّ يَسْتَحْسِنُ مَا كَانَ الْقَدِيمَا
 وَيَجِدُ الْوَهْمُ فِي هَذَا الزَّمَانِ

رَبُّ مُضَرٍّ ذَا وَذَا رَبُّ الْيَمَنِ
 ذَاكَ رَبُّ الْوَضَلِ ذَا رَبُّ الْفِرَاقِ
 مِنْ بَزُوجِ الْمُشْتَرَى خَصَّ النَّظَرُ
 آخِرُ فِي لَيْتِهِ أَفْعَى السَّمَاءِ^(١)
 وَيَخَافُ كُلُّهُمْ بَطْشَ الْخَلِيلِ^(٢)
 وَالْمَصْلَى^(٣) ، قَالَ مُرْدُخُ ، وَانْتَحَبَ^(٤)
 وَهُوَ لَا يَنْسِي زَمَانًا قَدْ مَضَى^(٥)
 فِي تَجَلُّنَا يَرَى شَيْئًا عَظِيمَا
 وَتَهَبُ الرِّيحُ رِيحًا لِلْأَمَانِي^(٦)
 ثُمَّ غَنَى بَعْلٌ مِنْ فَرْطِ الطَّرَبِ
 مَرَّنا أَفْشَاءَ عِنْدَ كُلِّ رَبِّ^(٧)

أَغْنِيَةُ بَعْلٍ

مَرَّقُ الْمَرْءِ السَّتَارَ الْأَزْرَقَا مَا اسْتَطَاعَ رِيءُهُ أَنْ يَرْمُقَا^(٧)

- فضة . فشرِب منه ، وتَلَقَّتْ حوله ، فما وجد الماء ولا الإسكندر . ولَمَاءُ الْحَيَاةِ هَذَا
 ذَكَرَ مُتَرَدِّدٌ فِي الشَّعْرِ الْفَارِسِيِّ الشُّوْفِيِّ عَلَى أَنَّهُ رَمَزٌ لِلْحَقِيقَةِ .
- (١) السيف الحسام : القاطع . والليت بكسر اللام : صفحة العتق . والسُّمَامُ : السموم .
- (٢) الجميل : هو الله تعالى . والخليل : إبراهيم عليه السلام .
- (٣) المولى : الله جل وعلا . المصلى : مكان الصلاة والمراد به المعابد بجميع أنواعها .
 ومردوخ : أكبر آلهة البابليين .
- (٤) أومض البرق : ومض ولمع .
- (٥) يجد : يصبح جديداً .
- (٦) بعل : اسم إله عند الساميين .
- (٧) رمقه : نظر إليه طويلاً . وهذه المنظومة مما يعرف عند الفرس : ترجيع بند .

مَوْجَةً لِلْفِكْرِ تَغْشَى قَلْبَهُ مَوْجَةً أُخْرَى لَهَا أَنْ تَفْرَقَا^(١)
 رَوْحُهُ بِالْحَسَنِ أَمَسَتْ فِي قَرَارِ مَنِةَ الْمَاضِي عَسَى أَنْ تَصْدَقَا^(٢)
 نَحْنُ حَابِوْنَ بِعِلْمٍ فَلْيَعِشْ عَالِمٌ أَحْيَا بِعِلْمٍ مَشْرِقَا^(٣)
 إِلَهِهَا الْأَرْيَابُ قَدْ آنَ الْأَوَانُ

قِفْ تَأْتِلْ وَخِدَّةٌ قَدْ شُبَّتْ وَ ﴿ أَلَسْتُ ﴾ عِنْدَ قَوْمٍ أُبْطِلَتْ^(٤)
 حُطِمَتْ كَأْسٌ بِأَيْدِي ثَلَاثِ خَمْرُ جِبْرَائِيلَ مِنْهَا أُسْكِرَتْ^(٥)
 كُلُّ حَرٍّ فِي قِيودٍ مِنْ حُدُودِ وَضَلَّةٌ بِاللَّهِ مِنْهُ صُدِّعَتْ
 سَوْدُدُ الْأَسْلَافِ بَرْدٌ فِي دِمَاءِ وَزَنَانِيرُ الشُّيُوخِ شَوْهَدَتْ^(٦)
 إِلَهِهَا الْأَرْيَابُ قَدْ آنَ الْأَوَانُ

بَعْدَ دَهْرِ عَادَ يَوْمٌ لِلطَّغْرِبِ أَصْبَحَ الدِّينَ صَرِيحاً لِلنَّسَبِ^(٧)

والترجيع : بند يحوي عدة أبيات تكون كل مجموعة منها قماً ، وتلك الأبيات متفقة في الرؤي ، ويتلو كل قسم بيتاً مستقلاً يُكَوِّرُ . وقد التزمنا في الترجمة رؤي هذه الأبيات في الأصل .

(١) غشيه : غطاء . ويفرق : يخاف .

(٢) المنية : الأمل .

(٣) الحامي : واجد الحياة . وكأن هذا الإله يدعو بطول البقاء لذلك العالم المستشرق الذي أحيا الشرق بعلمه .

(٤) قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْتَ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَرِيلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] وهذا من باب التمثيل ؛ أي أنه أقام الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت عقولهم بها ، فكانه أشهدهم على أنفسهم ، وكانهم قالوا : بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا ، وأقررنا بوحدانيتك .

(٥) الثلة : الجماعة من الناس .

(٦) الزنابير : جمع زنار . وهو ما يشد به النصراني وسطه .

(٧) يقول : إن النصرانية طغت على الدين .

لا تفكر في سراج المصطفى
« لا إله » في لسان ناطق
إن سحر الغروب أحيا أهرمن^(١)

أحمد السُّعْلَة فيه « بولهب »^(٢)
عن فؤاد شُرِّدَتْ يا للعجب !
وجه يوم الله من ليل شخب
إلهها الأرباب قَدْ آن الأوان

دينك القيد تحرر من قيود
وعليه كي نشق في صلاة
إنما النعمة تُعلي جذبة
إن خيراً من إله قد توارى

عبدنا قد كان حُرّاً في عيّد
ركعتين نبتغي ، ما من سُجود
ما الصلاة وهي تخلص من تشيد
ذلك الشيطان يبدو في الشهود
إلهها الأرباب قَدْ آن الأوان

الغوص في بحر الزهرة ومشاهدة روح كتشنر وفرعون

مَيَّرَ الرُّومِيّ ذَكَرٌ لِلْجَمِيلِ
غَزْلاً قَالَ وَيَالشُّكْرِ أَتَقْدُ

ضربه يُشبّه ضَرْباً لِلْخَلِيلِ
كل رب في خشوع قَدْ سَجَدُ

غزل

أخص ما يمضي ويأتي بالنظر، ذاك أولى
ناقاة الأيام أوساقاً لغشوق حُمَّلَتْ

أنهَضَ خذ بأفكارٍ أخر ، ذاك أولى
أزحلّ في المساء والسحر ، ذاك أولى^(٣)

(١) السراج : المصباح . ويولهب في الفارسية هو أبو لهب في العربية .

(٢) أهرمن : هو إله الشر أو الشيطان في دين المجوس .

(٣) الغزل نوع من المنظومات الفارسية ، وتلك المنظومة ذات روي واحد ولا تقل أبياتها عن سبعة عشر . وفي هذا الغزل ما يعرف بالرديف ، وهو كلمة أو كلام يُكرّر بعد كل =

قَالَ شَيْخٌ مَا لِدُنْيَانَا أَسَاسٌ مُخَكَّمٌ
أَنْتَ بِالشَّرْكِ أَتَسَاهَا وَلَوْ حَاولَتْهُ
قَلْتُ فِي قَلْبِي مَنَاءٌ وَكَثِيرٌ غَيْرُهَا
قَالَ « فَانْهَضْ مُسْرِعاً وَاقْدَمْ إِلَيَّ
الْجِبَالُ وَهِيَ مِنْ مُوسَى خَلَّتْ
خَلْفَهَا قَدْ لَاحَ بِحَمْرِ الْجَوْهَرِ
أَيُّ بَاسٍ مِنْ غُبابٍ أَوْ أَتَيْ
إِنَّ فِي هَذَا مَقَامٌ مِنْ تَجَبُّرٍ
ذَاكَ شَرْقِيٌّ وَذَا مِنْ أَهْلِ غَرْبٍ
وَعَصَا مُوسَى عَلَى هَذَا تَهَاوَتْ
مِثْلُ فِرْعَوْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ
يَعْرِفَانِ الطُّغْمَ مَرّاً لِلرَّدَى
مِرّاً وَرَائِي يَا بَنِي لَا تَخَفْ
وَكَمُوسَى الْبَحْرَ إِنِّي فَالِقُ
شَقٍّ مِنْهُ الْبَحْرُ صَدْرًا كَالضُّيَاءِ
قَاعُهُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ قَدْ خَلَا

يَنْبَغِي عَمَّا بِهَا قَطَعُ النَّظَرِ ، ذَاكَ أُولَى
قُلْ وَجُودِي لَيْسَ عِنْدِي ذَا خَطَرُ ذَاكَ أُولَى ^(١)
قَالَ فِي الْمَعْبَدِ حَقُّمُ ذَا الْحَعَجَزِ ، ذَاكَ أُولَى
بَنِي تَمَسُّكَ لَا تَدْعُنِي يَا بَنِي
بِالْثُلُوجِ مِنْ لُجَيْنٍ أَصْبَحَتْ ^(٢)
وَانْجَلَى بِالْجَوْفِ لَا بِالمَظْهَرِ
قَرَّ عَيْنًا بِسَكُونٍ سَرْمَدِي ^(٣)
وَوُجُودُ كُلِّ مَا قَدْ غَابَ أَنْكَرُ
مَعَ أَهْلِ الْحَقِّ فِي حَرْبٍ وَضَرْبٍ ^(٤)
وَالرَّفِيقُ مَدِيَّةُ الثَّرْوِيشِ غَالَتْ ^(٥)
ظُلَامَانِ بَيْنَ أَمْوَاجِ تَشْوَرٍ
مَوْتُ جِبَارٍ كَأَيَاتِ بَدَا ^(٦)
هَاكَ كَفِّي فَمَا قَلْبٌ وَجَفَ ^(٧)
فِيهِ يَخْوِيكَ فَرَادَ خَافِقُ
أَهْوَاءَ كَانَ يَبْدُو مِثْلَ مَاءِ
إِنَّهُ وَادِي الظُّلَامِ فِي الْفَسَلَا

بيت تُلْتَزِمٌ قبله قافيةٌ موحَّدة . وقد احتفظنا في الترجمة بقافية الأصل . والأوساق :

جمع وَشَقٍّ ، وهو حَمْلُ البعير .

(١) الخطر : الأهمية وارتفاع القدر .

(٢) اللجين : الفضة .

(٣) الآتي : التَّيْل . والسرمدى : الدائم .

(٤) الحق هنا هو الله .

(٥) المديّة : الكين . وغاله : أهلكه .

(٦) يقول : إِنَّ هَلَاكَ الْجِبَارِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ .

(٧) وجف القلب : اضطرب .

وَمَنْ الْقُرْآنِ طَمَعُ الشَّيْخِ يَتْلُو فَإِذَا الْقَمَرَاءُ جَوْفَ الْبَحْرِ يَجْلُو^(١)
وَنَضَّتْ عَنْهَا الْجِبَالُ ثَوْبَهَا رَجُلَانِ حَائِرَانِ بَيْنَهَا
لَمْ تَشَاهِدْ وَجْهَ شَيْخِي مَرَّةً بَعْضُهَا أَلْقَى لِبَعْضٍ نَظْرَةً
قَالَ فَرَعُونَ أَيُّجَرِي الْبَحْرَ نُورًا أَصْبَاحٌ مِثْلَ عَيْنِي أَمْ ظُهُورًا

الرومي

الخفي منه وضاح الجلاء واليد البيضاء أضل للضياء^(٢)

فرعون

أَوْ عَقَلِي أَوْ دِينِي قَدْ فَكَدْتُ وَنَظَرْتُ وَالضِّيَاءَ مَا عَرَفْتُ
أَمْنَحُونِي نَظْرَةً يَا مَنْ مَلَكَتُمْ وَهَبُونِي لَفْتَةً يَا مَنْ ظَلَمْتُمْ^(٣)
إِشْسَ مِنْ حَرْصِي لَهُمْ أَعْمَى الْبَصَائِرُ يُخْرِجُونَ الثُّبْرَ مِنْ جَوْفِ الْمَقَابِرِ^(٤)
ذَلِكَ التَّمَالُ فِي دَارِ الْعَجَائِبِ صَمْتُهُ يَرَوِي لَنَا كُلَّ الْغَرَائِبِ
جَاءَنَا عَنْ غَاصِيَيْنَ بِالْخَبِيرِ عَيْنَ عَمِيَانٍ أُنَارَ بِالْبَصِيرِ
مَا يَرِيدُونَ لَنَا غَيْرَ الشَّقَاقِ وَالْأَسَاسُ أَحْكَمُوهُ بِالْإِنْفَاقِ
وَلِهَذَا دَبَّ فِي الْحَكَمِ الْخَوَزُ وَالْفَسَادُ ، وَتَفَشَّى كُلُّ شَرٍّ^(٥)

لو بسدا موسى كليم الله لي

لالتصت منه قلب العاقل

(١) القمراء : نور القمر . ويجلو هنا بمعنى يخرج ، فكان جوف البحر يُظهر نور القمر .
(٢) يلمح إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْرُجُوا فِتْنَةً يَخْرُجُ بَيْعَتُكُمْ مِنْ غَيْرِ مَوْءَاةٍ لِّتَرْوُوا ﴾ [طه : ٢٢] .

(٣) يوجه الخطاب إلى المستعمرين من أهل الغرب .

(٤) الثبر : الذهب . وإقبال يتحدث عن علماء الغرب المتقين عن آثار الفراعنة .

(٥) الخور : الضعف . وتفشى : انتشر .

الرؤمي

إِنَّ نُورَ الرُّوحِ لِلْحُكَمِ الْفَلَاحِ وَالْيَدُ الْيُضَا بِهَا الْمُلْكُ الْمُبَاخِ
حَاكِمٌ يَقْوَى بِضَعْفٍ مِنْ حُكْمِ وَبِعَرْمَانٍ لِكُلِّ مَنْ حُرِمِ
يَلْبَسُ الثَّجَاجَ بِجَمْعٍ لِلْخَرَاكِجِ وَرَجَالِ الصَّخْرِ كَانُوا مِنْ زُجَاجِ
الْمَغِيرُ مَنْ لَهُ جَيْشٌ وَقَيْدُ حَاكِمٌ عَنْ مِثْلِ هَذَا مَنْ يَصُدُّ

اللورد كتشنر^(١)

إِنَّ لِلْغَرْبِيِّ قَصْداً قَدْ ظَهَرَ وَلَا جِلَّ الثَّبِيرِ كَمْ قَبْرِ حَفَرَ
إِنَّ تَارِيخاً لِمَضَرَ وَالْكَلِيمِ مَا نَرَاهُ الْيَوْمَ فِي مِيفَرٍ قَدِيمِ^(٢)
إِنَّمَا بِالْعِلْمِ لِلْسِرِّ الظُّهُورِ حِكْمَةٌ وَابْتِحَاثٌ ، أَوْ شَيْءٌ حَقِيرُ^(٣)

فرعون

بِالْعُلُومِ كَشَفُوا عَنَّا الْحَجَرَ
كَانَ لِلْمَهْدِيِّ قَبْرٌ ، مَا الْخَبَرُ ؟

(١) قائد بريطاني حارب أتباع المهدي في السودان ، وغلب على مدينة أم درمان عام ١٨٩٨ . وعرف بتناهبه في الضراوة والفظاظة حين عقد العزم الأكيد على استئصال شأفتهم وإذهاب ريحهم . ولما حقق من ذلك بغيته ، أmeen في التشفي منهم ، وضرب الذلة عليهم ليذكر بثأر القائد غوردون الذي انكسرت جيوشه قبله ، وقتل شر قتله . وقد أمر كتشنر بنش قبر المهدي ، وإلقاء عظامه في النيل ، وإرسال جمجمته إلى متحف في لندن . وشاء الله له أن يذوق كأساً كان يسقي بها . فقد مات غريقاً عام ١٩١٦م بعد أن هَوَتْ به السفينة إلى قاع اليم .

(٢) السفر : الكتاب .

(٣) يقول : إِنَّ الْحِكْمَةَ بِلَا بَحْثٍ تُعَدُّ شَيْئاً حَقِيراً .

ظهورُ دَرُوشِ السُّودان

هو ذا في الماء برقٌ يأتلق
وَمِنْ الْفِرْدَوْسِ ضَاعَ نَفْحُ عَطَرٍ
إِنَّ مِنْهَا الدُّرُّ فِي الْقَاعِ اسْتَقَرَّ
قال « كشنر » انظُرُونْ يا فِهم
ما حباك الله من قبرٍ يَضُمُّكَ
ثُمَّ ضَاعَ فِي اللِّسَانِ الْمَنُطِقُ
قال « هُبِّي أَنْتِ يَا رُوحَ الْعَرَبِ
يا فزادُ ! ابنُ السُّعُودِ ، فيصِلُ
أَوْقِدُوا فِي الصُّدْرِ نَاراً أُخْمِدَتْ
وَادِي الْبَطْحَاءِ أَنْجَبَ خَالِدَا
أُمَّةَ الْإِيمَانِ ، يَا سَوْدَ الْجُلُودِ
فَلِإِلَامٍ تَجْهَلُونَ سَيَرَكُكُمْ
ثُمَّ يعلو الموجُ حتَّى يَنْدَفِقُ
لَاخَ بِالرُّوحِ لَنَا دَرُوشُ مِضَرٍ^(١)
« كشنر » فِي صَدْرِهِ ذَابَ الْحَجَرُ^(٢)
إِنَّمَا هَذَا تَرَابِي يَنْتَقِمُ^(٣)
بَلْ رُمِيتَ بَيْنَ أَمْوَاجٍ تَطْمُتُكَ^(٤)
وَالرَّفِيرُ مِنْ حَشَاهُ يَخْرِقُ
قَلْدِي الْأَسْلَافَ فِي مَاضِي الْحَقَبِ^(٥)
كَلِّكُمْ مِثْلَ الدُّخَانِ يَرْفُلُ^(٦)
أَرْجِعُوا أَيَّامَ دُنْيَا ضُبُعَتْ
نَشْتَهِي التَّوْحِيدَ فَيْكَ غَرْدَا
مَنْكُمْ أَسْتَاغُ عِطْرًا لِلْخُلُودِ^(٧)
وَتَوْلُونَ يَسْوَائَكُمْ أَمْرَكُمْ
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَخَافُونَ الْبَلَاءَ

- (١) ضاع العطر : انتشرت رائحته . نفح : فاح .
(٢) كشنر هو اللورد كشنر . وهكذا أورد الشاعر اسمه مراعاة لوزن الشعر . واستمر : التهب .
(٣) الفِهمُ : السريع الفهم .
(٤) طم الماء : غمر .
(٥) الْحَقَبُ : جمع حِقْبَةٍ : وهي السَّنةُ والمُدَّةُ مِنَ الزَّمانِ لَا وَقْتُ لَهَا .
(٦) فزاد الأول المتوفى عام ١٩٣٦ كان ملكاً لمصر . وابن السعود المتوفى عام ١٩٥٣ كان ملكاً للمملكة العربية السعودية : وكان فيصل ملكاً للعراق وتوفي عام ١٩٣٣ .
(٧) السُّود : هم العرب . واستاف : شَمَّ .

البلاءُ كَانَ لِلْمَرْءِ الصُّفَاءُ^(١)

قد سَكَنَّا يثرباً والحبُّ نَجْدًا أَيْنَ يَا حَادِي حِدَاءٍ هَرٌّ وَجَدًا^(٢)
ديممةٌ تهمني وأرضٌ خُضِرَتْ فَكَأَنَّ الْخَطَّوَاتِ أَثْقَلَتْ^(٣)
الفراقُ وهو يُضْنِينِي طَوِيلُ امْضِ فِي أَرْضٍ بِهَا عُشْبٌ قَلِيلُ
نشوةُ الناقةِ عشبٌ ، لي حبيب لَكَ حَبْلٌ ، وَلَمَنْ أَهْوَى قُلُوبُ^(٤)
جعلوا للماءِ فِي الصَّحْرَا سَبِيلَا فِي الْجِبَالِ بَلَّلَ الْمَاءُ النَّخِيلَا
وتسَالَتِ فِي الثَّلَالِ ظَيِّتَانِ فَتَأْمَلْ ، كَيْفَ مِنْهَا تَهَيَّطَانِ
ترشِفَانِ مِنْ مِيَاهِ النِّبْعِ قَطْرَا تَرْمُقَانِ مِنْ بَنَاتِكَ الْأَرْضِ مُرَا
وَمِنْ الْمَاءِ الرُّمَالُ كَالْحَرِيرِ هَانَ فِيهَا كُلُّ سَيْرٍ لِلْبَعِيرِ^(٥)
مثلُ رِيَشَاتِ السَّمَانَةِ الْغَمَامِ أَرْهَبَ الْغَيْثُ فَقَدْ شَطَّ الْمَقَامِ^(٦)

قد سَكَنَّا يثرباً والحبُّ نَجْدًا

أَيْنَ يَا حَادِي حِدَاءٍ هَرٌّ وَجَدًا

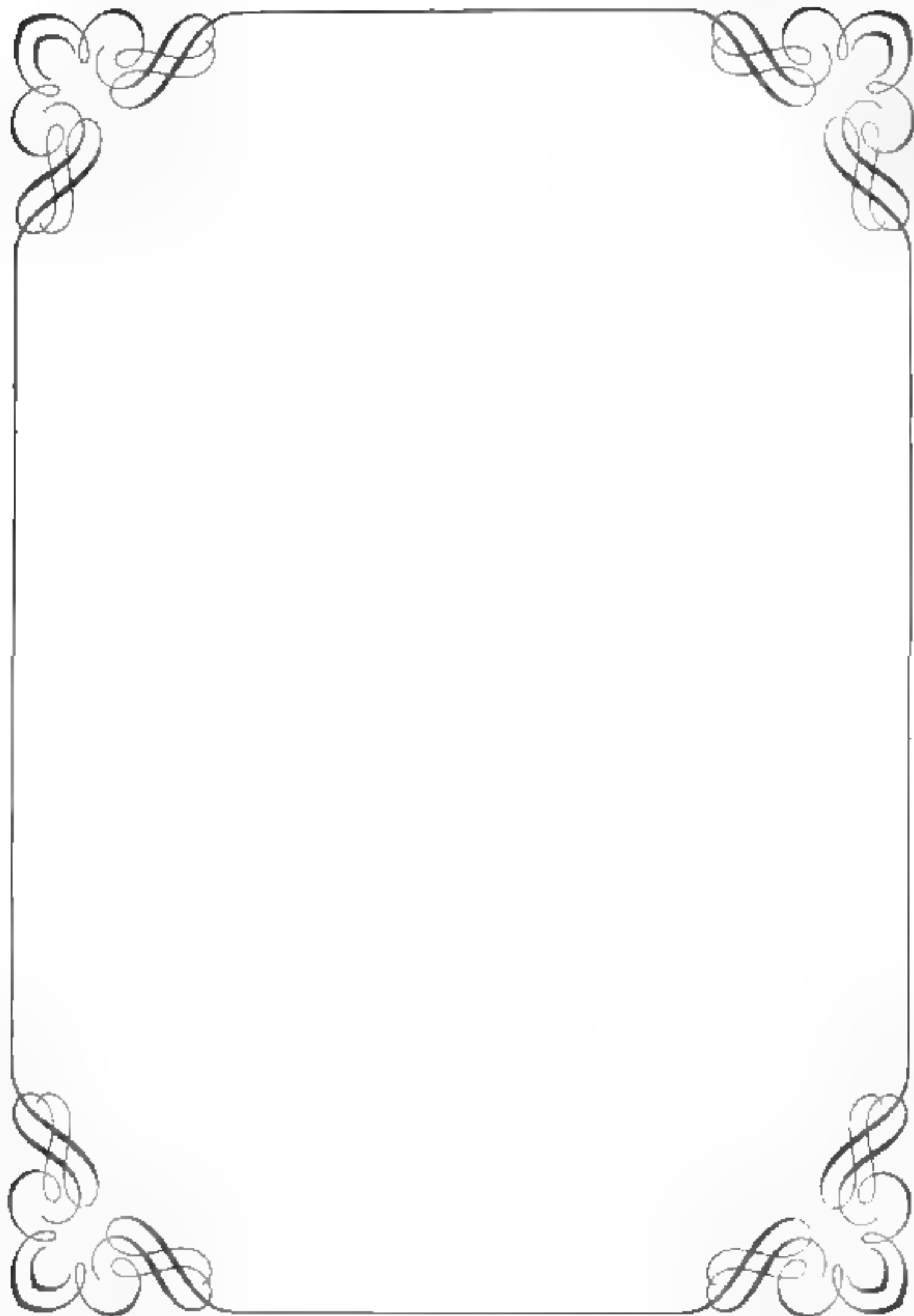


- (١) يذكر الشاعر بحديثٍ للنبيِّ قال فيه : (أشدُّ الناسِ بلاءَ الأنبياءِ ثم الأمثلُ فالأمثلُ إلى أن قال : فما يبرحُ البلاءُ بالمبدِ حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة) .
- (٢) يثرب : المدينة المنورة . والحبُّ : الحبيب . والحادي : من يسوق الإبل . ويغني لها .
- (٣) الديممة : المطر يدوم في سكون . ويهمني : ينهمر . وخضر الشيء : جعله أخضر اللون . يقول : إِنَّ الْمَطَرَ يُنْبِتُ الْعُشْبَ فِي الْأَرْضِ ، فيصبح سَيْرُ الْإِبِلِ فِي الْأَرْضِ الْمُعْشَبَةِ صعباً .
- (٤) يوجه الكلام إلى الحادي قائلاً : إِنَّ الناقةَ تجد في العشبِ لذتها ونشوتها . أما هو فنشوته بالحبيب . الحادي يملك الحبل الذي يعقل به ناقته ، أما الحبيب فيملك قلب من يهواه .
- (٥) هان : سهل .
- (٦) السماناة : مفرد الشمانى ، وهو نوعٌ معروفٌ من الطيور . وشطَّ : يَهْدُ .

القسم الرابع

فَتَاكَ الْمَرْيُوحُ





أَهْلُ الْمَرِيخِ

تَخَتَ هَذَا الْمَاءِ عَيْنِي أَطِيقَتْ
نَحْوَ دُنْيَا طَابَ لِي أَنْ أَرْحَلَ
شَمْسُنَا فِي الْأَفْقِ مِنْهَا أَشْرَقَتْ
فَإِذَا بِالْجِسْمِ رَوْحاً يَجْهَلُ
رَوْحُنَا كُلَّ لَهَيْبٍ تُخِمِدُ
لَمْ تَشِخْ ، وَالْيَوْمُ مَرٌّ كَالطَّيُورِ

هَذِهِ الْأَيَّامُ مِنْهَا كَمْ تَوَالَتْ

الدُّنْيَى مِنْهَا وَلَوْلَاهَا لَرَأَيْتَ^(١)

ذَلِكَ الْمَرَصَّدُ فِي مَرَجٍ سَمَقَ
الْقِيَابُ الْخَضِرُ لَأَحْتِ أَشْهَدُ
لَا تَسَاعِ مَا أَرَى حَدّاً طَلَبْتَ
قَالَ شَيْخُ الرُّومِ وَهُوَ مَرشِدِي
مِثْلُ دُنْيَانَا لَهُ لَوْنٌ وَرِيحٌ
وَكَأَهْلِ الْغُرُبِ فِيهِ مَنْ سَكَنَ

الثَّرِيَا قَدْ يَهْنِدُ بِالْوَهَقِ^(٢)
عَالَمٌ هَذَا لَدَيْنَا أَسْوَدُ
فِي فُضَاءٍ لِلْأَمَاءِ كَمْ نَظَرْتُ
« أَتَيْتُ فِي الْمَرِيخِ فَاسْمَعِ وَاشْهَدِ
فِيهِ بِلْدَانٌ وَبُيُوتَانٌ وَسُوحٌ^(٣)
سَبَقُونَا كُلَّنَا فِي كُلِّ فَنٍّ

(١) شاخ : صارَ شيخاً .

(٢) الدُّنْيَى : جمعُ دُنْيَا .

(٣) سَمَقَ : ارتفع . الْوَهَقُ : حَبْلٌ فِي طَرَفِهِ أَنْشُوطَةٌ يَطْرَحُ فِي عُنُقِ الدَّابَّةِ حَتَّى تَتَّخِذَ .
وَالشَّاعِرُ يَشْبِهُ الْمَنْظَارَ الطَّوِيلَ الَّذِي تَشَاهِدُ بِهِ النُّجُومُ فِي الْمَرَصَدِ بِالْوَهَقِ .

(٤) السُّوحُ : جمعُ سَاحَةٍ . وَالرِّيحُ : الرَّائِحَةُ .

قَهَرُوا حَتَّى الزَّمَانَ وَالْمَكَانَا
 إِنَّ وَعِراً فِي الْعُقُولِ مَهْسَدُوا
 قَلْبُ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالطَّيْنِ الْمُقَيَّدُ
 كَانَ بِالطَّيْنِ لِقَلْبٍ مَنَزِلُ
 تَهَبُّ الرُّوحُ الْخُمَارَ وَالشُّرُورَا
 الوجودُ عِنْدَنَا فِي مَظْهَرَيْنِ
 جِسْمَنَا وَالرُّوحُ طَيْرٌ فِي قَفَصِ
 وَإِذَا مَا جَاءَ يَوْمٌ لِلْفِرَاقِ
 بِالْمَنُونِ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ يُخْبِرُ
 رُوحُهُمْ بِالْجِسْمِ مَا إِنَّ رَئِیْوَهُ
 اندماج الجسم في النفس الفناء
 وَكَأَنِّي قُلْتُ مَا لَا يُفْهَمُ

فِي عُلُومِ الْفَضَا كُلِّ شَأْنَا^(١)
 الْخَفَايَا فِي الْقَضَاءِ شَاهِدُوا
 وَهَنَاكَ الْجَنَمُ بِالْقَلْبِ الْمُصَفَّدُ^(٢)
 كُلُّ مَا شَاءَ بَيْنَ يَفْعَلُ
 تَمْنَحُ الْغَيْبَ لَجِسْمٍ وَالْحُضُورَا^(٣)
 جِسْمَنَا وَالرُّوحُ مَا لَاحَثَ لِعَيْنِ
 سَاكِنُ الْمَرِيخِ عَنْ فِكْرِي نَكْصَ^(٤)
 أَصْبَحَ الْإِنْسَانُ حَيًّا بِاخْتِرَاقِ
 وَيَقَالُ بَعْدَ يَوْمٍ سَوْفَ تُقْبَرُ^(٥)
 وَلِهَذَا جِسْمُهُمْ لَمْ يَأْلُفُسُوهُ^(٦)
 وَمِنَ الدُّنْيَا فِرَارٌ وَانْطَوَاءُ^(٧)
 لَكَ رُوحٌ وَيَجْسَمُ تُحْكَمُ أ

بِرَهْمَةٍ لَا غَيْرَ تَبْقَى هَاهُنَا

لَمْ يُشَاهِدْ مِثْلَ هَذَا غَيْرُنَا



(١) شَأْنِي : سَبَقُ .

(٢) صَفَدَ : قَبَدَ .

(٣) الْخُمَارُ : صِدَاعُ الْسُكْرِ وَالْمُرَادُ هُنَا السُّكْرُ .

(٤) الْفِكْرِي : إِعْمَالُ الْخَاطِرِ فِي الشَّيْءِ .

(٥) الْمَنُونُ : الْمَوْتُ .

(٦) رَیْوَهُ : رَیَاهُ .

(٧) يَقُولُ : إِنْ الْفِرَارُ مِنَ الدُّنْيَا ، وَالْانْطَوَاءُ عَلَى النَّفْسِ مَوْتُ كِلَادِمَاجِ الْجِسْمِ فِي النَّفْسِ .

ظهور فلك المريخ من المرصد

ذَاكَ شَيْخُ الْعِلْمِ بِالثَّلَجِ التَّحَى
كشيوخ الغرب في الفكر السُّبُوح
وهو هم بقوام مثل سرور
وعلى علم بمعنى للطريق
وكورده كان قد ألقى الكماما
«قالب الطين أسير الكيف والكم»
وأطار الثُّرْبَ ، ريش ما تبث
عقله والقول كالماء التميز
كان حلاً ما أرى أم كان سخر
قال « في عهد النبي المصطفى

مسياً كان يعلم مصباحاً^(١)
كنصارى الغرب في لبس السُّبُوح^(٢)
مشرق الوجه كأتراك بمرور^(٣)
لَمَعَتْ عِناهُ بِالْفِكْرِ الْعَمِيقِ
قال كالخيَّام والطوسي كلاماً^(٤)
وهو في « تحت » و« فوق » لم يُقَمَّ
جوهراً السَّيَّارِ أعطى ما تبث^(٥)
منهما شاهدتُ عَرْضَ الْمُسْتَحِيرِ^(٦)
ساكن المريخ هذا قال شغراً !
يتنا من كان من أهل الصِّفا

(١) أمسى وأصبح : دخل في المساء والصباح .

(٢) الفرس السُّبُوح : الريح . والمسوح : جمع مسح بالكسر وهو الكساء من شجر ،
كثوب الرُّهبان .

(٣) الهم : الشيخ الفاني . ومرو : عاصمة خراسان بإيران . والأتراك مضروب المثل في
الحسن عند شعراء الفرس .

(٤) الخيَّام : هو العالم الفلكي المفكر عمر الخيام صاحب الرُّبَاعِيَّاتِ المشهورة من أهل
القرن السادس الهجري . والطوسي هو نصير الدين الطوسي من أهل هذا القرن . وله
المؤلفات في المنطق والحكمة ، والأخلاق ، والعقائد . وله شهرة مستفيضة بحذقه في
علم الفلك . وقد ارتقى هذا العلم بفضل منه ، وأسس هولاكو مرصداً في مدينة مراغة
كان نصير الدين يرأس العمل فيه .

(٥) الثُّرْب : التراب . يقول : إنه أطار التراب وما للتراب ريش ولا جناح ليطير ، ثم أشار
إلى الكواكب السيارة والثابتة .

(٦) الماء التميز : الماء الكثير . والمستحير : الطريق المعترض لا يدرى أين منغذه .
واعتراضه يشير الحيرة .

هذه الدنيا بعقل أبعرا
الجنّاح في سموات بسط
ما رأى في الخافقين قد رقيم
فارساً شاهذتها والغرب رزت
وعن الأرض تيقنت الخبز
وعراك المرء في الدنيا رعينا
وهو حقاً ليس يسدي ما لدينا^(٥)

الرّومي

من سماء كنت من أرض رفيقي
رجل نجّد يُسمّى زنده رودا
أرضكم هذي إليها قد وصلنا
التجلى نحن عنه الباحثونا
ثمل ما ذقت طعاماً للرّحيق^(٦)
خرّ سكرأ إذ رأى هذا الوجودا^(٧)
نحن في الدنيا ولكنا خرجنا
والدليل أنت نرضى أن تكونا

(١) البيداء : الصحراء .

(٢) الخافقان : المشرق والمغرب . ورقم : كتب . وإرم : تلميح من المؤلف إلى قوله تعالى : ﴿ إرم فأتوا المأوى ﴾ [الفجر : ٧] وقال بعض المفسرين : إنّ إرم ذات العماد مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الياقوت والزّبرجد .

(٣) جاب البلاد : قطعها .

(٤) تيقن الأمر : علمه وتحققه .

(٥) رمى : راقب .

(٦) الرّحيق : الخمر . يقول : إنه سكران ولم يذق خمراً .

(٧) النجّد : الشجاع . خرّ : سقط .

حكيم المَرِيخ

مرغدين تلك أرض برخيا
فرز مرز بالشرور الأمر
قال : أنت هانيء كالعادة
عالم ، ما أنت فيه يفضل
وعلا حتى على تلك الجنان
أبراه الله ؟ إني ما دريت !
قد خلا حتى من الرب الدخيل
ليس فيه من طواف أو سجد
قال فانهض ديرن خدعتك
ما بهذا السخر أغوي جدنا
إنه من فضل رب العالمينا
امض فيه وتأمل مرغدينا



٦

- (١) برخيا : اسم الجد الذي يتخيله إقبال لسكان المريخ . ولم يلق سمعاً إلى وسوسة الشيطان .
- (٢) فرز مرز : اسم يتخيله الشاعر كمرغدين .
- (٣) الجادة : وسط الطريق : وألزمه السير في الجادة كناية عن إلزامه عدم الانحراف إلى الشر .
- (٤) يحدثه من عالم آخر أحسن مما هو فيه ، وحسنه ربيع دائم ، وكأن الجنة قياساً عليه ربيع لا يدوم ، أو زهرة سرعان ما تذبل .
- (٥) يبالغ الشاعر في وصف هذه الشخصية الخيالية بالكفر . والمبالغة من مقومات الشر وصفاته .
- (٦) هنا كلام برخيا .

التَّجَوَّالُ فِي مَدِينَةِ مَرْغَدِينَ

البناء في السماء كان طولا ساكنوها قولهم مثل الشَّهَادِ ما بتحصيل وكذا فِكْرُهُمْ من أرادَ المِلْحَ في نورٍ وَجَدَ العِلْمَ والفنونُ تَخْدُمُ إِنَّمَا الدِّينَارُ كَانَ كَالصَّنَمِ آلهُ الشَّيْطَانِ لم تقهر طبيعه إِنَّ للفلاح مصباحاً أنارا آمناً يروي نباتاً يَمْلِكُكَ هاهنا ما لاح جندي لرائسي مرغدين ليس فيها من قَلَمٍ ليس في الشُّوقِ يَدَاءُ من تَبْطُلُ

في السُّمُورِ مَا عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَا زَانَهُمْ حُسْنٌ وَطَيْبٌ فِي الْفُؤَادِ^(١) سُرُّ تِلْكَ الشَّمْسِ أَفْشَى عِلْمُهُمْ مِثْلُ مِلْحٍ مِنْ بَحَارٍ يُسْتَمَدُّ وَازِنُوهَا بِالنُّضَارِ مِنْ هُمْ^(٢) أبعادوا الأصنامَ عَنْ هَذَا الْحَرَمِ مَا الدِّخَانُ فِي السَّمَوَاتِ الْوَسِيعَةِ^(٣) مَالِكاً لَمْ يَخْشَ حَتَّى إِنَّ أَغَارَا مَالَهُ فِي مَلِكِهِ مِنْ يُشْرِكُهُ لَا وَلَا مِنْ عَاشٍ مِنْ مِصْرَ الدِّمَاءِ فِرْيَةٌ لِلخَادِعِينَ قَدْ رَقَمَ^(٤) لَا وَلَا فِي الْأُذُنِ نَوْحٌ مِنْ تَسْوَلٍ^(٥)



حَكِيمُ الْمَرِّيخِ

لَا مَكَانَ هَاهُنَا لِلشَّائِلِينَ
وَالْعَبِيدُ لَا تُرَى وَالْمَالِكِينَ

(١) الشَّهَاد : جمع شَهِد .

(٢) النُّضَار : اللَّحَب .

(٣) يقول : إِنَّ الآلهةَ شَيْطَانٌ لَا تَقْهَرُ الطَّبِيعَةَ ، وَدِخَانُهَا لَا يَمَكُرُ صَفَرُ السَّمَاءِ الْوَاسِعَةِ .

(٤) الْفِرْيَةُ : الْكُذْبُ وَاخْتِلَاقُهُ . وَرَقَمَ : كَتَبَ .

(٥) تَبْطُلُ : تَعَطَّلُ ، وَلَمْ يَتِمَّ .

بِقَضَاءِ اللَّهِ هَذَا مِنْ حُرْمٍ وَبِأَمْرِ اللَّهِ ذَاكَ مِنْ حُكْمٍ
إِنَّمَا التَّقْدِيرُ لِلَّهِ الْمَقْدَرُ لَيْسَ مِنْ تَذْيِيرٍ إِنْسَانٍ مُدَبِّرُ

حكيم المریخ

القضاءُ إنْ عَدِمْتَ خَيْرَهُ مِنْ إِلَى الْكَوْنِ فَاطْلُبْ خَيْرَهُ^(١)
سُؤَالِ اللَّهِ كُنْ أَنْتَ الْجَدِيرُ يَمْلِكُ اللَّهُ الْكَثِيرَ وَالْكَثِيرُ^(٢)
كُلُّ مَالِ الذَّاتِ فِي قَوْمِ هَذَرٍ إِنَّهُمْ لَمْ يُذِرْكُوا مَعْنَى الْقَدَرِ^(٣)
رَمْزُهُ حَرْفَانِ ، هَلْ أَذَرْتَهُ « إِنْ تَغَيَّرَتْ فَقَدْ غَيَّرْتَهُ »
كُنْ تَرَاباً لِيُطَيَّرَ فِي الْهَوَا حَجَراً كُنْ بِكَ تَحْطِيطُ الْإِنَاءِ
أَنْتَ طَلٌّ ؟ فَالسَّقُوطُ فَوْقَ زَهْرٍ أَنْتَ بَحْرٌ ؟ فَالْخُلُودُ كُلُّ دَهْرٍ^(٤)
قَدْ صَنَعْتَ لَكَ دوماً أَنْتَ لَنَا مَا ثَبَتَ ، فَلَتَعَلَّمْكَ الثَّبَاتُ
أَنْتَ مَا لَمْ تَرْفُضِ الْإِيمَانَ نَفْسُكَ عَالَمَ الْأَفْكَارِ فِيهِ كَانَ حَبْسُكَ
قَدْ يَنَالُ الْمَالُ مَنْ يَلْقَى الثَّعْبَ وَعَدِيمُ الْأَيْنِ مَوْفُورُ النَّشَبِ^(٥)
كَانَ هَذَا أَصْلَ دِينِ يَا غَرِيرُ ۱؟ فليزد في قَفَرِهِ هَذَا الْفَقِيرُ^(٦)

(١) القضاء : ما يقدره الله للإنسان .

(٢) يريد الشاعر ليقول : إن الإنسان يستطيع أن يسأل الله قدراً آخر ، وكأنه بذلك يستطيع اختيار قدر يوافقه .

(٣) هدر الدم : ذهب باطلاً ليس فيه قوَّة . واستعير ذلك للمال إذا ضاع في غير نفع .

(٤) الطل : الندى أو أضعف المطر . وإقبال يلوح إلى قدر الضعيف وقدر القوي .

(٥) الأين : الثعب . والنشب : المال .

(٦) الغرير : من لا تجرّبة له . وإقبال يتزه الدين عن الدعوة إلى الكسل ، لأن الغنى والفقر ما قدر الله للمرء بقطع النظر عن كسبه أو توفره على عمله .

أَيُّ دِينٍ ! وإلى نوم دعاكا فاطلست النوم لا تبدي حراكا
أفبخر ذاك أم دين لكنا
نشوة الأفيون تمحو وغبكنا ؟

أَعْلِمْتَ أَنْتَ مِنْ أَيْنَ التَّهَى قوة في الفكر كانت للحكيم
ذلك القلب عليه ما خطُر أفصيح أنت ؟ ما هذا بقولك
كلُّ هذا كان فيضاً للرَّبيع ما الحياة ؟ معدن للجواهر
بشرف الإنسان بالطبع الجواد تلك كانت شيمة للأنبياء
تاجر من نال ربحاً كالجزاء^(٤) !

هكذا تلك الرياح والمطر أتقول ما لديننا ملكننا !
كلُّ أرض أرض ربِّي فاشهدوا سلّم المرأة لإبليس القيّادا
والبساتين وكلُّ ذي ثمر يملك الملك جميعاً رثنا
في الكتاب قوله ﴿ لا تفسدوا ﴾^(٥) إنما إبليس من يسقى فسادا

(١) فطر : أوجد .

(٢) الحول : القدرة . يقول : إنَّ الفصاحة ليست للفصيح ولكنها هبة من الله . وكذلك الشأن في القدرة على إنجاز العمل .

(٣) المعدن : المنجم . يقول : إن الإنسان أمين على هذا المنجم والله صاحبه .

(٤) لا ينبغي لمن يخدم الناس أن يتوقع منهم جزاء على خدمتهم ، وإلا كان كالتاجر الذي لا يتوقع إلا الربح .

(٥) يشير إقبال إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] ، أي : لا تفسدوا فيها بالمعصية بعد الطاعة ، أو بالشرك بعد التوحيد ، أو بالظلم بعد العدل .

مَنْ أَمِينٌ مُنْجِزٌ أَعْمَالَهُ ؟
 قَدْ أَخَذْتَ أَنْتَ شَيْئاً غَيْرَ مِلْكِكَ
 امْلِكَنَّ الشَّيْءَ فِيهِ رَاغِبَا
 إِنَّ مُلْكَكَ اللَّهُ هَذَا فَلنَرَدَّهُ
 ولماذا اليوم نشكو فقرنا ؟
 كُلُّ مَنْ طِيناً وَمَاءً لَازَماً
 مَنْزِلٌ ذَا أَمٍّ طَرِيقٌ ؟ مَا عَرَفْنَا
 جَوْهَرٌ هَذَا لَكِنْ إِنْ مَلَكَتْهُ
 لَيْتَهُ لَهِ لَهِ رُدُّ مَسْأَلَةٍ
 يَا لَعْمَرِي لَيْسَ هَذَا شَأْنٌ مِثْلِكَ !
 أَوْ فَخْاطِبُ مِنْكَ نَفْساً عَائِيًا^(١)
 كَيْ تَحُلَّ أَنْتَ فِي الْأَعْمَالِ عُقْدَهُ
 مَا لِرَبِّ الْكَوْنِ قُلْتُمْ : ذَا لَنَا !
 كَأْسُهُ بِالضَّخْرِ طَوْعاً حَطْمَا
 كُلُّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدُو لَوْ نَظَرْنَا
 وَالنَّحْصَى إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْكَفِّ دُسْتَهُ^(٢)



قِصَّةُ فِتَاةِ الْمَرِيخِ الَّتِي ادَّعَتْ النُّبُوَّةَ

يَقْضُورٍ وَيُسُوحٍ قَدْ مَرَرْنَا
 مِنْ رَجَالٍ وَنِسَاءٍ فِيهِ حَشْدٌ
 وَأَنَارٌ وَجَهْهَامِنْ غَيْرِ رُوحٍ
 لَفْظُهَا صَلْدٌ وَعَيْنٌ مَا جَرَتْ
 الشُّبَابَ قَلْبُهَا مَا إِنْ سَعَرَ
 وَعَنِ الْعِشْقِ أَنْدَرِي مَا الْخَبَرُ ؟
 هَكَذَا قَالَ الْحَكِيمُ شَيْخُنَا
 جَانِبَ الْأَسْوَارِ مَيْدَاناً رَأَيْنَا
 وَفِتَاةً ، وَلَهَا كَالْبَيَانِ قَلْدٌ
 وَالْكَلَامُ لَيْسَ فِيهِ مِنْ وَضُوحٍ
 بَهْجَةِ الْأَمَالِ قَطُّ مَا دَرَتْ
 وَلَهَا الْمِرَاةُ لَا تُبْدِي الصُّورَ^(٣)
 صَعُورَةً وَالْعِشْقُ شَاهِينٌ كَسَرَ^(٤)
 « هَذِهِ الْحَسَنَاءُ لَيْسَتْ مِنْ هُنَا »

- (١) يقول : إذا لم تكن مالِكاً لشيء من حَقِّكَ أَنْ تَمْلِكَهُ ، فعاتب نفسك على ذلك .
 (٢) يقول : إذا ملكْتَ الجَوْهَرَ فَأَنْتَ تَنَعَّمُ بِهِ ، وَعَلَيْهِ فَقَدْ حَقَّقْتَ مَتْعَتَكَ بِامْتِلَاكِهِ . أَمَّا إِذَا
 مَلَكَهُ سِوَاكَ فَأَيُّ مَتْعَةٍ وَفَائِدَةٍ لَكَ مِنْهُ ، وَكَأَنَّهُ لَا يَكُونُ الْجَوْهَرُ حَقّاً إِلَّا إِذَا كَانَ لَكَ .
 (٣) سَعَرَ النَّارَ : أَوْقَدَهَا .
 (٤) الصَّعُورَةُ : أَنْثَى الصَّعُورِ ، وَهُوَ عَصْفُورٌ صَغِيرٌ . وَالشَّاهِينُ : طَائِرٌ مِنْ جِنْسِ الصَّعُورِ .
 وَكَسَرَ : ضَمَّ جَنَاحِيهِ لِيَنْقَضَ عَلَى فَرَسِهِ .

فَرَزْمَرَزُ فِي حَدِيثٍ قَدْ صَدَقَ
لَقْنِ الْحَسَنَاءِ أَسْرَارَ النَّبُوءِ
مِنْ سَمَائِي قَدْ هَبَطْتُ الْيَوْمَ قَالَتْ
عَنْ نِسَاءٍ وَرَجَالٍ مَا تَقُولُ
مِنْ بِلَادِ الْغَرْبِ إِنَّمَا هِيَ سَرَقٌ
ثُمَّ فِي الْعَالَمِ أَلْقَاهَا بِقُوَّةٍ !
دَعَوْتِي فِي آخِرِ الْأَيَّامِ كَانَتْ
وَصَرِيحُ الْقَوْلِ مَا عَافَ الْحَاجُّونَ !
مَا قَوْلُ مَا الْمَصِيرُ مَا الْقَدَرُ ،
بِلِسَانٍ تَفْهَمُونَ يَا بَشَرُ !



رسالة نبيّة المريخ

يَا نِسَاءَ ، أَنْتِ يَا أُمِّي الْجَلِيلَةَ
عَيْشُهَا مَا كَانَ إِلَّا ظُلْمُهَا
إِنَّمَا بِالْمَشْطِ نُزِخِي شَعْرَنَا
الرُّجَالُ صَائِدُونَ ، حَذَرَكُنَّ !
وَإِذَا أَبْدَوْا هِيَاماً مَا كَرُونَا
كَافِرُونَ ، وَيَقِيمُونَ الْحَرَمَ
وَعَلَى الْعَيْشِ إِذَا تَمَّ اتِّفَاقُ
الْأَفَاعِي ؟ مَنْ تُطِيقُ لَذَعَهُمْ
قُلْنَ لِي حَتَّامٌ عَيْشِي كَالْحَلِيلَةِ^(١)
إِنَّمَا الْجِرْمَانُ فِي الدُّنْيَا لَهَا
فِي الرُّجَالِ قَدْ وَجَدْنَا صَيْدَنَا
وَلَا جِلِّي الصَّيْدِ دَارُوا حَوْلَكُنَّ^(٢)
وَيَشْقُونَ وَشُجُونٍ خَادَعُونَا
وَلَكِنَّ فِيهِ أَلْوَانُ الْأَلَمِ^(٣)
فَالْوَصَالُ الثَّمُّ وَالشَّهْدُ الْفِرَاقُ^(٤)
لَا تُرْفَنَ فِي الدَّمَاءِ سَعَتُهُمْ^(٥)

- (١) الحليلة : الزوجة . والشاعر يجري الكلام على لسان فتاة المريخ موجهاً إلى النساء ،
ولأنما أراد بكلامها التلميح إلى تبرُّج فتاة الغرب وصراحة تعبيرها عن مبادئ المرأة
المنحرفة التي تفضل الخليل على الخليل .
(٢) حذركن : احذرن .
(٣) الحرَم هنا : بيت الزوجية .
(٤) الاتفاق على العيش : الاتفاق على الحياة الزوجية .
(٤) يشبه الرجال في نظر هذه المرأة بالأفاعي .

كُلُّ أُمٍّ سَوْفَ تَضُوءِي فِي ذُبُولِ

طَابَ عَيْشٌ لَيْسَ فِيهِ مِنْ حَلِيلٍ^(١)

طَابَ لِي الْإِيمَانُ غُمْقًا وَاتِّسَاعًا
الْجَنِينَ قَدْ نَرَى فِي طَيِّ بَطْنِ
مَا أَرَدْتَ مِنْ بَنِينَ أَوْ بَنَاتٍ
كَانَ دِينًا قَتْلُهُ مِنْ غَيْرِ شَكِّ
وَلَأَسْرَارٍ وَأَسْرَارٍ ظُهُورُ
مَا رَأَى قَطُّ ظِلَامًا فِي الرَّحِمِ
حَيَوَانًا كَانَ فِي الْعَهْدِ الْعَهْدِ^(٢)
لِلنَّدَى مَا هَمَّهَا قَطُّ الْوُقُوعُ !
مَا لَدَيْهِ مَضْرِبٌ هَذَا الْوُتْرُ^(٣)
وَلَتُمُتْ ظَمَانٌ تَطْوِيكَ الْبَحَارُ^(٤)
وَالْفَتَاةُ فَلَتَكُنْ مِنْ بَعْدُ حُرَّةً

إِنَّ هَذَا الْوَحْيَ يَأْتِنِي يَتْبَاعًا
عَصْرُنَا أَبَدِي لَنَا إِعْجَازٌ فَنُ
فَلَدَيْكَ أَنْتَ مِنْ حَقْلِ الْحَيَاةِ
إِنْ وَجَدْتَ غَيْرَ مَرْغُوبٍ لَدَيْكَ
إِنَّ هَذَا الْعَصْرَ تَلَوُّهُ الْعُصُورُ
فَالْجَنِينَ هَذِهِ الدُّنْيَا قَدِيمٌ
قَلِمْتُ ! يَبْدُو كَشَيْطَانٍ مَرِيدٍ
لِلْوُزُودِ الْخُمْرِ مِنْ أَرْضِ طُلُوعِ
وَحْدَهُ سِرُّ الْحَيَاةِ قَدْ ظَهَرَ
دَهْشَكَ مِنْ غَيْثِ الرَّبِّيعِ بِأَمَحَارِ
غَالِبِي مَا النَّاسُ قَدْ سَمَّوْهُ فِطْرَةً

بِافْتِرَاقِ الْجَسَدَيْنِ وَخُدِي

كَيْ تُصَانِي ، عَنْ رَجَالٍ فَا بُعْدِي^(٥)

- (١) ضَوْي : ضَعُفَ وَنَحَلَ . يَقُولُ : إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا وَلَدَتْ اعْتَرَاهَا الضَّعْفُ وَالذُّبُولُ .
وَالْحَلِيلُ : الزَّوْجُ .
- (٢) الْمَرِيدُ : الْخَبِيثُ . وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ تَرِيدُ لِلرِّجَالِ أَنْ يَمُوتُوا وَيَصْبِحُوا حَيَوَانَاتٍ مَنْقُوضَةً .
وَالْعَهْدُ : الْقَدِيمُ .
- (٢) الْمَضْرِبُ : مَا يَضْرِبُ بِهِ الْعُودُ وَغَيْرُهُ . وَكَأَنَّ سِرُّ الْحَيَاةِ وَتَرَى يَرْسِلُ الْأَنْغَامَ مِنْ غَيْرِ
عَازِلٍ .
- (٤) الْمَحَارُ : صَدَفُ اللَّوْلُؤِ . وَفِي عَقِيدَةِ الْقَدَمَاءِ أَنَّ مَطَرَ الرَّبِّيعِ إِذَا سَقَطَ فِي الْمَحَارَةِ تَكُونُ
اللُّوْلُؤُ بِهَا .
- (٥) يَبَالِغُ الشَّاعِرُ فِي التَّهَكُّمِ فَيَقُولُ : إِنَّ افْتِرَاقَ الْمَرْأَةِ عَنِ الرَّجُلِ فِي الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ دَيْنٌ
التَّوْحِيدَ عِنْدَهَا ! لِأَنَّ تِلَازِمَ الْجَسَدَيْنِ أَوْ الشَّخْصَيْنِ فِي الزَّوْاجِ بَعْدُ ثَنَوِيَّةٌ لَا تَوْحِيدًا !! .

الرُّوميُّ

مَذْهَبُ الْعَصْرِ الْجَدِيدِ ! قِفْ لِتَنْظُرَ يَا لِعَمْرِي كُلُّهُمْ بِاللَّهِ يَكْفُرُ
 إِنَّ هَذَا الْعِشْقَ شَرْعٌ لِلْحَيَاةِ فِي الْحَيَاةِ مَا لَنَا دِينَ سِوَاهُ^(١)
 وَهِيَ فِي الظَّاهِرِ نَارٌ تَحْرِقُ وَبِنُورِ اللَّهِ قَاعٌ يُشْرِقُ
 نَارُهُ قَدْ أَوْجَدَتْ كُلَّ الْفُنُونِ كُلُّ فَنٍّ كَانَ مِنْ فَرْطِ الْجُنُونِ !
 إِنَّ عِشْقاً بَوَّاءَ الْعِلْيَاءِ دِينَا
 ذَلِكَ الدِّينُ فَخُذْ عَنْ عَاشِقِينَا^(٢)

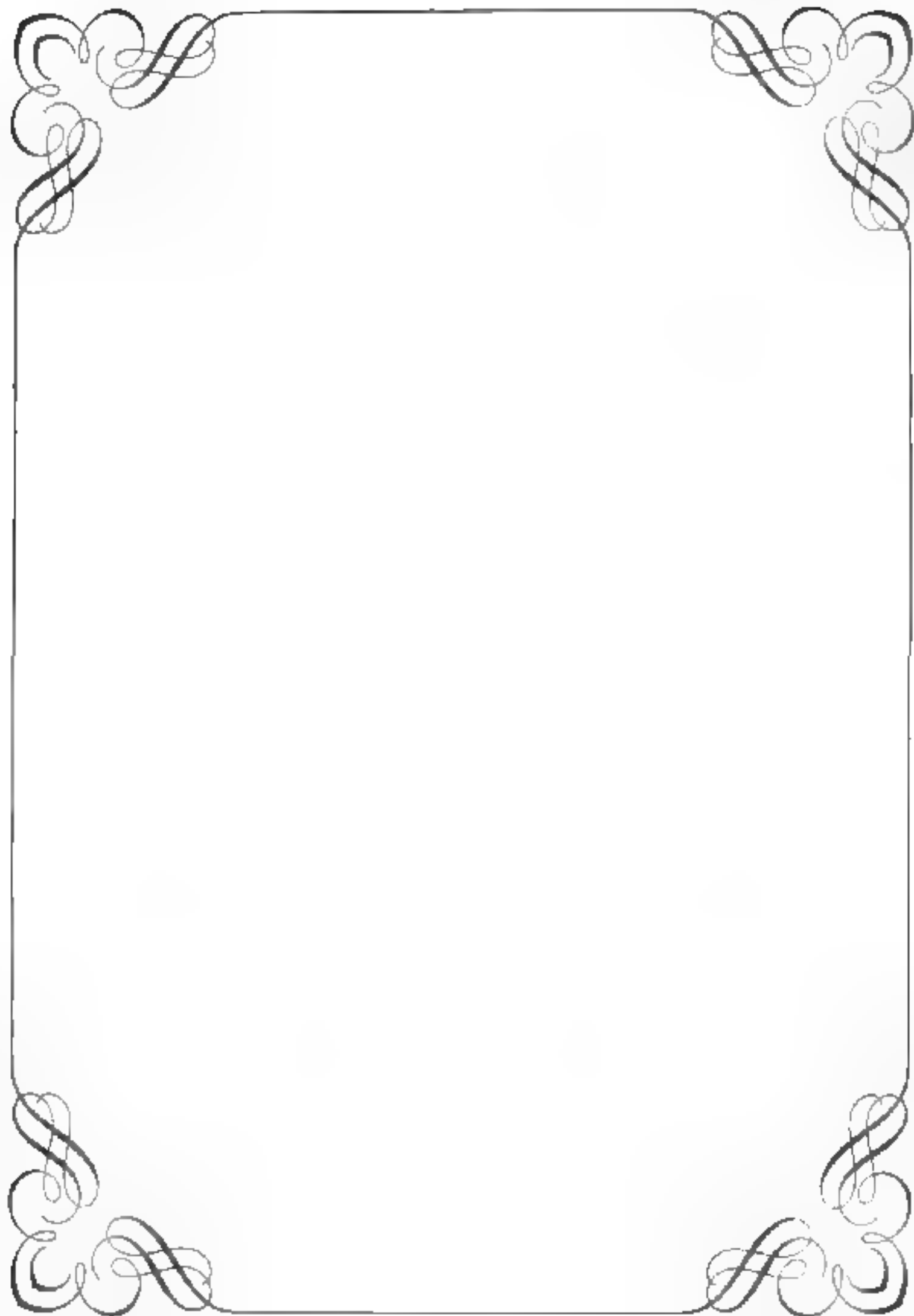


-
- (١) المراد بهذا العشق عشق الصُّوفية للذَّات الإلهية .
 (٢) العلياء : المكان العالي وكلُّ ما علا من شيء . والمعنى : أنَّ العِشْقَ الإلهيَّ يسمو
 بالدين . والعاشقون : عاشقوا الذَّات الإلهية .

القسم الخامس

هَآكُ الْمُسْتَرِي





أرواحُ الحلَّاج^(١) وغالب^(٢) وقرّة العين الطاهرة^(٣)

لم تجذ لها مستقراً في الجنة
فَجَعَلَتْ تطوف على الدوام وإلى الأبد

قلبي المجنون إني قد فدّيت كل يوم منه صحراء وجذت^(٤)
إن بلغت منزلاً لي قال قم القوي بحره كوب يضم^(٥)
ما لآياتِ ربِّ الكون أخز ما انتهى هذا الطريق يا مُسافر؟
الحكيم من يرى شيئاً ويخبو والعليم ما يراه سوف يزبو^(٦)

(١) الحلّاج هو الحسين بن منصور . ذلك الصوفي المعروف بشدة الغلو والتطوّف في نزعاته الصوفية التي كان حريصاً على نشرها في الناس . فما دكن إلى الكتمان ، ولا كان متطوياً على نفسه . بل كان يصيغ في الأسواق ، وهو في حالة من الجذبة والطرب . وقال بالاتحاد مع بقاء كل عنصر من عنصريه على ما هو عليه ، وأنهم بالحلول والكفر لقوله : (أنا الحق) فصلب عام ٣٠٩ هـ .

(٢) غالب : هو من أعظم شعراء القارة الهندية ، نظم بالفارسية والأوردية ، ويُسَمُّ شعره ببعد الخيال ، ودقة التصوير ، وهو مفكّر عميق التفكير في تحليل النفوس ووصف الطباع . كانت وفاته عام ١٨٦٩ م .

(٣) الطاهرة : شاعرة إيرانية تُعرَف كذلك بقرّة العين . وقد شابت من يسمّى « الباب » في حركة دينية تُعدّ في الإسلام بدعةً مذهبيةً ، فصدر الحكم بقتلها في إيران عام ١٨٥٢ م . وشهرتها بشدة الجرأة في التعبير عن الرأي ، كما كان من دعوتها إلى الشفور .

(٤) المجنون هنا هو العاشق المشبه بمجنون ليلي ، الذي دله الحب ، فهام على وجهه في القفار .

(٥) المتزل هنا : مكان نزول المافر .

(٦) الحكيم هنا هو العالم . والعليم هو الصوفي . وتخبو النار : تخمد وتنطفئ . ويربو : يزيد .

الحَكِيمُ طَبَّقَ فَنُ مَا اخْتَبَرَ لِلْعَلِيمِ كَانَ مِيزَانُ النَّظَرِ^(١)
 الْحَكِيمُ الطَّيِّنَ بِالْكَفَّيْنِ جَسَا وَالْعَلِيمُ مَسَّ تِلْكَ الرُّوحَ مَسَا
 التَّجَلِّي كَانَ هَذَا مِنْ رَأَى
 غَيَّرَ أَنَّ ذَاكَ فِي ذَاتِ طَوَاةٍ

عن جديدٍ مِنْ تَجَلُّ قَدْ بَحَثَتْ كُلُّ هَذَا كَانَ فَيْضاً مِنْ طُهُورٍ
 وَصَلا مِنْ بَعْدِ أَنْ طَالَ الرَّجِيلُ ذَلِكَ الْعَالَمُ لِلثَّرَبِ الْمَقَرِّ
 كَرُمِهِ مَا فِيهِ مِنْ كَاسٍ لَنَا كَانَ جَوْفُ اللَّيْلِ بِالْقَمَرَاءِ ظَهَرَا
 فِي السَّمَاءِ تِلْكَ عَيْنِي تَنْسَرِبُ دَخَلْتَنِي هَيْئَةً مِمَّا أَرَى
 هَذِهِ أَرْوَاحُ طُهُورٍ تَظْهَرُ تَرْتَدِي ثَوْباً جَمِيلاً أَحْمَرَا
 مِنْ « أَلْت » هَزَّهَا فَرَطُ اضْطِرَابِ « الزَّمِ الذَّاتِ » بِهَا الرُّومِي حَبَانِي
 مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا الشُّوقِ فَاَنْظُرْ طَفْتُ بِالْأَفْلَاكِ مِثْلَ النَّايِ نُحْتُ
 أَلْهَبَ الرُّوحَ بِمَسٍّ مِنْ سَعِيرِ^(٢) وَبِشَطِّ الْمُشْتَرِي كَانَ التُّزُولُ^(٣)
 حَوْلَهُ شَاهَدْتُ أَقْمَاراً تَمُرُ^(٤) أَرْضُهُ مَا أَخْرَجَتْ قَطُّ الْمُنَى
 مَا عَرَفْنَا جَوْهَ بَرْدَاً وَحَرًّا^(٥) وَأَرَى الْكُوكَبَ مِنْي يَنْقَرِبُ
 مَا أَرَاهُ كُلُّ شَيْءٍ غَيَّرَا قَلْبُهَا بِالنَّارِ دُنْيَا يَضْهَرُ
 وَجْهَهَا ، وَالْقَلْبُ نَارٌ ، نُورَا سَكِرَتْ ، مِنْ لَحْنِهَا رَشَفُ الشَّرَابِ^(٦)
 « عِشْ بِأَنْفَاسٍ لِعَنْ غَنَى الْأَغَانِي » وَعَلَى تِلْكَ الْحُمَيَّا أَيْنَ تَعُزُّ

(١) المراد بالفن أصول العلم .

(٢) الطهور : الطاهر . والشاعر يشير إلى رجل طاهر النفس . والسعير : النار .

(٣) يريد بمن وصلا : العالم والصوفي .

(٤) الثَّرَب : التراب . ومن أسماء الدنيا في الفارسية (خاكدان) بمعنى مجمع التراب .

(٥) القمراء : نور القمر .

(٦) قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

قُرَّةُ الْعَيْنِ وَمَنْصُورٌ وَغَالِبٌ حَرَمُ الْأَرْوَاحِ مِنْهُمْ شِبْهُ جَالِبٍ^(١)
لَحْنُهُمْ رَوْحاً يَمُذُّ بِالثَّبَاتِ
نَارُهُمْ مِنْ جَوْفِ تِلْكَ الْكَائِنَاتِ

لحنُ الحلّاج

مِنْ تَرَابِي لِي لَهَيْتُ مَا رَأَيْتُهُ مِثْلُ هَذَاكَ التَّجَلِّي مَا طَلَبْتُهُ
نَظَرْتِي أَمَعَنْتُ فِي ذَاتِي طَوِيلًا فِتْنِ الدُّنْيَا حَبِيبِي مَا شَهِدْتُهُ
ذَاكَ شِعْرٌ أَيْنَ مِنْهُ مِنْكَ جَمٌّ غَيْرُ مُقْتُولٍ بِعَشْقٍ مَا نَسَبْتُهُ^(٢)
عَقَلْنَا إِنْ كَانَ يَغْزُو أَيُّ بَأْسٍ ؟ عِشْقُنَا هَذَا وَحِيدًا مَا عَرَفْتُهُ
الطَّرِيقَ وَالْمَقَامَ لَسْتُ تَدْرِي أَيُّ لَحْنٍ لِكُلِّمَنِي مَا سَمِعْتُهُ

- (١) قُرَّةُ الْعَيْنِ وَمَنْصُورٌ اسمان للطاهرة والحلاج . وجلب : لفظ وصاح وضع .
والجالب : اسم الفاعل من جلب ولكن المراد هو ضجيج الأرواح لا ضجة الحرَم .
- (٢) جَمٌّ أَوْ جَمْعِيَّةٌ مِنْ مُلُوكِ الْفَرَسِ فِي الْعَهْدِ الْأَسْطُورِيِّ ، وَكَانَ مَشْهُورًا بِعَظَمَتِهِ ، وَانْسَاعِ
مُلْكِهِ . وَيُرِيدُ الشَّاعِرُ بِالشَّطْرِ الثَّانِي مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ وَهُوَ لِشَاعِرٍ يُسَمَّى نَظِيرِي عَاشٍ فِي
الْهِنْدِ ، وَأَصْلُهُ مِنْ إِيرَانَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ عَامَ ١٦١٢ م .
وَهَذَا الشَّاعِرُ يَقُولُ : مَنْ لَمْ يَمُتْ عِشْقًا لَيْسَ مَنًا . وَهُوَ يَذْكُرُنَا بِتَوْدِيدِ شِعْرَاءِ الصُّوفِيَّةِ
لِهَذَا الْمَعْنَى ، وَمِنْهُمْ الشَّاعِرُ الْعَرَبِيُّ عَمْرُ بْنُ الْفَارُضِ الْقَائِلُ :
هُوَ الْحُبُّ فَاسْلَمَ بِالْحَشَا مَا الْهَوَى سَهْلٌ فَمَا اخْتَارَهُ مُضْنَى بِهِ وَلَهُ عَقْلٌ
وَعِشَ خَالِيًا فَالْحُبُّ رَاحَتُهُ عَنَّا وَأَوَّلُهُ سُقْمٌ وَأَخِيرُهُ قَتْلٌ
وَقِيلَ فِي شَرْحِ هَذَا : إِنَّ الْمَوْتَ فِي الْحُبِّ عِنْدَهُ حَيَاةٌ تَفْضُلُ الْحَيَاةَ بِهَا عَلَى الْعَاشِقِ .
وَالْوَفَاءُ لِلْحَبِيبِ بِالْوَفَاةِ . وَالْمَوْتُ فِيهِ حَيَاةٌ . وَالْمَيِّتُ خَارِجٌ عَنْ دَعْوَى قُدْرَتِهِ ، وَهَذَا
مَا يَظْهَرُ أَنَّ الْقُدْرَةَ لِلَّهِ . وَبِذَلِكَ يَكُونُ قَدْ مَاتَ الْمَوْتُ الْإِخْتِيَارِيُّ قَبْلَ الْمَوْتِ
الْإِضْطِرَارِيِّ . وَعَلَيْهِ فَمَوْتُهُ حَيَاةٌ لِانْكِشَافِ الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ الْأَزَلِيَّةِ ، وَفِي هَذَا يَقُولُ
شَاعِرٌ آخَرُ :

وَلَكِنْ لَدَيَّ الْمَوْتُ فِيهِ صَبَابَةٌ حَيَاةٌ لِمَنْ أَمَوَى عَلَيَّ بِهَا فَضْلٌ

صَفْ لَنَا التُّونَ وَبَيِّنْ كَيْفَ صَيَّدَهُ لَا تَقُلْ لِي زُورَقٌ مَا إِنَّ رَكِيبَهُ^(١)
 إِنَّ شَيْخِي قَالَ لِي : لَوْلَا صَيْعَابٌ صَادَفْتَنِي فِي طَرِيقِي مَا سَلَكَتُهُ !
 أَرَشَفُ الصَّهْبَاءَ فِي حَشْدِ النَّدَامَى
 قُلْ لَنَا شَيْخُ النِّصَالِ مَا اجْتَنَبَهُ^(٢)



لحن غالب

السَّمَاءُ مِثْلَمَا شِئْنَا نُدِيرُ والقضاء الكأسَ أَرَوْنَا نُدِيرُ^(٣)
 شِخْنَةُ السُّلْطَانِ نَحْنُ مَا زَهَبْنَا للنَّوَالِ كَفْنَا مِثْنَا نُدِيرُ^(٤)
 الْكَلِيمُ لَمْ يَنْلُ جَوَاباً لِلْخَلِيلِ وَجْهَنَا كُنَّا نُدِيرُ^(٥)
 سَارِقَ الْبُسْتَانِ مَاذَا أَنْتَ تَبْغِي سَلَّةٌ قَدْ أَفْرِغْتَ إِنَّا نُدِيرُ^(٦)
 نَحْنُ فِي رَفَقِ طَيَّورِ الرُّوضِ صَبْحاً نَحْوَ أَعْيَاشِ لَهَا كُنَّا نُدِيرُ^(٧)

(١) التُّون : العنوت .

(٢) الحشد : الجماعة من الناس . والشاعر يطرق المعاني الصوفية دون سواها . وقد ترجمنا هذه المنظومة ملتزمين أسلوب إقبال في الأصل الفارسي .

(٣) أدار الكأس : قَدَّمَهَا بالتناوب إلى جماعة الشاربين . وكلمة ندير هي الرديف في الأصل الذي التزمنا تكراره مع القافية الموحدة التي تسبقه .

(٤) الشُّخْنَةُ : مَنْ يَضْبُطُ الْبَلَدَ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ . والنَّوَال : العطاء . وإدارة الكف للنوال كناية عن رفضه .

(٥) الكليم : موسى ، والخليل : إبراهيم عليهما السلام . والشاعر يجنح إلى مبالغة الصوفية في معانيهم الرمزية . فهو يقول : إِنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَى مُوسَى إِذَا كَلَّمَهُ ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ إِبْرَاهِيمَ ضَيْفًا .

(٦) يقول : إِنَّ السَّارِقَ إِذَا أَلْعَمَ سَلَّتْهُ بِشَمَارِ سَرَقِهَا مِنَ الْبُسْتَانِ أَفْرِغْنَا تِلْكَ السَّلَّةَ مِمَّا فِيهَا ، فَعَادَ بِهَا فَارِغَةً .

(٧) المعنى في هذا البيت متعلق بالمعنى في البيت الأول : لَأَنَّهُ يَقُولُ : إِنَّهُ حَنِيفٌ مَعَ الْعَنِيفِ ، رَفِيقٌ مَعَ الرَفِيقِ .

حَيْدَرٌ جَدُّ لَنَا ، لَا تَفْجَبُوا نَحْوَ غَرْبِ شَمْسِنَا إِنَّا نُدِيرُ^(١)

لَحْنُ الطَّاهِرَةِ

« آه لَوْ كَانَ اللَّقَاءُ بِالْعُيُونِ
لَكَشَفْتُ لَكَ مَكْنُونََ الشُّجُونِ^(٢)
كَيْ أَرَاكَ مِثْلَ أَنْسَامِ الصَّبَا
بِالدِّيَارِ طُفْتُ تَوَاقِ الْحَيْنِ^(٣)
مِنْ نَوَاكٍ فِي عَيْونِي ذَابَ قَلْبِي
مَنْ رَأَى بِحَرًّا جَرَى بَيْنَ الْجُفُونِ^(٤)
إِنَّ لِلرُّوحِ شُفُوفًا خَاطَهَا
بِهِوَاكَ بِمِخِيطِ الْقَلْبِ الْحَزِينِ^(٥)
طُفْتُ بِالْقَلْبِ طَوِيلًا لَمْ أَجِدْ
غَيْرَ مِنْ أَهْوَى ، وَيَخْفَى بِالْكُمُونِ^(٦)

وَجَدُ مَنْ يَعْشَقُ بِالْقَلْبِ الصُّدِيعَ تِلْكَ رُوحِي مِنْهُ فِي الْحُزَنِ الْوَجِيعِ^(٧)
مَشْكَلاتٌ لِي تَوَارَتْ قَدْ بَدَتْ كُلُّ فِكْرِي كُلُّ ظَنِّي أَطْبَقَتْ^(٨)

(١) حيدر هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) الشُّجُونُ : الأحزان .

(٣) الْأَنْسَامُ : جمع نَسَم ، وهو نفسُ الرِّيحِ إذا كان ضعيفاً . والتَوَاقِ : المشتاق .

(٤) النَّوَى : البعد .

(٥) الشُّفُوفُ : جمعُ شِف ، وهو الثُّوبُ الرُّفِيقُ الَّذِي يُشْتَفُّ مَا تَحْتَهُ . وَالْمِخِيطُ : الإبرة .

(٦) كَمَنْ كُمُونًا : توارى .

(٧) الصُّدِيعُ : المضدوع ، أي المشقوق . الْوَجِيعُ : المولم .

(٨) أَطْبَقَتْ الشيءَ : فطاه .

بَخَرُ فِكْرِي فِيهِ مَوْجٌ مُضْطَرِبٌ شَطْلُهُ مِنْ عَضْفٍ هُوَ جَاءَ خَرِبٌ^(١)
 لَا تَضِيغُ مِنْ زَمَانٍ مُدَّةٌ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَحُلَّ عُقْدَةُ^(٢)
 وَإِلَامٌ أَنْتَ لِلْفِكْرِ الْأَسِيرِ
 وَمِنْ الْبَلْبَالِ فَلْيَحُلْ الضَّمِيرُ^(٣)



زندہ رود معرضُ مشکلاتہ علی الأرواح

عَنْ مَقَامِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ بَعُدْنَا ؟
 مِنْ جَنَّاتِ الْخُلْدِ هَلْ طَوَّعَا خَرَجْنَا ؟

الحلاج

مَنْ رَأَى خَيْرًا وَشَرًّا بِالْجَنَانِ مَا اسْتَقَرَّتْ مِنْهُ رُوحٌ بِالْجَنَانِ^(٤)
 جَنَّةُ الرَّاهِدِ خَوْزٌ أَوْ غَلَامٌ جَنَّةُ الْأَحْرَارِ فِي سَيْرِ دَوَامٍ^(٥)

- (١) الهوجاء : الريح التي تفلح البيوت .
- (٢) هذا البيت هو قول جلال الرومي للشاعر .
- (٣) إلام : أي وقت . والبلبال : الهمُّ وَوَسْوَاسُ الصُّدْرِ .
- (٤) الجنان بالفتح : القلب وبالكسر : الجنات .
- (٥) يجري إقبال على مألوف شعراء الصوفية من الفرس الذين يتكلمون بالزاهد في شعرهم الرمزي الذي يحتمل معنيين أحدهما قريب غير مقصود والآخر بعيد هو المقصود . وإنما أرادوا بذلك أن يقولوا : إنَّ العاشق الإلهي ، أو الصوفي يتلقى الحقيقة إلهاماً من ربه ، ونوراً يشرق به قلبه ، ولا حاجة به إلى ترديد النظر في العلم ؛ لأنَّ القلب عنده مصدرُ المعرفة . أما الزاهد أو غير الصوفي الذي يأخذ بظاهر النص ولا يتجاوزُ القشور إلى الباب فهو يعتمد على العقل وحده مصدراً للمعرفة . ومن ثمَّ كان الخلاف بين الصوفية وغيرهم . وهم يبالغون في التحسين والتقبيح محاولين البلاغة ، وكلامهم غير محمولٍ على ظاهره . ويدعون إلى التحرُّر من قيود من يتعجز في نظرهم عن إدراك

جَنَّةُ الرَّاهِدِ نَوْمٌ فِي التَّبَعْلِ
خَشَرٌ مِنْ يَزْهَدُ شَيْئٌ لِلْقُبُورِ
وَأَسَاسُ الْعِلْمِ خَوْفٌ أَوْ رَجَاءٌ
يُرْهَبُ الْعِلْمُ مِنَ الْكُونِ الْجَلَالِ
مَا مَضَى لِلْعِلْمِ أَوْ مَا قَدْ خَضَرَ
مَذْهَبٌ لِلْعِلْمِ كَانَ وَهُوَ جَبَرٌ
يَا لِهَذَا الْعِشْقِ مِنْ حُرِّ غَيُورِ
عِشْقُنَا مَعْنَى الشُّكَاةِ مَا دَرَى
كَانَ مُجْبُوراً وَخُوراً قَلْبُنَا
الْفِرَاقُ كَانَ نَاراً فِي الْفُرَادِ
وَبَلَا وَخَزٍ وَخَزٌ كَيْفَ تَحْيَا
الْحَيَاةُ هَكَذَا ، تَقْدِيرُ ذَاتِكَ
ذَرَّةٌ لِلشُّوقِ شَمْسٌ حَاسِدَةٌ

جَنَّةُ الْعَاشِقِ فِي الْكُونِ التَّائُلُ (١)
إِنَّ هَذَا الْعِشْقَ صُبْحٌ لِلنُّشُورِ (٢)
مَا لِعُشَّاقٍ عَلَى هَذَا اتِّكَاءُ (٣)
يُفَرِّقُ الْعِشْقُ الرُّوَاءَ وَالْجَمَالَ
وَالِى الْآتِي مِنَ الْعِشْقِ النَّظَرُ
مَا لِدَيْهِ كُلُّهُ جَبَرٌ وَصَبَرُ
وَيَرَى الْكُونُ بَعِيْنٍ لِلْجَسُورِ
دَمْعُهُ فِي نَشْوَةٍ لَمَّا جَرَى
لَيْسَ مِنْ أَجْضَانِ حُورٍ سَهْمُنَا (٤)
رَوْحُنَا يَحُلُّو لَهَا مَرُّ الْبُعَادِ
قِفْ عَلَى نَارِ كَوْنِكَ سَاقِيكَ كَيْتَا !
وَهُوَ تَعْمِيرٌ لَهَا ، سِرٌّ فِي حَيَاتِكَ
صَدْرُهَا فِيهِ السَّمَاءُ رَاقِدَةٌ

إِنْ يَكُنْ لِلشُّوقِ فِي الدُّنْيَا الْهُجُومُ
يَمْنَحُ الْخُلْدَ لِفَانٍ لَا يَدُومُ

= الحقيقة ، ولا يُدْرِكها إلا القلب العاشر بعشق الذات الإلهية .

(١) التبعّل : التعطل عن العمل ، والشاعر يرمز إلى ضرورة التأمل في الكون لأنه مظهرٌ
لِلْقُدْرَةِ الإلهية . وشعرُ الصوفية من الفرس خصوصاً زاخراً يمثّل تلك الرموز التي تجد
مبالغاتها مساعاً في ذوقهم .

(٢) نشر الله الموتى نشرأ ونشوراً : أحياءهم .

(٣) يشير إقبال إلى مَنْ يعبُد الله رغبةً في ثوابه ورهبةً من عقابه ، ويقول إِنَّ الصُّوفِيَّ يعبُدُ الله
ويحبُّه لمجرد العبادة والمحبة .

(٤) يقول : إِنَّ قَلْبَنَا كَانَ حُرّاً مع خضوعه لقضاء الله وقدره ، ولا يريدُ أَنْ يَكُونَ القضاة
سهماً ، ولو كان من عيون الحُورِ العِين .

زنده رود

بالرّدى والعيشِ تقدیرُ جرى
ذلك التّقدیرُ مِنّا من كَرَى^(١)

الحلاج

مَنْ لَهُ التَّقْدِيرُ مَهْمٌ شَدَا يَفْزَعُ الشَّيْطَانُ مِنْهُ وَالرَّدَى^(٢)
كَانَ جَبْرًا دِينَ أَصْحَابِ الْهِمَمِ وَالْقُوَى عِنْدَ رَجَالٍ فِي الْقِمَمِ^(٣)
الْحَصِيفُ زَادَ فِي عَقْلِ جَبْرِ وَالغَرِيرُ مِنْهُ فِي أَغْمَاقِ قَبْرِ^(٤)
خَالِدٌ بِالْجَبْرِ هَذَا عَالِمَا أَشْنَا جَبْرًا لَنَا قَدْ هَذَا^(٥)
الرَّضَا مِنْ شَأْنِ ذِيكَ الْبَطْلِ وَهُوَ ثَوْبٌ فِيهِ قَتْلٌ مَا رَفَلَ^(٦)
وَلَمَوْلَانَا عَصَرَقَتْ مَا الْعَقَامُ
فَلْيَشْنُفْ أذُنَيْكَ ذَا الْكَلَامِ
« المعجوسى زمان بايزيد مهتر قال له جد سعيد
يا اخي كن كمثلي مؤمنا لتكون للنجاة ضامنا
إنما الإيمان هذا يا مريد وهو إيمان يراه بايزيد
فأنا عن حقل ذاك أضعف
وبروحى وهى نعيى يغنف

(١) التقدیر : قضاء الله .

(٢) يريد بالسهم السّلاح الذي يتسلّح به ، وهو القنّ الذي يفزع الشيطان والموت .

(٣) المراد برجال في القمم رجال في أوج العظمة وعلو القدر .

(٤) الحصيف : العاقل . والغرير : من لا تجربة له .

(٥) الأسى : الأساس .

(٦) الفصل : الضعيف الذي لا مروءة له . ورفل : جرّ ذيله وتبختر .

غَيْرُ خَوْفٍ وَرَجَاءٍ مَا لَدَيْنَا وَجَمِيعاً سَلِمُوا ؟ لَا مَا رَأَيْنَا
 أَنْتَ قُلْتَ : كُلُّ شَيْءٍ بِالْقَدَرِ وَهُوَ قَبْدٌ ، يَا تُرَى أَيْنَ الْمَفَرِ
 قَدْ أَسَاتَ الْفَهْمِ يَا هَذَا كَثِيرَا مَا رَأَيْتَ الذُّاتَ وَاللَّهَ الْقَدِيرَا^(١)
 بِالذُّعَاءِ الْمَرَّةُ كَانَ مُؤْمِنَا « لَكَ نَحْنُ يَا إِلَهِي كُنْ لَنَا ،
 وَقَضَاءُ اللَّهِ كَانَ عَزْمُهُ
 سَهْمُهُ فِي الْحَرْبِ كَانَ سَهْمُهُ^(٢) »

زنده رود

فِتْنَةٌ مَا قَدْ أَثَارَ الْغَافِلُونَ هُوَ ذَا الْمَصْلُوبُ يَبْدُو لِلْعُيُونِ^(٣)
 الْوَجُودُ وَهُوَ سَرٌّ قَدْ عَرَفْنَا أَيُّ ذَنْبٍ قُلْ لَنَا كُنْتَ اجْتَرَحْتَ^(٤)

الحلّاج

إِنَّ فِي صَدْرِي لَصُوراً لِلنُّشُورِ هُوَذَا شَعْبٌ مَضَى نَحْوَ الْقُبُورِ^(٥)
 مُؤْمِنُونَ يُشَبِّهُونَ الْكَافِرِينَ مُسْلِمُونَ وَلِذَاتٍ مُنْكَرُونَا
 قَوْلُهُمْ : الرُّوحُ شَيْءٌ بَاطِلٌ قُبِدَتْ بِالطَّيْنِ وَهُوَ زَائِلٌ

(١) رَأَيْتَ هُنَا بِمَعْنَى رَأَيْتَ بِالْقَلْبِ لَا بِالْعَيْنِ .

(٢) أَيُّ أَنْ عَزَمَهُ كَانَ قَدَرًا ، وَسَهْمُهُ سَهْمُ اللَّهِ .

(٣) يُشِيرُ إِقْبَالَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ إِلَى صَلَاحِ الْحَلَّاجِ .

(٤) اجْتَرَحَ الذَّنْبَ : ارْتَكَبَهُ .

(٥) الصُّورُ : الْقَرْنُ يَتَفَتَحُ فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَجْعَلُ اللَّهُ ذَلِكَ سَبِيلاً لِعُودِ الصُّورِ وَالْأَرْوَاحِ إِلَى أَجْسَامِهَا .

الْحَيَاةُ أَشْعَلَتْ مِنْ نَارِ ذَاتِي
عَالَمٍ مِنْ ذَاتِهِمْ مَا يَصْنَعُونَ
أَيْنَ تَبْدُو الذَّاتُ أَوْ أَيْنَ اخْتَفَتْ
يَسْتُرُ النَّيِّرَانِ سِتْرًا نَوْرَهَا
قَلْبُنَا بِالذَّاتِ كَمْ كَانَ الْحَفِيَّا
مِنْ لَظَاهَا كُلُّ مَعْدُومِ النَّصِيبِ
نَارُ فُرْسٍ نَارٍ هُنْدٍ هَلْ عَرَفْنَا
نَارَهَا وَالنُّورَ إِنِّي قَدْ وَصَفْتُ
مَا فَعَلْتُ قَدْ فَعَلْتُ فَاخْذِرِ
وَدَعَاوَتِ مَيْسَا لِلْمَحْشَرِ

الطَّاهِرَةُ

مِنْ ذُنُوبٍ وَخَطَايَا لِلْعُلَاةِ
إِنَّ فَرْطَ الشُّوقِ سِتْرًا مَرَّقَا
نَالَ مِنْ عُودٍ وَمِنْ حَبْلِ نَصِيبِهِ
بِالتَّجَلِّي يَتَنَا هَا قَدْ ظَهَرَ
قَدْ بَدَا مَا لَمْ يَكُنْ ، مِنْ كَائِنَاتِ
وَعَنِ الْعَيْنِ الْقَدِيمِ فَرَّقَا
لَمْ يَعُدْ حَيًّا وَقَدْ وَافَى حَبِيبَهُ^(١)
لَا تَقْلَنْ أَنَّهُ الدُّنْيَا هَجَرُ
عَصْرُهُ كَانَ ضَمِيرًا وَهُوَ فِيهِ
عِزْلَةٌ مَهْمَا تَكُنْ لَا تَخْتَوِيهِ

(١) بَصْرَةُ الْأَمْرِ : عَرَفَهُ إِيَّاهُ .

(٢) الْحَفِي : الْبِرُّ اللَّطِيفُ .

(٣) اللَّظَى : النَّارُ ، أَوْ لَهَبُهَا .

(٤) وَافَى : أَتَى .

زنده رود

أَنْتَ يَا مَنْ جَهَدَ بَحْثَ قَدِ الْفِتَّةِ اشْرَحَنْ لِي يَتَا أَنْتَ قُلْتَهُ
« مِنْ رَمَادِ قَبْضَةٍ قُشْرِيَّةٍ ، قَفَصُ اللَّوْنِ الْهَزَارُ
يَا شَكَاةَ فِلْتَجِيي : أَيْنَ رَمَزٍ لِفَوَادٍ فِيهِ نَارٌ »^(١)

غالب

يشتكي النيرانَ في القلب الدَّنِفَ وشكَاةٌ عَنْ شَكَاةٍ تُخْتَلِفُ^(٢)
أحرق القُمرِيَّ منها في اللهبِ وبدا البلبُ في الثوبِ القشيبِ^(٣)
وتضمُّ الموتَ في حُضْنِ الحياة فحياةٌ ، أَوْ لَهَا شَأْنُ المماتِ^(٤)
يا للونِ كَانَ مِنْهُ يَفْقَرُ مَانِي أَوْ زَوَالُ اللَّوْنِ مَسْلُوبِ المعاني^(٥)
أفتدري مَا للونِ مِنْ مَقَامٍ ؟ وَنَصِيبُ الْقَلْبِ بِمِقْدَارِ الْهِيَامِ^(٦)
أَنْتَ بِاللَّوْنِ تَعَالَى ، أَوْ فَيَسِرُ^(٧)
كِي تَرَى آثَارَ قَلْبٍ يَسْتَعِزُّ

(١) يقول المستشرق الإيطالي باوزاتي : إِنَّ هَذَا الْبَيْتَ تَرْجُمَةٌ لِإِقْبَالٍ عَنْ بَيْتٍ بِالْأُورْدِيَةِ لِغَالِبٍ يَكْتَنِفُ الْغَمُوضُ مَعْنَاهُ ، وَهُوَ « إِذَا كَانَتْ مَظَاهِرُ الطَّبِيعَةِ كُلِّهَا غَيْرَ جَدِيرَةٍ بِأَنْ تَكُونَ رَمْزًا لِلْقَلْبِ الْعَاشِقِ ، فَأَيُّ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يَعْدَ لَهُ رَمْزًا حَقِيقِيًّا » وَفِي رَوَايَةِ أُخْرَى لِهَذَا الْبَيْتِ : « قَفَصُ الصَّدَا » فِي مَوْضِعِ « قَفَصُ لِلْأَوَانِ » .

(٢) الدَّنِفُ : مِنْ لَازِمِهِ الْمَرَضُ .

(٣) الْقَشِيبُ : الْجَدِيدُ .

(٤) أَيْ أَنَّ الشَّكَاةَ إِثْمًا حَيَاةً أَوْ مَوْتَ .

(٥) السُّفْرُ : الْكِتَابُ . وَمَانِي مِنْ أَنْبِيَاءِ الْفَرَسِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ عَظِيمَ الْمَهَارَةِ فِي الرُّسْمِ . وَارْتَرَنَكَ عَنَوَانُ كِتَابٍ يَحْوِي تَصَاوِيرَهُ الَّتِي خَدَعَ بِهَا أَتْبَاعَهُ وَيَعُدُّهَا مِنْ مَعْجَزَاتِهِ .

(٦) يَقُولُ : عَلَى قَدَرِ مَا يَجِدُ الْقَلْبُ مِنْ لَوْعَةِ الْأَسَى وَالْهِيَامِ يَكُونُ مَا قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ .

(٧) أَيْ أَقْدِمُ بِاللَّوْنِ أَوْ أَمْضِي بِدُونِهِ .

زنده رود

ألفُ دُنْيَا فِي الْقَضَاءِ الْأَزَقِ
وَبِهَـمَا كُلُّ نَبِيٍّ مُتَّقِي

غالب

أَنْظُرَنَّ فِي الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ كَمْ دُنْيَى تَأْتِي لَنَا مِنْذُ الْقِدَمِ^(١)
نَحْنُ دُنْيَا فِي الْوُجُودِ إِنْ رَأَيْنَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ قَدْ رَأَيْنَا

زنده رود

وَضَحِ الْقَوْلِ فَلِئَنِّي مَا فَهِمْتَ

غالب

أَنَا إِنْ زِدْتُكَ تَوْضِيحاً غَلِطْتُ

زنده رود

لَا يَفِيدُ قَوْلُ أَصْحَابِ الْجَنَانِ^(٢)

غالب

مَشْكَلُ قَوْلٍ دَقِيقٍ فِي اللِّسَانِ^(٣)

(١) الدُّنْيَى : جمع دنيا .

(٢) الجنان : القلب .

(٣) أي : يصعب على الإنسان أن يعبر عن قول دقيق عميق .

زنده رود

اشْتَعَلْتَ أَنْتَ مِنْ نَارِ الطَّلَبِ
لَفْظَةً مَا قُلْتُهَا يَا لِلْعَجَبِ

غالب

إِنْ خَلَقْنَا وَقَضَاءً ابْتِدَاءً^(١)
رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ انْتِهَاءً

زنده رود

الْمَعَانِي عَاجِزٌ عَنْ فَهْمِهَا
لَكَ نَارٌ ؟ قُمْ وَاخْرِقْنَا بِهَا

غالب

أَنْتَ يَا مَنْ تُبْصِرُ الْأَشْعَارَ مِثْلِي وَعَلَيْهَا لِلْكَلامِ أَيُّ فَضْلٍ
أَمْرَاءُ الشَّعْرِ زَانِسُوا جَمْعَهُمْ وَالْيَدُ الْبَيْضَاءُ لَيْسَتْ عَنْدهُمْ
لَيْسَ مَا تَبْغِيهِ مِنِّي غَيْرَ كُفْرٍ إِنَّهُ كُفْرٌ وَرَاءَ كُلِّ شِعْرِ

الحلاج

وَإِذَا أَبْصَرْتَ دُنْيَا لِلشَّيَاطِينِ فَالْمُنَى فِي أَرْضِهَا مِثْلُ النَّبَاتِ^(٢)

(١) يلمح الشاعر إلى قوله تعالى في سورة الأعلى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَرَسَيْنِ ﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿ [الأعلى : ٢-٣] .

(٢) الشَّيَاطِينُ : الأَكْوَانُ .

إِنَّ نُورَ الْمُصْطَفَى فِيهِ الْبَهَاءُ أَوْ رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا مَا تَشَاءُ

زندہ رود

النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى مَا أَمَرُهُ جَوْهَرٌ ، أَفْصَحَ أَجِبَ مَا سِرُّهُ
فِي الْوُجُودِ آدَمِي أَوْ جَوْهَرُ ؟ تَارَةً يَخْفَى وَأُخْرَى يَظْهَرُ

الحلاج

عَقَرَ الْعَالَمُ خِذَا عِنْدَهُ نَفْسَهُ سَمَى النَّبِيَّ « عَبْدَهُ »
« عَبْدَهُ » فَهَمًّا لَدَيْكَ تَبْهَرُ إِنَّهُ الْإِنْسَانُ وَهُوَ الْجَوْهَرُ^(١)
لَيْسَ مِنْ عُرْبٍ وَلَيْسَ الْأَعْجَمَا آدَمٌ بَلْ كَانَ مِنْهُ الْأَقْدَمَا^(٢)
« عَبْدَهُ » قَدْ شَكَّلْتَ هَذَا الْقَدَرُ بِالْقِيَا فِي الْخَضْبِ مِنْهَا قَدْ ظَهَرَ^(٣)
أَخَيَّتِ الْأَزْوَاحَ وَهِيَ تَقْتُلُ وَالرُّجَا جُ ، وَهِيَ صَخْرٌ يَتَّقُلُ
غَيْرُ « عَبْدٍ » « عَبْدَهُ » فَلَتَغْتَبِرُ وَلَهَا طَالَ انْتِظَارُ الْمُتَظَرِّ^(٤)
عَبْدَهُ الدَّهْرَ وَكَانَ الدَّهْرُ مِنْهَا كُلُّهَا لَوْنٌ وَبِنَائِي اللَّوْنُ عَنْهَا
وَلَهَا الْبَدْءُ وَمِنْ غَيْرِ انْتِهَاء مَا لَدِيهَا مِثْلُ صُبْحٍ أَوْ مَسَاءٍ
مَا دَرَى الْإِنْسَانُ قَطُّ سِرَّهَا سِرٌّ « إِلَّا اللَّهُ » كَانَ ذِكْرُهَا
لَا إِلَهَ السَّيْفُ وَهِيَ حِدَّةُ وَلَتَصْرُخُ وَلَتَقُلَّ « هُوَ عَبْدُهُ »
« عَبْدَهُ » كُنْهُ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ « عَبْدُهُ » فِيهَا مَعَانٍ مَغْلَقَاتِ

(١) بهر : غلب .

(٢) فِي الْأَصْلِ الْأَعْجَمُ وَهُوَ الَّذِي فِي لِسَانِهِ لُكْنَةٌ وَعَدَمٌ فَصَاحَةٌ . وَالْمُرَادُ الْأَعْجَمِي أَيِ غَيْرِ الْعَرَبِيِّ .

(٣) الْقِيَا فِي : جَمَعَ فَيَقَاءَ ، وَهِيَ الْأَرْضُ لَا مَاءَ فِيهَا .

(٤) اعْتَبِرْ : نَظَرَ فِي الشَّيْءِ وَاخْتَبَرَهُ .

ولهذا الشَّعرِ معنى ما فهمت قبلَ فهمِ قولِ ربِّي ﴿ ما رميت ﴾^(١)
 دَعَاكَ من هذا الكلامِ زنده رود
 امضِ وَلْيُغْرِقْكَ ذِيَاكَ الْوُجُودُ

زنده رود

إِنَّ هَذَا الْعِشْقَ شَيْءٌ مَا عَرَفْتُهُ
 أَهْوَى لِلرُّؤْيَا ذَوْقُ مَا عَهْدْتُهُ ؟

الحلاج

هَذِهِ الرُّؤْيَا مَعْنَاهَا النَّبِيُّ يَحْكُمُ النَّفْسَ ، بِذَا وَهُوَ الرَّاظِي
 أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ عِشٌّ مِثْلَ الرَّسُولِ وَمَنْ الْخَلْقِ مَسْتَحْظِي بِالْقَبُولِ
 ذَاتُكَ انْظُرْ إِنَّ هَذَا رُؤْيَا سِرُّهُ السِّرُّ الْعَظِيمُ نَسْتَه

زنده رود

رُؤْيَا اللَّهِ أَفْلاكَ تَنْزُرُ ؟
 وَأَدَارَ الشَّمْسِ فِيهَا وَالْقَمَرُ^(٢)

(١) يريد قوله تعالى في سورة الأنفال : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَئِنْ أَفْلَحَ قَتَلَهُمُ اللَّهُ فَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَئِنْ أَفْلَحَ رَمَيْتَ ﴾ [الأنفال : ١٧] ؛ أي لم تقتلوهم ببلد بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصره إياكم . . . وما رميت يا محمد عين القوم إذ رميت بالحصا ، فإن كفاً من الحصا لا يمكن أن تملأ عيون الجيش العظيم إن كان الرامي من البشر ، ولكن الله رمى ، ليظهر الكافرين .

(٢) أي الله الذي نشر الأفلاك في السماء .

الحلّاج

صورةُ الحقِّ بروحٍ اطَّرَحَنَ ثمَّ في الدُّنيا إليه انْظُرَنَ^(١)
 وإذا كانتْ بروحٍ صُوِّرَتْهُ فلِكُلِّ العَالَمِينَ رُؤْيَتُهُ
 إنْ جَرَتْ « هُو » يا حَظِيظُ مِنْ لِسَانِكَ طَافَتْ الأَفلاكُ طَوْفًا حَوْلَ دَارِكَ^(٢)
 ويلُ درويشٍ بفيه قد جَرَتْ ثمَّ ضَمَّ شَفْتَيْهِ أَوْ صَمَتَ
 إنَّه لَمْ يُجِرْ حُكْمَ رَبِّهِ ما الشَّعِيرُ ؟ حَيْدَرُ فِي حَزْبِهِ؟^(٣)
 طَلَبُ الزُّهْدِ تَحَاشَى خَيْرًا راهبًا أَضْحَى ، مَلِكٌ يَأْتَرِي؟^(٤)
 صورةُ الحقِّ ، هي الدُّنيا لَدَيْكَ والقَضَاءُ كَالزُّمَامِ فِي يَدَيْكَ
 القِتَالُ بُغْيَةُ العَضْرِ المَرِيدِ
 أَلْقَهَا فِي لَوْحٍ كَفَارٍ عَنِيدِ

زنده رود

كان في الدُّنيا لَدَيْنَا رَمِيْهَا
 لست أدري كيف كان رَمِيْهَا !

(١) الحق : هو الله تعالى .

(٢) الحظيظ : السيد الحظ .

(٣) أكلُ خبز الشعير رمزٌ إلى شدة التقشف والقناعة من الدُّنيا بأقلِّ قليلها . وحيدر هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه المشتهر بالنجدة وشدة البأس في القتال . والشاعر يتهمكم بالمسرف في الزهد ، ويفضل عليه المحارب المناضل .

(٤) يشير إلى ما يروى من عجائب الأخبار عن قوة عليٍّ وشجاعته في غزوة خيبر ، وقد أسلفنا الإشارة إلى ذلك . ويتهمكم ثانيةً بالزاهد الذي يتوهم نفسه بالزهد أعظم من ملوك الأرض .

يعرف الأفلاك حثاً طيناً أين نار للمريد هاهنا^(١)

الحلاج

أوجز الأقوال عن شيخ الفراق وجهلنا ، كل شيء قد درى
الشقوط بغده طاب الصعود إن عشقت في لهيب فاخترق
إنه في العشق منا أقدم سره ما ليس يدري آدم
إن للتقليد ثوباً ، مرقنة
وتخذ التوحيد عنه وافهمنة

الحلاج

المقام ليس في طوق لنا ونطير ، كان ذا ذوقاً لنا^(٢)
نحن دوماً من رأينا أو خفقنا ما لدينا من جناح ، حبنا^(٣)

ظهور رأس أهل الفراق إبليس

وحديث الحكماء برهتان الوجود والفناء تضمنان

إبليس أو الشيطان .

(١) المراد بالطين هنا هو الإنسان . والمريد : الخبيث .

(٢) الهيام : الظمأ . والتجيع : الدم . والدِّهاق من الكؤوس : الممتلئة .

(٣) العلوق : الطاقة والقُدرة .

(٤) دوماً : دائماً . وحسبنا : كافينا .

الحلاج

يُخَيِّنُ كَانَ لِلْوَجْدِ الرَّهِيْفُ أَمْ يَقْنَرُ كَانَ لِلْقَهْرِ الْعَنِيْفُ^(١)
إِنَّ فِي الرَّقَّةِ رَبِّي أَظْهَرُ هِيَ مِنْ عُنْفٍ شَدِيدٍ أَجَلَرُ

زنده رود

أَنْتَ يَا مَنْ تَعْرِفُ الْأَسْرَارَ شَرْقًا
بَيْنَ زُهْدٍ هَلْ تَرَى وَالْعِشْقَ قَرْقًا ؟

الحلاج

إِنَّمَا الرَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا الْغَرِيبُ
ذَلِكَ الْعَاشِقُ فِي الْعُقْبَى الْغَرِيبُ

زنده رود

إِنْ عَرَفْتَ فَاَنْتِهَاءَ بِالْفَنَاءِ مَنْ سَعِيدٌ فِي الْفَنَاءِ بِالْبَقَاءِ ؟

الحلاج

تُسَكِّرُ الْكَأْسُ خَلَّتْ بَعْدَ امْتِلَاءِ وَعَنِ الْعِلْمِ اغْتَرَابٌ كَالْفَنَاءِ
فِي الْفَنَاءِ لَكَ شَوْقٌ وَاحْتِدَمَ ذَلِكَ الْمَوْجُودَ لَا يَلْقَى الْعَدَمَ^(٢)

زنده رود

مَنْ عَلَى آدَمَ أَغْلَى قَذَرَةً لَمْ يَجِزْ فِي قَاعِ دُنْ خَمْرَةٍ^(٣)

(١) الرَّهِيْفُ : الرَّفِيْقُ .

(٢) احْتِدَمَ : اشْتَدَّ . يَقُولُ : أَنْتَ فِي الْفَنَاءِ تَطْلُبُ شَيْئًا . وَالْعَدَمُ لَا يَصَادِفُ الشَّيْءَ الْمَوْجُودَ .

(٣) الدُّنْ : جِرَّةُ الْخَمْرِ . وَيَعْلَى قَلْبَهُ عَلَى قَلْبِ آدَمَ : يَدَّعِي أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ آدَمَ ، وَهَذَا مَا ادَّعَاهُ =

أَضْرَمَ الْعِشْقَ عَلَيْنَا وَانْصَرَفَ
 أَغْمَضَ الْعَيْنَيْنِ حَتَّى أَمْلَكَهُ
 وَظِلَامٍ كُفَّ مِنْهُ النَّاطِرَانِ
 شَعْلَةٌ لَاحَتْ بَلِيلٍ قَدْ وَقَبَ
 وَهُوَ شَيْخٌ يَرْتَدِي سَوْدَ الثِّيَابِ
 وَهَبَ الرُّؤْيَا عَقْلًا ، مَا وَقَفَ
 فِي فَوَادِي طَابَ لِي أَنْ أَسْلُكَهُ
 فِي الْمَكَانِ وَإِلَى غَيْرِ الْمَكَانِ^(١)
 وَإِذَا مِنْ جَوْفِهَا شَيْخٌ وَقَبَ^(٢)
 وَالذُّخَانُ لَقَهُ مِثْلَ السَّحَابِ

قال مولانا أرى شيخَ الفراقِ

يتلظى والنَّجِيعُ فِي الدُّهَاقِ^(٣)

طَالَ مِنْهُ الصَّمْتُ فِي طَوْلِ الْوُجُومِ
 مَا جَنَّ شَيْخٌ حَكِيمٌ زَاهِدٌ
 مَا دَرَى طَبِيعٌ لَهُ ذَوْقُ الْوِصَالِ
 وَهُوَ عَنْ هَذَا الْجَمَالِ مَا انْقَطَعَ
 قِفْ تَأَمَّلْ بُرْهَةً مَا قَدْ عَرَاهُ
 وَيَرَى الْأَرْوَاحَ وَهِيَ فِي الْجُومِ^(٤)
 يُشَبِّهُ الرُّهَادَ وَهُوَ الْجَاهِدُ^(٥)
 زُهْدُهُ تَرَكُ الْخُلُودِ فِي الْجَمَالِ^(٦)
 وَامْتِنَاعٍ عَنْ سَجُودِ مَا صَنَعَ
 ثَابِتاً فِي الْمُسْكَلاتِ كِي تَرَاهُ^(٧)

وبه الهيجاء ما زالت تَدُورُ

كَمْ نَبِيٍّ قَدْ رَأَى وَهُوَ الْكَفُورُ

مِنْ لَظَاءِ الرُّوحِ فِي جَسْمِي ازْتَعَدَّ
 فَتَحَ الْعَيْنَ وَقَالَ وَاعْتَدَلَّ
 وَزَفِيرُ الْحُزْنِ مِنْ فِيهِ اصْعَدَّ^(٨)
 مِثْلُنَا مَنْ كَانَ مِيمُونَ الْعَمَلِ

(١) كُفَّ بَصْرُهُ : ذهب . النَّاطِرَانِ : العيتان .

(٢) وَقَبَ الظَّلامِ : دخل على الناس .

(٣) يتلظى : يتلهب . النَّجِيعُ : الدم . والدُّهَاقُ من الكُورس الممثلة .

(٤) الوجوم : الحزن مع الصمت .

(٥) الماجن : الذي لا يبالي ما صنع . والجاهد : المجد .

(٦) الذوق : الإدراك . وفي الأصل أن زهده قطع النظر عن الجمال المخالد .

(٧) عراه : اعتراه ، وغشيه .

(٨) اللظى : النار . اصعد : صعد .

انْهَمَكْتُ فِي شُؤُونِي وَاجْتَهَدْتُ
 مَا لَدَيَّ مِنْ مَدَدَتْ مِنْهُ قُوَّةُ
 لَيْسَ عِنْدِي مِنْ حَدِيثٍ أَوْ كِتَابٍ
 كَالْفَقِيهِ عَزَلَ دِينَ مِنْ عَزَلَ
 مَا عَرَفْنَا مِثْلَ هَذَا الْمَطْلَبِ
 يَا جَهْلُ ، إِنَّنِي مَا إِنْ مَسَجَدْتُ
 لَوْجُودِ اللَّهِ لَسْتُ مُنْكَرًا
 أَجْهَلْتُ كَيْ أَقُولَ مَا وَجَدْتُ
 وَ « نَعَمْ » فِي سِتْرِ « لَا » مَا قَدْ نَطَقْتُ
 آدَمُ مِنْ هَمٍّ نِلْتُ النَّصِيحَا
 مِنْ مَرُوجِي نَبَتْ نَارٌ وَنَارُ
 إِنَّنِي أَظْهَرْتُ قُبْحِي ، قُمْ بِشَانِكَ
 تِلْكَ نَارِي صَدَّ عَنِّي حَرُّهَا
 أَنْتَ يَا إِنْسَانُ فِي أَسْرِي وَقَعْتُ
 وَهَمَامًا كُنْ وَلَا تَخْشَ الْخُطُوبَا
 دَعَاكَ مِنْ حُلُوي وَمُرِّي وَأَنْسَ مَا بِي

- (١) فِي الْأَصْلِ أَنَّهُ مَا وَجَدَ وَقْتًا لَصَلَاةِ الْجُمُعَةِ .
- (٢) مَدَدَتْ مِنْهُ قُوَّةُ : أَخَذَتْهَا مِنْهُ . وَالْمَنْ : التَّعْيِيرُ بِالصَّنِيعَةِ .
- (٣) دَحَرَ : طَرَدَ ، وَهَزَمَ . الْغَلَابُ : مِنَ غَالَبَ .
- (٤) يَجْرِي إِقْبَالٌ عَلَى مَالُوفِ الصُّوفِيَةِ فِي تَهْكِمِهِمُ الرَّمْزِيَّ بِالزُّهَادِ وَالْفُقَهَاءِ .
- (٥) الْأَرْضُ : آلَةٌ يَعْرِفُ عَلَيْهَا .
- (٦) شَهِدَ : رُبِّي .
- (٧) الْحَبِيبُ : هُوَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا .
- (٨) الْهَمَامُ : الْعَظِيمُ الْهَمَّةُ . الْمُسْعَدُ : الْمَوَاسِي وَالْمَعِينُ .

يَرْصُدُ الصَّيَّادُ مَا يَرْمِيهِ حَتْمًا إِنَّ بَدَوْتَ فِي مَصَادِي نِلْتَ سَهْمًا^(١) !
 مَا هَوَى مِنْ طَارٍ فِي أَوْجِ السَّمَاءِ
 يَغْلِبُ الصَّيَّادُ صَيْدَ الذِّكَاةِ^(٢) !

قُلْتُ : « فَاطْرَحِ لِلْفِرَاقِ مَذْهَبًا فِي الطَّلَاقِ لَيْسَ لِي أَنْ أَرْغَبَا^(٣) »
 « الْفِرَاقُ لِلْحَيَاةِ مِثْلَ شَطْرِ
 الْوَصَالِ بِلِسَانِي مَا ذَكَرْتَ فَهُوَ فِي الْوَصْلِ أَمْحَى بِي وَأَمَّحَيْتَ^(٤) ! »
 لَفْظُهُ عَنْ نَفْسِهِ كَانَ الْغَرِيبَا ثُمَّ زَادَ الْقَلْبُ بِالْحُزْنِ اللَّهْيَا
 وَتَلَوَّى فِي الدُّخَانِ وَاخْتَلَجَ ثُمَّ ضَلَّ وَهُوَ مِنْهُ فِي الْحَرَجِ^(٥)
 الشَّكَاةُ لِلدُّخَانِ فِي اتِّكَابِ
 تَشَعُّدِ الرُّوحِ بِآلَامِ الْعَذَابِ

شكوى إبليس

رَبِّ مَنْ أخطَا وَرَبِّ مَنْ أَصَابَا صَحْبَةُ الْإِنْسَانِ لِي كَانَتْ مُصَابَا^(٦)
 ذَلِكَ الْإِنْسَانُ حَكَمِي لَمْ يُخَالِفْ أَعْمَضَ الْعَيْنَ وَذَاتًا لَمْ يُصَادِفْ
 طِينُهُ لَمْ يَذَرِ ذَوْقًا لِلْإِبَاءِ لَا وَلَا مَعْنَى لِنَارِ الْكِبْرِيَاءِ

(١) المصَاد : موضع الصيد .

(٢) الصَّيْدُ : مَا يَصَاد .

(٣) التلميحُ هنا بحديث للنبي ﷺ ، وهو قوله : « أَبْغَضَ الْحَلَالِ عِنْدَ اللَّهِ الطَّلَاقُ » . وَأُورِدَ
 الشَّاعِرُ هَذَا الْحَدِيثَ بَتَمَامِهِ فِي الشُّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ .

(٤) يَرِيدُ فَنَاءَ الصُّوْفِيِّ فِي الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ .

(٥) الْحَرَجُ : مَكَانٌ ضَيِّقٌ كَثِيرُ الشَّجَرِ .

(٦) الْمَصَابِ : النَّازِلَةُ الشَّدِيدَةُ .

ويقول الصيِّد للصيِّاد خُذْنِي
 وَمِنَ الصَّيِّد ، إِلَهِي ، خَلِّصْنِي
 مِنْهُ ذُلِّي ورماني من علائي
 وَضَعِيفُ الْعِزِّمْ فَجَّ الْفُطْرَةَ
 وَجَدِيرُ بِي حَصِيفُ ذُو نَفَرٍ
 دُمِيَّةُ الطَّيْنِ اسْتَرَدَّ مِنْ يَدَيَّا
 مَا هُوَ الْإِنْسَانُ ؟ ضِغْثٌ مِنْ غُثَاءِ
 لِلْغُثَاءِ وَخُدَّةٌ كَانَ الْوُجُودُ
 أَيُّ شَيْءٍ لِلرُّجَاجِ كَانَ صَهْرُ
 مِنْ فَتُوحِي مَا أَنَا ذَا قَدْ مَوْتُتُ
 مُنْكَرَ الذَّاتِ أَرِيدُ مِنْكَ فَاْمَنْخُ
 وَأَرِيدُ طُلَيْتِي مِنْ يَغْصِرُ
 مِنْ يَقُولُ : « أَخْرُجْنِي مِنْ حُضُورِي »

يَا إِلَهِي فَلْتَهَبْ حُرّاً أَيُّهَا
 فِي انْهَازَامِي مَتَعَةً كَانَتْ لَدَيَّا

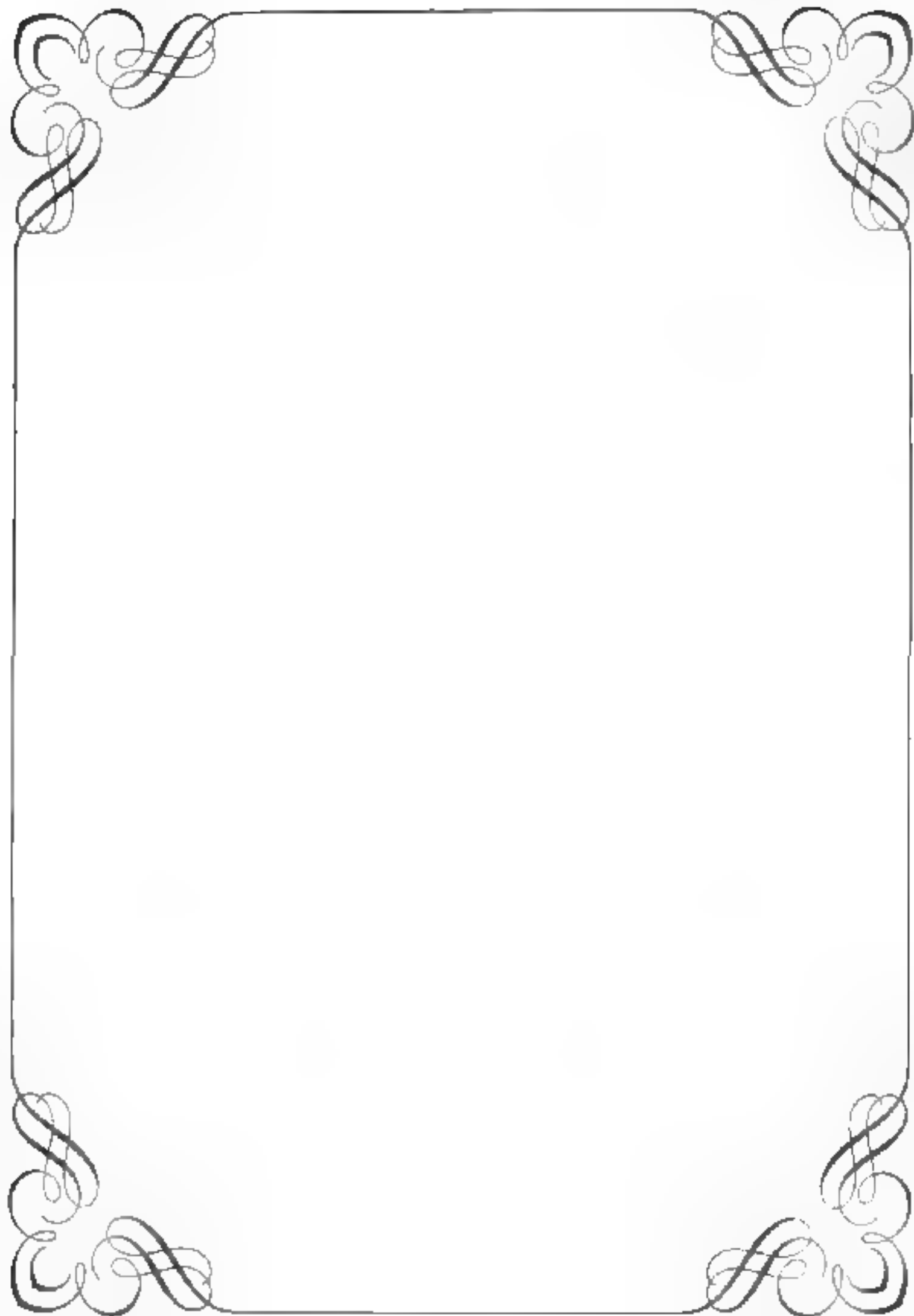


-
- (١) لم يرُقْنِي : لم يعجبني .
 (٢) الفج : ما لم ينضج من الثمار . وخر : سقط .
 (٣) الحَصِيفُ : العاقل الحكيم .
 (٤) عَتَا الشَّيْخُ : طعن في السن .
 (٥) الضِغْثُ : قبضة حشيش مختلطة اليابس بالرطب .
 (٦) الطُّلِيَّةُ : العنق .

القسم السادس

قَالَ زُحَل





الأرواحُ الخبيثةُ التي غَدَرَتْ بالوطن ولم تقبلها جهنم

كَانَ لِلأحرارِ مولانا الإماما
السماء قالَ يا مَنْ قَدْ طَوَيْتَ
وكما شاهَدْتَه أَنْتَ انْتَلَقَ
ويطِيءُ كالشُّكُونِ حِينَ سِيرَ
جَمَّه ماءً وطيناً شُكْلاً
تَضَعُ النَّارَ بِأَيْدِ المَلائِكِ
دِرَّةً قَدْ أَوْجَعَتْ تِلْكَ النُّجُوما
عَالَمٌ مِنْهُ النُّشُورُ لِلْفَلَكَ
ما لأرواح به يَوْمَ النُّشُورِ
إِنَّ شَيْطَانَيْنِ فِيهِ يَنْكُثَانِ
ذَاكَ فِي البِنْغَالِ هَذَا فِي الدَّكْنِ

كُلُّ حُرٍّ بَوْأَ الشَّيْخِ المَقَامِ (١)
أعلى العالَمِ زُئْجَاراً رَأَيْتُ؟ (٢)
بِذِيُولٍ لِنَجُومٍ قَدْ سَرَقَ! (٣)
خَيْرُهُ ما كانَ إِلَّا كُلُّ شَرٍّ
خَطْوُهُ فِي الأَرْضِ صَغْبٌ أَشْكَلا (٤)
قَسَمْتُ سُخْطاً لِرَبِّي مِنْ هُنَالِكَ (٥)
مَنْعَتْهَا فِي المَدَارِ أَنْ تَحُومَا (٦)
وهو مِنْ بُخْلِ الشُّمُوسِ فِي الحَلَكِ (٧)
لَمْ تُعَذِّبْهَا الجَحِيمُ بالسَّعِيرِ (٨)
أَزْهَقَ الرُّوحَ لِقُومٍ قاتِلانِ
وهما لِلدِّينِ عارٌ وَالْوَطَنِ (٩)

- (١) مولانا هو الصوفي الفارسي جلال الدين الرُّومِي .
(٢) الزُّئْجَارُ : ما يشدُّ به النصراني وسطهم والإيماء إلى زحل .
(٣) انتَلَقَ : شدَّ وسطه بالمنطقة .
(٤) أَشْكَلا الأمر : التبس .
(٥) المَلائِكُ : الملائكة ، والنَّارُ هنا : الصاعقة .
(٦) الدِّرَّةُ : السوط .
(٧) الحَلَكُ : الظلام .
(٨) يوم النشور يوم القيامة الذي تعود فيه الحياة إلى الموتى . والسَّعِيرُ : النار .
(٩) مير جعفر : هندي قبل أن يكون حاكماً للبنغال تحت نفوذ الإنجليز ؛ الذين توطدت =

أَبْغَضًا فِي الْيَأْسِ مِنْ نَيْلِ الْمُرَادِ الْفَسَادَ قَدْ أَشَاعَا فِي الْبِلَادِ
 أَمَّةٌ كُلُّ الصُّلَاتِ قَطَعَتْ مُلْكُهَا وَالذُّيُوسَ حَتْمًا ضَيَّعَتْ^(١)
 وَبِلَادُ الْهِنْدِ هَلْ أَنْسَيْتُهَا ؟ وَلَهَا فِي كُلِّ قَلْبٍ مَا لَهَا^(٢)
 فَتَجَلَّيْهَا أَنْارَ الْعَالَمَا مَا تَزَالُ أَرْضُهَا تَجْرِي دَمًا
 فِي ثَرَاهَا مَنْ رَمَى بِذَرِّ الْعَبِيدِ ؟ ذَاكَ فِعْلٌ كَانَ مِنْ رُوحِ مَرِيدِ
 بَرَهَةٌ قِفْ أَنْتَ فِي هَذَا الْفَضَاءِ
 مَا يَنَالُ الْمَرْءُ شَاهِدًا مِنْ جِزَاءِ

بَحْرُ الدِّمَاءِ

مَا رَأَيْتُ ، وَضَفُهُ يُغْيِي اللَّسِنَ يُرْعِبُ الرُّوحَ وَيُنْشِيهَا الْبَدَنَ^(٣)
 إِنَّهُ بَحْرُ الدِّمَاءِ قَدْ جَسَرَنِي فَوْقَهُ رِبْعٌ وَأُخْرَى أَضْمَرَا
 يُشْبِهُ الْحَيَتَانِ تَيْنَ يُطْلِيزُ بِجَنَاحِي زُبُقٍ وَالْكَفُّ قَيْرَ^(٤)
 مَوْجُهُ اللَّيْثُ الْهَمُورُ ذُو الْمَنَاصِلِ مَاتَ رُغْبًا مِنْهُ تَمْسَاحُ بِسَاحِلِ^(٥)

= أقداسهم ، واستقامت أمورهم ، وسيطروا على الهند بعد أن هزموا سراج الدولة حاكم البنغال عام ١٧٥٧ . وصادق الدكني خائن خان السلطان تيبو الحاكم المسلم لميور المتوفى عام ١٧٩٩ .

(١) يريد قطع الصلوات بينها وبين غيرها من الأمم .

(٢) أي لها في كل قلب ما لها من علو المنزلة .

(٣) اللسن : الفصاحة .

(٤) التنين : العظيم من الحيات . يقول إن التناين في الجو كالحيثان في البحر وجناحاها في لون الزئبق ومخالبها سود في لون الليل . والقير : القار ، وهو مادة سوداء تغطي بها السفن .

(٥) الهصور : المفترس . والمناصل : جمع منصل وهو السيف . وكان أنياب الأسد سيوف .

لَمْ يَنْلِ مِنْهُ الْأَمَانَ الشُّطُّ قَطُّ فِي الدِّمَاءِ تِلْكَ أَعْلَامُ تَغَطُّ^(١)
هَذِهِ الْأَمْوَاجُ دَوْمًا فِي نِزَاجٍ تُهَيِّطُ الزُّورَاقَ مِنْ بَعْدِ ارْتِفَاعِ
فِيهِ يَتَدَوَّرُ جُلَانِ شَاحِبَانِ
أَشْعَتَانِ مِنْ قِيَابِ عَارِيَانِ

روح الهند تظهر

تِلْكَ بِنْتُ الْحَوْرِ فِي شَقِّ السَّمَاءِ تَرْفَعُ الْبُرْقُعَ عَنْ وَجْهِ الضِّيَاءِ
وَلَهَا نَارٌ وَنُورٌ فِي الْجَبِينِ وَسُرُورٌ أَبَدِيٌّ فِي الْعُيُونِ
تَرْتَدِي ثَوْبًا أَرْقَ مِنْ غَمَامٍ نَسَجْتُهُ مِنْ وَرُودٍ فِي الْكِمَامِ^(٢)
مَعَ هَذَا الْحُسْنِ نَاءَتْ بِالْقُيُودِ تَضَعُ الشُّكُورَ لَهَا قَلْبُ الْحَدِيدِ^(٣)
قَالَ : رُوحَ الْهِنْدِ مَوْلَانَا أَشْهَدَا
نُوحَهَا فِي الْقَلْبِ نَارًا أَوْقَدَا

روح الهند تنوح وتتجيب

أَيْنَ نُورُ الرُّوحِ فِي مَصْبَاحِهَا مَنْ وَعَى مَجْدًا لَهَا مِنْ أَهْلِهَا
مَنْ عَلَى سِرِّ لَهَا لَمْ يَطْلُغْ إِلَاحُهَا مِنْهُ مُشْجٍ نَسْتَوْغِ
وَيَسِرُّ الْمَاضِي بَعِيْنِ جَامِدَةٍ يَخْرِقُ الْقَلْبَ بِشَارِ خَامِدَةٍ
وَقِيُودِي مِنْهُ يُعْيِي ثَقْلَهَا وَشِكَايَتِي لَيْسَ يُجِدِي قَوْلَهَا

(١) الأعلام : جمع علم وهو الجبل العالي . وتغط : تغطس في الماء .

(٢) الكِمَامُ : جمع كِمٍّ ، وهو غلاف البرعم .

(٣) ناء بالحمل : نهض به مثقلًا .

ومضى شوطاً بعيداً عن « أنا » مِنْ تَقَالِيدِ لِه سِجْنًا بَتَى
عَيْشُهُ أَلَمَ حَتَّى قَوْمَنَا
طَهَّرَهُ بِالْحُزْنِ أَضْنَى عَصْرَنَا^(١)

دَعَاكَ مِنْ فَقْرٍ بِهِ عُرِّي وَجِبَ حَبْذَا الْفَقْرُ إِذَا مُلْكًا وَهَبَ^(٢)
دَعَاكَ مِنْ جَبَرٍ وَصَبَرٍ ، الْحَذَرُ فَلَا هَلَّ الْجَبَرِ سُمْ قَدْ بَدَرَ^(٣)
إِنَّ هَذَا مِنْ يُدِينُ صَبْرَهُ ذَاكَ مَنْ يَرْضَى وَيَهْوَى جَبْرَهُ

يَا لِفَانِ الظُّلَمِ مُرّاً فِي التَّحْسِي
لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ، وَيَخُ نَفْسِي

أَلَيْلُ الْهِنْدِ صَبَحَ قَدْ يَلُوحُ جَعْفَرُ أَوْدَى وَتَحْيَا مِنْهُ رُوحُ^(٤)
إِنَّ قَيْدَ الْجَنَمِ عَنْهُ قَدْ خَلَعَ وَبِحَنَمِ آخِرِ عَشَاءٍ وَضَغَ
تَارَةً كَانَ الْوَفَاً لِلْكُنَائِسِ وَهُوَ مَنْ فِي الدَّيْرِ أحياناً يُجَانِسُ^(٥)
دِينُهُ مَا كَانَ غَيْرَ الْمُتَجَرِّ عَتَسَرُ يَتَذَو كِمِثْلِ حَيْدَرٍ^(٦)
إِنَّهُ عَنْ كُلِّ هَذَا لَا يَجِيذُ طَالَمَا كَانَ لِدُنْيَانَا وَجُودُ^(٧)
وَقَدِيماً لِسَوَى هَذَا سَجَدَ وَطَنًا فِي عَصْرِنَا مَا قَدْ عَبَدَ
وَعَلَى الدِّينِ لَنَا يَتَذَو حَزِينَا وَهُوَ فِي الْبَاطِنِ مِثْلُ الْمُلْحِدِينَا
جَعْفَرُ الْأُمَّةِ هَذَا مَنْ قَتَلَ مُسْلِمًا وَالْقَتْلُ كَانَ مَا فَعَلَ

- (١) يقول : إن وجوده كان ألماً للبشرية كلها . ومما أحزن العصر الحديث أن يحار فيما طَهَّرَ وما لم يَطْهَرُ .
- (٢) يقول الصوفية (الفقر فخري) والفقر عندهم خيرٌ من مُلْكِ الملوك .
- (٣) الْجَبَرُ وَالصَّبْرُ هُنَا هُمَا الْقَدَرُ وَالْإِسْتِسْلَامُ لَهُ .
- (٤) أَوْدَى : هَلَكَ .
- (٥) الْأَلُوفُ : الْكَثِيرُ الْأَلْفَةُ . وَيُشِيرُ إِلَى وِلَايَةِ الْإِنْجِلِيزِ . وَجَانِسُهُ : كَانَ مِنْ جِنْسِهِ .
- (٦) الْمُتَجَرِّ : الْأَتَجَارُ .
- (٧) يَحِيدُ : يَعْدِلُ وَيُنْحَرِفُ .

باسم ، ما شاق يوماً خَلَهُ بِسْمِ الثُّعْبَانِ لَكِنْ مَا لَمْ^(١)
 الشَّقَاقُ بَشَهُ فِي قَوْمِهِ وَاللَّيْسَمُ شَعْبَهُ مِنْ لُؤْمِهِ
 الفساد في بلادٍ حينَ يَظْهَرُ صَادِقٌ أَضَلُّ لَهُ أَوْ كَانَ جَعْفَرُ
 جَعْفَرٌ مِنْ رُوحِهِ رَبِّي أَغْنَا
 مِنْ مَثِيلِ جَعْفَرِ رَبِّي أَجْرَنَا

صَبِيحَةُ رَاكِبٍ فِي زورقٍ بِخَرِ الدِّمَاءِ

حَائِرٌ بَيْنَ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ وَتَحَ نَفْسِي مِنْ وُجُودٍ كَمْ ظَلَمَ
 نَحْنُ مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ عَبَرْنَا وَإِلَى بَابِ الْجَحِيمِ قَدْ وَصَلْنَا^(٢)
 مَا زَمَتْ هَلْذِينَ حَتَّى بِالشَّرِّزِ مَا لَنَا كَفَتْ رَمَادٍ فِي الشَّعْرِ^(٣)
 ثُمَّ قَالَتْ إِنَّ ضِغْثًا أَفْضَلُ
 فَهُوَ أَنْقَى ، فِيهِ نَارِي تَشْعَلُ
 فِي السَّمَوَاتِ مَضِينَا مُضْعِدِينَا وَرَأَيْنَا بَغْتَةً تِلْكَ الْمُنُونَا^(٤)
 قَالَتِ الْأَزْوَاجُ : أَسْرَارٌ لَدَيْنَا حَفِظَ رُوحَ هَذَا جِسْمٍ فِي يَدَيْنَا
 إِنَّ رُوحَ الشَّرِّ شَيْءٌ يُحَقَّرُ امْضِ عَنِّي مَا بِمَوْتٍ تَظْفَرُ^(٥)

- (١) شاق : هيج الشوق . أي : أنه كان باسم الوجه إلا أنه لم يعجب خليلاً يصادقه وقد
 يسب الثعبان ولكن عن نابين يمجّان السّم .
 (٢) يقول : إنهم لكثرة ما كابدوا من العنقة في سفرتهم وشدة ما لقوا من تعب كأنهم في
 نهاية المطاف وقفوا بباب جهنم .
 (٣) أي لم تنثر حفنة من الرماد على رؤوسهم .
 (٤) أصعد : مضى في أرض أعلى من الأخرى . والمنون : الموت .
 (٥) يقول : إن قبض الروح أمر يسير وروح الشر شيء حقير ، ومع ذلك لا يريد قبض
 روحه .

راحة الأرواح لَيْتَتْ فِي الْجَمَامِ

لَا يُرِيحُ الْمَوْتُ رَوْحاً لِلْثَامِ

يَا رِيحُ ، يَا مُحِيطاً لِلْذَّمَاءِ أَنْتِ يَا غَبْرَاءُ ، يَا لَوْنَ السَّمَاءِ^(١)

يَا ذُكَاءُ ثُمَّ يَا بَذْرُ الظُّلَمِ وَالْكِتَابُ وَمَعَ اللُّوْحِ الْقَلَمِ

يَا إِلَهًا أَيْضاً يَا لَوَزْدِ غَرْبِ تَمْلُكَانِ عَالِماً مِنْ غَيْرِ حَزْبِ^(٢)

مَا لِدُنْيَانَا ابْتِدَاءً وَانْتِهَاءً

الْعَبْدُ حَانَ بِالمَوْلَى لِقَاءً^(٣)

ثُمَّ دَوَّى بَغْتَةً صَوْتٌ زَهِيْبٌ شَقَّتِ الصَّدْرَ الْبَحَارُ وَالشُّهوبُ^(٤)

تِلْكَ أَوْصَالُ الْجِسْمِ فَكُكَّتْ وَالصُّخُورُ وَهِيَ تَهْوِي فُتَّتْ

وَالْجِبَالُ كَالسَّحَابِ فِي الْمَرُورِ هَذِهِ الدُّنْيَا انْتَهَتْ مِنْ غَيْرِ صُورِ

وَالْبُرُوقُ أَضْلَاهَا نَارُ الْخَفَاءِ عَنْهَا تَطْلُبُ فِي بَحْرِ الذَّمَاءِ

جَاشَتْ الْأَمْوَاجُ وَهِيَ تَسْتَبِقُ فِي الذَّمَاءِ الطُّورُ كَالسَّهْلِ الْغَرِيقِ^(٥)

لِلنُّجُومِ مَا بَدَأَ أَوْ غَابَ عَنْهَا

لَمْ يُثِرْ أَدْنَى اهْتِمَامٍ كَانَ مِنْهَا

(١) الغبراء : الأرض . يا لون السماء : أي : أيتها السماء الزرقاء .

(٢) في الأصل أيتها الأصنام البيض ويا الوردات الغرب . فذكرنا المفرد مع إرادة الجمع . ويقول : إِنَّ هَؤُلَاءِ يَرِيدُونَ أَنْ يَمْلِكُوا الْعَالَمَ بِكُلِّ يَسَرٍّ وَهَيْئَةٍ .

(٣) المولى : السيد .

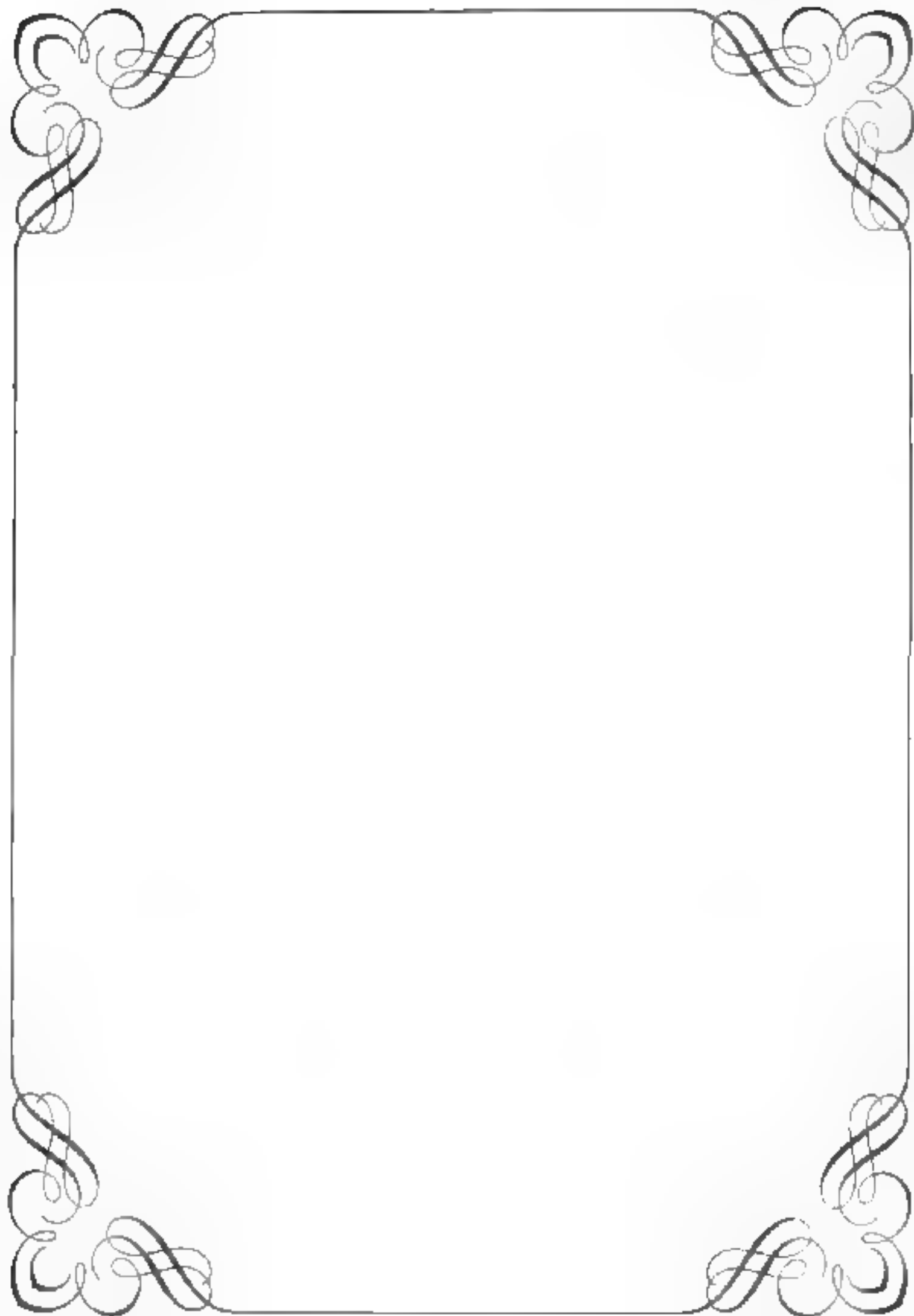
(٤) الشُّهوب : السهول .

(٥) جاشت : ارتفعت ، واضطربت . تستبق : تتسابق .

القسم السابع

مَا وَرَاءَ الْأَفْلَاقِ





منزلة الفيلسوف الألماني نيتشه^(١)

للفناء والبقياء مُعْتَرِكُ
للحياة يَحْمِلُ الموتُ الرُّسالة
الرياحَ أَشْبَهَتْ هذِي الحياة
كم دُنَى لي ناظرانِ شاهِدَا
كلُّ دُنْيَا كَانَ فِيهَا نَوْرُهَا
إِنَّ فِيهَا الوَقْتَ يَجْرِي كَالْبَحَارِ
عَامُّهَا شَهْرٌ وَحَتَّى بُرْهَةٌ
لَيْسَ يَدْرِي المرءُ سرّاً لِلْفَلَكِ^(٢)
وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعَى لِلْمَوْتِ حَالَهُ !
ما اسْتَقَرَّتْ ، كُلُّ ما تَبَغَى الثَّبَاتُ !
ثُمَّ حَذُّ الكَائِنَاتِ لِي بِدَا
قَطُّ مَا إِنَّ أَشْبَهَتْهَا غَيْرُهَا^(٣)
فهي تَجْرِي أَوْ لَهَا بَعْضُ الْقَرَارِ
قِلَّةٌ طَوْرًا وَطَوْرًا كَثْرَةٌ^(٤)
عَقَلْنَا فِي عَالَمٍ كَانَ الذِّكْيَا
فِي سِوَاهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْغِيَا
تَفَرُّهُ الْقَاصِي بِهِ مَنْ قَدْ ظَهَرَ
وَلَهُ الْعَيْنُ كَعَيْنٍ لِلْعُقَابِ
وَالْتَّبَارِيحُ تَزِيدُ فِي الْجَنَانِ
صَوْتُهُ الْمَحْزُونُ بِالْحَزَنِ انْفَطَرُ
كَاسَفَ الْوَجْهِ لِأَهْوَالِ الْمُصَابِ^(٥)
بَيْتُ شِعْرِ مَا طَوَاهُ عَنْ لِسَانِ^(٦)

(١) نيتشه : فيلسوف ألماني مستفيض الشهرة ، يُعدُّ بحقُّ من أهمِّ قادة الفكر الذين كان لتفكيرهم أثرٌ في العصر الحديث . وأكثر كتبه سيرورة كتاب بعنوان : « هكذا قال زرادشت » وإن كان أشدَّ ما كتب غموضاً . وقد تناول المسيحية بالنقد ، واختلط عقله قبل وفاته عام ١٩٠٠ م .

(٢) المعترك : موضع العراك والقتال . والمراد أن الفناء والبقاء في حربٍ إلى الأبد .
(٣) في الأصل أن كلَّ عالمٍ له قَمَرُهُ وثرثاءه ، وهو مختلفٌ عن غيره .
(٤) أي أن القلة في عالمٍ كثرةٌ في غيره . وهذا مطرَّد في كلِّ تلك العوالم .
(٥) كاسَفَ الْوَجْهِ : عَابَسَ من هول الشدائد .
(٦) تباريح الشوق : توهجه . والجنان : القلب . ولم يعلو بيت شعر عن لسانه : لا يكفـ

« أجبريل أم الله وحور الخلد ؟ تنشق !

تراب أنت في نار لروح وهي تشتاق »^(١)

قلتُ للروميِّ ذا المجنون مَنْ ؟ قال : في الألمان مشهور الركن^(٢)
كَانَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ مَوْضِعُهُ وقديم اللّحن منه نغمته
إنَّه الحلاجُ لكنَّ أينَ عودُه ؟ قال قولاً وسواه لا يعيده^(٣)
وجسريُّ القولِ برّاقُ الفكرِ قوله السيفُ الفرنجُ قد شطره
الجليسُ ليسَ يذري جذبته تحسبُ المجدوبَ جنَّ نظرتَه
من خمارِ العشقِ معدومو النّصيبِ نبضه قد أودعوا كفَّ الطّبيب^(٤)
عندَ أهلِ الطبِّ ختلٌ ما وجد ويلُ مجدوبٍ لافرنجٍ وُلد^(٥)
ابنُ سينا في كلامٍ قال أفيد أو يحبُّ من شكَا الأوجاعَ أرقد
كَانَ حَلاجاً بأرضي كالغريبِ

فرَّ من قتلِ الفقيهِ لا الطّبيب !

الطّريقُ في الفرنجِ مَنْ عَرَفَ ؟ فعلى قيشارة دوماً عَرَفَ^(٦)
الطّريقُ ليسَ فيه من دَلِيلٍ ضلَّ في سيرٍ وفي سيرٍ وِيل^(٧)
كَانَ مَالاً لَمْ يَجِدْ مَنْ عَدَهُ يُنجزُ الأعمالَ لَكِنْ وَخَدَهُ
عاشقٌ لَكِنْ طَوَّتهُ زَفَرَتُهُ سالكٌ قد تَهتَّهُ خُطَوَتُهُ^(٨)

عن ذكره وترديده .

- (١) ترجمنا هذا البيت ببخره في الأصل ، وهو الهزج الذي يستخدمه الفرسي ثنائياً .
- (٢) الركن : الفطنة والذكاء .
- (٣) العود هو الذي صلب عليه الحلاج . وقال قولاً لا يعيده سواء : أي لا يشبهه فيه .
- (٤) الخمار : الصداع من شدة الشكر .
- (٥) الختل : الخداع . وما وجد : بمعنى الذي وجد .
- (٦) دوماً : دائماً .
- (٧) السير الويل هنا هو السير الذي تخشى عاقبته .
- (٨) تهته : أضله ، وضيعه .

حَطَّمِ الكَاسَاتِ ذِيكَ الثَّمَلِ
وَرَأَى لَكِنْ بَعَيْنِ الظَّاهِرِ
وَانْطِلَاقاً شَاءَ مِنْ طِينِ الْبَدَنِ
وَمَقَامٌ لِلَّهِ مَا يَرِيدُ
إِنَّ تِلْكَ الذَّاتِ شَرَحَ لِلْحَيَاةِ
ظَلٌّ فِي «لَا» وَخَدَّهَا هَذَا الْعَجِيبُ
عَنْ تَجَلُّ مَا لَدَيْهِ مِنْ خَبَرِ
طُلْعَةُ الْإِنْسَانِ رَاقَتْ مِنْهُ عَيْنَا
أَوْ عَنِ النَّاسِ تَرَاهِ رَاغِبَا
لَيْتَهُ مِنْ عَاشِقٍ فِي حَضَرِ الْأَحْمَدِ
عَقْلُهُ لِلذَّاتِ قَالَهُ اسْتَمِرَّ

وَعَنِ اللَّهِ وَذَاتِ مُنْفَصِلِ
الرَّقِيقِ فِي الْعَنِيفِ الْقَاهِرِ
وَخُرُوجِ الْحَبِّ فِي قَلْبِ قَطَنِ
وَعَنِ الْعَقْلِ الْبَعِيدِ وَالْبَعِيدِ !
«لَا» وَ «إِلَّا» مِنْ مَقَامَاتِ لِذَاتِ
عَنْ مَقَامِ «عَبْدِهِ» وَهُوَ الْغَرِيبُ
كَشَمَارِ أَبْعَدُوهَا عَنْ شَجَرِ !
ثُمَّ صَاحَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ أَيْنَا
وَكَمْوَسِي لِلْقَاءِ طَالِبَا
لِيَعِيشَ فِي الْحُبُورِ وَهُوَ سَرْمَدٌ^(١)
أَنْتَ فِي خَيْرِ طَرِيقٍ ، فَلْتَسِرْ

وَتَقْدُمُ قَدْ دَنَا هَذَا الْمَقَامُ

طَالَ فِيهِ ، وَبِلَا حَرْفٍ ، كَلَامُ

الرَّحِيلُ إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ

انْطَلَقْتُ مِنْ حُدُودِ الْكَائِنَاتِ
لَيْسَ فِيهِ مِنْ يَمِينٍ أَوْ يَسَارِ
عِنْدَهُ قِنْدِيلٌ إِذْرَاكِي خَمَدُ

عَالِماً وَافَيْتُ يَخْلُو مِنْ جِهَاتِ
لَا وَلَا لَيْلٍ أَتَى بَعْدَ النَّهَارِ
هَيْبَةً مِنْهُ كَلَامِي قَدْ جَمَدُ

بِلِسَانِ الطَّيْنِ لِلرُّوحِ الْمَقَالِ ٩١

(١) أحمد : هو الشيخ أحمد السرهندي المتوفى عام ١٥٦٤م ، ذلك الصوفي الهندي الذي عاصر أكبر ، وجهانكير من أباطرة المغول في الهند . وقد عرف بمجتهده الألف الثاني ، وكان ضد غلاة المتصوفة .
والحبور : السرور . والسرمد : الدائم .

طيران الطير في السجن المحال^(١)

عالمًا للروح حصن بالنظر
ما الفؤاد؟ عالم لا لون له
ساكن والسير منه في ازدياد
حار هذا العقل في تلك الحقيقة
والخيال غيره عنه اختلف
من يقول إن هذا في السما
أسرور من رأى يوماً حبيباً
أيقظ العينين أو أخذ بالكري
فضلي الدنيا على دنيا القواد

بالمقياس حرث في شرح المراد

هذه دنياك فيها غيرها
وتدوم ، وبها دام التغير
ولها دوماً جديداً من كمال
لا ترى فيها الشوم والبذور
كل ما في الغيب يبدو في سفور
بلساني هل أصيب وصفها
الجبال أثبت حمر الزهور
« كن فكان » غير تلك نجرها^(٢)
لا يراها الوهم ، إن العين تنظر
كل يوم كان لون من جمال^(٣)
تسعة الأفلاك فيها ما يدور
قبل أن يخفق قلب بالشعور
يا لها نور الحياة يا لها^(٤)
في الرياض النهر يجري بالخير

(١) المقال : القول . والمراد بالسجن هنا : قفص الطير .

(٢) الجوزاء : برج في السماء . وأسف الطائر : دنا من الأرض في طيرانه .

(٣) نشق ريحاً طيبة : شمها . والمعنى أن سرور من يشاهد الحبيب ليس كسرور من يشم
الزبيب التي تأتي من محله .

(٤) النجر : الأصل .

(٥) لون : نوع . وكان هنا تامة .

(٦) في الأصل : إن هذه الدنيا هي النور والحضور والحياة .

الْبَرَاغِيمُ زَهَتْ أَلْوَانُهَا نَفْخَةُ الْأَبْرَارِ مِنْهَا كَوْنُهَا^(١)
 اللَّجَيْنُ الْمَاءُ وَالْأَنْسَامُ عَبْرُ وَالْقِيَابُ لِلْقُصُورِ ، تِلْكَ جَوْهَرُ^(٢)
 الْخِيَامُ مِنْ يَوَاقِيتٍ وَيَثِيرِ وَجِبِينَ الْغَيْدِ بِالْمِرَاةِ يُزْرِي
 قَالَ لِي « الرُّومِي » أَسِيرٌ لِلْقِيَاسِ ؟ عَنْكَ دَغْ كُلِّ اعْتِبَارٍ لِلْحَوَاسِ
 بِالتَّجَلِّيِ الْخَيْرُ كَانَ وَالشُّرُورُ جَنَّةٌ كَانَتْ كَمَا كَانَ السَّيْرِ
 الْقُصُورُ كَالرَّبِيعِ فِي النَّظَرِ أَصْلُهَا الْأَعْمَالُ لَا ذَاكَ الْحَجَرُ !
 مَا تُسَيِّهِ بِحُورٍ أَوْ بِكَوْثَرِ لِسُرُورٍ وَلِجَذْبٍ كَانَ مَظْهَرُ
 الْحَيَاةِ ، هَاهُنَا هَذَا النَّظَرُ
 وَيَسَوَاءُ وَيَسَوَى قَوْلٍ قَذَرُ



قَصْرُ شَرَفِ النِّسَاءِ^(٣)

عُشُّ يَاقُوتٍ أَرَاهُ فِي عُلاهِ وَمِنْ الشَّمْسِ الْخِرَاجُ قَدْ جَبَاهُ
 ذَاكَ قَصْرٌ ذُو قِيَابٍ عَالِيَاتِ ضَمَّ حُوراً فِي ثِيَابِ الْمُخْرِمَاتِ
 رَغْبَةُ الْعِلْمِ وَهَبَتْ مَالِكَا مِنْ لِهَذَا الْقَصْرِ كَانَ مَالِكَا^(٤)

- (١) البراعيم : جمع برعوم : وهو الزهرة قبل تفتحها . يقول : إن الأبرار نفخوا نفخة أوجدتها .
 (٢) اللجين : الفضة . والأنسام جمع النسم ، وهي الريح اللينة .
 (٣) شرف النساء : حفيذة أحد حكام البنجاب على عهد الإمبراطور المغولي بهادرخان . ويقال : إنها أقامت في قصرها منصةً لتتلو القرآن عليها كل صباح وإلى جانبها سيف . وكان المصحف والسيف على تلك المنصة دائماً . وأوصت بدفنها بعد موتها مع السيف والمصحف في ذلك الموضع .
 (٤) السالك : المريد في أول عهده بالتصوف .

قال « هذي ، عَشَّهَا الْبَادِي هُنَالِكَ
 جَوْهَرٌ ، مَا إِنْ حَوَاهُ بَحْرُنَا
 أَرْضُ لَاهُورَ بِهَا أَضْحَتْ سَمَاءُ
 وَلَمَّا بِالدُّوقِ وَالشُّوقِ الشُّعُورُ
 وَهِيَ نُورُ الْأَهْلِ فِي عَبْدِ الصَّمَدِ
 تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، نَفْسًا طَهَّرَتْ
 تَحْمِلُ الْمُصْحَفَ وَالسَّيْفَ الْحَسَامَا
 خَلْوَةٌ سَيْفٌ وَقُرْآنُ الصَّلَاةِ
 آخِرُ الْأَنْفَاسِ وَهِيَ تُخْتَضِرُ
 ثُمَّ قَالَتْ إِنْ عَرَفْتِ الْآنَ يَرِي
 قَوَاتِنَ بَهْمَا أَيْدِ الثَّبَاتِ
 فِي حَيَاتِي ، وَجَمِيعاً نُقْبَرُ
 قَبْلَ مَوْتِي ذَاكَ مِنْكَ مَطْلَبِي
 كُلُّ هَذَا مِنْ كَلَامِي فَلْتَعِي
 وَتَغْنَى طَيْرُهُ بَيْنَ الْمَلَائِكِ^(١)
 وَفَتَاةٌ لَمْ تَلِذْهَا أَثْنَا
 سَرُّهَا يَخْفَى عَلَى الدُّنْيَا خَفَاءُ
 وَلَعَيْنِ حَاكِمِ الْبَنْجَابِ نُورُ
 فَقَرُّهَا ذَكَرِي سَتَبْقَى لِلْأَبَدِ
 بِرَهْمَةٍ فِي تَرْكِهِ مَا فَكَّرَتْ
 إِنَّهَا السَّكْرَى وَمَا ذَاقَتْ مُدَامَا^(٢)
 حَبَّذَا عُمُرُ تَقْضَى فِي الثُّقَاةِ^(٣)
 أَمَّهَا خَصَّتْ بِمُلْتَمَاعِ النَّظَرِ
 شَاهِدِي مَا فِي يَدَيَّ أَوْ مَا بِخَضِرِي^(٤)
 مِخُوراً كَانَا لِذَوْمِ الْكَائِنَاتِ^(٥)
 لَيْسَ لِي يَا أُمُّ شَيْءٌ آخِرُ
 مُصْحَفِي وَالسَّيْفُ مِنِّي قَرْبِي
 لَا تَزِينِي فِي الثُّرَابِ مُضْجَعِي^(٦)
 الْكِتَابُ وَالْحُسَامُ حَسْبُنَا
 بِهِمَا يَزْدَانُ حَقّاً قَبْرُنَا
 وَقُرُوناً تَخْتِ تَنْبِرُ لِلْقَبَابِ
 فَذْ تَحْلِي بِالْحُسَامِ وَالْكِتَابِ^(٧)

- (١) أَي تَغْنَى الطَّيْرُ الَّذِي حَطَّ عَلَى سَطْحِ هَذَا الْقَصْرِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ .
 (٢) السَّيْفُ الْحَسَامُ : الْقَاطِعُ .
 (٣) الثُّقَاةُ : التَّقْوَى .
 (٤) الْمَصْحَفُ فِي يَدَيَّ ، وَالسَّيْفُ مَعْلَقٌ بِخَصْرِي .
 (٥) الْأَيْدِ : الْقُوَّةُ .
 (٦) وَعَى الْكَلَامُ : حَفَظَهُ وَتَدَبَّرَهُ . وَهِيَ تَرْغِبُ إِلَى أُمِّهَا أَلَّا تَقِيمَ لَهَا قَبْراً يَزْدَانُ بِالْقَبَابِ
 وَالْقَنَادِيلِ .
 (٧) التَّبَرُّ : الذُّهْبُ .

ولنا المَرْقَدُ في دُنْيَا الشَّتَاتِ عَلَّمَ الْمُؤْمِنَ مَعْنَى لِحْيَاة^(١)
نَفْسَهُ الْمُسْلِمَ حَقًّا قَدْ ظَلَمَ فَالْبَسَاطُ مَا طَوَى دَهْرٌ وَضَمَ
وَهُوَ فِي غَيْرِ الْإِلَهِ فَكَّسِرَا أَضْبَحَ الثُّغْلَبُ ، كَانَ الْقَسُورَا^(٢)
ولهيْبُ الْقَلْبِ فِيهِ مَا أَنْدَلَعَ أَنْتَ فِي الْبَنْجَابِ تَدْرِي مَا وَقَعَ ؟
مِنْهُ سَيْفٌ وَكِتَابٌ مَا حُجِّلَ
ولذا الْإِسْلَامُ فِيهِ قَدْ قِيلَ^(٣)

زيارة الأمير الكبير سيّد علي همداني ومُلاًّ طاهر غني كشميري^(٤)

حَرَّقَ الْأَضْلَاعَ لِلرُّومِيِّ قَوْلُ آه يَا بَنْجَابُ ! يَا أَرْضاً تُجَلُّ
مِثْلَ خِلَانِي اضْطَرَبْتُ فِي الْجَنَانِ وَمِنْ الْهَمِّ ذَكَرْتُ مَا عَرَانِي^(٥)
وَإِذَا صَوْتُ لَالَامٍ وَخُزْنٍ مِنْ ضِيفِ الْكُوْثَرِ الصَّافِي بِأَذْنِي
« وَأَرَدْتُ حَرَّقَ نَفْسِي وَلِذَا جَمَعْتُ قَسَا

(١) الشَّتَات : التفرق .

(٢) الْقَسُورُ : الأسد .

(٣) يقول : إِنَّ طَائِفَةَ الشَّيْخِ هِيَ الَّتِي أَبْعَدَتْ الْقُرْآنَ وَالسَّيْفَ عَنِ الْبَنْجَابِ . وَفِي عَقِيدَةِ الشَّيْخِ : أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ جَدِيدٍ بِالْإِجْلَالِ وَالتَّقْدِيرِ يَقْطَعُ النَّظَرَ عَنْ دِينِهِ وَمَذْهَبِهِ ، وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَحَارَبَ الشَّيْخُ الْمُسْلِمِينَ .

(٤) الْأَمِيرُ سَيِّدُ عَلِيِّ هَمْدَانِي صُوفِيٌّ مَرْمُوقُ الْمَنْزِلَةِ عَالِي الْقَدْرِ . كَانَ صَاحِبَ مَشُورَةِ أَمِيرِ كَشْمِيرٍ ، وَلَدَ فِي هَمْدَانَ ، وَعَاشَ طَوِيلًا ، وَأَفَادَ النَّاسَ بِعِلْمِهِ فِي كَشْمِيرٍ ، وَتُوفِيَ عَامَ ١٣٨٥ م . وَمُلاًّ طَاهِرُ غَنِي كَشْمِيرِي ، شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ كَشْمِيرٍ ، كَانَتْ وَفَاتُهُ عَامَ ١٦٦٩ م . كَانَ وَاسِعَ الْخَيَالِ مِيَالًا فِي شِعْرِهِ إِلَى التَّمَثِيلِ وَالتَّخْيِيلِ « وَعَلَى فَرْهِ وَرَقَةِ حَالِهِ عُرِفَ بِغَنَى النَّفْسِ ، فَكَانَ اسْمًا عَلَى مَسْمَى .

(٥) عَرَاهُ : أَصَابَهُ .

ويظنُّ الوردُ أنني في الرياض رُمْتُ عَشًا^(١)

يا بُنَيَّ ما مَضَى لا تُذَكِّرُنِي
الفَقِيرُ ، وَغِنَاهُ مِنْهُ ظَاهِرُ
عِنْدَ هَذَا السَّيِّدِ الْعَالِي الْمَقَامِ
كُفُّهُ بِمَغَمَّارِ تَقْدِيرِ الْعَجَمِ^(٢)
اسْتَمَدَّ إِلَهُ فِكْرًا وَحَقًّا
مُرْشِدٌ لِلْكُلِّ بَلْ نِعَمَ الْمُشِيرِ
فَضْلُهُ عِلْمٌ وَتَهْذِيبٌ وَدِينُ^(٣)
بِصِفَاتِ الْخَيْرِ وَالْحُسْنِ الْكَثِيرِ

عَقْسَدَةٌ بِالْعَيْنِ حَلٌّ كَالْحَكِيمِ
قُمْ تَلَقَّ مَا لَدَيْهِ فِي الصَّمِيمِ^(٤)

في حضرة أميرِ همدان

زنده رود

يَطْلُبُ الطَّاعَةَ وَالشَّيْطَانَ يَخْلُقُ !
وَابْتَغِي مِمَّا عَمِلْتَ اخْسَنَهُ^(٥)
ما ابتهاجي صاحبي بِشَسِّ الْمُقَامِرِ

أَفْهَمَنِي سِرُّ رَبِّي ، أَنْتَ تَصُدِّقُ
كُلُّ شَرٍّ فِي الْوُجُودِ زَيْنُهُ
ذَاكَ سِخَرُ مِنْهُ لِي شَكُّ يَخَامِرُ

(١) هذا البيت لطاهر غني كشميري . وقد ترجمناه طبق وزنه في الأصل .

(٢) كان طاهر غني ينظم بالفارسية ، ويقول : إقبال عنه : إِنَّهُ قَرَّرَ مَصِيرَ الْفَرَسِ .

(٣) مَعَنَّ الْعَاءُ فَهُوَ مَوْجِئٌ : أي جرى .

(٤) ما لديه : أي ما لديه من فضل وصفات حميدة .

(٥) أي : أَرَادَ مِنِّي أَلَّا أَعْمَلَ إِلَّا خَيْرًا .

مِنْ تَرَابٍ حُفْنَةٍ ، وَهُوَ الْقَلْبُ
مَا عَمِلْنَا ، مَا ذَكَّرْنَا ، وَالْأَلَمُ
كُلُّ مَنْ يَدْرِي عَنْ الذَّاتِ الْخَبِيرِ
حُبُّ إِنْسَانٍ لَشَيْطَانٍ وَيَا
وَعَلَى الشَّيْطَانِ أَنْتَ فَاحْمِلْنِ
فَلْتَجَاهِرْ وَلْتَجَالِدْ ، كُنْ وَحِيًّا

أَطْرِيقُ لَيْتَ شِعْرِي مَا سَلَكُ
كَانَ عَضًّا لِلْبَنَانِ مِنْ نَدَمٍ
يَخْلُقُ النَّفْعَ لَدِيهِ مِنْ ضَرَرٍ
هَزَمَهُ الشَّيْطَانُ فِي حَرْبٍ جَمَالٍ
كُنْ حُسَامًا وَلْيَكُنْ نَعَمَ الْمَسْنُ
لَا تَكُنْ فِي الْعَالَمِينَ ذَا الشَّقِيَّ

زنده رود

كُلُّ إِنْسَانٍ أَخَاهُ يَأْكُلُ
تَتَلَقَّى الرُّوحُ مِنْ هَذَا الْبَلَدِ
شَعْبُهُ بِالسَّعْفِ وَالْحُسْنِ اشْتَهَرَ
دُخِرَتْ كَأْسٌ وَلَكِنْ فِي دِمَاهِ
مُنْذُ أَنْ ضَيَّعَ مِنْ ذَاتِ نَصِييَا
ظَلَّ فِي أَيْدِي سِوَاهُ أَجْبَرُهُ
وَمَضَتْ فِي سَيْرِهَا كُلُّ الْقَوَافِلِ
مَاتَتْ الْجَذْبَةُ فِيهِ وَهُوَ عَبْدٌ
لَا تَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ الْمَهِينَا

لَيَعِشَ الشَّعْبُ شَغْبًا يَقْتُلُ^(١)
وَيَشْرِي الْقَلْبُ أَضْنَاهُ الْكَمْدُ^(٢)
وَهُوَ فِي الْأَفَاقِ مَعْرُوفُ الْخَبَرِ
نَاخَ نَابِي لَلْأَلِيمِ مِنْ أَمَاهِ
كَانَ فِي أَوْطَانِهِ هَذَا الْغَرِيبِ
وَشِبَاكَ الْغَيْرِ أَرْضِي نَهْرُهُ
أَفْسَدَ الْأَعْمَالَ شَأْنُ كُلِّ غَافِلٍ
وَلِنَارٍ فِي الْعُرُوقِ كَانَ خَمْدُ^(٣)
فِي التُّرَابِ دَائِمًا أَدْلَى الْجَبِينَا^(٤)

إِنَّهُ فِيمَا مَضَى خَاضَ الْخُرُوبَا

وَتَحَدَّى وَهُوَ ذُو الْبَاسِ الْخُطُوبَا

قَمَّةً لِلتَّلَجِ فَاغْمُزْ بِالنَّظَرِ وَكَفُوفُ النَّارِ تَبْدُو فِي الشَّجَرِ

(١) فِي الْأَصْلِ أَنَّ الشَّعْبَ يَرْعَى شَعْبًا غَيْرَهُ كَمَا تَرْعَى الْمَاشِيَةُ الْعُشْبَ فِي الْمَرْعَى لَتَعِشَ .

(٢) يَتَلَقَّى : يَشْتَمَلُ . الْكَمْدُ : أَشَدُّ الْحُزْنِ .

(٣) الْخَمْدُ : الْخَمُودُ .

(٤) الْمَهِينُ : الْحَقِيرُ .

اليواقيت حصاة في الربيع والثراب ماج باللون البديع
 والتحاب حول أجبالي يدور مثل قطن عند نذاف يطير^(١)
 ذاك قرص الشمس في بحر غرب قد رأيت الله عني ما احتجب^(٢)
 في « نشاط » سرت في ركب النسيم وتلوت شغراً « مولانا » العظيم^(٣)
 قال طير كان في أعلى الغصون ما الربيع غير ذا الشيء المهيمن
 نرجس يسزكو وزهر أحمز بالنسيم شق ثوب أخضر^(٤)
 من قديم في الجبال قد ظهر نرجس في طهره فاق القمر
 كم رأينا من ورود أئنت كسحاب أرضنا ما أثنت^(٥)

بالشكاة ناح غريد السحر فأوار الوجد في روعي استعر
 ورأت عيناى مجنون الطرب كل ما جمعت من صبري سلب

امض عنا ، دعك من نوح ثمل
 عن طلسم اللون في الأزهار مل
 قلت إنَّ الطلل في أوراق وزد
 من بكى في الشط غر أو خبل^(٦)

- (١) الأجبال : الجبال . والنذاف : ضارب القطن بالمندف ليرق .
- (٢) يقول : إنه شاهد قدرة الله في روعة الطبيعة .
- (٣) نشاط : اسم حديقة في كشمير . ونشاط في الفارسية بمعنى سرور . يقول : إنه أنشد شعراً مشهوراً لمولانا جلال الدين الرومي نظمته على لسان الناي ومنه بيت يقول فيه إنَّ ما يتردد في الناي ليس هواء بل نارُ العشق الإلهي .
- (٤) زكا الزهر : نما . ويريد بذلك الثوب الأخضر الذي يشقه النسيم أكمام الزهر .
- (٥) أئنت الثمرة : بلغت نضجها . وقد استعير ذلك للزهرة ، وشهاب الدين المتوفى عام ١٣٧٤ هـ من سلاطين كشمير ، وقد بلغت بلاده في عصره ذروة التقدم في تاريخها .
- (٦) الغر : من لا تجربة له . والخبل : المجنون .

أَيْنَ ضِغْثِ الرِّيشِ مِنْ تِلْكَ الْأَغَانِي
 عَيْنِ رُوحٍ لَغْنِيٍّ تَنْهَمِلُ^(١)
 إِنَّ مَرَزَتِ بِجَنَيفٍ يَا صَبَا
 بَلْغِي الْعُضْبَةَ عَنِّي مَا نُقِلُ^(٢)
 يَشِعْ فَلَاحٌ وَتِلْكَ الْأَرْضُ يِعْمَتُ
 وَأَنَاسٌ ، وَلَهُمْ سِغَرٌ مُذِلُ^(٣)



أمير همدان

<p>الْتَرَابُ جِسْمُنَا وَالرُّوحُ جَوْهَرُ مِنْ تَرَابٍ إِنَّهُ لَا شَكَّ أَطْهَرُ ذَلِكَ الْجِزْءُ بِلَا رَيْبٍ أَضْعَا عَادَتِ الرُّوحُ إِلَيْكَ وَهِيَ خَيْرَى فَهِيَ فِي قَيْدٍ وَمِنْ قَيْدٍ تَطِيرُ ! إِنَّ بَذَلَتِ الرُّوحُ نَوْرًا أَشْرَقَتْ مَا هِيَ الرُّوحُ وَمَا عَنْهَا التَّخَلِّي وَبِهَا الطُّورُ الْعَظِيمُ كَيْفَ يُضْهَرُ فِي اللَّيَالِي الشُّودِ لَاحَتْ مِثْلَ كَوْكَبٍ وَالْوُجُودُ ، كَانَ لِلذَّاتِ الْعَطَاءُ^(٤) سِجْنُهُ أَخْلَاهُ مِمَّا قَدْ حَوَاهُ</p>	<p>اسْمَعَنَّ الْقَوْلَ لَا يُنْسَى وَيُذَكَّرُ وَلَاجِلِ الرُّوحِ جِسْمٍ يُضْهَرُ يَا بَنِي ، مِنْهُ إِنْ جِزْءًا قَطَعْنَا إِنَّ بَذَلَتِ الرُّوحُ لَكِنْ وَهِيَ سَكْرَى قُلْ أَجْنَبِي أَيْنَ لِلرُّوحِ التَّظِيرُ إِنَّ حَفِظْتَ الرُّوحَ مَيْتًا أَضْبَحْتَ مَا هِيَ الرُّوحُ وَفِي سُكْرِ التَّجَلِّي وَلِرَبِّي قُلْ أَجْنَبِي كَيْفَ تُنْشَرُ بَتَجَلِّي الشُّكْرِ أَنْتَ الذَّاتُ تَطْلُبُ إِنَّ فَقَدْتَ الذَّاتَ حَقَّقْتَ الْفَنَاءَ مَنْ رَأَى الذَّاتَ ، وَشَيْئًا مَا رَأَى</p>
---	--

(١) انهملت العين : سال دمعها . وفي الأصل أن روح غني في حداد على أملها .

(٢) العصبية : هي عصبية الأمم وكان مقرها مدينة جنيف بسويسرا .

(٣) أردنا بالسَّغَرِ المذل : السَّغَرِ الرخيص للغاية .

(٤) الوجود هنا هو وجود الذات .

ذَاكَ نَشْوَانُ التَّجَلِّي ، وَهِيَ مَطْلَبٌ لَسَعَةً مِنْ شَهْدِهِ أَخْلَى وَأَطْيَبُ !
وَتَرَى الرُّوْحَ رِيحاً نَظَرَتْهُ مَسْجُتُهُ سِجْنٌ تَهُولُ رَجْفَتُهُ^(١)
يَرْفَعُ الْفَاسَ لِتُخَطِّمَ الصِّفَاةَ لِنَصِيبٍ قَدْ يَنَالُ مِنْ حَيَاةِ^(٢)
تَرَكَ الرُّوْحَ لِتَعْدُو خَلْفَهُ
وَيَغَيِّرَ التَّرَكُّ كَانَتْ ضَيْفَهُ

زنده رود

أَنْتَ خَيْرًا ثُمَّ لِي شَرًّا شَرَحْنَا يَا حَكِيمُ غَيْرَ هَذَا لَوْ ذَكَرْنَا^(٣)
وَالِي لُبِّ الْمَعَانِي قَدْ هَدَيْتَ كُلُّ أَسْرَارِ الْمُلُوكِ كَمْ وَعَيْتَ
فَقَرَاءٌ ، حَاكِمٌ يَبْغِي الْخَرَاجَا قُلْ لِمَاذَا مَجَّدُوا عَرْشًا وَتَاجَا^(٤)

أمير همدان

أَصْلُ هَذَا الْمُلْكِ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ ؟ كَانَ إِزْضَاءً لِشُعْبٍ أَوْ لِخَرْبٍ
وَأَقُولُ لَكَ يَا عَالِي الْمَقَامِ لِسَوِي اثْنَيْنِ الْخَرَاجُ كَالْحَرَامِ^(٥)
لأُولِي الْأَمْرِ وَ مِنْكُمْ ، شَأْنُهُمْ فِي الْكِتَابِ قَوْلُهُ بِرَهَانُهُمْ^(٦)

(١) يشبه الروح بالريح على أنَّ الريح لا ثمن لها .

(٢) الصِّفَاةُ : الحجر الضَّخْمُ الْعَلْدُ .

(٣) لو هَذَا لِلتَّمَنِي .

(٤) أي : نحن فقراء .

(٥) أي : أن أداء الخراج حرامٌ إلا إلى اثنين .

(٦) قال تعالى في سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَقِمْ أَصْلَابَكُمْ ﴾

[النساء : ٥٩] ، فالأمر بطاعة أولي الأمر إذا أمروا بطاعة الله ورسوله .

أَوْ نَجِيدٍ مِثْلَ رِيحٍ عَاتِيَةٍ
بِالْقِتَالِ يَفْتَحُ الْبُلْدَانَ فَتَحًا
فَارِسٌ وَالْهِنْدُ مِمَّا يُشْتَرَى
جَامُ جَمَشِيدِ الْعَجِيبِ وَالتَّنْفِيسِ
الرُّجَاجُ لَكَ مَا لَئِنْ شَرَيْتَهُ

جَادَ فِي الْحَرْبِ بِنَفْسٍ غَالِيَةٍ^(١)
وَهِيَ تَمَسُّ مُلْكَهُ إِنْ شَاءَ صَلَاحًا
لَا يُنَالُ الْمُلْكُ مِنْ هَذَا الْوَرَى^(٢)
أَيَّاعٌ مِثْلَمَا بَاعَتْ كُورُسُ^(٣)
أَيُّ نَفْعٍ لِلرُّجَاجِ إِنْ كَسَرْتَهُ

غني

مَنْ أَفَادَ الْهِنْدَ تَخْطِمْ الْقِيُودَ
عَقْلَاءُ يُنْسُبُونَ لِلْبَرَاهِمِ
مَنْ أُولَى الْعِزْفَانِ أَصْحَابُ النَّظَرِ
أَرْضُنَا كِشْمِيرُ مِنْهَا أَضْلُهُمْ
إِنْ حَسِبْتَ الْأَرْضَ تَخْلُو مِنْ شَرِّ
أَصْلُ تِلْكَ النَّارِ أَيْنَ ؟ لَيْتَ شِعْرِي
أَيَكُونُ الصَّيْدُ يَوْمًا كَالصَّيُودِ^(٤)
عِنْدَهُمْ قَدْ أُخْجِلَتْ حُمْرُ الْبَرَاغِمِ^(٥)
أَيُّ غَرِيبٍ رَأَاهُمْ لَمْ يَخْرُ
وَبَهَا لَا يَسْوَاقًا نَجْمُهُمْ
قَلْبِكَ افْتَحْ وَأَطِلْ فِيهِ النَّظَرُ^(٦)
وَنَسِيمٌ لِلرَّيِّعِ وَهُوَ يَسْرِي^(٧)
فِي الْجِبَالِ عِنْدَنَا خَفَقَ لَرِيحٍ

(١) النجيد : الشجاع .

(٢) الورى : الناس .

(٣) يقال : إن ملك الفرس الأسطوري جمشيد كانت له كأس رسمت في قاعها الأقاليم السبعة . وهذه الكأس في شعر الفرس الصوفي رمز لقلب المتصوف .

(٤) الصَّيْدُ : الفريسة التي تصاد . والصيود : الكثير الصيد .

(٥) البراهمة : البراهمة .

(٦) الشرر : ما يتطاير من النار .

(٧) سرى : سار عامة الليل .

وبها تختال في لون وريح^(١)

هل عِلِمْتَ أَنَّ يوماً في وُلُر
طال في البحر بنا عُنْفُ الصُّراع
وابتنا أي ذلك النَّهْرُ القديم
يَضْرِبُ الْأَخْجَارَ في عرض الطريق
مَنْ قَتَى في كُلِّ أرضٍ قَدْ غَلَبَ
إِنَّهُ بِالْعُنْفِ أَبَدَى الْمَحْشَرَا
ما الصَّوَابُ عِشْنَا في حَدٍّ سَاحِلٍ
إِنَّ إلفَ الشُّطِّ مَوْتُ لِلأَبَدِ
موجةً قالت لموجاتٍ أُخَرُ^(٢)
لو حوَّنا البرُّ يوماً في اجتماع^(٣) !
منه في الوادي وفي الشَّفْحِ الهَزِيمِ^(٤)
كي يُزِيلَ شَافَةَ الطُّودِ العَتِيقِ^(٥)
أرضعته أَلْفٌ أمُّ ثُمَّ شَبَّ
لَمْ يَجِدْ عِنْدَ سَوَانَا الْمَصْدَرَا
في الطَّرِيقِ حَطًّا ما صَخْرًا يُمَاقِلُ^(٦)
يا مُدِيمَ التَّبَحِّ في لُجِّ الرِّبْدِ^(٧)

الحياة السَّيْرُ في غَوْرٍ وَنَجْدٍ
يُسْعِدُ المَوْجَةَ جَزْرٌ بَعْدَ مَدٍّ

أَنْتَ في وَجْهِ الحَيَاةِ مَنْ قَرَأْتَ
الرَّفِيرَ لَكَ هَذَا الْقَلْبُ أَخْرَقَ
النُّوَاخُ لِلطُّيُورِ مِنْ رَجِيْعِكَ
وَفَتَحْتَ الرَّهْرَ مِنْ طَبْعِ هُنَاكَ
إِنَّ مِنْكَ الصَّوْتُ أَجْرَاسُ القَوَافِلِ
ذلك الشَّرْقُ الحَيَاةِ مَنْ وَهَبَتْ
ضَقَّتْ صَدْرًا وَلَدَيْنَا الصَّدْرُ أَضْيَوْ
وَالْوَضُوءُ لِلنَّبَاتِ مِنْ دُمُوعِكَ^(٨)
وَالْمَنَى في الرُّوحِ كَانَتْ مِنْ مُنَاكَ
وَلِكَشْمِيرِ أَرَاكَ غَيْرَ آمِلٍ

(١) الريح : الرائحة .

(٢) ولُر : اسم بحيرة في كشمير .

(٣) لو هنا للتمني .

(٤) الهزيم : صوت الرعد .

(٥) شافة الطود : أصل الجبل .

(٦) أي : أن عشنا على الساحل ليس صواباً لأن صخر الساحل عقبة في طريقنا . ويمائل : يشبه .

(٧) اللج : معظم الماء .

(٨) الرّجيع : كلُّ متردّد . والمراد هنا الكلام والشعر . الوضوء : ماء الوضوء .

فِي الصُّدُورِ لَمْ يُبَيِّتْ بِأَمْسٍ فُرَادَا
 قِفْ تَمَهَّلْ لِتَرَى مِنْ غَيْرِ صُورِ
 وَتَأْوَةٌ يَا فَتَى لَا تَبْتِئَنَّ
 كَمْ بِسِلَاحٍ تَحْتَ أَفْلَاكِ السَّمَاءِ
 إِنَّ هَذَا الْمُلْكَ أَوْهَى مِنْ حَبَابِ
 إِنَّمَا الشَّعْرُ الْمَصِيرُ قَدَّارَا
 أَنْتَ إِنْ جَرَّخْتَ هَاتِيكَ الْقُلُوبَا
 الْغِنَاءُ لَكَ مِنْ شِعْرِ تَلَوْتَهُ
 مَا وَرَاءَ الشَّعْرِ شَعْرٌ أَنْتَ قُلْتَهُ
 جَدِّدِ التَّخْرِيكَ وَالتَّأْيِيرَ جَدِّدْ
 رَدِّدِ الْأَلْحَانَ فِي الْجَنَاحَاتِ رَدِّدْ



زنده رود

اغْرِقَنَّ ، نَشْوَةَ الدَّرُوشِ هَذِي فَاثْلَفَنَّ
 إِنْ نَضِجْتَ مَلِكَ جَمَشِيدِ الْعَرِيضِ فَاثْلَكَنَّ^(٥)
 ثُمَّ قَالُوا هَذِهِ الدُّنْيَا لَنَا هَلْ تَرْضِيهَا ؟
 قُلْتُ لَا ، لَا أَرْضِيهَا ، قِيلَ هَيَّا هَدْمَنَّ
 لَيْسَ فِي الْحَانَاتِ كَفَاءٌ بِالرِّضَا مِنَّا جَدِيدُ

- (١) ابتأس : حزن .
 (٢) الأشقياء : ضد السعداء .
 (٣) الحباب : النفاخات التي تملأ الماء والشراب ، وهو يزول حتماً إذا نفخ فيه .
 (٤) الضريب : النظير .
 (٥) جمشيد : ملك من ملوك الفرس الأقدمين .

رُسِّمَ الأبطالِ حاربٌ ، ومَعَ الساقِي امرَحَنُ^(١)
 أَنْتَ يا زَهْرُ الصُّحارى ، قُلْ أَحَقَّقْتَ احتراقاً^(٢)
 في قلوبِ للأناسي ، هذه النَّارُ اضْرِمْنَ
 كُنْتَ في قلبٍ لهيباً ، ولهيباً في دِمَاءِ
 وإذا لم تَقْتَنِغْ بالقَوْلِ ذا الكونِ اشْطُرْنَ
 أَلَكِ العَقْلُ سِرَاجٌ ؟ في الطريقِ سِرُّ تَقَدَّمَ
 وَلَكِ العِشْقُ مُدَامٌ ، فَمَعَ الحُبُّ اشْرَبْنَ^(٣)
 فَلَذَّةُ القَلْبِ بدمعٍ مِنْ عيونِي في انسكابِ
 مِنْ يواقيتِ بَدْخْشانِ القُصُوصِ فاصْنَعْنَ^(٤)



حديثٌ مع الشَّاعرِ الهنديِّ بَرْتَرِي هري^(٥)

تَنكُنُ الحورُ القصورَ والخياما	بشكاتي يُضْبِحُ القَلْبُ الضُّراماً ^(٦)
هذه مِنْ خيمةٍ أَبَدَتْ جِئِناً	أَخْتُها مِنْ غُرْفَةٍ أَذَلَّتْ عُيُوناً ^(٧)
كُلُّ قَلْبٍ في الجَنانِ قَدْ وَجَدْتُهُ	بالأَسَى مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا غَمَزْتُهُ

(١) رُسِّمَ : بطل من أبطال إيران في عصر الأساطير .

(٢) يَريدُ الزَّهْرُ الأحمر الذي يشبه النار .

(٣) الحُبُّ : الحبيب .

(٤) بَدْخْشان : مدينة تشتهر بالياقوت .

(٥) بَرْتَرِي هري : شاعر هندي عاش في منتصف القرن السابع الميلادي . وله أشعار باللغة

السنسكريتية في الحُبِّ والخلق القويم والزهد .

(٦) الضُّرام : النار .

(٧) أَذَلَّتْ عُيُوناً : نظرت .

قَالَ لِي الشَّيْخُ وَيَسْمَا قَدْ حَجَبَ شَاعِرُ الْهِنْدِ ! وَهَذِي حِرْفَتُهُ
 (بَرْتَرِي) يَزْدَانُ بِالْعِلْمِ الْعُجَابِ
 بُرْعُهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ مَا رَأَيْنَا
 إِنَّهُ مَلِكٌ عَظِيمٌ بِالْغِنَاءِ
 يَرْسُمُ الشَّكْلَ الْبَدِيعَ بِالذِّكَا
 أَمَرَ هَذَا الْعَيْشِ يَدْرِي كُلُّهُ
 أَنْتَ سَحَّارٌ ! وَهِنْدِيُّ النَّسَبِ^(١)
 تَجْعَلُ الطَّلَّ اللَّالِي نَظَرْتُهُ^(٢)
 فَطَرَهُ كَانَتْ لَهُ مِثْلُ السَّحَابِ
 دَفَعْتُهُ مِنْكَ أَنْقَامًا إِلَيْنَا
 وَهُوَ بِالْفَقْرِ الْعَظِيمِ ذُو الْعَلَاءِ
 يُظْهِرُ الدُّنْيَا بِحَرْفٍ مِنْ خَفَاءِ
 وَهُوَ جَمٌّ شِعْرُهُ جَامٌّ لَهُ^(٣)
 قَدْ عَسَقْنَا فَنَّهُ فَنَّا عَلِيًّا
 وَأَذْنَنَا يَتْنَا قَوْلًا طَلِيًّا

زنده رود

أَنْتَ يَا مَنْ قُلْتَ قَوْلًا عَبَقَرِيًّا يَغْلُمُ الشَّرْقُ بِهِ سِرًّا خَفِيًّا
 قُلْ ، لِهَذَا الشَّعْرِ مِنْ أَيْنَ اللَّهَبُ أَضْرَمْتُهُ الذَّاتُ أَوْ رَبٌّ وَهَبُ ؟

برتري هري

شَاعِرٌ أَيْنَ يُقِيمُ ، مَنْ عَزَفَ ؟ وَلَهُ بِمِمْ وَزِيرٌ إِنْ عَرَفَ^(٤)

(١) السَّحَّارُ : الكثير السحر .

(٢) الطَّلُّ : الندى .

(٣) جَمٌّ : هو جمشيد من ملوك الفرس الأقدمين . قيل إنه كان يملك كاساً رسمت في قاعها الأقاليم السبعة .

(٤) اليم : أغلظ أوتار العود . والوزير : أدقها .

قلبه في الصدر وفاج الأوار وأمام الله ممدوم القرار^(١)
 وبحث روحنا كانت تطيب وطلبتنا ، فلذا الشجر اللهب
 من كروم القول يا من قد ثملنا مثل ذيك المقام لو بلغنا^(٢)
 وبيت قيل في دنيا الحجز في الجنان تستبى ذات الحوز^(٣)

زنده رود

إن أهل الهند كانوا في العذاب
 أظهرن السر من خلف الحجاب

برتري هري

هذه الأرباب شئت وهي من طين وصخر
 « برتري » كان بعيداً عن كنيس بل ودبر
 سجدة من ذوق أعمال خلئت لا خير فيها
 عمل تلك الحياة ، وهو من خير وشر
 عالم أنت تراه ليس من آثار رب
 مغزل بالخيط دوزت ولكن لست تدري
 أشجذن عندما للعاملين من جزاء
 ما لهم هذا النعيم والجحيم غير أجر^(٤)



(١) وهاج الأوار : متاجع النار .

(٢) لو هنا للتمني .

(٣) استباه : سباه في الحرب .

(٤) المراد بالأجر هنا : الجزاء سواء أكان على الخير أم على الشر .

السَّفَرُ إِلَى قَصْرِ سَلَاطِين المَشْرِقِ

نادر وأبدالي والسُّلطان الشهيد^(١)

« بَرْتَرِي » قَدْ هَزَّ رُوحِي بِالنَّدَاءِ أَسْكُرْتَنِي مِنْهُ صَهْبَاءُ الْغَنَاءِ
 قَالَ لِي الرُّومِيُّ « عَيْنُ الْقَلْبِ أَفْضَلُ وَالْخُرُوجُ عَنْ إِطَارِ الْفِكْرِ امْتَلُ^(٢) »
 يَمَقَّرُ لِلدَّرَاوِيشِ اعْبُورَنُ وَقَصُوراً لِلسَّلَاطِينِ انْظُرَنُ
 وَمُلُوكُ الشَّرْقِ فِي حَفْلٍ كَعَقْدِ عِزَّةِ الْأَفْغَانِ أَوْ فِرْسِ وَهِنْدِ^(٣)
 « نَادِرُ » النَّحْرِيرُ رَمِزُ الْإِتِّحَادِ كَانَ لِلْإِسْلَامِ بُشْرَى بِالْوِدَادِ^(٤)
 ثُمَّ « أَبْدَالِي » وَقَدْ كَانَ الْبَطْلُ مَنَحَ الْأَفْغَانَ أُمْساً لِلْعَمَلِ^(٥)
 وَإِمَامُ شُهَدَاءِ الْعَاشِقِينَ سَا شَرَفَ الْأَقْوَامِ كَانَ أَجْمَعِينَا^(٦)

(١) نادر : هو شاه أفشار الذي كان قائداً في جيش الشاه طهماسب الثاني آخر ملوك الصفويين ، وقد تأتى له أن يدفع غارة الأفغان على إيران ، فتربّع على عرشها عام ١٧٣٦م كان سنياً ، وبذل وسعته في التقريب والتوفيق بين المذهب السني والمذهب الشيعي الذي كان المذهب الرسمي للدولة الإيرانية في عهد الصفويين .
 وأبدالي هو أحمد شاه دراني المتوفى عام ١٧٧٣م كان من قادة جيش نادر كما حكم من قبله إقليم مازندران . وبعد مقتل نادر مضى إلى أفغانستان حيث أصبح ملكاً ، واتخذ من مدينة قندهار عاصمة له . وبعد تأسيساً للدولة الأفغان .
 أما السلطان الشهيد فهو تيبو سلطان الذي كان له الملك في الذكن . وقد حارب الإنجليز الذين غلبوا على عاصمته ، ثم قتل في حومة القتال عام ١٧٩٩م .

(٢) الامثل : الأفضل والأدنى للخير .

(٣) يشبه هؤلاء الملوك في مجالسهم بحبات العقد ، ويقول : إِنَّ عِزَّةَ الْأَفْغَانِ وَالْفِرْسِ وَالْهِنْدِ بِهِمْ . وَأَوْ هُنَا لِلْجَمْعِ .

(٤) التحرير : العاقل الحاذق .

(٥) الأس : الأساس . وفي الأصل : أنه منح الأساس للشعب .

(٦) العاشقون هنا عاشقوا الذات الإلهية من العُشُوفية .

أَيْنَ مِنْ نُورِ اسْمِهِ نُورُ الْكَوَاكِبِ وَتَرَاهُ عَيْشُنَا هَذَا يُوَاكِبُ^(١)
إِنَّهُ كَشَفَ سِرَّ الْعَاشِقِ جَادَ بِالزُّوْجِ بِشَوْقٍ دَافِقِ^(٢)
وَيَفْضِلُ مَنْ يَبْذُرُ أَوْ حُنَيْنِ قَدْ حَبَاهُ فَقْرُهُ جَذْبَ الْحُسَيْنِ^(٣)

زَايِلَ السَّلْطَانِ قَصْرًا زَائِلًا

مُلْكُهُ فِي الْهِنْدِ قَلْبٌ مَائِلًا^(٤)

نَاقِصَ الْعَقْلِ ، عَجَزَتْ عَنْ كَلَامِي لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ وَصَفِي لِلْعَقَامِ
يَتَجَلَّى لَهُ رَأْيُ أَفْلَ السَّمَاءِ مَا زُهِمَ لَكِنْ عَجِيبٌ مِنْ ذُكَاةِ
ذَاكَ قَصْرٌ وَمِنْ الْفَيْرُوزِ بَابِهِ السَّمَاءُ كُلُّهَا تَخْوِي رَحَابَهُ
فِي الشُّمُوقِ مَا لَهُ كَيْفٌ وَكَمْ يَجْعَلُ التَّفْكِيرَ ذَا عَجَزٍ يُذَمُّ
هَذِهِ الْأَزْهَارُ فِي الْحَسَنِ الْبَدِيعِ صُورَةٌ كَانَتْ تَجَلَّتْ لِلرَّيِّعِ
وَالنَّبَاتُ وَهُوَ قَبَاضُ الْبَهَاءِ غَيْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ ذَوْقِ النَّمَاءِ
وَالضُّبَا دَابُّ لَهَا أَنْ تَسْخَرَا تَجْعَلُ الْأَضْفَرَ تَوًّا أَحْمَرًا^(٥)
دَقَّ الْمَاءُ وَكَالِدُّرِّ انْتَشَرُ طَائِرُ الْفِرْدَوْسِ غَنَّى فِي الشَّجَرِ
يَا لِقَصْرِ فِيهِ بِهِ قَدْ سَمَقُ ذَرَّةٌ مِنْهُ ذُكَاةٌ فِي الْوَهْقِ^(٦)
سَقْفُهُ كَانَ عَقِيقًا نُضْدا أَرْضُهُ يَشْمُ فَمَيْنٌ مُهْدَا^(٧)
وَصَفُوفٌ فِيهِ مِنْ قَامَاتٍ حُورُ وَلِهِنَّ الثُّبُرُ حَلِيٌّ فِي الْخُصُورِ

(١) وَاكِبُ الرِّكْبِ : سَايِرُهُمْ ، أَوْ رَكِبَ مَعَهُمْ .

(٢) كَشَفَ : بِمَعْنَى كَشَفَ .

(٣) فِي الْأَصْلِ بِنَظَرَةٍ مِنْ سَيِّدِ بَدْرٍ وَحُنَيْنِ .

(٤) الْمُرَادُ بِالْقَصْرِ الزَّائِلِ هَذَا الْعَالَمِ .

(٥) الدَّابُّ : الْعَادَةُ . يَقُولُ : إِنَّ مِنْ عَادَتِهَا أَنْ تَغَيِّرَ الْأَشْيَاءَ بِالشَّجَرِ .

(٦) سَمَقَ : عَلَا . وَذُكَاةٌ : الشَّمْسُ . الْوَهْقُ : حَبْلٌ فِي طَرَفِهِ أَنْشُوطَةٌ يَطْرَحُ فِي حَقِّ الدَّابَّةِ لِيَتَّخِذَ بِهِ . يَقُولُ : كَأَنَّمَا كُلُّ ذَرَّةٍ فِي هَذَا الْقَصْرِ صَادَتْ الشَّمْسُ بِهَذَا الْحَبْلِ .

(٧) نَضْدُهُ : وَضَعُ بَعْضِهِ عَلَى الْبَعْضِ . وَالْيَشْمُ وَالْيَشْبُ : حَجَرٌ يَشْبُهُ الزَّبْرِجَدُ .

وعلى العرشِ ملوكٌ يجلسوننا وملوكُ القُرسِ كانوا يُشبهوننا^(١)
 ذلكَ الرُّوميُّ مرآةَ الأدبِ فرجَ الغمِّ بما زادَ الطُّربَ^(٢)
 « مِنْ المَشْرِقِ هذا شاعِرٌ لستُ أدري ، شاعرٌ أم مَاجِرٌ
 ففكرُهُ دَقٌّ وفي الرُّوحِ الأَلَمُ
 شِعْرُهُ في المَشْرِقِ قد أذكى الضَّرَمَ »^(٣)

نادر

مرحباً يا شاعرَ المَشْرِقِ العَظِيمِ مِنْ كلامِ القُرسِ أنشدتِ القَوِيما
 نَحْنُ أَهْلُ السَّرِّ قُلُوبُ سَرّاً لَنَا ثُمَّ عَنْ إِيْرَانَ حَدَّثَ أَنْبَا^(٤)

زنده رود

نَظَرْتُ إِيْرَانَ فِي ذَاتِ مَلِيَا وَهَوَتْ فِي قَاعِ أَشْرَاكِ هَوِيًّا^(٥)
 وَقَتِيلُ دَلِّ أَصْنَامِ الجَمَّالِ تُشْبِهُ الإِفْرَنْجَ فِي خَلْقِ الكَمَالِ
 فَكُرَّهَا فِي مُلْكِهَا أَوْ فِي النَسَبِ مَذْخُ سَابُورِ وَذَمُّ لِلْعَرَبِ^(٦)

(١) ذكر من هؤلاء الملوك جمشيد وبهرام وهما مشهوران بعزة الجانب .

(٢) فرج : فتح . والطرب : خفة تمرى الإنسان من فرح أو حزن .

(٣) أذكى : أوقد . والضرم : المحطب يطرح في النار .

(٤) أنبنا : أنبئنا .

(٥) هوى هويًّا : سقط . والشراك : جمع : شرك ، وهو الحباله .

(٦) سابور : ملك من ملوك القرس . وهو سابور الثاني المعروف بذي الأكتاف ؛ لأنه في حربه مع قبائل العرب خلع أكتافهم ، أو ثقب ألواحها وجعل فيها حبلاً إمعاناً في التشفي منهم .

يَوْمُهَا خَالٍ ، وَمِنْ كُلِّ الْمَهَامِ الْحَيَاءُ طَلَبْتُهَا فِي الرَّجَامِ^(١)
 وَطَنًا رَامَتْ وَذَاتًا لَا تَرَى وَتَنَاسَتْ رُسْتُمًا بَلْ حَيْدَرًا^(٢)
 بَاطِلَ الْإِفْرَنْجِ مَا قَدْ حَصَلَتْ
 وَلَهَا التَّارِيخُ مِنْهُمْ شَكَلَتْ
 كَانَتْ الشَّيْخُ ، وَفِي عَهْدٍ بَعِيدٍ سَاحِبَ الْوَجْهِ دِمَاءُ مِنْ جَلِيدٍ
 عُرْفُهَا بِأَلٍ لَهَا دِينَ قَدِيمٍ وَكَذَاكَ الصُّبْحُ وَاللَّيْلُ الْبَهِيمِ^(٣)
 كَرُمُهَا مَا فِيهِ أَمْوَاجُ لُخْمٍ تُزْبِهَا مَا فِيهِ مِنْ وَهْجٍ لُجْمٍ^(٤)
 وَمِنْ الصَّحَرَاءِ كَانَ الْمَخْشَرُ فَلَدَيْهَا مِنْهُ عُمْرُ آخِرٍ^(٥)
 رَحْمَةُ اللَّهِ وَمِنْ تَخْنَانِهِ فَارِسٌ ظَلَّتْ وَرُومًا أَيْنَ هِيَ^(٦)
 مَا مَضَى عَنْ جِسْمِهَا رُوحٌ رُومٍ أَبْغِيرَ الْحَشِيرِ مِنْ تُزْبِ تَقُومٍ^(٧)
 رَجُلُ الصَّحَرَاءِ رُوحًا قَدْ مَنَعَ وَإِلَى صَحَرَائِهِ عَنْهَا نَزَحُ^(٨)
 وَمَحَا مِنْ لُوحِنَا كُلِّ الْقَدِيمِ جَدَّدَ الْعَصْرَ ، وَلَيْسَ بِالْمَقِيمِ
 إِنَّهُمْ لَمْ يَذْكُرُوا فَضْلَ الْعَرَبِ
 وَمِنْ الْإِفْرَنْجِ ذَابُوا فِي اللَّهَبِ !

- (١) الرجام : جمع رجم ، وهو القبر .
 (٢) رستم : أعظم أبطال الأساطير عند الفرس . وحيدر : علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .
 (٣) البهيم : الذي لا ضوء فيه إلى الصباح . يقول : إن كل شيء فيها كان قديماً بالياً حتى ليلاً ونهارها .
 (٤) الترب : التراب . والوهج : انتقاد النار .
 (٥) يشير إلى فتح العرب لفارس ، ويشبهه بالبعث والحياة الأخرى .
 (٦) التحنان : الرحمة .
 (٧) الرووم : الرحيمة : وفي الأصل الطاهرة .
 (٨) نزح : بعد ورحل .

ظهور روح ناصر خسرو العلوي واختفاؤها وإنشاد غزل رقيق^(١)

لِلْحُسَامِ وَالْيَرَاعِ تَجْعَلُ الْكَفَّ الْمَدَارَا
مِنْ جَوَادِ الْجِسْمِ بَعْدُ ، أَنْتَ لَا تَخْشَى الْبِثَارَا^(٢)
الْحُسَامُ وَالْيَرَاعُ مِنْهُمَا فَضَّلْ عَمِيم
يَا أَخِي مَضَدُّ الثَّوْرِ لَدِينَا كَانَ نَارَا^(٣)
عِنْدَ كَفَارٍ أَجْنَبِي أَيُّ خَيْرٍ فِيهِمَا
لَهُمَا بِالذِّينِ سِغَرٌ يَشْتَرِي حَتَّى النُّضَارَا^(٤)
عِزَّةُ الدِّينِ بِعِلْمٍ وَبِجَهْلٍ ذُلُّ
دِينُ جُهَّالٍ كَزَهْرِ الثَّوْرِ قَدْ جَابَ الْقَقَارَا^(٥)
مِثْلُ كَرْبَاسٍ وَإِلَاسٍ يَخِيطُ نِصْفَهُ

(١) ناصر خسرو : من شعراء إيران في القرن الخامس الهجري ، وكان من دعاة المذهب الإسماعيلي ، وجمهرة أشعاره في المسائل المذهبية والفلسفية . ولما قدم مصر ، وكل إليه الخليفة الفاطمي نشر المذهب الإسماعيلي في خراسان ، وجعله رأس الباطنية في تلك الجهات .

(٢) الحسام : السيف . واليراع : القلم . وهذا الشعر نوني القافية في الأصل . ويقول الشاعر : إنك إذا جعلت من كفك ميداناً يجول فيه القلم والسيف ، فإن جواد جسمك لا يكبو من بعد .

(٣) أخى : تصغير أخ . وهو يقول : إن الحسام واليراع مصدر الخير ، كما أن النار مصدر النور .

(٤) النُّضَار : الذهب . وإذا اقترن القلم والسيف بالذِّين غلا ثمنهما ، وعظمت قيمتهما .

(٥) يقول : إن الدين يعمى بالعلم . والدين عند الجاهل كالزُّهرة عند الثور الذي يتجول في الصحارى .

أبدالي

وفتى مُلكاً عظيماً قد أقاما للمجبالِ عادَ واختارَ المَقاما
أضرمَ النيرانَ في تلكَ الجبال أحرقتُهُ ؟ أم شجاعٌ لا يبالي

زنده رود

الشعوبُ بينها صَفُوُ الإخاء إخوةٌ ، في حَزْبِها أو في المِرَاء^(٢)
وحياةُ الشَّرْقِ كانتَ من حَيَاتِه ابنُهِ الجندِيُّ أمسى من حُمَاتِه !
ذاتُه مِن ذاتِه جهلاً مَلَبَ مالهُ مِن مكناتٍ ما حَسَبَ^(٣)
ولهُ قلبٌ وعنه غافلٌ للجسومِ والقلوبِ من فراقٍ فاصِلُ^(٤)
إنما الجَوَّالُ ضلَّ كُلَّ غايه روحُه ما إنْ ذَرَتْ معنى النِّهايَة

(١) الكرياس : ثوب من القطن الأبيض عرقيل هو الثوب الخشن . والكفن : تكفين الميت .

واقبال يومىء إلى حقيقة تاريخية هي ظهور النبي إلياس في اليهود بعد انقسام مملكتهم قسمين شمالي وجنوبي . وقد أراد أن يهدي اليهود إلى دين قويم أساسه توراة موسى ، وكان يلبس قباء أبيض . وما زال اليهود إلى اليوم يصلون بقباء أبيض لا يجيزون الصلاة إلا به .

وقد تلقينا هذه المعلومات عن الأستاذة منى ناظم المعيدة بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب من جامعة عين شمس ، فلها الفضل وإليها الشكر .

(٢) المراء : الجدال . يقول : إنَّ الشعوب إخوة إلا أنَّها على الدوام تتحارب وتتجادل .

(٣) حسب الشيء : عدَّه وأحصاه .

(٤) يقول : إن الفراق حدٌ يفصل بين الأجسام والقلوب .

يَعْرِفُ الْأَفْغَانَ حَقًّا شَاعِرٌ قَالَ مَا قَدْ قَالَ وَهُوَ السَّادِرُ^(١)
 إِنَّهُ كَانَ حَكِيمًا شَغِيرًا بِذَلِكَ الْوُسْعِ يَقْضِدُ طَبَّهُمْ^(٢)
 سَرُّ قَوْمٍ قَدْ دَرَاهُ ثُمَّ قَالَا مَا رَأَى الْحَقُّ لَمْ يَخْشَ الْوَيْالَا^(٣)
 « فَنَى الْأَفْغَانَ لَوْ يَلْقَى الْبَعِيرَا
 يَحْمِلُ الْجَوْهَرَ وَالذُّرَّ الْوَفِيرَا
 مَا تَمَلَّى ذَلِكَ الْوَسْقَ الْكَبِيرَا^(٤)
 وَأَرَادَ جُلُجُلَ الْهَادِي الصَّغِيرَا^(٥)

أبدالي

إِنَّ مِنْ قَلْبٍ لَنَا الطَّبْعُ اتَّقَدُ وَصَحَا مِنْهُ الثَّرَابُ أَوْ رَقَدُ
 وَيَمُوتُ الْقَلْبُ جِسْمٌ غَيْرَا وَدَمًا أَمْسَى النَّضِيجُ أَحْمَرَا^(٦)
 بِفَسَادِ الْقَلْبِ مَا هَذَا الْجَسَدُ ؟ وَخَذَهُ كُنْ مَنْ عَلَى الْقَلْبِ اعْتَمَدُ
 آسِيَا جِسْمٌ وَمِنْ مَاءٍ وَطِينِ قَلْبُهَا الْأَفْغَانُ خَفَّاقُ الْوَتِينِ^(٧)
 وَلَهَا مِنْهُ الْفَسَادُ إِنْ فَسَدَ وَانْطَلَقَ مِنْهُ يَا نِعْمَ الْمَدَدُ^(٨)
 بِانْطِلَاقِ الْقَلْبِ فَالْجِسْمُ الطَّلِيقُ أَوْ لَرِيحٍ كَانَ بِالْقَشْرِ الْخُفُوقُ^(٩)

(١) السادر : الذي لا يبالي .

(٢) طَبَّهُمْ : علاجهم من المرض .

(٣) الْوَيْال : سوء العاقبة .

(٤) تَمَلَّى الشَّيْءَ : تمتع برؤيته . الْوَسْقُ : الجمل .

(٥) الْجُلُجُل : الجرس الصغير . وَالْهَادِي : العنق .

(٦) النَّضِيج : العرق .

(٧) الْوَتِين : عرق في القلب .

(٨) الْمَدَد : العون .

(٩) يقول : إن الجسم إذا لم ينطلق بانطلاق القلب « كان شبيهاً بالقشة إذا اشتدت بها الريح في يوم عاصف .

وله كالجسم بالعُرف القيود دينه أحياءُ والموتُ الحُقود^(١)
 بمقامٍ وخُدةٍ قد عزَّ دينُ
 ذلك الشَّعبُ بها شَغِبُ يكونُ
 ذائمه يفقدُ ذا الشَّرقِ المُقلَّدُ لَيْتَهُ النَّقَادُ لِلْغَرْبِ الْمُفَنَّدُ^(٢)
 عزُّ هذا الغرب لا بالمطربات
 لَمْ يَهْبَهُ قَوَّةٌ وَزُدَ الْخُدودُ وقصيرُ الشَّعْرِ أو مَيْسُ الْقُدودِ^(٣)
 مجده ما كان مِنْ تَرْكِ لِديْنِ
 العلومُ والفنونُ سرَّةُ وبمصباحٍ لَدَيْهِ نَوْرُهُ^(٤)
 لستَ بالثوبِ حكيماً كالأعاضمِ
 تُذْركُ الْعِلْمَ بِعَقْلِ أَنْتَ مالِكُ أَيضاً الْعِلْمُ مِنْ لُبْسِ الْعِمَامِ^(٥)
 ليسَ في هذا السبيل غيرُ عِلْمِ
 لا بثوبٍ تستعيرُ مِنْ هُنَالِكَ^(٦)
 ما على رأسِكَ مِنْ غَيْرِ الْمُهِمِ
 إِنْ مَلَكَتِ الْفِكْرَ هذا الْفِكْرُ حَسْبُكَ
 كلُّ شيءٍ عَنْهُ ما يُغْنِيكَ ، طَبْعُكَ
 السَّنَاجُ فِي اللَّيَالِي إِنْ أَكَلْتَهُ فَإِلَى الْعِلْمِ السَّبِيلُ قَدْ وَجَدْتَهُ^(٧)
 مَنْ رَأَى يَوْماً حَدودَ مُلْكٍ مُعَنَّى ؟ يَطْلُبُ الْمَطْلُوبَ مَجْهُوداً وَأَيْنَا^(٨)

- (١) الحقود : الأحقاد .
 (٢) فَنَدَهُ : كَذَبَهُ وَخَطَأَ رَأْيَهُ .
 (٣) الميس : التبخر .
 (٤) هذا الخط في الأصل هو الخط اللاتيني . والمكين : صاحب الحظوة .
 (٥) ضاره : ضره .
 (٦) يريد بهذا الثوب زي أهل الغرب .
 (٧) السناج : أثر دخان المصباح . وأكلُ سناج المصباح في الفارسية كناية عن سَهْرِ اللَّيَالِي فِي طَلَبِ الْعِلْمِ .
 (٨) الأين : التعب .

فَقَدْ الْأَتْرَاكَ ذَاتَا بِالْمُذَامِ فَالْفَرَنْجُ أَشْكُرُوهُمْ بِالسُّمَامِ^(١)
 إِنَّ تَزْيَاقَ الْعِرَاقِ مَا لَذِيهِمْ رَحْمَةً يَا رَبِّ فَاَبْسُطْهَا عَلَيْهِمْ^(٢)
 وَعَبِيدُ الْغَرْبِ يَبْغُونَ الظُّهُورَا إِنَّهُمْ يُرْضُونَ بِالرَّقْصِ الْغُرُورَا
 رَوْحَهُمْ فِي اللَّهْوِ كَانُوا يَفْقِدُونَا يَصْغُبُ الْعِلْمُ ، بِلَهْوٍ لَنْ يَكُونَا
 يَطْلُبُونَ السَّهْلَ لَكِنْ مِنْ كَسَلٍ طَبْعُهُمْ مَا يَبْتَغِي سَهْلَ الْعَمَلِ
 الْيَسِيرُ السَّهْلُ لَكِنْ إِنْ طَلَبْنَا أَنْتَ رَوْحاً لَكَ مِنْ جِسْمٍ فَقَدْ تَنَا

زندہ رود

الْفَرَنْجُ بِالرَّقِيٍّ مَا أَرَادُوا ؟ أَلَفَ فَرْدُوسٍ مِنَ الْأَلْوَانِ شَادُوا^(٣)
 ظَاهِرٌ مِنْهُمْ دِيَاراً حَرِّقَا وَالْغُصُونُ بِالْعِشَاشِ مَرَّقَا^(٤)
 ظَاهِرٌ يَبْدُو لَعَيْنٍ لَامِعَا وَهَنَ الْقَلْبُ لَعَيْنٍ خَانِعَا^(٥)
 يَزْلِقُ الْقَلْبُ وَلِلْعَيْنِ النَّظَرُ وَأَمَامَ الْمَعْبِدِ الْخَفَاقُ خَرَّ^(٦)
 وَمَصِيرُ الشَّرْقِ هَذَا مَنْ دَرَى ؟ أَيُّ تَدِيرٍ وَتَبْغِي مَظْهَرَا

(١) يقول : إن الأتراك سكرُوا بخمرة الغرب ، وهي كناية عن افتتانهم به . والسُّمَامُ : جمع سم .

(٢) الترياق : دواء السموم . وفي أشهر كتاب من كتب الأدب الفارسي ، وهو كتاب كلستان لسعدي الشيرازي عبارة مشهورة مأثورة ، وهي : (يُسَلِّمُ الْمَلْدُوعُ الرُّوحَ قَبْلَ أَنْ يُحْضِرُوا لَهُ التَّرْيَاقَ مِنَ الْعِرَاقِ) .

(٣) شاد البناء : رفعه .

(٤) العشاش : جمع عش .

(٥) الخانع : الخاضع في ذل .

(٦) الخفاق : القلب .

أبدالي

وعلى تغييرِ ذاكَ القادرِ بهلوي ملكُ قبادِ ناله
 بهلوي إيران قُلْ أَوْ نَادِرِ
 ومن الدُّرَّانيِّينَ كانَ نادرُ
 كلُّ معقودٍ لديه حَلَّةٌ^(١)
 إنَّه لِلدِّينِ يَأْسَى وَالوَطَنِ
 وهو للأفغانِ ذخِرٌ مَنْ يُكَابِرُ ؟
 بطلُ الهِجاءِ حقًّا والأميرُ
 قادَ جيشاً في جبالٍ قد كَمَنَ^(٢)
 مَنْ رَأَى ذاتاً له إِنِّي قَدِيتُهُ
 والحديدُ عندَ قومٍ والحريزُ !^(٣)
 وازنَ العَصَرَ بِحَذَقٍ مَنْ هَوَيْتُهُ
 كم لأهل الغربِ مَنْ فَنٌ سَحَرَ
 إِنَّ نَسِيتَ الذَّاتَ كُنْتَ مَنْ كَفَرَ !



السُّلطانُ الشَّهيدُ

عَنْ بِلادِ الهِنْدِ حَدَّثَنِي طويلاً
 قُتِلَها يَفْضُلُ بستاناً جَميلاً^(٤)
 مسجدٌ فيها خلا مِنْ صَوْتِ حَشْدٍ
 دِيرُها ما فيه نارٌ بَعْدُ خَمْدٍ
 قلبنا حزناً على الهِنْدِ انْقَطَرَ
 روْحُنا شيئاً سِواها ما اذْكَرُ^(٥)

(١) بهلوي : هو رضا شاه بهلوي المتوفى عام ١٩٤٤م الذي أسس الأسرة المالكة في إيران بعد أن أسقط الأسرة القاجارية عام ١٩٢١م ورضا شاه مؤسس إيران الحديثة وعلمٌ عظيمٌ من أعلام تاريخها . وقباد هو كيقباد أول ملوك الأسرة الكيانية في إيران ، وفي عهده هزم البطل رستم التورانيين أي الأتراك هزيمة ماحقة .

(٢) يَأْسَى : يَخْزَنُ .

(٣) الهِجاءُ : الحَرْبُ .

(٤) فضله : كان أفضل منه .

(٥) اذْكَرُ : ذَكَرُ .

حَزْنُهَا قَبْلَهُ بِأَحْزَانٍ لَنَا لَيْسَ يَدْرِي مِنْ نُحْبٍ حَالَنَا

زنده رود

الهنود أنكروا قانونَ غَرْبٍ كلُّ سحرٍ رَفْضُوهُ كلَّ خَلْبٍ^(١)
إِنَّ عُرْفَ الغَيمِ روحاً يُثْقَلُ مِنْ سماءٍ إِنَّهُ لَا يَنْزِلُ !

السُّلْطَانُ الشَّهِيدُ

وَإِذَا الْإِنْسَانُ مِنْ طِينٍ خَرَجَ قَلْبُهُ مِنْ رَغْبَةٍ فِيهِ اخْتَلَجَ
لَذَّةُ الْعَصِيَانِ كَأَنْتَ مُتَعَتَّةٌ رُؤْيَا الذَّاتِ رَأَاهَا بَهْجَتُهُ
هَذِهِ الذَّاتُ بِعَصِيَانٍ تُنَالُ وَانْعِدَامُ الذَّاتِ مَعْنَاهُ الْوَبَالُ^(٢)
أَنْتَ فِي أَرْضِي وَفِي دَارِي حَلَلْتَا وَبَعَيْنِ قَبْرِي الْبَالِي مَسَخَتَا
وَعَسَرْتَ حَذَّ كُلِّ الْكَائِنَاتِ فِي الْجَنُوبِ أَيْنَ آثَارُ الْحَيَاةِ^(٣)

زنده رود

فِي الْجَنُوبِ قَدْ نَثَرْتُ الدَّمَاعَ حَبَا فَاكْتَسَتْ أَرْضٌ بِهِ وَزْدَا وَأَبَا^(٤)
نَهْرُ « كَاوِيرِي » يَسِيرُ فِي جَمُوحِهِ وَرَأَيْتُ وَقْدَةً أُخْرَى بِرُوحِهِ^(٥)

(١) الخلب : الخداع .

(٢) الوبال : سوء العاقبة .

(٣) اخترنا هنا كلمة جنوب عوضاً من « دكن » وهو اسم إقليم في جنوب الهند . وكلمة دكن في الأوردية بمعنى جنوب .

(٤) الأب : المرعى .

(٥) اسم النهر الذي تقع عليه مدينة سرنجاباتم .

السُّلْطَانُ الشَّهِيدُ

قَوْلُكَ النُّورُ بِهِ ضَاءٌ قُلُوبُ عَالَمٍ الْأَسْرَارِ دَوْمًا مِنْ ظَفَرٍ وَنَشِيدُ الرُّوحِ إِنْ أَنْشَدْتَهُ عِنْدَ مَوْلَى الْكُلِّ كُنْتَ حَاضِرًا وَعَلَى الْقَوْلِ هُنَاكَ مَا شَجَعْتَ وَأَنَا مِنْ أَحْرَقْتَنِي نَارُ شِغْرِكَ قَالَ « يَيْتُ قَلْبَهُ مَنْ قَالَهُ ؟ بَيَانٍ لَكَ فِي الرُّوحِ اسْتَعَزَّ زَنْدَهُ رُودَ أَنْتَ وَهُوَ زَنْدَهُ رُودَ
إِنَّ لِحْنًا مَعَ لِحْنٍ مَا يَجُودُ^(٤)

رسالة السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ إِلَى نَهْرٍ كَاوِيرِي حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَالْإِسْتِشْهَادِ

إِنَّ هَذَا النَّهْرَ قَدْ سَارَ الْهُوَيْنِي نَائِحًا بَيْنَ الْجِبَالِ ، كُنْتَ تَعْبُرُ أَنْتَ مِنْ جِيحُونَ خَيْرٌ وَالْفِرَاتِ يَا لَأَرْضِي أَنْتَ قَدْ عَانَقْتَهَا وَدَوَامُ السَّيْرِ مَا أَضْنَاهُ أَيْنَا^(٥) وَطَرِيقًا لَكَ بِالْأَهْدَابِ تَخْفُزُ! لِلْجَنُوبِ كُنْتَ وَمَا بَ الْحَيَاةِ بِرَوَاءِ كَانَ فَيْكَ زَنْتَهَا

- (١) ضياء : أنار وأشرق .
(٢) عروق العود هنا هي أوتاره . وفي الأصل من دماء تلك العروق .
(٣) يني : يفتري ويضعف .
(٤) يَجُود : يحسن .
(٥) الأين : التعب .

شِخْتُ لَكِنْ أَنْتَ قِيَاضُ الشَّبَابِ وَالبهاءُ لكِ كالسَّحَرِ العُجَابِ
 بِنْتُ مَوْجَاتٍ لَدَيْكَ دُرَّةٌ فلتُشْرِ مَوْجاً عَلَيْكَ طُرَّةٌ^(١)
 حُرْقَةُ الْعَيْشِ تَغْنِيهَا نَشِيدَا أَعْلِفْتِ مَنْ لَدَا كَانَ الْبَرِيدَا^(٢)
 إِنَّهُ مِنْ طُفَّتِ حَوْلَ سَطْوَتِهِ لَكَ مِرَاةٌ لِوَجْهِ قُوَّتِهِ^(٣)
 الصَّحَارَى جَنَّةٌ مِنْ قُدْرَتِهِ بِدَمَاهُ كَانَ رَسْمُ صُورَتِهِ
 الْأَمَانِي مِنْ ثَرَاهُ تَقْتَرِبُ مَنْ دِمَاهُ فِيكَ مَوْجٌ يَضْطَرِبُ
 كَانَ فَعَلًا كُلُّ قَوْلٍ قَالَهُ لَمْ يَنْسَ ، وَالشَّرْقُ نَامَ لَيْلَهُ
 إِنَّمَا الْأَمْوَاجُ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ إِنَّمَا التَّبْدِيلُ شَأْنُ الْكَائِنَاتِ
 مَا الْحَيَاةُ غَيْرَ تَجْدِيدٍ تَجَدُّدُ عَالِمًا تَطْلُبُ فِي شَوْقٍ تَمَهَّدُ
 الذُّهَابُ وَالْمَجِيءُ مَا هُمَا الْكِيَانُ لِلْوُجُودِ مِنْهُمَا
 الطَّرِيقُ رَاحِلُونَ فِي سَفَرِ سَفَرٍ يَخْفَى لَكِي يَبْدُو الْحَضَرُ
 النِّيَاقُ وَالصَّحَارَى وَالنَّخِيلُ تِلْكَ أَشْجَاهَا وَأَبْكَاهَا الرَّحِيلُ
 بِرَهَةٍ حَلَّتْ وَرُودُ الرُّوضِ ضَيْفَا لاختبارِ عُرُضَتِ حَسَنًا وَعَرْفَا^(٤)
 مَاتَمَ فِي الرُّوضِ أَمْ أَفْرَاحُ سُوزٍ ؟ بِرَعْمٍ فِي الْحِضْنِ ، نَعَشٌ لِلزُّهُوزِ^(٥)
 أَحْمَرُ الْوَرْدِ لَهُ قُلْتُ اخْتَرِقُ قَالَ سَرِّي مَا عَرَفْتُ يَا لَيْقَا
 مِنْ هَشِيمٍ لِلْوُجُودِ ذَا الْبِنَاءِ لِلظُّهُورِ حَسْرَةٌ كَانَ الْجَزَاءِ
 مَا مَضَى أَوْ مَا يَكُونُ ، إِمَضٍ عَنْهُ الْمَجِيءُ لِلْوُجُودِ ، دَعَاكَ مِنْهُ

(١) الطرة : شعر مقدم الرأس . يشبه الأمواج بالشعر الثائر .

(٢) البريد : الرسول .

(٣) في الأصل : أنت حامل المرأة لوجه سطوته .

(٤) العرف : الرائحة الذكية .

(٥) السور : كلمة فارسية تستخدم في العربية ، وهي بمعنى الوليمة والضيافة .

لا تَفِيعُ مِثْلَ الشَّرَارِ إِنْ قَدِمْتَ
وَإِذَا أَشْبَهْتَ شَمْساً فِي الصُّفَاتِ
الرِّيَاضِ اخْرِقْ وَأَكَامِ الصُّحَارِ
وَإِذَا عَوَّذْتَ جُرُوحَ السَّهْمِ صَدْرَا
السَّكُونُ فِي الْحَيَاةِ لِلثَّبَاتِ
دِينُنَا وَالْعُرْفُ فِي تِلْكَ الْحَيَاةِ
بِرَهَةٍ كَاللَّيْلِ لَا عَاماً كَشَاةٍ^(٣) !
الْحَيَاةُ بِرِضَاكَ أَخْكَمَتْ
الرَّذَى ظِلِّي وَهَذَا الْمَرْءُ ضَيْغَمُ
إِنَّمَا الْكَامِلُ يَحْتَاجُ الْجَمَامَا
وَيَمُوتُ الْعَبْدُ خَوْفاً مِنْ جِمَامِ
لَكِنَّ الْحَسْرَةَ هَذَا شَأْنُهُ ؟
لَيْسَ يُجْرِي ذِكْرُ مَوْتٍ بَثَّةً
دَعَاكَ مِنْ مَوْتِ الْقُبُورِ وَالثَّرَابِ
مَا يُسَرِّجِي مُؤْمِنٌ مِنْ رَبِّهِ
لَطَرِيقِ الشُّوقِ هَذَا الْمَوْتُ غَايَهُ

أَطْلَبَنَّ بَيْدراً إِمَاماً مَضِيَّتْ^(١)
فَارْتَفَعَ بَيْنَ السُّمُوسِ الْمَشْرِقَاتِ
وَالسُّمَّاكَ أَصْلَ بَقَاعِ الْيَمِّ نَاراً^(٢)
فَلْتَعِشْ صَقْراً وَكُنْ فِي الْمَوْتِ صَقْراً
مَا سَأَلْتُ اللَّهَ طَوَلاً فِي حَيَاتِي !
قَتَلْتِكَ أَخْذَةً قَدْ دُبِّرَتْ^(٤)
مِنْ مَقَامَاتِ جِمَامِ الْمَرْءِ فَاعْلَمْ^(٥)
كَالشَّوَاهِينَ إِذَا صَادَتْ حَمَامَا^(٦)
لَمْ يَكُنْ عَيْشٌ لَهُ غَيْرَ الْحَرَامِ !
رَوْحُهُ الْآخِرَى لَدَيْهِ حَيْثُ^(٧)
وَيَمُوتُ الْحُرُّ لَكِنْ بَغْتَةً^(٨)
إِنَّهُ الْمَوْتُ وَلَكِنْ فِي الثَّرَابِ
مَوْتُ إِطْلَاقٍ لَهُ مِنْ تَرْبِهِ
وَهُوَ لِلتَّكْيِيرِ فِي حَرْبٍ نَهَائِهِ

- (١) البيدر : الموضع الذي يدرس فيه القمح .
(٢) السُّمَّاكَ : جمع سمك .
(٣) أي عيش برهة كالأسد ولا تيمش عاماً كالشاة .
(٤) الأخذة : الرقية تأخذ العين كالشحر .
(٥) الضيغم : الأسد .
(٦) الكامل : الرجل الكامل . يجتاح : يقهر . الحمام : الشواهين : جمع شاهين ، وهو طائر كالصقر .
(٧) الحين : الهلاك ، والمراد هنا الموت .
(٨) بثة والبتة : بمعنى لا رجعة فيه .

ليس للمؤمن غير الأطيب
الملك حاربوا من أجل سلب
وبها يمضي إلى دار الحبيب
قال للقوم النبي ذو المحامد
أي موت مثل موت ابن النبي^(١)
كالنبي مؤمن في خوض حرب^(٢)
يَهْجُرُ الدُّنْيَا لِوَصْلِ مَنْ قَرِيب
راهب الإسلام من كان المجاهد^(٣)
الشَّهِيدُ وَخُدَّةُ هَذَا دَرَاه
بدم أجراه في الحرب اشتراه

زنده رود يغادر الجنة العالية وطلب حور الجنان

كأس صبري أضحت بعض الفتات
يا حديث الشوق يا جذب اليقين ا
دامي القلب إليه قد وصلت
قالت الحور تعال زنده رود
خفقات من ضجيج حولنا
قال لي الرومي قم قبل الفوات^(٤)
يا لإيوان على الأس المتين^(٥)
وعلى اعتابه حوراً رأيت
لك عذب اللحن يشجي ، والوقود^(٦)
زنده رود اجلس قليلاً بيتنا

-
- (١) ابن النبي هنا هو الإمام الحسين رضي الله عنه سيد الشهداء .
 - (٢) أي أن المؤمن يشبه النبي ﷺ ، ويقتدي به في الجهاد .
 - (٣) الإشارة إلى قوله ﷺ : « الجهاد رهبانية الإسلام » .
 - (٤) الفتات : ما تفتت من الشيء وكسارته . والفوات : فوات الأوان .
 - (٥) يا هنا للتعجب . والأس : الأساس .
 - (٦) الوقود : النار .

زنده رود

كُلُّ مَنْ يَعْرِفُ سِرّاً لِلْفَرِّ
يَزْهَبُ الْمَتَرِلَ لَا لَصَرَ الْمَمَرِ^(١)
الْوَصَالَ مَا أَرَاخَ قَطُّ عَشَقَا
بَلْ أَرَاخَ سِرْمَدِي الْحُسْنِ حَقّاً
وَابْتِدَاءَ عِنْدَ خَنَاءِ سُجُودِ
بِانْتِهَاءِ حُطَمَتْ تِلْكَ الْقُبُودِ
سَادِرٌ مَا كَفَّ يَوْمًا عَنْ رَجِيلِ
وَهُوَ فِي غَيْرِ الْمَكَانِ ابْنُ السَّبِيلِ^(٢)
دِيثًا يُشْبَهُ مَوْجاً أَسْرَعَا
مَا أَقَامَ بَلْ أَرَادَ الْمَهْيَعَا^(٣)

خُورُ الْجَنَّةِ

لَكَ دَلٌّ مِثْلَ دَلٍّ لِلرَّيْمَانِ
فَعَلَيْنَا لَا تَضِنَّ بِالْأَغْصَانِي

غزل زنده رود

أِلَى الْمَرْءِ وَصَلْتُ ؟ لَكَ رَبّاً كَيْفَ تَطْلُبُ
وَمِنَ الذَّاتِ فَرَزْتُ أَنْتَ صَحْباً كَيْفَ تَطْلُبُ
شَا حَبَّ الْوَجْهَةِ تَعَلَّقَ بِالْفُصُونِ الطَّلِّ وَازْشُفُ
لَكَ شَيْئاً مِنْ نَسِيمِ هَبِّ هَبّاً كَيْفَ تَطْلُبُ
قَطْرَتَانِ مِنْ دِمَاءِ ذَاكَ مَا سَمَوُهُ مِنْكَ
يَا غَزَالَ الْمَسْكَ مَسْكَاً مِنْكَ عُجْباً كَيْفَ تَطْلُبُ^(١)
إِنَّ عَرَّ الْمُلْكِ وَالشُّلْطَانِ مَعْيَارٌ لِفَقْرِ
الْحَطَامِ مَا طَلَبْتَ الْمُلْكَ وَهَبّاً كَيْفَ تَطْلُبُ

(١) فِي الْأَصْلِ : أَنْ رَهْبَةً مِنَ الْمَتَرِلِ أَشَدُّ مِنْ رَهْبَةٍ مِنَ قَاطِعِ الطَّرِيقِ .

(٢) السَّادِرُ : الَّذِي لَا يَبَالِي بِمَا صَنَعَ ، وَالْمَرَادُ بِهِ : الْعِشْقُ .

(٣) الْمَهْيَعُ : الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ .

(٤) يَعْتَقِدُ الْقَدَمَاءُ أَنَّ الْمَسْكَ مِنْ دَمِ الْغَزَلَانِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْمُتَنَبِّي :

وَإِنْ تَفْشَقِ الْأَنْسَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ
وَالْعَجَبُ : النَّيِّهِ وَالْخِيَلَاءُ . وَفِي الْأَصْلِ يَا غَزَالَ الْحَرَمِ فِي الْخَطَا مَاذَا تَطْلُبُ .
وَالْخَطَا : اسْمٌ لَشِمَالِ الصَّيْنِ ، وَهَذَا الْإِقْلِيمُ يَشْتَهَرُ بِغَزَلَانِ الْمَسْكَ .

عَرَفُوهُ فِي الْوُرُودِ الْحُمْرِ بِالْبِسْتَانِ يَبْدُو لِحُتَا الدَّامِي الْحَزِينُ قَدْ قَلْبًا كَيْفَ تَطْلُبُ
مَنْ لَهُ قَلْبٌ مُبِيرٌ زَادَ نُورًا كُلَّ عَيْنٍ لَيْتَ شِعْرِي لِعَيْنِي الْعَيْنَيْنِ طَبًّا كَيْفَ تَطْلُبُ
زَاهِدُونَ ، رُؤْيَا الدُّنْيَا كِرَامَاتٌ لَنَا
نَظَرَةٌ مَنَا ، وَمَا يَغْوِيكَ خَلْبًا كَيْفَ تَطْلُبُ

فِي الْحَضَرَةِ الْإِلَهِيَّةِ

مِنْ تَجَلَّى اللَّهِ كَانَتْ جَسَّه لَا يَرِيحُ الرُّوحَ إِلَّا رُؤْيَاهُ
نَحْنُ قَوْمٌ قَدْ جَهَلْنَا أَضْلَانَا نَحْنُ طَيْرٌ وَأَضَعْنَا عُشَّنَا^(١)
عَلَّمْنَا إِنْ كَانَ سَاءَ جَوْهَرَا كَانَ لِلْعَيْنِ الْحِجَابَ الْأَكْبَرَا
وَإِذَا بِالْعِلْمِ حَقَّقْنَا النَّظَرَ فَالسَّيْلُ وَالذَّلِيلُ يُغْتَبَرُ
وَيُورِيكَ لِلْجُودِ قُشْرَهُ وَيَقُولُ سَلْ تَبَيَّنْ مِرَّةً
رَامَ تَمْهِيدَ الطَّرِيقِ دَائِمَا أَيْقُظَ الشَّوْقَ وَكَانَ نَائِمَا
وَهَبَ النَّارَ لِقَلْبٍ وَالْوَجِيئَا وَبِجَوْفِ اللَّيْلِ قَدْ أَهْدَى النَّحْيَا^(٢)
إِنَّهُ مَا فَسَّرَ الدُّنْيَا لَنَا عَيْنَنَا رَبِّي وَرَبِّي قَلْبَنَا
وَالِي جَذْبٍ وَشَوْقٍ يَرْفَعُكَ مِثْلَ جَبْرِيلَ أَرَاهُ يُدْعُكَ^(٣) !
هَلْ يُتَبَّحُ الْعِشْقُ يَوْمًا عَزْلَةً إِنَّهُ يَخْشُدُ مِنْهُ مُقْلَةً^(٤) !

كَانَ فِي الْبَدْءِ الرَّفِيقَ وَالطَّرِيقَا

ثُمَّ بِمَضَى بَعْدَ أَنْ يَنْسَى الرَّفِيقَا

عَنْ قُصُورٍ سِرَتْ عَنْ حُورٍ بَعْدَتْ زُورَقِي رُوحِي وَفِي نُورٍ فَقَدَتْ

(١) الطير : الطيور .

(٢) الوجيب : خفقان القلب . والنَّحْي : رفع الصوت بالبكاء .

(٣) يدع : يخلق .

(٤) أي إن العشق لا يتبع للعاشق خلوة مع الحبيب .

والغريقَ كُنْتُ فِي هَذَا الْجَمَالِ
وَفَقَدْتُ فِي ضَمِيرِ الْكَائِنَاتِ
إِنَّمَا أَوْتَارُهَا كَانَتْ رِيَابًا
أَمْرَةٌ تَخُنُ بِهَا نَارٌ وَتُورِ
وَأَمَامَ الرُّوحِ مِرَآةٌ أَقِيَمَتْ
وَصَبَاحُ الْيَوْمِ مِلْءُ الْعَيْنِ نُورٌ
وَبِاسْرَارٍ لَهُ رَبِّي بَدَا
وَأَزْدِيَادٌ لَا يَخْشَوْنَ أَنْ يُرَى
رَدَّدَ الْعَبْدُ وَمَوْلَاهُ النَّظَرُ

وَهُوَ بِالتَّبْدِيلِ يَحْمِي مَنْ زَوَالَ
فَالْحَيَاةُ كَالرِّيَابِ الصَّادِحَاتِ^(١)
كُلُّ لَحْنٍ كَانَ فِي قَلْبِي جَرَابًا
أَدَمَ وَالشَّمْسُ جَبْرِيلُ وَخُسُورٌ
بِالْيَقِينِ خَيْرَةٌ طَالَتْ فَشِيَّتْ^(٢)
لَغْدٍ فِيهِ وَلِلْأَنْفُسِ الظُّهُورُ
نَفْسُهُ بِالْعَيْنِ مَنِي شَاهِدَا
بَلْ خَرُجُ الْجِسْمِ مِنْ قَبْرِ الثَّرَى^(٣)
فَإِذَا شَكْوَاهُمَا شَكْوَى الْحَسَرِ^(٤)

طَلَبَ تِلْكَ الْحَيَاةَ حَيْثُ كَانَتْ

أَيْنَا الصَّيْدُ ؟ رَمُوزٌ مَا اسْتَبَانَ

لَذَّةُ الرُّوْيَةِ كَانَتْ فِي جَنَانِي
« أَنْتَ نَوْرَ الْعَالَمِينَ قَدْ وَهَبْنَا
مَا رَأَى الْإِنْصَافَ مِنْهَا الْحَرُّ مَرَّةً
غَالِبٌ فِي الْعَيْشِ مَسْرُورٌ طَرِبُ
إِنَّ الْأَسْتِعْمَارَ مِنْهُ كُلُّ نَكْسٍ
وَعِلْمُ الْغَرْبِ نَهْبٌ يُذَكَّرُ

وَمِنْ الْعِشْقِ جَرُوتٌ فِي لِسَانِي^(٥)
فِلْسَى دُنْيَا الثَّرَى هَلَّا نَظَرْنَا
غَيْرَ شَوْكِ لَمْ يَجِدْ فِي كُلِّ زَهْرَةٍ
وَاللِّبَالِي عَدَّهَا مَنْ قَدْ غُلِبَ !
يَا لَهُ لَيْلًا يُرِيدُ حَجَبَ شَمْسٍ
وَبِلَا خَيْدَرٍ دَيْرٍ خَيْرٍ^(٦)

(١) الرياب : من آلات الطرب .

(٢) شابه : مزجه .

(٣) يحور : ينقص .

(٤) الحسر : التعب .

(٥) الجنان : القلب .

(٦) المراد بالذكر أنَّ هذا النّهب معروف للناس يذكرونه جميعاً . وإقبال يشير إلى ما كان من أمر عليّ كرم الله وجهه في غزوة خيبر ، وقد سبق بيان ذلك .

إِنَّمَا الْمُسْكِينُ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَفَكَّرُوا نَدُّ وَمِنْهُ الْعَقْلُ نَاهَا^(١)
 نَحْنُ فِي الدُّنْيَا نَمُوتُ أَرْبَعًا أَذْكَرُنْ مِنْهَا الْمُرَابِّي الْأَجْشَعَا^(٢)
 أَيْلِيْقُ بِكَ هَذَا الْعَالَمُ
 مِنْهُ فِي ذَيْلِكَ طِينُ أَقْتَمِ^(٣)

نداء الجمال الأبدى

مِنْ جَمِيلٍ وَقَبِيحٍ رُبْنَا
 مَا الْوَجُودُ هَلْ عَرَفْتَ يَا نَجِيبُ ؟
 كَانَ هَذَا الْخَلْقُ نِشْدَانًا لِعِشْقٍ
 وَضَجِيجُ مَا يَكُونُ أَوْ غَيْرُ
 الْفَنَاءِ لِلْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ
 أَنْتَ حَيٌّ ؟ حَرٌّ شَوْقًا وَاخْلُقِ
 مَا تَرَاهُ لَا يَوَاتِي فَلْتُحْطَمْ
 كُلُّ حُرٍّ كَانَ مَكْرُوبًا حَزِينًا
 أَعْلَى الْإِبْدَاعِ أَنْتَ غَيْرُ قَادِرٍ ؟
 خَطُّ نَقْشًا ، إِنَّ هَذَا نَقْشُنَا
 مِنْ جَمَالِ اللَّهِ أَنْ يُلْفَى النَّصِيبُ^(٤)
 وَالظُّهُورُ بِالْجَمَالِ عِنْدَ خَلْقِ^(٥)
 بِجَمَالٍ عِنْدَنَا يَبْدِي الْأَثَرُ^(٦)
 إِنَّهَا خَلْقٌ وَشَوْقٌ لِلْقَاءِ
 كُلُّ أَفْقٍ مِثْلُنَا فَلْتَطْرُقِ
 عَالَمًا مِنْكَ إِلَيْكَ فَلْتَقْدَمْ^(٧)
 أَنْ خَوَاهُ عَالَمٌ لِلْآخِرِينَ
 لَسْتَ فِي رَأْيٍ لَدَيْنَا غَيْرَ كَافِرٍ

(١) نَدُّ : نَفَرٌ وَشَرْدٌ .

(٢) أي نموت أربع مرات . وفي الأصل أن السبب في ذلك أربعة وهم المرابي ، والوالي ،
 وشيخ الطريقة ، والشيخ .

(٣) الأتَم : الذي يعلوه اللون القاتم .

(٤) يلفى : يوجد .

(٥) النشْدَان : الطلب . والخلق في الشطر الثاني بمعنى الناس .

(٦) غير : مضى .

(٧) يواتي : يوافق .

وعدمت حشاً حتى الأثر مِنْ نَخِيلِ الْعَيْشِ مَا ذُقْتَ الثَّمَرِ
مِنْ رَجَالِ اللَّهِ ؟ كُنْ سَيْفًا حَاسِمًا
عَالَمَ التَّقْدِيرِ فَاخْلُقْ ، وَالْمَرَامَا^(١) ،

زنده رود

عَالَمُ الْأَلْوَانِ عَنْهُ مَا الْخَيْرِ هَلْ يَعُودُ الْمَاءُ يَجْرِي فِي النَّهْرِ ؟
مِرُّ تَكَرُّرٍ عَنِ الدُّنْيَا غَرِيبٍ وَهُوَ فِي طَبْعِ لَهَا أَمْرٌ عَجِيبٌ
لَا تَجُوزُ رَجْعَةً تَحْتَ السَّمَاءِ لَمْ يَقُمْ قَوْمٌ تَلَاشَوْا فِي الْفَنَاءِ
لَا يَقُومُ الشَّعْبُ مِنْ أَعْمَاقِ قَبْرِ
مَا لَهُ مِنْ بَعْدِ قَبْرِ غَيْرِ صَبْرِ

نداء الجمال الأبدى

الْحَيَاةُ أَهْيَ تَكَرُّرِ النَّفْسِ ؟ أَصْلُهَا مِنْ قَوْلٍ « يَا حَيُّ » انْبَجَسَ^(٢)
إِنَّ قُرْبَ الرُّوحِ مِنْ « إِنِّي قَرِيبٌ » مِنْ حَيَاةِ الْخُلْدِ لِلْمَرْءِ النَّصِيبِ^(٣)
يَرْفَعُ التَّوْحِيدُ فَرْدًا بِالتَّقَاةِ يَجْعَلُ الشَّعْبَ أَحَادِيثَ الرُّوَاةِ^(٤)

(١) السيف الحسام : القاطع .

(٢) انبجس الماء : تفجر .

(٣) قال جل وعلا في سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] والله قريب علماً وإجابةً لتعالیه عن القرب مكاناً . قيل : إِنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَهُ ﷺ : أَقْرَبُ رَبِّنَا فِتْنَانِيهِ أَمْ بَعِيدُ فِتْنَانِيهِ ؟ فَتَرَلَّتِ الْآيَةُ . وَالْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ شَرْطُ فِي قَبُولِ الدَّعَاءِ .

(٤) التقاة : التقوى . وَأَرَدْنَا بِجَعْلِ الشَّعْبِ أَحَادِيثَ الرُّوَاةِ أَنَّ هَذَا الشَّعْبَ مَشْهُورٌ عِنْدَ النَّاسِ رَفِيعُ الْقَدْرِ .

وَعَنِ الشُّبْلِيِّ سَمِعْتُ أَوْ أَبِي ذَرٍّ طَفَرُلُ كَانَ لِشُعْبٍ ثُمَّ مِنْجَرٌ^(١)
بِالتَّجَلِّي كَانَ لِلْمَرْءِ الثَّبَات إِنَّهُ لِلْفَرْدِ وَالشُّعْبِ الْحَيَاة
وَلَقَدْ نَالَا بِتَوْحِيدٍ كَمَالَا حَقَّقَا هَذَا جَلَالَا ذَا جَمَالَا
وَهُمَا سَلَمَانُ فِي الْفَقْرِ التَّقْيِ وَسَلِيمَانُ لَهُ الْمُلْكُ الْعَلِي^(٢)
وَيَرَى الْوَاحِدَ هَذَا ، ذَاكَ وَاحِدٌ
جَالِسُنْ هَذَا وَذَاكَ فَلْتَعَاوِدْ

= وينقسم التوحيد أقساماً عدة : أولها التوحيد الإيماني الذي يمكن أن يسمى التوحيد
الامتثالي والتقليدي والتعبدية ، وهو توحيد العوام والمقلدين ، والثاني التوحيد
الاستدلالي والعقلي ، وهو توحيد علمي تحقيقي . وهذا توحيد علماء الكلام والحكمة
الإلهية . وثالثها توحيد الواصلين من الصوفية ، وهو توحيد حالي وكشفي . وعندهم
أنَّ حال التوحيد وصف لازم لذات الموحد ، وللتوحيد نور يكشف الظلمة عن
الصوفي ، وبذلك يشاهد الجمال الإلهي ، ويفضي به الأمر إلى أن يعدَّ التوحيد صفة
له ، ويصبح أشبه شيء بالقطرة التي تسقط من ذلك التوحيد في بحر .
(١) في الأصل بايزيد والشبلي وأبو ذر . وبايزيد هو بايزيد البسطامي من أهل القرن الثالث
الهجري ، من كبار الصوفية ، وأول من نسبت إليه الشطحات . والشبلي صوفي
بغداد ، يقال : إنه أول من صعد المنبر لينشر في الناس مبادئ التصوف ، وكان
يعظم الشرع ، ومات عام ٣٢٤هـ . وأبو ذر صحابي جليل مشهور بالزهد والورع ،
وأحد الأركان الأربعة عند الشيعة . طفرل بك : أول سلاطين السلاجقة ، وقد اتسع
في الفتوح ، واستولى على بغداد ، وذكر اسمه في الخطبة ، وتزوج ابنة الخليفة
العباسي القائم بأمر الله ، وكانت وقاته عام ٤٥٥هـ . وسنجر : آخر عظيم من سلاطين
السلاجقة ، وفي عهده أغار الأتراك على مملكته ووقع مع زوجه في أسرهم وتوفي عام
٥٥٢هـ .

(٢) سلمان الفارسي أعلى صحابة الرسول ﷺ قدراً ، وله شهرة مستفيضة بالعلم ،
والزهد ، والورع ، وهو مذكور في الشعر الفارسي خصوصاً على أنه المثل الأعلى
للمسلم التقى الذي رفعته تقواه إلى منزلة ما بعدها من منزلة . أما سليمان فهو
سليمان بن داود عليه السلام ، وكان عظيم الحكمة ، وسخر الله الرياح له يصرفها
بأمره ، وله بساط الريح يطير به ، كما كان له من الجن جنود وملك عظيم .

أَنْتِ يَا مَنْ « لَا إِلَهَ » قُلْتَ مَرَّةً أَيُّ شَيْءٍ أَلْفُ عَيْنٍ خَلْفَ نَظَرَةٍ ؟
 وَلَا أَهْلَ الْحَقِّ دَعَاوِي وَخَدَّتْ وَلَهُمْ قَلْبٌ وَدَوْرٌ أَبَعَدَتْ
 تُضْبِحُ الذَّرَّةُ شَمًّا بِالنَّظَرِ نَظَرَةٌ كُنْ ، وَالْإِلَهَ مَا اسْتَبْرَأَ
 نَظَرَةٌ بِاللَّهِ كَيْفَ تَزْدَرِيهَا وَالتَّجَلَّى كَانَ لِلتَّوْحِيدِ فِيهَا
 وَإِذَا التَّوْحِيدُ شَعْبًا اسْكُرَا فَمَكَانُ الشَّعْبِ فِي أَعْلَى الدَّرَى^(١)
 إِنَّ رُوحَ الشَّعْبِ بَيْنَ النَّاسِ كَانَتْ لِلْحُلُولِ قَطُّ جِسْمًا مَا أَرَادَتْ
 بِاجْتِمَاعِ الْقَوْمِ لِلرُّوحِ الْبَقَاءَ وَالثَّنَاتُ فِيهِ لِلرُّوحِ الْفَنَاءَ^(٢)
 نَظَرَةٌ شَرُّدَ بِهَا نَوْمَ اللَّحُودِ عِشْ طَوِيلًا دَعَاكَ مِنْ هَذَا الشَّرُودِ^(٣)
 وَخَدَةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَعْمَالِ حَقُّ خَاتَمَ الْمُلْكِ إِلَيْهِ الْيَوْمَ فَاشِيقُ

زنده رود

مَنْ أَنَا مَنْ أَنْتَ أَيْنَ الْعَالَمُ طَالَ بَعْدُ يَتَنَا لَا أَعْلَمُ
 قُلْ لِمَاذَا كُنْتَ فِي أَسْرِ الْقَدَرِ لَا تَمُوتُ وَأَمُوتُ مَا الْخَبَرُ ؟

نداء الجمال الأبدي

أَنْتَ فِي دُنْيَا الْحُدُودِ الْأَرْبَعِ كُلُّ مَنْ فِيهَا يَلَاقِي مَضَرَّةً
 إِنْ تَرَدَّدَ عِشًّا فَتِلْكَ الذَّاتُ أَسْبَقُ بَعْضُهَا فِي بَعْضِهَا الدُّنْيَا لِتَغْرَقَ^(٤)
 مَنْ أَنَا مِنْ بَعْدُ تَدْرِي بَلْ وَأَنْتَا كَيْفَ فِي دُنْيَاكَ عِشْتَ ثُمَّ مَتَا

(١) الدَّرَى : جمع ذروة ، وهي أعلى الشيء .

(٢) الثَّنَاتُ : التفريق .

(٣) أَرَدْنَا بِالشَّرُودِ هُنَا مَا أَرَادَ إِقْبَالُ بَعْدِ الْمُرَكِّزَةِ ، أَيِ : الْخُرُوجِ عَلَى الْجَمَاعَةِ .

(٤) أَسْبَقُ هُنَا بِمَعْنَى أَفْضَلُ ، وَقَبْلُ كُلِّ شَيْءٍ .

أَعَذِرُ الْجَاهِلَ بِالْجَهْلِ اغْتَدِرْ وَالتُّقَابِ ارْزُقْهُ عَنْ وَجْهِ الْقَدَرِ
ثُورَةٌ لِلرُّوسِ وَالْأَلْمَانِ كَانَتْ خَفَقَةُ الْأَرْوَاحِ فِي الْإِسْلَامِ بَانَتْ
دَبَّرَ الشَّرْقُ وَهَذَا الْغَرْبُ دَبَّرَ قُلْ أَجْبَنِي مَا الَّذِي كَانَ الْمُقَدَّرُ

ظهورُ تَجَلِّي الجلال

بَغْتَةً دُنِيََا لِدَاتِي مَا زَايَتْ إِنَّ أَرْضِي وَسَمَائِي قَدْ شَهِدَتْ
غَرِقَتْ دُنْيَايَ فِي نَوْرِ الشَّفَقِ وَعَلَيْهَا الْأَخْمَرُ الْقَانِي انْطَبَقَ
بِالتَّجَلِّي مَا جَ عَفَقُ مُهْجَتِي كَالْكَلِيمِ بِالتَّجَلِّي نَشُوتِي^(١)
نُورُهُ أَبَدَى الْخَفِيِّ لِلْعِيَانِ مِنْهُ قَدْ أَضْبَحْتُ مَسْلُوبَ اللِّسَانِ

مِنْ ضَمِيرِ عَالَمٍ لِلْكَيفِ وَالْكَمِ
أَطْرَبَ السَّامِعِ مَشْبُوبُ النِّقَمِ
« إِنْسَ شَرْقًا لَا تَكُنْ مِنْ سِخْرِ غَرْبٍ كَالْأَسِيرِ
فَالْقَدِيمُ وَالْجَدِيدُ مَا هُمَا غَيْرُ النَّقِيرِ^(٢)
عِنْدَ شَيْطَانٍ قُمِرَتْ وَفَقَدَتْ خَاتَمًا^(٣)
وَلَدَى جِبْرِيلَ رَهْنٌ أَغْسَرَ الْأَمْرَ الْعَسِيرُ
الْحَيَاةُ زَانَتْ الْجَمْعَ وَصَانَتْ ذَاتَهَا
أَنْتَ فِي الرُّكْبِ وَحِيدًا كُنْ وَوَاقِبْ فِي الْمَسِيرِ^(٤)

(١) الكليم : موسى عليه السلام .

(٢) النقيير : النكته في ظهر التواء ، وهي مضرب المثل في الحقارة . يقال لا يملك شروى نقيير ، أي : مثل نقيير « بمعنى : لا يملك شيئاً .

(٣) قَمَرَ : غلبَ في القِمَارِ .

(٤) الرُّكْب : أصحاب الإبل في السفر ، والمراد هنا : القافلة . وواكب : ساير ، وركب «

فُتَّتْ شَمْساً فِي ضِيَاءِ تَغْمُرُ الْأَفَاقَ نُوراً
عِشُّ وَكُلُّ ذَرَّةٍ فِي الْكَوْنِ فَاعْمَرُهَا بِنُورِ
كَهَشِيئِهِمْ حَمَلَتْهُ بِالْجَنَاحَيْنِ الصَّبَا
انْقَضَتْ أَيَّامُ خُسْرُو ، دَالَ عَصْرُ الْجَهِيرِ^(١)
ضَبِقُ كَأْسٍ فِي يَدِيكَ كَانَ لِلْحَنَاتِ عَاراً
ازْتَشَفَ كَأْسَ الْحُمَيَّا وَلِتَكُنْ ذَاتَ الْخَرِيرِ^(٢)



مع الراكبين .

- (١) خسرو : هو خسرو برويز الذي أوفد النبي ﷺ إليه رسولا في العام السادس للهجرة يحمل كتاباً فيه الدعوة إلى الإسلام . ولكن خسرو غضب ، ومزق الكتاب ، فمزق الله ملكه ، وسلط عليه ولده شيرويه الذي قتله . وقد تطاولت الحروب بينه وبين الروم ، وبعداً آخر عظيم من ملوك الساسانيين .
- ودال الزمان : انقلب من حال إلى حال . والجهير : الخلق بالخير والمعروف . وقد أردنا به الملك دارا ، وذلك لأنه حين قدم إلى مصر عام ٥١٧ قبل الميلاد ؛ أظهر لرجال الدين من المصريين كل آيات التسامح والتبجيل ، وأمر بترميم المعابد ، وعرف كيف يجذب قلوب المصريين إليه حتى عدوه من فراعينهم . وقد أصلح نظم الري . وجلب الكتب من إيران لتزويد المكتبات في مصر بها ، وبسط رعايته على العلوم ، وعلم الطب خاصة .

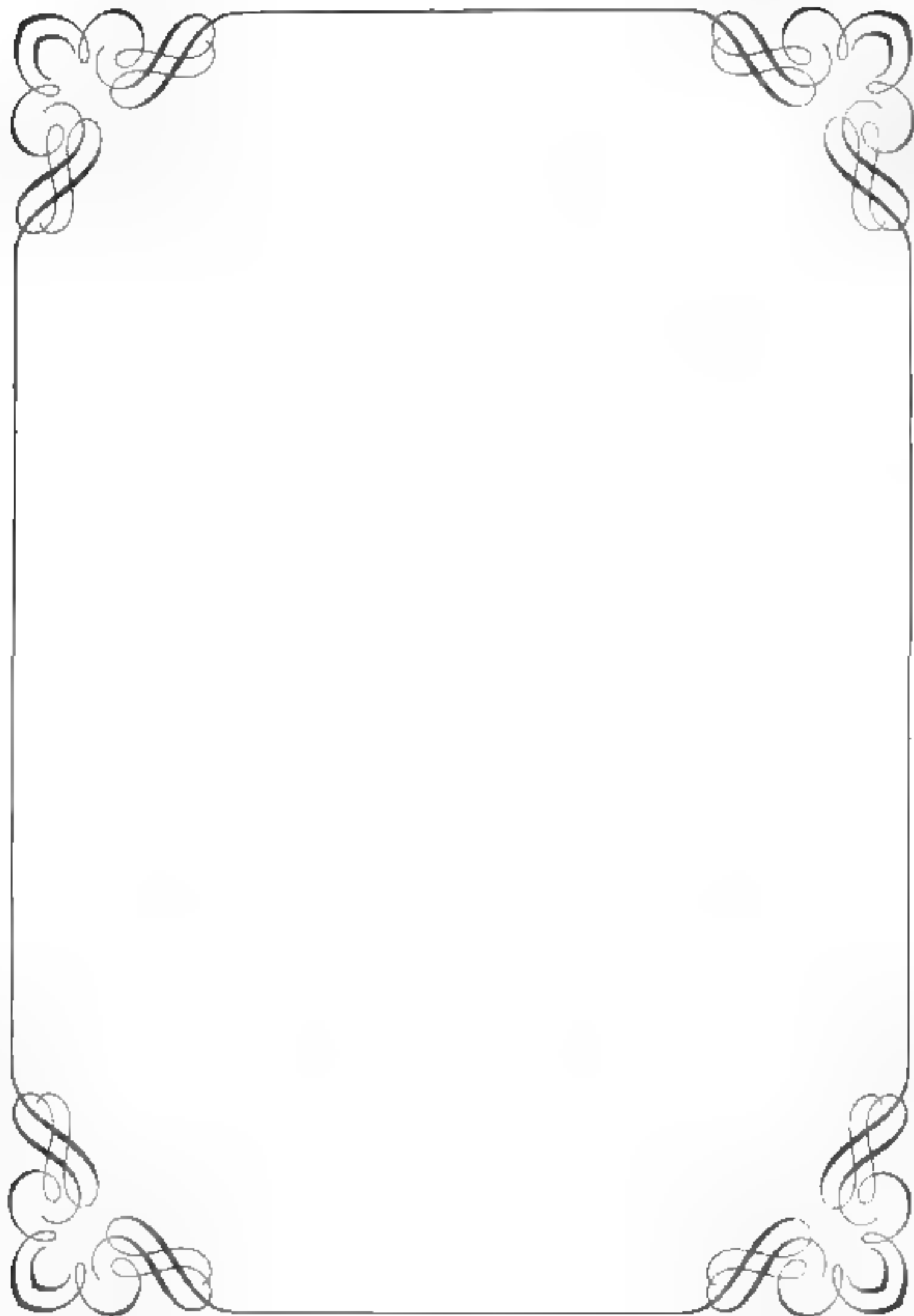
- (٢) الحميا : الخمر . ولإقبال في هذا من كلامه نزعة صوفية جليلة ؛ لأن الخمر في شعر الصوفية رمزاً إلى نشوة العشق الإلهي .

القسم الثامن

كلمة

إلى الجيل الجديد





وفي الأخير أن الدكتور محمد إقبال يتمنى للإسلام جيلاً جديداً ، شبابه طاهر نقي ، وضربه موجع قوي ، إذا كانت الحرب فهو في صولته كأسد الشرى ، وإن كان الصلح فهو في وداعته كغزال الحمى ، يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل ، هذا مع الأعداء وذلك مع الأولياء ، إذا تكلم كان رقيقاً رقيقاً ، وإذا جد في الطلب كان شديداً حقيقاً ، وكان في حالتي الحرب والصلح عفيفاً نزيهاً ، آماله قليلة ، ومقاصده جليلة ، غني القلب في الفقر ، فقير الجسم والبيت في الغنى ، غيور في العسر ، رؤوف كريم عند اليسر ، يظماً إن أبدى له الماء منة ، ويموت جوعاً إن رأى في الرزق ذلة ، إذا كان بين الأصدقاء كان حريراً في النعمة ، وإن كان بين الأعداء كان حديداً في الصلابة ، كان طلاً وندى ، تتفتح به الأزهار وترف به الأشجار ، وكان طوفاناً تصطرع به الأمواج وترتعد له البحار ، إذا عارض في سيره صخوراً وجبالاً كان شلالاً ، وإن مر في طريقه بحداثق كان ماء سلسالاً ، يجمع بين جلال إيمان الصديق ، وقوة علي ، وفقر أبي ذر ، وصدق سلمان ، يقينه بين أوهام العصر كمصباح الراهب في ظلمات الصحراء ، يعرف في محيطه بحكمته وفراسته ، وبأذان السحر ، الشهادة في سبيل الله أحب إليه من الحكومات والغنائم ، يقتنص النجوم ، ويصطاد الأسود ، ويباري الملائكة ، ويتحدى الكفر والباطل أينما كان ، يرفع قيمته ويزيد في سعره ، حتى لا يستطيع أن يشتريه غير ربه ، شغلته مآربه الجليلة ، وحياة الجد والجهاد عن زينة الجسم والتأنق في اللباس ، شعر بإنسانيته ، فترفع عن تقليد الطاووس في لونه ، والعنديل في حسن صوته^(١) .

إِنَّ تَتَمَيَّقَ الْكَلَامَ غَيْرُ مُجْدٍ فَالْفَوَادُ مَا احْتَوَاهُ لَيْسَ يُبْدِي

(١) مقتبس من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، ص ٧٣ - ٧٤ .
طبع دار ابن كثير بدمشق .

قُلْتُ قَوْلًا مَا عَلَيْهِ مِنْ حِجَابٍ مَا تَبْقَى مِنْهُ يَنْبُو عَنْ كِتَابٍ !
 بِالْكَلَامِ كُلِّ مَعْنَى لِي تَعَقَّدُ وَيَزِيدُ اللَّبْسُ مِنْ صَوْتٍ تَرَدَّدُ
 نظرتي منها أفهمنَّ ما اشتَعَرُ^(١)

أَوْ أُنِينِي وَصِدَاءُ فِي السَّخَرِ
 دَرَسَتْكَ الْأَوَّلَ أَمْ لَقَّنَسْتُ بِالنَّيِّمِ بُرْعُمًا قَدْ فَتَحْتُ
 وَنَسِيتُ الْأُمَّ هَذَا عَطَّرَكَ فَعَزَّزْتُ ، وَبَحْنَنِي صَوَّرَكَ
 دَوْلَةً لِلْخُلْدِ مِنْهَا نِلْتُهَا عَلَّمْتُكَ « لَا إِلَهَ » قُلْتُهَا
 يَا بُنَيَّ أَنْتَ خُذْ عَنِّي النَّظَرَ وَاحْتَرِقْ مِنْ « لَا إِلَهَ » فِي الشَّرَرِ
 « لَا إِلَهَ » قُلْ وَمِنْ رُوحٍ غَمِيقٍ لِيَكُونَ الْجِسْمُ كَالْمِسْكِ الْفَتِيقِ^(٢)
 إِنَّهَا شَمْسًا وَبَدْرًا قَدْ أَدَارَتْ شَعْلَةً فِي الْقَشْرِ وَالْأَطْوَادِ صَارَتْ^(٣)
 يَا لَهَا حَرْفَيْنِ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ بَلْ هُمَا فِي كَفِّ مِضْرَابِ حُصَامِ^(٤)
 نَارُهَا نَضْرُ مَبِينٌ عِشْنُ بِهَا
 إِنَّهَا ضَرْبٌ أَفْذُ مِنْ ضَرْبِهَا

مُؤْمِنٌ دَابٌّ لَهُ عَقْدُ النُّطَاقِ مُؤْمِنٌ بِالْغَدْرِ يَرْضَى وَالنَّفَاقِ !
 وَيَفْلِسُ شَعْبُهُ وَالْدِّينَ بَاعَا أَخْرَقَ الدَّارَ قَضَاعَتْ وَالْمَتَاعَا
 فِي صَلَاةِ الْبَقَاءِ وَالْفَنَاءِ وَهُمَا كَانَا دَلَالًا فِي الدَّعَاءِ^(٥)
 إِنَّ نَوْرًا مَا تَبْقَى فِي صَلَاتِهِ وَالتَّجَلَّى قَدْ نَأَى عَنْ كَائِنَاتِهِ
 كُلُّ مَنْ يَغْبُدُ فِي الدُّنْيَا الْخُطَامَا عَشِقَ الْمَالَ كَمَا خَافَ الْجِمَامَا

(١) استعر : اشتعل .

(٢) المسك الفتيق : المخلوط بشيء أدخل عليه ؛ لتسطع رائحته .

(٣) كاه في الفارسية بمعنى قش ، وكوه بمعنى جبل . وقد أراد الشاعر أن يتلاعب بهذين اللفظين .

(٤) المضراب : الكثير الضرب . والحسام : السيف .

(٥) يقول : إن لا إله هي البقاء والفناء في صلاته ، كما أنها دلالة في دعائه .

ما انتشى ما ذاق شيئاً من حُبُورٍ وكتابُ الدِّينِ في جَوْفِ القُبُورِ^(١)
 ويقولُ ما يظُنُّ اليَوْمَ حقاً عَنْ نَبِيِّنَ تَلَقَّى ما تَلَقَّى
 مِنْ بلادِ الفُرسِ هذا ، ذاكَ هِندي « حَكْمٌ حَجٌّ وَجِهَادٌ لَيْسَ عِنْدِي »^(٢)
 إِنَّ حَجَّاً وَجِهَاداً وَاجِبَانِ لَصَلَاةٍ أَوْ لَصَوْمٍ كَالْجَنَانِ^(٣)
 إِنَّ رَوْحاً فِي الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ إِنَّ نَاتِ فَالشَّعْبُ مُخْتَلُ النُّظَامِ
 لَيْسَ لِلْقُرْآنِ فِي الْقَلْبِ الْأَثَرُ فِيهِمَا الْأَمَالُ خَابَتْ لِلْبَشَرِ^(٤)
 مَسْلَمٌ عَنْ ذَاتِهِ تَلَكَّ انْفَرَدَ^(٥)
 قَدْ طَغَى الْمَاءُ فَيَا خَضِرُ الْمَدَدُ^(٥) !
 سَجْدَةً ، وَالْأَرْضُ مِنْهَا زُلْزِلَتْ وَأَرَادَتْ ، فَالْشُّمُوسُ أُجْرِيتْ
 وَالصُّخُورُ إِنْ دَرَتْ عَنْهَا الْخَبَرُ فَهِيَ فِي الْجَوِّ دُخَانٌ وَانْتَشَرُ^(٦)
 ذَاكَ عَصْرٌ كَانَ فِيهِ خَفْضُ هَامِ دَبَّ ضَعْفُ الشَّيْخِ مِنْهُ فِي الْحُطَامِ^(٧)
 « رَبِّي الْأَعْلَى » أَكَانَتْ عِنْدَنَا ! ذَنْبُهُ هَذَاكَ أَوْ ذَنْبٌ لَنَا ؟
 فِي مَيْلٍ كُلَّنَا قَدْ أَسْرَعَا لَهُ النَّاقَةُ جَافَتْ مَهْيَا^(٨)
 صَاحِبُ الْقُرْآنِ مَا ذَاقَ الطَّلَبُ !
 الْعَجَبُ ثُمَّ الْعَجَبُ ثُمَّ الْعَجَبُ
 إِنْ بِفَضْلِ اللَّهِ فَاضَ عِلْمُكََا فَيَأْتِي لِلزَّمَانِ غَيْرُكََا

(١) الحبور : البهجة .

(٢) ما بين قوسين كلام هذين الرجلين .

(٣) الجنان : القلب ، وفي الأصل : الروح .

(٤) أي أن أمثال هذين الرجلين الذين لم يذكر إقبال اسماً لهما .

(٥) انفرد : تنحى ، واعتزل . وهو يستنجد الخضر بعد أن طغى الماء وخيف الغرق .
والخضر هو الذي دل الإسكندر على ماء الحياة وقد أسلفنا الإشارة إلى خبره .

(٦) أي إن عرفت الصخور خبر تلك السجدة .

(٧) الهام : جمع هامة وهي الرأس .

(٨) جافت : أبعدت . والمهيع : الطريق الواسع .

لَمْ يَخَفْ عَقْلٌ وَقَلْبٌ لَمْ يَذُبْ
كُلُّ عِلْمٍ كُلُّ فَنٍّ كُلُّ دِينٍ
آسِيَا أَرْضُ الشُّمُوسِ الْمُشْرِقَاتِ
لَا جَدِيدَ جَدٍّ لِلْقُلُوبِ الْغَرِيرِ
وَحَوَاهَا ذَلِكَ الدَّيْرُ الْقَدِيمِ
صَنِيدُ شَيْخٍ أَوْ لِسُلْطَانٍ مَلَكِ
عَقْلُهَا وَالذِّينُ بَلْ حَتَّى الشَّرَفِ
فَعَلَى أَفْكَارِهَا كُنْتُ الْمَغِيرَا

فَاضَ قَلْبِي بِالذَّمَا مِنْ قَرْطِ جَهْدِي
ثُمَّ دُنِيَاهَا أَنَا غَيَّرْتُ وَخَدِي

وَبَطْبَعِ الْعَصْرِ قُلْتُ لَفْظَتَيْنِ
لَفْظَةً تَلَفْتُ أُخْرَى تَلَسَّعُ
لَفْظَةً كَانَتْ بِمَقْيَاسِ الْفَرَنْجِ
أَصْلُ هَذَا الذِّكْرِ تِلْكَ بِنْتُ فِكْرِ
إِنِّي نَهَرٌ وَمِنْ تَبَعٍ لِأَصْلِي
طَبَعُ عَصْرِي ذَاكَ لَمَّا أَنْ تَغْيِيرُ

- (١) الغرير : من لا تجربة له . والشعر مضرِب المثل في رخص القيمة . يقول : إنه لا يظفر منها إلا بالريح والشعر ، فكأنه لم يظفر منها بشيء .
(٢) رام : فارق المكان .
(٣) يشبه إحدى هاتين اللفظتين بالأفعى التي تلصق ، والأخرى بعقرب تلسع ، وهو يشير بذلك من طرفٍ خفي إلى كتاب له بالإنجليزية بعنوان «إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام» كما يريد بجمع العقول والقلوب في شراكه : إقناعها ، وجذبها .
(٤) الصنج : معزف ذو أوتار .
(٥) أي : لتكن وارثاً للذكر والفكر .
(٦) يريد بهذا المنبع هذين البحرين اللذين أسلف الإشارة إليهما .

غَيَّرَ الْأَصْدَاءَ صَوْتٌ لِي تَحَرَّرَ

ظَمِيءُ الْفَتْيَانُ مَا فِي الْكُوبِ قَطْرَةٌ
عَقَلُهُمْ نَوْرٌ ، بِرُوحِ لَيْلِ خَسْرَةٍ
شَكُّهُمْ يَرْتُبُو وَيَجْتَاحُ الْيَقِينَا
مَا رَأَوْا شَيْئاً ، وَكَانُوا الْبَاسِينَا
يُنْكِرُونَ الذَّاتَ ! إِيْمَانٌ يَغْيِرُ !
رَفَعُوا مِنْ تَرْبِهِمْ بُنْيَانَ دَيْرٍ^(١)
لَيْسَ يَدْرِي الْقَضْدُ مِنْهُ الْمَكْتَبُ
أَنْ تَنَاسَى مَا بِقَلْبٍ يُجْذِبُ
وَمِنْ الْأَرْوَاحِ بِمَحْوِ نُورِ فِطْرِهِ
غُضْنُهُ مَا كَانَ فِيهِ قَطْرُ زَهْرَةٍ
صَفَّ أَحْجَارَ الْبِنَاءِ لَيْسَ يَدْرِي
وَطَبَاعَ الْبَطِّ يَهْدِي لِابْنِ صَفْرِ
وَعَلَى وَقْدٍ إِذَا لَمْ يَغْتَمِذْ
لَذَّةً لِلْوَارِدَاتِ لَمْ يَجِدْ^(٢)
وَبِهِ شَرْحُ الْمَقَامِ كَانَ غَايَةً
لَمْ يَكُنْ حَقّاً سِوَى تَفْسِيرِ آيَةٍ
وَبِنَارِ الْحَسَنِ طَوْعاً فَاخْتَرَقَ
عَنْ لَجِينِ لَكَ صُفْرٌ يَنْفَرِقُ^(٣)

بَادِيءٌ بِالْحَسَنِ يُنْهَى بِالْحَضُورِ

آخِرُ الْعِلْمِ أَيْقَى فِي الشُّعُورِ

كَمْ كِتَابٍ فِيهِ أَغْشِيَتْ الْبَصَرُ
خَيْرُ عِلْمٍ مَا عَرَفْتُ بِالنَّظَرِ^(٤)
إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ صَبُّ خَمْرَةٍ
يَا لَهَا مِنْ بَعْدُ رَشْفٍ سَكْرَةٍ
تُطْفِئُ الْمَصْبَاحَ أَنْفَاسُ لِفَجْرِ
وَرْدَةُ الْبُسْتَانِ مِنْهَا كَأْسُ خَمْرِ^(٥)
لَا تُطْلُ فِي الْقَوْلِ وَاقْتِنَعْ بِالْفِرَازِ
حَوْلَ ذَاتِي كُنْ كَفَرَجَارٍ مَذَارٍ^(٦)
مَنْكَرُ الذَّاتِ لَدَيَّ مِنْهُ شَرٌّ^(٧)

(١) التراب : الثراب ، والبنيان : الجدار .

(٢) الوقد : النار ، والواردات : ما يورد على القلب من خواطر .

(٣) اللجين : الفضة ، والصفر : النحاس الأصفر ، انفرق عنه : انفصل .

(٤) أعشاه : جعله أعشى ، أي لا يرى ليلاً .

(٥) يقول : إن نسيم الفجر يطفىء نور المصباح ، كما يفتح البرعم ، فيصبح زهرة ينسكب فيها الندى ، فكأنها كأس خمر .

(٦) الفرار : القليل من النوم ، والفرجار : آلة ذات ساقين ترسم الدوائر .

(٧) أي : أن منكر الذات أشد كفرة ، وأكثر شراً من منكر الله .

منكراً لله بإنكار عَجُولٍ ذَا عَجُولٍ وَظُلُومٍ بَلْ جَهْلُولٍ
 وعلى الإخلاصِ شِدَّةَ قَبْضَتِكَ رَهْبَةَ السُّلْطَانِ جَنْبَ شَيْمَتِكَ^(١)
 أَرْضَ عَنْ عَذْلِ الْقَوِي لَا تَبْتَعِذْ فِي غِنَاكَ بَلْ وَفِي الْفَقْرِ اقْتَصِدْ
 يَضْعُبُ الْحُكْمُ ؟ حَذَارٍ لَا تُؤَوِّلْ وَعَلَى قَلْبِكَ مَصْبَاحاً فَعَوِّلْ^(٢)
 يَحْفَظُ الْأَرْوَاحَ ذِكْرٌ ثُمَّ فِكْرٌ يَحْفَظُ الْجِسْمَ لِيْلِكَ النَّفْسُ أَمْرٌ
 كُلُّ حَكْمٍ فِي انْخِفَاضٍ وَارْتِفَاعٍ نَالَهُ جَسَماً وَرُوحاً مَنْ يُرَاعِي
 لَذَّةَ لِلَّيْثِ غَايَاتُ السَّفَرِ لَا تَطِيرُ إِنْ خَطَّتْ بِأَلْعَشِّ النَّظَرِ^(٣)
 وَيَدُورُ الْبَذْرُ يَحْظَى بِالْمَقَامِ مَا الْمَقَامُ عِنْدَهُ غَيْرُ الْحَرَامِ^(٤)
 أَنْ تَطِيرَ ، لِلْحَيَاةِ مَتْعَةٌ وَالتَّزَامُ الْعِشِّ فِيهَا ضَيْعَةٌ
 الْغُرَابُ رِزْقُهُ فِي جَوْفِ قَبْرِ عِنْدَ شَمْسِ رِزْقٍ شَاهِينَ ، وَيَذُرُ
 إِنَّ سِرَّ الدِّينِ أَكْلٌ لِلْحَلَالِ وَهُوَ صِدْقٌ وَالتَّمْلِي لِلْجَمَالِ^(٥)
 كُنْ قَوِيّاً وَابْغِ بِالْدِّينِ الْيَقِينَا وَارْبِطِ الْقَلْبَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَا^(٦)
 بَعْضُ سِرِّ الدِّينِ مِمَّا لَيْسَ يَظْهَرُ يَا بَنِيَّ اسْمَعْ حَدِيثِي عَنْ مُظَفَّرِ^(٧)

- (١) جنب شيمته رهبة السلطان : أي أبعد طبعه عن الخوف من السلطان .
 (٢) حول عليه : اعتمد عليه .
 (٣) يقال في الفارسية : خا ط عينه بكذا : أي حلق فيه ، ولم يبعد عنه نظره . وفي الأصل : إن كانت لك نظرة على العش .
 (٤) المقام : هو المرحلة في الطريق الذي يسلكه الصوفي . وينبغي أن يمر بسبعة مقامات هي : التوبة ، والورع ، والزهد ، والفقر ، والصبر ، والتوكل ، والرضا . ويريد إقبال بالمقام هنا مطلق المنزلة العالية . أما المقام بضم الميم فيمعنى الإقامة .
 (٥) التملّي : التمتع .
 (٦) في الأصل : كن صلياً كالماس وأبعد عن نفسك الوسواس .
 (٧) مظفر : من سلاطين كجرات . وهو ابن السلطان محمود الذي يسميه مسلمو الهند : بيكره .

وهو في أعماله فرد فريد
 فرساً كان يُعزُّ كالوَلَدِ
 أدهم من خير أفراس العرب
 ولدى المؤمن عز أو نفس
 أي وصف؟ إنه خير الجياد
 في الحروب مثبته لفتح البصر
 عذوة مؤز وفوز يوم حشر
 أشبه الإنسان فاعتل الجواد
 أحضر البيطار دناً من شراب
 غضب العاهل قال لا أريد

في علو للمقام بايزيد
 من حروب خاض أمسى في كبد^(١)
 ونجيب وكريم في النسب^(٢)
 الكتاب والخسام والفرس^(٣)
 مر ربحاً بالغدير والنجاد^(٤)
 أو كريح زلزلت طود الحجز
 يتحقق الحافر منه كل صخر
 ذات يوم ، قيل أضناه الكباد^(٥)
 وسقاه فانتفى داء العذاب^(٦)
 ذا الجواد ، فالتقى مني بعيد

نلت من ربك قلباً مُنحته

سلم هذا تامل طاعته

إنما الذين احتراق في الطلب
 وبلون عز وزد أو يعطـر
 إن رأيت الشاب هذا قد قـد
 وتزيد حرقه كانت بصـدري
 وأتوب من زمني الحاضر

وهو عشق ثم يتلو الأدب
 أدب إن غاب كان شرراً^(٧)
 فتهاري ضاع في ليل الأبد
 فلا إمام النبي كان ذكرى
 لأغيب في الزمان الغابر

(١) في كبد : في تعب .

(٢) الأدهم : الأسود . وقد يكون هذا السواد شديداً أو هيناً .

(٣) عز : صار عزيزاً ، ونفس : صار نفيساً . والمراد بالكتاب : القرآن الكريم .

(٤) الغدير : النهر . والنجاد : جمع نجد ، هو ما ارتفع من الأرض .

(٥) اعتل : مرض . والكباد : داء الكبد .

(٦) البيطار : طبيب التحيل . دُنُ الشراب : جرّة الخمر . انتفى : طرد .

(٧) الإصر : الذنب .

يَسْتُرُ الْمَرْأَةَ زَوْجٌ أَوْ ثَرَابٌ وَالرُّجَالُ حِذْرُهُمْ كَأَنَّ الصُّحَابَ^(١)
تَنْطَلِقُ الْعَوْرَاءُ ؟ ذَا كُلُّ الْخَطَا كَافِرٌ أَوْ مُؤْمِنٌ رُبِّي بِرَأ^(٢)
أَنْتَ إِنْسَانٌ ؟ أَخَاكَ فَاخْتَرِمَ لَيْسَ مِنَّا غَيْرَ هَذَا مَنْ عَلِمَ^(٣)
تَرِبْتُ النَّاسَ جَمِيعاً عُزْوَةً مِنْكَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ خُطْوَةٌ ؟
وَلَعَبْدِ الْعِشْقِ مِنْ رَبِّ طَسْرِيْق وَعَلَى الْكَافِرِ وَالْبَرِّ الثَّفِيقِ^(٤)
ضَمَّنَ السَّيِّئِينَ وَكَفَرَا قَلْبَكَ وَإِذَا مَا السَّيِّئِينَ فَرَّ وَيَلْكَأ !
لَيْسَ غَذَا الْقَلْبِ إِلَّا سَجَنُ طِين لَيْسَ فِيهِ كُلُّ أَفَرٍ كَالْوَضِيِّينَ^(٥)
إِنْ رَأَسْتَ الْقَوْمَ أَوْ صِرْتَ الْغَنِيَا فَعَلَى الْفَقْرِ اخْرِصَّ يَا بُنْيَا^(٦)
إِنَّهُ فِي الرُّوحِ مِنْكَ يَتَّقِد عَنْ أَبِي خَمْرًا وَرِثْتَ بَلَّ وَجَدَ^(٧)
لَا تَوْمَلْ غَيْرَ قَلْبِ ذِي أَلَم ادْعُ رَبًّا وَانْسَ كُلَّ مَنْ حَكَمَ

- (١) يقول : إِنَّ المرأة يسترها أن تتزوج أو تموت . كما يستر الرجل أن يأخذ حذرَه من أصدقاء السوء .
(٢) العوراء : الكلمة القبيحة . وبرأ : خلق .
(٣) أي لا يعد إنساناً منّا من تناسى وجوب احترام أخيه في الإنسانية .
(٤) البرّ : من يطيع الله .
(٥) الوضيين : ما انطوى وانثنى .
(٦) الفقر من مقامات الصّوفية . وهو ليس فقدان الغنى ليس إلا ، بل فقدان الميل إليه والرغبة فيه ، فينبغي للصّوفي أن يكون خالي اليد والقلب جميعاً ، وعلى هذا المعنى لا يتعارض الفقر مع جاء بعض الصّوفية ، ورفعة قدرهم ، وقد يكون لهم قدرٌ من المال ، ولكن الله يخفي حقيقتهم عن أهل الظاهر . قيل : إِنَّ الْفَقِيرَ هُوَ الَّذِي لَا يَمْلِكُ وَلَا يَمْلِكُ ، وَالَّذِي اسْتَصْفَى نَفْسَهُ فِي فَقْرِهِ تَقَرُّباً . كما قالوا : إِنَّ الْفَقْرَ لِبَاسُ الْمُرْسَلِينَ ، وَزِينَةُ الصَّالِحِينَ ، وَتَاجُ الْمُتَّقِينَ ، وَغَنِيمَةُ الْعَارِفِينَ ، وَرَغْبَةُ الْمُرِيدِينَ ، وَيُؤَثَّرُ عَنِ الصَّوْفِيَةِ قَوْلُهُمْ « الْفَقْرُ فَخْرِي » .
(٧) يشبه الفقر بالخمر المعتقد . والخمر في مصطلح الصّوفية نشوة العشق الإلهي .

كَمْ حَصِيفٍ وَهُوَ بِالْحَقِّ الْبَصِيرِ غَمَرَتْهُ نِعْمَةٌ فَهُوَ الضَّرِيرُ^(١)
 فِيهَا تِلْكَ الْقُلُوبُ أَصْلَدَتْ وَدَعَاءَ الْعَبْدِ عَنْهَا أُتْعِدَتْ^(٢)
 فِي الْبِلَادِ جُلْتُ أَعْوَاماً طَوَالَا لَغْنِي مَا رَأَيْتُ السُّدَمَعَ سَالَا^(٣)
 أَهْلَ فَقْرٍ مِنْ قَدَيْتٍ ، طَبْتُ نَفْسَا
 وَيْلُ مَنْ بِالنَّعْمَةِ الرَّحْمَنَ يَنْسَى
 أَتَرَوْمُ الذُّوقَ عِنْدَ الْمُتْلِمِينَ وَتُرِيدُ الشُّوقَ فِيهِمْ وَالْيَقِينَ
 إِنَّ لِلْقُرْآنِ عِلْماً لَيْسَ يُعْرَفُ وَالذُّنُوبُ إِنَّهُمْ أَهْلُ التَّصَوُّفِ !
 الصُّبْحُ وَالْعَجِيجُ فِي الْخَوَانِقِ أَيْسَ خَمِيرٍ لِحُسْنِ اللَّهِ عَاشِقٍ^(٤)
 قَلَدَ الْإِفْرَنْجَ مَنَا الْمُسْلِمُونَ مَنْ سَرَابٍ كَوَثُرَ مَا يَطْلُبُونَا
 وَيَسِرُّ دِينَنَا مَا عِلْمُهُمْ ؟ أَهْلُ حَقْدٍ وَعَدَاءٍ كُلُّهُمْ
 كُلُّ خَيْرٍ لِلْخَوَاصِّ كَالْحَرَامِ مَا رَأَيْتُ الصَّدَقَ إِلَّا فِي الْعَوَامِ
 التَّقِيَّ مِنْ غَوِيٍّ مَيَّزَنَ مَعَ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْقَضَلِ اجْلَسَنَ
 إِنَّمَا النَّسْرُ تَقَالِيداً أَلْفَ
 سَطْوَةِ الشَّاهِينَ طَارَ ، تَخْتَلِفُ
 رَجُلٌ اللَّهُ يُلَوِّحُ مِثْلَ بَرْقٍ حَطْباً يَجْعَلُ مِنْ غَرْبٍ وَشَرْقٍ
 نَحْنُ كُنَّا فِي ظِلَامِ الْكَائِنَاتِ وَهُوَ ذُو جِذْقٍ يَحُلُّ الْمُغْضَلَاتِ
 وَالْكَلِيمُ وَالْمَسِيحُ وَالْخَلِيلُ وَالنَّبِيُّ وَالْكِتَابُ ، جِبْرِئِيلُ^(٥)
 إِنَّ أَهْلَ الْقَلْبِ شَمْسُ الْكَائِنَاتِ نَوْرُهَا وَمَنَابُ هَاتِيكَ الْحَيَاةِ

(١) الحصيف : العاقل .

(٢) أصلدت الأرض : صلبت .

(٣) يريد ليقول : إنه لم يصادف غنياً رقيق القلب يحزن لمصاب غيره .

(٤) الخوانق : جمع خانقاه ، وهو المبنى الذي يقيم فيه الصوفية معتزلين متعبدين .
والخمير : مدمن الخمر . والمراد به الصوفي .

(٥) الكلیم : موسى ، والخليل : إبراهيم عليهما السلام . والكتاب هنا : هو القرآن الكريم .

وهي في نور لها قد أحرقتكما
تَحْنُ بالنَّار لها أصحابُ قلب
أنتَ في عَضْرٍ وَلَكِنْ أَيُّ عَضْرٍ
قَطَطُ رُوحٍ سِغَرُ جِسمٍ أَنْقَصَا
إِنَّ هَذَا مَا دَرَى مَعْنَى الطَّلَبِ
ذوقُ ذاكِ البَحْثِ لَا تَتْرُكُهُ مَدَّةُ
صُخْبَةِ النَّذْبِ اللَّيْبِ إِنْ عَدَمْنَا
اجْعَلِ الرُّومِيَّ رَفِيقاً فِي الطَّرِيقِ
يَعْرِفُ الرُّومِيَّ لُبَاباً مِنْ قُشُورِ
فَسَّرُوهُ مَا دَرَى الْمَعْنَى أَخَذَ
رَقَصَ جِسمٍ مِنْهُ كَانُوا يَفْهَمُونَا
رَقْصَةُ الْجِسمِ تَذُورُ بِالثَّرَابِ
رَقْصَةُ الْأَرْوَاحِ عِلْمٌ وَهِيَ حُكْمٌ

ذَلِكَ السُّلْطَانُ يَخْدُ عِلْمَتَكَ
أَوْ فَمَا مَاءٌ وَطِينٌ مِثْلَ شَوْبٍ (١)
غَارِقٌ فِي الْجِسمِ ، رَوْحاً لَيْسَ يَدْرِي
رَجُلٌ اللَّهُ لِسَدَاتِ نَكْصَا (٢)
وَهُوَ بِالْعَيْنِ يَرَى يَا لِلْعَجَبِ
وَلِتَوَاجِهْ فِي الْحَيَاةِ أَلْفَ عُقْدَةٍ
مَا لَدَيَّْ عَنْ أَبِي هَلَّا أَخَذْنَا
يُنْعِمُ اللَّهُ بِمَشْبُوبِ الْخُفُوقِ (٣)
فِي الطَّرِيقِ كَانَ مَوْضُوعَ الْمَسِيرِ
إِنَّ مَعْنَاهُ غَزَالٌ قَدْ شَرَدَ
رَقْصَةُ الرُّوحِ تَنَاسَى الْغَافِلُونَا
رَقْصَةُ الرُّوحِ لَهَا نَجْمُ السَّحَابِ
وَالْيَنَا الْأَرْضُ وَالْخَضِرَا تُضْمُ (٤)

(١) الشوب : القطعة من العجين . والمراد بها جسم الإنسان .

(٢) نكص : رجع . وفي الأصل : أنه اختفى في ذاته .

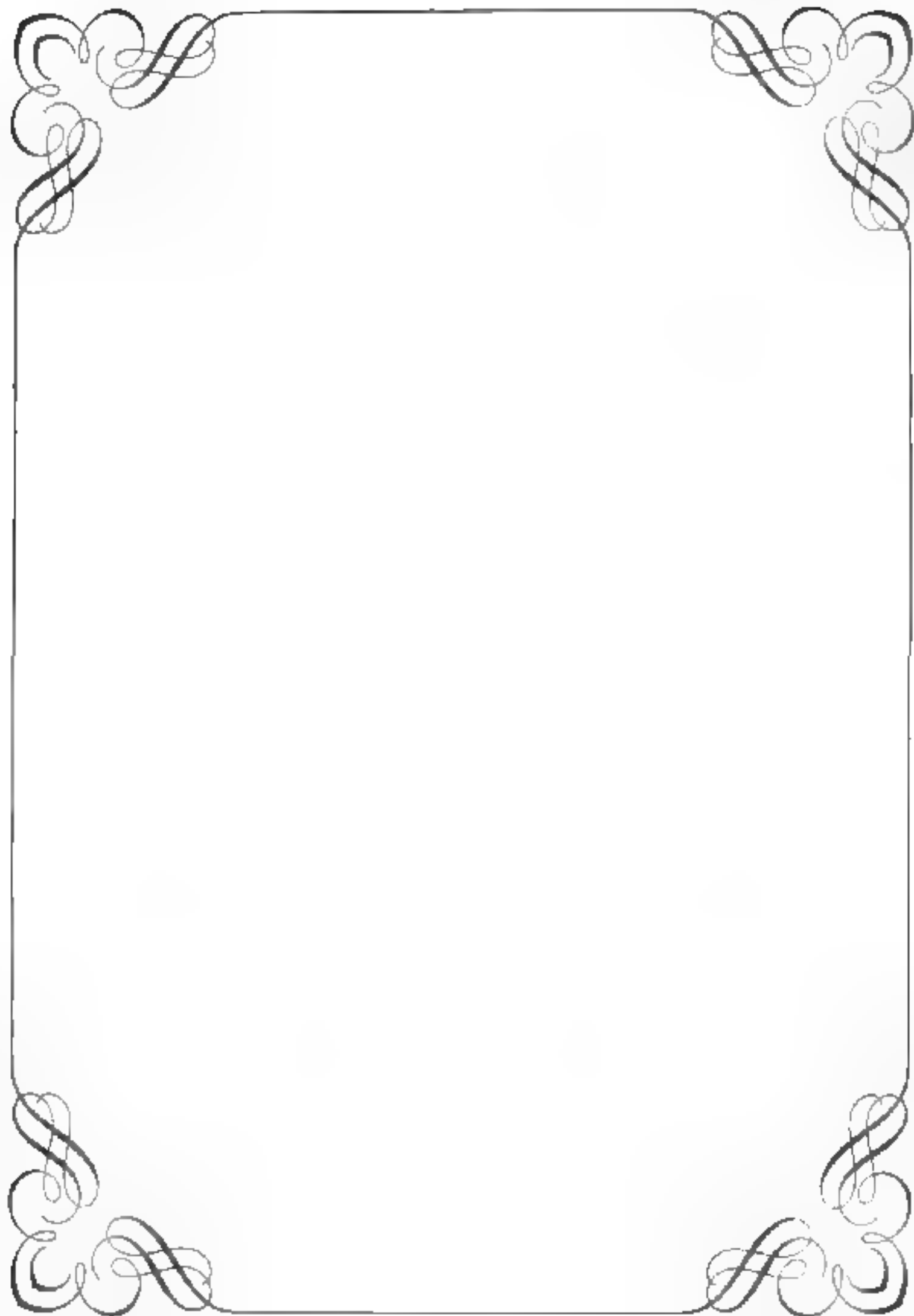
(٣) المشبوب : المشتعل .

(٤) الحكم : الحكمة . والخضرَاء : السماء . وإقبال هنا يحدثنا عن رقص الدراويش المولوية أتباع جلال الدين الرومي المعروف بمولوي المتوفى بقونية في الأناضول عام ٦٨٣ هـ . فقد كان مريدو جلال الدين الرومي يستعينون بالرقص والموسيقا على تحريك نشوة التصوف في قلوبهم . وجرت عاداتهم بالاجتماع فيما يعرف بسماع خانة أي بيت السماع ، وهو بهو متراحب الأرجاء في صدره مجلس للعازفين . ويدخل الدراويش بالطويل من قلائسهم والضيق من سراويلهم . وبعد التسليم على شيخهم تبدأ رقصتهم ، فيرفعون أذرعهم ، وقد اتجهت راحة يدهم اليمنى إلى أعلى وراحة اليسرى إلى أسفل . ويدورون بعض أطراف أصابعهم دوران الرحى حول قطبها بينما ينفخ في الناي وتقرع الطبول ثم يصلون على النبي ﷺ واضعين أيديهم على صدورهم ، ويحنون قامتهم ، وبذلك تنتهي رقصتهم .

جَذْبَةً لِّلْفَرْدِ مِنْهَا كَالْكَلِيمِ كُلُّ شَعْبٍ كَانَ ذَا الْمَلِكِ الْعَظِيمِ^(١)
 إِنَّ هَذَا لَيْسَ سَهْلًا فِي التَّعْلَمِ وَلَيَغَيِّرُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ التَّضَرُّمَ^(٢)
 وَيَنَارُ الْحَرِصِ إِنَّ قَلْبًا حَرَقْنَا فَبُرُوحٍ مِنْكَ قَطُّ مَا رَقَضْنَا^(٣)
 يُضْعِفُ الْإِيمَانَ فِي الْإِنْسَانِ هَمٌّ يَا بَنِيَّ إِنَّهُ يَصِفُ الْهَرَمَ^(٤)
 هَلْ عَلِمْتَ ؟ الْحَرِصُ فَقَرُّ حَاضِرُ إِنَّ مَوْلَايَ لَذَاتِ قَاهِرُ^(٥)
 بَكَ يَا « جَاوِيدُ » لِي رَوْحٌ تَطْيِبُ أَوْ لَوْ وَافَاكَ مِنْ هَذَا نَصِيبُ^(٦)
 لَشَرَحْتُ دِينَ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ
 وَأَطْلُتُ لَكَ فِي قُبْرِي دَعَائِي

وفي رأي الصوفية أنَّ السماع وما يفضي إليه من رقص يرقق القلوب ويتزعمهم من عالم
 الثرى ليسمو بها إلى العالم العلوي ، كما يشير الطرب في النفوس والخوف عند
 التائبين ، ويضرم نار المشتاقين . وفي الرقص يقول جلال الدين الرومي (إذا ما ذكرت
 البحر وأمواجه ، فما ذكرت شيئين متباينين ، لأن أمواج البحر هي البحر نفسه ، ولكن
 في ارتفاع وانخفاض . والموجُّ بعد هبوطه إلى البحر يعود . وما مثُلُ البحر إلا مثل بني
 الإنسان ، لأنهم أمواج الله . وإلى الله مرجعهم بعد موتهم) .
 ومن مستطرف ما يروى عن السلطان سليم العثماني ، أنه مرَّ بإقليم قونية وعاصمته
 قونية ، فتعجب من كثرة الأعاصير ، وقال له أحد رجاله متبسّطاً : إنَّ ما في تلك
 الأرض من تلال وأحجار وغبار يرقص رفصة المولوية .

- (١) الكليم : هو موسى عليه السلام .
 (٢) التضرم : اشتعال النار .
 (٣) حرق : بمعنى أحرق .
 (٤) قال النبي ﷺ : « الهمُّ نصف الهرم » .
 (٥) يشير إقبال إلى قوله ﷺ : « إياكم والطمع فإنه الفقر الحاضر » وفي الأصل : إني عبدٌ
 لمن قهر ذاته .
 (٦) جاويد : اسم ابن إقبال الذي أهدى إليه المنظومة « والمراد بهذا في قوله هو رقص
 الروح . ووافاك : بمعنى أتاك .



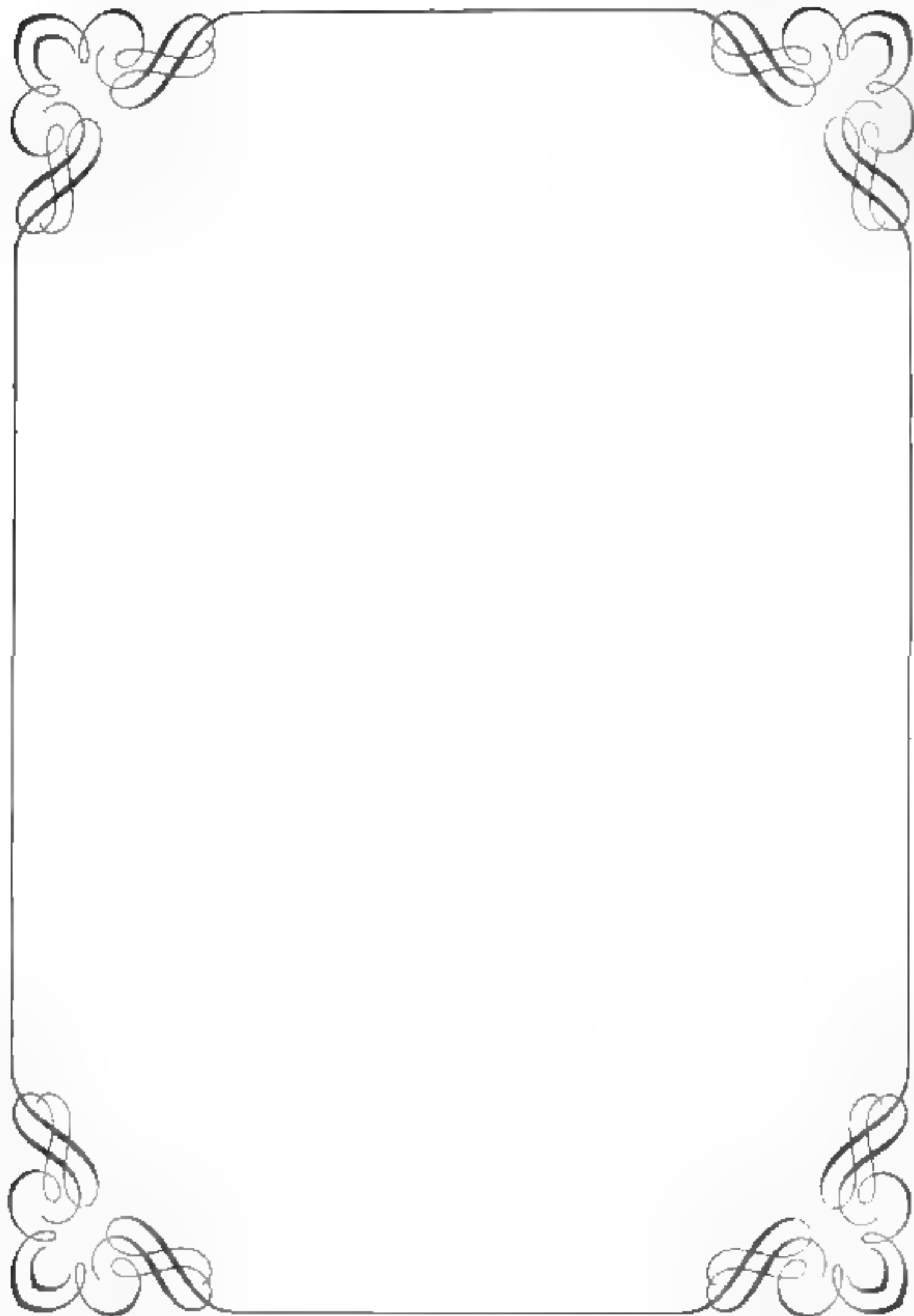
الدِّيَّوَانُ الثَّامِنُ

وَالآن... مَاذَا نَصْنَعُ؟
يَا أُمَّ الشَّرْقِ ..

بس چه باید کرد ای اقوام شرق

نَقْلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ
الاستاذ أحمد الفسازي

صَانَعَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ شِعْرًا
الشيخ صاوي شعلان المصري



أصدر محمد إقبال هذا الديوان في آخر حياته باللغة الفارسيّة ، صاغه على وزنٍ مثنويٍّ مولانا جلال الدّين الرّومي من بحر الرّمل المسدس . وهذا مجموعة قيمة جميلة من شعره ، نشرها في سنة ١٩٣٦م . بعد أن استولت إيطاليا على الحبشة ، مع أن مثنويات هذا الكتاب موجزة تحتوي على صحائف محدودة ، ولكنها مليئة بأموّاج فكره العالي ، تتلاطم فيها بحار فلسفته البديعة التي اقتبسها من الكتاب والسنة وآثار العلماء .

وإذا أمعنا النظر في هذا الديوان تبين لنا أنّ مزاياه تفوق جميع دواوينه الأخرى لما يحويه من حالة ممتازة من النشاط والجذب والإخلاص والعشق ، تقطر من كلّ بيت فيه قطرات الشّوق والحبّ والاضطراب الرّوحي ، كما نلاحظ ذلك في مثنوي مولانا جلال الدّين الرّومي .

قد تناول محمد إقبال في هذا الديوان بعض الموضوعات الهامّة ، نشير إليها باختصار :

الموضوع الأول من هذه الموضوعات الهامّة التي عني بها شاعرنا العظيم في دواوينه بعامة وفي هذا الديوان بخاصّة ، موضوع نهضة الشّرق . يقول : إنّ الشّرق هو الذي هدى الغرب إلى التّقدم والرّقيّ العالي ، وإلّا فلقد كان أهل الغرب متخلّفين عنّا في كلّ ناحية من نواحي المدنيّة والحضارة ، وحيث كانت أوربة غارقة في لجة من التعصّب ، والجهل ، والحروب الدّاخيلة الدّاية ، كنا - أهل الشّرق - في أرقى منزلة من منازل العلم ، والفنّ ، والمدنيّة ، والحضارة . وهذا هو الشّرق الذي هذب الأمم الغربيّة بمختلف الفنون ، والعلوم ، والكيمياء ، والطبّ وغيرها .

والموضوع الثّاني في هذا الديوان هو تطهير الفكر وتجديده ، يقول : « إذا أمكن تطهير الفكر في أمة استطاعت أن تنهض ، وتخطو إلى المجد قدماً ، ولو

أمعنا النظر في سيرة الرسول ﷺ العطرة علمنا أنه بدأ تربية الأمة بتطهير الفكر ، ثم استطاع بعد ذلك أن يقيم بناء التعمير .

فيريد شاعرنا العظيم أن نركز أولاً على إصلاح الفكر ، فبإصلاحه يصلح الإحساس ، وتستقيم العواطف .

وبعد ذلك أجل ما عني به محمد إقبال في هذا الديوان هو موضوع فقر المؤمن ، ويتبادر إلينا في المعنى اللغوي أنه يعني فراغ اليد من الأموال ، ولكن صوت الحقيقة يدوي في كيان الحقيقة كلها ، بأن كل موجود فقير إلى الله ، فقير إلى إدراك ما لا يعرفه ومعرفة ما لا يعلمه ، فقير إلى محبة الأصدقاء ومعاونة العشراء .

وقد اصططلحت الصوفية على أن الفقر يعني : إخلاص العمل لله ، وتخصيص الاحتياج إلى الله وحده ، والاستغناء به عما سواه ، وقد التبس الأمر على بعض الناس لما بين هذه الصورة من التشابه ، وظن البعض أن فقر الصوفية هو بعينه الفقر اللغوي .

ويقول محمد إقبال : إنَّ الفقر قد يعني ترك الدنيا ، ولكن ذلك لا يعني الإهمال ، والعزوف ، والرُّهْد الغالي ، وإنما يعني تسخير الدنيا أولاً ، ثم العزّة ، والعقّة ، والاستغناء ، كما سحّرها أجدادنا ، واستفادوا من نعمها ، لكنهم لم ينغمسوا في قعرها انغماس الماديين وأهل الهوى .

وليس من شأن المسلم أن تستعبده مادة الحياة الدنيا وحطامها ؛ لأنه أرفعُ قدرًا ، وأعزُّ مكانًا ، وأنبلُ هدفًا لأنه له خلافة الأرض ، فالمؤمنُ الفقير - المؤمن الكامل - هو الذي يُزلزلُ بعزيمته هذه الكرة المسكونة ببرّها وبحرها ، والفقر النّبلُ العفيفُ هو احتقار زهو الدنيا ، ودواهي الغرور فيها ، وإلى ذلك يُشير محمد إقبال في موضوع فقر المؤمن في هذا الديوان .

وقد كتب محمد إقبال هذا الديوان باللغة الفارسيّة ، فنقله منها الأستاذ
أحمد غازي إلى العربيّة نثراً ، فصاغه الشاعر الإسلاميّ المعروف الشيخ صاوي
شعلان المصري شعراً بالعربيّة ، وهو الآن بين أيديكم .

ذكر الشاعر في هذه الأبيات حبه لمرشده الرُّوحِي مولانا جلال الدين الرُّومِي ، مجدّد التصوُّف وإمام الرُّوحانية في عصره ، ثمَّ يُلقِي الضوء على المكانة العالية التي يحتلّها الرُّومِي في نظر الشاعر .

ويركّز في الأبيات الأخيرة على أهمية الصراع بين الحق والباطل ، وكلُّ ذلك على لسان مرشده وأستاذه الرُّومِي ، يقول :

<p>كنّ مثل إبراهيم في الإيمان الشَّعبُ بيني عزّه بكفاحه ولقد يُظنُّ به الجنون إذا بدا ما فوق أرضي الله شعبٌ ظافرٌ إلا إذا عقل الجنون وإنما المؤمنُ المقدامُ يمضي قاهراً وإذا ارتضى للذلّ أمسى كافراً من كان يدري فزق ما ينتابه وبأنّ الاستعمارَ أسرعُ بالردى وبأنّ للأحرارِ بعد فنائهم وهناك يزفُّ سهمه نحو العلا شُمُّ الجبالِ تذوب في خطواتها كم ثورةٌ للمجدِّ طيٌّ ثيابه لا يترك الدنيا تعيشُ وشعبه العطرُ مستترٌ ويسري ظاهراً لا تخدعَنَّك في الرُّبى ألوانها</p>	<p>حتى تزيلَ معابدَ الأوثان ليشيدَ مجدداً ثابتَ الأركان يوماً تمرّدُهُ على الطغيان ببلوغِ آمالٍ ونيلِ أمانِي يحلّو جنونُ الحبِّ للأوطان بالعزِّ والإقدامِ دونِ توانِي باللهِ أو بكرامةِ الأوطان في دهرِهِ مِنْ عزّةٍ وهوان للناسِ في الدنيا من الحداثِ عمرأً على الأيامِ ليس بفاني ويقيمُ رأيه على كيوان حتى تفوقَ الماءَ في الجريانِ كالنَّارِ تَقْذِفُ ثورةَ البركانِ فيها قتلُ الذلِّ والحِزْمَانِ كنّ أنتِ مثلَ العطرِ في البُستانِ كنّ خالياً فيها من الألوانِ</p>
---	---

قد ضلَّ أهلُ القصر عن أرواحهم
 فالذين إرضاءُ الذَّخِيلِ وليس
 فقلوبهم وجيوبهم وعقولهم
 لا تصحبُن في شربِ كاساتِ المنى
 لا ترجُ في نُدْماءِ غدرِ نشوةٍ
 لا تُفشِ للأنعامِ أسرارَ الأسو
 مَنْ شابَ في نسجِ الحَصِيرِ فما له
 والذُّنْبُ يأكلُ يومئذٍ خيرَ له
 مرشدُ الأرواحِ مولانا جلال^(١)
 مشرقُ الإيمانِ قدسيُّ الضَّميرِ
 قد علا منزلةُ الشمسِ مقاماً
 قلبه في مُحْكَمِ الذِّكْرِ صفا
 لو رأى مرآته بين الملا
 رأيه المرسلُ بالعِشقِ نَداه
 قالَ شيئاً سَمِعْتَهُ فطرتي
 أمُّ الدُّنيا صَحَّتْ بعد سبات
 وافاقِ الشُّرْقِ من نومٍ طويل
 جَذْبَةً واثته مِنْ دَفْعِ القَدَرِ
 أمُّ الغربِ تبيّنت مداها
 كُنْ كإبراهيمَ سُكُراً وهياماً
 اجْعَلِ الأصنامَ في الأرضِ هشيماً
 مِنْ ضميرِ الشعبِ من إيمانه
 هي نورٌ يجتليه المصلحون

لم يهتدوا إلا إلى الأبدان
 مرضاةَ الإله الواحدِ الدَّيَّانِ
 للأجنبيِّ تقربٌ وتغافل
 إلا وفيأ صادقِ الوجودِ
 ولو أن فيهم قيصرُ الرُّومانِ
 ولا حديثُ الضُّقْرِ للغربانِ
 يوماً إلى نسجِ الحريرِ يَدَانِ
 من أن يُباعَ لتاجرِ العُبدانِ
 شيخنا الروميُّ علويُّ المِثالِ
 وهو في قافلةِ العِشقِ أمير
 ضارباً في مسبحِ النُّجمِ خياماً
 بهدئِ القرآنِ أضحى مُضحفاً
 جام (جمشيد) توارى خَجَلاً
 أشعلَ الثورةَ في قلبي صداها
 وَتَجَلَّى نغماً في فكري
 واستبانَت كُنتُ أسرارِ الحياة
 يكسرُ الأغلالَ والقَيْدَ الثقيلَ
 فأزاحَ العِيبَ عنه وانتصر
 ما اكتوى مثلك حيٌّ بلظاهها
 لتصيرَ النَّارُ برداً وسلاماً
 لا تغادرَ هيكلها منها قديماً
 تنبتُ الثورةَ في وجدانه
 قاصرُ العقلِ يسميها جنونا

(١) قد سبقت ترجمته .

إِنَّ قَوْمًا لِلَّهِ يُسْلَمُونَ
 لَنْ يقيموا نهضةً تمحو الهوان
 كُلُّ مَنْ تَحْتَ الْفُضَاءِ الْأَزْرَقِ
 ثِقَةُ الْمُؤْمِنِ بِاللَّهِ عَتَاذُ
 شِمَةِ الْمُؤْمِنِ عِزٌّ وَثِقَةُ
 بِهِمَا يَسْمُو وَيَمْضِي قَاهِرَا
 نَظَرَةُ الْمُؤْمِنِ مَصْبَاحُ مَنْير
 عِزُّهُ الْوَثَابُ لَا يَخْشَى الصَّعَابَا
 حَوْلَتْ ضَرْبَتُهُ ضَمَّ الصُّفَا
 يَدْرُكُ الْأَمَالَ بِالْفَقْرِ الْغُيُورِ
 وَمَضَى عَازِفٌ نَائِي الْعَاشِقِينَ
 حِينَ أَذْرَكَتِ الْمُنَى فِي صَحْبَتِي
 حَالٌ فِي نَشْوَتِكَ الْعِزُّ الصَّمِيمِ
 كُنْ مِنَ الرُّوضِ قَرِيبًا نَائِيَا
 بَيْنَ أَلْوَانِ الرُّوَابِي وَاعْيَا
 كُنْ مَعَ الْكُلِّ عَلَى هَذِي الْإِلَهِ
 قُوَّةُ الرُّوحِ هِيَ السَّحَرُ الْعُجَابِ
 فَلَدِيهِمْ حُبٌّ غَيْرِ اللَّهِ دِينَ
 ذَلِكَ السِّرُّ وَهَذِي الْمَعْرِفَةُ
 مُنْذُ بَدَأَ الْخَلْقُ فِي مَاضِي السَّنِينَا
 حُرِمَتْ أَعْيُنُهُمْ نُورَ الْقُلُوبِ
 لَمْ يَرَوْا فِي الْكَوْنِ إِلَّا مَنْظَرَا
 وَإِذَا الْأَبْصَارُ لَمْ تُدْرِكْ هُدَاهَا

لَمْ يَقُمْ فِيهِمْ جُنُونٌ ذُو فَنُونِ
 مَا لَهُمْ فِي سَاحَةِ الْمَجْدِ مَكَانِ
 لَمْ يُجَاهِذْ فَكَانَ لَمْ يُخْلَقِ
 فَتَوَكَّلْ وَاعْتِزِمِ نَحْوَ الْمُرَادِ
 حَيْثُمَا هُمْ بِأَمْرٍ حَقَّقَهُ
 لَا أَرَى الْيَائِسَ إِلَّا كَافِرَا
 فَهُوَ بِالْخَيْرِ وَبِالشَّرِّ بَصِيرُ
 تَارِكًا مَا عَمَّرَ الظُّلُمُ خَرَابَا
 وَالْجِبَالُ الشَّمُّ قَاعًا صَفْصَفَا
 وَهُوَ لِلْأَجْيَالِ بَعْتُ وَنُشُورِ
 يُزْسِلُ الْإِلَهَامَ وَالْقَوْلَ الرُّصِينِ
 ثَمَلًا مِنْ خَمَرِهَا فِي حَانَتِي
 لَمْ تَعُدْ تَحْفَلُ بِالْوَهْمِ الْقَدِيمِ
 كَالشَّذَا يَسْرِي خَفِيًّا بِأَدْيَا
 وَمِنَ الْأَلْوَانِ^(١) طَرَأَ خَالِيَا
 وَبَدُونِ الْكُلِّ لَا تَرْجُو سِوَاهِ
 أَهْلُ هَذَا الْعَصْرِ عَنْهَا فِي احْتِجَابِ
 وَلِغَيْرِ اللَّهِ ذَلُّوا صَاغِرِينَ
 فِيهِمَا حَيْرَةُ أَهْلِ الْفَلَسَفَةِ
 لَمْ يَجَاوِزْ فِكْرُهُمْ مَاءَ وَطِينَا
 وَمَعِينُ الْعِشْقِ مِنْهُمْ فِي نُضُوبِ
 أَزْرَقًا أَوْ أَحْمَرًا أَوْ أَصْفَرَا
 مِنْ سَرَاجِ الْقَلْبِ ضَلَّتْ فِي ضَحَاها

فَإِذَا حَرٌّ جَعَلَ الْحَقُّ مَصِيرَهُ
مَنْ وَفَى لِهَ رُوحاً وَدَمًا
إِنَّ سِرَّ الْأَسَدِ فِي حِضْنِ الْأَجَمِ
لَيْسَ كُلُّ الْخَلْقِ أَهْلًا لِلْعَهْدِ
إِنَّ تَعَاظِيْتَ مَعَ الصَّخْبِ الْمُدَامَا
هَبَهُ كَسْرَى هَبَهُ أَيْضًا قَيْصَرَا
لَوْ غَدَا يَوْسُفُنَا يَوْمًا طَعَامَا
فَهُوَ خَيْرٌ مِنْ خَيْسٍ يَحْتَوِيهِ
أَهْلُ دُنْيَانَا تَمَادَوْا فِي غُرُورِ
بَهْرَتِنِي نَكْتَةً مِنْ شَاعِرِ
ذَاتُ مَعْنَى نَوْرُهُ مُؤْتَلِقِ
إِنَّهُ الْعَاشِقُ فِي أَهْلِ الْجُحُودِ
فَهُوَ يَخْكِي مُسْلِمًا بَاتَ يُعَانِي
قُلْ لِأَهْلِ الْحَقِّ مَا يَشْفِي الْقُلُوبِ
أَقْبِلِ الْهَمَّ وَلَا تَأْكُلِ طَعَامَا
إِنْ يَكُنْ عَيْشُكَ مِنْ طَوْلِ الْكَذْرِ
الدَّوَاءُ الْمُرُّ لِلْعَقْلِ الْكَبِيرِ
خِرْقَةُ الزَّاهِدِ عِبَاءٌ لِلْفَقِيرِ
وَاسْأَلِ الْأَنْتَامَ فِي الرُّوضِ النَّصِيرِ
إِنْ تَكُنْ بَحْرًا قَوِيًّا غَامَرَا
أَوْ تَكُنْ طَلًّا فَعِشْ بَيْنَ الْوُرُودِ
أَنْتَ فِي الْحَرْبِ نَشِيدٌ مِنْ دِمَاءِ
إِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ أَرْبَابُ الْوَفَاءِ
نَذَرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي كُلِّ حِينِ
وَتَأْمَلُ قَطْرَةَ الطَّلِّ النَّدِي

لَمْ يَسْغِ يَوْمًا لِمَخْلُوقٍ ضَمِيرَهُ
صَانَ عَنْ قَيْدِ مِوَاهِ الْقَدَمَا
لَا تَعِيهِ فِي مِرَاعِيهَا النَّعَمُ
لَا تَبْخُحُ بِالسَّرِّ إِلَّا لِلْأَسُودِ
أُبْعِدِ الثَّقْلَةَ عَنْ حَقْلِ النَّدَامَى
لَنْ تَرَى فِيهِ النَّدِيمَ الْخَيْرَا
فِي فَمِ الذُّنُوبِ وَأَفْتَاهِ التَّهَامَا
وَيَبْخُسُ الْمَالِ يَوْمًا يَشْتَرِيهِ
لَمْ يَبَالُوا بِمَقَايِيسِ الْأُمُورِ
بَارِعِ الْفِكْرِ نَقِي الْخَاطِرِ
كَادَتْ الرُّوحُ بِهِ تَخْتَرِقُ
لَمْ تَزِدْ أَسْمَاعَهُمْ غَيْرَ الْجُمُودِ
فِي قَرَى الْإِفْرَنْجِ تَرْدِيدَ الْأَذَانِ
قُلْ عَنِ الدُّيُنِ وَأَنْبَاءِ الشُّعُوبِ
مَنْ يَدِ تَطْعُمُكَ الْهَمُّ دَوَامَا
فِيهِ مَرُّ الْجُوعِ فَالذُّكُّ أَمْرُ
فَاتْرِكِ الْحُلُوءَ لِلطُّفْلِ الْغَرِيرِ
كُنْ عَفِيفَ الْقَلْبِ وَانْعَمْ بِالْيَسِيرِ
مَا الَّذِي تَحْمِلُهُ غَيْرَ الْعَبِيرِ
فَاجْعَلِي الصَّحْرَاءَ مِثْلًا هَادِرَا
وَابْعَثِي الْعِطْرَ سَلَامًا فِي الْوُجُودِ
أَنْتَ فِي السَّلَامِ رَسُولٌ لِلْإِخَاءِ
لَيْسَ سِرُّ الْحَقِّ عَنْهُمْ فِي خَفَاءِ
لِيَعْلَمَ الْخَيْرُ كُلَّ الْعَالَمِينَ
مِنْ دَجَى اللَّيْلِ إِلَى فَجْرِ الْغَدِ

حَفِظْتُ فِي الْكَوْنِ ذَاتَيْتَهَا
وَبَنَى عُنُصُرَهَا شَوْقُ الْحَيَاءِ
وَمَضَتْ تَجْتَازُ فِي صَمْتِ الْفُضَاءِ
جَانِبْتُ أَنْ تَجْعَلَ الْبَحْرَ الْهَدَفَ
بَلْ أَقَامَتْ بَيْنَ أَحْضَانِ السَّحَرِ
فَتَحَّ الْوَرْدُ بِهَا أَجْفَانَهُ
هَكَذَا الْمُؤْمِنُ رَمَزُ التَّضْحِيَاتِ
ثُمَّ حَلَّتْ فِي الدُّجَى عُقْدَتَهَا
وَاسْتَقَرَّتْ حَيْثُ أَحْيَاهَا الْإِلَهَ
خَلْوَةُ الْأَفْلَاكِ فِي جَوْ السَّمَاءِ
لَمْ تُرِدْ أَنْ تَتَوَارَى فِي الصَّدَفِ
لَمَحَةً كَانَتْ حَيَاةً لِلزَّهْرِ
وَسَقَى مِنْ عَطِيرِهِ أَغْصَانَهُ
يَتَفَانَى فِي اقْتِنَاءِ الْبَاقِيَاتِ

مناجاة الشمس

جَرَتْ فِي حَيَاةِ الشُّعْرَاءِ سَنَةٌ أَدْبِيَّةٌ سَلَكَهَا الْكَثِيرُونَ مِنْهُمْ فِي مَخَاطَبَةِ
الشَّمْسِ ، وَلَعَلَّ أَقْرَبَ مِثَالٍ إِلَيْنَا فِي الْجَدِيدِ قَصِيدَةُ أَحْمَدَ شَوْقِي (قَفِي يَا أُخْتُ
يُوشَعَ خَبْرِنَا) فَالشُّعْرَاءُ خَاطَبُوا الشَّمْسَ ، وَتَحَدَّثُوا عَنْهَا ، وَتَفَتَّنُوا فِي ذَلِكَ ،
وَأَبْدَعُوا ، وَهَذَا نَحْنُ نَرَى إِقْبَالَ يُخَاطِبُهَا قَائِلًا :

يَا مَبْعَثَ الْإِشْرَاقِ وَالنُّورِ الَّذِي
فِي كُلِّ مَوْجُودٍ ضَمِيرٌ مَشْرِقٌ
مِنْكَ الْحَرَارَةُ لِلْحَيَاةِ وَبِعَثُهَا
أَوْدَعْتَ كُلَّ مُحِبِّ شَوْقِ الظُّهُورِ
كَيِّدِ الْكَلِيمِ أَرَى جَلَالَكَ مَابِحاً
يَطْوِي الْمَسِيرَ عَلَى جَدَاوِلِ فِضَّةٍ
أَرْسَلْتَ بَدْرَ الشَّمِّ بَعْدَكَ فِي الدُّجَى (١)
أَهْدَيْتَ لِلْيَاقُوتِ وَمُضَى بَرِيقِهِ

عَسَمَ الْبَرِيَّةَ مِنْ ضِيَاءِ الْبَارِي
مِنْ ضَوْئِكَ الْفَيَاضِ كُلَّ نَهَارٍ
وَنَضَّالُهَا فِي مَوْجِهَا الْمَوَّارِ
رَ عَلَى هَدًى مِنْ حِكْمَةِ الْأَقْدَارِ
فِي مَوَكِبٍ مُتَجَدِّدِ الْأَسْفَارِ
فِي زُورْقٍ مِنْ عَشْجِدٍ وَنُضَارٍ
يَجْلُو مُحَاسَنَهُ عَلَى الْأَنْظَارِ
وَلَعَلَّ بَيْنَ بَسْوَاطِنِ الْأَخْجَارِ

(١) الدُّجَى : سَوَادُ اللَّيْلِ وَظُلُمَتُهُ .

وسكبت في قلب الشقيق حرارة
بعروقه تجري الدماء وقد غدا
والترجس^(١) الغض استفاق من الكرى
لينال من هذا الشعاع نصيبه
مزحى لقد وافى قدومك بالننا
حتى تجلّى نخل سينا مائلاً
أنت الصباح المرتجى لكثني
فهبي لوجداني سراجاً مشرقاً
وليسر ضوءك في ترابي شعلة
وصلي حياتي واجعلي هذا الشنا
لائل فكر الشرق أوضاح الهدى
وأبر ناراً في الصدور جديدة
إني سمعهم نشيد المجد من
وأحبل خمام الطبع وعياً صارخاً
وأصوغ للائام دوراً مقبلاً
ليحرروا الأرواح والأفهام من
لا يستقي نبض الحياة حرارة
ومجال تحرير النفوس أمانة
والشغب حين يضل في آماله
وتحول فضته النقية بهرجاء
ويموت داخل صدره القلب السليم

صَبَغَتْ مَلَابِسَهُ بِلَوْنِ النَّارِ
يَخْتَالُ بَيْنَ عَرَائِسِ الثُّوَارِ
وَأَزَاحَ عَنْ جَفْنَيْهِ أَلْفَ سِتَارِ
بَيْنَ الْغُصُونِ الْخَضِرِ وَالْأَشْجَارِ
وَسَمَا بَطْلَمَةَ وَجْهِكَ اسْتَبْصَارِ
فِي كُلِّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَشْجَارِ
ظَلُّ الْمَسَاءِ الْغَارِبِ الْمُتَوَارِ
يَهْدِي خُطَايَ إِلَى عِلَا وَفَخَارِ
تَصْفُو بِهَا نَفْسِي مِنَ الْأَكْدَارِ
مَنْ حَوْلَهَا سَتَرًا مِنَ الْأَنْوَارِ
كَيْمَا يُبْدِلَ لَيْلَهُ نَهَارِ
مَشْبُوبَةٌ بِعِزَائِمِ الْأَخْرَارِ
قِيْشَارَةٌ أَوْتَارُهَا أَشْعَارِ
مُتَحَفِّزًا لِلتَّبَقِ فِي الْمِضْمَارِ
غَيْرَ الَّذِي شَهِدَتْ مِنَ الْأَدْوَارِ
لِغَوِ الْفِرْنَجِ وَزَيْفِ الْإِسْتِعْمَارِ
إِلَّا بِذِكْرِ مُقَدَّرِ الْأَقْدَارِ
مَوْصُولَةٌ بِنِزَاهَةِ الْأَفْكَارِ
عَنْ قَضِيهِ لَمْ يَلْقَ غَيْرَ بَوَارِ^(٢)
مَنْ ذَا يَسُوِّيْ بِهَرَجَاءِ بِنُضَارِ
وَيَنْطُيُو فِي ذُلِّهِ وَصَغَارِ

(١) الترجس : نبت من الرياحين ، وهو من الفصيلة النرجسية ، ومنه أنواع تزرع لجمال زهرها ، وطيب رائحته ، وزهرته تشبه بها الأعين .

(٢) بوار ، أي : هلاك .

حَتَّى تَرَى الْمُغَوَّجَ فِي نَظَرَاتِهِ
وَإِذَا رَأَى فِي الْكَائِنَاتِ صِرَاعَهَا
فَإِذَا الْحَيَاةُ هِيَ السَّلَامَةُ وَالشُّكُورُ
فِي بَخْرِهِ مَوْجُ الْأَمَانِي رَاسِبٌ
الْخَطْوَةُ الْأُولَى لِنَهْضَةِ أُمَّةٍ
لَوْ أَمَكْنَ التَّطْهِيرُ أَمَكْنَ بَعْدَهُ
يَسُدُّو سُلَيْمًا عَالِي الْمَقْدَارِ
طَلَبَ الشَّوَاطِئِ خَشْيَةَ الْإِعْصَارِ
نُ وَفُوزُهُ مِنْ حَرْبِهَا بِفِرَارِ
مَا فِيهِ مِنْ لُجٍّ وَلَا تَيَّارِ
تَحْرِيرُهَا بِالْعَزْمِ وَالْإِضْرَارِ
أَنْ يَسْهَلَ التَّغْمِيرُ لِلْأَفْكَارِ

حكمة الكليم - سياسة الأنبياء

استخدم إقبال كثيراً من مصطلحاته الخاصة ، فوجه منها سهاماً نافذة إلى صدر الاستعمار ، وهو هنا في هذه الأبيات يرقى على معراج الفكر إلى تفهّم جلال النبوة ، ثم يعرض صفات المؤمن الصادق ليشحذ من عزيمته وينفخ فيه روح التحرّز ، ويوقظ في فطرته معاني القوة ، فما كان يستسلم لطغيان طاغية ، وجبروت جبار ، وإنما تكون خشيته من الله وحده والتجاؤه إليه دون سواه ، فنراه يتخذ من صفات النبي أسلحةً للأمم العزلاء لتناضل بها ، وتذود عن حياضها ، وتدفع العدو عن حماها :

عِنْدَمَا يَضْدَعُ النَّبِيُّ بِأَمْرِ اللَّهِ جَهْرًا فِي مَسْمَعِ الْأَكْوَانِ
يَتَحَدَّى بِوَجْهِهِ كُلَّ حُكْمٍ لِأَمِيرٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْطَانِ
لَا يَسْرِ قَضْرَهُ سِوَى رَسْمٍ دِيرٍ مِنْ بَقَايَا هِيََاكِلِ الْأَوْثَانِ
لَا يَبْتَغِ الْمَقَامَ فِي مَوْطِنِ الدُّلِّ وَلَا يَرْضَى بِعَيْشِ الْهَوَانِ
تَذَكُّى بِنُورِ صَحْبَتِهِ النَّفْسُ وَيَهْدِي الرَّشَادَ لِلْحَيْرَانِ
يُخْذِثُ الضُّجَّةَ الرَّهْيِيَّةَ فِي الْأَيَّامِ حَتَّى تَسِيرَ طَوْعَ الْأَمَانِي
مُغْلَنًا فِي الْوُجُودِ لَا رَبَّ غَيْرَ اللَّهِ يُخْشَى وَيُؤْتَجَى كُلَّ آتٍ
كَيْفَ يَرْضَى إِذْ لَالَ عَبْدٌ لِعَبْدٍ وَامْتَهَانَ الْإِنْسَانُ لِلْإِنْسَانِ

قطرة من نداء تُشعلُ ناراً في عروقِ الكُروم والأغصان
ويُجلّي في قبضة من تراتٍ بَغثَ روحِ اليقين والإيمان
حارسُ الفطرة التي فَطَرَ اللهُ عليها الأرواح في الأبدان
لا يسامي جلالُ حكمته العقلَ ولا عبقريةُ الفئان
حكمةٌ في غنى عن الحشْدِ والجَمْعِ وزهورِ العُروش والتيجان
من جُمودِ الشتاء يحيي ربيعاً باسمِ الرّؤى ناضِرِ الأفان
وثَمالِ الرّاحِ المُعْتَقِ أشهى من رَجِيْقِ مُصَنَّقِ في الدّنان^(١)
ابتهالاتُ صُبْحِهِ توقظُ الكونَ فيصحو من ليله الوَسنان^(٢)
وله نظرةٌ من الحقِّ فيها نبأٌ يُغلنُ انقلابِ الرُّمان
ولديه وثيقةُ الأمنِ ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ في مُحْكَمِ القرآن
وخيّه يَغْمُرُ الصُّدُورَ الخوالي بقلوبٍ جديدةٍ الإيمان
دَرْسُهُ العَزْمُ والرُّضا المحضُ والتَّسليمُ منه في السِّرِّ والإعلان
كسراجٍ يشقُّ قلبَ الدِّياجيرِ^(٣) باهرَ الضَّوءِ ساطعَ البُرْهَانِ
قدرةٌ حارتِ النَّواظِرُ فيها أيُّ سرٍّ بها خفي المعاني
يَضْبُغُ الرُّوحُ في الجُسومِ بلونٍ غَيْرَ كُلِّ الرُّسومِ والألوان
خَوَّلَتْ كيمياؤه الصَّدَفَ البالي عِفْداً من الدَّراري الحِسان
يتولّى ملءَ الفراغِ بحزمٍ يَفْهَرُ المستحيلُ بالإمكان
وينادي العَبْدَ المُصَفَّدَ^(٤) هَيَّا لا تحالكُ القيودُ للإنسان
فإلى المَخْرُ والِبلى كُلُّ معبودٍ قديمٍ مَعَ الحُطامِ الفاني
مَنْ يُحَارِبُ وسيفُهُ رَبِّي الأعلى يُدْمِرُ قِوَاعِدَ الأوثان

(١) الدّنان : وهي جِوَارِ الخمر .

(٢) الوَسنانُ : النائم الذي ليس بمستغرق في نومه .

(٣) الدِّياجير : واحدها الدَّيجور، وهو الظلمة، وصفوا به فقالوا: ليل ديجور، وليلة ديجور.

(٤) المصَفَّد، أي : المشدود .

إِنَّ أَرَدْتَ الْفَقْرَ الْغَيُورَ فَلَا تَفْقِدْ مَعَ الْمُذْمِ ثَزْوَةَ الْإِيمَانِ
 فَمِنْ الْحَالِ لَا مِنْ الْجَاءِ وَالْمَالِ دَوَامُ الرِّضَا وَالْأَطْمِئْنَانِ
 رَأْسُ مَالِ الْآخِرَارِ صَدَقَ وَإِخْلَاصُ وَوَجْدُ وَحُزْقَةُ وَتَفَانٍ
 لَيْسَ فِي الْخَلِيِّ وَالْمَظَاهِرِ وَالشُّوبِ الْمَوْشَى وَالْأَصْفَرِ الرُّنَّانِ
 لَا تَحَاوِلْ دَرْكَ الْمَعَالِي بِكَارِوَمَنْ وَخَسِرْ فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ
 طُفْ إِذَا شِئْتَ حَوْلَ ذَاتٍ : حِرَاءُ لَا تَطْلُفْ بِالسَّرِيرِ وَالْإِيْوَانِ
 قَدْ تَبَاعَدْتَ عَنْ مَقَامِكَ حَتَّى صِرْتَ فِي ذِلَّةِ الْأَسِيرِ الْعَانِي
 لَا تَسِرْ وَاهِنَ الْخُطَى كِبَفَاتِ الطَّيْرِ بَيْنَ الطُّلُولِ وَالْجُذْرَانِ
 كُنْ نَظِيرَ الشَّاهِينَ فِي الْقِمَمِ الشَّمَاءِ لَا فِي مَنَازِلِ الْوُذْيَانِ
 تَتَحَرَّى الطُّيُورُ عِنْدَ بِنَاءِ الْعُشِّ أَعْلَى الْفُرُوعِ فِي الْبُسْتَانِ
 لَسْتَ دُونَ الثُّسُورِ بِأَسَافِحَاوُلْ دَارَةَ النَّجْمِ أَوْ ذُرَى كِيْوَانِ
 مِنْ مِهَادِ الثَّرَى إِلَى التُّشْعَةِ الْأَفْلَاقِ فَوْقَ الرُّمَانِ فَوْقَ الْمَكَانِ
 غَيْرِ الْعَالَمِ الْقَدِيمِ وَعَمَّرَ فِيهِ دُنْيَا جَدِيدَةَ الْبُنْيَانِ
 وَالَّذِي يَنْشُدُ الْجِهَادَ فَنَاءً فِي رِضَا الْحَقِّ وَهُوَ مَاضِي الْجَنَانِ
 هُوَ سِرُّ الْأَقْدَارِ وَهُوَ قَضَاءُ الْحَقِّ فِي الْمُمْكِنَاتِ وَالْإِمْكَانِ
 فَتَمَثَّلْ نَضَالِ أَسْلَافِكَ الْأَمْجَادِ نَحْوَ الْعُلَى بِغَيْرِ تَوَانِي
 وَتَذَبُّرِ كَيْفِ اسْتَهَانُوا بِبَذْلِ الرُّوحِ وَالْمَالِ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ
 أَظْهَرَ الْجَوْهَرَ الْكَرِيمَ مِنَ الْأَصْدَافِ وَاجْعَلْهُ بَادِيًا لِلْعَيَانِ
 وَتَحَرَّزْ مِنْ هَيْكَلِ الْمَاءِ وَالطِّينِ وَمِنْ ظُلْمَةِ الْهَوَى وَالْهَوَانِ
 وَاجْعَلِ الْفَطْرَةَ النَّقِيَّةَ نَبْرَاسًا لِعَيْنِكَ بَيْنَ قَاصِي وَدَانِ
 كُلِّ مَنْ ضَاعَ حُظُّهُ مِنْ جَلَالِ الْحَقِّ بَيْنَ الْجُحُودِ وَالنُّسْيَانِ
 لَمْ يَنْلُ طَوْلَ عُمْرِهِ مِنْ جَمَالِ الْحَقِّ غَيْرَ الْإِبْعَادِ وَالْحِزْمَانِ
 مَبْدَأُ الْعِشْقِ وَالصَّبَابَةِ قَهْرٌ وَخَطُوبٌ مَوْصُولَةُ الْأَشْجَانِ^(١)

وهو من بعدها دلالٌ وتيةٌ بين طيبِ المُنَى وَصَفْرِ الأمانِ
 ويعودُ المحبُّ بالقُربِ محبوباً وَتَنسى لواعجَ الهَجْرانِ^(١)
 الوجودُ الأسمى هو المؤمنُ الحرُّ الأبيُّ الوفيُّ في كلِّ آنٍ
 ويقايا الوجودِ فيما سِوَاهُ مَظْهَرٌ حائلٌ وظلٌّ فانٍ
 حِينَ يَدْعُو أَنْ لَا إِلَهَ سِوَى اللَّهِ الْقَدِيرِ الْمُهَيِّمِ الدَّيَّانِ^(٢)
 يُذْعَنُ الْكَوْنُ وَالْمَكَانُ وَلَا يُشْرِقُ إِلَّا بِفَوْزِهِ الْقَمَرَانِ

حكمة فرعون أو سياسة الطغاة

إنَّ إقبالاً قال في هذه الأبيات والتي قبلها ما يكون في حياة الناس من إقامة العدل بينهم أو من الجور عليهم في الحكم ، وقد استخدم كلمة (الحكمة) لهذا العنوان ، (حكمة الكلیم) ثم (حكمة فرعون) ، وهو إنما يُريد بياناً لسياسة الحكم في إطارٍ من مصطلحاته الخاصة قصداً إلى بيان دسائس الاستعمار وتدميره لحياة الإنسان والقضاء على حرّيته ، وهو في هذه الأبيات يقول :

قَدِمْتُ حِكْمَةَ النَّبِيِّ لِلْعِيَانِ وَالْمَكْرُ وَالْخِدَاعُ حِكْمَةُ الطُّغَاةِ
 تَبْقَى عَلَى الْإِنْسَانِ جِسْمُ الْحَيَوَانِ وَتَسْلُبُ الرُّوحَ كِرَامَةَ الْحَيَاةِ

جَحْمَتُهَا حَرِيَّةٌ مَارِقَةٌ^(٣) نَعِيشُ فِي الدُّنْيَا بِهَا مِنْ غَيْرِ دِينٍ
 وَالنَّفْسُ فِي أَوْهَامِهَا شَارِدَةٌ لَمْ تَعْرِفِ الشُّوقَ إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ

(١) الهَجْرانُ : هو التَّركُ أو الإعراض عن شيء .

(٢) الدَّيَّانُ : هو اسمٌ من أسماءِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ .

(٣) مَارِقَةٌ : خارجة عن دينها .

وسائل التهذيب من هذا النظام سلاسل الأسرى وأغلال العبيد
كما يرى السيّد يتقاذ الغلام فلا يرى ولا يعي ولا يُريد

وذلك البارغ في مهنته يضطّيع التجديد في الدين القويم
قد شطر الوحدة في أمته فما له نذ سوى عصا الكليم

متى يفيق القوم من وهنتهم وهم لحكم الغير زرع وحصاد
قد هدموا بناء ذاتيهم وغيرهم في أرضهم ساد وشاد

كم من غرير اشتطال وأدعى خصافة الفكر ودقة النظر
قد خبر الوجود والدنيا معاً وما لديه عن وجوده خبر

أزال نقش الحق من خاتمِهِ وكل خير عن ضميره استتر
قد ولد الرجاء في عالمه لكنه في العهد ولّى وانذر^(١)

ما تصنع الأيام بالقوم الألى لم يُرزقوا حظاً من العزم الغيور
قد أضحّت أرواحهم زهن البلى^(٢) وما سوى أجسامهم لها قبور

ومرّق الكبار أسرار الحياة وقلد الشباب صنّع الغايات^(٣)

(١) انذر : دثر وامحى وفنى .

(٢) البلى : الفناء ، ومه بلى الميت أفتته الأرض .

(٣) الغايات : النساء الغنيات بحسنهنّ وجمالهنّ عن الزينة .

كَأَنَّهُمْ بَيْنَ عَوَامِلِ الْفَنَاءِ يَأْتُونَ مَوْتِي مِنْ بَطُونِ الْأَمْهَاتِ

وَهَذِهِ الْحَنَاءُ تَقْضِي يَوْمَهَا فِي مَنَظَرٍ عَارٍ وَصَبْغٍ مُسْتَعَارٍ
سَاعِدُهَا الْفِضْيُ يُبْدِي جِسْمَهَا بِمَنَظَرِ الْأَسْمَاكَ فِي لُجِّ الْبِحَارِ^(١)

جَمُودُ هَذَا الشَّعْبِ عَنْ كَفَاحِهِ يَحْكِي رَمَاداً لَيْسَ تَحْتَهُ شَرَرٌ
مَسَاوُهُ رَانَ عَلَى صَبَاحِهِ بِظُلْمَةٍ فِي لَيْلِهَا زَاغَ الْبَصَرِ^(٢)

كُلٌّ يَعِيشُ فِي إِطَارِ نَفْسِهِ وَالْعِيشُ وَالْمُتَعَةُ فِي الدُّنْيَا مِنْهَا
يَخْشَى الْإِلَهَى قَبْلَ حُلُولِ رُمُوسِهِ^(٣) فَاغْجَبْ لِمَقِيتٍ لَمْ يَزَلْ قَيْدَ الْحَيَاةِ

وَذُو الْغِنَى فِي الشَّعْخِ يَحْكِي جَلَمَداً وَمَالُهُ فِي اللَّهْوِ يُغْرِقُ السُّحَابَ
حَيَاتُهُ ضَاعَتْ عَلَى الْغِيِّ مُدَيَّ تَشْغُلُهُ قَشُورُهَا عَنِ الْبَابِ

يَبِيعُ دِينَهُ لِـدُنْيَا غَيْرِهِ وَفِي رِضَا غَاصِبِهِ يَسْتَشْهَدُ
وَيَوْمُهُ الْحَاضِرُ كُلُّ هُمُرِهِ فَلَيْسَ فِي تَارِيخِ دُنْيَاهُ غَدُ

وَكَمْ تَرَى فِي الْقَوْمِ حَمَالاً كُتِبَ ثَقِيلَةً يَعِيسَا بِحَمْلِهَا جَمَلُ

(١) لُجُّ الْبِحَارِ ، أَي : غُرُضُهَا .

(٢) زَاغَ الْبَصَرُ ، أَي : مَالَ عَنْ مَسْتَوَى النِّظَرِ حَيْرَةً وَشُخُوصاً ، وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ .

(٣) الرُّمُوسُ : هُوَ التُّرَابُ الَّذِي يُحْشَى عَلَى الْقَبْرِ .

يَدُورُ فِي النَّاسِ كَحَمَالِ الْخَطْبِ وَيُرْسَلُ الْأَقْوَالُ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ

وَلَاؤُهُ لِلْغَيْرِ كُلِّ هَمْزٍ حَتَّى بَنَى الذَّيْرَ بِأَحْجَارِ الْحَرَمِ
مَسَاتٍ وَلَكِنْ مَا دَرَى بِمَوْتِهِ قَدْ عَاشَ وَهَمًّا ثُمَّ وَارَاهُ الْعَدَمُ

كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

(رباعيات)

إِنَّ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ تَأْثِيرَهَا الْبَالِغَ فِي حَيَاةِ الْأُمَمِ ، فَإِنَّهَا لِلْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ عَقِيدَةُ
الْقُوَّةِ ، وَرَكِيزُ التَّقَدُّمِ وَالْإِنْطِلَاقِ ، وَإِفْرَادُ الْعِبُودِيَّةِ لِلْخَالِقِ ، وَرَفْضُ كُلِّ عِبُودِيَّةٍ
لِمَا سِوَاهُ ، فَالْمُؤْمِنُ لَا يَخْضَعُ الْجَبِينِ إِلَّا لِلَّهِ الَّذِي يَقُولُ لَهُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ { الفاتحة : ٥ } .

تِلْكَ هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ الَّتِي تُجَدِّدُ الصُّورَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ فِي الْقَالِبِ الثَّرَائِيِّ هَيْكَلًا
مِنَ النُّورِ ، تَحْمِلُ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ أَهْوَالُ يَوْمِ النُّشُورِ ، يَقُولُ مُحَمَّدٌ إِقْبَالٌ :

فِي مَقَامِ التَّوْحِيدِ يَشْدُو خِيَالِي بِصَدَى الْحَقِّ مِنْ رِجَالِ الْحَالِ
إِنَّمَا تُذَرِّكُ الْقُلُوبُ هَدَاهَا بِصَفَاءِ الْأَحْوَالِ لَا الْأَقْوَالِ

حَرْفُ (لَا) مُظْهَرٌ لِسَرِّ الْجَلَالِ وَهُوَ لِلجَّسُورِ مَنْذَرٌ بِالزَّوَالِ
بَعْدَ نَفْسِ الظُّلَامِ وَالظُّلَمِ يَبْدُو عِنْدَ (إِلَّا) إِشْرَاقُ صُبْحِ الْجَمَالِ

لَا وَإِلَّا فَتَنْحُ لِبَابِ الْحَيَاةِ وَاحْتِنَابُ السُّجُودِ وَالْكَائِنَاتِ

بِهِمَا تَقْهَرُ الْمَهَانَةَ وَالضُّيْمَ وَتَمْضِي الْأُمُورَ فِي الْحَادِثَاتِ

حِينَ يَقْوَى مَعَ الرَّجَاءِ الْيَقِينُ فِجَوَابِ الْأَقْدَارِ كُنْ قَيَّكُونُ
يَدْفَعُ النَّفْسَ لِلتَّحَرُّكِ وَالْجِدِّ وَعِنْدَ الْإِثْبَاتِ يَأْتِي الشُّكُّونُ

كُلُّ شَعْبٍ يَرُومُ عِزًّا حِمَاهُ فَبِنُورِ التَّوْحِيدِ لَا بِسِوَاهِ
لَيْسَ بِحِمِيٍّ بِإِلَادِهِ غَيْرُ حُرٍّ سِوَاهُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

حَرْفُ (لَا) آيَةٌ لِبَدْءِ الْمَسِيرِ فِي طَرِيقِ الْجِهَادِ نَحْوُ الْمَصِيرِ
إِنَّهَا أَوَّلُ الْمَنَازِلِ طَرًّا لِرَجَالِ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ

كُلُّ شَعْبٍ يَمْضِي بِخَطْوِ سَدِيدٍ لِلْعُلَى فِي خَرَارَةِ التَّوْحِيدِ
يَتَنَنَّى مِنْ تُرَابِهِ صَرْخَ دُنْيَاهُ وَيَحْيَا فِيهَا بِخَلْقِ جَدِيدٍ

قَوْلُ (لَا) ثَوْرَةٌ أَمَامَ الطُّغَاةِ هُوَ عِنْدَ الْأَحْرَارِ مَعْنَى الْحَيَاةِ
ثَوْرَةٌ مَنْ يَضَالِهَا يُضْنَعُ الْمَجْدُ وَيَبْدُو تَجَلُّدُ الْكَائِنَاتِ

لَيْسَ فِي ذَلِكَ الْجَنُونَ الْعَرِيقُ كُلُّ ثَوْبٍ يَفُوزُ بِالتَّمْزِيقِ
لَا أَرَى فِي الْغُثَاءِ^(١) وَالْقَشِّ^(٢) يَوْمًا خَطْبًا صَالِحًا لِهَذَا الْحَرِيقِ

(١) الْغُثَاءُ : هُوَ مَا يَحْمِلُ السَّيْلُ مِنْ رَغْوَةٍ وَمِنْ فُتَاتِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

(٢) الْقَشُّ : هُوَ مَا يَتَخَلَّفُ مِنَ الْقَمْعِ وَالرِّزِّ وَتَحْوُهُمَا بَعْدَ اسْتِخْرَاجِ حَبِّهِ .

لَوْ يَمَسُّ التَّوْحِيدُ فِكْرًا نَقِيًّا وَضَمِيرًا حَيًّا وَقَلْبًا أَيًّْا
لَأَحَالَ الْخُمُولَ وَالضُّعْفَ إِيْمَانًا وَعِزْمًا يَغْزُو نُجُومَ الثُّرَيَّا^(١)

حَرْفٌ (لَا) صَيْحَةً تَشِيرُ الْعَبِيدَ لِيَزُولُوا مَا لَمْ يُزِيلُوا الْقُبُودَا
وَيَقِيمُوا فِي الدَّهْرِ عَصْرًا مُجِيدًا لَا تُرَى فِيهِ سَبْدًا وَمَسُودَا

لَوْ سَرَتْ شَعْلَةُ الْهَدْيِ فِي الصُّدُورِ وَتَمَشَّى وَمِضُّهَا فِي الضَّمِيرِ
لَأَقَامَ الْأَحْرَارُ لِلْهَوْلِ يَوْمًا يَتَحَدَّى أَهْوَالَ يَوْمِ النَّشُورِ

صَوْتُ (لَا) مِنْ دَوِيِّ صَوْتِ الرُّعُودِ لَيْسَ شَكْوَى نَائٍ وَلَا لَحْنٌ عُودِ
لَوْ يَضِيقُ الْفَضَاءُ يَوْمًا عَلَى الْحَرِّ تَخْطَى بِهِ نِطَاقَ الْوُجُودِ

يَا لَهَا مِنْ ذِكْرِي لِأَمْجَادِ الْعَرَبِ آيَةُ كُبْرَى وَتَارِيخُ عَجَبِ
حَرُّوْا أَقْدَارَهُمْ بِالْعَزَمَاتِ فِي جَمِيعِ الْكَوْنِ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ
فَارَزَدَهُمْ مِنْ نَوْرِهِمْ كُلُّ مَكَانٍ وَتَغْنَى بِسَائِمِهِمْ كُلُّ زَمَانٍ
لَمْ تَدُمْ عُزِّي^(٢) وَلَمْ تَبْقَ مَنَاةُ^(٣) هَوَتْ الْأَصْنَامُ تَحْتَ الضَّرَبَاتِ
حِينَ نَادَى الْمُؤْمِنُونَ (اللَّهُ أَكْبَرُ) زَالَ كِسْرِي وَانْطَوَتْ أَعْلَامُ قَيْصَرِ
أَيُّ سَيْلٍ هَادِرٍ عَمَّ الصُّحَارِي أَيُّ طُوفَانٍ جَرَى يَغْزُو الْبَحَارِ

(١) الثُّرَيَّا : مجموعة من النجوم .

(٢) عُزِّي : صنم كان لبني كنانة وفريش ، أو شجرة من الشمر كانت لطفقان بنوا عليها بيتاً وجعلوا يعبدونها ، فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدم البيت وأحرق الشجرة .

(٣) أحد أصنام العرب في الجاهلية .

وَحَدُوا الْخَلْقَ بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِ
 مِنْ تَحْدَى نَارِهَا أَضْحَى هَبَاءً
 وَأَزَالُوا كُلَّ جِبَارٍ عَنِيدٍ
 كُلُّ هَذَا كَانَ مِنْ أَنْوَارِ (لا)
 فِي مَهْوَبِ الْأَرْضِ أَوْ دَيْرِ قَدِيمٍ
 وَأَقَامُوهَا عَلَى النَّهْجِ الرَّشِيدِ
 فَجَرَى الْحَقُّ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ
 كُلُّ نَوْرِ يُجْتَلَى مِنْ شَمْسِهِمْ
 فَهُوَ مِنْ شَاطِئِ نَهْرِ الْعَرَبِ
 نَقْشَ غَيْرِ (الله) ، عَلَامِ الْغُيُوبِ
 ثَوْرَةَ الْإِيمَانِ فِي كُلِّ الشُّعُوبِ
 حَطَّمُوا الْقَيْدَ بِعِزِّهِمْ مِنْ حَدِيدٍ
 وَاسْتَرَدُّوا أَمْنًا حَرِّيَّاتِهِمْ



بِاسْمِ (لا) حَتَّى أَثَارُوا الْأَمَمَا
 وَأَطَاعُوا بِمَعَايِيرِ الشُّنَنِ
 لَمْ يَرَوْهُمُ نَحْوُ (إِلَّا) مِنْزَلًا
 بَعْدَ حِينَ يَقْهَرُونَ الْعَاصِفَةَ
 نَحْوُ (إِلَّا) يَذْفَعُونَ الْمَوْكِبَا
 كُلُّ نَفْسٍ دُونَ إِثْبَاتِ عَدَمٍ
 هَاتِفًا يَدْعُو لِتَوْحِيدِ الْقَدِيرِ
 دُونَ (إِلَّا) فَهِيَ لِلصَّدَقِ دَلِيلُ
 يَخْشَدُ الْأَلْفَاظَ خَشْدَ الْمَكْتَبَاتِ
 أَسْمِعِ النَّمْرُودَ تَوْحِيدَ الْجَلِيلِ

هَؤُلَاءِ الْعَرَبُ الصَّيْدُ الْأَبَاهِ
 شَعْلَةٌ مِنْ نَوْرِهَا الْحَقُّ أَضَاءُ
 قَدْ أَبَادُوا كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ
 وَسَمَوْا فَوْقَ الدَّرَارِيِّ مِنْزَلًا
 بَيْنَمَا الْعَالَمُ كَالْعَظْمِ الرَّمِيمِ
 أَنْشَأُوا دُنْيَاهُ فِي خَلْقِ جَدِيدٍ
 أَيْقَظُوا الدُّنْيَا بِتَكْبِيرِ الْأَذَانِ
 كُلُّ خَيْرٍ يُرْتَجَى مِنْ غَرْسِهِمْ
 كُلُّ رَوْضٍ بِالْمَعَالِي مُخْصَبُ
 قَدْ أَزَالَ الْعُرْبُ مِنْ لَوْحِ الْقُلُوبِ
 فَأَقَامُوا فِي شَمَالٍ وَجَنُوبِ
 فَتَرَى فِي أُمَمِ الْعَرَبِ الْعَبِيدِ
 أَعْلَنُوا الْحَرْبَ عَلَى سَادَاتِهِمْ

صَارَ شَعْبُ الرُّوسِ نَارًا وَدَمًا
 فَاسْتَهَانُوا بِتَقَالِيدِ الرُّمَنِ
 وَقَفَّ الرُّكْبُ بِهِمْ فِي بَابِ (لا)
 سَتَرَاهُمْ كَجِيُوشٍ زَاخِفَةٍ
 وَتَرَى لِلْقَوْمِ أَمْرًا عَجَبًا
 لَا وَ (إِلَّا) بِهِمَا الْعَدْلُ انْتِظَمَ
 إِنَّ لِّلْفِطْرَةِ فِي كُلِّ ضَمِيرٍ
 لَمْ يَبْنِ فِي حَرْفِ (لا) صَدَقُ الْخَلِيلِ
 يَا مَقِيمًا فِي زَوَايَا الْحُجُرَاتِ
 إِنَّ تَكُنْ فِي مِثْلِ نِيرَانِ الْخَلِيلِ

لا يساوي قَدْرُهُ وزنَ الهَبَاءِ^(١)
 ثُمَّ لَا يَقْبَلُ عَنْهُ جَوْلًا
 أَمْرُهُ النَّافِذُ فِي كُلِّ الْوُجُودِ
 وَهُوَ فِي عَزَلَتِهِ نَاءٌ مُقِيمٌ
 قُمْ وَأَنْبِغْهُ الْبَرَايَا أَجْمَعِينَ

وَالَّذِي تَبَصَّرُهُ حَوْلَ الْفَضَاءِ
 كُلُّ حُرٍّ فِي يَدَيْهِ سَيْفٌ (لَا)
 فَهُوَ لِلْعِلْيَاءِ دَوْمًا فِي صُعُودِ
 أَيَّهَا الشَّادِي بِقِرَآنِ كَرِيمٍ
 قُمْ وَأَسْمِغْهُ لِكُلِّ الْعَالَمِينَ

فَقْرُ الصَّالِحِينَ

نَحْنُ إِقْبَالُ مَوْضُوعِ فَقْرِ الصَّالِحِينَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ عَلَى اسْلُوبٍ خَاصٍّ مِنَ
 التَّعْبِيرِ تَعْرِيفًا بِقِيَمَةِ الْفَقْرِ وَمَرَامِيهِ ، يَقُولُ :

مَا هُوَ الْفَقْرُ الْغَنِيُّ الْأَرْفَعُ
 وَارْتَوَاءُ الْقَلْبِ مِنْ عَيْنِ الْيَقِينِ
 هَامَةُ الْجَوَازِءِ مِنْ أَدْنَى خُطَاهِ
 وَيَرَى التَّوْحِيدَ نِبْرَاسَ هُدَاهِ
 لَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ فِي الْكَوْنِ إِلَهَ
 لَمْ يَكُنْ ثُمَّ مِوَى خُبْرَ الشَّعِيرِ
 وَإِلَيْهِ خَاشِعًا يَسْعَى الْأَمِيرُ
 ثُمَّ تَسْلِيمٌ لِمَا اللَّهُ قَضَى
 فَهُوَ مِيسَرَاتُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
 يَصْنَعُ الْجَوْهَرَ مِنْ أَدْنَى زُجَاجٍ
 فَهُوَ إِنْسَانٌ وَفِي الثُّورِ مَلَكٌ

يَا عِبَادَ الْمَاءِ وَالطَّيْنِ اسْمَعُوا
 هُوَ عِزْفَانُ طَرِيقِ الْعَارِفِينَ
 ذَلِكَ الْفَقْرُ عَزِيزٌ فِي غِنَاهِ
 يُخَكِّمُ الْإِبْدَاعَ فِي صَنِيعِ الْحَيَاءِ
 يَرْعَشُ الْكَوْنُ إِذَا دَوَّى صَدَاهِ
 خَيْرٌ حَرَّرَهَا ذَاكَ الْفَقِيرُ
 خَاشِعٌ لِلَّهِ ذِيكَ الْقَدِيرِ
 حَالُهُ ذَوْقٌ وَشَوْقٌ وَرِضَا
 يَا لَهُ كَنْزًا بِهِ الْعَيْشُ صَفَا
 لَيْلِهِ الْمُظْلِمُ لِلْمَجْدِ سِرَاجُ
 يَقْهَرُ الْمُؤْمِنُ نَامُوسُ^(٢) الْفَلَكِ

(١) الْهَبَاءُ : الثَّرَابُ الَّذِي تُطْبِخُهُ الرِّيحُ وَيَلْزَقُ بِالْأَشْيَاءِ .

(٢) نَامُوسُ : الْقَانُونُ أَوِ الشَّرِيعَةُ .

فَلَقَدْ تَنَقَّلْ دُنْيَاكَ إِلَى
 فِي هُدَى الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ
 ذَلِكَ الْمُسْكِينُ فِي رُفْعَتِهِ
 صَامِتٌ لَيْسَ يُطِيلُ الْكَلِمَا
 وَلَهُ مِنْ طَاقَةِ الرُّوحِ جَنَانٌ
 حَوْلَ الْعَصْفُورِ نَشْرًا فِي الْقَضَاءِ
 بِنِدَاءِ الْحَقِّ يُحْيِي مُدُنَا
 مُسْلِمٌ دَوْلَتُهُ فَوْقَ الْحَصِيرِ
 لَيْسَ يَرْضَى الْعَيْشَ إِلَّا فِي مَقَامٍ
 لَا يَبَالِي مِنْ لَهُ هَذَا السُّلُوكُ
 يَتَلَاشَى الْجَمْرُ فِي ثِرَانِهِ
 صَوْتُهُ فِي الشَّعْبِ يَذْكِي لَهَا
 لَا تَرَى الْأُمَّةَ تَخْشَى مِنْ مُغِيرٍ
 نَحْنُ بِاسْتِغْنَائِهِ نَلْقَى الْغِنَى
 فَاُمْتَحَنَ وَجْهَكَ فِي مِرَاتِهِ
 تَكْتَسِبُ مِنْهُ مَزَايَا الصَّادِقِينَ
 تَتَجَلَّى حِكْمَةُ السَّادِّينَ جَمَالَا
 قُوَّةُ السَّادِّينَ وَتَشْيِيدُ عُلَاهُ
 كُلُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ الْأَحَدِ
 إِنْ يَكُنْ فِي صُورَةِ النَّمْلِ خَفَاءِ
 قَالَ خَيْرُ الْخَلْقِ تَاجُ الْمُزْمَلِينَ
 كَيْفَ يَعْلَمُونَ مِنْهَا لِلْمُسْلِمِينَ
 يَا لَهَا كَارِثَةٌ فِي الْعَالَمِينَ

حَالَةٍ أَسْمَى وَشَانٍ أَفْضَلَا
 دَائِمَ الْإِسْعَادِ مَوْصُولَ النُّعْمِ
 يَسْعُ الْعَالَمَ فِي مُهْجَتِهِ^(١)
 وَهُوَ بِالْقَنَتِ بِرُبِّي أَمَّا
 يَمْنَحُ الْخَامِلَ ذَوْقَ الطَّيْرَانِ
 فَبَدَا لِلْأَرْضِ تَفْسِيرُ السَّمَاءِ
 وَيَصِدِّقُ الْعَزْمَ يَتَنَبَّأُ
 كَانَ يَخْشَى بِأَسَةِ الْفُ سَرِيرِ
 يَسْتَوِي الشَّاهِينَ فِيهِ وَالْحَمَامِ
 أَنْ يَقُولَ الْحَقُّ فِي وَجْهِ الْمُلُوكِ
 وَيَخَافُ الْبَحْرُ مِنْ طُوفَانِهِ
 وَتَخَافُ النَّارُ مِنْهُ الْحَطَبَا
 وَلَدَيْهَا مِثْلُ ذِيكَ الْفَقِيرِ
 وَعَلَى أَشْوَاقِهِ نَزَجُوا الْمُنَى
 وَانْشَدَ الْحِكْمَةَ مِنْ آيَاتِهِ
 وَتَفَرَّزَ مِنْهُ بِسُلْطَانٍ مُبِينِ
 حِينَ يُبْشِرُ الْفَقْرَ عِزًّا وَدَلَالَا
 فِي تَسَامِي الْفَقْرِ عَنْ ذُلِّ الْحَيَاةِ
 لَا يُذِلُّ النَّفْسَ يَوْمًا لِأَحَدٍ
 لَيْسَ يَزْجُو مِنْ سُلَيْمَانَ عَطَاءِ
 كُلُّ أَرْضٍ مَسْجِدٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
 فَوْقَ أَرْضٍ فِي يَدِ الْمُسْتَعْمَرِينَ
 مَسْجِدُ الْهَادِي بِأَيْدِي الْغَاصِبِينَ

حَرِّرِ الْأَرْضَ مَعاً وَالْمَسْجِدَ
 أَيُّهَا النَّاصِحُ لَيْلاً وَنَهَاراً
 إِنَّ مَعْنَى تَرْكِهَا تَسْخِيرُهَا
 وَالَّذِي يَغْلُو عَلَى صَهْوَتِهَا
 فَاتَّخِذْهَا مِنْ مَطَايَا الْآخِرَةِ
 هِيَ صَيْدُ الْمُؤْمِنِ الْحَرِّ الْجَسُورِ
 كُلُّ زُهْدٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَاجِدٍ
 أَنَا مِنْ مُشْكَلَتِي طَالَ اكْتِسَابِي
 أَيُّهَا الشَّاهِنُ^(١) مَا هَذَا الْجُمُودِ
 يَأْسُ أَمْ أَنْتَ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ^(٢)
 مَا شَكَا مِخْلَبِكَ النَّسْرُ وَلَا
 الْجِبَالُ الثُّمُ وَالْأَفَاقُ لَكَ
 طَرُ إِلَى النُّجْمِ وَخَلَقَ مِنْ جَدِيدٍ
 فَقَرْنَا تُمْلِيهِ آيَاتُ الْكِتَابِ
 فَقَرْنَا مَعْنَاءَ تَسْخِيرِ الْجِهَاتِ
 يَرْفَعُ الْمُؤْمِنَ فَوْقَ الشُّبُهَاتِ
 فَقَرُّ أَهْلِ الْكُفْرِ هَذُمٌ لِلْفِطْرِ
 عَيْشُهُ بَيْنَ الْمَرَامِيِّ وَالْكُهُوفِ
 لَمْ يَكُنْ فِي الذَّهْرِ مِنْذُ الْمَوْلِدِ
 لَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ بِالْفَقْرِ اعْتِزَالُ
 بَيْنَمَا الْأَوَّلُ فِي صَمْسَةِ الْجُمُودِ
 ذَاكَ يَطْلُوِي الْعُمَرَ فِي تَرْكِ الْبَدَنِ

لَا يَكُنْ غَيْرُكَ فِيهَا سَيْدَا
 دَاعِيَا أَنْ تَتْرَكَ الدُّنْيَا احْتِقَارَا
 فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ لَا تَذْمِيرُهَا
 يَأْمَنُ الْمِخْنَةَ مِنْ عَشْرَتِهَا
 تَنْجُ مِنْ تِلْكَ الْعَجُوزِ السَّاحِرِ
 قَبْلَ أَنْ يَصْطَلَّاهُ فِيهَا الْغُرُورُ
 فَهُوَ مَلُوءٌ لِإِعْدِيمِ فَاقِدِ
 حُلُّهَا أَعْيَا عَلَى الْجُهْدِ صَوَابِي
 أَيْنَ مِنْكَ الْبَاسُ أَوْ أَيْنَ الصُّعُودُ
 أَمْ خَشِيتَ الْوَثْبَ فِي هَوِّجِ الرِّيَّاحِ
 فَرَّ مِنْ عَزْمِكَ طَيْرٌ فِي الْفَلَاحِ
 أَيُّهَا الْهَارِبُ مِنْ أَوْجِ الْفَلَكَ
 فِي الْفَضَاءِ اللَّازُورِدِيِّ الْبَعِيدِ
 لَيْسَ فِي رَقْصِ وَسْكَرٍ وَرَبَابِ
 وَاحْتِسَابِ لَجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ
 مَظْهَرًا أَعْلَى لِقُدْسِي الصِّفَاتِ
 وَمَجَافَاةَ لِعُمُرَانِ الْبَشَرِ
 لَا تَرَى مَوْضِعَهُ بَيْنَ الصُّفُوفِ
 غَيْرَ صَفْرِ فِي يَسَارِ الْعَدَدِ
 هُوَ فِي الْبَرِّ وَفِي الْبَحْرِ يَضَالُ
 سَارَ هَذَا نَحْوَ تَعْمِيرِ الْوُجُودِ
 طَالِبًا لِلْمُرُشِدِ أَوْ تَرْكِ الْوُطْنِ

(١) الشَّاهِنُ : طائر من جوارح الطير وسباعها ، من جنس الصقر .

(٢) مقصوص الجناح : مقطوع الجناح .

وترى المؤمن في أمته
 نحو إدراك المعالي ساعيا
 فقرنا الحر إذا ناجى القدر
 فقرنا العاري تولاة الزوال
 إنه إيمانٌ بسدرٍ وحنين
 أسفاً لم يبقَ عندي سيفٌ (لا)
 أسفاً ، إنني أرى دنيا الفتن
 يا شباب الحق ، يا ذخرة الشعوب
 إن دنيا اليوم أبلاها القدام
 أين منكم يا ذوي الماضي الكريم
 طال هذا النوم عن صون حماة
 يداب الحر غدواً وعشيّاً
 وجهاد المصطفى برهائه
 يا لقوم ، أنجبوا كل أمير
 لا تسأل عن قصة القوم بيانا
 ألم أغمد في صذري مهباه
 هؤلاء هذا الحشر أعيا الواصفينا
 قوة الدين في الثمر القريب
 أين منعاهم وهم في العاجلة
 ليس للشيطان فينا مارب
 فتراث الدين قد طار شعاعا
 كم تغنى بمزايا بايزيد^(١)
 فيرى في دولة الأغيار رcheme

ينشد الحق بذاتيته
 وسراجاً في الليالي هاديا
 يزهب الشمس ويختل القمر
 قد نأى المنيمن عن هذا الجلال
 إنه زلزال تكبير الحسين
 وأرى غمذك منه قد خلا
 زلزلت إيمانه فيها المحزن
 حرروا ممّا سوى الله القلوب
 فاخلقوا دنيا سواها في الأمم
 غيره الأحرار للدين القويم
 ما أرى الموت سوى هذي الحياة
 ثم بيني ذاته صرحاً عليّاً
 وسجايا المصطفى ميزانه
 فمتى يولد في القوم فقير
 أسكت الدمع عن الوصف اللسان
 هو في قلبي كأهوال القيامة
 فليقدم في الصدر مطوياً دينا
 فكان القوم في شك مريب
 قطعوا عمداً طريق القافلة
 لا ولا لئلم منّا مطلب
 وتراث المال قد ولّى ضياعا
 ذو رياء هو للوزد مرید
 وكان الدل في دنياه نعمة

(١) لا أدري من يرئد الشاعر به .

وينادي أَنْ حُكْمَ الدُّخْلَاءِ
 أَيُّهَا المحْرُومُ مِنْ وَجْدَانِهِ
 أَوْ تَذْرِي أَنَّنَا مِنْ عَضْرِنَا
 كُلُّ حَيٍّ مَعْرُضٌ عَنْ ذَاتِهِ
 عِشْ وَلَوْ يَوْمًا عَزِيزَ الْمَطْلَبِ
 مَنَزِلُ الشَّاهِدِينَ فِي أَوْجِ السَّحَابِ
 لَمْ يَزَلْ فِي الرُّوضِ ظِلٌّ وَتَمَرٌ
 كُنْ كَحَدِّ السَّيْفِ فِي صِدْقِ الْمَضَاءِ
 إِنَّ فِي رُوحِكَ سَيْلًا كَالْعُبابِ
 انْدَفَاعُ السَّيْلِ إِثْبَاتُ الْبَقَاءِ
 أَنَا لَمْ أَسْلُكْ إِلَى الْفَقْرِ سَبِيلًا
 لَمْ أَكُنْ فِي الْفَقْرِ ذَا فَهْمٍ دَقِيقِ
 فِكْرَةٌ جَاشَتْ بِهَا الْقَلْبُ اضْطَرَابًا
 كُنْتُ فِي الَّذِينَ حَدِيدَ الْبَصَرِ
 وَانْجَلَسْتُ وَاحِدَةً بَيْنَ مَنَاتِ
 فَاغْتَنِمْ مِنْ فَاقَتِي حِظًّا يَسِيرًا
 أَيُّهَا الشَّادِي بِقِرَآنِ كَسْرِمِ
 قُمْ وَأَبْلِغْ نَوْرَهُ لِلْعَالَمِينَ
 إِنَّ نَكْنَ فِي مِثْلِ نِيرَانِ الْخَلِيلِ
 مِنْ لَهُ مِنْ ثَرْوَةِ الْهَادِي نَصِيبِ
 يَا غَرِيبًا عَنْ مَقَامِ الْمُضْطَفَى



فِيهِ لِلذَّيْنِ ازْدَهَارٌ وَازْتِقَاءُ
 وَمِنْ الشُّوقِ وَمِنْ أَشْجَانِهِ
 غَرِيبًا فِيهِ عَنْ أَنْفُسِنَا
 فَقَدْ الْجَوْهَرُ مِنْ مِرَاتِهِ
 أَجْنِبِيَا عَنْ طَرِيقِ الْأَجْنَبِيِّ
 مَا لَهُ يَتَكُنُّ فِي وَكْرِ الْغُرَابِ
 فَالْتِمِسْ عُشَّكَ فِي أَعْلَى الشَّجَرِ
 وَاحْتَسِبْ نَفْسَكَ فِي كَفِّ الْقَضَاءِ
 يَنْسِفُ السُّمَّ وَيَهْوِي بِالْهَضَابِ^(١)
 وَسَكُونُ اللَّيْلِ مَعْنَاهُ الْقَنَاءُ
 اتَحَرَّى الْحُكْمَ فِيهِ وَالذَّلِيلَا
 فِي سَلُوكِ بَيْنَ رُؤَاةِ الطَّرِيقِ
 ثُمَّ لَمْ أَمْلِكْ عَنِ الْقَوْلِ اخْتِجَابَا
 رَغَمَ مَا بِي مِنْ قُصُورِ النَّظَرِ
 بَعْدَ لَايٍ مِنَ الْوَفِّ الْمُشْكِلَاتِ
 فَعَسَى إِلَّا تَرَى مِثْلِي فَقِيرَا
 وَهُوَ فِي رَكْنٍ مِنَ الْبَيْتِ مُقِيمِ
 قُمْ وَأَسْمَعْه الْبَرَايَا أَجْمَعِينَ
 أَسْمَعَ الثَّمَرُودَ تَوْجِيْدَ الْجَلِيلِ
 فَهَوَ مِنْ جَبْرِيلَ فِي الدُّنْيَا قَرِيبِ
 عُدْ إِلَى الْحَقِّ تَجِدْ نُورَ الصِّفَا

(١) الهَضَابُ ، جمع هَضْبَةٍ : جبل منبسط معتد على وجه الأرض .

الرجل الحر

قدّم إقبال في أبياته السابقة صفات الفقير المؤمن بالله ، إلا أنه شاء أن يخصّ المسلم الحرّ بهذه الأبيات نظراً لما للحرية من مكانة ، وما للرجل الحرّ من مقام ، ولذا نجد إقبالاً يكرّر في هذه الأبيات بعض المعاني كصاحب رسالة نظراً إلى ذلك الارتباط الوثيق بين حرّية الفقير وفقر المؤمن ، يقول :

فَوْقَ مَسْرِ النَّجْمِ لِلْحَرِّ هَذَفَ
أَمِنْ فِي سِلْمِهِ فِي حَزْبِهِ
عَرَفَ اللَّهُ فَلَمْ يَرْهَبْ مِوَاهُ
لَا يَرَى قَطُّ مَعَ الْبُؤْسِ الْمَرِيرِ
جَمَلٌ فِي الْيَدِ مَوْصُولِ الصِّيَامِ
هُوَ تَبْضُ فِي عُروِقِ الْأَمَلِ
مِنْ عِلَا تَكْبِيرِهِ مِنْ غَيْرِ تَاجِ
قَدْ ذَكَّتْ نِيرَانُنَا مِنْ جَمْرِهِ
جَنَّةُ الْوَرْدِ شِدَا مِنْ مِخْرِهِ
وَتَرَى فِي قَصْرِ رَبِّ السَّرِيرِ
شَأْنُنَا فِي الدِّينِ لَا يَعْدُو الْخَبَرِ
نَحْنُ عِنْدَ الْبَابِ نَسْتَجِدِي الْأَمَانِي
أَضْبَحَ الدَّيْرُ لَدِينَا مَقْصِداً
وَهُوَ يُسْقَى مِنْ يَمِينِ الْمُضْطَفَى
فِي ضَمِيرِ الْحَرِّ تَكْبِيرُ الْإِلَهِ
نَحْنُ لِلْإِفْرَنْجِ أَسْلَمْنَا الْقِيَادَا
وَابْتَغَيْنَا عَنْدهُمْ عِزَّتَنَا
وَشَعَارُ الْحَرِّ عِزٌّ وَإِيَاءُ
فَلْغَيْرِ اللَّهِ مَا مَدَّ الْيَمِينِ

وَرَدَّهُ فِي كُلِّ حِينٍ لَا تَخَفُ
رَأْسُهُ فِي الْكَفِّ لَا فِي جَبِيهِ
كَيْفَ يَخْشَى الْخَلْقَ مَنْ خَافَ الْإِلَهِ
عَبْدَ سُلْطَانٍ وَلَا ظِلَّ أَمِيرِ
يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ وَالشُّوْكَ طَعَامِ
وَهُوَ سَقَى فِي طَرِيقِ الْعَمَلِ
يُلْزِمُ التَّيْجَانَ تَقْدِيمَ الْخَرَجِ
وَجَرَتْ أَنْهَارُنَا مِنْ خَمْرِهِ
شَعْلَةُ الْمَجْدِ سَنَا مِنْ فِكْرِهِ
رَاعِشاً مِنْ سَهْمِ عُزْيَانِ فَقِيرِ
وَهُوَ فِي الدِّينِ شُهُودٌ وَنَظَرُ
وَهُوَ فِي الدَّارِ وَفِي طِيبِ الْمَجَانِي
نَحْنُ لِلْغَيْرِ نَبِيْعُ الْمَسْجِدَا
كَوْثَرُ عَذْبَاءُ بِهِ الْوَرْدُ صَفَا
فِي جَبِينِ الْحَرِّ تَقْدِيرُ الْأُمَمِ
وَاتَّخَذْنَاهُمْ لَدَى الْجُلَى عَتَادَا
وَجَعَلْنَا وَدَّهْمَ قِبَلَتِنَا
رِزْقُهُ مِنْ يَدِ جَبَّارِ السَّمَاءِ
لِغَيْرِ اللَّهِ لَمْ يَخْنِ الْجَبِينِ

متعة الدُّنيا لنا كلُّ المَرَامِ
هو في الحقِّ جهادٌ وثبات
إنَّنا نبني قصوراً في الخيال
وهو بالأعمال في كلِّ مجال
لو رمى شُممُ الجبالِ العاتية
اجتنبَ صُخبَتنا واشغَظَ به
الزَّم الحرَّ ودغ أهل البَوَار^(١)
صحبة الحرِّ إلى العلياء باب
صحبة الحرِّ تنيرُ العالم
قُرْبُه للعرِّ أصفى منهل
هُوَ يَوْمَ السُّلَم في أوطانه
بجديد الفكرِ يحيي عُصرَه
وهو يومَ الحَرْبِ في ميدانها
سيفُه يحفرُ فيها قَبْرَه
ليس زَرْعُ القلبِ في ماءٍ وطين
إنَّ أَرْدَتِ العَيْشَ حُرّاً صافيا

رُبَاعِيَّاتُ^(٢)

أقبلَ الحرُّ على يومِ الفِداء
وكانَ الوَحْيَ لَقَاءُ النُّدَاءِ
ومضى يرمي على النُّجْمِ الهَدَفَ
من سماءِ الله أقْدِمَ لا تَخَفُ

(١) أهل البَوَار : أهل جهنم .

(٢) ولقد أعاد المترجم صياغة هذه المنظومة في رباعيات .

أَشْرَقَ التَّوْحِيدُ نَوْرًا فِي هَذَا وَسَرَى التَّحْرِيرُ مِنْهُ فِي الضَّمِيرِ
أَثَرِي مَنْ لَمْ يَخَفْ غَيْرَ الْإِلَهِ يَرْهَبُ السُّلْطَانَ أَوْ يَخْشَى الْأَمِيرَ

رُوحَهُ تَكْشِفُ أَسْرَارَ الْخُلُودِ عَنْ حَيَاةٍ مَا لَهَا فِي الدَّهْرِ مَوْتُ
يُرْسِلُ التَّكْبِيرَ مِنْ قَلْبِ الْوُجُودِ لُغَةً تُغْنِيهِ عَنْ حَرْفٍ وَصَوْتِ

سَلْ مَلُوكَ الْأَرْضِ عَنْ دُنْيَا الْغُرُورِ فِي الْمَلَاهِي خَلْفَ أَسْتَارِ الْحَرِيرِ
زَلْزَلَتَهُمْ بَيْنَ أَبْرَاجِ الْقُصُورِ ضَرْبَةً مِنْ مَنَهُمْ غُرْبَانِ فَقِيرِ

ضَرَبَ الْبَحْرَ كَمَوْسَى بِعَصَاهُ وَرَمَى الصَّخْرَ حُطَامًا مِنْ زَجَاجِ
ذَلِكَ الْأَوَّابُ فِي ثَوْبِ تَقَاهُ أَلْزَمَ التَّيْجَانَ تَقْدِيمَ الْخَرَاجِ

قَدْ جَرَتْ أَنْهَارُنَا مِنْ بَحْرِهِ وَأَضَاءَتْ نَارُنَا مِنْ خَمْرِهِ
بِسْمَةِ الْوَرْدِ شَذَا مِنْ عِطْرِهِ شَعْلَةُ الْمَعْجِدِ سَنَا مِنْ فِكْرِهِ

شَأْنُنَا فِي الدِّينِ لَا يَعْدُو الْعَجْزُ وَهُوَ فِي الدِّينِ شُهُودٌ وَنَظَرُ
نَحْنُ عِنْدَ الْبَابِ فِي ظِلِّ الشَّجَرِ وَهُوَ فِي الدَّارِ وَفِي مَجْنَى الثَّمَرِ

لَبَنِي الْإِفْرَنْجِ فِي السُّنْيَا عَيْنِدِ فِي قِيُودٍ مِنْ حَرِيرٍ أَوْ حَدِيدِ
كَمْ تَغْنَى بِمَزَايَا بَايَزِيدِ ذُو رِيَاءٍ وَهُوَ لِلْوَرْدِ مُرِيدِ

فِي حَدِيثِ الْمُصْطَفَى شَمْسُ الْهُدَى كُلُّ أَرْضٍ مَسْجِدٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

كَيْفَ تَبْنِي فَوْقَ أَرْضٍ مَسْجُوداً إِنَّ تَرَكْتَ الْأَرْضَ لِلْمُسْتَعْمِرِينَ

لَيْسَ حَيًّا مَنْ يُرَى مُسْتَعْبِداً لَيْسَ مَنْ فِي يَدَيْهِ رِزْقُهُ
مَيِّداً مَنْ لَيْسَ يَرْضَى سَيِّداً مَا خِلا رَبِّي فَكُلُّ عَبْدُهُ

فِي ضَمِيرِ الْحَرْزِ تَكْبِيرُ الْإِلَهِ فِي جَبِينِ الْحَرْزِ تَقْدِيرُ الْأُمَمِ
مَوْتُهُ أَعْلَى مَقَامَاتِ الْحَيَاةِ تَرْفَعُ الدُّنْيَا لِذِكْرِهِ الْعَلَمِ

هُوَ يَوْمُ السُّلَمِ فِي نَهْضَتِهِ يَدِ الْإِصْلَاحِ يَتَنَبَّأُ عِصْرُهُ
وَيُذِيعُ الْخَيْرَ فِي أُمَّتِهِ مِثْلَمَا يَنْشُرُ رَوْضَ عِطْرِهِ

وَهُوَ يَوْمَ الْحَرْبِ فِي سَاحَتِهِ سَيْفُهُ يَخْفِرُ فِيهَا قَبْرُهُ
يَتَحَدَّى الْمَوْتَ فِي وَثْبَتِهِ أَوْ يُتِمُّ الْعَزْمُ فِيهَا نَصْرُهُ

إِنَّ غَرْسَ الْحَقِّ فِي نَوْرِ الْقُلُوبِ غَيْرُ شَأْنِ الرِّيحِ فِي مَاءِ وَطِينِ
فَالْتِمِسْ لِلْمَجْدِ أَحْرَارَ الشُّعُوبِ إِنَّهُمْ فِي الدَّهْرِ أَعْلَامُ الْيَقِينِ

فِي أَسْرَارِ الشَّرِيعَةِ

لم يتحدث إقبال فقط عن أسرار العبادات وحكمة الدين فيها ، ولكنه من جهة أخرى يحاول أن يكشف أسرار الحياة في المال ، وفي مجال التعامل به ، وما انتهجه المادّيون من الأساليب في هذا السبيل ، فيقول للمؤمن : إني وعيت

عن جلال الدين الرُّومي حكمة نبهني فيها إلى أمرٍ جَلَلٍ ، ما يَكْذِبُ أنَاْمُهَا حتى أصابني المقيمُ المقعدُ من التفكير ، فيقول :

حِكْمَةٌ قد وعيتها عن جلال الدين فيها أدركتُ معنى الجلالِ
أنَّ حِفْظَ الأموالِ مِنْ أَجْلِ حِفْظِ الدِّينِ زَادٌ وَعِدَّةٌ لِلنُّضَالِ
قد أَبَانَ الرَّسُولُ أنَّ صلاحَ المالِ يزكو به^(١) صلاحُ الرُّجالِ
إِنْ يَكُنْ هُناكَ الغِنَى لم تكن له عبداً بَلْ أَنْتَ عبدُ المالِ

كَمْ شَهِدْنَا الإِصْلَاحَ مِنْ فارِغِي الأيدي وأهلِ الخِصاصةِ المُعْذَمينِ
كَمْ وَجَدْنَا الكِسادَ مِنْ خازِنِ المالِ وأهلِ الأهواءِ والمُتَرَفِّينِ
هُمُ يَضِيقُونَ بِالْعَدَالَةِ فِي الأَرْضِ لِيَقْضُوا حَيَاتَهُمْ نَاعِمِينَ
لا يَخَافُونَ فِي المَصِيرِ حساباً بَلْ يَخَافُونَ غَضَبَةَ الثَّائِرِينَ

يَأْكُلُونَ التَّراثَ جَمْعاً وَيُخْلَا	ثُمَّ هُمْ يَأْكُلُونَ خُبْزَ الأجيرِ
وتزِيدُ المأساةَ رُغْباً وهولاً	عندما يَنْسْرِقُونَ حَقُّ الفقيرِ
يَقِفُ العَاملُ المُسِينُ ^(٢) لديهم	خاشعَ الطَّرَفِ خافِضَ التَّعبيرِ
يَصِلُ اللَّيْلُ بِالنَّهارِ أنيناً	دُونَ جَدْوَى ^(٣) فِي بؤْسِ عيشٍ مريرِ

ليس في بيته الرغيفُ ولا يَنْسُرُ مِنْ عُزْبِهِ سوى الأسمالِ^(٤)
يَتَنِي القَصْرَ وهو يَلْتَمِسُ الأكْوَاحَ بينَ الرُّبُوعِ والأطلالِ

(١) يَزْكُو به : يَزِيدُ به .

(٢) المُسِينُ : كَبِيرُ السِّنِّ .

(٣) دُونَ جَدْوَى : دُونَ فَائِدةٍ .

(٤) الأسمال : الأثوابُ الخَلِقةُ البالية .

نال ربح الدّارين مَنْ جَعَلَ الْقَالَ سَيْلاً إِلَى كَرِيمِ الْفَعَالِ
هُمْ حِيَارَى لَا يَنْظُرُونَ بَنُورِ اللَّهِ بَلْ يَنْظُرُونَ رَأْسَ الْمَالِ

يَسْتَوِي الْحَلُّ وَالْحَرَامُ لَدَى الْقَوْمِ وَأَيُّنَ الدُّجَى مِنَ الْأَنْوَارِ
فَأَسْأَلِيهِمْ مَخَادَعَةَ الْخَلْقِ وَتَعْمِيرَهُمْ خَرَابُ الدِّيَارِ
دَوْلَةٌ تَعْتَدِي عَلَى دَوْلَةٍ ظُلماً وَقَطَرٌ يَبْغِي عَلَى أَقْطَارِ
كَادِحٌ يَزْرَعُ الْحَقُولَ فَيَأْتِي غَيْرُهُ عَاجِلاً لَجَنِّي الثَّمَارِ

مِنْ صَمِيمِ الْحَيَاةِ . مَنْ فِطْرَةِ اللَّهِ ، مَنْ الْقَلْبِ ، مَنْ لِقَاءِ الضَّمِيرِ
يُشْرِقُ الدِّينُ بِالْهُدَايَةِ وَالرُّشْدِ كَمَا يَشْرِقُ الشُّحَى بِالنُّورِ
فَلَوْ أَنَّ الْحَرَامَ يَبْدُو حَرَمًا يَخْجُزُ النَّاسَ عَنْهُ وَعَيُّ الضَّمِيرِ
يَصْبِحُ الْعَدْلُ شَامِلاً كُلِّ أَرْضٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَوْمِ النُّشُورِ

حِكْمَةُ الدِّينِ أَنْ تُسَلَّمَ لِلشَّرْعِ وَتَرْضَى بِكُلِّ حَكْمٍ قَضَاءُ
مِنْ ضَمِيرِ الرَّسُولِ أَيْنَعُ هَذَا الدِّينِ فِي غَزِيهِ وَطَابَ جَنَاءُ
إِنَّ هَجَرَ الْحَيِيبِ يَسْتَلِبُ اللَّبَّ وَيُذَكِّي فِي الْقَلْبِ نَارَ جَوَاهُ
لَوْ أَزِيلَ الْحِجَابُ لَمْ تَبَقْ حَيّاً خَلُّ أَمْرِ الْوَصَالِ وَاطْلُبْ رِضَاءُ

عِشْ بِأَحْكَامِهِ تَرِ الْعَيْشَ صَفْوَاً وَرِخَاءُ أَوْ نَضْرَةً وَنَعِيمَا
وَاطْعِ أَمْرَهُ تُطْفِئُكَ الْبَرَايَا وَتَرَى الْأَمْنَ حَيْثُ كُنْتَ مُقِيمَا
قَدْ حَبَاكَ الْإِلَهِ أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ لَتَحْيَا خَلْقاً سَوِيّاً كَرِيمَا
إِنَّ إِزْتَ^(١) الْخَلِيلِ إِيْمَانُهُ الصَّادِقُ فَاحْفَظْ مِيرَاثَ إِبْرَاهِيمَا

(١) إِزْتَ : الميراث أو الأمر القديم توارثه الآخرُ عن الأول ، كما جاء في الحديث : -

كُلُّ قَلْبٍ لَهُ مِنَ الْحَقِّ نَوْرٌ وله من هدي النَّبِيِّ نَصِيبٌ
لَا يُشَابُّ الْيَقِينَ^(١) مِنْهُ بَرِيبٌ وهو من جبريلَ الأَمِينِ قَرِيبٌ
يَا مَقِيمًا فِي حُجْرَةِ الدِّاءِ ر يتلو وهو عَمَّا يَتْلُوهُ نَاءُ
قُمْ وَأَنْذِرْ بِهِ الْخَلَائِقَ طَرًّا تَجِدِ الْكَسُونَ كُلَّهُ يَسْتَجِيبُ



وَتَقَبَّلْ أَوْامِرَ الدِّينِ بِالرَّغْبَةِ وَالشُّوقِ وَالرِّضَا كُلَّ وَقْتٍ وَأَنْ
كُلُّ فَرْضٍ تَقْضِيهِ جَبْرًا وَقَهْرًا لَا تَمُرْ فِيهِ نَشْوَةَ الْإِيمَانِ
حِكْمَةُ الدِّينِ فِي الْعَدَالَةِ وَالْحَبِّ لَيْسَتْ فِي الْبُغْضِ وَالطُّغْيَانِ
وَبِأَنَّ لَا يَحْتَاجُ فِي الْأَرْضِ إِنْسَانٌ لِيَحْظَى بِالرِّزْقِ مِنْ إِنْسَانٍ



قَدْ خَجَرْتُ الدُّعَاءَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَالْمُذْعَمِينَ لِلْإِلَهَامِ
أَطْفِئُوا جَذْوَةَ الْإِرَادَةِ فِي الشَّعْبِ وَزَادُوهُ خَيْرَةً فِي الظُّلَامِ
وَأَصَاغُوا التَّأْوِيلَ فِي كُلِّ نَصٍّ حِيلَةً لِلْغِنَى وَجَمَعَ الْحُطَامِ
لَا أَرَى فِي مَنَابِرِ الْقَوْمِ إِلَّا سَلَّةَ الْكَمَكِ أَوْ خَوَانَ الطَّعَامِ



كَمْ أَطَالُوا الْجِدَالَ فِي الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ وَأَفْنَوْا أَعْمَارَهُمْ فِي الْمِرَاءِ
أَيُّ بَابٍ مِنَ الْهَدَايَةِ يُرْجَى مِنْ كَلِيمٍ^(٢) بِلَا يَسِدُّ بَيْضَاءُ
أَيُّ أَمْرٍ يَفِيدُهُ مِنْ كَلَامٍ فِي صَبَاحٍ مُرَدَّدٍ وَمَسَاءِ
صَاحِبِ الْحَقِّ أَنْتَ فَاطِلِبُهُ بِالسَّغْفِرِ وَلَا تَنْتَظِرُهُ بِالْإِعْطَاءِ



« إِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ » .

(١) لَا يُشَابُّ : لَا يَخْتَلِطُ .

(٢) كَلِيمٌ : يُرِيدُ بِهِ الشَّاعِرُ سَيِّدَنَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

دمعة على افتراق الشعب في شبه القارة

نظم إقبال هذا المثنوي في العهد الأخير من حياته سنة ١٩٣٦ ميلادية ، وكانت عوامل الفرقة قد بلغت حدتها ، وضعف الأمل في جمع الصفوف بعد أن قامت وَخْدةٌ وقتية بين الهنادك والمسلمين تعمل على إبعاد المستعمر البريطاني الذي حلّ منذ سنين طويلة في شبه القارة ، وإجلائه عن البلاد ، إلا أن المستعمر لم يفقد أمله الدائب في بث عوامل الفرقة بينهم ، كما حدث منه أدوار متعددة من تاريخ كفاح البلاد من أجل الحرية .

كان المستعمرون الإنجليز يثيرون حرباً ضروساً بين طوائف الشعب باسم الذين تارة وباسم اللغة تارة أخرى ، يحرضون فرقة مسلمة على أخرى ، وجماعة الشيخ على جماعة المسلمين ، ويطلقون في حربهم أيدي السفاكين على الأبرياء الأمنين ، ويزجون بالمجاهدين في أعماق السجون والمعتقلات ، جرياً على معهود سياستهم (فرق تسد) .

وقد نظم إقبال هذه القصيدة من كتابه (والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق) في ظروف ما قبل التقسيم . ولكنّ المسلمين فيما بعد كانوا قد وصلوا إلى حالة وجدوا فيها أنفسهم مضطرين إلى توحيد جبهتهم للمطالبة بالتقسيم الذي انتهى إلى قيام باكستان دولة مستقلة على مسرح التاريخ حفاظاً على كيان المسلمين وحقوقهم المشروعة .

وتعد هذه القصيدة من أجمل القصائد في مثنوي إقبال ، رغم ما حوته من بعض المبالغات ، وفيها يحضّ المسلمين على ثورة عارمة بأسلوب دينيٍ مثير ، وأن تكون لهم القلوب الواعية ، والآمال النابضة بمعاني الحرية والانطلاق .

يوجه إقبال خطابه إلى جميع سكان شبه القارة الهندية قائلاً :

همالايًا ونهر الكنج إني أرى صُورَ الحياةِ بِغَيْرِ معنى
فلم أدرك لها في الذوق رأياً ولم أعرف لها في الحسن لونا

شعوبُ الشرق والغرب استقلت وضاق بنا على الأرض الفضاء
للاغيار ثروتنا متاعاً ومن لبناتنا لهم البناء

وأيّن حياتنا والغيرُ فيها يصُولُ كما يشاء ويستطيلُ
وليس النومُ ما حزننا إليه فذاك الموتُ لا النومُ الثقيلُ

وإنّ بذورَ هذا الموتِ جاءت من الأعماقِ مُنْذُ الابتداء
ومُنْذُ المهدِ كان القومُ صرْعَى^(١) وهذا الموتُ ليس من السماء

وليس فقيدُ هذا الموتِ أهلاً لغسلٍ أو لقبرٍ أو بكاء
ولا شقَّ الثيابِ عليه حزنأ ولا سعي الوفودِ إلى عزاء

جهنّمه سوى ما قد عرفنا فليس لها إلى الفلكِ انسابُ
ويومُ حسابِ كلِّ الخلقِ يأتي بلا عملٍ فليس له حسابُ

حصادُ السَّارعينِ غداً وهذا بلا زرعٍ فمن أين الحصادُ
ومدّةُ عمره في الدهرِ يومٌ وكلُّ حياته يومٌ مُعادُ

(١) صرْعَى ، جمع الصَّرِيع : وهو المصروع . يقال : بات صريع الكأس - والمعجون .

وَأَيُّهُ أُمَّةٌ تَرْجُو الْأَمَانِي بِلا جَهْدٍ وَتَمْضِي فِي رُكُودٍ^(١)
يَكُونُ مَصِيرُهَا عَدَمًا وَمَحْوًا وَيَنْسَى نَقْشَهَا يَفْرُ الْوُجُودُ

وَكَمْ فِتْنٍ تَمَادَى^(٢) الْغَرْبُ فِيهَا وَاحْكَمْ حَوْلَهَا السُّخْرَ الْمِينَا
فَمَا أَبْقَى عَلَى الْكُفَّارِ كَفْرًا وَلَا أَبْقَى لِأَهْلِ الدِّينِ دِينَا

وَأَغْطَشَ لَيْلُهَا الدَّاجِي^(٣) ظِلَامًا فَمَا تَدْرِي الشَّرَابَ مِنَ الشَّرَابِ
هِيَ الْقَمَرَاتُ مَا مِنْهَا نَجَاةٌ وَلَا حَلٌّ يَغَيِّرُ الْإِنْقِلَابِ

فِيَا مَنْ هَامَ بِالدُّنْيَا مَتَاعًا وَأَصْبَحَ هُتَّةً شِعْبًا وَرِيًّا^(٤)
تَطْلُبُ فِي حُضُورِ الْحَقِّ قَلْبًا وَفِيًّا صَادِقَ الْإِيمَانِ حَيًّا

فَهَذَا الْقَلْبُ لِلدُّنْيَا سِرَاجٌ لَهُ أَمَمُ الْخَلِيقَةِ فِي انْتِظَارِ
وَهَذَا الْقَلْبُ مَعْدِنُهُ تَرَابٌ وَجَوْهَرُهُ فَرِيدٌ فِي الدَّرَارِي^(٥)

يَفُوقُ السَّبْعَةَ الْأَفْلَاقَ قَدْرًا بِهَيْئَتِهِ وَلَا بِأَلْوَرُوقِيَّا

(١) الرُّكُودُ : الهلوع ، والشُّكُونُ .

(٢) تَمَادَى : لَجَّ وَدَامَ عَلَيْهِ .

(٣) لَيْلُهَا الدَّاجِي ، أَي : حَالِكُ .

(٤) رِيًّا : مَصْدَرُ زَوِيٍّ ، أَي : شَرِيبَ .

(٥) الدَّرَارِي ، جَمْعُ الدَّرِيَّةِ : نَسَبَةٌ إِلَى الدَّرِّ فِي حَسَنِهِ وَبَهَائِهِ .

يَقِيمُ عَلَى الثَّرَى وَلَهُ أَمَانٌ إِلَى الْعِلْيَاءِ أَدْنَاهَا الثَّرَيَّا^(١)

وَفِي حَرْبٍ ضَرُوسٍ^(٢) كُلُّ حِينٍ مَعَ التَّارِيخِ مُتَّصِلِ النَّضَالِ
بِضَرْبِيهِ الْجِبَالُ تَصِيرُ عَنْهَا وَتُزْهِبُهُ الضَّرَاغِمُ فِي الْجِبَالِ

تَرَى لِشَعُورِهِ الْمَشْبُوبِ نَاراً تُوقَدُ مِنْ حَرَارَتِهَا ذُكَاءً
لَهُ مَقَامُ سَوَى النُّورِ خَبِرٌ وَمِنْ غَيْرِ الطَّعَامِ لَهُ غِذَاءُ

حُضُورُ الْحَقِّ يَمْلَأُهُ يَقِيناً فَمِنْهُ الْخَوْفُ مَخْضاً وَالرَّجَاءُ
شُهُودُ الْحَقِّ إِنَّهُ هُوَ غَابَ عَنْهُ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى الدُّنْيَا بَقَاءُ

طَيْفُ الْجَلُوتِ وَالْخُلُوتِ طُرّاً يَضِيءُ الْكَوْنُ بِالرَّأْيِ الْمُنِيرِ
وَمَالِ الْعِشْقِ فِي سُكْرِ وَصَحْوِ دَلِيلٌ غَيْرَ أَوَابٍ فَقِيرِ

فَصَاحِبٌ مِنْ لَهُ قَلْبٌ عَظِيمٌ لَعَلَّكَ تَدْرِكُ الْأَمْرَ الْعَظِيمَا
وُلِذْتَ عَلَى مَهَادِ الدُّلِّ عَبْدَا فَجَاهِذْ ثُمَّ مِتْ حُرّاً كَرِيمَا

(١) الثَّرَيَّا : مجموعة من النجوم .

(٢) حَرْبُ ضَرُوسٍ ، أَي : شديدة مُهلكة .

السِّيَاسَةُ الْحَاضِرَةُ

إِنَّ إِقْبَالَ كَشْفِ الْأَقْنَعَةِ الْمَزِيْفَةِ عَنْ وَجْهِ السِّيَاسَةِ الْغَرِيبَةِ ، وَوَجْهِ أُمَمِ الشَّرْقِ إِلَى تَجَنُّبِ أخطارِ دُولِ الْغَرْبِ وَسِيَاسَتِهَا ، وَقَدَّمَ حَقَائِقَ وَصُوراً عَنِ التَّدهُورِ الْخُلُقِيِّ فِي قَادَةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُوجَّهِينَ لَشُعُوبِهِمْ لِاسِيَمَا فِي شِبْهِ الْقَارَةِ الْهِنْدِيَّةِ الَّتِي كَتَبَ عَلَى أَرْضِهَا هَذِهِ الْمَنْظُومَةُ الْكُبْرَى قَبْلَ الْاِسْتِقْلَالِ . وَمِنْ أَرْوَعِ مَا نَشْهَدُهُ مِنْ رَوَائِعِ هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ ذَلِكَ الْاِسْتِدْرَاكُ الْعَجِيبُ الَّذِي صَرَّحَ فِيهِ إِقْبَالُ يَأَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُسْتَعْبَدَ الدَّلِيلَ يَكَادُ يَفْقَدُ حَقَّهُ فِي أَنْ يَذْكَرَ اسْمَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى لِسَانِهِ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَالْمَحْ إِلَى الْحَالَةِ الْمُؤَسَّفَةِ الَّتِي شَهِدَهَا فِي الْمَجْتَمَعِ ، وَلَا سِيَمَا فِي شِبْهِ الْقَارَةِ ، وَبَيَّنَّ بِجَلَاءٍ أَنَّ الْعُبُودِيَّةَ وَالذَّلَّةَ لَا تَلْتَقِيَانِ مَعَ الْإِيمَانِ بِاللهِ فِي قَلْبِ إِنْسَانٍ ، وَمَنْ ثُمَّ يَقُولُ إِقْبَالُ :

صَوَّرَ الْغَاصِبُ عَذْلًا ظَلَمَهُ مَا هُوَ التَّفْسِيرُ لِلْعَذْلِ الْجَدِيدِ
زَادَ فِي التَّحْرِيرِ مَعْنًى أَنَّهُ يُحْكِمُ الْقَيْدَ لِتَحْرِيرِ الْعَبْدِ

قَالَ لِلطَّيْرِ إِذَا رُمْتَ الْأَمَانَ فَاتَّخِذْ فِي مَنْزِلِ الصَّيَادِ وَكُورًا
لَيْسَ فِي الْأَجْوَاءِ لِلطَّيْرِ مَكَانٌ لَا وَلَا تَأْمَنُ فِي الصَّحَرَاءِ نَشْرًا

جِئْنَا يَلْقَى الْحَبَّ فِي أَشْرَاكِهِ يَسْقُطُ الطَّيْرُ وَيَهْوِي قِمْلًا^(١)
وَيَغِيبُ الرُّشْدُ عَنْ إِدْرَاكِهِ سَاعَةً يَفْقَدُ فِيهَا الْأَمْلًا

سَدُّ الرَّأْيِ وَحَاذِرُ كَيْدِهِ كُلُّ مَا يَأْتِي بِهِ زُورٌ وَمَيِّنٌ^(٢)

(١) الثعلب : النشوان من السكر .

(٢) الميِّن : الكَذِبُ .

إِنْ سَقَاكَ الْمَاءَ فَاتَّركَ وَزَدَهُ وَلَتَمُتَ ظَمآنَ حُرّاً كَالْحُسَيْنِ

لَا تُصَدِّقْ مِنْهُ مَا تَنَمَّعُهُ فَهُوَ تَخْذِيرٌ مِيذٌ لِلْبَشَرِ
وَاحْذِرِ الْكُخْلَ الَّذِي يَصْنَعُهُ إِنَّهُ الْكُخْلُ الَّذِي يُعْمِي الْبَصَرَ

ضاقَ صَدْرِي بِأَمِيرِ الْقَافِلَةِ لَيْسَ فِيهِ وَمُضَّةٌ^(١) مِنْ لَا إِلَهَ
عَابِدُ الْمَالِ يَحِبُّ الْعَاجِلَةَ عَبْدُ جَسَمٍ عَبْدُ نَفْسٍ عَبْدُ جَاهٍ

كَانَ بِالتَّوْحِيدِ مَرْفُوعَ الْعِلْمِ يَنْشُدُ الْمَجْدَ طَرِيفاً وَتَلِيداً
ذَلِكَ الْمَوْلُودُ فِي ظِلِّ الْحَرَمِ مَا لَهُ أَصْبَحَ لِلْغَيْرِ مُرِيداً

أَيُّنَ مَنْ كَانَ بِهِمْ يَسْتَرْشِدُ كُلُّ مَرْتَابٍ فِيحْطَى بِالْيَقِينِ
وَتَرَى الْأَرْضَ إِذَا مَا سَجَدُوا زُلْزَلَتْ مِنْ جَبْهَاتِ السَّاجِدِينَ

فِي دَوِيِّ الْهَوْلِ كَانُوا يُغْلِنُونَ تَحْتَ ظِلِّ السَّيْفِ تَوْحِيدُ الْإِلَهِ
بِمِدَادٍ مِنْ دِمَاءٍ يَكْتَبُونَ رَبُّنَا اللَّهُ وَلَا نَخْشَى سِوَاهُ

أَيُّنَ ذَاكَ الشَّوْقُ وَالْقَلْبُ الصَّبُور وَمَرَايَا الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ
قَدْ طَوَّئَهَا فِي تَوَالِيهَا الْعُصُور وَتَوَارَتْ فِي اللَّيَالِي الْخَالِيَاتِ

(١) وَمُضَّةٌ : لَمْعَةٌ خَفِيفَةٌ .

فَقَدْ بَلَّوْتُ الرُّقَّ^(١) مُنْذُ الْإِبْتِدَاءِ لَمْ يَكُنْ مَهْدِي فِي أَرْضِ الْحَرَمِ
مَنْ رَسُولِ اللَّهِ يَغُرُونِي الْخِيَاءُ^(٢) حِينَ يَدْعُو بِاسْمِهِ الْغَالِي فَمَيِّ

لَكَ قَلْبٌ وَمَعَ الْقَلْبِ ضَمِيرٌ أَمْ غَدَا صَدْرُكَ لِلْأَصْنَامِ دَيْرًا^(٣)
أَنْتَ لِلْغَاصِبِ مُحْكُومٌ أَسِيرٌ نَعَتْ حُكْمَ الْغَيْرِ لَنْ تَصْنَعَ خَيْرًا

تَدْعِي الْحُبَّ لَخَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ أَكْذَبُ الْأَقْوَالِ مَا لَمْ يَتَذُفْغْ
وَإِذَا لَمْ يَتَّبِعِ الْقَوْلَ اقْتِدَاءً لَمْ يَكُنْ لِلْحُبِّ أَوْ لِلْقُرْبِ أَهْلًا

لَذَّةُ الْإِيمَانِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ قُلْ أَنْ يُذَرِّكَهَا عَبْدٌ ذَلِيلٌ
مُسْلِمٌ مُتَّكِلٌ لِلطَّامِعِينَ آزَرِي^(٤) حَادٍ عَنِ دِينِ الْخَلِيلِ

صَلَوَاتُ الْحَرِّ بَعْثٌ لِلشُّعُورِ فَهِيَ مِفْرَاجٌ إِلَى الْعَيْشِ الْكَرِيمِ
وَصَلَاةُ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ حُضُورٍ عَادَةٌ جَوْفَاءُ فِي رَسْمِ قَدِيمِ

إِنْ لِلْأَحْرَارِ فِي الْعِيدِ السَّعِيدِ مَظْهَرُ الْعِزَّةِ فِي دُنْيَا وَدِينِ
وَلَدَى الْأَسْرَى فِي عَيْشِ الْعَيْدِ يُضْبِحُ الْعَيْدُ هَجْوُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) الرُّق : العبودية .

(٢) يغرونني الحياء : يُصَيِّبُنِي الْحَيَاءُ .

(٣) دَيْرًا ، مصدر من دَارَ يَدُورُ ، أَي : طَافَ حَوْلَهُ .

(٤) آزري : نسبة إلى آزر والد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

إلى الأمة العربية

خصَّص محمد إقبال قصيدةً من أبدع قصائده للحديث مع الأمة العربية ،
ليسجل فيها فضلها وسبقها في حمل الرسالة الإسلامية ، والأخذ بيد
الإنسانية ، وافتتاحها لتاريخ جديد وفجر سعيد ، وسرعان ما ينتقل إلى
موضعه الحبيب الأثير ، فيذكر الشخصية الحبيبة التي كانت على يدها نهضة
هذه الأمة وسعادتها ، بل نهضة الإنسانية وسعادتها ، فيرسلُ على عادته النفسَ
على سجيتها ، ويعطي القلب والعاطفة زمامه ، ويسترسلُ في الحديث ،
فيقول :

« أيتها الأمة العربية ! التي كتب الله لباديتها وصحرائها الخلود ، مَنْ الذي
سَمِعَ العالم منه نداء « لا قبصر ولا كسرى » لأول مرة في التاريخ ^(١) ، ومن الذي
أكرمه الله بالسَّبْقِ إلى قراءة القرآن ؟ مَنْ الذي أطلعه على سرِّ التوحيد ، فنادى
بأعلى صوته : « لا إله إلا الله » ، وما هي البقعة التي اشتعل فيها هذا السراج الذي
أضاء به العالم ؟ هل العلم والحكمة إلا فتاتٌ مائدتكم ، وهل قوله تعالى :
﴿ فَأَصْبَحَ تَمَّ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] إلا وصف حالكم ، إِنَّ نَفْسَ ذلك
الأمي أعاد على هذه الصحراء الخُضْبَ والنمو ، فأنبَت الأزهار والرياحين ، إِنَّ
الحرية نشأت في أحضانهِ ، وإنَّ حاضرَ الشعوب ليس إلا وليد أميهِ ، إِنَّ الجسد
البشري كان بلا قلب وروح ، فأعطاه القلب والروح ، وكشف اللثام عن جمال
وجههِ ، إِنَّه حطَّم كلَّ صنم قديم ، وأفاض الحياة على فصحٍ ذاوٍ من أخصان

(١) يشير إلى الحديث المشهور : « إذا هلك قبصر فلا قبصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا
كسرى بعده » .

العلوم والمدنية ، وأنجب أبطالاً وقادةً مؤمنين ، أقاموا المعمارك الفاصلة بين الحق والباطل ، فتارةً يدوي الأذان في ساحة الحرب ، وتارةً يتجلى الأذان بقراءة « الصافات »^(١) بين صليل السيوف وصهيل الخيول ، إنَّ سيف البطل المغوار كصلاح الدين الأيوبي ، ونظرة الزاهد الأبواب كأيي يزيد البسطامي مفتاحان لكنوز الدنيا والآخرة .

إنَّ العقل والقلب يجتمعان تحت لوائه ، وإنَّ ذكر جلال الدين الرومي ، وفكر فخر الدين الرازي يلتجئان تحت ردائه ، إنَّ العلم ، والحكمة ، والشرع ، والدين ، والملك والإدارة ، ولوعة القلوب مقتبسةً من نوره ، وليست « الحمراء » في غرناطة ، وقصر « التاج » في آكره^(٢) ، اللذان خضع لجمالهما وجلالهما كبار الفنانين الناقدين ، وعظماء العباد الزاهدين ، ليس إلا صدقةً من صدقات بعثته ، ومظهراً من مظاهر عبقرية أمته ، إنَّ بعض مظاهره تجلَّى في سمو ذوق أمته ، وسلامة تفكيرها ، وجمال فنها ، أما باطنه فقد تقاصر عن إدراكه كبار العارفين .

لقد كان الإنسان حفنةً من تراب ، وقبضةً من أشلاء وعظام ، لا يدري ما الكتاب ، ولا الإيمان ، فعرِّفه بالعلم والإيمان ، وأذاقه لذة العبادة والإحسان ، فجزاه الله عن الإنسانية أفضل الجزاء .

يذكر إقبال الأمة العربية عهدها القديم قبل البعثة حين كان نظام العرب فوضى ، يعيشون كالبهائم التي لا هم لها في الحياة إلا الأكل والشرب ، وكان مثلهم كمثّل السيف المفلول يتراءى للناظر لامعاً قاطعاً ، ولكن ليست له ظبّة فهو لا يُنتفعُ به ، فيقول الشاعر :

(١) يشير إلى سورة الصافات .

(٢) يعني « التاج محل » الذي بناه الإمبراطور المغولي « شاه جهان » ، ويعتبر آية في الفن المعماري ، ويأتي إليه الجوالون والزائرون من أقاصي البلاد .

« أيها العرب قد منَّ الله عليكم ؛ إذ جعلكم مثل السيف البتار أو أخذ منه ،
 وكنتم فيما قبل ترعون الإبل في الصحراء ، تركبون عليها ، وتظعنون بها ، ثم
 انعكست الآية ، فسخر الله لكم المقادير ، فضلاً عن الإبل ، فأصبحتم من
 مالكي أعنتها ، فلو أقسمتم على الله لأبركم ، وهناك دوت تكبيراتكم
 وصلواتكم ، وزممت جلبة حروبكم ومغازيكم بين الخافقين ، فارتج بها
 ما بين الشرق والغرب ، فما أحسن تلك المغامرات ، وما أجمل تلك
 الغزوات . »

وبعد ما يمدحهم الشاعر ، ويذكر حماساتهم الإسلامية ، وغضبتهن المضربة
 في الله ورسوله ، ويبيد فرحه وسروره ، يقف برهة ، ويملكه الحزن والتألم بما
 يرى من خمود العرب بعد النشاط ، والإحجام بعد الإقدام ، والفرقة بعد
 الوخدة ، والعبودية بعد السيادة ، والاتباع بعد القيادة ، ويقبل إليهم مخاطباً
 معاتباً ، ويقول :

« أسفاً على هذا الخمود والجمود ، أيها العرب ! ألا ترون إلى الأمم
 الأخرى ، كيف تقدّمت وسبقت ! أما أنتم فما قدّرتم قدر هذه الصحراء التي نشأتم
 فيها . وهذه الحرية التي ورثتموها ، كنتم أمة واحدة ، أمة الإسلام ، فصرتم
 اليوم أمماً ، وكنتم حزباً واحداً ، حزب الله ، فأصبحتم أحزاباً ، لقد فرقتم
 جمعكم ، ومزّقتم شملكم ، وانقسمتم على أنفسكم . »

اعلموا أيها السادة ! أن من ثار على شخصيته وكرامته ، وفقد الثقة بنفسه
 مات ، ومُحي من الوجود ، ومن فرّ من معسكره وانحاز إلى صفوف الأعداء ،
 وتطأ على مائدتهن ، عوقب بالهوان والشقاء ، والظرد والجلاء ، ألا إنه لم
 يجزِ عدو على عدو مثل ما جنيتم أنتم على أنفسكم ، ولم يُسأ أحد إلى أحد
 إساءتكم إلى أنفسكم ، إنكم آذيتهم روح رسول الله ﷺ بصنيعكم ، فهي متألّمة
 متوجّعة شاكية مستغيثة . »

الشاعر عارف بمكائد الإفرنج ، وما لديهم من سهام مسمومة ، وحبائل

منصوبة ، وهو شديد المعرفة بهم ، وقد عاش فيهم ، ودرّسهم وخبرهم ، فهو يتألم إذ يرى في الأمة العربية من يُحسن الظنّ بهم ، ويعتمد عليهم في بناء صرح الحياة ، وفضّ المشكلات ، فيرسل صيحته ، وينذرهم من المصير المظلم المؤلم ، ويقول :

« مهلاً أيها الغافلون ! إيتاكم والركون إلى الإفرنج ، والاعتماد عليهم ، ارفعوا رؤوسكم ، وانظروا إلى الفتن الكامنة في مطاوي ثيابهم ، ألا إنه لا حيلة لكم ولا وذر إلا أن تطردوهم عن منهلكم ، وتذودوهم عن حوضكم ، إنّ حكمة الغرب قد أسرت الأمم . وتركناها سليبة حزينّة لا تملك شيئاً ، إنّها مزقت وخدّعت العرب ، واقتسمت تراثهم . إنّ العرب لما وقعوا في حبالهم تنكّر لهم كل شيء ، وقسا عليهم هذا الكون ، ولم يجدوا من يرثي لهم ، ويرفّق بهم ، وضاعت عليهم الأرض بما رحبت وضاعت عليهم أنفسهم . »

وبعدما يفيض الشاعر في بيان شرور الإفرنج ومكائدهم ، ويحذّر العرب من الانسياق إليهم والوقوع في شركهم يُقبل إلى تشجيع العرب والترفيه عنهم ، ويقول :

« إنّ الله قد رزقكم البصيرة النافذة ، ولا تزال فيكم الشرارة كامنة ، فقوموا أيها العرب ! وردّوا فيكم روح عمر بن الخطاب مرّة أخرى ، إنّ منبع القوة ومصدرها هو الدين ، منه يستمد المؤمن العزم واليقين ، وما دامت ضمائركم أمانة للسرّ الإلهي ، قيا صمّار البادية ! أنتم الحراس للدين ، وأمانة الله في العالمين . »

إنّ غريزتك العربية الإسلامية ميزان للخير والشرّ ، وأنتم ورثة الأرض ، إذا تألّق نجمكم في آفاق السماء أفلّت نجوم الآخرين ، وطوي بساطهم ، لن تسعهم الصحراء والفيافي ، فاضربوا خيمتكم في وجودكم ، الذي يسع الآفاق ، كونوا أسرع من العاصفة ، وأقوى من السيل ، حتى تُشرّع ركائبكم في مضمار الحياة ، وتسبق الريح .

ليت شعري ! مَنْ خَلَّفَكُمْ فِي الْحَيَاةِ ؟ إِنَّ الْعَصْرَ الْحَاضِرَ وَلَيْدُ نَشَاطِكُمْ ،
وَكِفَاحِكُمْ ، وَصَنِيعُ جِهَادِكُمْ وَدَعْوَتِكُمْ ، وَمَا زِلْتُمْ سَادَتَهُ ، وَوَلَاتَهُ حَتَّى أَقْلَتْ
زِمَامَهُ مِنْكُمْ ، فَتَبَاهِ الْغَرْبُ وَامْتَلَكَهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَقَدْ هَذَا الْعَصْرَ وَهَذَا
الْمَجْتَمَعُ الْإِنْسَانِيُّ شَرَفَهُ وَكِرَامَتَهُ ، وَأَصْبَحَ تَحْتَ وَلايَتِهِ مُنَافِقاً خَلِيعاً ، ثَائِراً عَلَى
الَّذِينَ .

فِيَا رَجُلَ الْبَادِيَةِ ! يَا سَيِّدَ الصَّحَرَاءِ ! عُذِّ إِلَى قُوَّتِكَ وَعِزَّتِكَ ، وَامْتَلِكْ نَاصِيَةَ
الْأَيَّامِ ، وَخُذْ عِنَانَ التَّارِيخِ ، وَخُذْ قَافِلَةَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْغَايَةِ الْمَثَلِيِّ .

وَهَذَا نَبْذَةٌ أُخْرَى مِنْ آيَاتِهِ يَشْكُو فِيهَا إِلَى رُوحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضِيَاعُ الْأُمَّةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَانْطِفَاءُ شُعْلَةِ الْحَيَاةِ وَالْإِيمَانِ فِي نَفُوسِ الْعَرَبِ ، وَيَشْكُو وَخَذَتُهُ
وَعُزْبَتُهُ فِي هَذَا الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ الْبَارِدِ الْجَامِدِ ، وَيُنَاجِيهِ مُنَاجَاةً مَنْ قَامَ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، وَأَذِنَ لَهُ فِي الْكَلَامِ . وَيَقُولُ :

« لَقَدْ تَشَتَّتَ شَعْلُ أَمَّتِكَ يَا مُحَمَّدُ ! يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فإِلَى أَيْنَ يَلْجَأُ الْمُسْلِمُ
الْحَزِينُ ، وَإِلَى مَنْ يَأْوِي ؟ لَقَدْ سَكَنَ بَحْرُ الْعَرَبِ الْمَضْطَرِبَ الْمَائِجَ ، وَفُقِدَتْ
الْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ ذَلِكَ اللَّوْعُ ، وَذَلِكَ الْقَلْقُ ، الَّذِي عُرِفَتْ بِهِ ، فإِلَى مَنْ أَشْكُو أَلَمِي ،
وَأَيْنَ أَجِدُ مَنْ يَسَاعِدُنِي عَلَى أَلَمِي وَأَحْزَانِي ؟ وَمَاذَا يَفْعَلُ حَادِي أَمَّتِكَ ، وَكَيْفَ
يَقْطَعُ الطَّرِيقَ الشَّاسِعَ ، وَيَطْوِي السَّفَرَ الْبَعِيدَ فِي هَذِهِ الْجِبَالِ وَالْمَهَامِهِ ، وَقَدْ ضَلَّ
سَبِيلَهُ ، وَفَقَدَ زَادَهُ ، وَانْقَطَعَ عَنِ الرِّكْبِ ، يَا اللَّهُ ! قُلْ لِي مَاذَا يَصْنَعُ حَامِلُ
دَعْوَتِكَ ، الْمُؤْمِنُ بِرِسَالَتِكَ ، وَأَيْنَ يَجِدُ زُمَلَاءَهُ وَرُفَقَتَهُ ؟ » .

وَيُؤَلِّمُ الشَّاعِرُ أَنَّ يَرَى الْعَرَبَ لَا يَزَالُونَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْأُورَبِيِّينَ الْإِنْجِلِيزِ
وَالْأَمْرِيكِيِّينَ كَأَصْدِقَاءَ مُخْلِصِينَ ، وَأَعْوَانٍ مُنْجِدِينَ يَحْلُونَ لَهُمْ مُشْكَلَةً
الْجَائِشِينَ ، وَيَرُدُّونَ إِلَيْهِمْ أَرْضَ فِلَسْطِينَ ، مَعَ أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ تَحْتَ سَيْطَرَةِ الْيَهُودِ
وَنَفُوذِهِمُ السِّيَاسِيِّ وَالْاِقْتِسَادِيِّ وَالصَّحَاقِيِّ ، يَقُولُ :

« أَنَا أَعْلَمُ جَيِّدًا يَا إِخْوَتِي الْعَرَبُ ! أَنَّ النَّارَ الَّتِي شَغَلَتْ الزَّمَانَ ، وَبَهَرَتْ

التاريخ ، لم تزل ولا تزال تشتعل في وجودكم ، صدّقوا أيها السادة ! إنه لا دواء لكم في جنيف ، ولا في لندن ، لأنكم تعلمون أنّ اليهود لا يزالون يتحكّمون في سياسة أوربة ، ولا يزالون يملكون زمامها ، إنّ الأمم لا تذوق طعم الحرية والاستقلال حتى تربي فيها الشخصية والاعتداد بالنفس ، وتعرف لذة الظهور .

وأخيراً يقول كلمة صريحة مركزة بليغة مع تلطّف واعتذار :

« معذرة يا عظماء العرب ! لقد أراد هذا الهندي^(١) أن يخاطبكم ، ويقول لكم كلمة صريحة ، فلا تقولوا أيها الكرام : هندي ، ونصيحة للعرب ؟ إنكم كنتم يا معشر العرب ! أسبق الأمم إلى معرفة حقيقة هذا الدين ، وإنه لا يتم الاتصال بمحمد ﷺ إلا بانقطاع عن « أبي لهب » ، وإنه لا يصح الإيمان بالله إلا بالكفر بالطّاغوت ، كذلك لا تتم الفكرة الإسلامية إلا بإنكار القوميات ، والوطنيات ، والفلسفات المادية ، إنّ العالم العربيّ أيها السادة ! لا يتكوّن ، ولا يظهر إلى الوجود بالثغور والحدود ، وإنما يقوم على أساس هذا الدين الإسلامي وعلى الصلة بمحمد ﷺ »^(٢).

والبك هذه القصيدة المصاغة شعراً بالعربية ، يقول إقبال :

شعبَ العُروبة والمَجد المؤثّل^(٣) في بدو وفي حَضِر حتّى ضُحى المحشر
مَن الَّذي حرَّرَ الدُّنيا لخالقها وأسمَعَ الخَلقَ لا كِشْرَى ولا قَيْصَر

(١) لا يعزبن عن البال أن محمد إقبال توفي قبل ولادة باكستان بعشر سنوات ، وقبل أن تكون هناك جنسية باكستانية .

(٢) من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي ص ١٢٤ - ١٣٥ .

(٣) المؤثّل : المبني الأصل .

مَنْ قَبْلَكُمْ أَبْلَغَ آيَاتِ نَاطِقَةٍ بُوْحِي مَنْ خَلَقَ الدُّنْيَا وَسَوَّاهَا
مَنْ غَيْرُكُمْ رَفَعَ الْمِصْبَاحَ مُؤْتَلِقاً وَوَحَّدَ الْخَلْقَ لَمَّا وَحَّدَ اللَّهُ

لَمْ يَطْعَمِ النَّاسُ إِلَّا فِي مَوَائِدِكُمْ عِلْماً شَهِيئاً وَتَهْذِيباً وَعِزِّفَانَا
فِي شَأْنِكُمْ أَرْسَلَ اللَّهُ الْكِتَابَ فَاصِداً بِحُكْمٍ بِنِعْمَتِهِ فِي الْخَيْرِ إِخْوَانَا

مَنْ حَوْلَ الْبَيْدِ رَوْضاً وَالْحَصَى دُرّاً وَأَنْبَتَ الْوَزْدَ فِي الصَّحْرَاءِ لِلْعَرَبِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مَا غَيْرُ النَّبِيِّ بِهَا أَغْنَتْ مَكَارِمُهُ فِيهَا عَنِ الشُّحْبِ^(١)

فَكُلُّ مَعْبُودٍ قَدِيمٍ فِي الشُّعُوبِ هَوَى بِعِزِّهِ سَاجِداً لِلَّهِ إِكْبَارَا
وَكُلُّ غَصَنِ هَشِيمٍ مِنْ نَدَاهُ غَدَا يُجَدِّدُ الْحُسْنَ أَوْرَاقاً وَنَوَارَا

وَاهِأْ لَهَا جَذَبَاتِ طَالِمَا حَفَزَتْ مَنَا الْخُطَا وَأَثَارَتْ لِلْعَلَا هَمَمَا
قَدْ أَبَدَلْنَا اللَّيَالِي مِنْ سَعَادَتِهَا بِأَسَا مَرِيرَا وَمِنْ أَنْوَارِهَا ظُلَمَا

كُلُّ الشُّعُوبِ أَعْدَتْ مِنْ مَوَارِدِهَا حِصْنَ الرِّخَاءِ وَصَارَتْ لِلْمُنَى قَدَمَا
وَمَلَأَ صَحْرَائِكُمْ لَوْ تَعْلَمُونَ غِنًى وَثَوْرَةً وَكُنُوزَ تَفْدِيقِ النُّعْمَا

كَيْفَ انْقَضَى حِفْلُكُمْ وَانْقَضَ سَامِرُكُمْ^(٢) وَكَانَ بِالْأَمْسِ مِثْلَ الْعَقْدِ مُتَنظِماً

(١) شُحْبٌ ، جمع الشُّحَابِ : هو الغيم سواء أكان فيه ماء أم لم يكن .

(٢) سَامِرٌ : هو مَنْ يتحدث مع زميله في الليل .

نَوَحَّدَتْ مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ أُمَّتَكُمْ مَا بِأَلْهَا انْقَمَتْ فِي أَرْضِكُمْ أُمَّا

قَدْ خَادَعَتْكُمْ مِنَ الْمُسْتَعْمَرِينَ يَدٌ سُمُّ الْعِقَارِبِ فِي أَكْمَامِهَا اسْتَتَرَا
كَمْ أَفْسَدُوا مِنْ شُعُوبٍ أَدَمِيَّتَهَا كَمْ أَيْقَظُوا فِتْنًا ، كَمْ أَفْسَدُوا فِطْرَا

تَوَارَتْ الْعَرَبُ الْأَحْرَارُ وَخَدَّتْهُمْ مَدَى عَصُورٍ وَأَجْيَالٍ وَأَزْمَانٍ
حَتَّى إِذَا جَاءَ الْاسْتِعْمَارُ قَسَمَهَا إِلَى شُعُوبٍ وَأَقْوَامٍ وَأَوْطَانٍ

اضْرِبْ خِيَامَكَ فِي دُنْيَا وَجُودِكَ لَا تَقِفْ بِهَا عِنْدَ رَسْمِ الدَّارِ وَالذَّمَنِ^(١)
وَادْفَعْ بِنَاقَتِكَ الْمِيدَانَ أَسْبَقُ مِنْ رِيحِ الصَّحَارَى وَأَنْقِذْ وَخْدَةَ الْوَطَنِ

يَا أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ انْظُرْ لِعَصْرِكَ فِي دُنْيَا يَفُوزُ بِهَا مِنْ أَحْكَمِ النَّظَرَا
بِالْإِسْلَامِ بِالْعَدْلِ تَبْنِي مَا تُؤْمَلُ إِنْ شِئْتَ لِلْأَرْضِ عُمرَانًا فَكُنْ عُمرَا

تُعَادُ هُنَا نَفْسُ هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ فِي صِيَاغَةٍ أُخْرَى ، يَقُولُ :

(١)

أُمَّةُ الصَّحَرَاءِ يَا شُعْبَ الْخُلُودِ مَنْ سِوَاكُمْ حَلَّ أَغْلَالَ الْوَرَى
أَيُّ دَاعٍ قَبْلَكُمْ فِي ذَا الْوُجُودِ صَاحَ لَا كَسْرَى هُنَا لَا قِصْرَا

(١) الذَّمَنِ ، جمع الذمّة : وهي آثار الدار .

مَنْ سِوَاكُمْ فِي حَدِيثٍ أَوْ قَدِيمٍ أَطْلَعَ الْقُرْآنُ صُبْحاً لِلرُّشَادِ
هَاتِفاً فِي مَتَمِّعِ الْكَوْنِ الْعَظِيمِ لَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ رَبّاً لِلْعِبَادِ

حَدِّثُونِي الْيَوْمَ عَنْ أَيِّ خِوَانٍ قَدَّمَ الْحِكْمَةَ قَوْتاً لِلْقَطِينِ^(١)
بِأَمْصَابِيحِ التَّآخِي^(٢) وَالتَّفَانِي أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَصْبَحْتُمْ لِمَنْ

(٢)

وَابِلٌ مِنْ قَيْضِ أُمِّي اللَّقَبِ الْكَرِيمُ الْفَرْدُ فِي كُلِّ الْكِرَامِ
أَنْبَتَ الزَّهَرَ بِصُخْرَاءِ الْعَرَبِ بَلَّ سَقَى فِي الْقَفْرِ بُشْتَانَ الْوِثَامِ

بِهَدَى الْحَرِيَّةِ الْعَلِيَا أَنْارَ فَهِيَ رَوْضٌ مُؤَنَّقٌ مِنْ غَزِيمِهِ
يَوْمُهَا الْحَاضِرُ فِي كُلِّ الدِّيَارِ لَمْ يُنْزَ إِلَّا بِذِكْرِ أَمِيرِهِ

كُلُّ صَذِرٍ مِنْ بَقَايَا آدَمَ صَاغَ فِيهِ لِلْعُلَا قَلْباً جَدِيداً
مَنَعَ الْإِنْسَانَ مُلْكُ الْعَالَمِ بَعْدَ مَا عَلَّمَهُ النَّهْجَ الرَّشِيداً

كُلُّ رَبٍّ غَيْرَ خَلْقِ النَّسَمِ صَارَ مِنْ عَزَمَتِهِ نَحْتِ الثَّرَى^(٣)
كُلُّ غُضَنِ كَانَ فِي يَسْرِ الْعَدَمِ يَنْدَاهُ اخْفَضِرْ حَتَّى أَثْمَرَ

(١) قَطِين : الفهم الذكي .

(٢) التَّآخِي ، مصدر من تَأَخَى فلاناً : اتَّخَذَهُ أَخاً .

(٣) الثَّرَى : الثَّرَابُ التُّدَى .

(٣)

لا تسلني الآن عن ثورته إنها ميدانٌ بذرٍ وحنين
في أبي بكرٍ وفي صاحبهِ في عليٍّ ثمَّ في صَبرِ الحُسين

سيفُ أيوبَ وتقوى بايزيد فيهما مفتاحُ كنزِ العالمين
انكسرَ الدنيا بجامٍ واحدٍ فحوى الدنيا وضمَّ المشرقين

هاهنا الحكمةُ والدين القويم وهناك الحكمُ للدنيا يُقام
كلُّ قلبٍ فيه للمجدِّ الضميم نورةٌ تعلو به فوق المَرام

(٤)

لا تُقلَّ أين ابتكارُ المسلمين وسلِ الخمراء واشهدْ حُسنَ تاج^(١)
دولةً صارَ ملوكُ العالمين نخوها طوعاً يؤذون الخراج

دولةً تقرأ في آياتها مظهرَ العزة والمُلْكِ الحصين
وكنوزُ الحقِّ في طياتها دونها حارثُ قلوبِ العارفين

(١) تاج : يُريد به الشاعر « تاج محل » الذي بناه جهانكير ، ويُعدُّ اليوم من العجائب السبعة في العالم .

أرسل الشُّكْرَ إِلَى غيرِ انْتِهَاء لِنَبِيِّ اللَّهِ قُدْسِي الْجَنَابِ^(١)
أشعل الإيمان نارا بالعَرَاء أوقد النُّور بكف من تُراب

وحبائه الله مِنْ عَلَيَّائِهِ عَزْمَةٌ فَلَّ بِهَا سَيْفَ الْغَيْرِ
راكبُ النَّاقَةِ فِي صَخْرَائِهِ سَارَ فِيهَا رَاكِباً خَيْلَ الْقَدَرِ

كَبَرُوا اللَّهَ فِي ظِلِّ الْخُرُوبِ وَصَفَوْا تَحْتَ ظِلِّ الْمَسْجِدِ
ضَجَّةٌ دَانَتْ لَهُمْ فِيهَا الشُّعُوبُ وَارْتَقَوْا فِيهَا مَكَانَ الْفَرْقَدِ^(٢)

وَيَ كَانَ لَمْ تُشْرِقُوا فِي الْكَائِنَاتِ يَهْدِي الْإِيمَانَ وَالنَّهْجَ الرَّشِيدَ
وَنَسِيتُمْ فِي ظِلَامِ الْحَادِثَاتِ قِيمَةَ الصَّحَرَاءِ فِي الْعَيْشِ الرَّغِيدِ^(٣)

كُلُّ شَعْبٍ قَامَ بَيْنِي نَهْضَةً وَأَرَى بَنِيَانَكُمْ مُنْقَسِمًا
فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ كُتُبُكُمْ أَمَّةً لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ صِرْتُمْ أَمَّا

(١) الْجَنَاب : النَّاحِيَة .

(٢) الْفَرْقَد : نَجْم قَرِيب مِّنَ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ ثَابِت الْمَوْقِعِ تَقْرِيباً وَلِهَذَا يُهْتَدَى بِهِ . وَهُوَ الْمُسَمَّى بِـ « النَّجْمِ الْقُطْبِيِّ » .

(٣) الرَّغِيد : الْعَيْشُ الْعَطِيبُ الْوَاسِعُ .

كُلُّ مَنْ أَهْمَلْ ذَاتَيْتَهُ فهو أولى النَّاسِ طَرًّا بِالْعَنَاءِ
 مَنْ يَرَى فِي الذَّهْرِ قُومِيَتَهُ كَلُّ مَنْ قَلَّدَ عَيْشَ الْغُرَبَاءِ

فَكُتُّوا فِي عَضْرِكُمْ وَامْتَبَقُوا طَالَمَا كُتُّمُ جَمَالًا لِلْعَضْرِ
 وَامْلُؤُوا الصَّحَرَاءَ عِزْمًا وَاخْلُقُوا مِرَّةً أُخْرَى بِهَا رُوحَ عُمر

والآن ماذا نصنع يا أُمَمَ الشَّرْقِ^(١)

يَنبُذُ إِقْبَالَ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بِمُغَامِرَاتِ الْإِفْرَنْجِ ، وَمُؤَامِرَاتِ الْغَاصِبِينَ ،
وَسُخْرِيَّتِهِمْ بِحَقُوقِ الشُّعُوبِ ، وَتَمْزِيقِهِمْ لِلدُّوَلِ الصَّغِيرَةِ غَنَائِمَ فِيمَا بَيْنَهُمْ «
وَلَكِنِ التَّطَوُّرَ السَّرِيعَ وَالثَّرَوَاتِ الْمُتَوَالِيَةَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، غَيَّرَتْ الْكَثِيرَ مِنَ
الْأَوْضَاعِ الَّتِي يَشْكُو مِنْهَا إِقْبَالَ ، يَقُولُ مُخَاطَباً لِلأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ - بَعْدَ أَنْ وَجَّهَ إِلَيْهَا
خُطَابَهُ - :

تَتَسَنَّخُ الْخُلَائِصُ فِي الْأَرْضِ طُرّاً وَقَدْ سَامَهَا الْغَرْبُ عَسْفاً وَجُوراً^(٢)
فِي أُمَمِ الشَّرْقِ فِيمَ الثَّوَانِي لَقَدْ آتَى أَنْ يُصْبِحَ الشَّرْقُ حُرّاً

أَكَادُ أَرَى ثَوْرَةً فِي الثَّقُوسِ تَشُدُّ الْحَيَاةَ إِلَى الْمَجْدِ جَرّاً
مَضَى اللَّيْلُ وَانْجَابَ عَهْدُ الْقَلَامِ وَيَعْدُ الدُّجَى يَغْقُبُ اللَّيْلَ فَجَرّاً

وَمَا بَرِحَ الْغَرْبُ يَخْتَالُ تَيْهاً^(٣) وَيَخْتَرِفُ الْكَيْدَ لِلْعَالَمِينَ
لِيَنْشُرَ فِي الْكَوْنِ الْخَاذَةَ وَيُنْشِئُ دُنْيَا عَلَى غَيْرِ دِينِ

وَيَسْتَبِطُنُ الذُّثْبُ فِي جِلْدِ شَاةٍ بِأَنْبِيَاءِ الْعُضْلِ^(٤) خَلْفَ الْكَمِينِ

(١) بهذه الجملة وضع إقبال العنوان لهذا الكتاب .

(٢) جُوراً : ظلماً .

(٣) تَيْهاً : ضلالاً .

(٤) الْعُضْلُ : المعوجة .

أرى مشكلات بني آدم يزِيدُ بهم شرُّها كلَّ حين

فَمَا قَسَدُ إِنْسَانٍ هَذَا الْوُجُودِ لَدَيْهِمْ سِوَى هَيْكَلٍ مِنْ تُرَابٍ
تَشَكَّلَ فِي الْخَلْقِ مَاءٌ وَطِيناً وَبِنَائِهِ صَائِرٌ لِلْخَرَابِ

وَقَافِلَةُ الْكَوْنِ ضَلَّتْ خُطَاهَا بِحُكْمَتِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ
لَأَطْمَاعِهِمْ كُلُّ شَرٍّ مُبَاحٍ وَمَا لِلضَّمِيرِ عَلَيْهِمْ حِسَابُ

وَالْحَقُّ فِي كُلِّ شَيْءٍ دَلِيلٌ وَمِنْ نُورِهِ كُلُّ مَا تُبْصِرُونَ
وَفِي كُلِّ مَعْنَى لَهُ حِكْمَةٌ يَفُوزُ بِأَسْرَارِهَا الْعَارِفُونَ

إِذَا شَهِدُوا آيَةَ اللَّهِ عَاشُوا أَبَاةً عَلَى الضَّيِّمِ^(١) لَا يَزْهَبُونَ
لَقَدْ نَظَرُوا فَاسْتَبَانُوا الْهُدَى بِإِدْرَاكِهِمْ أَفْلا يَنْظُرُونَ

وَاللُّمُؤْمِنِ الْحَرُّ مِنْ رَبِّهِ هُدًى فِي الْحَيَاةِ وَنُورٌ مَبِينٌ
وَفِي قَلْبِهِ لَوْعَةٌ^(٢) وَاشْتِيَاقٌ وَعُظْفٌ عَلَى مِخْنَةِ الْآخِرِينَ

(١) الضَّيِّمُ : الظلم أو الإذلال ونحوهما ، جمعه : ضَيُوم . قال المتنبي العبدى :
ونحني على الشجر المخوف وننقي بنارتنا كبد العدا وضُيومتها
(٢) لَوْعَةٌ : حرقه في القلب وألم يجده الإنسان من حب أو هم أو حزن أو نحو ذلك .

إِذَا الْعِلْمُ حُلَّ بِقَلْبِ الْفَتَى أَحْلَ بِهِ خَشْيَةُ الْمُتَّقِينَ
وَيَزْدَادُ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ حَتَّى يَرُدَّ الْأَمَانَ إِلَى الْخَائِفِينَ

هُوَ الْعِلْمُ لَنَا فِيهِ كَيْمِيَاءُ إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ يَهْدِي الْبَصَرُ
فِيهَا أَسْفَا لَيْسَ لِلْغَرْبِ مِنْهُ سِوَى حَيْرَةٍ فِي دِيَاغِي الْفِكْرِ

فَلَمْ يُجِبْهُ الْعِلْمُ عَقْلاً سَوِيًّا يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ خَيْرٍ وَشَرٍّ
فَلَا يَنْبِعُ الطَّلُّ مِنْ جَفْنِهِ وَفِي صَدْرِهِ قِطْعَةٌ مِنْ حَجَرٍ

فَبِالْعِلْمِ كَانَ رَقِيَّ الْحَيَاةِ تَضِيءُ الْقُرُونُ بِهِ وَالْعَصَرُ
فَحَوَّلَهُ الْغَرْبُ سِيفًا رَهِيًّا لِمَخَوِ الْبَوَادِي وَقَتْلِ الْحَضَرِ

تَصِيرُ الْمَلَائِكُ لَوْ جَاوَزَتْهُمْ مَعَاوِلٌ^(١) مَذْمُومٌ لِمَخَوِ الْبَشَرِ
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْضُ جَنَّةً عَذِيًّا لِسُكَّانِهَا جَعَلُوهَا سَقَرًا

غَدَا مَظْهَرُ الْعِلْمِ فِي عَضَرِهِمْ بِكُلِّ الشُّعُوبِ خِدَاعًا وَسِخْرًا
مَعَاذَ الْحَقِيقَةِ ، مَا ذَاكَ سِخْرٌ لَقَدْ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا

لَهُمْ فَتَنٌ تَجْعَلُ الْوَزْدَ شَوْكًا وَتُوْقِدُ فِي رَوْضَةِ الْأَمْنِ جَمْرًا

(١) الْمَعَاوِلُ جَمْعُ الْمِعْوَلِ : آلَةٌ مِنَ الْحَدِيدِ يُنْقَرُ بِهَا الصَّخَرُ ، وَيُهْدَمُ بِهَا الْبُيُوتُ .

تُحَذِّ السَّيْفِ مِنْ عُصْبَةِ الْمُعْتَدِينَ إِذَا كُنْتَ تُشْذُّ لِلْحَقِّ نَصْرًا

لَقَدْ آَنَّ لِلرُّوحِ أَنْ تَسْتَفِيقَ وَلِلشُّرْقِ أَنْ يَسْتَبِينَ الدَّلِيلَا
لِيَجْعَلَ أَنْفَاشَ هَذَا الْبِنَاءِ عَلَى الظَّالِمِينَ كَثِيرًا مَهِيلَا

إِذَا الْعَقْلُ أَذْعَنَ لِلْقَلْبِ حَكْمًا رَأَى طَاعَةَ اللَّهِ أَهْدَى سَبِيلَا
وَأِنْ لَمْ يُجِبْ دَاعِيَ الْقَلْبِ أَضْحَى كِبَابِلِينَ مَكْرًا وَشَرًّا وَبَيْلَا^(١)

يَرَى الْغَرْبَ يَسْتَغْلُ الْبَرَايَا^(٢) كَمَا يَشْتَهِي دُونَ قِيلٍ وَقَالَ
يَرَى الْآدَمِيَّ مِثْلَ الْقَطِيعِ فَهُمْ لِقَمِ الذَّنْبِ رِزْقٌ خَلَالِ

لَقَدْ حَانَ تَغْيِيرُ دُنْيَا بِهَا نَرَى الْعَذْلَ أَمْرًا بَعِيدَ الْمَنَالِ
وَشُرَاقِ أَكْفَانِ مَوْتَى الْقُبُورِ عَلَى يَدِهِمِ أَيُّ خَيْرٍ يُنَالِ

ضَوَارِي السَّبَاعِ التَّقَتْ فِي جَنيفِ^(٣) لَطَمَسِ الْهُدَى وَالتَّهَامِ الْعِبَادِ
قَدْ اقْتَمَمُوا كُرَّةَ الْأَرْضِ نَهْبًا^(٤) وَهُمْ نَحْوَ تَقْسِيمِهَا فِي اتِّحَادِ

(١) وَيَيْلًا : شَدِيدًا .

(٢) بَرَايَا : جَمْعُ الْبَرِيَّةِ ، وَهِيَ الْأَرْضُ .

(٣) جَنيف (Geneva) : مَدِينَةُ فِي سُوِيْسَرَا .

(٤) نَهْبًا : غَصْبًا .

يَقُولُونَ هَذَا بِلَادِي لَكُمْ وَنَحْنُ لَنَا كُلُّ تِلْكَ الْبِلَادِ
هَنَا ثَوْرَةٌ وَهَنَا فِتْنَةٌ بِهِمْ نَارُهَا أَبَدًا فِي ازْدِيَادِ

لَكَ الْأَرْضُ أَمْ هَذِهِ أَرْضُهُ وَأَيْكُمْ فِي جَمَاهَا نَزِيلُ
بِنَفْسِكَ كُنْ وَاثِقًا مُؤْمِنًا وَعِشْ كَافِرًا بِالْعَدُوِّ الدَّخِيلِ

فَمِنْكَ إِلَيْكَ الْعُلَا وَالْهَوَانُ وَمَجْدُكَ فِي الشَّرْقِ عَالٍ أَصِيلُ
كَرَامَةٌ أَجْيَالَهُ فِي يَدَيْكَ فَأَنْتَ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ

عَلَى قُوَّةِ الْحَقِّ تَحْيَا الشُّعُوبُ وَتَجْتَازُ فِي الْمَجْدِ حَدَّ الْمَجَالِ
فَلَا شُعْبَ يَقْوَى بِهَا وَخُدَّةُ تَضُمُّ الصُّفُوفَ لِنَيْلِ الْمَعَالِي

وَمَهْمَا مِمَّا الرَّأْيُ إِنْ لَمْ يَقُمْ عَلَى قُوَّةٍ فَهُوَ زَيْفُ الْخَيَالِ
وَفِي قُوَّةٍ دُونَ رَأْيٍ جُنُونٌ وَجَهْلٌ وَطَيْشٌ وَعُقْبَى وَبَالُ

بِنَا لَيْسَ الْعِشْقُ ثَوْبَ الدَّلَالِ وَفَاضَ عَلَى الْكَوْنِ طَيْبًا وَحُسْنًا
وَفُطْرَةُ آدَمَ فِي كُلِّ حَيٍّ زَوْنُهَا الْخَلَائِقُ فِي الدَّهْرِ عَنَّا

تَعَلَّمَتِ الْأُمَمُ النَّاهِضَاتُ مِنْ الشَّرْقِ دِيْنًا وَعِلْمًا وَفَنًّا
رَفَعْنَا الْحِجَابَ عَنِ الْكَائِنَاتِ فَتَحْنُ مِنَ الشَّمْسِ وَالشَّمْسُ مِنْنَا

إِذَا لَاحَ فِي صَدْفٍ جَوْهَرُ فَذَلِكَ مِنْ قَطْرِ نَيْسَانَا
وَلَا فَاذَرِ الْمَوْجِ فِي بَحْرِهِ فَذَلِكَ مِنْ قَيْضِ طُوفَانِنَا

حَرَارَةُ شَذُو الْهَزَارِ الطَّرُوبِ عَلَى غُضْنِهِ بَغْضِ نَيْرَانِنَا
سَقَيْنَا دَمَ آدَمَ قَلْبَ الْوُزُودِ فَأَهْدَى رَسُولَهُ إِيْمَانِنَا

فَتَى الشَّرْقِ أَنْتَ الْوَفِيُّ الْأَمِينُ فَأُظْهِرُ يَدَ الْعَزْمِ لِلنَّاسِ جَهْرًا
لِتَخْرُجَ بِيضَاءَ مَنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَتُبْطِلَ مِنْ فِتْنَةِ الْغَرْبِ سِخْرًا

عِلَامَ اِزْتَبَطْتَ بِرُؤْسَارِهِ وَكَيْفَ اسْتَطَعْتَ عَلَى الْقَيْدِ صَبْرًا
فَوُحِّدْ بِلَادَكَ صَوْبَ الْعُصْلَا بِإِيْمَانِهَا تَلْقَ عِرْأً وَنَضْرًا

لَقَدْ نَشَرَ الْغَرْبُ أَسْوَاقَهُ وَمَنْ حَوْلِهِ الْجُنْدُ أَقْوَى سِيَّاحِ
وَيَسْلَعُنَّهُ شَرَكُ لِلشُّرَاءِ وَمَتَجَرُّهُ ظِلُّ عَرْشِ وَتَّاجِ

لَهُ فِي التَّجَارَةِ رِبْحٌ وَنَفْعٌ وَبِالْحُكْمِ يَأْتِيهِ كَنْزُ الْخَرَّاجِ
وَيَلْقَاكَ بِالْكَلِمَاتِ الْعِذَابِ وَفِي قَلْبِهِ الْحَقُّدُ خَلْفَ الرُّتَاجِ

فَكُنْ فِي مَتَاجِرِهِ زَاهِدًا فَفِيهَا الْخَسَارَةُ وَالْمَغْرَمُ
نَسِجُ بِلَادِكَ أَقْوَى خِيوطًا وَقُطْنُكَ مِنْ خَزْهِ^(١) أَنْعَمُ

(١) خَزْ : نوع من الثياب ينسج من صوف .

جَهَازُ الْمَنَایَا بِذُولِهِ يَدُورُ وَأَنْتَ بِهِ أَغْلَمُ
يَمِيتُكَ بِالْفَشِّ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ وَأَنْتَ لَهُ الرِّيحُ وَالْمَغْنَمُ

إِذَا جَاءَ يَغْرِضُ نَقْشَ الْإِسَاطِ فَدَعُهُ وَعِشْ رَاضِياً بِالْحَصِيرِ
وَإِنْ وَصَلَتْكَ بِوِزْقَةٍ فَلَا تُغْلِبْهُ بِبِدْقَةٍ^(١) بِالْوَزِيرِ

جَوَاهِرُهُ بِهَرَجٍ^(٢) زَائِفٌ لِيَجْمَعَ الثُّقُودَ وَيَّتَعَ الضُّمِيرُ
وَنَافِجَةٌ^(٣) الْمِسْكِ فِي سُوقِهِ مِنْ الْكَلْبِ لَا مِنْ غَزَالٍ غَرِيرُ

تَنْبُكُهُ لِهَذَا الدُّخِيلِ الَّذِي تَفِرُّ الثَّعَالِبُ مِنْ مَكْرِهِ
وَلَا تَتَعَمَّمُ بِمَنْشُوجِهِ وَلَا تُغْمِضُ الْعَيْنَ عَنْ غَدْرِهِ

وَأَمَّا مَرَزَتْ عَلَى حَانَوِ تَعَوَّذُ بِرَبِّكَ مِنْ شَرِّهِ
فَمَنْ ذَاكَ خَفَرْتَهُ لَمْ يَغْدُ إِلَى دَارِهِ بَلْ إِلَى قَبْرِهِ

بِأَصْبَافِهِ وَبِالْوَانِ تَضِلُّ الْبَصِيرَةُ قَبْلَ الْبَصَرِ
بِإِسْلَاقِهِ قَدْ غَدَوْنَا سُكَارَى وَصَاحِبُهَا بِالْغِنَى قَدْ سَكِرَ

(١) الْبَيْدَقُ : الدَّلِيلُ فِي السَّفَرِ ، وَالْجَتْدِي الرَّاجِلُ . وَمِنْهُ : بَيْدَقُ الشَّطْرَنْجِ .

(٢) الْبَهْرَجُ : الْبَاطِلُ .

(٣) النَّافِجَةُ : وَهَاءُ الْمِسْكِ فِي جِسْمِ الظَّيِّ .

فَمِنْ جَهْدِ كُنْبِكَ مَا يَجْتَنِيهِ وَمَا يَقْتَنِيهِ وَمَا يَدْخِرُ
وَمِنْكَ الْغِذَاءُ مَعاً وَالْكِسَاءُ لَهُ فِي نَعِيمٍ وَعَيْشٍ نَصِيرُ

وَإِنَّ ذَوِي الْقَضَلِ فِي كُلِّ شَعْبٍ عَلَى مَجْدِ أُمَّتِهِمْ سَاهِرُونَ
فَهُمْ بِسَوَاعِدِهِمْ يَعْمَلُونَ وَهُمْ فِي مَوَاطِنِهِمْ يَزْرَعُونَ

وَمَنْ أَرْضَهُمْ كُلُّ مَا يُشْجُونَ وَمَا يَأْكُلُونَ وَمَا يَلْبَسُونَ
فِيَا مَنْ غَدَا مُنْكَرًا ذَاتَهُ إِلَى أَيْنَ يَمْضِي بِكَ الْمَاكِرُونَ

وَكَمْ بَغَتْ مَخْضُولَ زَرْعٍ لَهُ رَخِيصاً وَأَنْتَ غَدَا مُشْتَرِيهِ
يَعُودُ بِأَضْعَافٍ مَا نَلْتَهُ بِرَبْحٍ سَخِيٍّ لِمُشْتَوِرِيهِ

كَأَنَّكَ لَمْ تَشَقَّ مِنْ أَجَلِهِ وَلَا كُنْتَ فِي الْأَرْضِ مِنْ زَارِعِيهِ
أَفِي الْبَحْرِ لَوْلَوْهُ كَأَمِنْ وَمِنْ يَدِ غَوَاصِيهِ يَشْتَرِيهِ

شكوى ومُنَاجَاة

كان محمد إقبال كثير الاعتداد بالإيمان ، شديد الاعتماد عليه ، يعتقد أنه هو قوته وميزته ، وذخيره وثروته ، وأن أعظم مقدار من العلم والعقل ، وأكبر كمية من المعلومات والمحفوظات ، لا تساوي هذا الإيمان البسيط ، يقول في بيت :

« إن الفقير المتمرد على المجتمع - يشير إلى نفسه - لا يملك إلا كلمتين صغيرتين ، قد تغفلتا في أحشائه ، وملكنا عليه فكره وعقيدته : هما : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ، وهنالك علماء وفقهاء ، الواحد منهم يملك ثروة ضخمة من كلمات اللغة الحجازية ، ولكنه قارون لا ينتفع بكنوزه » .

وكان شديد الغيرة على اعتزائه إلى هذه الرسالة وإلى هذه الشخصية العظيمة ، فكان يأبى أن يتطفل على مائدة أجنبية ، أو أن يروي غُلَّتَه من معين غريب يقول : « رفقا يا رسول الله بفقير غيور أبي النفس ، رفض أن يملأ كوبه من نهر الأجانب » .

وجاشت نفسه الكبيرة الدافقة بالحنان والإيمان في الثالث من أبريل سنة ١٩٣٦م وهو عليل رهين الفراش في بهوبال^(١) (الهند) ، وقد آلمه ما كان يراه من وضع العالم الإسلامي المخزي ، والفراغ الفكري والروحي الهائل الواقع فيه ، وضعف الشخصية الإسلامية الشائن ، واندفاع الجيل الجديد المتهور إلى الفكرة الغربية ومثلها وقيمتها ، وتخليه عن رسالته ومركزه ، ففاضت قريحته بشعر من أبلغ الشعر الوجداني ، تحدث فيه إلى النبي ﷺ ، وشكا إليه في عالم الخيال ضعف العالم الإسلامي وفقره الروحي وانحرافه عن الجادة ، وما كان يجده في نفسه من فتور بعد النشاط ، ومن ضعف في العلم ، يقول :

« أشكو إليك يا رسول الله ! هذه الأمة التي تسلط عليها خوف الموت ، إنك حطمت الأصنام القديمة كاللات ومناة ، وجذدت العالم القديم ، الذي سرى فيه الهرم ، ودب فيه الموت ، فأصبح العالم يستقبل اليوم الجديد بالإيمان ، ودب فيه الموت ، فأصبح العالم يستقبل اليوم الجديد بالإيمان والحنان ، والتسبيح والأذان ، ويستمد من الشهادة التي لفته إيّاها الانتباه والحضور ، والنور والسرور .

(١) اسم مدينة تقع في ولاية « مدهيا برديش » وهي عاصمتها كذلك .

إننا - وإن ولدنا في بلادٍ عريقةٍ في الوثنية - رفضنا أن نعبد الثور والبقر ، وأبينا أن نطأ طيء رؤوسنا أمام الكهَّان والسُّدنة ، فلم نخزَّ بين يدي الآلهة القديمة ، ولم نطُف حول بلاط الملوك وقصور الأمراء . والفضل في كل ذلك يرجع إلى دينك الذي جئت به ، وإلى جهادك الذي قمت به ، فقد تربينا على الشُّفرة التي بسطتها للعالم ، وقد ظلَّ حديثك مصدر الشوق والسرور للأمة طيلة هذه القرون ، وقد استطاعت بذلك أن تكون أئمةً في الفقر ، عفيفةً في الحاجة ، ولكنَّ العالم الإسلامي اليوم قد فقد الشيء الكثير من قوته وقيمته .

لقد نجولتُ في ربوع العالم الإسلامي ، وزرتُ بلاد العرب وديار المعجم ، فرأيتُ من يقتدي بك ، ويجدد ذكراك مفقوداً لا يقع عليه العيان ، ورأيت من يمثل أبا لهب ويحكيه كثيراً يوجد في كل مكان . إنَّ الشباب الإسلامي قد استنارت عقولهم ، وأظلمت قلوبهم وضماؤهم ، إنَّهم في شبابهم ناصمون رفاق كالحرير ، لا يحتملون الأمل الجديد ، والنظر البعيد ، إنهم نشؤوا على العبودية ، ودرج على ذلك جيلٌ بعد جيل ، حتى أصبحوا لا يحلمون بالحرية ولا يطبقونها .

إنَّ نظام التعليم الجديد ومؤسساته انتزعت منهم التُّزعة الدِّينية حتى أصبحوا خبز كان ، إنهم هاموا بالغرب ، وجهلوا قيمتهم ، يريدون أن يتصدق عليهم الغرب بكسرة خبز ، أو حفنة شعير ، إنهم باعوا نفوسهم الكريمة من أجل لقمةٍ حقيرة ، فأصبحت الصُّقور التي تحلق في السماء عصافير صغيرة لا شأن لها بالأجواء الفسيحة والمرامي البعيدة .

إنَّ أساتذة هذا الجيل الذين بضاعتهم في العلم مُزجاءٌ لم يخبروه بمركزه ومنصبه ، إنَّ نار الغرب قد أذابت هذا الجيل كالشمعة ، وصاغته صوغاً جديداً ، فأصبح في هذا الجيل الجحيم ممسوخاً منكوساً ، وأصبح المسلم لا يعرف سرَّ الموت ولذته ، ولا يؤمن كما كان يؤمن في القديم بأنه « لا غالب إلا الله » ، لقد مات قلبه بين جوانحه ، فأصبح لا يفكر إلا في المنام والطعام ، إنه حَكَّم الغرب في

نفسه لبتلقى منه رغباً ، وقبل مئة مئة إنسان من أجل بطن واحد ، إنَّ محطّم الأصنام ، وسليل إبراهيم قد أصبح « آزر » ينحت الأصنام ، إنَّه يشتري من الإفرنج أصنامهم الجديدة .

إنَّ هذا الجيل قد أصبح في حاجة إلى بعث جديد ، وإلى أن نقول له مرّة ثانية : قم ياذن الله ، لقد سحرتنا الحضارة الغربية ، وقد استطاع الغربيون أن يقتلونا من غير حرب وضرب ، لقد استطاعت أمتك وأصحابك ، أن يثُلُّوا عروش كسرى وقیصر ، والعالم ينتظر من جديد ثائراً جديداً ، يؤمن بالله ويكفر بغيره ، ويكسر طلاسّم هذه الحضارة ويطل سحرها .

نفسی فداؤك أيها الفارس الكريم ! بالله اقبض العنان ، وقف بي لحظة أبث إليك بالأشجان والأحزان ، قد تلجلج لسانی وختاني البيان ، إنني في صراع بين سلطان الشوق وسلطان الأدب ، إنَّ الشوق يقول لي : تَشَجَّعْ وتكلم ، فأنت من الحبيب بقاب قوسين ، الأدب يقول : إيّاك والفضول ، فافتح العينين وأطبق الشفتين ، ولكنَّ الشوق عصيٌّ ثائر ، لا يخضع للأدب ، إنني أطلب منك نظرة التفات ، فأنا ذلك الغزال التائه اللاعب الذي رَهَدَ فيه الطالبون ، وانصرف عنه الصيادون ، فلجأت إلى حرمك ، ولأمر ما تراميت في أحضانك ، إنَّ صوتي قد اختنق في حلقومي ، وإنَّ اللهب عاد لا يتجاوز صدري ، وإن أنفاسي قد تجرّدت من لوعة القلب ولهب الصدور ، وإنني فقدت اللذة التي كنت أجدها في قرآن الفجر .

إنَّ الزفير الذي لا يسمعه الضمير كيف يستقر في الصدر كالعاني الأسير ؟ إنه يحتاج إلى أجواء لا نهاية لها ، وإلى سعة السموات التي لا حدود لها ، يا لها من عليّ يعانيها جسدي وروحي ، ولا دواء لها ، إلا أن تنظر إليّ من طرف خفي ، إن هذه الأدوية التي يصفها الأطباء لا تناسب روحي العليلة ، فإن شامتني اللطيفة لا تحتمل مرارتها ورائحتها ، فأنا مريض لا يرجع فيه إلى طبيب ، فأبكي بكاء الأطفال ، إذا جرّعوا الدواء المر ، وأنا أخادع نفسي ، فأمزجه بالحلاوة حتى

تسهل إساغته ، إنني كالבוصيري أطلب الفتح والفرج ، وأن يعود إليّ ذلك اليوم الذي فقدته ، إنّ العصاة من أمتك أسعد بشفاعتك ، وأكثر حظاً من عطفك من غيرهم ، كالأمّ الحنون الرؤوم في عطفها وصفحها عن إساءة أبنائها .

إنني مع عباد الليل والظلام في صراعٍ شديد ، فمد سراجي بمدود من الزيت من جديد ، إنّ وجودك كان للعالم ربيعاً ، وللإنسانية خصباً وريعاً ، فلا تضرّ عليّ بشعاعٍ من أشعة شمسك المنيرة للعالم ، إنّ قيمة الجسم بالروح ، وإنّ قيمة الروح هو إشراقٌ من المحبوب ، إنني أريد أن ينقطع رجائي عن غير الله فاجعلني سيفاً ، أو اجعلني مفتاحاً .

لقد أسرع بي ذهني الوقاد في مجال الفقه وحكمة الدين ، ولكن أبطأ بي عملي في مجال الكفاح ، إنّ مهمتي أصعب وأدقّ من مهمة « فرهاد » الذي كلف تفجير نهر من لبن من جبل صلد أصم ، فأنا في حاجة إلى آلات أخذ ، وقوى أشدّ ، حتى أتم مهمتي ، وأحقق رغبتني ، إنني مؤمنٌ لا أكفر بشخصيتي ومواهبني فضعني على المسنّ ، فإنني حديدٌ من معدنٍ كريم .

إنني وإن كنت قد ضيّعتُ شبابي ، وأتلفتُ حياتي ، ولكن أملك شيئاً اسمه « القلب » ، إنني أثار عليه وأستره من العيون لأنه يحمل أثراً من حافر جوادك الأصيل ، إنّ العبد الذي قد زهد في زخارف الدنيا ، إنما يتسلّى برضا سيده وعطفه ، ويعتبر حياة الهجر والفراق موتاً .

يا من منع الكرديّ لوعة العرب ، اسمح للهنديّ أن يمثّل بين يديك ، ويتحدّث بأشواقه وأحزانه إليك ، إنه يحمل قلباً حزيناً ، وكبداً مقروحة ، لا يعلم أصدقاءه وزملاءه ما يعانيه من حزنٍ وآلم ، إنه لا تنقطع ألحانه المشجية ، كالعود الذي لا راحة له ولا انقطاع ، إنني كحطبٍ في الصحراء مرّ به ركبٌ فأشعل فيه النار ، وأعجلَ الركبُ السير ، فمضى وخلفه ، وبقي الحطب يشتعل ، وينتظر ركباً جديداً ليستهلكه ويأتي على بقيته ، فمضى بمرّ به ركبٌ



وإليك هذه القصيدة المصاغة بالعربية شعراً يقول إقبال :

يا رأسَ مالِ البائسينَ ويا منارَ انحائرين
ادعُ الإلهَ يَهَبْ لأمتِكَ : الشجاعةَ واليقينَ



ويعيذُهم من شرِّ خوفِ الموتِ من قبلِ المماتِ
الخوفُ يفني اليائسينَ وهم على قيدِ الحياةِ



يا من هدمتِ اللَّاتَ والعُزَّى وحرَّرتِ الحرَمَ
وبنيتِ أعلى أمةٍ تهدي بِسِيرَتِها الأُمَمَ



ذكرُ الإلهِ ويَقْظَةُ الوجدانِ في إنسٍ وجانِ
من قِيضٍ وحيكِ يا صلاةَ الصُّبْحِ يا صَوْتَ الأذانِ



فحرارةُ الإيمانِ في القلبِ المَشْوقِ إلى النُّصالِ
وسراجُ ليلِ الفِكرِ (لا معبودَ إلا ذو الجلالِ)



لَمْ نَتَّخِذْ فِي الكونِ ربّاً من رُخَامٍ أو حَجَرِ

(١) من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، ص ٢٠١ - ٢٠٦ .

كلا ولم تَسْجُدَ لنجمٍ أو نباتٍ أو بقر

لم نلقِ جبهتنا لدى الكُفَّانِ في دُلِّ حَقِيرٍ
لم نحنِ هَامِتًا لِسُلْطَانٍ قَوِيٍّ أو أَمِيرٍ

مَنْ فِيضِي رَوْحَكَ كُلُّ هَذَا الْفَضْلِ وَالْعِزِّ الْمَكِينِ
وَبِنَاءِ صَرْحِ الْمَجْدِ فِي تَوْحِيدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

ذَكَرَاكَ وَرَدُّ سَائِغٍ يَحْلُو بِهِ الْعَيْشُ الْمَرِيرُ
وَبَغْيَرَةُ الْإِيمَانِ صَارَ الدِّينُ كَنْزًا لِلْفَقِيرِ

يَا مَتَهَى كُلِّ الْمَنَازِلِ فِي طَرِيقِ السَّالِكِينَ
يَا مَنْ إِلَى أَنْوَارِهِ تَهْفُو قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ

فِيثَارَتِي^(١) ثَقُلْتُ وَأَعْيَاهَا التَّجَاوُبُ وَالرَّئِينَ
أَوْتَارَهَا لَا تَسْتَجِيبُ إِذَا عَزَفْتُ وَلَا تَبِينُ

فَإِذَا نَصَحْتُ فَلِئَنِّي نَادَيْتُ مَنْ لَا يَسْمَعُونَ
وَإِذَا نَهَيْتُ فَلِئَنَّمَا أَسْمَعْتُ مَنْ لَا يَنْتَهَوْنَ

(١) القيثارة : آلة طرب ذات أوتار .

طَوَّفْتُ فِي أَرْضِ الْأَعَاجِمِ ثُمَّ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ
لَمْ أَلْقَ فِيهَا الْمَصْطَفَى وَلَكِنْ رَأَيْتُ أَبَا لَهَبٍ



عَجِبِي لِهَذَا الْمُسْلِمِ الْمَزْهُوِّ بِالْعَصْرِ الْمُنِيرِ
لَا هَمَّةٌ تَحْدُو خُطَاهُ وَلَا سِرَاجٌ فِي الضُّمِيرِ



وَأَرَى شَبَاباً وَاهِنَ الْعِزْمَاتِ فِي لَيْنِ الْحَرِيرِ
وُلِدَتْ أَمَانِيهِ فَكَانَ الْمَهْدُ مَصْرَعَهَا الْأَخِيرِ



ذَاكَ الْغُلَامُ بَيْنَ الْغُلَامِ بَيْنَ الْغُلَامِ
فِي شَرْعِهِ تَحْرِيرُ أَمَّتِهِ مُحَالٌ أَوْ حَرَامٌ



الَّذِينَ لَيْسَ لَهُ بِذُنْيَاهُ زَمَانٌ أَوْ مَكَانٌ
كُلُّ الَّذِي أَذْرِيهِ عَنْهُ أَنَّهُ بِالْأَمْسِ كَانَ



عَنْ ذَاتِهِ أَضْحَى غَرِيباً مُسْتَهَاماً بِالذُّخِيلِ
بِذُلِّ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ ثَمْنًا لِمَطْعَمِهِ الدُّلِيلِ



كَالطَّيْرِ غَايَتُهُ التَّقَاطُطُ الْحَبُّ فِي ظِلِّ الْقُصُورِ
هُوَ طَائِرٌ لَكِنَّهُ لَمْ يَذِرْ تَحْلِيْقَ النُّسُورِ



قَدْ ذَابَ فِي نَارِ الْفِرْنَجِ فَمَا لَهُ عَنْهَا مَحِيدٌ^(١)
وَأَتَتْهُ نَارُ جَهَنَّمَ لَكِن بَأْسُ لَوْبِ جَدِيدِ

هُوَ مُؤْمِنٌ لَكِنَّهُ مِنْ جَنَّةِ الشُّهَدَاءِ هَارِبٌ
لِيَسْتَقَرَّ بِقَلْبِهِ أَنْ (لَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ غَالِبٌ)

ذَاكَ الَّذِي فَقَدَ الْيَقِينَ وَقَلْبُهُ فَقَدَ الْحَيَاةَ
وِطْعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَمَنَامُهُ أَغْلَى مَنَاءَ

وَتَرَاهُ بِالْعَيْنِ الثَّقَالَ مَقِيداً وَمُكَبَّلًا
يَمُنُّ يَقُولُ : (نَعَمْ) وَمَعْنٍ لَا يُجِيبُ بِغَيْرِ (لَا)

فَلْيَضْحَعْ مِنْ غَفْلَاتِهِ لِيَعُودَ حَيًّا قَلْبُهُ
وَيَعِيشَ فِي أَوْجِ الْكَرَامَةِ هَاتِفًا (اللَّهُ هُوَ)

مَدِينَةُ الْإِفْرَنْجِ مَاضِيَةٌ بِنَا نَحْوِ الزُّوَالِ
قَتَلَتْ مَوَاهِبَنَا بِلَا حَرْبٍ تَدَوُّرٌ وَلَا قِتَالِ

فَاكْشِفْ لِقَوْمِكَ عَنْ كَرِيمِ النَّفْسِ مُتَّقِدَ الْحَيَاةِ
ثَمَلٌ يَحِبُّ اللَّهَ لَا يَرْجُو وَلَا يَخْشَى سِوَاهُ

(١) فَمَالَهُ عَنْهَا مَحِيدٌ ، أَي : مَالَهُ مَتَاهَا مَفْرُ .

وَإِذَا تَيَّسَ مُسْلِمٌ فِي ذَاتِهِ شَرَفَ الْمَكَانَةِ
أَخْلَقَ بِهِ فِي الدَّهْرِ أَنْ يَخْتَارَ فِي الدُّنْيَا مَكَانَةً

أَيُّهَا الْفَارِسُ الْمِغْوَارُ أَهْلُ فِي الْمَسِيرِ
وَإِحْسِنْ عِنَانَكَ لِمِحَّةٍ تَسْتَقْبِلُ الْقَمَرَ الْمُنِيرَ

أَمَلِي عَلَى شَفَتِي مُخْتَبِسٌ عَنِ النُّطْقِ اخْتَجَبَ
وَالشُّوقُ يَقْتَحِمُ الْمَقَامَ فَلَيْسَ بِحُكْمِهِ الْأَدَبُ

هَذَا يَقُولُ أَبْنُ عَنِ الشَّكْوَى وَلَا تَكْتُمُ أَسَاكَ
وَيَقُولُ ذَاكَ انْظُرْ وَلَا تَهْمَسْ بِحَرْفٍ عَنْ جَوَاكَ

أَنْتَ الْهَدَايَةُ وَالذَّلِيلُ وَأَنْتَ عِزْفَانِي وَفِكْرِي
وَسَفِينَتِي فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَطُوفَانِي وَبَحْرِي

زَادَتْ بِي الْأَنَاءُ وَالْعَبْرَاتُ حَتَّى عَيْلَ صَبْرِي
فَالِىَ مَتَى هَذَا اللَّهِيْبُ يَظُلُّ مَطْوِيًّا بِصَدْرِي

فَلَمْ يَبْقَ لِلْأَرْوَاحِ فِي شَوْقِ الْعِبَادَةِ مِنْ أَثَرٍ
لَمْ يَبْقَ لَطْفُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ

قَدْ كُنْتُ يَا شَمْسَ الْخَلِيقَةِ مُنْقَذًا فِي النَّائِبَاتِ

وأبرّ بالعاصين رفقا من قلوب الأئمهات

في حَرْبِ عِبَادِ الظُّلَامِ أَصَارُكَ الدَّاءَ الْعِيَاءَ
فَامْنَحْ سِرَاجِي مِنْكَ زَيْتاً قَبْلَ مَا يَخْبُو الضُّيَاءُ

كُلُّ الْخِمَائِلِ^(١) فِي رِيَاضِ الْكَوْنِ أَنْتَ رَبُّهَا
مِنْكَ الْفَوَاضِلُ كُلُّهَا وَالْمَكْرُمَاتُ جَمِيعُهَا

الْجِسْمُ فِي بُنْيَانِهِ بِالرُّوحِ يَكْتَسِبُ الْحَيَاةَ
لَكِنْ حَيَاةَ الرُّوحِ فِي قُرْبِ الْحَبِيبِ وَفِي رِضَاةِ

انْظُرْ إِلَيَّ فَأَنْتَ بِالْجَدْوَى وَبِالْإِحْسَانِ أَوْفَى
إِنْ لَمْ أَكُنْ يَهْدَاكَ مِفْتَاحاً ، أَكُنْ بِحِمَاكَ سِيفاً

لِي مَحَنَةٌ مِنْ دُونِهَا قَطَعُ الصُّخُورِ مِنَ الْجِبَالِ
فَاجْعَلْ لِفَاسِي مِنْكَ حَدّاً مَاضِياً عِنْدَ النُّضَالِ

إِنْ كَانَ عُمْرِي قَدْ بَدَأَ يَخْلُو مِنْ الْمَخْصُولِ جَدْباً
مَا زِلْتُ أَمْلِكُ مَضْفَةً^(٢) يَدْعُونَهَا فِي الْحُبِّ قَلْباً

(١) الخمائل ، جمع خَمِيلَة : كل موضع كثر فيه الشجر .

(٢) المَضْفَة : القطعة التي تمضغ من لحم وغيره ، لكن هنا يريد بها الشاعر « القلب » .

أَخْفَيْتُهُ لَأَكُونَ فَرْدًا فِي هَوَاكَ وَفِي رِضَاكَ
وَعَلَيْهِ خَاتَمُ حُبِّكَ الْغَالِي فَلَيْسَ بِهِ سِوَاكَ

إِنَّ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعًا
إِنْ لَمْ يَتَلَّ قُرْبَ الْحَبِيبِ تَكُونُ دُنْيَاهُ ضَيَاعًا

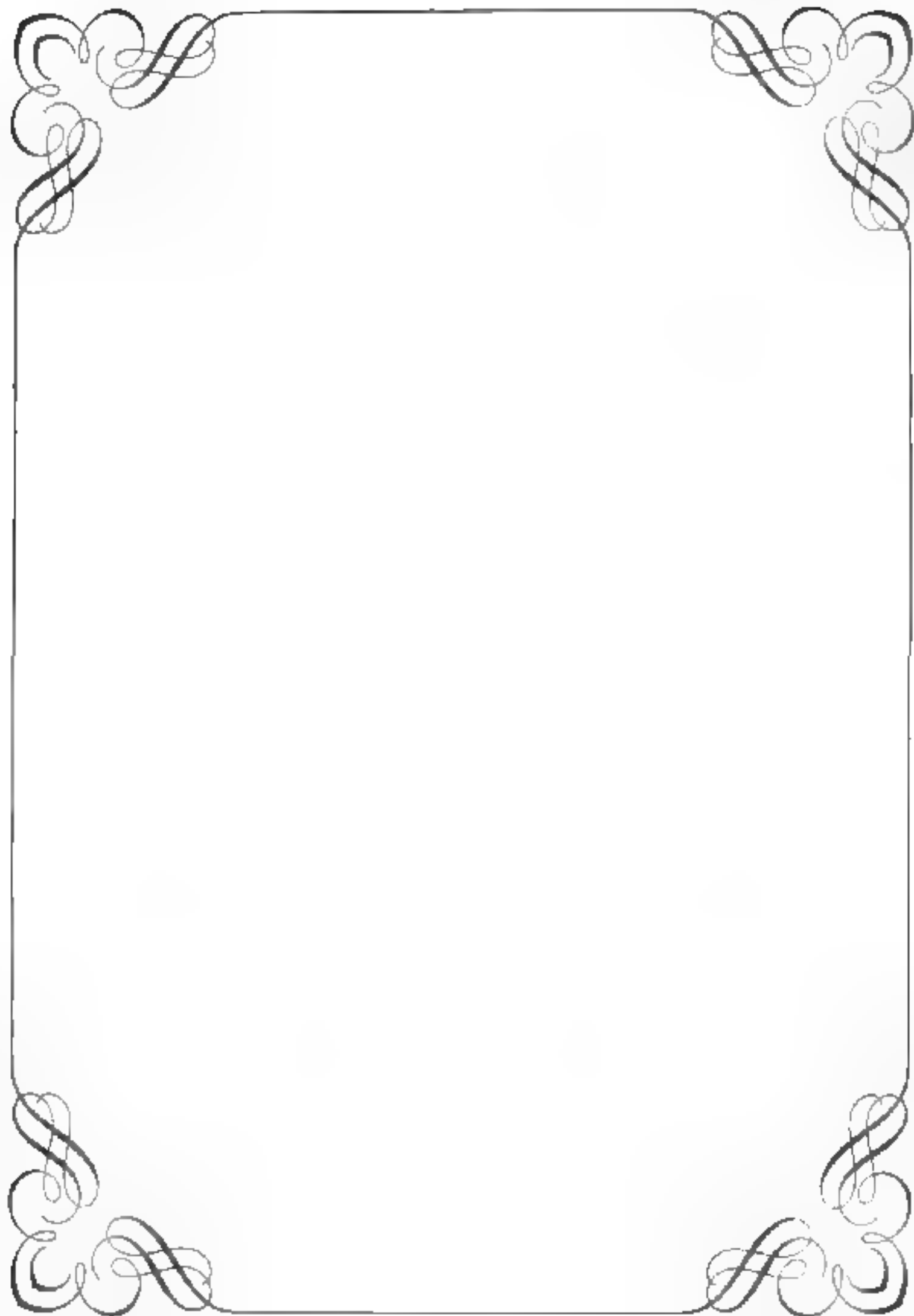
كَمْ ذَا يُعَانِي الْقَلْبُ مِنْ نَارِ اللَّوَاعِجِ وَالشُّجُونِ^(١)
وَيَبْسُ مِثْلَ النَّايِ بِالشَّكْوَى لِمَنْ لَا يَعْلَمُونَ

قَدْ خَلَفْتُهُ عَلَى رُبَى الصَّخَرَاءِ قَافِلَةُ الرِّفَاقِ
كَهَشِيمِ غُضَنِ يَضْطَلِي بِالْجَمْرِ فِي نِصْفِ اخْتِرَاقِ

يَزْنُو إِلَى الْبَيْدَاءِ وَالْمُدُنِ الرَّحْبَةِ وَالْفَضَاءِ
فَعَسَى تَعْرِ قَوَافِلُ أُخْرَى تُعِيدُ لَهُ الرُّجَاءَ

يَا مَنْ خَلَقْتَ عَلَى صِلَاحِ الدِّينِ حُلَّةَ خَالِدٍ
فَعُضَى بِعِزٍّ دَائِمٍ يَبْقَى وَمَجْدٍ خَالِدٍ

(١) الشُّجُونُ : الهموم والأحزان .

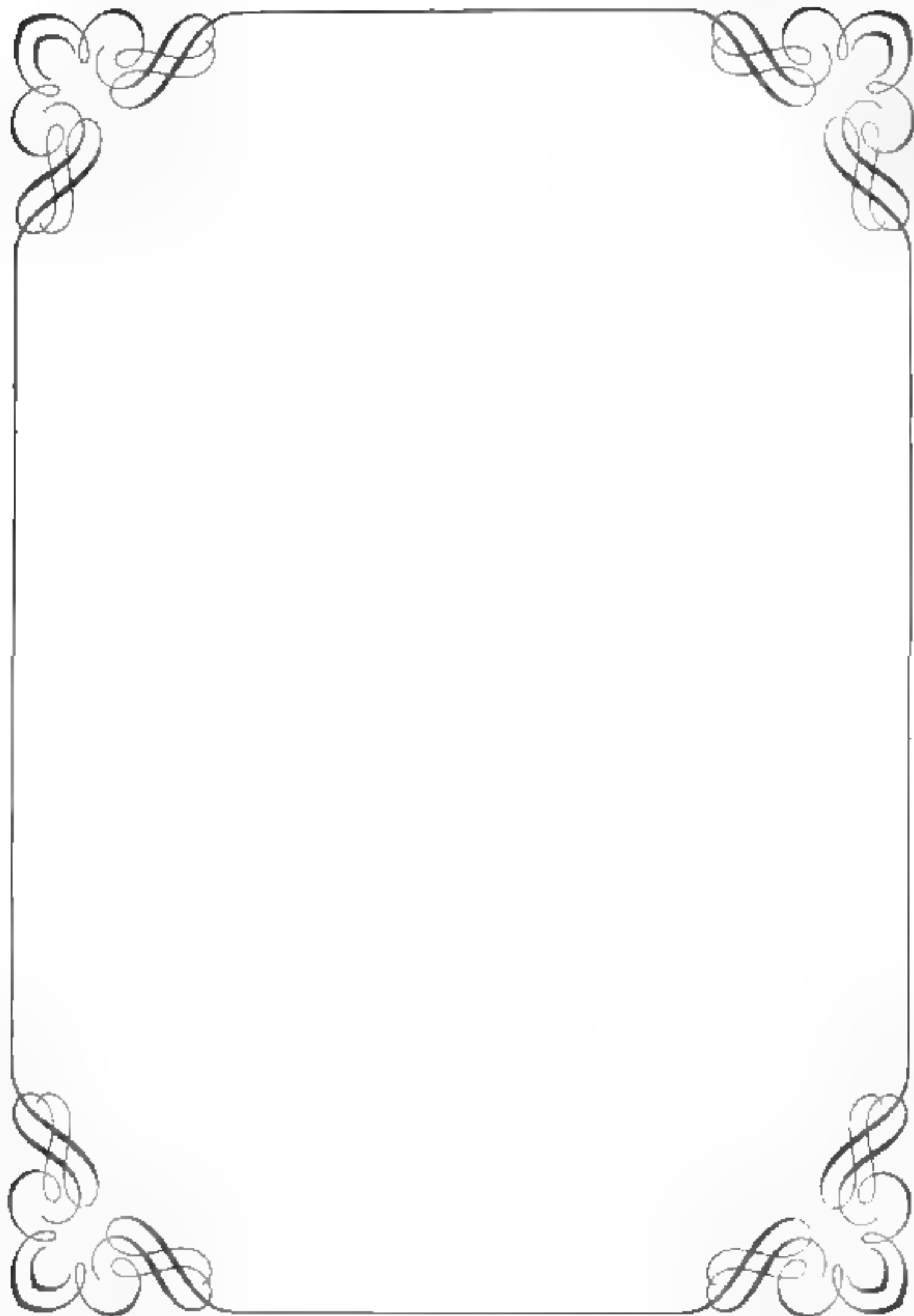


الدِّيَّوَانُ التَّاسِعُ

هَدِيَّةُ الْحِجَازِ
أرمغان حجاز

نَقْلُهُ مِنَ الْفَارِسِيَّةِ شِعْرًا
الدكتور حسين مجيب المصري





نُشِرَ هذا الديوان بعد وفاة الشاعر ، وهو عبارة عن الشعر الفارسي والأردوي معاً ، وهو يتألف من قسمين ، أولهما يحتوي الرباعيات الفارسية التي ترجمها الدكتور حسين مجيب المصري ، والثاني يحتوي منظومات وقصائد قصيرة باللغة الأردوية ، الذي ترجمه نثراً الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم ، وفيه قصيدة بديعة عنوانها « برلمان إبليس » وصف فيها الشاعر وصور جلسة برلمانية ، حضرها وتناقش فيها شياطين العالم ، ووكلاء النظام الإيليسي ، واستعرضوا فيها الاتجاهات والحركات والمذاهب السياسية والعصرية التي تهدد مهمتهم في العالم ، وتحبط مساعيهم أو تعرقل سيرهم ، وأبدوا فيها آراءهم ووجهات نظرهم ، وترأس هذه الجلسة وأشرف عليها « إبليس » فحكم على هذه الآراء والدراسات ، وعارض أكثرها في ضوء تجاربه الواسعة ، ويُعَدُّ نظره الذي لا يُشاركه فيه أحد من تلامذته ، وأدلى برأيه الحصيف المؤسس على الدراسة الواسعة العميقة « وهو يتلخص في أن المسلم هو المنافس الوحيد والمصارع الكفء لنظامه ، وهو الشرارة التي تتحوّل ناراً بسرعة » فالمصلحة والرأي أن يركّز « الزملاء » تفكيرهم على محاربة هذا العدو ، أو إلهائه ، وتنويمه ، وقد جاء في هذه القصيدة (من القسم الثاني) من الوصف الصادق الدقيق للمسلم ، ومن الملاحظات الصائبة الدقيقة عن كثير من المذاهب السياسية .

وأما القسم الأول المتعلق بالرباعيات الفارسية فهو يحتوي على ثلاثة أبواب ، ومنها الباب الأول يتعلق بالله عز وجل « وفيه يستنهج سبيل المتصوفة في تضرّعهم إلى الله ومناجاتهم له والإبانة عما تموج به قلوبهم من عشق إلهي هو غاية الغايات في سمو الروحانية . بيد أنه يعارض المتصوفة في تهافتهم على توكلهم واستكانتهم وقطع الأسباب بينهم وبين دنياهم ، ويرى في هذا ما ينافر واقع الحياة ، ويحيد عن القصد ، ويتجافى عن الصواب » ويصد عن فهم

صريح القرآن . فالمؤمن الموقن يعمل لدنياه كأنه سيعيش أبداً ، وينهض
بالبشرية إلى ذروة المثالية ، ويوائم بين دنياه وآخرته .

وهو يحب الله بقلب صوفيٍّ واصل دله الشوق والتوق ، فيقول معبراً عن
وجدته وكمده :

هياجٌ مآجٍ في ماء وطين بلاءُ العشوقِ من قلبٍ حزين
قَراري برهةً حقاً حرام فرفقاً ، شأن قلبي من شؤوني

كما يتشبه بهم بعض الشيء في انصرافهم تمام الانصراف إلى الاستغراق في
عشق الذات الإلهية بقطع النظر عن كل ما عداها ، ولا غرو فهم القائلون إنهم
يحبون الله ، ولكن لا رغبةً في الجنة ولا رهبةً من النار ، وهذا هو الحبُّ الحقُّ
بالمعنى الأصحُّ الأدقُّ ، لأنه الروحانية في شفافيتها التي لا تعلق شائبة من
المادية بصفاتها :

لي الدارين إني لا أريدُ وحسبي فهم ما روحٌ تفيضُ
فهيني سجدتي فيها احتراقي ومنها الكون في وجدٍ يميزُ

غير أن إقبالاً حتى وهو في نشوته الروحية الغامرة يعبر عن عاطفته الدافقة
لا ينسى القوم من حوله ، ولا يقتلع نفسه من الناس يمج بهم معترك الحياة ،
فالغيرية مهيمنة عليه وإن استبدت الأتانية بسواه ، لأنه يتفجّع ويتوجّع للمخلوق وقد
تردّوا في ضلالهم وتحيروا في طريقهم ، وعزَّ عليه ألا يذكرهم وهو في مناجاة
ربه ، فجأر يشكواه من حالهم ، داعياً من طرفٍ خفيٍّ بالخير لهم ، بعد أن نصب
نفسه داعية حقٍّ بيّنه لهم ليضع أمرهم في نصابه :

على قومٍ إلهي فلتُعني كَرّاصي الضأن عَالِمُهُمْ بَفْنُ
رأت عيناى ما يقذي عيوناً ألا يا ليت أُمي لم تليدني

وبعد أن تأذى بمناقص الناس ومعائبهم في رأيه ، كان على ذكر من
الإنسانية ، ولم يفتَهُ أن يجري قولها على لسانه لأنه الجزء الذي لن يتجزأ منها ،

وتكشف عن شخصيته الإيجابية وعبقريته المتفتحة المنطلقة التي طوعها لخدمتها ، فدعا ربه لها وأمله أن يستجاب ، وتضمن دعاؤه جوهر فكرته وأساس نزعته وملامح كيانه العقلي والروحي وهو يقول :

إلهي زِنْ لنا خيراً وشرّاً هب الدنيا نعيماً مستمرا
وشاهدنا خلقنا من تراب لنجعل عالم الغبراء نصرا

أما في الباب الثاني من الكتاب فلا يوجه خطاباً ولا دعاءً إلى كائن من كان ، أو على التحديد لا يصرح واضح التصريح بمن يخاطبه كما كان شأنه في الباب الأول . وهو يجنح إلى رمزية حالمة يستشف منها أنه سعى إلى بيت الله حاجاً ، وأن فؤاده مشوق إلى أرض الرسول صلوات الله وسلامه عليه . وله ولع بوصف سفرته الطويلة ولعله يتأثر في ذلك بشعراء المتصوفة وهم يتمثلون التصوف طريقاً يشكو سالكها من طولها ووعورتها . غير أنه أرق منهم قلباً وأجمل وصفاً وأدق تصويراً في نحو قوله :

مساءً مثل صبحٍ قد تبسّم تمطّى صبحها والليلُ أظلم
تمهّل إن خطوت على رسالٍ كقلبي كلها قلبٌ نألم

ويفرغ من تصوير عاطفته ليولّي عقله شطر حال المسلمين ، فلا جرم لقد ذكره مهد الإسلام بها ، فتساءل عن عاقبة أمرهم ورفع كربهم ، وساءه أن يكون للمسلم قلبٌ أقفر من حبيب ، وهو يلّمح بذلك إلى أنّ صلاح حال المسلمين لن يكون إلا بالوقوف عند حدود الدين ، ولزام أن يرقّ قلبهم للتقوى .

غير أنه لا يرتضي من علماء الإسلام إلا أن يمعنوا النظر في الدين ليفهموه حق الفهم ، ويكره منهم أن يغفل بعضهم عن دعوة الدين إلى الكفاح من أجل غيّد أسعد ، والعمل لخير الناس كافة ، وطرح العداء والشحناء والعيش في ظل الإخاء والصفاء ، كما ربا بهم أن يتوهموا الدين جموداً وخموداً ، فالدين قوام الحياة يصلحها في كلّ أمورها ، ويسمو بها في كل مناحيها . كما يكره للمؤمن الحق أن يكون متواكلاً منظوياً .

والباب الثالث خاص بالمجتمع أو الشعب ، وقد صُدِّره بقوله « صل قلبك بالله واسلك طريق المصطفى » وتدرج تحته عدة فصول وعناوين .

وهو في حديثه عن الجماعة يريد ليبصُرَها بمبادئه المثالية ونزعته الإنسانية ، ويذل النصيح مهيباً بها ألا تتخلف عن ركب التقدمية « وأول ما يحبه للشعب أن يتآخى أفرادهِ ويعرف كل منهم قدر نفسه دون أن يتعدى على حق غيره ، ويشما الشعب يخضع فيه فرد ويذل لمن يطغى ، ويذل ويتترع الثمرة بغير حق من يد من لقي ما لقي من تعب في زرع شجرتها ، فهذا ما يغضب الله على الشعب كله وقد كبر مقتاً عنده تعالى :

ولاءُ الأمرِ من ربي لشعبٍ زماماً يملكون لكلِّ أمرٍ
ولكن لا يحسب الله شعباً به الفلاح يزرعُ كي يلبّي

ويخصُّ الذاتية بالذكر لأنَّه من يجلُّ ذات الإنسان إلى أبعد مدى ، وهو بذلك مخالف للصوفية الذين أرادوا المحو التام لها والقضاء المبرم عليها إلى أن تنفي في الله ، كما أن بعض المدارس الفلسفية والدينية تحط من قيمتها وتنفي عنها كل قوة وقدرة . وما هو ذا يعلي من قدرها ويستعير من المجاز لوصف حقيقتها :

لذاتك لا إله فضم مرءٍ لُخرج من ترابٍ مات نظره
ولا تقبض يمينك عن وجودٍ له القمران في وهق بجرءٍ

ومن فصول هذا الباب فصل بعنوان « الصوفي والملا » ، بمعنى الصوفي والشيخ . وإقبال يرمز بهما إلى موقفين لبعض المسلمين لا يقعان في نفسه موقع الرضا ، وهما موقف السليين الخاملين ، وموقف المتزمتين الجامدين . وهو من بعد يعرض الصوفي والشيخ في صورة المضحوك منه المسخور به ، مبالغة في تأكيد الحقيقة التي يريد تناولها بالإيضاح . وما من ريب في أنه متأثر في هذا بمألوف شعراء التصوف في تهكمهم بالشيخ غير المتصوف ، غير أنه صاحب الرأي المخالف والمجدد غير المقلد حين يغلف اللائمة على الصوفي والشيخ في

وقت معاً . فعنده أن الشيخ أخذ بالمظهر لا يتجاوزهُ إلى الجوهر ، أما الصوفي في عزله وسلبيته فيشاهد حرمة الإسلام تنتهك ولا يحرك لساناً ولا يداً . وإقبال يدعُو إلى تدبُّر آيات الكتاب الكريم التي تهدي سبيل الرشاد وتقطع الشك باليقين وتصلح بها حال العالمين . أما الشرط الذي يفرضه ، فهو ضرورة فهمها على الحقيقة التي ليس فيها من وراء :

لُمْلَأْ أَوْ لَصُوفِيْ أَسِير ! وفي القرآن للعيش الكثير
من الآيات ما أدركت شيئاً ومن ياسين بُغْيَتِكَ الْحَفِير !

وفي فصل عن الخلافة والملك ، يدلي الشاعر برأيه فيهما ويدعُو إلى الأخذ بتعاليم الإسلام في الحكم وسياسة الملك . ثم أفضى به القول إلى ذكر الأتراك في نهضتهم الحديثة . غير أنه عاب عليهم أن يتهافتوا على تقليد الأوربيين ورأى ذلك زراية بهم وتجريحاً لعزة أنفسهم ، لأنه الداعي على الدوام إلى احترام ذات الفرد والجماعة ، الموصى بالغوص على أعماقها للكشف عن قدراتها وملكاتِها وهباتها ، وهو لا يرتضي للتركي أن يظل من الفرنجة في قيود ويبقى أسيراً لسحر طلسمهم ، كما يحزنه أن يكون المسلم عن تراثه المجيد من الغافلين ، وأن يعصب عينه ليقوده الأجنبي إلى المصير . وبذلك يلتبس إقبال ما استطاع إليه سبيلاً من أمثلة لإشاعة رأيه وإذاعة مبدئه .

وتجلى دعوته إلى التأدب بآداب الإسلام والأخذ بأوامره ونواهيه حين يوجه الخطاب إلى فتاة المجتمع ويزعها عن أن تتزين وتبرج ، كما يذكرها بعظم فضلها أمأً صالحة ، ويرغب إليها أن توصى بالنظر في القرآن ، ثم يبين لها كيف أن ذلك يمكنها من تسوية النفوس ، إلى أن يضرب لها المثل بما كان من أمر أخت عمر بن الخطاب حين شاهد القرآن بين يديها فدفعته إليه ليقرأ حتى رق للإسلام قلبه .

وإقبال ساخطٌ على ما آلت إليه الأمور في العصر الحاضر ، فهو القائل فيه :

وعصرٌ منه للدين الشكاة : وحرِّيَّاته وأد الطفلة

كما أنه يقدح في شبابه لأنهم ليسوا على بينة من أمر دينهم ، ويغمر فيهم
لأنهم يقلدون الفرنجة في رقصهم ، فمن أقبح العيب عنده أن يقلدوا ، وتلك منه
دعوة ضمنية إلى شدة التمسك بالذاتية .

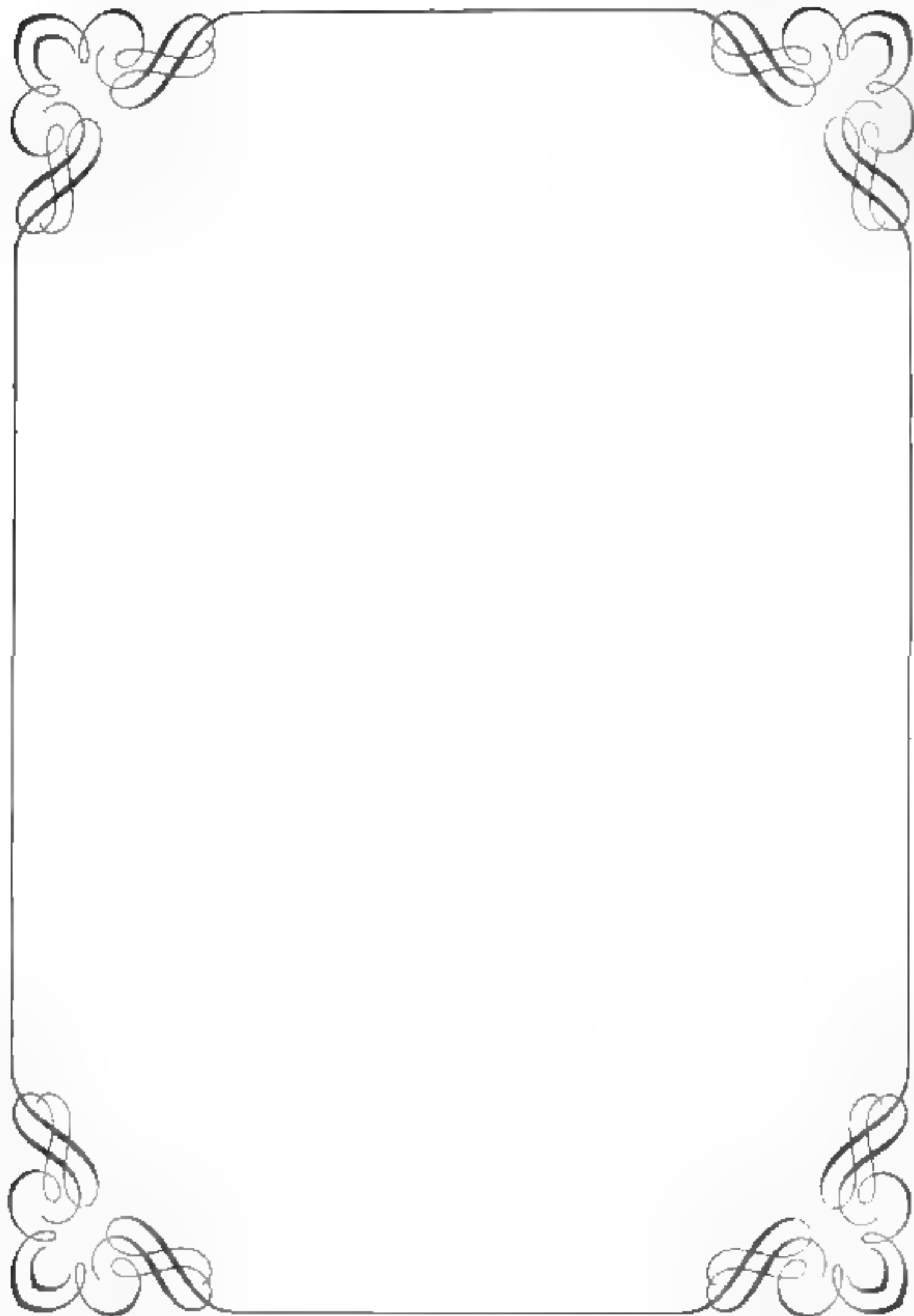
ويريد ليحرك مسلماً من ركوده وجموده فيذكره بالبرهمي الذي يضع ما يعبد
من صنم تحت بصره تبركاً وتعظيماً وإعزازاً ، على حين خلا طاق بعض
المسلمين من مصحف يزدان به ، كما يظهر الإعجاب ببرهمي لا يكل عن العمل
الدائب ساعده القوي ، وينحت له به صنماً من الصخر الصلود . ثم يضرب أمثلة
عدة وغايته من هذا كله أن يشحذ من همم المسلمين ليلتمسوا الوسائل إلى
الغايات ويبتغوا بالعمل وجوه النجح .

ويتصدى للتعليم ، وفي نظره أن العلم يرسو على أساس من الحس ، وهو
يمد الإنسان بقوة تتبع الدين ولا بد ، وإلا فلن تكون إلا قوة شيطانية . كما أن
العلم مقطوع الصلة بالعشق ، ثائر متمرد كالشيطان . أما إذا زاوج العشق فهو
إلهي الصفات . وبهذا العشق تكتسب الحياة مالها من معان ، ويصبح العلم
بفضل منه نعمة للبشر .



القسم الأول
(بالفارسية)





أَلَا يَا حَبِّذَا يَلِكَ الطَّرِيقُ تَطَوُّلُ وَلَا يُوَاسِسُهَا الرِّفِيقُ
لَهَا الزَّفَرَاتُ، فَافْتَحْ مِنْكَ قَلْبًا لَتَحْرِقَ فِيهِ حَزَنًا لَا تَطْلِقُ



سراقبال عالم شباب میں



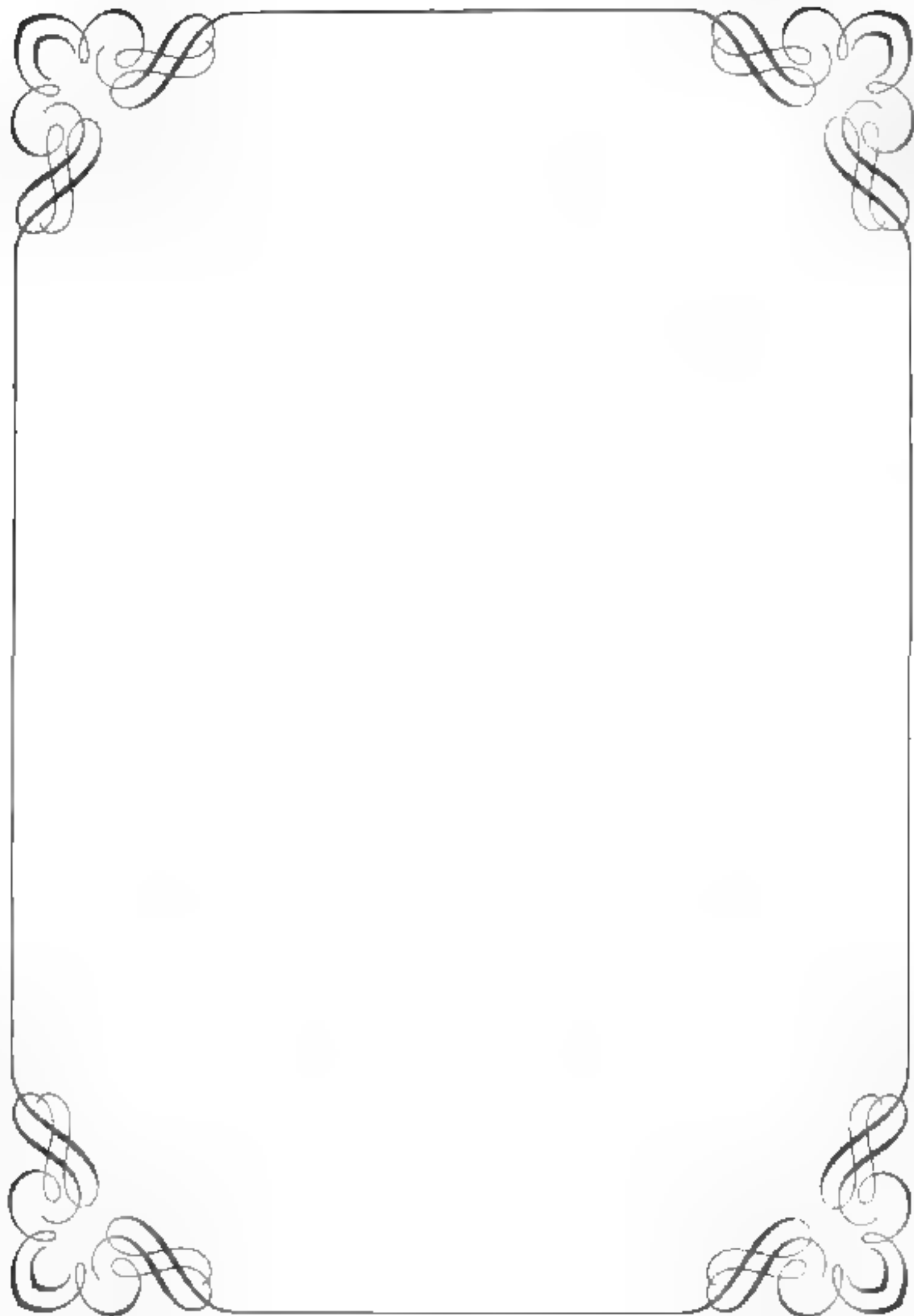
الدكتور الشيخ محمد اقبال في شبابه

القسم الأول^(١)

(المترجم من الفارسية)

مَنَاجَاةٌ

(١) القسم الأول والثاني والثالث لهذا الديوان نقله من الفارسية إلى العربية
شعراً الدكتور حسين مجيب المصري .



في الحضرة الإلهية

لقد سلبوا لنا قلباً ومزوا وكانوا شعلةً خمدت ومزوا
عوام القوم عايشهم زويداً فإن خواصهم ثملوا ومزوا

أطالوا القول شكاً في وجودي وقد أقصرت عن قولٍ سديد^(١)
لحي القلب هل تدري سجوداً عليّ احكم بهذا من سجودي

فؤادي كان قيد الكيف والكم يرى لكن وراء البدر إن تم
خلاء به حتى في سدير بخلوته كفوراً فهو يهتم
هياج ماج في ماء وطين بلاء العشق من قلب حزين
قراري برهمة حقاً حرام فرفقاً ، شأن قلبي من شؤوني

أجبنني من عن الدنيا تخلى لها حسن ، لمن حُسن تجلّى^(٢)
تقول احذر من الشيطان لكن أتعرف موجد الشيطان أم لا ؟

ولي قلب طليق في عذاب نصيبي من عتاب أو خطاب

(١) أقصر عن القول : سكّت عنه .

(٢) تخلى عن الدنيا : زهد فيها وقطع ما بينه وبينها من أسباب .

لإبليس أنا ما سموت قلباً خطيئة كل حين من صواب
صبنت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمين^(١)
إذا ما كان هذا دأب عشق بكأسك فاضرب البيت المصون^(٢)

أسير هوى ، على النفس انطواء به ألم وما يجدي دواء
عجيب أن تكلفني سُجوداً خراج الأرض والأرض الخلاء ؟

بلا أمد تراخي بي طريق نثر الحب ، أين لي الوريق^(٣)
من الآلام لا أخشى ولكن بهذا القلب هب الماء يلىق
سريع السكر لا تُرشف شرابي وأبعد عن غريب في ارتياب^(٤)
عن القصباء يحسن بُعد نار خواص القوم وحدهم فحاب^(٥)

أنت لقيت في طلب لغوبا وما أصليت في شوق لهيبا^(٦)

(١) هذا البيت من معلقة عمرو بن كلثوم ، وصبت : بمعنى صددت وصرفت . ومن شعراء الفرس من ضمنوا شعرهم الفارسي أبياتاً عربية . وتعرف أشعارهم بالملمعات . وأصل التلميع أن يكون في جسم الفرس أجزاء من لون يخالف لون جسمه فسمي هذا الشعر ملمعاً على التشبيه .

(٢) الدأب : الشأن والعادة وفي الأصل فاضرب بكأسك جدار الحرم . وتحقيق بالذكر أن الخمر هنا هي خمر الصوفية التي يرمز بها إلى العشق الإلهي . ولعمرو بن الفارض خمرة مشهورة مطلعها :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

(٣) الأمد . الغاية . الوريق : الكثير الورق من الشجر .

(٤) الغريب : من لا تجربة له .

(٥) القصباء : منبت القصب . وهو كل نبات يكون ساقه أنابيب وكعوباً .

(٦) اللغوب : التعب .

وَأَنِّي هَارِبٌ مِنْ لَا مَكَانِي فَتَوَحُّ الْوَهْنُ لَمْ يُشْجِ الْقُلُوبُ^(١)

أَتَزْ دُنْيَاكَ خَذْ مِنْي الْمِثِيرَا بِهَا التَّغْيِيرُ فَاجْعَلْهُ الْكَبِيرَا
لَكَ الْإِنْسَانُ فَاخْلُقْ مِنْ ثَرَاهَا أَيْزُ مِنْ كَانَ لِلْمَالِ الْأَسِيرَا^(٢)

بَنُورِ الشَّمْسِ دُنْيَانَا ظِلَامٌ وَلَيْسَ الْحَقُّ مَا أَدَى كَلَامٌ
إِلَى كَمْ ، إِنَّ دُنْيَانَا خَرَابٌ سَيَكْسُوها دِمَاءُهُمُ الْأَنَامُ^(٣)

(١) الوهن : منتصف الليل . ويتردد ذكر المكان واللامكان والجهات في شعر إقبال مما يبعثنا على الإشارة إلى تلك المقولة عند الفلاسفة . فيرى أفلاطون أن المكان يستحيل عليه الفناء وإليه مأوى المخلوقات . ويقول أرسطو إن وجود المكان متعلق بوجود العالم المتناهي ، وقد تابعه على ذلك الفارابي وابن سينا من فلاسفة المسلمين . والمكان في نظر الرواقيين فراغ متوهم يشغله الأجسام ولا وجود له في ذاته فليس بحقيقة . وقد بين الأشعري إلى أي حد اختلفت الآراء في المكان فعند بعضهم أنه ما يقل الشيء ويكون الشيء متمكناً فيه . وقال غيرهم إنه ما يعاس الشيء ، وإذا ما تعاس الشيئان فكل منهما مكان بصاحبه . وعند غيرهم أنه ما يعتمد عليه الشيء أو لا يعتمد ويمنعه من السقوط . كما قيل إنه الجو وقيل هو ما يتناهى الشيء إليه . أما المتكلمون فيرون أنه الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ منه أبعاده . ويضيف أحد فلاسفة الإسلام إلى بعد الطول والمرض للمكان بعداً ثالثاً هو العمق . ويوضح ذلك بالإناء والدار ، فيقول إن الإناء قد يمتلىء بالشراب ويخلو منه ، كما تعمّر الدار بساكنيها ويهجرها من فيها فليس ذلك الممتلىء الخالي هو السطح الباطن بل هو العمق بأسره . ولقد دلتني الدكتورة سهير فضل الله مدرّسة الفلسفة الإسلامية بكلية البنات من جامعة عين شمس على بحث لها في هذا الموضوع ، فشكرها من أوجب الواجب [الأستاذ المترجم] .

(٢) أبار : أهلك .

(٣) الأنام : الناس .

رضاك ، فلأنني عبيد ذليل بأمر منك يمضي بي السبيل
إذا ما قلت سَمَّ العَير طرفاً فهذا القول حقاً لا أقول^(١)

فؤادي ليس فيه من حُبور ومن لهب خلا من تُربي ونور^(٢)
صلاتي تلك خذ منها ثواباً صلاتي ليس فيها من حضور^(٣)
أعن دين وعن وطن كلامي وهذا السرُّ يُطوى بالتمام
فلا تغضب ، جَفَوْتُ وَمِنْ جَفَاء بنيت الديرَ يبدو كالخطام^(٤)

من الإفرنج إن ضاقت قيودُ فقلبك لا يحقق ما يريد
على عتبات غير الله وجهُ تُعَفَّر لا يليق به الجود^(٥)

لي الدارين إني لا أريد وحببي فهم ما روح تفيذ
فهبني سجدتي فيها احتراقي ومنها الكون في وجد يميز^(٦)
أنا المكسأل ما تبغيه مني أهبت هبوة لم تقتل عني^(٧)

(١) العير : الحمار . الطرف : الجواد الكريم .

(٢) الحبور : السرور . الترب : التراب .

(٣) الحضور : حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبي لديه كالحكم العيني .

(٤) يطلق الدير على الدنيا في الشعر الصوفي . يقول شاعر فارسي ما ترجمته (كنت ملكاً ولي في الجنة العالية مستقر ، إلا أن آدم جاء بي إلى هذا الدير المخرب) .

(٥) تعفر الوجه : تمرغ في التراب .

(٦) يميز : يتحرك ويضطرب .

(٧) الهبوة : الغبرة وهي الغبار . والمقصود هنا الريح التي تحمل الغبار وتشير به .

رَأَيْتَ ابْنِي يَصَلِّي فِي صَبَاحٍ مَائِي فَلْيَقُلْ بِالصَّبْحِ زَيْتِي^(١)

عَلَى قَوْمٍ إِلَهِي فَلْتَعْنِي كِرَاعِي الضَّانِ عَالَمُهُمْ بَغْنِي^(٢)
رَأَتْ عَيْنَايَ مَا يَقْذِي عِيُونَا أَلَا يَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي^(٣)

إِلَامَ بَعِينٍ عَتَبَكَ أَنْتَ تَنْظُرُ وَأَصْنَامَ لَدَيْكَ إِلَامَ تَحْضُرُ
لَأَبْنَاءِ الْخَلِيلِ رَأَيْتَ دَارَا وَتَمْرُودُ يَرْبُهُمْ وَيَكْفُرُ^(٤)

أَيَرْجِعُ مِنْ نَعِيمِي مَا تَوَلَّى وَمِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ الرِّيحُ ؟ كَلَّا
وَهَذَا الْعَمْرُ بِالْهَفْيِ تَقْضَى فَهَلَّا عَادَ مِنْ أَحْيَتْ هَلَّا ؟

إِذَا مَا جَاءَ مِنْ ذَا السَّرِّ يَعْرِفُ بِلَحْنِ الْقَلْبِ أَسْمَاعاً فَشَفَّ^(٥)
وَرُوحَ الْقَلْبِ مَنْ أَبْقَى وَنَقَى كَلِيمٌ أَوْ حَكِيمٌ وَهُوَ يَعْرِفُ^(٦)

(١) يشير إلى ابنه المسمى (جاويد) . وزَيْتِي : من زان يزِين .

(٢) راعي الضأن مضرب العثل في الجهل .

(٣) أقْذَى العين : أوقع فيها القذى . وهو ما تتأذى به من غبار أو نحوه .

(٤) الخليل : سيدنا إبراهيم عليه السلام . يرب : يربي .

(٥) شَفَّ في الأصل بمعنى جعل له شَفْطاً أي قرطاً ، وشَفَّ كلامه : زَيَّنَّ وحلاه وشَفَّ السمع : زينه وأطربه .

(٦) يتردد في الشعر الصوفي ذكر العزف والغناء على أنهما رمز لنشوة العشق الإلهي . ويمكن القول إن الحسنة والصهيبة والغناء تؤلف وحدة قلما نجد انفصاماً بين مقوماتها الثلاثة .

أرجي لي فؤاداً قد توجع شكوتُ فمن شكاتي سوف يسمع
بزهرٍ قانيء يزدان قبوري عديم النطق دامي اللحن موجع^(١)

أميرُ القلب لا يفدي الأسيرا وليس يزيدُ من ألمٍ كثيراً
وينفخُ في الثرى الأنفاس دوماً ورامَ الأكل أو سكنَ الحفيرا^(٢)

من الأضلاع لي قلبٌ يفزُّ تبقى صورةٌ معناه سرُّ
طريدُ البابِ يفضِّلني كثيراً رآه الله ، لي في السمعِ ذكر

نداءُ جبرئيل ليس يدري ففي طلبٍ مقامٍ طيِّ سرُّ
وهذا عبدك المسكين سَلُّهُ عنِ الأمالِ في حلٍّ ومُرُّ
صفاتُ هبْ لخسرو أو لرومي وُجِدْ لي من سنائي بالمروم^(٣)

(١) القانيء : الشديد الحمرة .

(٢) دوماً : دائماً . الحفيرا : القبر .

(٣) خسرو : هو أمير خسرو دهلوي المتوفى عام ٧٠٥ هجرية . شاعر عظيم من شعراء الفارسية في الهند . وله شعر صوفي يتميز بخصائص ليست لشعر غيره من شعراء الفارسية في تلك البلاد . وشعره كثير البديع . وقد نظر إليه الشعراء كمثال يحتذى ، كما أوجد أسلوباً عرف بالأسلوب الهندي .

والرومي هو جلال الدين الرومي أشهر وأكبر شعراء التصوف من الفرس ولد بمدينة بلخ عام ٦٠٤ هـ لأب من خيرة العلماء والفضلاء ورحل به إلى الأناضول التي كانت تعرف آنئذ ببلاد الروم ولذلك عرف بالرومي . وقد تصدر للوعظ والإرشاد وعقد الأسباب بينه وبين المتصوفة وأشهر مؤلفاته كتاب المثنوي الذي استمد اسمه من نظمه على القافية المزدوجة . وهو يتضمن حكايات لها مغزى صوفي وآيات قرآنية وأحاديث نبوية فسرت وأولت ولكن لا على ظاهرها ولا يداني هذا الكتاب غيره من كتب التصوف . وجلال الدين صاحب طريقة صوفية أساسها وحدة الوجود وقد أشاعها بين الترك في =

أَلْفَتْ صَفَاتٍ عَبْدٌ مِنْ دَهْرٍ فَلَيْسَ لِكُلِّ هَذَا مِنْ لَزُومٍ
فَقِيرٌ هَفَّ عَنْ لَبْسِ الْمَرْقَعِ لِهَذَا مِنْهُ جَبْرِيلٌ تَوَجَّعُ
لَدَيْنَا أُمَّةٌ أُخْرَى لِنَخْلُقَ بِهَا كُلًّا عَنِ الدُّنْيَا لَنَرْفَعُ

وَشَعِبٌ مِنْهُ جَهْدٌ فِي الثَّانِي وَمِنْ إِبْرَ تَرَاهُ الشَّهْدُ يُجَنِّي
وَذَلِكَ بِعَالِمٍ مَنْ لَيْسَ يَسْرَضِي فَتَحَتِ الْعَالَمِينَ الظُّهْرُ يُخْنِي

وَقَوْمٌ وَخَّذُوا عِنْدَ ابْتِهَالٍ أَنْارُوا الْفَجَرَ مِنْ جَوْفِ اللَّيَالِي
رَأَوْا فِي الشَّمْسِ صَبْحاً مُتَقَرّاً فَأَبَدَتْ نَهْجَ نَجْمٍ مِنْ رِمَالٍ^(١)
لِحَفْلِ فِي اللَّيَالِي كُنْتُ زِينَا نَقَضْتُ وَكُنْتُ بِدراً ذَاقَ آيُنَا^(٢)
وَفِي هَذَا التَّغَافُلِ كَمْ أَقَاضُوا وَلَكِنِّي تَرَكْتُ الْجَمْعَ وَهُنَا^(٣)

= الأناضول ، واضطره هذا إلى محاولة التنظيم بالتركية ليفهم عنه سواد الناس . فكان ذلك سبباً في نشأة الشعر التركي العثماني . وكانت وفاته عام ٦٧٢ هجرية .
أما سنائي الغزنوي المتوفى عام ٥٤٥ هـ . ففي ديوانه تتردد الشكوى ممن يأخذون بالقشور دون اللباب ويتمسكون بالظاهر دون الباطن ، كما يصرح بما آلت إليه حال القوم لتناسيهم أوامر الدين ونواهيهِ ، ويتن تالماً من جفاء الخلان وصروف الزمان . غير أن شهرته بشعره الصوفي ، وبعد أول شاعر صوفي بحق في إيران وأول من ضمن شعره مصطلحات التصوف .

(١) النهج : الطريق . وفي الأصل أن الشمس تزبح الرمال عن طريق المجرة وهي نجوم تسمى الطريق اللبنية في الإنجليزية وحاملة التبن أو نائثرته في الفارسية ، وتسمى في الريف سكة التبنانة لأنها تشبه طريقاً تنأثر فيه التبن ، وانعكس عليه نور القمر بعد أن مر به التبان الذي يحمله .

(٢) الزين : الزيتة . الأين : التعب يشبه نفسه بالقمر ، وكأنه يتقص من هزال يصيبه لطول سيره في السماء .

(٣) الوهن : نصف الليل .

كَهَذَا الْعَصْرِ عَصراً مَا زَايَنَّا حَزِينُ الْقَلْبِ جَبْرِيلُ عَلَيْنَا
هُنَا قَدْ شِيدُوا دِيراً عَجِيباً يَزِيدُ لِمُؤْمِنٍ كُفْرٌ لَدِينَا

أَرَى دُنْيَاكَ فِي أَيْدِي اللَّثَامِ وَلِلْأَحْرَارِ فِي أَسْرِ مُقَامِ
فَضِيلٌ بَيْنَ مَنْ فَقَهُوا أَمْوراً يَعِيشُ كَمَثَلِ نَسْرِ لَا الْأَنَامِ^(١)

مَرِيدٌ قَالَ عِنْدَ الشَّيْخِ يَوْمَا إِلَهِي لَمْ يَحِطْ بِالنَّاسِ عِلْمَا ؟
كَمَثَلِ الْعَرَقِ فِي عُنُقِ قَرِيبِ وَلَيْسَ كَبَطْنِنَا فِي الْقُرْبِ حُتْمَا

لَأَرْضِ الْهِنْدِ حَالٌ بَعْدَ حَالٍ وَهَذَا الْكَوْنُ أَمْسَى فِي اخْتِلَالٍ
إِلَيْنَا كَيْفَ تَطْلُبُ أَنْ نَصْلِي بِرَأْسِ الْجَيْشِ عَبْدٌ كَالْمَحَالِ
وَيُحْكَمُ مِلْمٌ فَالْنَفْسَ بَاعَا وَأَذَانَا وَعَيْنَا قَدْ أَطَاعَا
وَهَتْ أَجْسَادُنَا مِنْ إِضْمِرِ حُكْمِ فَآدَ الشَّرْعُ مَتْنًا وَالذَّرَاعَا^(٢)

إِلَهِي زِنْ لَنَا خَيْراً وَشَرّاً هَبِ الدُّنْيَا نَعِماً مُسْتَمَرّاً
وَشَاهِدْنَا خُلُقِنَا مِنْ تَرَابِ لِنَجْعَلَ عَالَمَ الْغِيَرَاءِ نَضْرّاً^(٣)

خُلُودُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا عَرِفْنَا وَعَنْ مَوْتِ الْفَجَاءَةِ مَا سَمِعْنَا
وَوَقْتُكَ لَنْ تُعْرِضَهُ لِنَقْصِي إِنْ خَلَدَتْ قَالُوا قَدْ ضَرَرْتَا ؟

(١) الفضيل : ذو الفضل .

(٢) الإصر : الثقل . آد : أثقل . المتن : الظهر .

(٣) الغيراء : الأرض .

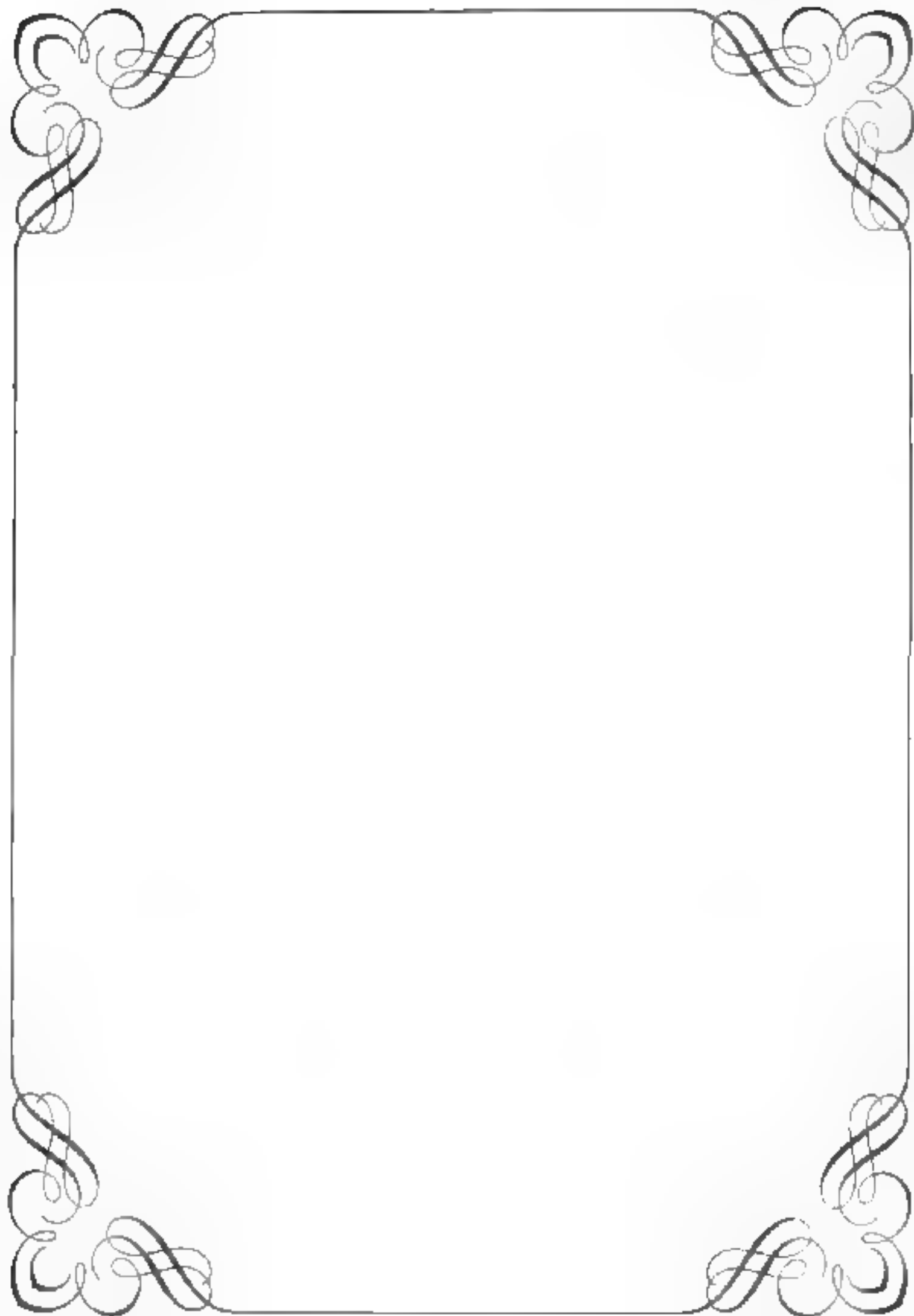
إِنَّ الدُّنْيَا دَنْتٌ مِنْ مَتَاهَا أَبَانَ الدَّهْرُ أَسْرَاراً طَوَاهَا^(١)
فَلَا تَفْضُخْ لَدَى الرَّحْمَنِ أَمْرِي حَسَابِي صَفْحَةً مَا إِنْ رَأَاهَا !

بَقِيتُ هُنَا وَلِي رَوْحٌ تَسِيرُ إِلَى الْبَطْحَاءِ أَشْوَاقِي تَطِيرُ^(٢)
خَوَاصُّ الْقَوْمِ عَاشِهِمْ ، تَلَبُّثُ بِشَوْقِي دَارَ مَنْ أَهْوَى أَزُورُ^(٣)

(١) أَبَانَ : أَظْهَرَ .

(٢) الْبَطْحَاءُ : مَكَّةُ الْمَكْرَمَةِ .

(٣) عَاشِهِمْ : عِشَ مَعَهُمْ . تَلَبُّثُ : ابْقَ .



القسم الثاني
الرَّسَالَة



إلى الرسالة

لمحت السماء مقام أرق من العرش يستلزم الأدب

ذلك الحقام الذي يحضر إليه جنيد وبايزيد تأنهى الألقام^(١)

عزت بخاري^(٢)



(١) جنيد وبايزيد من المتصوفة المشهورين ، نرى الجنيد البغدادي عام ٥٢٩٧

أما بايزيد فهو أبو يزيد البسطامي

المتوفى عام ٥٢٩٠ ولهما تراجم كثيرة في كتب التصوف مثل حلية الأولياء

طبقات الصوفية ، مرآة الجنان .

تذكرة الأولياء ، الرسالة القشيرية .

(٢) شاعر إيراني .

تمهل لا تُقم تلك الخياما دليلُ الركبِ في البيداءِ هاماً^(١)
وهذا العقلُ نعدمه دليلاً لذا أسلمتُ للقلبِ الزماما

سويدائي بها أقيتُ نظره بحضنِ القلبِ فاستروحتُ فتره^(٢)
بريحٍ للمدينة ضقتُ ذرعاً لقلبي من نسيمِ اليدِ خطره

ولي قلبٌ لمن كان الشهيداً هو الخفاقُ يالفُ أن يميذاً^(٣)
إلى الصحراءِ أحمله فيأسى على شطِّ الغديرِ بكى وليداً^(٤)
ولا تسأل عن الركبِ الشكاري فما يزضون تلك الدارِ داراً
يهرُّ قلوبهم جرسٌ مدو نسيماً في ذرى القصباءِ ثاراً^(٥)

ليشربَ كان في كُبْرَى رجلي وبى فرحُ اللقاءِ مع الخليلِ
كأنِّي الطيرَ قبلَ الليلِ يمضي ويَبْغِي العثَّ في الرّوضِ الجميلِ

أذَانُوا عاشقاً رَشَفَ المداما وَكَمْ لِمَحَنِّكَ عَابُوا الكلاما

(١) الركب : راكبو الإبل ، وفي الأصل القافلة . والبيداء : الصحراء . وهام : سار على غير هدى .

(٢) السويداء : حبة القلب . استروح : استراح .

(٣) يميل : يتحرك في اضطراب .

(٤) يأسى : يحزن . الغدير : النهر .

(٥) ذرى القصباء : أهالي القصب في منبته .

عَلَى نَعْمِ الْحَبَّازِ شَرِبْتُ كَأْسِي
أَتَسْأَلُ عَنْ مَقَامَاتٍ لِلْخَنِي
لَقَدْ أَلْقَيْتُ فِي الصَّخْرَاءِ رَحْلِي

وَمَا إِنْ قَدَّمُوا مِنْ قَبْلُ جَامًا^(١)
وَمَاذَا يَغْرِفُ النَّدْمَانُ عَنِّي^(٢)
وَفِيهَا اخْتَلَى حَتَّى أُغْنِي^(٣)

وَقُلْتُ لِنَاقَتِي بِالرَّفْقِ مِيزِي
وَسَارَتْ نَاقَتِي مَيِّرًا عَنِفًا

بَشِيخٍ فَارَفِقِي دَنْفٍ خَيْرِ^(٤)
أَتَخْطُو فِي الرَّمَالِ أَمْ الْحَرِيرِ !

وَيَا جَمَالَ عَنْهَا اطْرَحْ عَقَالًا
تَهَادَثَ مَرْجَةٌ أَبْقَنْتُ مِنْهَا
تَرَفَّرَقَ دَمْعُهَا سُودَ الْعَيُونِ
مُدَامَ أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

وَفِي الصَّخْرَاءِ قَافِلَةٌ تَكُونُ

وَفِي تَوْدِيْعِهَا خَفَقَتْ لُحُونُ^(٥)

(١) الجام : الكأس . ولأهل الحجاز منذ قديم شهرة بالميل إلى الغناء والمهارة فيه . وهذا يذكرونا بقول من قال :

رَأَيْتُ فِي السَّمَاعِ رَأْيَ حَبَّازِي وَفِي الشَّرَابِ رَأْيَ أَهْلِ الْعِرَاقِ
(٢) المقام : من مصطلحات الموسيقى . وللمقام معنى آخر عند الصوفية ، فهم يتمثلون التصوف طريقاً يسلكه الصوفي أو (السالك) وفي هذا الطريق مراحل ومنازل يسمونها المقامات ، وينبغي أن يمر بها حتى يصل إلى الحقيقة أي الفناء في الله ويجد البقاء في الله . والندمان : التديم أو الندماء .

(٣) الرحل : ما تستصحبه من الأثاث .

(٤) الدنف : العليل . والحسير : المعيا والكليل .

(٥) كان هنا قامة . اللحون : الألحان .

أَلَا فَاسْجُدْ عَلَى زَمَلٍ تَلْظَى عَلَيْهِ الْوَسْمُ يَخْتَرِقُ الْجَبِينُ^(١)

مَسَاءٌ مِثْلُ فَجْرِ قَدْ تَبَسَّم تَمَطَّى صُبْحُهَا وَاللَّيْلُ أَظْلَمُ^(٢)
تَمَهَّلُ إِنْ خَطَوْتَ عَلَى رِمَالِ كَقَلْبِي كُلُّهَا قَلْبٌ تَأْلَمُ
أَمِيرُ الرِّكَبِ مَنْ ذَا الْأَعْجَمِي بَغِيرِ لِسَانِنَا لَحْنٌ شَجِي
يُغْنِي وَالْغَنَاءُ لَهُ مَرَابُ وَفِي الصَّحْرَاءِ مِنْهُ الْقَلْبُ حَيَّ

وَمِنْ عَشْقٍ وَمِنْ سُكْرِ مُقَامِهِ وَفِي مَاءٍ وَفِي طِينٍ ضِرَامُهُ^(٣)
لَهُ الْأَنْفَامُ تُطْرِبُ كُلَّ قَلْبٍ لَنَا قَلْبٌ يَفْلُذُّهُ قِوَامُهُ^(٤)

خَفِيَ الْحَزَنُ فِي صَمْتِ تَرَاهُ لِسَانُ الْمَرْءِ فِي خُبْرٍ رَوَاهُ
طَرِيقٌ وَغَرَّةٌ وَالنَّضْوُ فِيهَا يَلَا نُورٍ لِمَصْبَاحِ هَذَا^(٥)
رَبِيعُ الْمَرْجِ مُحَمَّرُ الزَّهْوِ أَقَامَ الصَّحْبُ فِي كَنْفِ السُّرُورِ
أَتَوْقُ إِلَى الْبَقَاءِ هُنَاكَ وَخَدِي وَفِي جَبَلٍ عَلَى شَطِّ الْغَدِيرِ^(٦)

-
- (١) الوسْم : أثر الكي .
(٢) يريد صبح الصحراء وليلها .
(٣) العشق والسكر هنا بالمعنى الصوفي .
(٤) الفلذة : القطعة وقوام الشيء نظامه وعماده .
(٥) النضو : المهزول الضعيف .
(٦) أتوق : اشتاق .

وَأَقْرَأَ تَارَةً شِعْرَ الْعِرَاقِي^(١) وَأُخْيَاناً مِنَ الْجَامِيِ احْتِرَاقِي^(٢)
أَبْيَنَ لِحُونِ أَعْرَابٍ وَلَحْنِ لِحَادِي نَاقَتِي بَغْضُ اتِّفَاقِي^(٣)

أَشْبَ فَرَحاً بِأَخْزَانِ الطَّرِيقِ وَكُنْ مَجْنُونَهُ غَيْرَ الْمَفِيقِ
طَرِيقاً طَالَ يَا حَادِي لِتَسْلُكَ وَآلَامَ الْمَفَارِقِ مِنْ خَرِيقِ^(٤)
أَيَسُّ الرُّوحِ بَادِلْنِي شَكَاتِي وَقُلْ مِثْلِي «بَذِي حَسَنَ مَمَاتِي»
«لِنَفْسِخِ مَوْضِعِ الْقَدَمَيْنِ» قَاهِمِ «بِأَجْفَانِ رِقَاقِي دَامِعَاتِ»

لَقَدْ غَضُّوا وَغَضُّوا مِنْ حَكِيمٍ جَهُولٍ كَانَ ذَا الْفَضْلِ الْعَمِيمِ^(٥)
وَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي عَضْرِ سَعِيدٍ لَدَى السُّلْطَانِ تَزْوِيشِ عَظِيمٍ

بِصَدْرِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَعَيْتُ بِرَأْسِي «لَا مَكَاناً» قَدْ حَوَيْتُ
وَلَمَّا جُرْتُ فِي الْعَلْيَاءِ سَفْهاً جَنَاحِي كُلِّ فِي أَرْضِي هَوَيْتُ

(١) هو فخر الدين العراقي المتوفى عام ٦٨٨ هجرية من شعراء التصوف في إيران . وشعره رقيق أنيق يموج بالمشق الإلهي ، وقد رحل إلى الهند وأصبح من شيوخ الطريقة القلندرية التي تلزم أتباعها بالسياحة فساح في البلاد طويلاً وعرضاً . ولما زار مصر وجد السبيل إلى سلطاتها الذي أكرمه حق إكرامه وأمر بتنصيبه شيخاً لشيوخ مصر .

(٢) جامي : هو الشاعر الفارسي عبد الرحمن الجامي المتوفى عام ٨٩٨ هجرية وبعد من أعظم شعراء الفرس وآخر فطاحلهم من القدماء . والنزعة الصوفية غالبية على شعره ، وقد نظم قصة ليلي والمجنون وطوعها لمعاني التصوف ورموزه ، كما أن له عدة منظومات قصصية ضمنها شروحاً لأحكامه في رمزية وروحانية دقيقة .

(٣) الحادي : من يغني للليل .

(٤) الحريق : النار . أَسْب : أمزج .

(٥) غضوا منه : حقروا من شأنه .

بِوَادِينَا خُلُودٌ لِلزَّمَانِ بِلَا صُورٍ نَمَتْ فِيهِ الْمَعَانِي
حَكِيمٌ دَائِمًا أَخَى كَلِيمًا لِسَانٌ مَنَاحَتْ عَنْ (لَنْ تَرَانِي) ^(١)

وَيُيَدِي الْمُسْلِمُ الْمَحْبُوبُ فَقْرَهُ يُصْعَدُ مِثْلَ حَرِّ النَّارِ زَفْرَهُ
شَكَا مِنْهُ الْفَوَادُ وَلَيْسَ يَذْهَبِي فَهَبْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَظْرَهُ

عَذَابِكَ مِنْهُ كَمْ دُقَّتِ الْعَذَابَا بِكَ الْأَلْحَانُ لِي كَانَتْ عَذَابَا
حَزِينٌ ، مَا رَأَتْ عَيْنَايَ يَوْمًا بِأَرْضِ الْهِنْدِ قَطُّ لَكَ الصُّحَابَا
لِعَبْدِ الْهِنْدِ لَيْلٌ ضَاعَ فَجْرُهُ وَأَيْنَ الشَّمْسُ بَلْ قُلْ أَيْنَ بَذْرُهُ
أَنَا الْمِسْكِينُ فَلْتَرْفُقْ بِحَالِي أَمِثْلِي مُسْلِمٌ قَدْ عِيلَ صَبْرُ ^(٢) ؟

فَقِيرٌ ضَاقَ بِالْأَلَمِ الْعَقِيمِ بَدِينِ الْحَقِّ ذُو الْأَصْلِ الْكَرِيمِ
إِلَهِي كُنْ لِمَحْزُونٍ مُعِينًا هَوَى مِنْ صَرْحِهِ الْعَالِي الْقَدِيمِ

لِسَانِي كَيْفَ يَرْوِي عَنْهُ شَيْئًا وَتَعْلَمُ مَا بَدَأَ بِلِ وَالْخَفِيَا

(١) أراد إقبال قوله تعالى سورة الأعراف ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَوْكِنًا فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا بَهِجَلُ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَمْعَهُمْ وَصَّغَا وَخَرَّ مُوسَى صَبِقًا فَمَا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

وقال جلال الدين الرومي في شعره : إن الله خالق الوجود من العدم والرؤية لا تكون إلا لما ظهر وخلق . وتباينت أقوال المفسرين في معنى تلك الآية الكريمة وفي كتاب (في السماء) يقول إقبال :

(لن تراني) إنها المعنى الدقيق ولتضع فيه فذا البحر العميق

(٢) عيل صبره : نفذ .

وما قاساه في دهر طويل طوى قلبي على الألام طيا
جَرَى فلكٌ على غير المَرَامِ شكاة الركب من بُعد المقام
أفي هذا كلامٌ لبث شعري وهذا الشغبُ كان بلا إمام

دِماءٌ فيه تَخْلُو مِنْ لَهَابِ وما زرع الأزاهر في الخراب^(١)
خلي الغمد . ما في الكف مال وهذا الرق يهوى بالكتاب^(٢)

بظَاهِرٍ ما يَرَاهُ الْقَلْبُ قَيَّدَ فمن ذوقٍ ومن شوقٍ تَجَرَّدَ^(٣)
صَفِيرَ الصَّفِيرِ حَتْمًا لَيْسَ يَذِرِي على طنّ البعوضة من تعود
له بالقلبِ باباً ما قَتَعْنَا وذاتاً في نراه ما رأينا
وَلَا التَّكْيِيرِ دَوَى فِي ضَمِيرِ ومنه الذكر قط ما سمعنا

يَقْدُ الْجَيْبَ مَقْطُوعَ الرَّجَاءِ لما ذا قد تردى في البلاء^(٤)
شبيه الموت ما يلقى نصيباً إذا ما كفَّ عبداً عن ثناء

أَنِلَهُ الْحَقُّ ، مَسْكِينُ أَسِيرِ فقيرٌ وهو في قلقٍ يُشور
وهذي حانةٌ قد أَوَّصَدُوهَا ليظماً والردى كأسٌ تدور^(٥)
فَطَهَّرَ مَاءَهُ وَالطَّيْنَ طَهَّرَ بدنيا منه هذا القلبَ عمُرُ

(١) اللهب : اشتعال النار

(٢) خلي الغمد : لا سيف في غمده .

(٣) الذوق في الاصطلاح : نور يلقيه الله في قلوب أوليائه يميزون به بين الحق والباطل .

(٤) يقْدُ : يشق . الجيب : فتحة الثوب حول العنق . وتردى : وقع .

(٥) الحانة هنا بمعناها عند الصوفية .

تَمَزَّقَ ذَيْلُهُ وَالرَّيْحُ تُسْفِي فَفِي مِصْبَاحِهِ الْمُخْطُومِ فَكَّرُ^(١)

عَرُوسٌ هَذِهِ الدُّنْيَا لِغَيْرِهِ مَقَامٌ لِلْفَنَاءِ نَهَجٌ لِسَيْرِهِ
وَقَبْلَ الْمَوْتِ آدَتُهُ الْخَطَايَا لَهُ الْمَلَكَانِ مِنْ دَيْرٍ بِقَبْرِهِ^(٢)

أَفِي عَيْنَيْهِ نُورٌ أَوْ مُرُورٌ وَمَا فِي صَدْرِهِ قَلْبٌ صَبُورٌ
لِهَذَا الشَّعْبِ كُنْ رَئِي مُعِينًا قَضَى ، قَالَرُوحٌ مَا فِيهَا حُضُورُ^(٣)
حَنِيفٌ وَالرَّدَى مَا لَيْسَ بِأَلْفٍ أَيْخَلَعُ قَلْبَهُ رُغْبًا وَيَأْسَفُ^(٤)
وَيَبِينُ ضُلُوعِهِ مَا كَانَ قَلْبٌ يَقْطَعُ زَقَرَةً حَرَّى وَيَأْسَفُ !

وَحُكْمُ الْفَرْدِ شَرٌّ لِلْأَنَامِ فَمَنْ مِنْ شَرِّهِ غَيْرَ الْمَضَامِ
شَكَاةَ الْقَلْبِ لِلْخِلَافِ قَاسِمِغٍ إِذَا مَا شِئْتَ تَحْقِيقَ الْمَرَامِ

رَكِينًا كَانَ جِسْمُ الْمُسْلِمِينَ بِتَاءٍ ظَلَّ فِي آدِ مَتِينَا^(٥)
وَإِنْ نَظَرُوا فَقَدْ ظَهَرُوا بِذَاتِ لَهُمْ فِي الْخَفْقِ أَشْبَهَتِ الْوَتِينَ^(٦)

(١) تسفي : تحمل الغبار ، والمخطوم : المحطم .

(٢) آدته : أثقلته .

(٣) قضى : مات . والحضور : حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبي كالحكم العيني .

(٤) الحنيف : الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه .

(٥) الركين : القوي . الآد : القوة .

(٦) الوتين : عرق في القلب .

خَجُولٌ مُسْلِمٌ هَانَتْ شُؤُونُهُ لَهُ الْخَانِقَاءُ فَقَرُّ ، مَاتَ دِينُهُ ^(١)
 بِذُنُوبِنَا قُتِلَ مَاذَا وَرِثْنَا كَلِيمٌ عَنِ مُلُوكِ نَسْتَبِينُهُ ^(٢)

وَعَنِ أَخْوَالِهِ لَا تَسْأَلَنِي فَقَدْ مَاءَتْ وَفِيهَا حَارَ ظَنِّي
 وَهَذَا الطَّيْرُ بِالثَّمَرَاتِ يَغْدُو لَهُ فِي الْيَدِ نَقَرٌ بِالتَّعْنِي ^(٣)

لِعَيْنَيْهِ الْحَيَاةُ أَنَا فَتَحْتُ وَمَا فِي الْأَمْسِ وَالْغَدِ كَمْ شَرَحْتُ
 كَشَفْتُ الرُّوحَ أَسْرَاراً فَهَلَّا بِلَاغَةً يَغْرُبُ يَوْماً مَنَحْتُ
 وَلَيْسَ لِمُسْلِمٍ جَيْشٌ عَرْمَرَمٌ بِذَاتِ مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ أَكْرَمٌ ^(٤)
 فَلَوْ رَدُّوا إِلَيْهِ الْيَوْمَ حَقًّا لَكَانَ جَلَالُهُ لَا رَيْبَ أَعْظَمُ

أَسَاطِيرُ مَتَاعِ الشَّيْخِ حَقًّا مِنْ الْأَوْهَامِ أَقْوَالاً تَلْقَى
 لَهُ الْإِسْلَامُ بِالرُّتَارِ يَثْدُو وَذَا حَرَمٍ وَمِنْ دَيْرٍ تَبْقَى

وَعَالَمُنَا بِالْحَادِ تَغْيِرُ وَأَنَّ الرُّوحَ مِنْ جَسَدٍ تَقَرَّرُ

(١) خانقاه : كلمة فارسية الأصل بمعنى المبنى الذي يقيم فيه الصوفية . ويقال : إن الشاعر الفارسي أبا سعيد بن أبي الخير وهو من صوفية القرن الخامس الهجري هو مؤسس أول خانقاه في إيران . ومعلوم أن كل مدينة وكل ناحية في إيران كان بها خانقاه حين الغزو المغولي . وكانت كل خانقاه تابعة لشيخ أو لفرقة خاصة من فرق الصوفية . وقد تنافس المتنافسون من العظماء في بناء الخوانقات ووقف الأموال عليها .

(٢) الكليم : الباطل وتأتي كذلك بمعنى الثوب الخلق . نستبينه : نعرفه ونميزه .

(٣) التعني : الشدة والصعوبة .

(٤) الجيش العرمرم : الشديد .

بِفَقْرٍ كُنْتُ لِلصَّدِيقِ تُغْطِي أَنْزَ رَوْحاً تَسَامِي أَوْ تَطْوُرُ^(١)
لَنَا حَرَمٌ فَمَاذَا يَسْتَعِيرُ ! بِهِ صَنَمٌ هُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ
وَأَظْلَمَ حَقُّنَا نَحْنُ الْحَيَارَى وَمَا فِي الْقَلْبِ إِلَّا مَالٌ نُورُ

فَقِيرٌ رَزَقَهُ اللَّهُ صَلَّى طَفَاءٌ أَوْ بُغَاءٌ مَنْ أَذْلَا
وَتِلْكَ النَّارُ إِنْ خَمَدَتْ بِصَدْرِ إِلَى عَتَبَاتٍ مَنْ ظَلَمُوا تَوَلَّى^(٢)

(١) يضرب إقبال على قالب شعراء التصوف الذين ألفوا أن يتحكموا بالشيخ أو الزاهد .
والشيخ عندهم رمز لغير المتصوف . وقد اتسعت شقة الخلاف بين المتصوفة
والفقهاء ، ولا غرو فالمتصوفة ينجحون إلى التأويل والتعميل والتخييل ويصدون عن
الظاهر للغوص في أعماق الباطن . أما الفقهاء فواقفون عند حرفية النصوص لا يمعنون
في الاجتهاد بالرأي . ولا يكاد يخلو شعر صوفي من هذا التهكم التقليدي بالزهاد
والشيوخ . مثال ذلك قول الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي ما ترجمته :
(امض عنا أيها الزاهد وكف الملام عن شاربِي المدام ، فما منحونا سوى تلك التحفة
يوم أَلَسْتَ) والإشارة في يوم أَلَسْتَ إلى قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ
مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ والشاعر يريد ليقول
إن الصوفية اتحفوا بعشق الذات الإلهية منذ أن عرفوا ربهم . الزنار : ما يشده التصراني
على وسطه .

يريد الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان واسع الثراء غير أنه أنفق ماله على
رسول الله ﷺ وفي سبيل الله . قالت عائشة رضي الله عنها : إن أبا بكر أنفق على النبي
أربعين ألفاً . وعن أسماء بنت أبي بكر قالت : لما خرج ﷺ وخرج معه أبو بكر احتمل
ماله كله معه . وقال لها جدّها أبو قحافة وقد ذهب بصره : إن أباهما قد فجعا بماله
فردت عليه بقولها إنه ترك خيراً كثيراً وأخذت أحجاراً وضعتها في كوة البيت الذي كان
أبوها يضع المال فيه ثم غطتها بثوب وقادت إليها جدّها الضريب ووضعت يده عليها
فقال : إنه أحسن بترك هذا وفيه الكفاية . وقد أرادت أسماء أن تسكن جدّها وتوهمه بأن
أباهما ترك شيئاً ، ولم يترك لعماله أي شيء .

(٢) تولى : مضى وأدبر .

يُعَادِي الْمُسْلِمُونَ الْأَقْرَبِينَ وَظَلُّوا فِي شَقَاقٍ رَاغِبِينَ
تَدَاعَى مَسْجِدٌ يَوْمًا لِيَأْسُوا وَكَانُوا مِنْهُ دَوْمًا هَارِبِينَ^(١)
لِيُغَيِّرَ اللَّهُ عَقْرَتَنَا الْعَجِينَ وَكُنَّا كَالْمَجُوسِ مُهْلِكِينَ
فَسَأْنُقِنَا شَكْوَتَنَا لَا سِوَانَا لِيُثْلَ عُلَاكَ لَنَا لَا ثِقِينَ

خَلَّتْ مِنْ رَاحِهَا كَأْسُ النَّدَامَى إِلَامَ الصُّمُتِ لِلْسَّاقِي إِلَامَا
عَلَى الرَّفَرَاتِ مِنْهُ الْقَلْبَ أَطْوَى دُخَانًا لِلسُّرَاجِ مَعَ الظَّلَامَا^(٢)

لَدَى الصُّوفِيِّ دِنَ مَا رَوَاهُ وَيَطْوِي مَكْتَبًا نَهَجًا طَوَاهُ^(٣)
أَعَادَرَ مَجْلِسَ الشُّعْرَاءِ كَرَاهًا وَمَاتَ اللَّحْنُ فِي نَائٍ حَوَاهُ
غَرِيبٌ ، مُنْهِمٌ ، عَنْ كُلِّ دَارٍ وَلِي دُنْيَا أَعَافٌ ، مِنْ الْغُبَارِ
وَهَذِي لَوْعَتِي مِنْ قَرْطِ عَجْزِي لِيُغَيِّرَ اللَّهُ أَنْبَدِيَّتَ اقْتِدَارِي

وَتَمْتَحُنِي جَنَاحًا كَنِي أَطِيرَا وَالْحَانِي خَفَقْتُ بِهَا سَعِيرَا^(٤)
فَهَلْ مِنْ مُسْلِمٍ يَخْشَاهُ مَوْتُ ؟ أَطَلْتُ ، وَمَا وَجَدْتُ ، أَنَا الْمِيرَا

سَأَلْتُ اللَّهَ بِالسَّدْمِ السُّكُوبِ أَحَانَ لِمُسْلِمٍ رَفَعَ الْكُرُوبِ ؟

(١) يَأْسَى : يحزن . يعجب لمن يحزنهم ضياع حجر من مسجدهم وهم الذين لا يدخلون للصلاة فيه .

(٢) يشبه الزفرات بالدخان . والزفرة في الفارسية تسمى دخان القلب .

(٣) يصطنع إقبال طريقة الصوفية في التعبير ، غير أنه يخالفهم في التفكير ويتناول أعمالهم وأقوالهم بالتفنيد والتنديد . المكتب : المدرسة . والنهج : الطريق .

(٤) السعير : النار .

نِدَاءٌ ظَلَّ فِي سَمْعِي يُدَوِّي
لِمَاذَا أَذْكَرُ الْمَاضِي الْمَجِيدَا
بِصَدْرِي قَدْ خَوَيْتُ أَنَا سِرَاجًا

لَهُ قَلْبٌ وَأَقْفَرُ مِنْ حَيْبٍ
فَهَذَا الذِّكْرُ مَا كَانَ الْمَفِيدَا
وَفِي قَرْنَيْنِ آنَسْتُ الْخُمُودَا^(١)

وَيَخْرُسُ كَغَبَّةٍ بَنَاءَ دِيرٍ
وَتَقْصُرُ نَظْرَةٌ مِنْهُ وَفِيهَا

يَقِينٌ مَاتَ فِيهِ وَنَا لَغَيْرِ^(٢)
تَجَلَّى بِأَمْرِهِ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ

وَتَشْرِيبُ وَنَارٌ لِلْفَقِيرِ
وَفِيهِ الْقَلْبُ ثَبَتَ أَوْ أُنْزِرُهُ
وَلَيْسَ مِنْ نَشْوَتِي^(٣) قَدْ تَرَنَّنْخُ
فَهَبْنِي نَظْرَةً وَازَافْ بِحَالِي

مِنَ الْحَرْقَاتِ هَبْ نَارَ الضَّمِيرِ
بِأَمَالِ الْيَقِينِ كَفَيْضِ نُورٍ
بِلَا سَيْفٍ دِمَاءٌ كُنْتُ أَسْفَخُ
فَلِي عَصْرٌ أَجَاهِدُهُ وَأَكْذَخُ

لَقَدْ آثَرْتُ أَنْ أَشْكُو وَحِيدَا
أَطْلُبُ مَكْتَبِي أَمْ هَانَ شَوْقِي

وَيَثْرِبُ رُمُثُهَا فَاجْتَرْتُ بِيدَا
تَخَيَّرُ ، حَيْرَتِي قَابَسِي الْمَزِيدَا

أَطِيرُ بِجَوِّ هَذَا الْمَحَبِّبِ
وَبَيْتُ اللَّهِ أَخْوَيْسُو بِقَلْبِي
أَقُولُ السُّرَّ مِنْ مَا قُلْتُ يُفْهَمُ
أَمِيرَ الْقَوْمِ أَنْصِفْنِي فَإِنِّي

وَمِنْ غَيْمِ جَنَاحِي قَدْ تَرَطَّبِ
أَغْنِي مَا بِقَلْبِي ثُمَّ أَطْرَبِ
وَمَنْ مِنْ دَوْخَتِي الثَّمَرَاتِ يَطْعَمُ
عُصْرُوتُ بِشَاعِرٍ غَزَلِ تَرَنَّمُ

(١) آنس : رأى . والشاعر يشير إلى فساد حال القوم في القرنين الماضيين .

(٢) رنا : أدام النظر .

(٣) النشوة : السكر .

خِلَافَ الشُّعْرِ مَا أَبْغَى بِقَوْلِي وَأَكْسِيراً لِعِشْقٍ مَا أَرْجَى
وَحُلَّتْ عُقْدَةُ الْمَعْنَى بِخَلِّي فَدِرْهُمْ مُفْلِسٍ ذَهَبَ بِصَفْلِي^(١)

حَيَاةُ الْخُلْدِ عَنْهَا قَلْتُ خَبِيرُ وَمَنْ مَاتُوا حَدِيثَ الرُّوحِ ذَكُرُ
وَقَوْمٌ يَجْعِدُونَ الْحَقَّ قَالُوا بِمَوْتِهِمَا إِذَا مَا شِئْتُ بَشُرُ
جِئَنِي مِنْ أَسَى كَالرُّغْفَرَانِ جَرَتْ عَيْنِي بِمِثْلِ الْأَرْجَوَانِ^(٢)
وَحَالِي أَنْتَ تَعْلَمُ رَغَمَ صَمْتِي فَهَذِي عُقْدَةُ لِي فِي لِسَانِي

غَرِيبٌ ، لِي لِسَانٌ وَهُوَ نَظَرُهُ وَذُو أَلَمٍ تُكَلِّمُهُ بَعْبَرُهُ
فِمِثِي أَوْصَدْتُ ، بِالْعَيْنَيْنِ أَرْنُو فَشَرَعِي لَا يَجِيزُ الْقَوْلَ مَرَّةً

مَنْخَتُ الذُّاتِ مِنْ ذَاتِي غَرِيبَا وَزَمْزَمَ بَيْنَ صَلَافٍ قَلِيَّا^(٣)
فَهَيَّيْ زَفِيرَةً حَرَّى وَمِنْهَا مَا ضَلَّى كُلَّ بَلْبَالٍ لَهِيَّا^(٤)
زَفِيرٌ لَيْسَ فِي قَلْبِي سِوَاهُ وَلِي أَمَلٌ وَنَبْغُكَ مَا رَوَاهُ
لَمَنْ أَشْكُو غَمُومًا فِي فَوَادِي عَلَى مَنْ غَيْرَ ذَاتِكَ مَا طَوَاهُ

غَرِيبٌ شَجْوَهُ بِالنَّايِ أَبَدَى وَنَارُ اللَّحْنِ مِنْهَا ذَابَ وَجَدَا
أَتَعْلَمُ مَا يَقُولُ وَمَا تَمْنَى يَرُومُ الْقَلْبَ^(٥) عَنْ دَارَيْنِ صَدَا

(١) الأكسير : ما كان يلقيه الأقدمون على الغضة ونحوها ليحيله إلى ذهب خالص .

(٢) الأرجوان : اللون الأحمر .

(٣) القليب : البئر .

(٤) البلبال : الهم .

(٥) يروم القلب : يُريدُ .

وما زهراً ولا قطراً أريد لتلك الريح ، شمسك كم تجود
وتعلو نظرتي عن كل نجم ورأيي لا أبدله سديد
ببحر شطئه لم أدر بغده دليلُ عاشقين القلب وحده
إلى البطحاء تأمرنا بسير وإلا كنت ما وقفت عنده^(١)



أطرد من يتوق إلى الحضور ألقت ولست أعرف بالصبور
بما أحبت مَرّاً إلا بصبر عجزت أنا إليه عن المير



دُمى الإفرنج قلب لي تعشق ومن نارٍ لأهل الدير أحرق^(٢)
لقد أصبحت عن نفسي غريباً فما أذري وجوداً لي تحقق
بخان الغرب عاقرت الشرابا بروحي قد شريت لي العذابا^(٣)
وكم جالست أهل الحسن لكن بدت نيرانهم ثلجاً مذابا



فقيراً فلتحقق لي رجائي هشيمي اجعله قلباً في الفضاء^(٤)
سئمتُ الدرس يلقى حكيماً فلي من نظرتي فيض الذكاء



(١) البطحاء : مكة المكرمة .

(٢) الدُمى : جمع دمية وهي الصورة المنقوشة أو الصنم . وشعراء الفرس يشبهون الحسناء بالصنم في الحسن . والشاعر يشير من طرف آخر في تهكم وسخرية إلى التهاقت على تقليد الغربيين .

(٣) عاقر الخمر : أدمن شربها . شريت : اشتريت .

(٤) الهشيم : ماتكسر من يابس النبات .

أَنَا الصَّوْفِي وَالْمَلَأُ أَجَافِي
عَلَى صَفَحَاتِ قَلْبِي « اللَّهُ » فَكُتِبَ
فِي قَلْبِي لَمَلَأَ الْغَمُّ خَلًّا
أَوَّلِي مِنْ مَجَالِيهِ فِرَارًا

وَتَعْلَمُ مَنْ أَكُونُ بِلَا خِلَافٍ^(١)
لأَشْهَادَةٍ وَذَاتِي بِالشَّغَافِ^(٢)
وَهَلْ بِالْدمْعِ بَلَّ الْعَيْنَ بَلًّا
أَزِينُ حِجَّازَهُ بِالْبُخْرِ ؟ كَلَّا

يَقُولُ الْقَوْلُ نَفْسًا لِلْحَرَابِ
وَتَخْجَلُنِي الصَّرَاحَةُ فِي كَلَامِي

وَفِي حِضْنِي لَهُ كَمُ مِنْ كِتَابٍ
عَنِ الذَّاتِ اخْتَفَى لَا عَنْ صِحَابِ^(٣)

أَجِبْ بِاللَّهِ مَنْ مَلَكَ الْقُلُوبَا
كِلَانَا مَنْ رَمَى فِي الدِّينِ سَهْمًا
وَلَسْتُ بِمُخْفَلِي غَيْرِ الْغَرِيبِ
ذُبُوعَ السَّرِّ بَيْنَ الْقَوْمِ أَخْشَى

وَمَنْ قَدْ أَلْهَمَ الشُّوقَ الْمَذِيبَا
فَقُلْ فِي الرَّمِي مِنْ كَانَ الْمَصِيبَا
لَمَنْ فِي مُشْكِلِي شَكْوَى كُرُوبِي ؟
شَكَاتِي صَنْتُ عَنْ قَلْبِي الْكَثِيبِ

وَقَلْبِي لَسْتُ أَسْلَمُهُ لِأَيْدٍ
إِلَى غَيْرِ الْإِلَهِ رَفَعْتُ عَيْنِي

أَضِيقُ بِعَقْدَتِي وَأَجِلُّ وَخَدِي
لِذَا مَنْ قَمَّتِي كَانَ التَّرْدِي

(١) الملا : كلمة تركية مأخوذة عن العربية (مولى) . وهي بمعنى الشيخ والمعلم والقاضي . والشاعر يطلقها على الشيخ والفقير وغير الصوفي .

(٢) الشغاف : غلاف القلب أو حبه . وإقبال يجري على مألوف الصوفية من تجريح غير المتصوفة . غير أنه يريد ليخرج ضيق الأفق من المسلمين المتزمطين الجامدين .

(٣) يعبر إقبال عن نزعة الفكرية التحررية ورغبته في فهم الدين حق الفهم بنجوة عما لا يقره الدين من جمود على الأساطير والأوهام ، ويبالغ في وصف من نظروا في أحكام الدين بلا عقل ولا روح . والمبالغة تفهم على أنها مبالغة إلا أنها تؤكد المعنى وتزيد الغرض .

يُرْ أُمِّي جَمْرَةٌ هَذَا الْجَنُونُ
وَمِنْ أَمْوَاجِ طُوفَانٍ تَقْضَى
لِهَذَا التَّرَبِّ مَا زَالَ الشَّرَارُ
بِمَا أَهْدَيْتَ مِنْ نُورِ التَّجَلِّي

يَصْدُرِي فَوْرَةٌ هَذَا الْفُتُونُ^(١)
بِرُوحِي الْمَوْجُ يَجْفُوهُ التُّكُونُ^(٢)
لِهَذَا الصَّدْرُ زَفَرُ الْفَجْرِ نَارُ
عَلَى نَظَرٍ لِعَيْنِي اقْتِدَارُ



أَشَاهِدُ غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ أَرْغَبُ
وَهَذَا الْعَضْرُ مِنْ رَوْحٍ تَخْلَى

وَبَيْنَ جَوَانِحِي قَلْبٌ تَلْهَبُ
فَقُلْ مَا السُّرُّ أَوْ مِثْلِي تَعَجَّبُ^(٣)



وَفِي عَصْرِ بَلَا لَهَبٍ خُلِفْتُ
وَفِي عُنُقِي حَيَاتِي مِثْلُ حَبْلٍ
وَمَا لِلزَّهْرِ أَلْوَانِي وَرِيحِي
وَمَا وَسِعَ الْكَلَامُ أَسَى خَفِيًّا

تُرَابِي فِيهِ مَا يَهْفُو مُنْخَتٌ
عَلَى عَوْدٍ كَأَنِّي قَدْ صُلِيتُ
يَضِيقُ الصَّدْرُ بِالْأَمَلِ الْجَرِيحِ
لِمَنْ أَشْكُو بِقَوْلٍ لِي صَرِيحِ



وَفِي شَرْقٍ وَفِي غَرْبٍ غَرِيبُ
هُمُومُ الْقَلْبِ أَشْكُوهَا لِقَلْبِي

قُؤَادِي لَا يُوَامِيهِ الْحَبِيبُ
فَكَانَ لِغُرْبَيْي خَذَعٌ عَجِيبُ



لِعَلِّمِ الْيَوْمَ أَبْطَلْتُ الطَّلَسْمَا^(٤)
حَطَمْتُ حَبَائِلًا بِالْحُبِّ حَطْمًا

(١) الجنون عند المتصوفة هو جذبة العشق الإلهي .

(٢) تقضى : مضى وانتهى .

(٣) تخلى منه وعنه : تركه .

(٤) الطَّلَسْمُ والطَّلَسْمُ ، ج : طلاسِم وطلسمات ، يونانية معربة : خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب أو دفع أذى وهو ضرب من السحر .

وإِسْرَاهِيمَ مِمَّنْ أَشْبَهْتُ حَقًّا
حَبَوْتُ الْعَيْنَ بِالْبَصْرِ الْبَصِيرِ
وَفَجْرًا فَلْتَهَبْ مِنْ « مَنْ رَأَى »
فَمَا كَانَتْ لَدَيَّ النَّارُ هَمًّا
وَقَوْلُهُ « لَا إِلَهَ » كَفَيْضِ نُورِ
فَلَيْلِي مِنْكَ ذُو الْبَذْرِ الْمَنِيرِ^(١)



وَفِي يَوْمٍ جَذَبْتُ إِلَى ذَاتِي
بِهَذَا الدَّيْرِ مِنْ نَعَمَاتِ فَجْرِ
بِأَنْوَارِ مَقَامِي مُشْرِقَاتِ
خَلَقْتُ دُنَى الْقُلُوبِ السَّوَالِهَاتِ^(٢)



بِعَالَمِنَا جَنَّانَ عَالِيَاتِ
سَكُونٌ كَانَ حَتَّى الْيَوْمِ فِيهَا
لَدَوَحَتِهَا دَمُوعِي الْجَارِيَاتِ^(٣)
فَأَيُّهَا لَأَدَمَ آيَاتِ
هَوَاهُ الْكَأْسُ دَارَتْ بِحَتْسِيهَا
أَلَا هَبْهَا فَتَسَى يَخْتَسَالُ فِيهَا
مُنَى الدَّائِرِينَ مَا إِنْ يَشْتَهِيهَا^(٤)
تَرَاهُ مِثْلَ حَيْدَرٍ فِي قَوَاهِ



أَذِرْ يَا صَاحِ كَسَاتِ النُّدَامَى
وَهَذَا الْقَلْبُ رُدَّ إِلَى ضُلُوعِي
وَزِدْ فِي نَائِي أَلْحَانِي ضِرَامًا^(٥)
لَأَقْضِلَ كُلَّ مَنْ مَلَكَوْا ، مَقَامًا



وَمِنْ عَشَقِي لَنَا الدُّنْيَا بِصَدْرِكَ
فَمِنْ جَبْرِيلَ ؟ إِنِّي لَنْتُ أَذْرِي
وَتَفَرَّحَ فَرْحَةً نَشْوَى بِصَدْرِكَ
أَأَبَدْتُ جَوْهَرًا مِرَاةَ صَدْرِكَ

(١) إشارة إلى القول الذي جاء فيه (من رأى فقد رأى الله) كذا في الأصل .

(٢) الدنى : جمع دنيا .

(٣) الدوحة : الشجرة العظيمة .

(٤) حيدر : هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٥) أدار الكأس : طاف بها على الشاربين .

فَوَادِي لَمْ يُعَقِّ أَحَدًا بِمَعْبَدٍ مُقَامِي أَيْنَ ؟ كُنْتُ بِهِ الْمُقَيَّدُ^(١)
إِلَهُ يَتَغَيَّرُ مِنِّي سُجُودًا لَقَدْ حَطَّئْتُهُ وَهُوَ الْمَبْدُ

وَهَذِي زَهْرَةٌ تَبَّتْ بِتُرْبِي بَدَتْ فِي حَمْرَةٍ مِنْ ذُوبِ قَلْبِي
تَقْبَلُهَا ، بِهَذَا الْقَلْبِ رَفَقًا قَلِي قَلْبٌ ، وَهَذَا الْقَلْبُ حَسْبِي^(٢)

لِهَذَا الشَّعْبِ إِنِّي قَدْ خَفَقْتُ وَلَحْنِي النَّارَ فِي رُوحِي خُلِقْتُ
وَجِيزُ الْقَوْلِ خَيْرُ الْقَوْلِ قَالُوا خَفَقْتُ ، خُلِقْتُ ، لَكُنِّي اسْتَرَحْتُ
بِفَطْرَةٍ مِنْ تَمَجَّنْ رَمَتْ صِدْقًا وَتَحْرِقُ زَفَرَتِي الْأَرْوَاحَ حَرَقًا^(٣)
سَخَابًا لِلرَّيْسِ فَهَبْ تَرَايِي وَفِيهِ الْحَبُّ أَثَرُهُ لِيَقَى

بَكْفِي الْقَلْبُ ، مَالِي مِنْ حَبِيبٍ مَتَاعٌ لِي ، فَمَنْ لَصَنَ الدُّرُوبَ ؟^(٤)
وَهَذَا الصُّدْرُ فَلْتَسْكُنْهُ دَارًا وَحِيدٌ ، لَا أَشْبَهُ بِالْغَرِيبِ

بَيْتِ اللَّهِ كَالرُّومِيِّ أَذَانِي فَيَرْوِجُ الرُّوحَ أَوْضَحُ وَالْمَعَانِي^(٥)
طَوَاهُ بَفْتَنَةٍ عَصْرٌ قَدِيمٌ وَلَكِنْ لِي الْجَدِيدُ مِنَ الزَّمَانِ
لَكَ الْبِسْتَانُ أَنْيْتُ مِنْ تَرَايِي وَلَوْ نَهْ بِدَمْعِي فِي انْيِكَابِ

(١) ومق : أحب .

(٢) حسبي : كفايتي .

(٣) تمجَّن : تكلف المجانة وهي عدم المبالاة بالأعمال والأقوال .

(٤) الدروب : جمع درب وهو الطريق .

(٥) الرومي : هو جلال الدين الرومي .

وما أملت سيف أبي ترابٍ فهبّ عيناً كسيف أبي ترابٍ^(١)

على شطّ يطولُ به الوقوف فمن عملٍ وعن أملٍ عزوف^(٢)
لمنْ غيري أنا المسكينُ حقاً على أسرارِهِ كان الوقوفُ

ومنْ مناهُ للمحبوبِ عطراً وهذاك الربيعُ يرفّ زهراً^(٣)
تَنَاسَى قَوْلَهُ قِلْتُ فمنذا على قضبانِهِ بالنَّارِ مَرّاً
غديري هَبْهُ دُرّاً مِنْ بِحَارِكْ متاعِي ضَعْ بطودِكْ أَوْ قِفَارِكْ^(٤)
بطوفانٍ فَمَا فتحتُ قلبي فهَبْنِي غيرةً طوعاً وباركْ

أثرتُ الوجودَ فِي نَاسِي ، تَأْمَلُ بناري ذبْتُ مُخْتَلِياً ، تَأْمَلُ
عرفتُ الفقرَ عَنْ سَلَفِي قَدِيماً عن السلطانِ إحجامِي ، تَأْمَلُ

(١) أبو تراب : كنية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وقد أطلقها عليه النبي ﷺ .
والخبر في هذا أن علياً دخل على فاطمة ثم خرج فأتى فاطمة وسألها أين ابن عمك ؟ قالت : إنه مضطجع في المسجد . فمضى النبي إليه فوجد رداءه ساقطاً عن ظهره ، فجعل يمسح عنه التراب ويقول اجلس أبا تراب . وفي رواية أخرى أن علياً وعمار بن ياسر كانا رقيقين في غزاة ذي العشيرة ونزلها الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأقام بها . وجعل علي وعمار يتظران إلى من يعملون في نخل هناك ثم أخذتهما سنة وتتربا وجاء النبي فعرك علياً وقال له يا أبا تراب حين رأى عليه التراب . وكان يطيب له كرم الله وجهه أن يدعى بأبي تراب .

(٢) عزف عن الشيء : أعرض عنه .

(٣) رف الزهر : تلالاً نظرة .

(٤) الطود : الجبل . القفار : الصحارى .

كشفتُ اللبسَ عن مَعْنَى بَفْنِي
يُوافي مَرَّةً وَيَغِيبُ عَنِّي
ضَمِيرُ الْعِيشِ أَفْتَحُهُ وَثِيْدًا^(١)
أَغْنِي مَا أَغْنِيهِ وَحِيْدًا

عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَالِي أَغْنِي
مَعَ الْمَحْبُوبِ تَسْأَلُ كَيْفَ حَالِي
لَقَدْ شَارَكْتُ فِي وَجْدٍ وَرَوْدَا
فَمَنْ لَقَنْتَ شَوْقِي لَيْتَ شِغْرِي ؟

وَقَدْ شَاهَدْتُ أَعْمَاقَ الثَّرِيَّا
فَمُشْكَلُ (لَا) أَرَى صَعْبًا عَلَيَّا^(٢)

بُنُورِكَ كُنْتُ أَفْتَحُ مُقْلَتِيكَ
وَإِنِّي مِلْمٌ يَالْهَفَ نَفْسِي

وَبَدَأَ وَانْتِهَاءَ مِنْكَ ، حَسْبِي
رَسُولُ اللَّهِ يَا رَحْمَنُ ، حَسْبِي
فَلِإِنَّهَارٍ مِنْ حَجَرٍ تَفْجَرُ
يُزَيِّنُ بِالتَّلَوْنِ وَالتَّعَطَّرُ

بَارِضِكَ حَرْقَةُ الْأَلْعَانِ حَسْبِي
لِرَبِّي قُلْتُ مَتَشِيًّا يَوْجِدِي
مِنَ الْأَشْوَاقِ ثَائِرَتِي لَتَنْظُرُ
وَلَيْتَ ابْنِي بَعَثْتُكَ فِي دَوَامِ

بَدَأَ قَمَرًا لِعَيْنِ النَّاطِرِينَ
وَقَاهُ اللَّهُ عَيْنَ الْكَافِرِينَ

فَتَى الْإِفْرَنْجِ^(٣) فَلْتَشْهَدْ حِينَا
فَتَانَا سَازِجٌ مِنْ قَرْطِ ظَرْفِي

وَمَنْ لِسَوَاكَ كَانُوا نَاطِرِينَ
نَصِيْبًا هَبْ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ
لِتُسْكُنَ دَائِمًا قَلْبَ الْحَبِيبِ

يَمِينُكَ مُدَّهَا لِلْفَائِرِينَ
فَمِنْ نَارٍ أَضْرِمُهَا بِرُوحِي
إِلَيْكَ الرَّاحَ مِنْ كَأْسِ الْحَبِيبِ

(١) وثيْدًا : على مهل .

(٢) في الأصل (لا إله) .

(٣) الإفرنج والإفرنجة والفرنج : اسم لسكان أوربة كلها ماعدا الأروام والأتراك .

أَيَا هَذَا (المليك) أَذَا سَجُود ! لَتَكُنَّسَ مُقْلَتِي دَارَ الْحَيِّبِ^(١)

لَكَ السُّلْطَانُ لَكُنِّي فَقِيرُ لَأَرْضِي الرُّوحَ وَالْمَعْنَى أَمِيرُ^(٢)
وَدُنْيَا « لَا إِلَهَ » بَدَثَ تَأْمُلُ حَوَاهَا كُلَّهَا مِنِّي ضَمِيرُ

دَوَاءَ لَيْسَ يَنْجِعُ فِي سَقَامِي فَإِنِّي الشَّيْخُ قَدْ وَهَنْتُ عِظَامِي
أَلَّا يُلْقَوْنِي عَنْهُمْ بَعِيداً أَلَنْتُ لِدِينِهِمْ أَحَدَ السُّهَامِ !
تَعَالَ وَفِي اغْتِنَاقِي نَحْنُ نَرْقُصُ وَدُنْيَانَا نُجَافِيهَا ، وَنَرْقُصُ^(٣)
وَعِنْدَ دِيَارٍ مِّنْ نَّهْوَى تَوَقَّفُ دِمَاءَ الْعَيْنِ نَذْرِفُهَا ، وَنَرْقُصُ

(١) في الأصل اسم أحد الملوك .

(٢) يتردد ذكر الفقر والفقير كثيراً في هذا من شعر إقبال . والفقر من مقامات التصوف . ويعرف بأنه ليس فقدان الشيء بل فقدان الميل إليه والرغبة فيه . وشعار الصوفية (الفقر فخري) وقال بعضهم : إذا صح الافتقار إلى الله صح الغنى بالله لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر ، ويرى إقبال أن الفقر خلاص النفس من الطمع وتعففها عن ذل الحرمان . وهذا ما يكفل لها أن تعمل وتقدم منطلقة من كل قيد . وفي كتابه جاويدنامه الذي ترجمناه بعنوان (في السماء) يبذل النصيح لولده قائلاً :

إن رأست القوم أو صرت الغنيا فعلى الفقر احرص من يا بنيا
(٣) يتلو إقبال تلو المنصوفة من أتباع جلال الدين الرومي الذين كانوا يستعينون بالرقص والموسيقا على تحريك نشوة التصوف في قلوبهم . ففي رأيهم أن الرقص يتزع نفوسهم من عالم الثرى لیسمر بها إلى العالم العلوي . كما يشير الطرب والخوف عند الثائبين . وفي الرقص يقول جلال الدين الرومي ما ترجمته :

(إذا ذكرت البحر وأمواجه ، فما ذكرت شيتين متباينين فما أمواج البحر إلا البحر نفسه ولكن في ارتفاع وانخفاض . والموج بعد هبوطه إلى البحر يذوب . وما مثل البحر إلا مثل بني الإنسان لأنهم أمواج الله وإلى الله مرجعهم بعد موتهم) .

وَيُشِيرُهُ لَيْلَهَا الصَّبْحَ أَيَّامًا
وَكَانَ الْحَبْلُ مِنْ أَحَدِ حَرَامًا^(١)

يَصْخَرَاءَ لَكَ اخْتَرْتَ الْمَقَامَا
فَقِي أَيُّ الْبَقَاعِ خِيَامَكَ انْصَبْ

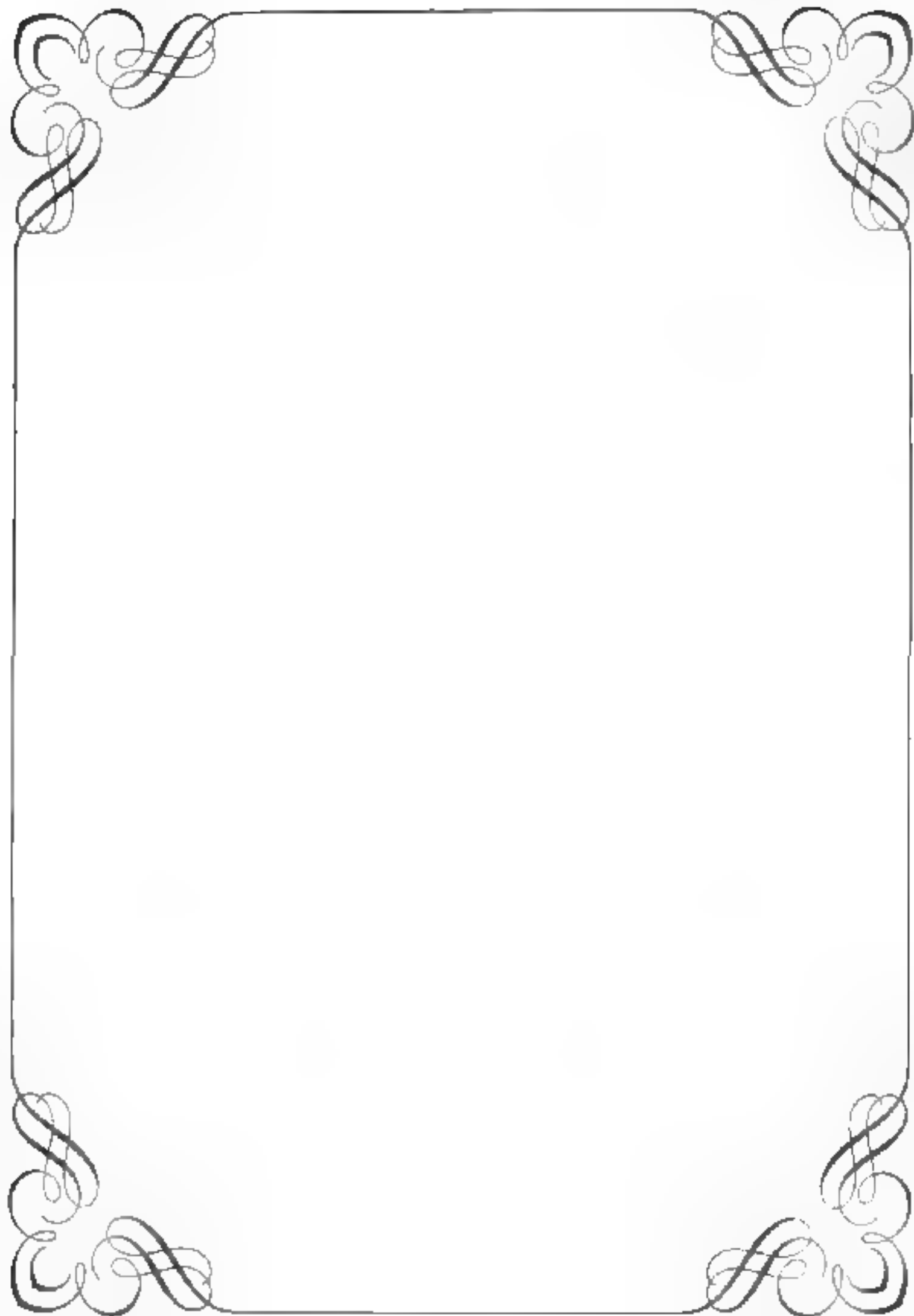
وَمِنْ كُلِّ السَّمَوَاتِ انْطَلَقْنَا
وَكُنْهَ الْحَاكِمِينَ بِهَا عَرَفْنَا
لَقَدْ كَذَبُوا وَإِنْ بَدَلُوا وَغُودَا
وَشَكَلَ عَالَمًا حُرًّا جَدِيدًا^(٢)

بِأَرْضٍ تَخْتَوِينَا الْيَوْمَ ضِقْنَا
أَرَاهُمْ سَجْدَةً قَدْ عَلَّمُونَا
عَنِ الْإِفْرَنْجِ فَلْتَكُنِ الْبُعِيدَا
لَكَ النُّظَرَاتُ خُذْهَا عَنْ مَلِيكَ



(١) يقول : إن اقتراض حبل الخيمة من أحد حرام .

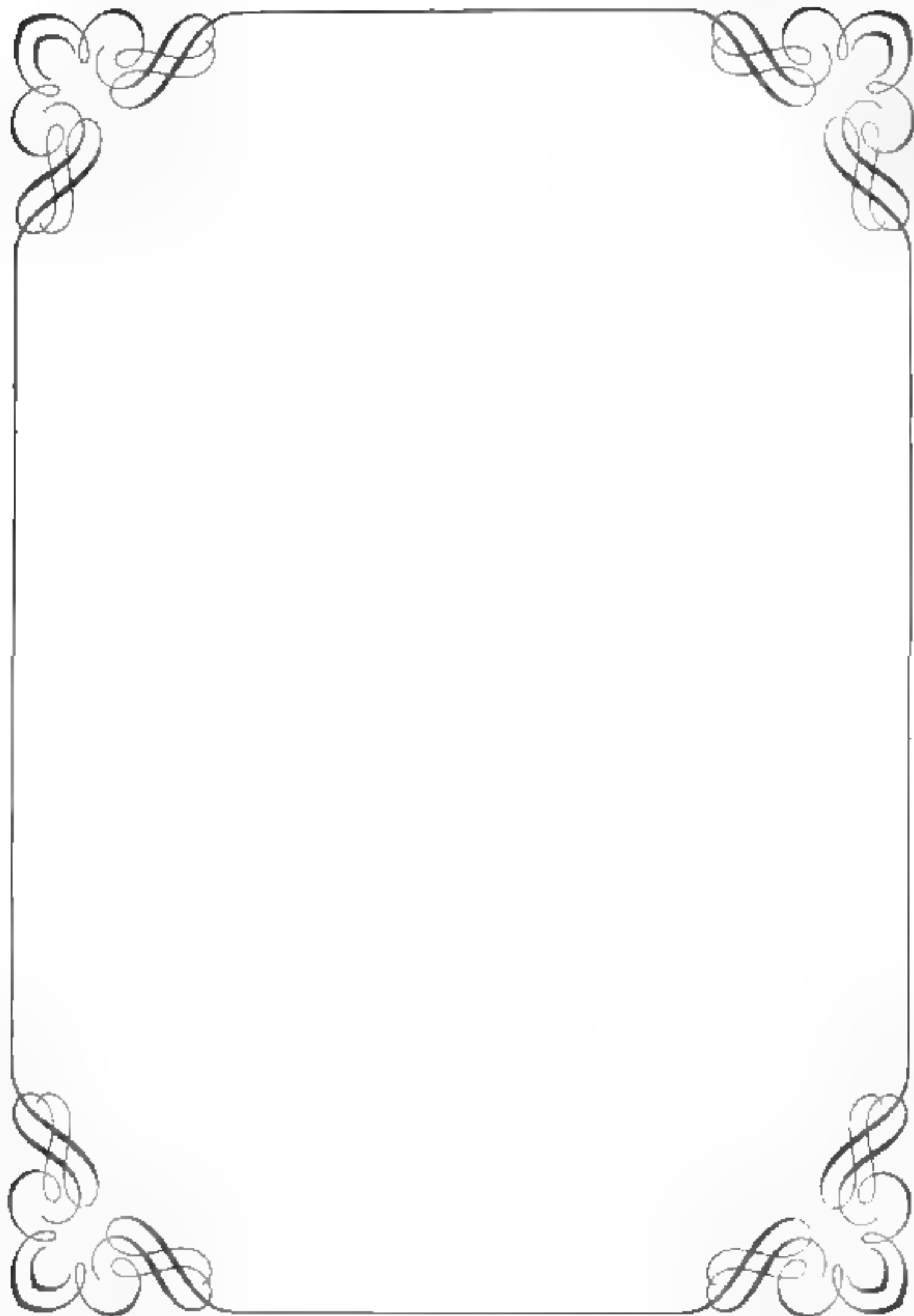
(٢) في الأصل اسم أحد الملوك .



القسم الثالث

المُختَمِع





فَطَبَعِي كَأَنَّ طَبَعَ الْعَاشِقِينَ
لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَفَعَنْتِ الْعُيُونُ^(١)
بِأَوْجِ سَمَّاكَ حَاوِلَ أَنْ تَزِيدَا
طَرِيقَ الْمُصْطَفَى فَاسْلُوكَ رَشِيدَا

عَدِمْتُ أَنَا كَلَامَ الْعَارِفِينَ
يَدْمَعُ مِنْ دَمٍ فِي الرُّوْضِ هَذَا
وَدَارُكَ تَشْبَهُ الْقَمَرِ الْجَدِيدَا
سَتَمُّوْا إِنِّ وَهَبْتَ اللَّهُ قَلْبَا

كَمَنْتُ كَجَوْهَرٍ تَحْتَ الصَّفَاةِ^(٢)
أَعْمُرُ بَيْتَ رَبِّي فِي حَيَاتِي

عَلَوْتُ كَمَوْجَةٍ مِنْ بَخْرِ ذَاتِي
وَكُنْتُ غَضْبَةً النُّرُودِ مِنِّي

عَلَى الدَّارَيْنِ هَذَا الذَّيْلَ أَسْبَلُ^(٣)
لِمَلَا لَا تَقُلْ « ذَا الدِّينِ فَأَغْوِلْ »^(٤)
فَدَمْعِي يَخْتَوِي قَلْبِي الْمَذَابَا
لَتَعْرِفَ (لَا تَخَفْ) تُطْرِبُ صَحَابَا^(٥)

بِجَامِكَ سَاقِي الْجُلَامِ أَقْبِلْ
حَقِيقَتَنَا لَنَا الْخُمَيْرُ ابْسُدِي
تَعَالَ عَنِ الْجَبِينِ اطْرَحْ نِقَابَا
يَلْخُنْ لَيْسَ مِنْ شَرْقٍ وَغَرْبِ

وَبِالْأَكْسِيرِ تُرْبُوكَ فَلْتَجَدِّدْ
لِنَفْسِكَ هَذِهِ الْأَقْدَارَ حَدِّدْ

وَمِنْ صَدْرِ لَكَ التَّكْوِيرَ صَعْدْ
وَذَاتَكَ فَاغْلِبْكَ تَعِشْ سَعِيدَا

(١) أفعم : ملا .

(٢) الصفاة : الصخرة .

(٣) أسبل ذيله على الشيء : أهمله وتناساه .

(٤) الخمير : الكير . ويطلق على الصوفي الذي انتشى بالعشق الإلهي .

(٥) يشير إلى قوله تعالى في سورة طه ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ والخطاب من

الله تعالى إلى موسى حين تفوق على السحرة وأبطل كيدهم .

بِتِلْكَ الذَّاتِ شَارَفْتَ الْكَمَالَ
إِذَا مَا قُلْتَ ذَاتِي لِي مَتَاعٌ
وَأَنْتَ الذَّاتُ يَوْمًا إِنْ تُشَاهِدْ
وَتِلْكَ الذَّاتُ إِنْ عَرِيتَ عَنْهَا
وَلَا كُنْتَ لِلْعَبْدِ الْمِثْلَالَا
فَنَشِيَانٌ لَهَا لَيْسَ الْخَلَالَا^(١)
تَقَرُّ كَجَوْهَرٍ فِي الْبَحْرِ رَاقِدٌ
فَأَنْتَ لِأَجْلِ هَلِكِكَ مَنْ تُجَاهِدْ

كَشَفْتَ السِّرَّ عَنْ وَجْهِ الْمَصَائِرِ
وَمِمَّا قُلْتَ إِنْ أَضْمَرْتَ شَكَا
بِنَهْجِ الْمُضْطَفَى سِرِّ يَا مُسَافِرِ^(٢)
فَمَتَّ يَا مَنْ شَكَّكَ وَأَنْتَ كَافِرٌ

لِتُشْرِكَ فَتُخُوا مَا أَوْصَدُوهُ
تَمَنَّكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِذِيْلِ ذَاتِ
إِذَا قَوْمٌ رَيَّعُهُمْ تَوَلَّى
وَتَنَبَّتُ أَرْضُهُمْ زَهْرًا وَلَكِنْ
وَفِي مَضَرٍّ أَسَاسٌ وَطَدُوهُ
بَغْيِرِ الذَّاتِ ذَا لَمْ يَغْهَدُوهُ
فَعَطَرُهُمُ التَّوَهُّمُ لَيْسَ إِلَّا
تُشَاهِدُ لِلذُّبُولِ عَلَيْهِ ظِلًّا

وَلَاؤُ الْأَمْرِ مِنْ رَبِّي لِشَغَبٍ
وَلَكِنْ لَا يُجِيبُ اللَّهُ شَغَبًا
زِمَامًا يَمْلِكُونَ لِكُلِّ أَمْرٍ
بِهِ الْفَلَاحُ يَزْرَعُ كَيْ يُلَبِّي

مِنَ الرَّازِي كِتَابَ اللَّهِ فَافْهَمْ
وَلَكِنْ لِي كَلَامٌ فِيهِ فَاَنْظُرْ
وَمِنْهُ النُّورُ خُذْ فَاللَّيْلُ أَظْلَمُ
أَنْخِيَا بِالْفُرَادِ وَمَا تَضَرُّمُ^(٣) ؟

(١) يوجه الخطاب إلى المسلم .

(٢) النهج : الطريق . وإن أريد بالكلام خلاف ظاهره ، فالمسافر في الاصطلاح هو من سافر بفكره في المغفولات والاعتبارات فعبّر عن الدنيا إلى الآخرة .

(٣) تضرّم : احتدم غيظاً .

الذاتية

لِذَاتِكَ لَا إِلَهَ قَضُومَ مَرَّهٍ لِيُخْرِجَ مِنْ تُرَابٍ مَاتَ نَظَرَهُ
وَلَا تَقْبِضُ يَمِينَكَ عَنْ صُيُودٍ لَهُ الْقَمَرَانِ فِي وَهَقٍ بِجُرَّهِ^(١)

جَهُولٌ ، عِلْمُ هَذَا الْقَلْبِ ، قَاعِلَمٌ طَرِيقَكَ مِثْلَ مَنْ سَبَقُوكَ ، قَاعِلَمٌ
تَمَكَّنَ مُؤْمِنٌ مِنْ كَثْفِ مِيزٍ بِلَا مَوْجُودٍ إِلَّا اللَّهُ ، قَاعِلَمٌ^(٢)

بِقَلْبِكَ مَا اخْتَفَى هَذَا اللَّهَابِ مِنْ الْإِسْلَامِ مَا لِلنُّورِ بَابِ
طَرِيقَ الذَّاتِ فَاَنْضَحْهَا بِمَاءِ لِبَحْرِ لَا يَسْرِ فِيهِ الْعَبَابِ^(٣)

(١) لإقبال فرط اهتمام بالذات أو الذاتية ويجعلها من أهم مقومات فلسفته ، فعنده أن الذاتية جوهر الحياة وأساس نظامها وهي تستمد كيانها من تحديد الرغائب وتخليق الأمناني . وهذا باعث على العمل في دوام . وينبغي للإنسان أن يعرف مواهبه الكامنة في فطرته ويعتمد على ذاته وحدها . وقوة الذات هي معنى الحياة والغاية منها وبها جمالها وجلالها . الصيود : الكثير الصيد . القمران : الشمس والقمر . الوهق : حبل يطرح في عتق الدابة لصيدها به .

(٢) يلح إقبال إلى وحدة الوجود وهي أنه لا وجود في هذا الكون إلا لله وكل ما فيه صورة منه ، وذلك كالماء الذي يتشكل في صور شتى كالندى والثلج والبرد وهو ماء واحد لا وجود لسواه .

(٣) نضح بالماء : رش وبل . والعباب : الموج .

أنا الحق

(أنا الحق) ذِي مَقَامِ الْكِبَرِيَاءِ أَكْبَانَ لَهَا الصَّلِيبُ مِنَ الْجَزَاءِ ١٩
فَهَذَا جَسَائِرُ فِي رَأْيِ فَرْدٍ وَيَبْطُلُ عِنْدَ قَوْمٍ بِالْإِبَاءِ (١)

أَلَيْسَتْ قَوْلَةٌ لَأَقْتُ بِشَفَبِ يَجُودُ دَمًا لِيُغْضِنِي فِيهِ رَطَبِ
جَلَالٌ فِيهِ قَدْ أَخْفَى جَمَالًا تَجَلَّى فِي سَمَوَاتٍ لِقَلْبِ

وَيَتَنَ الْعَالَمِينَ سَمًا مَقَامًا فَلِلدَّارَيْنِ قَدْ كَانَ الْإِمَامَا
وَلَمْ يَمْسَسْهُ فِي خَلْقٍ لُغُوبٌ عَلَيْهِ النَّوْمُ يَجْعَلُهُ حَرَامَا (٢)
سَعِيرُ الْقَلْبِ تَشْهَدُهُ الْعُيُونُ وَدُنْيَاهُ الْهَشِيمُ وَكَمْ يَهُونُ
يُبينُ بِهِمَّةٍ مَعْنَى أَنَا الْحَقُّ وَتَأْتِي بَعْدَ كُنْ دَوْمًا يَكُونُ (٣)

جَنَاحٌ مِنْهُ يَخْفِقُ فِي الْفَضَاءِ وَيَرْمُقُ عِشَّةً وَالْعُشُّ نَاءِ

(١) الحلاج : هو الحسين بن منصور ذلك الصوفي الذي ذاعت شهرته في الآفاق بشططه وغلوه في تصوفه ، وكان شديد الحرص على نشر تعاليمه بين سواد الناس وهو في ذلك يختلف عن الكثرة الكاثرة من شيوخ المتصوفة الذين كانوا يميلون إلى الكتمان والضم بعلمهم على غير أهله . وقد قال الحلاج بالانحاد ولكن مع بقاء كل عنصر من عنصريه على حاله ، واتهم بالكفر لقوله (أنا الحق) وصلب عام ٣٠٩ هجرية . وقد أوردنا قوله بسكون القاف كما ينطق في الفارسية ، وفي رأي أن الحلاج حين قال (أنا الحق) كان مؤمناً بأن الله في قلب المؤمنين الذين يتخلقون بأخلاقه وبفضل من ذلك يصبح المؤمن (هو هو) .

(٢) اللغوب : التعب يقول إن رغبته في التخليق تحرم عليه أن ينام .

(٣) السعير : النار .

وَفِي وَهَقْ لَهُ الْقَمَرَانِ صَيْدٌ وَطَوْعُ يَمِينِهِ كُلُّ الرِّجَاءِ^(١)

يُشْتَانِ تَرَاهُ الْعُنْدَلِيَّيَا وَصَفْرًا كَانَ فِي مَرْجٍ مَهِيَّيَا
أَمِيرٌ فِيهِ قَدْ يَبْدُو فَقِيرًا فَقِيرٌ مِنْ غَنَى نَالَ النَّصِيَّيَا
إِلَيْكَ الْكَأْسُ أَفْعَمُهَا بِخَمْرِ وَنُورُكَ صَبَّ فِي جُحْرِ وَقْصْرِ
وَنَلَّ مِنْ غُضَنِ مَنْصُورٍ ثَمَارًا وَقَلْبُكَ فِيهِ (إِلَّا اللَّهَ) تُسْرِي^(٢)

الصوفيُّ والمُلاّ

هُوَ الْمَلَأُ ، عَبُوسٌ وَالْكِتَابُ وَفِشْرًا لَا يَمِيزُ مِنْ لُبَابِ
يَبِيتُ اللَّهَ يَطْرُدُنِي لِـدِينِي وَذَلِكَ لَيْسَ بِالشَّيْءِ الْعُجَابِ^(٣)

يَبِيتُ اللَّهَ صَيَّادٌ وَدَيِّرُ وَلِلصُّوفِيِّ لَمْ يَكُ أَيُّ ضَيْرِ^(٤)
عَلَى الْمَلَأِ قَصَصْتُ الْآنَ هَذَا جَوَابًا لَمْ يَحْزُ وَدَعَا بِخَيْرِ !
تَحَدَّثَ وَاعِظَ لِي عَنْ جَهَنَّمَ وَمِنْهُ كَافِرٌ فِي الْقَوْلِ أَحْزَمُ
غُلَامٌ خَالَهُ مَا إِنْ دَرَاهَا وَقَالَ «جَهَنَّمُ لِسِوَايَ فَاعْلَمْ»

(١) الوهق : حبل يطرحه الصياد في عنق الدابة لصيدها .

(٢) منصور : العلاج وفي الأصل (لا غالب إلا الله) .

(٣) يريد ليقول إن المترمتين الجامدين لا يفقهون قوله ويتهمون به بركة الدين .

(٤) يريد الغربي . ويشير إلى الصوفي في تجادله وعجزه عن دفع عادية الأجانب ، كما يعيب على الشيخ رضاه بالأمر الواقع وعدم الوقوف في وجه المعتدين على حرمة الدين وكرامة المسلمين .

مَرِيدٌ كَانَ ذَا رَأْيٍ سَدِيدٍ لَشَيْخٍ فَاهٌ بِالْقَوْلِ الشَّدِيدِ
« وَجَنَى الرُّزْقِ مَوْتُ ، مِنْ تُرَابٍ تَكُونُ فَوْقَ هَاتِيكَ اللُّحُودِ »

لَشَيْخٍ كَانَ ذَا قَوْلٍ الْفَلَامِ « تَأْمَلْ وَاسْتَمِعْ لِي بِاهْتِمَامِ
لِهَذَا الْعَصْرِ نَفْرُودٌ جَدِيدٌ فَمِنْهُ اخْلُقْ خَلِيلًا لِلْأَنَامِ »
لِمَلَأَ أَوْ لَصُوفِي أَمِيرًا وَفِي الْقُرْآنِ لِلْعَيْشِ الْكَثِيرِ
مِنَ الْآيَاتِ مَا أَذْرَكْتَ شَيْئًا وَمِنْ « يَاسِينَ » بُغْيَتِكَ الْحَفِيرُ ^(١) !

لَكَ الْقُرْآنُ كَالْمِرْآةِ فَسَانُصِبْ وَتَفْسِكَ دَغْ إِذَا عُيِّرْتَ وَاهْرُبْ
لِمَا قَدَّمْتَ مِيزَانًا لِتَضَنِّعِ وَفِي الْمَاضِي قِيَامَاتٍ لِتَطْلُبْ

عَلَى الصُّوفِيِّ وَالْمَلَأِ سَلَامِي كَلَامُ اللَّهِ قَالًا بِالتَّعَمُّامِ
وَلَكِنَّ أَوَّلًا مِمَّا أَوَّلَاهُ فَخَارَ الرُّوحِ يَلْ خَيْرُ الْأَنَامِ ^(٢) !

جَلَالُ الدِّينِ الرَّومِي

تَرَشَّفْ يَا نَدِيمَ الرُّوحِ خَمْرًا لَهَا كَأْسٌ تُسَاوِي مُلْكَ كِسْرَى

(١) يدعو إقبال إلى النظر في القرآن الكريم وقدير آياته البينات التي تهيب بالناس ليحيوا حياة حرة كريمة وتهدي إلى ما تصلح به الدنيا والدين . وفيها الوازع عن حياة الخمول والجمود ويسخر ممن لا هم له إلا سورة « يس » فقد جرت العادة بقراءتها في المقابر . والحفير : القبر .

(٢) الروح : سيدنا جبريل . وخير الأنام : هو المصطفى صلوات الله وسلامه عليه . وإقبال لا يرتضي تفسير القرآن تفسيراً سطحياً .

وَلِلرُّومِ أَشْعَارُ رِقَاقٍ فَلَذِ بِحِمَى قُودِكَ حِينَ تَقْرَأَ

وَفِي كَاسَاتِهَا لَوْنٌ نَوَّرَدُ بِهِيَ الْيَاقُوتُ يُضِيحُ كُلَّ جَلَمَدٍ^(١)
وَقَلْبُ الْأَسَدِ تَفْنَحُهُ غَرَالًا وَمِنْهَا الْوَسْمُ عَنْ نَمِرٍ تَبَدَّدُ

وَفِيهَا سَوْرَةٌ مِنْهَا نَصِيبِي دُجَايَ سَنَا يَكْوِكُهَا الْعَجِيبُ^(٢)
فَشَاهِدْ فِي الْحِمَى إِنْ شِئْتَ ظَنِيًّا بَدَا فِي بَسْمَةِ الْأَسَدِ الْغُصُوبُ^(٣)
حَيْبٌ حُبُّهُ كَانَ اخْتِسَرَا فِي وَمِنْهُ الْوَصْلُ يَنْطَلِقُ عَنْ فِرَاقِ
جَمَالِ الْعِشْقِ مِنْ نَائٍ لَدَيْهِ تَزَيْنَ مِنْ عَلاهِ بِائِتِلَاقِ

وَلِي عُقْدِي ، فَحَلَّ بِمَا يَشَاءُ غُبَارٌ فِي طَرِيقِي الْكِيمِيَاءِ^(٤)
وَأَسْمَعَنِي لَهُ أَنْغَامَ نَائٍ قَفِي سُكْرِي وَفِي عِشْقِي رَجَاءُ

وَمَا قَدْ فَتَحُوا بَابَ لِقَائِي كَمَا خَلَقُوا لَهُمْ دُنْيَا يُزَيِّي^(٥)
وَمِنْ قِيَصٍ لَهُ نِلْتُ اعْتِيَارًا فِي مَآ حَقَّقُوا مِنْ صُنْعِ شُهْبِ
نُجُومِ الْأَفْقِ جَالِسَ بِالْخَيَالِ وَرَاءَ الْبَذْرِ يَنْظُرُ فِي مَجَالِ
فَقَدَّمَ قَلْبَهُ الضَّارِي إِلَيْهِ لَهُ الْأَنْفَاسُ تَخْفِقُ فِي انْصَالِ^(٦)

(١) الجلمد : الحجر . والوسم : أثر الكمي .

(٢) سورة الخمر : شدتها . الدجى : الظلام . السنا : الضوء .

(٣) الحمى : هنا حرم بيت الله .

(٤) الكيمياء : ما كان يضعه القدماء على المعادن لتحويلها إلى ذهب .

(٥) التراب : التراب .

(٦) الضاري : المنهوك الضعيف .

عَنِ الرُّومِيِّ خُذْ سِرَّ الْفَقِيرِ يُبِيرُ بِفَقْرِهِ خَذْ الْأَمِيرِ
وَفَقْرُ ذَلِكَ لَكِنْ مِنْهُ فَاحْذَرْ مَقَاماً نِلْتَ يُذْنِي مِنْ حَفِيرِ^(١)

رَعَيْنَ ذَاتَ إِلَهِي وَهُوَ نَاءٌ تُمِذُ الْكَفَّ فِي طَلَبِ الْعَطَاءِ
وَالرُّومِيَّ عَيْنٌ حَقَّقَتْ لِي سُرُوراً مِنْ مَقَامِ الْكِبَرِيَاءِ
رَجِيحٌ طَابَ مِنْ كَرَمِي تَذْفُقُ وَيَسْعَدُ مَنْ يَذِلُّ لِي قَدْ تَعَلَّقُ^(٢)
نَصِيبي كَانَ مِنْ لَهَبٍ قَدِيمَا سَنَائِي نَالَ وَالرُّومِيَّ يُخْرِقُ

إلى مصر رسالة الفاروق^(١) (رضي الله عنه)

رِيَّاحُ الْيَمِّدِ وَافِينِي وَسِيرِي عُبَابَ النَّيْلِ فِي خَفَقِ أَثِيرِي^(٣)
وَأَذِي الْقَوْلِ عَنْ عُمَرِ فَقُولِي «كُنِ السُّلْطَانُ يُعْرِفُ بِالْفَقِيرِ»

وَمَا تِلْكَ الْخِلَافَةُ غَيْرَ فَقْرٍ لَهُ تَأَجُّ ، فَكَانَ دَوَامَ أَمْرِ
تَمَّكَ يَا فَتَى دَوْماً بِفَقْرٍ بِغَيْرِ الْفَقْرِ مُلْكُكَ حِنْدَ قَبْرِ

(١) يتلاعب الشاعر بالكلمة الفارسية (سريت بريت) وتحمل معنيين : الطاعة والخضوع ،
والنكس أي القلب على الرأس وجعل الأسفل الأعلى . فكأنه يريد ليقول : أن تلقي
الفقر بالمعنى الصوفي المطلق يعرض للتهلكة . والحفير : القبر .

(٢) الرجيق : الخمر . والكرم : العنب .

(٣) العباب : الموج . وعنوان هذا القدر من الرباعيات في الأصل باسم أحد الملوك .

وَتِلْكَ الذَّاتُ يَوْمًا مَنْ يُشَاهِدُ يُقِمُّ فِي الْغَدِ لِلدُّنْيَا الْقَوَاعِدُ
وَمَا قَدْ طَافَ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ يَخْلُوتُهُ بِذَاتِ ، وَهُوَ قَائِدُ
لِعَقْلِكَ أَوْ لِقَلْبِكَ فَابِغِ بَابَا وَخِذْ مِنْ شَيْخِ حَانَاتِ شَرَابَا
إِلَى الْحَاجَاتِ فَلَتَسْلُكُ سَبِيلَا لَتَطْرُخَ مَظْهَرَا وَاطْهَرِ لِبَابَا

وَتَسْعُدُ أَمَّةٌ لِلذَّاتِ عَادَتْ وَفِي عَمَلٍ وَفِي نَصَبٍ تَعَادَتْ^(١)
سَيَلِمُحُ نَوْرُهَا فِي الْأَفْقِ شَرْقَا إِذَا بَسِوْفُهَا ضَرْبَا أَرَادَتْ

وَمَلَّاحٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ طَرَّبَ بِذَوْبِ الْوَرْدِ مِنْهُ الْخَدُّ رَطَّبَ^(٢)
إِذَا لَمْ أَسْتَطِعْ فِي الْبَحْرِ سِيرَا فَلِي الطُّوفَانُ أَقْهَرُ وَأَرْكَبُ
بِمَلِكِ الْأَرْضِ قَدْ مَزَجُوا ثَرَانَا بِآيَاتِ الْإِمَامَةِ هَلْ تَرَانَا^(٣)
لِنَادِينَا بَعْمَقِ الذَّاتِ شَاهِدُ بِهَذَا الْقَلْبِ حَبَا مِنْ ذُرَانَا^(٤) ؟

وَأَسْرَارَ الْيَقِينِ إِذْنُ عَرَفْتَا عَنِ الْاِثْنَيْنِ عَيْنُكَ هَلْ كَفَفْتَا
لِمَصْبَاحَيْنِ نَوْرٌ لَيْسَ إِلَّا بغيرِ الدِّينِ مُلْكَا هَلْ أَلْفَتَا

(١) النصب : الإعياء .

(٢) يضرب شعراء الفرس بالترك المثل في الحسن . مثال ذلك قول الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي :

(لو اكترت هذا التركي الشيرازي لحالنا ورعى جامينا لو هبت خاله الأسود بخاري وسمرقند) .

(٣) الآيات : العلامات .

(٤) ذرى الحب : نثره . وفي الأصل ذرى الدنيا حباً في قلب المليك .

وإن عرّضت ذاتك لاختبارٍ خلقت لك السماء من الغبارِ
شراز الشوق طي القلب منه تضيء الشمس في وضوح النهار^(١)

شعراء العرب

وقل للشاعر العربي عني لياقوت الشفاء البخس مني^(٢)
قبست النور بالقرآن حتى جعلت الليل لي فجرأ يغني

وفي الأرواح قد أذكت جمراً ترابي ما يراه الناس قصراً^(٣)
غدير ساكن حركت فيه عباباً ، نار في النكباء بخرأ^(٤)

أرسم صورة ؟ لا يا غريز لتعمل ما يحبّذه الضمير^(٥)
وروضت خفت بها جناحاً حيفاً خضع بالقبس المنير^(٦)
تربّ نحن ذو قلب كئيب وظل ظل في الغصن السرطيب
وهذا النبع فجّره بسحر جوانح مسلم حرم القليب^(٧)

(١) الخطاب إلى المسلم .

(٢) بخسه حقه : نقصه إياه . يقول : إنه لم يقل شعراً في الغزل ، فما تغزل في الشفاء ولا شبهها بالياقوت .

(٣) أذكى النار : أضرمها .

(٤) النكباء : الريح بين الريحين .

(٥) الغريز : الناقص التجربة .

(٦) القبس : شعلة تؤخذ من معظم النار .

(٧) القليب : البئر . والمقصود بها بئر زمزم .

خَنيفٌ شَبَهُ رَبِّي فِي الصِّفَاتِ وَيَحْوِي قَلْبُهُ أَسْرَارَ ذَاتِ
بَنُورِ اللَّهِ تَشْهَدُ فِيهِ حَسَنًا لَهُ أَصْلٌ بِقَلْبِ الْكَائِنَاتِ

لَتَمْنَحَ ذَاتَهُ نُورًا وَنَارًا لِيَصْبَحَ لَيْلَهُ الدَّاجِي نَهَارًا
وَذَاكَ اللَّحْنُ فَلَتَعْرِفَ بِفِيضٍ فَذَلِكَ ذَوْقُ تَبْدِيلِ أَثَارَا
لَغَيْرِكَ يَنْبَغِي لِلْقَلْبِ حَرْقُ وَمِثْلُ خَفُوقِ قَلْبٍ سِوَاكَ خَفَقُ
وَذَاتُ أَنْتَ تَنْكُرُهَا لِشَعْبٍ « وَنَحْنُ الشَّعْبُ » قَوْلُ مَنْكَ حَقُّ

وَلِلْأَرْوَاحِ أَسْرَارٌ دَرَاهَا بَعَيْنِ الذَّاتِ مِنْ دُنْيَا رَاهَا
لَتَعْرِفَ فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ لَحْنًا حَيَاةً مِنْ ذَبُولٍ قَدْ بَرَاهَا

لَتَحْفَظَ مَا بِمَلْصَالِ لَسْدِيكَا فَكَمْ مِنْ نَشْوَةٍ حَامَتْ عَلَيْكَا
لِهَذَا أَوْ لَذَاكَ الدُّنْ خَلُوءُ وَقَلْبُكَ قَدَّمَ الصَّهْبَا إِلَيْكَا^(١)
وَهَذَا اللَّيْلُ يَوْجِشُنَا بِفَدَقْدِ فَأَيْنَ الْمَاءُ وَالشَّعْرُورُ غَرْدُ^(٢)
وَلَيْسَ يَضِيءُ رَهْبَانٌ مِرَاجَا فَمَنْ الصَّبْحُ حَتْمًا سَوْفَ تَشْهَدُ

وَفِي سِيْمَاكَ ذِي نَظَرًا فَكُرُّ وَفِيمَا تُخَيِّسُ الْأَيَّامُ فَكُرُّ
وَسِرُّ مِثْلِي بِصَحْرَاءِ الْحَمَى سِرُّ لِأَنَّكَ عَمَقَ ذَاتِكَ قَدْ تُقَدِّرُ

(١) الدن : جرة الخمر . والصهباء : الخمر .

(٢) الفدقد : الصحراء . الشعروور : طائر حسن التغريد .

يا بن الصحراء

تنيرُ اليدَ بالفجرِ الجميلِ وَيَصْدَحُ طائرُ بينِ النخيلِ^(١)
« خيامُك يا فتى الصحراءِ دغها أيْمَكُنْ أَنْ تَعِيشَ بِلَا رَحِيلِ ؟ »

والمُرْجَبَانِ مِنْ عَرَبٍ دَلِيلُ فَمَحْنَةُ رِيْهِمْ فَقْرٌ طَوِيلُ^(٢)
وهَذَا الْفَقْرُ إِنْ أَمْسَى غِيوراً تَرْجَفُ كَوْنُنَا وَهُوَ الذَّلِيلُ

شَهِدْنَا الصَّبْحَ فِي لَيْلٍ مَبِينَا تَجَلَّتْ فِيهِ أَنْوَارُ لَيْسِنَا^(٣)
صَحَحْنَا مِنْ رِيَّاحِ الْيَدِ رَوْحاً فَمِنْهَا الْقَوْمُ كَانُوا الْقَادِمِينَا

وما يدريك أنَّ المغوارَ في هذا الغبارِ

رِضَاكَ وَذَلِكَ التَّسْلِيمُ مَذْهَبُ وَعَنْ نَهْجٍ لَصَدَقِ أَيْنَ تَذْهَبُ
وَشِعْرِي لَا تَفْسِّرْ بِاجْتِهَادِ جُنُونِي فِي حِجَابِي لَدَيْكَ مَكْتَبُ^(٤)

(١) الكلام منسوب إلى الطائر .

(٢) في الأصل أن الله جعل العربي دليل القافلة .

(٣) الإشارة إلى قوله تعالى في سورة طه ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ إِذْ رَأَيْنَا فَكَا فَقَالَ لَإَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا تَلْعَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْهَا بَقِيَّةٌ أَوْ أَعِذُّ عَلَى النَّارِ هُنَا ﴾ ويقول الشاعر : إن الأمم ظهرت من سينا .

(٤) المحجى : العقل . المكب : المدرسة .

وهذا المرجُّ أَقْفَرُ مِنْ جنونِي وأصبح كالغريبٍ بلا خَدِينِ
وفي بلدٍ أصبحُ ومن صياحي جنونٌ ظلَّ كالعقلِ الوزينِ

ربيعي منبتٌ في الفجرِ زَهْرِي وإني مُخْرِقُ زَهْرِي بِجَمْرِي
أتحسبُ أنني أَبْقَى وَجِيداً وزَهْرِي لیسَ يَدْخُلُ تحتَ حَضْرِي
أتركُنِي المَشْتَتُ كالغبارِ على النسماتِ مَسْلُوبَ القَرَارِ
فطوبى لي ويا بُشْرَى فُؤَادِي فَمَنِي فَارِسٌ يَبْدُو بِغَارِ^(١)

يسودُ القومُ في زمنٍ يَضِيرُ ويظهرُ فيهمُ البطلُ الشهيرُ^(٢)
لديه السرُّ من أسرارِ غيبِ أَكُلُ ثَرِي يرى بهِ بطلُ جَسُورُ

خففتُ كموجةٍ في موجِ ذاتِي إلى الطوفانِ أَذَّتْ سَافِيَاتِي^(٣)
وما شاهدتُ لوناً مثلَ هذا وإِلَّا مِنْ دَمِي رُسمتُ شِيَاتِي^(٤)
دنانَ الخمرِ بالنظراتِ أَفِعَمُ وَرَاحَ مَنِي بهذا الكرمِ أَقْحَمُ
ومن طوفانِهِ أَمْسَى غَدِيرُ صَغِيرُ مِنْ بحارِ البحرِ أعْظَمُ

زَمَامَ الركبِ يوماً إنْ تَسَلَّمَ فقد كَشَفَ الخفا عن كلِّ مَبَهَمُ
وأظهرَ مِنْ بأفلاكِ جِهَاراً سمواتِ بها ما كانَ يهْتَمُ

(١) طوبى له : الخير والحسنى له . الغار : ما يكلل به رأس المستصر من ورق الكرم .

(٢) يضير : يؤذي .

(٣) السافيات : الرياح .

(٤) الدمى : الصور والتماثيل . الشيات : الألوان .

وَرَفَّتْ لِهَذِهِ الرُّوحِ التَّهَانِي
الْوَدُّ بِحُضْنِهَا أَمَّا رُؤُومًا
يَقُولُ الصَّدْرُ فِي قَلْبِي حَيْبُ
وَعِنْدَ الْمَوْتِ فِي سَمْعِي يَدْوِي

الْخِلَافَةُ وَالْمُلْكُ

بَنُورٍ لِلنَّبِيِّ الْقَلْبُ أَضْرَمَ
وَلَكِنُّ الْخِلَافَةِ وَسَطَ نَيْمٍ
أَنَارَ بِشَرْقِهِ مَا كَانَ أَظْلَمَ^(١)
فَهَذَا الْمُؤْمِنِينَ الْمَلِكُ عَلَّمَ^(٢)

وَنَشْهَدُ أَنَّنَا نَسْتُمُو مَقَامًا
خَدَاعٌ كُلُّهُ ، بَلْ كُلُّ مَكْرٍ
وَهَذَا الْمَلِكُ قَدْ كَانَ الْحَرَامًا^(٣)
وَتَرَعَى عَهْدَ رَبِّي وَالذُّمَامَا^(٤)

نَمَزَاعٌ فِيهِ مَلِكٌ وَالْكَلِيمُ
هِيَ الْأَقْدَارُ تَجْرِي كَيْفَ شَاءَتْ
هُوَ الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا غَلَامٌ
لِفَقْرِ عَظِيمٍ قُومٍ كُنْتُ عَبْدًا
وَمَنْ أَكْدَى وَأَعْوَزَةُ كَلِيمُ^(٥)
فَعَصْفُ الرِّيحِ مَا وَهَبَ النِّسِيمُ !
وَلَيْسَ لِمَا يَزَاوُلُهُ تَمَامٌ
لَدَيْهِ الْمَلِكُ فِي دِينٍ حَرَامٌ

(١) يقصد العربي .

(٢) إقبال لا يرتضي الخلافة إذا كانت كالملك .

(٣) الخلافة هي التي تشهد .

(٤) الذمام : الحرمة والحق .

(٥) أكدي : افتقر . والكليم : البساط أو الثوب الخلق في الفارسية .

بنظرتي المحبة ما يدوم ومنه الكبر تقليداً يروم
وهذي « عبده » كانت مقاماً برتيب لأشواق يقوم^(١)

التركي العثماني

بملك واسع أضحى أميراً بقلب قد وعى أمسى بصيراً
يظل من الفرنجة في قيود لسحر طلسمهم بقي الأسيراً

لمن قد أبطلوا ذا السحر طوبى وما شغلوا بعهدهم قلوباً^(٢)
بذاتك فاعترف والياس جانب تحدى قلبهم قوم خطوباً

بهم قد حقق الترك الرغائب ونالوا بغتة أعلى المراتب
اليس لمسلم عيناً بصيراً ! لقد كشف المصير له الأجانب

(١) تردد ذكر « عبده » في ديوان « رسالة الخلود » لمحمد إقبال وهو القائل تحت عنوان « العلاج » :

عسر العالم خدأ عبده نفسه سمى النبي عبده
عبده فهما لسديك تهر إنه الإنسان وهو الجوهر
عبده قد شكلت هذا القدر بالفيافي الخصب منها قد ظهر
غير عبد عبده فلتعتبر عبده فيها انتظار المنتظر
عبده كنه جميع الكائنات عبده فيها معان مغلفات

(ص ٢٠١-٢٠٢)

(٢) طوبى لهم : الخير والحسنى لهم .

فتاة المجتمع

فتاتي دعك من هذا التجمل من الكفار تزين أجمل^(١)
وصدّي القلب عن توريد خد فإن الغزو من عين التأمل^(٢)

لك النظرات من ربي حسام لروح من جراحات قوام^(٣)
ومنها يستمد القلب شيئاً فمأء للحياء هو المرام

ضميرُ العصر ليس له نقاب على حسن تفتح منه باب
بنور الله دنيّاً فلتُنيرِ عليه في تجليه الحجاب
ويصلح عيشنا بالأمهات أمين قلبهنّ لممكنات
وهذا إن يغيب عن فكر قوم فليس لأيّ أمر من ثبات

أصبنا العقل من ذاك الجنون بنظرة هذه الأم الحنون
وما في مكتب عين وقلب وهل من مكتب غير الفنون

ويسعد من رأوا بالواردات قيامات بتلك الكائنات^(٤)

(١) يجمل : يحسن .

(٢) يقول : إن الحسنة تغزو قلب العاشق بعينها .

(٣) قوام الشيء : نظامه وأساسه .

(٤) الواردات : حلول المعاني بالقلب ، وما يخطر عليه بلا تفكير ولا تدبر .

وما قد قات أو ما سوف يأتي لهم أبدى جبين الأمهات
ونُصحي فاجعليه ملء أذنك ليفتنى الناس طراً قبل دُفْنك^(١)
عن العصر اختفى ، كوني بتولاً ليقى شبر في دفء حضنك^(٢)

ومن ليل لنا فجرأ أنيري إلى القرآن عمودي بالتصير^(٣)
(قرأت) وتعلمين لها أواز بها عمر تغير في كثير^(٤)

العصر الحاضر

وعصر منه للدين الشكاة وحرّ يائه وأد الطغاة
وجوة فيه للإنسان شامت وأفسد نقشه حتى الهواة^(٥)

ونظرت به تصوير كفر وليس كمال فن غير جمر

(١) طراً : جمعاً . يقول إذا انتصحت بقولي فإن ألف أمة تموت وأنت لا تموتين .

(٢) البتول : العذراء وتطلق على السيدة فاطمة رضي الله عنها ، وشير أو شبير : اسم الحسن بن علي رضي الله عنه .

(٣) أي اطلبي إلى أهل النظر أن يعودوا إلى كتاب الله الكريم لتدبره .

(٤) يلمح إقبال إلى سبب وقوع الإسلام بقلب عمر بن الخطاب وذلك أنه دخل على أخته وزوجها فوجدتهما يقرأان سورة طه . وقالت له أخته (إن كان الحق في غير دينك فاشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) ودفعت إليه الكتاب فقرأ حتى انتهى إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّنِى أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاقْبِضْنِى وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى ﴾ ثم أسلم .

(٥) في الأصل أن بهزاد هذا العصر أفسد نقشه . وبهزاد : اسم أشهر رسام إيراني في العصر الصفوي .

وَمَنْ تُجَارِهِ فِي السُّوقِ فَاحْذَرْ فِهَذَا مَيَّسَرٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ

شَبَابُ الْقَوْمِ هَذَا الْعَصْرُ أَفْسَدَ لِإِبْلِيسَ دُجَاءَ الصَّبَحِ فَاشْهَدْ
لَهُ الْأَذْيَالُ تَطْوِينًا كَثِيرًا فَكُلُّ شُعَاعٍ نَوْرٍ فِيهِ يُخَمَدُ
جَمَعْنَا بَيْنَ سُلْطَانٍ وَفَقِيرٍ وَمَا يَغْنِي وَمَا يَبْقَى لِدَهْرِ
عِيَاذًا مِنْهُ بِالْبَسَارِيِّ عِيَاذًا دَمُ الشَّيْطَانِ فِي السُّلْطَانِ يَجْرِي أ

أَرْقِصْ ذَلِكَ ؟ إِنْ لَسْتُ أَدْرِ أَنْشَوْتُ فَرْحَةً أَمْ سَكْرُ خَمَرٍ
لِتَقْلِيدِ الْفَرَنْجَةِ كَانَ رَقِصٌ وَلَيْسَ دَمًا بِعَرِيقِكَ وَهُوَ يَجْرِي

الْبَرْهَمِيُّ

فَتَحْتُ لِفِتْنَةٍ بَابًا وَبَابًا مَثِثُ ، سَقَطْتُ ، لَاقَيْتُ الصَّعَابَا
دُمَى لِلْبَرْهَمِيِّ تَزِينُ طَاقًا بِرَأْسِ الطَّاقِ عُلِقْتُ الْكِتَابَا ؟^(١)

أَفِي عَمَلٍ وَنَى ؟ لَا بَلْ أَطَالَ لَهُ الْأَحْجَازُ يَكْسُوهَا الصَّقَالَا^(٢)
بِقُوَّةِ سَاعِدَيْهِ بَرَى إِلَهًا صَلَوَةُ الصَّخْرِ قَدْ يَزُنُ الْجَبَالَا^(٣)

(١) الطاق : ما جعل كالقوس من الأبنية .

(٢) ونى : أبطأ .

(٣) برأ : خلق .

ويحفظُ بزمهمي كُلُّ امرٍ
وهذي سبعةٌ قالَ أطرحها
وقالَ لتبتعدُ عن بابٍ غيرِ
وما تسعُ المساجدُ غيرَ مُلّا
ولا يفضي إلى أحدٍ يسرُ
بزُنارٍ على كفيه يجري^(١)
فمن أهلٍ لنا نحظى بخيرِ
ومن سحرِ الدُمى كأننا بذيرِ

التعليم

يدومُ لقلبنا هذا اللهيْبُ
فعلّمْ ذاكَ أبناءَ فعلّمْ
كُتوبٌ ، والحياءُ هي النجيبُ^(٢)
لأنَّ كُتابهم سخرَ يخبِ
لأنَّ كُتابهم سخرَ يخبِ

ومن علمٍ بقلبٍ ليس حرقا
وأضفى من عيونِ الصقرِ قلبُ
تأملُ متوقٍ خيرٌ وأبقى
هو المزورُ عن دارِيه حقا^(٣)

إلهي مؤمناً لا ربَّ يسألُ
لذا عن مكتبِ الخلانِ أنصى
من الروحِ الرقيقة وهو يخلو
فما صادفتُ من بالذاتِ يغلو^(٤)
إذا ما أخطأَ النظرَ البصيرُ
بعلمٍ ليس يخذعُني الكفورُ
أفضلُ جاهلاً ورعاً نقياً

(١) أطرحها : ألقيها . الزنار : ما يشد به التصراني وسطه .

(٢) النجيب : الفرس الكريم .

(٣) ازورُ : مال وحاد .

(٤) يعاود إقبال ذكره للذات على أنها أهم ما ينبغي الالتفات إليه والاهتمام به في تعليم النشء .

أَيْجِدِي الْفِكْرُ فِي أَوْجِ السَّمَاءِ
كَأَنَّ الرِّيحَ تَزْجِيهِ سَحَابًا

يَحُومُ عَلَى النُّجُومِ بِلَا انْتِهَاءٍ
فَتَاءَ مَمْرَقًا وَسَطَ الْفَضَاءِ^(١)

عَلِيمٌ زَانَهُ أَدَبٌ وَجَاهِلٌ
وَمَا أَحَبُّهُ إِنْسَانًا عَلِيمًا
لَمَّاذَا الْيَأْسُ مِنْ طِفْلِ صَغِيرٍ
وَلَكِنْ مَنْ يَعْلَمُهُ لَسَّالٌ

كَرِيمٌ مِنْهُ مَنْ يَحْظَى بِحَاصِلِ^(٢)
وَمِنْ أَدَبٍ نَصِيبٌ غَيْرُ كَامِلٍ
إِذَا مَا شِئْتَ فَأَنْعَتْ بِالْغَرِيرِ
أِلَّا طِفَالِ قَلْبٍ فِي الصُّدُورِ ؟

صَغِيرَكَ لَقَّنَ الدِّينَ عِلْمًا
وَلَوْ قَدَّمْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَضْلًا

لِشَرِّقَ سَعْدَهُ بَدْرًا وَنَجْمًا
لَزَيْنَ بِأَلْيَدِ الْبَيْضَاءِ كُفًّا^(٣)

غَنَاءٌ مِنْ بَلَائِلِ مَا أَصَابَا
يَعْلَمُ لَيْتَ شِفَرِي أَيُّ فُخْرٍ
إِلَهِي حَسْبِيَ لِلدَّرْوِيشِ ذِكْرِي
وَيَنْصَحُ طِفْلَنَا نَصْحًا حَكِيمًا

أَوَارِ بِالْوُرُودِ لَدِيهِ طَابَا^(٤)
فَعَنْ رُوحٍ لِأَجْلِ الْخَبْرِ غَابَا
يَفْتَحُ قَلْبَنَا عِطْرًا وَزَفْرًا
« لَخَبْرَكَ لَا تَذِلُّ النَّفْسَ أَسْرًا »

و « إِنْ شَاءَ اللَّهُ » مَنْ دَوْمًا نَذَّكَرُ

مَنْ الْمَلَأَ وَمِنْ دَرَسٍ تَحَرَّرُ^(٥)

(١) تزجيته : تدفعه .

(٢) يقول : إن الأدب زينة للعالم والجاهل على السواء ، ويكرم من ينال من الأدب نصيباً .

(٣) الإشارة إلى قوله تعالى في سورة طه ﴿ وَأَضْمَمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾
وبيضاء بمعنى مشعة ، ومن غير سوء : من غير عاهة .

(٤) الأوار : لهيب النار .

(٥) في الأصل (لا إله) .

بِهَذَا الْعِلْمِ لَا تَبْطُلُ جَنَاحَا بِوِ الْإِنْسَانُ فِي عَجَزٍ تَحْيِرٌ^(١)

وَأَنْ لِّمَنْ عَلَى رَكْبٍ أَغَارَا أَسْأَلُ كَيْفَ أَوْزَدَهُمْ بَوَارَا^(٢)
فَلَا تَأْمَنُ إِذَا حَصَلَتْ عِلْمَا فَمَنْهُ الرُّوحُ يُمْكِنُ أَنْ تُضَارَا^(٣)
فَتَنِي رَاقَتٌ فَصَّاحَتُهُ وَمِيمٌ وَتَنْظَرُتُهُ كَلِيَتْ لَا تُقِيمُ^(٤)
وَفِي دَرَسٍ تَلْقَنُ عِلْمَ شَاةٍ وَمَا إِنْ يَسَّرَ الْوَرَقَ الْجَمِيمُ^(٥)

وَسَقَبَ أَيُّ شَيْءٍ مَا دَرَاهُ إِلَهِي قَالِ إِنِّي لَا أَرَاهُ^(٦)
فَقَالَ أَبُوهُ قَدْ يُمْنَى بَعِيرٌ بَعَثَرْتَهُ لِيُثْبِتَ مَنْ بَرَاهُ^(٧)

السَّغْيُ فِي الرِّزْقِ

أَمِنْ سَطْحٍ إِلَى سَطْحٍ تَطِيرُ بِهَذَا مَا سَمَتْ قَطُّ الصَّقُورُ
إِذَا مَا كَانَ صَيْدُكَ بَغْضَ رِيثٍ فَخَيْرٌ مِنْهُ مَوْتُ فِي الْوُكُورِ^(٨)

(١) فِي الْأَصْلِ : هَذَا الْعِلْمُ يَسْلُبُنَا عَيْنَنَا وَقَلْبَنَا وَيَدَنَا .

(٢) الْبَوَارُ : الْهَلَاكُ .

(٣) تَضَارُ : تَهَابُ بِالضَّرَرِ وَالْأَذَى .

(٤) يَشْبَهُ نَظَرَتَهُ فِي دَوَامِ حَرَكَتِهَا بِأَسَدِ جَوَالٍ لَا عَرِينَ لَهُ .

(٥) الْجَمِيمُ : النَّبَاتُ .

(٦) السَّقَبُ : وَلَدُ النَّاقَةِ .

(٧) يَمْنَى : يَبْتَلَى . بَرَاهُ : خَلَقَهُ .

(٨) الصَّيْدُ : الْفَرِيصَةُ ، الْوُكُورُ وَالْأَوْكَارُ : جَمْعُ وَكَرٍ وَهُوَ الْعَشُ .

لذاتك نظرة في كل أمرٍ لنا من نظرة سوطٍ لتجري
وما تسعى وراء الذكر إلا لكي تغلّو وتغلّو مثل طير

التمساح وصغيره

وللتمساح هَذَا الكلامُ لزوم الشط في ديني حرام
عن الشط ابتعد موجاً تسلق فعيش بحرنا وبه ننام

وهَذَا الْبَحْرُ فِي صَدْرِ حَمَلَتِهِ وَذَا الطُوفَانُ فِي حَرْبِ غَلَبَتِهِ^(١)
ولو في برهة أغيأ وأغفى لكان مقاتلاً ما إن قتلت

خاتمة

عن السَّاقِي وَعَنْ كَأْسِ الْمَدَامِ سَكْتُ وَكَانَ عَنْ عَشْقٍ كَلَامِي
مِنَ الْأَخْيَارِ فِي قَوْمٍ حَدِيثاً سِعِفْتُ لَكِي أَبْلُغَ بِالتَّمَامِ

بِقَلْبِكَ أُمِسْكَنْ وَعِدْ لِنَفْسِكَ وَصَدْرُكَ فَلْيَكُنْ دَاراً لِحُبْسِكَ
لِتَسْقِ الْحَقْلَ دَمْعاً مِنْ دِمَائِهِ تَثَرَّتْ الْحَبُّ فَلتَعْمَلْ بِفَأْسِكَ

(١) طوفان في الفارسية بمعنى العاصفة ومعنى الطوفان في العربية . ونحن نشير إلى المعنيين تمهيداً لفهم التورية الممكنة .

بِقَلْبٍ حَوْلَ هَذَا الْبَيْتِ طُفْنَا وَمَا كَمْطُوفٍ بِالْبَابِ كُنَّا^(١)
وَيَكْمُنُ بَيْنَنَا سِرٌّ عَجِيبٌ وَهَذَا الرَّمْزُ عَنْ جِبْرِيلَ عَنَّا^(٢)

العالمُ الإنساني^(٣)

كَانَ حُبُّ الْخَيْرِ لِلْمَرْءِ احْتِرَامًا كَيْفَ تَنْسَى أَنَّهُ يَسُوءُ مَقَامًا
جَاوِيدَنَامَهُ^(٤)

تمهيد

عَلَيْنَا فَلْتُدِرْ كَأْسَ الشُّمُولِ وَتَضُرْ لِي زَيْعًا فِي ذُبُولِ^(٥)
وَأَنْفَاسًا مِنَ الْأَنْغَامِ هَيْبِي أَضْرَمَ نَارَ نَائِي بِالْأَلِيلِ^(٦)

بَقِيتَ بَخْلُوةً فَلَتَأْتِ مَرَّةً وَصَدْرُكَ فِي الصَّبَا فَتَحُ بِخَطَرِهِ

(١) طوف : طاف .

(٢) عن عنه : بعد .

(٣) في الأصل أن الإنسانية هي احترام الإنسان . ومفهوم الإنسانية : حب الخير للإنسان ورقة الشعور نحوه .

(٤) وهذا البيت في ديوان « جاويدنامه » لمحمد إقبال الذي ترجمه الدكتور مجيب المصري بعنوان « في السماء » وهو الديوان السابع من مجموعة هذه الدواوين باسم « رسالة الخلود » .

(٥) دارت الكأس : تناولها الشاربون الواحد تلو الآخر . والشمول : الخمر أو الباردة منها .

(٦) الأليل : الأنين .

مَقَامَ الرِّيحِ وَالْأَسْوَانِ دَوَى فَرْدٌ فِيهِ لِهَذَا الطَّيْرِ تَبَرُّهُ

أَثَارَ الدَّهْرِ فِتْنَتَهُ ، وَوَلَّى
بِلَادَ اللَّهِ بِغَسَادَا مَحْسَاَهَا
بِهَذَا الْغَدِ كَمْ مَغْلُوا الْقُلُوبَا
فَمَنْ فِي يَوْمِهِ أَخِيَا دَوِيَا
لِنَامِ النَّاسِ مِنْ رَبِّي ، وَوَلَّى
عَلَى عَجَلٍ كَجَنَكِيْزِ ، وَوَلَّى
فَهُمْ فِي أَمْسِهِمْ ذَاقُوا شَعُوبَا^(١)
لِيَسْعَدَ أَوْ لِيَسْمَنَّهُ الطُّرُوبَا ؟

أُنْخَسَتْ كَمَا يَنْسُوحُ الْعَنْدَلِيْبُ
بِهَذَا الرُّوضِ قَطْفُ الزَّهْرِ حَلْ
فَمَا لِلرُّوحِ مِنْ نَوْمٍ هُبُوبُ
وَلَيْسَ لَدَيْكَ مِنْ شَوْكِ نَدُوبِ^(٢)

عَلَى الذَّاتِ انْطِوَاءً ، فَلْتَعْلَمْ
تَرْجِي رُؤْيَا الْمَوْلَى عَيَانَا
بِظَفَرِكَ حَفَرُ صَدْرِكَ ، فَلْتَعْلَمْ
عَنِ الشُّكُوى مِنْ الْأَيَّامِ أَقْصَرُ
فَرُؤْيَا عَمَقِ ذَاتِكَ ، فَلْتَعْلَمْ
يَطِيبُ الْمَاءُ فِي نَهْرِ بَصْخَرِ
فَمَنْ لَمْ يَنْصَهَرْ كَالْتَّبَرِ يُخْسِرُ^(٣)
يَشْتَتُ مِنْهُ أَمْوَاجَا وَيَكْبِرُ

عَنِ الْوَرَقَاءِ لِلْفَرَّخِ الصَّغِيرِ
فَقُلْ فِي نَشْوَةِ الْأَشْوَاقِ يَا هُوَ
« بِطَبْعِ كَيْفَ نَحْيَا كَالْحَرِيرِ^(٤) »
وَحُذِّ مَا زَانَ هَامَاتِ الشُّقُورِ ،

(١) شعوب : الموت .

(٢) الندوب : جمع ندب وهو أثر الجرح .

(٣) أقصر عن الكلام : سكت .

(٤) الورقاء : الحمامة التي يضرب لونها إلى الخضرة .

هُوَئِكَ مِنْ مَقَامِ الْكِبَرِيَاءِ وَعَفَّرْتَ الْجَبِينِ لِأَذْنِيَاءِ^(١)
 وَشَاهِينَا أَرَاكَ تَصِيدُ ذَاتَا
 لِكَ الْبَشَرَى فَذَاتُكَ تَسْتَرِدُ
 حَيَاةَ الْخُلْدِ هَذِي فِي يَقِينِ
 وَلَكِنْ فِي شَبَاكِكَ بِأَرْتَمَاءِ
 وَمِنْ فَقْرٍ غَنَى مَا تَسْتَمِدُ^(٢)
 وَفِي حَدْسٍ لِمَوْتٍ تَسْتَمِدُ^(٣)

أَعِنُ ذَاتٍ تَحْجَبُ بِالْحِجَابِ إِلَيْهَا حَبَّذَا يَوْمُ الْإِيَابِ
 وَفِي رِزْقِي لِي التَّفَكِيرُ كَفَرُ وَأَنْتَ كَفَرْتَ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ^(٤)

لَسَقِبَ قَالَ هَذَا الْبَعِيرُ تَأْمُلُ أَنْتَ لِي نِعَمَ النَّظِيرُ
 لَتَعْمَلُ مِثْلَنَا ، جِبْنَا الصَّحَارَى بِأَحْمَالٍ لَنَا كُنَّا نَسِيرُ^(٥)
 كَلَامُ جَهْدِ الْإِفْرَنْجِ قَالَا وَفِي كَوْنٍ وَفِي عَدَمٍ أَطَالَا^(٦)
 مِنَ الْأَعْجَامِ شَيْخٌ قَالَ قَوْلَا أَبْلَغُهُ ، فَأَلْقِ إِلَيْهِ بَالَا

غَرِيبٌ عَنْكَ يَجْعَلُكَ الْقَتِيلَا لَقَلْبٍ تَشْتَرِي الْحُزْنَ الْوَيْلَا^(٧)

(١) عفر الجبين : مرغه في التراب .

(٢) الحدس : الظن والتخمين .

(٣) يذهب إقبال مذهب المتصوفة الذين لا يرون أن النظر في الكتب وسيلة إلى العلم ، فهم على أن القلب هو مصدر المعرفة وليس العقل الذي يعد وحده مصدرها عند غيرهم . ويرى أن بعض الصوفية طرخوا كتبهم في النهر . ومنهم من دفنوها في جوف الثرى رغبة في الخلاص منها لعدم جدواها . وفي هذا المعنى قال شاعر فارسي ما ترجمته :
 (اغسل الأوراق إن كنت في الدرس زميلنا ، فليس لعلم العشق دفتر عندنا) .

(٤) جاب الصحراء : اجتازها .

(٥) الجهد : الناقد العارف بتمييز الجيد من الرديء .

(٦) الويل : الشديد .

وَيَفْضُلُ كُلُّ تَأْوِيلٍ لِشَيْخٍ مَعَ الذَّاتِ الْجَلُوسِ وَلَوْ قَلِيلًا

وَجُودُ ذَاكَ أَمْ هَـذَاكَ مَظْهَرُ حَكِيمٍ عِنْدَنَا الْإِشْكَالَ قَسْرُ
وَعَلِمُ الْغَوْصِ ضَمَنَهُ كِتَاباً وَلَكِنْ لَيْتَهُ فِي الْعُمْرِ أَبْخَرُ^(١) ١
إِلَيْكَ الْفَاسَ ، هَذَا يَبْسُتُونُ وَبَادِرُ ، دَهْرُكَ الْعَاثِي خَوْونُ^(٢)
شَرَارَ الْفَاسِ دَعِ مَنْ قَالَ عَنْهُ أَمِنْ فَاسٍ ؟ أَمِنْ حَجَرٍ يَكُونُ ؟

مِزَاجُ مُنَاكَ فِي كَفِّكَ أَبْقِ مَقَامَ الْهَاتِفِينَ قَلْبُ يَحَقُّ
وَفِي دُنْيَاكَ فَاحْذَرْ مِنْ ضَيَاعِ يَذَاتِكَ خُذْ ، دَعِ الدُّنْيَا لِمَخَقِ^(٣)

وَهَذَا الْقَلْبُ بَخَرٌ مِنْكَ يَسْكُنُ وَمِنْ جَرَاكَ فِيهِ الدُّرُّ يَكْمُنُ^(٤)
فَهَذَا الْبَخَرُ دَارَا مِنْكَ يَخْسُنُ فَتَرِ يَا مَوْجُ وَاحْذَرْ مِنْ سُكُونِ
إِلَى ذَاتِ لِكَ الدَّارَيْنِ فَاجْذِبْ أَعْنِ ذَاتِ تَشْرِقُ أَوْ تَغْرُبُ
وَيَوْمَكَ مِنْهُمَا نُوراً لُبِصِرُ وَهَذَا الثُّورُ يَوْمَكَ لَا تُجَنَّبُ

(١) يتهمك الشاعر مرير التهكم بمن يدعي بالوجود علماً ، فيقول إنه يخرج الكتاب ليعلم
الناس الغوص في البحر وهو لم يركب البحر في العمر مرة .

(٢) إليك الفأس : بمعنى خذ الفأس . ويبستون : اسم جبل في إيران جاء في القصص
الفارسي أن من يسمى فرهاد شق في صخره طريقاً ، وكان في ذلك صادعاً بأمر الملك
برويز في خبر أسلفنا الإشارة إليه . والشاعر يدعو إلى الإقبال على العمل وإنجازه بقطع
النظر عما يتكشف عنه من نتيجة وعدم المبالاة بالمادحين والقادحين .

(٣) محقه محققاً : أهلكه .

(٤) من جراك : من أجلك .

لَنَا يَا زَهْرَةٌ هَا قَدْ ظَهَرْتَ بِوَجْهِ الْحَنَنِ ذُنُوبَنَا أَنْزَلْتَ
وَهَذَا زَهْرَةُ الْبُسْتَانِ قَالُوا بِغَضَبِكَ كَيْفَ كُنْتَ وَكَيْفَ صُرْتَ ؟

مَنْ التَّبْرِيحَ لَا يَبْكِي الرَّجَالَ بِصَرْفِ الدُّهْرِ يَوْمًا لَمْ يَيَّالُوا^(١)
وَقَدْ تَبْكِي وَلَكِنْ لَسْتَ مِنْهُمْ لِدَمْعٍ مِنْ لَغْظَى الشَّوْقِ انْهَمَالُ^(٢)
وَمَنْ فِي مِخْنَةٍ نَسِيَ الْفَنَاءَ وَلَوْ شَهِدَتْهُ فِي الْمَوْتِ السَّمَاءُ^(٣)
وَأَنْتَ بِمَوْتِهِ هَذَا جَدِيرٌ وَإِلَّا فَلَتَمُوتَ مَوْتًا تَشَاءُ

تُرَابُكَ وَهُوَ عَنْ رُوحٍ غَرِيبٍ غَصُونُكَ لَيْسَ يَرُوبِهَا صَيِّبُ^(٤)
عَلَيْكَ بِحَرَقَةِ الْأَنْفَاسِ وَاسْعَدُ فَمِثْهَجٍ بِهَا الصَّدْرُ الْكَثِيبُ

عَلَيْنَا قَدْ تَكَاثَرَتْ الْغَمُومُ غَرِيبًا مُسْعِدًا كُنَّا نَرُومُ^(٥)
فَهَيْئَةً فِي غَدٍ مَا أَنْتَ تَبْغِي وَلَكِنْ إِنْ عَرَفْتَ بَكُمْ يَقُومُ^(٦)
كَرِيمٌ ذَاتُهُ وَالْقَلْبَ ضَمًّا بِرَمِي الشَّصِّ لَا يُؤْذِي الْخِصْمًا^(٧)
تَجَلِّي السَّكْرِ لِلنَّظَرَاتِ حِلٌّ بِغُلِّ الْقَلْبِ وَالْكَفِّينِ حَتْمًا

-
- (١) التبريح : من برح به الأمر : إذا أجهده وآذاه .
(٢) انهمل الدمع : سال .
(٣) المحنة : بمعنى الامتحان والشدة . وفي هذا احتمال التلميح إلى من يموتون من أجل رأي يرونه وعقيدة يعتقدونها ومن يصيبهم الله بالبلاء ليلوهم به .
(٤) الصيب : المصبوب . والمقصود به هنا الماء .
(٥) المسعد : المواسي المشارك في الحزن .
(٦) قامت السلعة بالثمن : تعدلت به .
(٧) الكريم : خير الناس . والشص : حديدة معقوفة يصاد بها السمك .

هُمُومٌ قَلْبُنَا مِنْهَا تَفْطُرُ تَرَابٌ أَضْلُهَا وَضُرٌّ وَأَكْذَرُ^(١)
وَلَكِنْ مَا عَرَفْنَا الِهِمَّ يَخْلُو بِأَصْلِ الْفَكْرِ فِي عَقْلِ تَفَكَّرُ^(٢)

إِلَى الْأَقْدَارِ لَا تَنْسَبُ أُمُورًا وَكَانَ اللَّهُ وَمَّابَا غُفُورًا
وَلَكِنْ قَلْبِ الدُّنْيَا فِيهَا حَقِيرُ النَّاسِ مَنْ قَمَرَ الْأَمِيرَا^(٣)
مَرِيرَ الْحَقْدِ قَلِيلُظْ جَنَانُ مِنَ الشُّبَّاءِ فليُخْرِجْ دُخَانُ^(٤)
وَلَيْسَ لِحَقْلِ قَلْبِكَ مِنْ خَرَا فَيَا دُهْقَانَ هَلْ مِنْكَ الْأَمَانُ^(٥)

لَفَجْرِ مِنْ لِيَالِيهِ الظُّهُورُ لَكُوكِبِهِ عَلَى الدَّارَيْنِ نُورُ
وَأَعْجَزُ عَنْ كَلَامٍ فِيهِ عَجْزًا فَعِنْدَ الْمَوْتِ يَغْشَاءُ السَّرُورُ

وَقَالَتْ لِلصَّبَا فِي الْعُلَى قَطْرَةٌ مُنَايَ إِلَيَّ مِنْ عَيْنِكَ نَفْطَرَةٌ
مَنْ الْأَزْهَارِ فِي قَلْبِي مَلَالٌ فَهَبِّي كَيْ أَوَافِي الْعَشْبَ مَرَّةً^(٦)

(١) الوضر : القنر .

(٢) يقول : إن الهم الحلول المناقض للهم المر الذي تتأذى به هو هم العقل المفكر .

(٣) قمره : غلبه في القمار .

(٤) لفظ الشيء : ألقاه من فمه . والجنان : القلب . يشبه خروج الحقد من القلب بخروج الدخان الذي لم يكن مستحب البقاء في الدار .

(٥) الدهقان : رئيس الإقليم .

(٦) وافي : أتى .

القلب

بِلا شَطِّ خِضْمٍ كَانَ قَلْبًا يثُرُ بهيئة الأمواج رُغْبًا
بَسِيلٍ مَغْرَقٍ سَهْبًا وَسَهْبًا حَبَابٌ فِيهِ بِالْأَفْلَاكِ يَمْبَا^(١)

لَهيبٌ ، جِئْنَا مَوْجُ الدِّخَانِ وَمِنْ خَفَقَاتِهِ رَجَعُ الْأَغْنَانِي
وَمَجْلِسُهُ يَذْكُرُ الْوَهْنِ أَمْسَى كَقَطْرَةٍ زَيْتُونٍ تَبْدُو لِرَانِ^(٢)

وَيَنْجِعُ سَعْيُهُ دَهْرَ مُنَابِرٍ بَصُونِ الذَّاتِ دُرُوشٍ يُجَاهِرُ
وَصُنْ لِلْقَلْبِ سُلْطَانًا وَفَقْرًا فَهَذَا الْبَحْرُ قَدْ صَانَ الْجَوَاهِرُ^(٣)
قَوَى لِلذَّاتِ يَوْمًا مَا بَلَّوْنَا وَقَيْدًا بَعْدَ قَيْدٍ مَا حَطَمْنَا^(٤)
يَدُومُ الْعَقْلُ لِلْإِنْسَانِ قَيْدًا إِذَا فِي صَدْرِهِ الْقَلْبُ افْتَقَدْنَا^(٥)

تَقُولُ الْقَلْبُ مَنْ تَرِبَ مَهِينٍ يَذُوقُ الْأَسْرَ مِنْ كَافٍ وَنُونٍ

-
- (١) الخضم : البحر . السهب : الأرض المنبسطة . والحياب : الفقايع التي تعلو الماء والخمر . والشاعر يريد ليقول إن الأفلاك كلها لا تساوي قفاعة واحدة في هذا السيل .
(٢) يقول : إن هذا القلب نار والجسم موج دخانها ، وهو بخفقه أشبه شيء بالقيثارة .
الوهن : نصف الليل . ويشبه من يطربون لذكر الله ليلاً في هزتهم وحركتهم بالزئبق الرجراج .
(٣) أنجحه : جعله ناجحاً . وإقبال يجري على مألوف عادته في الربط بين فقر النفس وعظمة السلطان .
(٤) بلوت : اختبرت . حطم : مثل حطم بتشديد الطاء .
(٥) افتقد : فقد .

وَفِي صَدْرِ لِقَلْبٍ مُسْتَقَرٍّ هُنَا مَا كَانَ يَوْمًا بِالقَطِينِ^(١)



وَدُنْيَا النُّيُونِ بِهَا تَمْنَطُنْ وَكَمْ عَقْدٍ يَحِلُّ إِذَا تَحَرَّقُ^(٢)
فَقُلْ لِلْهِنْدِ هَذَا مِنْ كَلَامِي بِصُخُورَتِهِ غَلَامُ الْهِنْدِ يُغْتَقُ
وَكُنَّا حَقْلَ رَيْي وَهُوَ خَاصِلُ لِعَالَمِنَا عَرُوسٌ وَهُوَ مُحَمَّلُ
غَبَارَ مَنْ دَرَى سِرًّا بِدَرْبِ وَلَمْ يَكْ غَيْرَ هَذَا الْقَلْبِ ، فَاعْقِلْ^(٣)



دُؤُوبٌ يَطْلُبُ الْحَسَنَ الْغَرِيبَا خَطِيبٌ كَانَ مِنْبَرُهُ صَلِيبَا^(٤)
وَسُلْطَانٌ لَهُ خَيْلٌ وَجَيْشٌ وَيَعْدُمُ عِنْدَ دَوْلَتِهِ نَصِيبَا



وَدُنْيَا الْقَلْبِ مَا أَتَمَّتْ بِرَوْتَقُ وَمَا يَبْدُو بِهَا جِجَرٌ وَجَوْسَقُ^(٥)
وَمَنْ أَرْضِي خَلَتْ بِلَ مِنْ سَمَاءِ وَاللَّهُ هُوَ تَغْشِيهَا فَتَفَرَّقُ
رَأَتْ عَيْنٌ ، أَتَى قَلْبٌ سَرِيعَا أَرَادَ يَقِيسُ عَالَمِنَا الْوَسِيعَا
وَهَذَا الْقَلْبُ سِكِّيرًا يَسْمَى تَحْشَى مَا بِهِ حُسْنًا بِدِيعَا



سَهَامُ الْعَشَقِ مِنْ عَيْنِ تَصِيبُ يَطِيبُ الْجَرْحُ وَالرَّامِي حَبِيبُ
يَصِيدُ الْقَلْبِ سَهْمُكَ فَلْتَدْعُهُ بِكُلِّ الصَّيْدِ ، مَنْ نَظَرَ تَوْوَبُ^(٦)

(١) المراد به هنا : هذه الدنيا . والقطين : الساكن والمقيم

(٢) تمنطق : شد وسطه بالمنطقة .

(٣) الدرب : الطريق .

(٤) الصليب : من معاني الصليب العود الذي يصلب عليه من يقتل .

(٥) الجوسق : القصر .

(٦) الصيد : اسم من صاد وبمعنى ما يصيد .

الذاتية

بنور الكبرياء لها اشتعال ومن نقص لها كل الكمال
مقامات الوصال لها فراق كما أن الفراق لها وصال

ومن جدل لقوم أن يُريحوا ليزهر عندهم أمل نجيح^(١)
بدت ذاتية سيفاً حساماً ويعرف حدة لون وريح

وجود الله أكتبها الوجوداً فكانت مظهراً جاز الحدوداً
أراها جوهراً من جوف بحر سواء بمثل من كن يجوداً
وطين جينما يرضاه قلب يطره لطيب النوم حُب
ومن نوم بخلق (أنا) سيضحو بجسم حين يحكمها سيخبو

لنا وصل فراق فيه يظهر وهذي عقدة للخل تنظر
تضيق جواهر من حضن بحر وليس لماء بحر ما لجوهر !

ولي من بابه هذا التراب ومن صدر له زهر عجاب
ولا أدري (أنا) أو ما عداها يصدر منه تخويني رحاب^(٢)

(١) أراح : استراح . والنجیح : الذي تنجح أموره .

(٢) يقول : إنه لا يعرف (أنا) ولا (هو) ولكن يعرف أن (أنا) في صدر (هو) .

الجبر والاختيار

سَيُوزَنُ كُلُّ شَيْءٍ يَوْمَ حَشْرِ
لَدَى الْإِنْسَانِ مِنْ جُحْرِ وَقَضَرِ
فَمَاذَا فِي غَدٍ يَا لَيْتَ شِعْرِي
أَيَرْضَى اللَّهُ عَمَّا سَوْفَ يَجْرِي ؟

وَلَيْ شَيْخٌ مِنَ الرُّهْبَانِ قَالَا
كَلَامِي ذَاكَ الْقَوْلُ إِلَيْهِ بَالَا
بِتَقْدِيرِ لَكُمْ عَمْرٌ سَيَفْنَى
سُقُتْلُ نَحْنُ بِالتَّذْيِيرِ طَالَا

الموت

لِرَبِّي قَالَ ذَا الْمَوْتُ الْمَرِيدُ
لَعِينِ أَصْلُهَا طِينٌ جَمُودُ^(١)
مَنْ الْإِنْسَانُ يَخْجَلُ قَبْضُ رُوحِ
أَمِنْ مَوْتٍ لَهُ الْعَارُ الْجَدِيدُ !

وَأَيُّدٍ فِيهِ مَنْ مَلَكَ الْجِهَاتِ
بِمَقْوَدِهِ يَقْوَدُ الْكَائِنَاتِ
لِذَلِكَ الْمَوْتِ مَا أَغْضِي حَيَاءُ
غَرِيبٌ عَنْهُ نَامُوسُ الْحَيَاةِ

إِلَى إِبْلِيسَ فَلَنتَقِلْ مَقَالِي
إِلَآمَ لِي التَّمَلُّمُ فِي الْعَقَالِ^(٢)
وَلَيْ دُنْيَا الثَّرَى لَا أَزْضِيهَا
فَفِيهَا الصَّبْحُ مَهْدٌ لِلَّيَالِي

(١) جمود العين : انقطاع دمعها .

(٢) المقال : القول . التملل : التقلب على الفراش من هم أو مرض .

وَلَمَّا أَخْرَجُوا الدِّينَا إِلَيْنَا ضَمِيرًا خَامِدًا فِيهَا رَأَيْنَا
بِفَيْرِ الرُّوحِ ابْنِ لَنَا لِهَيْبِ لَقَدْ خَلَقُوكَ مِنْ نَارِ لَدَيْنَا

فِرَاقٌ يَجْعَلُ الشُّوقَ الْبَصِيرَا بَعْمَقِ الْبَحْثِ يَجْعَلُهُ الْجَدِيرَا
وَلَكِنْ كَيْفَ حَالِكَ لَسْتُ أَذْرِي وَطِينٌ قَالَ لِي «كَانَ الْخَيْرَا»

لَقَدْ طَرَدُوكَ يَا مَنْ لَنْ يُعَادَا لَكَ التَّكْيِيرُ بَيْنَ الْخَلْقِ زَادَا
قَضَيْتُ الدَّهْرَ فِي بَلَوَى عَذَابِي فَقَلْبِي فِيهِ كَمْ زَرَعُوا الْقَتَادَا^(١)
مُصِيبًا مِزْتُ مِنْ غَيْرِ الْمُصِيبِ عِدِمْتُ النَّبْتَ فِي حَقْلِي الْجَدِيدِ^(٢)
وَلَمْ تَسْجُدْ فَمَنْ أَلَمْ تَقَاسِي أَخَذْتُ إِلَيْكَ مَالِي مِنْ ذُنُوبِ

تَعَالِ النُّرَّةُ فِي مَرْحٍ لِنَلْعَبُ وَدُنْيَانَا لِنَحْرِقَهَا فَتَعَطَّبُ
بَحْرِ مَنْ هَشِيمٌ كَانَ فِيهَا لِنَصْنَعُ جَنَّةَ الْأَفْلَاكِ فَاعْجَبُ

إِبْلِيسُ التَّرَابِيِّ وَإِبْلِيسُ النَّارِيِّ

فَسَادُ عَصْرِنَا أَوْقَى وَأَثْقَلُ وَأَفْلَاكُ تَشَاهِدُهُ فَتَخَجَلُ
أَلَيْسَ لَدَيْكَ لِلنَّظَرَاتِ ذَوْقُ لَتُخْدَمَ عِنْدَ شَيْطَانٍ وَتُحْمَلُ

(١) القِتَاد : الشوك .

(٢) النَّبْتُ : النباتات .

وَمَنْ عَيْنَاهُ وَالْأَذْنَانِ مَارِقٌ تَرَصَّدُ فِي الظَّلَامِ لِسْبِ خَافِقِ
وَكَانَ السَّعْرُ فِي الْأَسْوَاقِ بَخْسًا بَفَلَسٍ تَشْتَرِي ذَنْبًا ؟ تَحَامِقُ^(١)

عَجِيبُ السَّعْيِ شَيْطَانٌ عَجِيبُ يَسْخَرُ لِلْعَمَى عَيْنًا يَصِيبُ
اسْمَى ذَلِكَ الشَّيْطَانُ مَيْتًا فَمَثَلُكَ صَيْدُهُ وَهُوَ الْعَلِيبُ^(٢)
لَهُ كَأْسٌ بِهَا مَمٌّ ذَهَابًا لَقَتِلَ الرُّوحَ ، جَسَمٌ مَا هُنَاكَ
لَكَ الْحَلَقَاتُ تَبْدِيهَا شَبَاكَ وَمَا شَاهَدْتَ فِي الْحَبِّ الشَّبَاكَ !

هَوَى الْإِنْسَانُ مِنْ أَعْلَى مَقَامٍ فَضَاقَ مَجَالُهُ عِنْدَ ارْتِطَامِ^(٣)
بَلَا طَعْمٍ وَلَا لَوْنٍ ذَنْوَبُ وَإِبْلِيسُ لَهُ طَبْعُ الْأَنَامِ^(٤)

وَمَنْ شَيْطَانٍ هَذَا الْعَصْرِ فَاحْذَرْ خَسِيسٌ مَنْ يَضْلُلُّهُ وَيَسْخَرُ
أَرَى إِبْلِيسَ خَيْرًا مِنْهُ حَقًّا رَأَى الرَّحْمَنَ فَهُوَ بِذَاكَ يَفْخَرُ
لَهُ النَّدُّ الْمَغَالِبُ مِنْ هُمَامٍ وَبِالنِّيرَانِ يعلُو فِي الْمَقَامِ
وَمَا كُلُّ التَّرَابِ رَمَاهُ صَيْدًا وَأَعْجَفَ أَنْ يَصِيدَ مِنَ الْحَرَامِ^(٥)

خَسِيسُ الطَّبْعِ هَذَا لَيْسَ يَفْهَمُ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فِيهِ قَدْ تَحْتَمُّ

(١) حَامِقُهُ : سَاعَدَهُ عَلَى الْحَمَقِ ، فَكَانَ بِذَلِكَ الثَّمَنِ السَّخِي فِي الذَّنْبِ يَعِينُ الْحَمَقَى الَّذِينَ يَبِيعُونَ بِالْثَّمَنِ الْقَلِيلِ .

(٢) الْعَلِيبُ : الْكَثِيرُ الطَّلَبِ .

(٣) الْارْتِطَامُ : الْوُقُوعُ فِي الْوَحْلِ .

(٤) الْأَنَامُ : النَّاسُ .

(٥) الْأَعْجَفَ : الْهَزِيلَ .

أَبَالَسَةُ بِهَذَا الْعَصْرِ جَافَى غَيُورٌ وَهُوَ طَوَّلُ الْعَصْرِ بِأَثَمِ

إِلَى رُفَقَاءِ الطَّرِيقِ

تَعَالِ لِقَوْمِنَا أَمْرًا نَذْبُرُ لِنَكْسِبَ إِنَّ هَذَا الْعَيْشَ مَيْسِرُ
نَصْعَدُ فِي مَسَاجِدِنَا أَيْنَمَا عَلَى إِخْرَاقِ قَلْبِ الشَّيْخِ يَقْبِرُ

وَصَفَّرُ فِي السَّمَوَاتِ الْقَلْبُودَ لَخَفَقَ جَنَاحُهُ ذُو الثَّقَلِ أَصْغَرُ^(١)
وَفِي هَذَا الْفَضَاءِ لَهُ مَصَادُ بَعَثُ لَمْ يَطْفُفَ فَالْعُمُرُ أَغْبَرُ

وَلَحْنُ اللَّهِ مِنْ رَوْحِي تَرَدَّدُ مَنَاعُ الْكَوْنِ عَثِيرُهُ تَصْعَدُ^(٢)
وَلِي فِي مَعْرِفِي وَتَرُّ بِنَارِ تَقْطَعُ ، يَا لَهُ دَمْعِي الْمَبْدُودُ

خَفَقْتُ كَدَمْعَةٍ سَالَتْ فِطْرَهُ إِلَى عَيْنٍ وَصَلْتُ بِفَضْلِ طَفْرِهِ^(٣)

(١) في القرن الثامن الهجري أنشأ من يدعى قلندر الأندلسي فرقة دينية من مبادئها طهارة القلب وقطع الإنسان ما بينه وبين دنياه من أسباب رغبة عنها وزهداً فيها ، ودوام الترحال . وكانوا يحلقون شعورهم ولحاهم وشواربهم وحواجبهم إمعاناً منهم في تشويه مظهرهم ، ورغبة في أن يعلنوا على الملأ أنهم لا يبالون إلا بما بينهم وبين ربهم ولا يكثرئون بما يشاهد الناس من ظاهريهم . ويريد إقبال بالقلندر من تخلى عن دنياه وكان اهتمامه ببواطن الأمور لا ظواهرها .

(٢) العثير : الغبار .

(٣) الطفرة : الوثبة .

ولي إشرافه في الهدب تبذو على هذا الهشيم نثرت قطره^(١)
ولم ينف منطق لي بالمرام دليل فيه خلو من تمام
سيفتح كل باب أو صدوه بيت قاله الرومي وجامي^(٢)



تعال إليك مني بنت حان تير الروح في طين الدنان^(٣)
ومن قارورتني فلتسوق غصنا لشهد فيه إنساناً يراني^(٤)



بكفي معزفي شعري يغني أنين فيه من لون ولون
عليه بمخلب الأسد عزفي به الأوتار من وجو المجن^(٥)
لكري العصر عني القول ينقل كفرها لدى الفأس تحمل ؟
بصدري شوكة أدمته وخزا لقلب الطود منها السيف يعمل



فقيرو نظرة لي كل مالي هشيم ما لصحي من جبال
على البازي أفضل زاع ميت ولو رياه كسرى في الدلال^(٦)

(١) الهشيم : النبات اليابس المتكسر .

(٢) راجع ما مضى عن جلال الدين الرومي ، وجامي .

(٣) الدنان : جمع دن وهو جرة الخمر .

(٤) يقول : إذا سقيت غصناً من خمري أصبح هذا الغصن إنساناً .

(٥) المجن : الثرس . وفي الأصل أن أوتاره من عروق الحجر .

(٦) الزاغ : الغراب . والإشارة هنا إلى جوارح الطير التي تأكل جثث الموتى . ولتفسير

ذلك نقول : إن المجوس لا يدفنون جثث موتاهم في الأرض التي يعتقدون أنها من خلق إله الخير ويحرم تنجيسها . فهم يضعون جثة الميت على منصة عالية ويعرضونها لجوارح الطير حتى تأكلها . أما ما تبقى من عظامها فيلقون به في البحر .

لقلبي قط ما أوصدت بابا ولا قاطعت أهدلاً أو صحاباً
 قبعث بمجلسي في عقر صدري فجزت بمجلسي هذا السحاباً^(١)
 عدمت بروضه عزّي وجاهي نصيبي أي شيء كني أباهي ؟
 وصاحبها يسميني وقاحاً بعين نرجس جذب اثباهي^(٢)

وللعلماء في الحفل المزيّن كلام رقّ مثل الياسمين
 ولكن من رأى في الروض شوكة لوصف الروض بالقول اليقين ؟

بعلم أو بفن ما اهتمامي مقام آخر فيه كلامي
 ضعيف الركب يجعله لهيبي خفيف الخطو يعدو في الأمام
 أتحييني لفجر عندليبا وحسبي الروض أفعمه نجيباً
 تمسك بي تجذ مفتاح روضي بعشي كنت تخشى أن يغيباً

هي الدتيا لعيني الممرؤ رفيق ليس لي والكل سفرؤ^(٣)
 تفازي من قويب كان خيراً غريب وهو لي هم وشؤ

وفي عدم تعلم كيف تحيا وزد ذاتاً من التقدير هيا

والمراد بالبازي هنا : ذلك البازي الذي يربيه الملوك في قصورهم لاستخدامه في صيدهم .

(١) قبع : أدخل رأسه في فتحة ثوبه . وعقر البيت : وسطه .

(٢) الوقاح : الوقح .

(٣) السفر : المسافرون .

وفي أعماق أنفاسي تقيب
وتربيبي بتلك الأرض كأننا
تبث بها بفيض من نداءها
بيخري لؤلؤ فاسكن ملياً^(١)
ولكن اجتويها لي مكاناً^(٢)
سماء لي أشهد لها عيائنا

إلى نفس الرجال كن القريبنا
شكاة الذات همهم يجافي
لهم أنفاسهم تحيي القلوبنا
فما عن ذاته كان الغريبنا

لتخلق نظرة والروح أبصر
ولأفلككن سهماً لقوس
تغرب عقلنا ذا عن يقين
جهول كان خيراً من حكيم
تجد زهراً بغصن غير مزهر
ومن يزمي له هدفاً يُقذّر^(٣)
بدا كمقام العلم المشين^(٤)
بنظرته إلى الحق المين

ومن ذهب ودر ما المرام
من الدارين شيء لا يرجى
وما سرج المطهم والغلام^(٥)
وذاك لمال ذي الفضل القوام

وسكر أنا لتلك الذات عقل
شرابي ما صفاً ، لكن ترشف
وإن الصمت في حاني لفضل
ففي يوم مضى للذن بزل^(٦)

(١) ملياً : زماناً طويلاً .

(٢) التريب : التربية .

(٣) يشبهه بالسهم الذي يحدد راميهِ الهدف ولا يحدد هو هدفه بنفسه .

(٤) المشين : المعيب .

(٥) الجواد المطهم : التام الحسن .

(٦) بزل الدن : ثقبه لأخذ الخمر منه .

لَدَيْكَ بِخَرْقَةٍ أَوْ فِي نَصِيبٍ وَمَنْ ذَاتِي وَجَدْتُ شَذَا الْحَبِيبِ^(١)
لَدَيَّ الْمَالُ مِنْ خَشَبٍ لِنَاءٍ وَلَيْسَ لِمَنْبِرٍ أَوْ لِلصَّلِيبِ^(٢)

مَعْرَاةٌ لِدَاتِي قَدْ بَصُرْتُ بِصَدْرِي خُلُوءٌ فِيهَا قَرَزْتُ
مَنْ الْعَمِيَانِ فِي عِلْمٍ وَقَرْنُ يَبْلَغَالٍ قَدِيمٍ لَيْسَ فَرَزْتُ

رَجِيلِي حَانَ عَنْ هَذَا التَّرَابِ فَقَالَ الْكُلُّ « كَانَتْ مِنَ الصَّحَابِ »
فَمَنْ هَذَا الْمَسَافِرُ لَيْتَ شِعْرِي وَمَنْ قَدْ خُصَّ بِالْقَوْلِ الْعَجَابِ
عَلَيْهِمُ الْقَلْبِ رَقَرَاقُ الضَّمِيرِ أَمِيرٌ وَهُوَ يُعْرِفُ بِالْفَقِيرِ
وَلَيْسَ لِمَعْدَمٍ دِينًا وَعِلْمًا قَبَاءٌ بَلْ لَهُ سَرَجُ الْحَرِيرِ

لَجَمُ أَنْتَ تَجُذُّ أَوْ لِدَارًا فَلَا تُلْحِقْ بَيْتَ اللَّهِ عَارًا^(٣)
وَلَا تَطْلُبْ إِلَى الْغَرْبِيِّ شَيْئًا بِقَلْبِكَ حَطَمِ الصَّنَمَ الْمَعَارَا

بِمَنْعِي طَافَ مِنْ شَيْخٍ كَبِيرٍ لَهُ عَقْلٌ وَاشْرَاقُ الضَّمِيرِ
« فَقِيرٌ إِنْ يَصُنْ بِالْفَقْرِ ذَاتًا فَمَلِكُ الْعَالَمِينَ لَذَا الْفَقِيرِ »
وَفِي حَرْفَيْنِ هَذَا السُّرُّ يَسْتَرُ مَقَامَ الْعَشْقَى لَا يُدَوِّ كَمَنَبَرُ
وَأَبْرَاهِيمُ نَمْرُودًا أَيْخَشَى لَعُودٍ نَفْحَةً بِالنَّارِ تَنْشَرُ

(١) الخرقه : الثوب الخشن البالي الذي يلبسه الصوفي .

(٢) الصليب : من معانيه العود يصلب عليه من يقتل .

(٣) جم : هو الملك جمشيد من ملوك الأساطير عند الفرس وهو مذكور بعظمة الملك .

بذاتِكَ فَالتَزِمَ خَلَّ الوَفَاءِ
وَصْنٌ وَشَمًا قَدِيمًا فِي الخَفَاءِ^(١)

أَلَا يَا زَهْرُ مَا طَلَبُ العِزَاءِ ؟
وَصَدْرَكَ افْتَحَنْ لِكُلِّ رِيحٍ

« بِرُوحِكَ وَحَدَهَا عِشْنُ يَا بَنِيَا
بِجَسْمٍ لَا بِرُوحٍ وَهُوَ يَحْيَا »
بِفِرْعَوْنِيَّةٍ ذَاتِي أَقْدِرُ
وَأَرْقُصُنْ بِانْتِظَارٍ فِيهِ أَصْبِرُ

يَدُوِّي النَضْحُ فِي سَمْعِي دَوْنًا
لِتَحْذَرُ مِنْ أَضَاعِ الرُّوحِ رَهْنًا
لِلشَّطِّ قَالَ مَسُوجٌ وَهُوَ يَهْدُرُ
عَلَى ذَاتِي التَّفَافِي مِثْلُ أَفْعَى

عَلَى عَتَبَاتِهِ عَفَّرُ جَبِينَا^(٢)
كَغَيْرِ سَيْقٍ فَلَتَكُنْ الْمِهِينَا^(٣)

يَجَاهِ الغَرْبِ إِنْ كُنْتُ الْقَمِينَا
أَذِرْ لِعَصَاهُ عِنْدَ الضَّرْبِ ظَهْرًا

خِلَاءَ مَلَكُهُ مِنْ كُلِّ دِينِ^(٤)
وَتُوجِّشُ غِيَّةَ الرُّوحِ الْأَمِينِ^(٥)
كَعَطْرِ الْوَرْدِ مِنْ أَصْلِ هَرْتَنَا
لَنَا مَوْتَيْنِ نَحْنُ قَدْ اشْتَرَيْنَا !

وَأَيُّنَ فَوَادُهُ طُوعَ الْيَمِينِ
شَيْطَاطِينَ تَطُوفُ لَهُ بَيْتِ
وَمِنْ قَلْبٍ وَمِنْ دِينٍ يَشْنَا
وَمَاتَ الدِّينُ مِنْ مَوْتٍ لِقَلْبٍ

لِرَبِّي مِنْهُ تَعْفِيرُ الْجَبِينِ
أَذَارَ الْأَرْضِ مِنْهُ بِالْيَمِينِ

حَنِيفٌ كَانَ يَعْرِفُ قَنَرَ دِينِ
بِمَا لَا يَشْتَهِي الْأَفْلَاكَ دَارَتْ

(١) الوسم : أثر الكمي .

(٢) القمين : الجدير .

(٣) العير : الحمار .

(٤) يريد الرجل من الفرنجة .

(٥) الروح الأمين : سيدنا جبريل .

مَنْ دُنِيََا لَنَا قَلْبٌ غَرِيبٌ لَهُ الْإِيْمَامُ مِنْ فَلَكٍ نَصِيبٌ^(١)
 صَلَاةُ الْعَشْرِ مِيْزَهَا بِسَوْفَتِ فَلَيْسَ لَهَا الْمَوْذُنُ وَالْخَطِيبُ
 مَقَامُ الْعَشْرِ يَفْعُهُ الْيَقِيْنُ يَقِيْنًا يَصْحَبُ الرُّوحَ الْاَمِيْنُ
 إِذَا حَصَلَتْ مِنْ هَذَا نَصِيْبًا فَسِرْ قُدْمًا ، فَمَا اعْتَرَضَ الْكَمِيْنُ

وَعِزِّقَانٌ وَإِذْرَاكَ لِمَسْلَمٍ وَعَيْنِيهِ « يَلُولَا » الْذَاتِ يَفْعَمُ^(٢)
 سَمَا رَبِّي سَمُوءًا عَنْ قِيَاسِ بِقَاتِلِ « مَا عَرَفْنَا » النَّفْسِ أَكْرَمُ^(٣)

وَأَضْنَامَ الْفَرَنْجَةِ مَا عِبَدْنَا بِمَعْبِدِهِمْ فِثْسَ الْمَوْتِ مِثْنَا
 وَعَقْلُكَ كَانَ عَنْ قَلْبٍ غَرِيبًا فَمَا بِسَلَاكِ مِنْ سَلَفُوا سِكْرَتَا^(٤)
 أَكَلُ النَّاسِ مِنْ نَفْسًا يُبِيْلُ وَمِنْ سُكْرِ التَّدْلِيلِ مَنْ يَمِيلُ
 قَبْسًا « لَا إِلَهَ » بِهِ دِمَاءُ عَلَى قَدْ الْخَسَاسِ هَرَّ الطَّلْوِيلُ

وَيَحْرِقُ مُؤْمِنًا حَرُّ الْوَقِيدِ مِنْ الْأَبْوَابِ يَفْتَحُ مَا يَرِيدُ^(٥)
 جَلَالُ الْكِبَرِيَاءِ لَهُ قِيَامٌ جَمَالُ الصَّبْرِ يَظْهَرُهُ الشُّجُودُ

أَتَسْأَلُ عَنْ صَلَاةِ الْعَاشِقِيْنَا وَفِيهَا خُفْيَةٌ هُمْ سَاجِدُونَا
 أَرَى « اللَّهُ أَكْبَرُ » مِثْلَ نَارٍ أَفِي خَمْسٍ بَدَتْ لِلنَّاطِرِيْنَا

-
- (١) يريد ليقول إن القلب الغريب الطبع ليس من دنيانا .
 (٢) التلميح إلى (لولاك لما خلقت الأفلاك) هكذا في الأصل .
 (٣) الإشارة إلى (ما عرفناك حق معرفتك) هكذا في الأصل .
 (٤) السلاف : الخمر .
 (٥) الوقيد : الوقود .

يَدَاءُ الْعَالَمِينَ بِهَا يَدُومُ وَمِنْهَا مُسَلِّمٌ خَلِداً يَرُومُ
صَرِيحُ الْعَصْرِ فِينَا لَيْسَ يَذْري قِيَامَاتٍ ۖ لَقَدْ قَامَتْ ۖ تَقُومُ

رَأَى مَتَفَرِّجُ اللَّهِ حُكْمَا فِيرْزُقُ وَهوَ يَطْلُبُ مِنْهُ دَوَمَا
عَلَى الشَّيْطَانِ أَغْدَقَ أَيُّ رِزْقِ ! إِلَى أَنْ حَارَ فِيهِ اللَّهُ يَوْمَا

وَفِي قَوْلِي لِمَ الْإِسْهَابُ كَانَا أَقُولُ الْحَرْفَ عَنْ سِرِّ أَبَانَا^(١)
وَعَالِمُهُ لِمَتَجَرِّبِينَ أَغْطَى مَكَانَ كَيْفَ يَذْري اللَّامَكَانَا
لِمَنْ تَضْمَنُوا قُلُوبُهُمْ نَعِيمُ وَآخِرُ فِيهِ ذُو هِمَمٍ يُقِيمُ
فَبَلِّغْ مُسْلِمًا فِي الْهِنْدِ بُشْرَى ۖ نَعِيمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ شِيمُوا^(٢)

إِلَى التَّقْرِيرِ مَا مَالَ الْقَلَنْدَرُ كَأَكْسِيرٍ لَهُ رَأْيٌ يَقْدَرُ
وَهَذَا الْحَقْلُ أَقْفَرُ مِنْ حَصَادٍ فَمَا يَرْوي ثَرَاهُ دَمٌ لَشَبَرٍ^(٣)

(١) أبان عنه : فسر .

(٢) شيموا : انظروا .

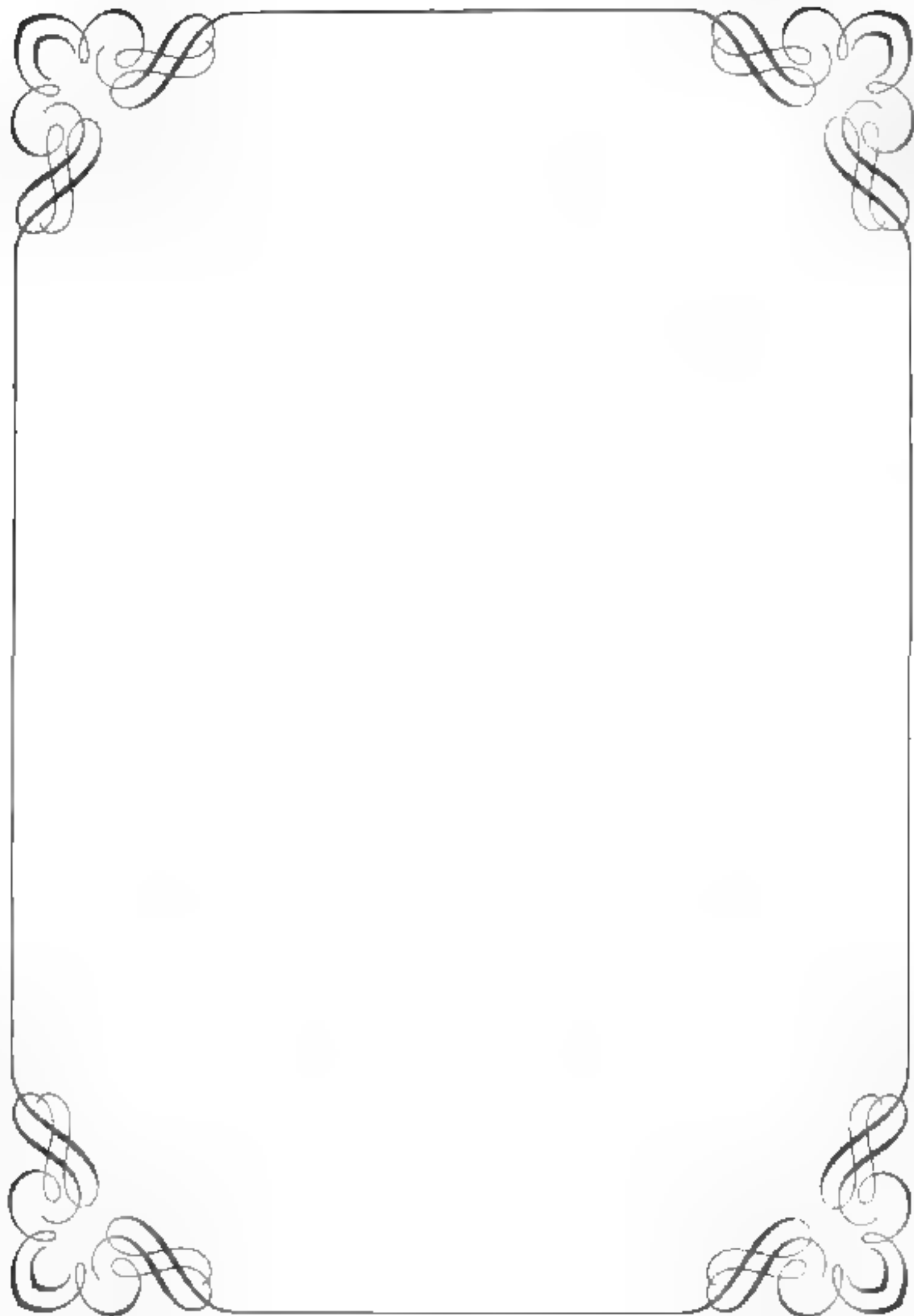
(٣) الحصاد . الزرع . شير : اسم الحسن بن علي رضي الله عنه .

القسم الرابع

قَمَائِد



(١) من هُنا القسم الرابع والخامس لهذا الديوان نقلها من الأردوية إلى العربية نثراً الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم .



برلمان إبليس

هذه قصيدة بديعة لمحمد إقبال ، وصف فيها وصوّر جلسة برلمانية ، حضرها وتناقش فيها شياطين العالم ووكلاء النظام الإبليسي ، واستعرضوا فيها الاتجاهات والحركات والمذاهب السياسية العصرية التي تهدّد مهمّتهم في العالم وتُحبط مساعيهم ، أو تعرقل سيرهم ، وأبدوا فيها آراءهم ، ووجهات نظرهم ، وترأس هذه الجلسة ، وأشرف عليها « إبليس » فحكم على هذه الآراء والدراسات ، وعارض أكثرها في ضوء تجاربه الواسعة ، ويُعَدّ نظره الذي لا يشاركه فيه أحد من تلاميذه ، وأدلى برأيه الحصيف المؤسّس على الدراسة الواسعة العميقة ، وهو يتلخّص في : أنّ المسلم هو المنافس الوحيد ، والمصارغ الكفء لنظامه ، وهو الشرارة التي تتحوّل ناراً بسرعة ، فالمصلحة والرأي أن يركّز « الزملاء » تفكيرهم على محاربة هذا العدو ، أو إلهائه وتنويمه ، وقد جاء في هذه القصيدة من الوصف الصادق الدقيق للمسلم ، ومن الملاحظات الصائبة الدقيقة عن كثير من المذاهب السياسية وزعمائها ما يفيد الاطلاع عليه ، وإليك محضر الجلسة :

« إنّ الشياطين وزملاء إبليس وأعوّاته اجتمعوا في مجلس شوري ، وتباحثوا في سير العالم ، وأخطار الغد ، وفتنه ، وما يتوجّسون من خيفة على نظامهم الإبليسي ، ومهمّتهم الشيطانية ، فتذكروا في فتن وأخطار قد أحدثت بهم ، وهدّدت نظامهم ، وجلّلوا خطبها ، وتناذروا شرّها ، فذكر أحدهم « الجمهورية » وحسب لها حساباً كبيراً ، فقال الثاني : لا يهولك أمرها ، فإنّها ليست إلا غطاءً للملوكية ، ونحن الذين كسونا الملوكية اللباس الجمهوري ؛ إذ

رأينا الإنسان بدأ ينتبه ويفيق ، ويشعر بكرامته ، وخفنا ثورة على نظامنا قد لا نُحمدُ عاقبتها الهيناء بلعبة الجمهورية . وليس الشأن في الأمير والملك ، إنَّ الملوكية لا تنحصر في وجود شخصي تركز فيه الملوكية ، وفرد يستبدُّ بالسلطان ، إنَّما الملوكية أن يعيشَ الإنسانُ حياً على غيره ، مستشرفاً إلى متاع غيره ، سواءً في ذلك الشعبُ والفرد ، أما رأيت نظام الغرب الجمهوري ، وجهه مشرقٌ وصَّاحٌ ، وباطنه أظلم من باطن جنكيزخان .

فقال الآخر : لا بأس إذا بقيت روحُ الملوكية ، ولكن ماذا يقول النائب المحترم في هذه الفتنة الدَّهماء التي أثارها هذا اليهوديُّ الذي يدعى « كارل ماركس » ذلك الباقعة الذي ليس نبياً ، ولكنه يحملُ عند أتباعه كتاباً مقدساً ، هل عندك نبأ أنَّه أقام العالم وأقعده ، وأثار العبيد على السَّادة ، حتى تزعزعت مباني الإمارة والسِّيادة ؟

فقال الآخر مخاطباً رئيس المجلس : يا صاحبَ الفخامة ! إنَّ سحرة أوربة ، وإن كانوا مرديدك المخلصين ، ولكنَّ لم أجد أثق بفراستهم ، هاهو السامريُّ اليهوديُّ الذي هو نسخة من « مزدك » (الزعيم الفارسي الاشتراكي) ، قد كاد يأتي على العالم بقواعده ، فاستنسر البُغاث ، وأصبح الصعاليك يزاحمون الملوك بالمناكب ، ويدفعونهم بالراح (أعلامُ أرضٍ جُعِلَتْ بطائعا) إنا قد استهنا بخطب هذه الحركة الاشتراكية . وهاهي قد استفحلت وتفاقم شرُّها ، وهاهي الأرضُ ترتجفُ بهولِ فتنة الغد . يا سيدي ! إنَّ العالمَ الذي كنتَ تحكمه سينقضُّ عليك ، وينقلبُ نظامُ العالم ظهراً لبطن .

فتكلم رئيسُ المجلس « إيليس » وقال : إنِّي أملك زمام العالم ، وأنصرف به كيف أشاء ، وسيرى العالمُ عجباً إذا حرَّشت بين الأمم ، فتهاوشت الكلابُ ، وافترسَ بعضها بعضاً ففعلَ الذئاب ، وإذا همَّشتُ في آذان القادة السياسيين ، وأساقفة الكنائس الروحانيين فقدوا رُشدَهم ، وجُنُّ جنونُهم .

أما ما ذكرتم من الاشتراكية ، فكونوا على ثقة أنَّ الحُرْق الذي أحدثته

الفطرة بين الإنسان والإنسان لا يرفؤه المنطقُ المزدكي (يعني الفلسفة الاشتراكية)
لا يخوفني هؤلاء الاشتراكيون الطرداء ، والصعاليك السفهاء .

إن كنتُ خائفاً ، فإنِّي أخافُ أمةً لا تزال شرارة الحياة والطموح كامنةً في
رمادها ، ولا يزال فيها رجالٌ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، وتسبِلُ دموعُهم
على خدودهم سَحَرًا ، لا يخفى على الخبير المتفرّس : أنَّ الإسلام هو فتنةُ الغد ،
وداهيةُ المستقبل ، ليست الاشتراكية .

أنا لا أجهلُ أنَّ هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجوراً ، وأنها فُتِنَتْ بالمال ،
وُثِّفَتْ بجمعه ، وادخاره ، كغيرها من الأمم ، أنا خيرٌ بأنَّ ليل الشرق داجٍ
مكفهرٌ ، وأنَّ علماء الإسلام وشيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التي تشرق
لها الظلمات ويضيء لها العالم ، ولكنِّي أخاف أنَّ قوارعَ هذا العصر وهزَّاتِهِ
ستقضى مضجعها ، وتوقف هذه الأمة ، وتوجهها إلى شريعة محمد (ﷺ) ، وإنِّي
أحذركم وأندركم من دين محمد (ﷺ) ، حامي الدِّمار ، حارس الدِّم
والأعراض ، دين الكرامة والشرف ، دين الأمانة والعفاف ، دين المروءة ،
والبطولة ، دين الكفاح والجهاد ، يلقي كلُّ نوع من أنواع الرُّق ، ويمحو كلُّ أثرٍ
من آثار استعباد الإنسان ، لا يفرِّق بين مالك ومملوك ، ولا يؤثر سلطاناً على
صعولك ، يزغِي المال من كلِّ دنسٍ ورجس ، ويجعله نقياً صافياً ، ويجعلُ
أصحاب الثروة والملأك مستخلفين في أموالهم ، أمناء الله ، وكلاء على
الأموال ، وأيُّ ثورةٍ أعظم ، وأيُّ انقلابٍ أشدَّ خطراً مما أحدثه هذا الدِّينُ في عالم
الفكر والعمل ، يومَ صرَخَ : إنَّ الأرض لله لا للملوك والسلاطين .

فابذلوا جهدكم أن يظلَّ هذا الدِّينُ متوارياً عن أعين الناس ، وليهتكُم أنَّ
المسلمَ بنفسه هو ضعيفُ الثقةِ برَّه ، قليلُ الإيمانِ بدينه ، فخيرٌ لنا أن يظلَّ مشغولاً
بمسائل علم الكلام ، والإلهيات ، وتأويل كتاب الله ، والآيات ، اضربوا على
أذان المسلم ، فإنَّه يستطيع أن يكسرَ طلاسَمَ العالم ، ويطلَّ سحرنا بأذانه
وتكبيره ، واجتهدوا أن يطول ليله ، ويطلَّ سَحَرُهُ ، اشغلوه يا إخوتي !

عن الجِدِّ والعمل ، حتى يخسر الرّهان في العالم ، خيرٌ لنا أن يبقى المسلم عبداً لغيره ، ويهجّر هذا العالم ، ويعتزلّه ، ويتنازل عنه لغيره زهداً فيه واستغفافاً لخطره ، يا ويلتنا ! يا شقوتنا ! لو انتبهت هذه الأمة ، التي يَغزُمُ عليها دينها أن تراقب العالم وتعهّه ،^(١) .

مؤامرة أنصار الباطل ضد المسلم :

وفعلًا نجح شياطينُ الإنس والجنّ في مهمّتهم ، وكانت مؤامرةٌ مبيتةٌ ضدّ الإسلام ، وخطّةٌ منظمّةٌ ضدّ أجياله القادمة ، فأكبر ما اهتموا به هو إطفاءُ الجمرَةِ الإيمانِيّةِ ، التي لا تزال كامنةً في الرّماد ، وتجريدُ المسلمين في بلاد العرب والعجم من الحِمِيّةِ الدّينيّةِ ، والعاطفةِ الإسلاميّةِ ، التي تحمل أصحابها على التضحية والجهاد ، وتحملُ الشدائد والمكاره في سبيل الله ، والثورة على الباطل ، وقد أوصى بذلك إبليسُ أشياعه وجنده ، يقول محمد إقبال في قصيدة عنوانها (وصية إبليس إلى تلاميذه السياسيين) :

« إنَّ المجاهدَ الذي يصبرُ على الجوع ، ولا يحسبُ للموتِ حساباً ، أخرجوا روحَ محمد (ﷺ) من جسمه ، فيصبحُ قليلَ الصّبر ، جزوعاً من الفقر ، شديدَ الخوف من الموت ، وأشغولوا العرب بالأفكار الفرِيّةِ ، وانتزعوا من أهل الحرم تراثهم الدّينيّ تمكّنون بذلك من إجلاء الإسلام من الحجاز واليمن ، إنّ في الأفغان غيرةً دينيةً ، وعلاجُها أن يقصّي العالمُ الدّينيُّ من جبالها وسهولها » .

وكان من أقرب الطُّرق للوصول إلى هذا الهدف هو التعليمُ الذي يجرّد الشباب المسلم من الروح الدّيني والعواطف الإسلاميّة والعقلية الإسلاميّة ، وينشئُ فيه طبيعةً النّفعيّة والأبيقورية ، وطبيعةً التّهام الحياة ، وانتهاجِ

(١) كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٣٦م ، كما هو مكتوب تحت عنوان القصيدة في الأصل .

المسرات ، وتقديس المادة ورجالها ، وعدم الاستقامة الخلقية والتماسك ، وضعف الثقة بالنفس ، والشك في الدين ، لذلك يرى شاعرٌ هندي آخر اسمه : أكبر الإله آبادي : أنَّ فرعون مصر أخطأ الرمية ، وجانبه التوفيق في تحقيق فكرة القضاء على بني إسرائيل ، فقد التجأ في قتلهم وإبادتهم إلى طرقٍ سافرة الصفت به العار ، وأثارث عليه اللعنات ، فكان يقتل أبناءهم ، ويستحي نساءهم ليأمن ثورة بني إسرائيل ، وغائلتهم في المستقبل ، ولو أنه رُزق شيئاً من الابتكار ، وبُعد النظر ، ودقّة التفكير ، لاكتفى بتأسيس كلية لبني إسرائيل ، ينشئ الجيل الإسرائيلي الجديد كما يشاء ، ويسبك العقول والطباع سبكاً جديداً ؛ لا يدع مكاناً لنشأة شاب مثقف يشعر الشعور الديني ، ويحمل العاطفة الدينية ، والغيرة القومية ، ويهتم بشيء آخر غير الوظائف ، والمناصب ، والمراتب ، والدرجات ، لو أنَّ فرعون وُفق لهذا المشروع لتفادى هذه المتاعب ، وسوء الأحداث ، ووصل إلى غايته في سهولة ويسر ، وهدوء وسلام ، وزيادة على ذلك اشتهر في الناس بلقب « حامي العلم » و« مربّي الجيل » وناشر الثقافة والتعليم في الشعب .

نجاح أنصار الباطل في إضعاف الروح الديني :

ويرى محمد إقبال أن أنصار الباطل قد نجحوا نجاحاً كبيراً في فكرتهم ، وجهودهم ، فضعف الشعور الديني في بلاد الإسلام ، وخمدت جذوة الإيمان ، وفقدت البطولة الإسلامية وروح الجهاد ، وفشت النفعية ، وجمحت المادية ، يقول الشاعر : وقد ساح في كثير من البلاد الإسلامية والعربية : « لقد تجوّلت في بلاد العرب والعجم ، فرأيت خلفاء أبي لهب كثيرين تفيض بهم البلاد ، والمتشبعين بروح محمد ﷺ كالكبريت الأحمر ، وعتقاء المغرب » . ويقول في قصيدة قالها في فلسطين : « لا أرى في بلاد العرب تلك اللوعة القلبية التي كان يمتاز بها العرب ، ولا في بلاد العجم ذلك السموّ الفكري الذي كان يمتاز به العجم ، لا تزال دجلة والفرات متعطين إلى بطل من أبطال

الإسلام ، ولكنني لا أرى في قافلة الحجاج أحداً يقوم مقام الحسين .

يشعرُ محمد إقبال بهذا التدهور الذي وقع في حياة المسلمين ، ويتألم لذلك أشدَّ الألم . ويبكي دماً ، وشعره يفيض بهذه الأنات والدموع ، يقول في أبيات : « يا وارث التوحيد الإسلامي لقد فَقَدْتَ الكلامَ الجذابَ الساحر ، والعملَ المسخرَ القاهر ، لقد كنت يوماً من الأيام إذا نظرت إلى أحدٍ ارتعد فرقاً منك ، وطار قلبه شعاعاً ، وقد أصبحت اليوم كسائر الناس ، لا تحملُ روحاً ولا تجذبُ نفوساً » . ويقول في موضع آخر : « إنَّ السجدة التي كانت تهتزُّ لها روحُ الأرض ، لقد طال عهدُ المحراب بها ، واشتاق إليها المسجد ، كما تشتاق الأرضُ الجديية الخاشعة إلى المطر ، لم أسمع في مصر ، ولا في فلسطين ذلك الأذان الذي ارتعشت له الجبال بالأمس » . ويقول في بيتٍ : « لقد فقد المسلمُ لوعةَ القلب ، وانطفأت نارُ الحياة فيه » فأصبح ركامها من تراب » . ويقول : « لم أر في محيطك أيُّها المسلم لؤلؤةَ الحياة ، قد بحثتُ عنها موجةً موجةً ، وتفقدتها صدفةً صدفةً » .

ويرى محمد إقبال أنَّ مصدر هذا التدهور هو القلبُ الذي خوى من الإيمان وشعلة الحياة ، يقول : « لقد فقدَ المسلمون سَوْرَةَ الحبِّ الصادق ، ونزَفَ منهم دَمُ الحياة ، أصبحوا هيكلاً من عظام ، لا روحَ فيه ولا دم ، الصفوفُ زائفة ، والقلوبُ مضطربة ، والسجدة لا لذَّةَ فيها » ذلك لأنَّ القلب خالي من الحنان » .

اليقظة الإسلامية :

هذا ، ولكنَّ محمد إقبال يعتقد أنَّ الصَّدَمَاتِ السياسية التي أصيب بها العالم الإسلامي أفضَّت مضجع المسلمين وأيقظتهم ، ودبَّ فيه دبيبُ الحياة ، يقول في قصيدته البليغة « طلوع الإسلام » : « إذا رأيت النجومَ شاحبةً منكسرةً تخفق ، فاعلم أنَّ الفجرَ قريب ، هاهي الشمس قد ذرَّ قرنهما من الأفق ، وولَّى الليلُ على أدبارهِ ، إنَّ عاصفة الغرب قد أعادت المسلم إلى الإسلام ، فإِنَّمَا تتكوَّنُ اللائحةُ

في البحر المتلاطم الهائج ، ولقد دبَّ دبيب الحياة في الشرق ، وجري الدَّم الفاتر في عروقه الميتة ، وذلك سرُّ لا يفهمه ابنُ سينا ، والفارابي ، إنَّ المسلم سيُمنعُ من الله الأبهة التركية ، والذكاء الهندي ، والنطق العربي ، ويقول في بيت :
 « إنَّ إقبالاً ليس يائساً من تربته الحقيرة ، فإنَّها إذا سقيت أنت بحاصل كبير » .

المسلم هو باني العالم الجديد :

ويرى محمد إقبال أنَّ الحضارة الغربية قد مثَّلت دورها ، ونثرت كنانتها ، وقد شاخَتْ وهَرِمَتْ ، وأتَّعت كالفاكهة ، وحانَ قطافها ، وأنَّ العالم القديم الذي حوَّله مقامرو الغرب إلى حانة الفساد والمقامرة منهاز قريباً ، والإنسانية تتمخضُ بعالم جديد ، ويعتقد محمد إقبال أنَّ هذا العالم الجديد لا يُحسنُ تصميمه إلا من بنى للإنسانية البيت الحرام بالأمس ، وورث إبراهيم ومحمداً ﷺ في قيادة العالم وإرشاده ، فيهيبُ محمد إقبال بهذا المسلم النائم ، وينشدهُ بالله أن يقومَ ويمسحَ النَّوم من عينيه ، فقد ظهر الفسادُ في البرِّ والبحر ، وعاثَ الأوربيون في الأرض ، وأفسدوا فيها بعد إصلاحها ، وخربوا العالم وملؤوه ظلماً وظلمات ، وشروراً وويلات ، وليت هذه الأرض إلا بيتاً من بيوتِ الله جعلها مسجداً وطهوراً ، وأذنَ أن تُرفعَ ويذكر فيها اسمه ، ولكنَّ الأوربيين قد حوَّلوها إلى خمار ، وبيتِ فسقٍ ودعارة ، ومكانِ نهبٍ وغارة ، وقد آن لباني البيت الحرام وحاملِ رسالة الإسلام أن يقومَ ، ويُصلِّحَ ما أفسده الأوربيون ، ويعيد هذا البيت إلى قواعد إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم ، ويبني العالم من جديد^(١) .

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي ص ٢٣٠ - ٢٣٣ نقلًا عن «روائع إقبال» للعلامة الندوي ، ص ١١٤ - ١٢٣ ، طبع دار ابن كثير ، دمشق .

وإليك الآن هذه القصيدة المترجمة في النثر :

إبليس

١ - هذه الألاعيبُ القديمةُ للعناصر^(١) ، وهذه الدنيا الوضيعة

كانت سبباً في قتلِ آمنياتِ ساكني العرشِ الأعظم^(٢) .

٢ - الخالقُ الذي سمّاها دنيا الكافِ والنون^(٣)

مُنتهىءً اليومَ لتدميرِها .

٣ - عَرَضْتُ على الإفرنجِ حُلْمَ المُلوكِيَّةِ

وحطُّنْتُ بِسُحْرِ المسجدِ والمعبدِ والكنيسة .

٤ - علَّمتُ الجهلاءَ درسَ القَدَرِ

وأعطيتُ الغنيَّ جنونَ الرأسمالية .

٥ - مَنْ يستطيعُ أن يطفئَ نَارَه المتأججة^(٤) .

إنْ في هيجانها الحُرْقَةُ الإبليسيَّة .

٦ - أغصانه^(٥) تنمو وترتفعُ من ماءِ سُقيانا

فَمَنْ يستطيعُ أن يُنكسَ أغصانَ هذا النَّخلِ القديمِ !؟

(١) أي : الإنسان والعناصر المكونة له ، وهي : الماء ، والهواء ، والتراب ، والنار .

(٢) أي : الملائكة .

(٣) حيث قال تعالى ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

(٤) يقصد نار الإنسان الذي يحمل الملكية ، وجنون الرأسمالية .

(٥) أي : أعماله ، وما يقوم به من أفعال .

المُستشار الأول

- ٧ - لا شك أن هذا النظام الإيليسي مُحكمٌ
ففي ظلّه ألف الشَّعبُ طَبْعَ العبودية .
- ٨ - المَخضوعُ والمذلَّةُ على جبين هؤلاء المساكين
فَنظَرُهم تقتضي منهم صلاةً بلا قيام
- ٩ - لا تَنبُتُ لديهم الأمانةُ أساساً
فهي إنْ تَظْهَرَ تَمُتْ أو تَبْقَ كشيءٍ خاملٍ لا يَنْضَجُ أبداً .
- ١٠ - وهذه هي معجزةُ جهدينا المتواصل
فاليوم صار الصُّوفيُّ والملاً عبداً - بشكلي تامٍّ - للملكية .
- ١١ - هذا الأفيون - الملكية - كان مناسباً تماماً لِطَبْعِ الشَّرق .
مع أنَّ عِلْمَ الكلام ليس بأقلَّ من « الغناء الصُّوفي »^(١) .
- ١٢ - لو بَقِيَتْ لهم مناسكُ الحجِّ والطَّواف ، فلا ضَيْرَ
فإنَّ سيفَ المؤمنِ المسلولِ صارَ كالاً .
- ١٣ - إنَّ هذا الأملَ الجديدَ بأنَّ الجهادَ حرامٌ على المسلم
دليلٌ على اليأس ؛ فَمَنْ ذا الذي أصابه اليأسُ ؟

المُستشار الثاني

- ١٤ - هل غوغاءُ الحُكمِ الجُمهوري خيراً أم شراً ؟
أنت لا تدري شيئاً عن الفتنِ الجديدةِ في العالم !

(١) هو « القوالي » وهو ما يتغنَّى به الصُّوفيَّة .

المُستشار الأول

- ١٥ - نَعَمْ ، ولكن بصيرتي تخبرني :
لو تبقى المَلَكِيَّة كالسُّتار فلا خطر !
- ١٦ - فحينَ صارَ الإنسانُ مدبِّراً ومفكِّراً إلى حدِّ ما
ألْبَسنا المَلَكِيَّة لباسَ الجُمهوريَّة .
- ١٧ - شُؤُونُ الحُكْمِ شيءٌ آخر
لا يَنْحَصِرُ في وجودِ الأميرِ والسُّلْطَنَةِ .
- ١٨ - وسواءٌ يَكُونُ مجلسُ الأُمَّة - أو يَكُونُ بلاطُ برويز
فالحقيقةُ أنَّ السُّلْطَانَ هو من تَكُونُ عيُونُهُ على زَرْعِ الغَيْرِ .
- ١٩ - أمَّا رَأيتَ أَنَّ النُّظَامَ الجُمهوريَّ الغربيَّ
له وَجْهٌ مَضِيٌّ لَكِنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ أَحْلَكَ مِنْ جَنْكِيْزٍ^(١) .

المُستشار الثالث

- ٢٠ - رُوحُ السُّلْطَنَةِ بَادِيَةٌ فَأَيُّ اضْطِرَابٍ بَعْدَ ذَلِكَ
لَكِنْ ما هُوَ الرَّدُّ عَلَى شِقَاوَةِ ذَلِكَ اليَهُودِيِّ^(٢) .
- ٢١ - هُوَ الكَلِيمُ بِغَيْرِ تَجَلٍّ ، هُوَ المَسِيحُ بِغَيْرِ صَلِيبٍ
« لَيْسَ رَسولاً وَلَكِنْ فِي حِضْنِهِ كِتَابٌ » .
- ٢٢ - ماذَا أَقُولُ ؟ كَيْفَ يَكُونُ نَظَرُ هَذَا الكَافِرِ الَّذِي يَخْتَرِقُ السُّتائرَ ؟
هَذَا النُّظَرُ صارَ كَيَوْمِ حِسابٍ لِأَقْوامِ الشَّرْقِ والغَرْبِ .

(١) مَثالٌ لظلمِ جَنْكِيْزٍ وقَهْرِهِ ، ثُمَّ التَّعبيرُ عَنِ مَدَى ظَلَمِ النُّظَامِ الجُمهوريِّ الغربيِّ نَفْسَهُ .

(٢) هُوَ كارل ماركس .

٢٣ - لا يوجد للطبيعة فسادٌ أعظمُ من هذا
فقد حطّم العبيدُ أطنبةَ خيامِ السّادة .

المُستشار الرابع

٢٤ - انظر رُدَّ هذه الشقاوة في إيواناتِ روما الكبرى^(١)
فقد أعدنا على آلِ قَيْصَرَ حُلُمَ قَيْصَرَ مرّةً ثانية^(٢) .

٢٥ - من الذي يتلوّى بأمواجِ بحرِ الروم
ويرتفعُ أحياناً كالصُّنوبر - وأحياناً يبكي كالزَّهاب ؟

المُستشار الثالث

٢٦ - الرّجلُ الذي فضحَ سياسةَ الإفرنج ، هكذا
لا أعترفُ أبداً بدرايته للأمر .

المُستشار الخامس

(يُخاطبُ إبليس)

٢٧ - يا منُ أمورُ العالمِ قائمةٌ بأنفاسِكِ المحترقة ا
أنتَ الذي أظهرتَ كلَّ مختلفٍ حينَ ثُبُت .

٢٨ - صارَ الماءُ والطّينُ من حرارتك عالماً مليئاً بالحُرقة والغناء
وصارَ أبْلَهُ الجنّةِ^(٣) بتعليمك عالماً بالأمر .

(١) أي : الإمبراطورية الرُّومانية .

(٢) هذا هو رُدَّ شقاوة اليهودي .

(٣) أبْلَهُ الجنّة : هو « آدم » .

٢٩ - هو ليس أعرف منك بسر الفطرة

ذلك الذي اشتهر بين العباد البسطاء باسم الرب .

٣٠ - أولئك الذين لم يكن لهم عمل سوى التقديس والتسبيح والطواف^(١)

هم بسبب غيبتك سيقون أذلاء خجلين إلى الأبد .

٣١ - ومع أن سحرة الإفرنج جميعاً من مرديك

لكن لا أعتد على فراستهم .

٣٢ - ذلك اليهودي^(٢) المثير للفتن الذي هو ظهور لروح مزك

والذي كاذ كل قباء أن يكون فتاناً بسبب جنونه .

٣٣ - غراب الصحراء صار نداءً للشاهين والعقاب

كيف يتغير بسرعة طبع الزمان^(٣) .

٣٤ - إن ما اعتقدناه قبضة غبار بسبب الجهل

انتشر فاغبرت سعة الأفلاك .

٣٥ - إن هبة فتنة الغد قد وصلت إلى درجة أن

الجبال والسهول والهضاب والأنهار كلها ترتعد .

٣٦ - وهذا العالم الذي لم يكن يدار إلا بسيطرتك

أوشك - يا مولاي أ - أن يضطرب فيصبح أعلاه سفلاً .

(١) أي : الملائكة .

(٢) كارل ماركس .

(٣) الغراب لم يكن أبداً نداءً للعقاب ، والمعروف أنه من أحسن الطيور ، وهو رمز الجاهل الخبيث النفس .

(إبليس إلى مشيريه)

٣٧ - عالمُ اللّونِ والرائحة^(١) هذا^(٢) في قبضتي المتصرّفة
سواءً هذه الأرض ، أو هذه السّماء ، أو كلّها جميعاً .

٣٨ - وسوف يرى أهلُ الشّرقِ والغربِ بأعينهم
حينَ أثيرُ دماءِ أقوامِ أوربة .

٣٩ - ما قيمةُ أئمةِ السّياسة ، وما قيمةُ شيوخِ الكنيسة
إنّ صبيحةً واحدةً مني تُذهّلهم وتذهبُ بعقولهم .

٤٠ - الجاهلُ الَّذي يعتبرُ هذا العملَ بيتاً من الرّجاج
عليه أن يحاولَ أن يحطّمَ كأسَ وأباريقَ هذه المدنية .

٤١ - الجيوبُ الّتي مرّقتها يدُ الفِطْرة

أصبحَ من المُحالِ رَتْقُها بإبرةٍ منطِقِ مزدك^(٣) .

٤٢ - كيفَ يستطيعُ هؤلاء المتشوّدون الاشتراكيّون

أن يخيفوني ، المخبولون ، منفوشي الشعر ، مضطربي الأيام .

٤٣ - إنّ ما بين جنباتي من خطرٍ ليس إلّا من هذه الأئمة^(٤)

ففي رمادها حتى الآنَ شرارةُ الأمل .

٤٤ - فحتّى الآنَ يوجدُ في هذه الأئمة قليلٌ من النّاس

يتوضّؤون بدموعِ الأسحارِ .

(١) أي : العالم المحسوس .

(٢) أصلها في النص « هو » .

(٣) جاء بعد زردشت وماني وأدعى النبوة ، وهو أولٌ من نادى بالاشتراكية الشيوعية .

(٤) الأئمة الإسلاميّة .

٤٥ - إِنَّ مَنْ كُشِفَ لَهُ بَاطِنُ الْأَيَّامِ يَعْرِفُ
أَنَّ فِتْنَةَ الْغَدِ لَيْسَتْ مَزْدَكِيَّةً لَكِنَّهَا إِسْلَامٌ .

(٢)

٤٦ - أَعْرِفُ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَا تَحْمِلُ الْقُرْآنَ

وَأَنَّ الرَّأْسِمَالِيَّةَ هِيَ دِينُ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ .

٤٧ - أَصْرِفُ أَنَّهُ فِي ظِلْمَةِ دَجَالِ لَيْلِ الشَّرْقِ

فَإِنَّ أَكْبَامَ شَيْوِخِ الْحَرَمِ خَالِيَةٌ مِنَ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ^(١) .

٤٨ - لَكِنَّ الْخَوْفَ مِنْ مَطَالِبِ الْعَصْرِ الْحَاضِرِ ،

أَلَا يَظْهَرُ شَرْعُ النَّبِيِّ .

٤٩ - الْحَذَرُ ، الْحَذَرُ مِثَّةَ مَرَّةٍ بِنِظَامِ الرَّسُولِ فَهُوَ

حَافِظٌ لِكِرَامَةِ الْمَرْأَةِ ، وَمَخْتَصِرُ الْمَرْءِ ، وَيَخْلُقُ الرُّجَالَ .

٥٠ - هَذَا النِّظَامُ كَرِسَالَةِ الْمَوْتِ لِكُلِّ أَنْوَاعِ الْعِبُودِيَّةِ

لَيْسَ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ مَلِكِ الْعَصِينِ ، أَوْ فَارِسٍ ، أَوْ مُسْكِينٍ ذِي مَتْرَبَةٍ .

٥١ - إِنَّهُ يُظْهَرُ الثَّرْوَةُ وَيَخْلِيهَا مِنْ كُلِّ قَذَارَةٍ

وَيَجْعَلُ الْأَغْنِيَاءَ أَمْنَاءَ عَلَى الْمَالِ وَالثَّرْوَةِ^(٢) .

٥٢ - لَا يَوْجَدُ فِي الْفِكْرِ وَالْعَمَلِ ثَوْرَةٌ أَعْظَمُ مِنْ :

« هَذِهِ الْأَرْضُ لِلَّهِ وَلَيْسَتْ لِلْمَلُوكِ »^(٣) .

٥٣ - يَا حَبِذَا لَوْ يَبْقَى هَذَا النِّظَامُ مُخْتَفِئاً عَنْ عَيْنِ الْعَالَمِ

(١) إشارة إلى قصة موسى ، انظر [الشعراء : ٣٣] و [النحل : ١٢] و [القصص : ٣٢] .

(٢) إشارة إلى النظام الإسلامي .

(٣) له في جناح جبريل قطعة بعنوان « الأرض لله » ، في القسم الثاني .

فهذا مغتنم أن يبقى المؤمنُ محروماً من اليقين .

٥٤ - وهذا أحسن أن يبقى في شرك الإلهيات
ويبقى منهمكاً في تأويلات كتاب الله .

(٣)

٥٥ - الإنسان الذي حطمت تهليلاته سحر الجهات الست^(١)
كيف لا يضيء الليل المحالك لهذا الورع النقي .

٥٦ - أمانت ابن مريم ؟ أم هو حي باق ؟ هذه صفات ذات الحق
هل صفات الذات منفصلة عنه أم عين الذات ؟

٥٧ - هل يقصدون بالقادم المسيح ابن مريم أم هو المجدد
الذي تكمن فيه صفات ابن مريم ؟

٥٨ - هل الفاظ كتاب الله قديمة أم حادثة ؟
وفي أي عقيدة منها تكمن نجاة الأمة المرخومة ؟

٥٩ - ألا يكفي المسلمين في هذه الأيام
هذه الأصنام^(٢) المنحوتة من الإلهيات ؟

٦٠ - اجعلوه غريباً عن عالم العمل لكي
تنهزم جميع قطعه الشطرنجية على بساط الحياة .
٦١ - فهذا خير أن يبقى المؤمن عبداً حتى يوم القيامة
ويترك هذه الدنيا الفانية للآخرين .

(١) يقصد : الشمالية ، والجنوبية ، والغربية ، والشرقية ، والفوقانية ، والتحتانية .
ويمكن أن يكون المقصد منها أن تكون رمزاً للحواس الخمس ، والحواس المشتركة ،
وأسير الحواس عند الصوفية هو إبليس .

(٢) في الأصل (اللات ومناة) .

٦٢ - الشُّعْرُ والتَّصَوُّفُ اللذان يَفْطِيَانِ عَنْ عُيُونِهِ مَنْظَرُ الْحَيَاةِ أَحْسَنُ بِالنَّبِيَّةِ لَهُ .

٦٣ - إِنِّي أَخَافُ مَعَ كُلِّ نَفْسٍ مِنْ يَقْظَةِ الْأَمَّةِ فَحَقِيقَةُ دِينِهَا هِيَ احْتِسَابُ الْكَائِنَاتِ .

٦٤ - أَسْكِرُوهُ وَاجْعَلُوهُ يَنْتَشِي بِالذِّكْرِ وَالتَّفَكُّرِ فِي الْأَسْحَارِ وَأَنْصِبُجُوا فِيهِ طَبِيعَ الْخَانِقَاهَاتِ .



نصيحة بلوش عجوز لابنه^(١)

لِيُنْعِشَكَ هَوَاءُ صَحْرَائِكَ

فليستَ دهلي ولا بخاري بأروع من هذه الصَّحراء .

إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسِيرَ كَالسَّيْلِ الْجَارِفِ حِينَما تَرِيدُ

فهذا وادينا وهذه صحراؤنا

الاعتزازُ بالنَّفْسِ لَهُ قَدَرٌ عَظِيمٌ فِي دُنْيَا الْكَدِّ وَالْجُهْدِ

فهو يُلبسُ الدُّرُوشَ تاجَ دارا^(٢) .

عَلَيْكَ أَنْ تَنَالَ هَذَا الْفَنَّ الْخَفِيِّ مِنْ كَامِلٍ ، إِذْ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ :

إِنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجْعَلُوا مِنَ الرُّجَاجِ صَخْرًا جَلْمُودًا .

إِنَّ تَقْدِيرَ الْأُمَمِ بِيَدِ الْأَفْرَادِ

(١) فِي الْأَصْلِ : بَلُوج « هُوَ اسْمُ لِقَبِيلَةٍ تَسْكُنُ مَنَاطِقَ بَلُوجِسْتَانِ فِي بَاكِسْتَانِ الْغَرْبِيَّةِ عَلَى الْحُدُودِ بَيْنَ إِيرَانَ وَالْهِنْدِ وَهِيَ بِلَادٌ صَحْرَاوِيَّةٌ ، وَهُمْ الَّذِينَ كَتَبَ عَنْهُمْ أَوَّلُ فَاتِحِ إِسْلَامِي دَخَلَ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ ، فَقَالَ : إِنَّهُمْ أَشَدُّ أَقْوِيَاءَ .

(٢) مَلِكٌ مِنْ مَلُوكِ إِيرَانَ .

ومع كل فرد نجمٌ تقدير الأُمَّة .
 هذا الغواصُّ الذي لا يتركُ صُحْبَةَ السَّاحِلِ
 ظلَّ محروماً من ثورةِ البَحرِ .
 لو ضاعَ الذِّينُ من يدِ الأُمَّةِ الحرَّةِ
 فهذهِ التُّجَّارَةُ خسارةٌ للمُسلمِ .
 إنَّ العالمَ يواجهُ معركةَ الرُّوحِ والجَسَدِ مرَّةً ثانيةً
 فإنَّ المدنيَّةَ قد هيَّجتُ وحوشَها .
 اللهُ يعتمدُ على ثباتِ المسلمِ
 وإبليسُ يعتمدُ على آلاتِ أوربة .
 ما هو تقديرُ الأممِ ، لا أحدٌ يستطيعُ أن يقولَ
 لكنَّ لو تجدُ فِراسةَ المؤمنِ ، فالإشارةُ كافية .
 اطلبِ الإخلاصَ في العملِ من الأسلافِ القدماءِ
 أيُّ عَجَبٍ لو يعطفُ الملوكُ على الشُّحَّاذينِ !

الصُّورةُ والمصوِّرُ

الصورةُ :

قالتِ الصُّورةُ للمصوِّرِ :

سببُ ظهوري من إبداعِكَ وفنِّكَ ^(١) ،

كم من الظلم أن تكونَ

(١) يوضح أنَّ الإنسان الذي يتخذ من صورته الحسية أساساً لإدراك حقيقة الخالق لا بدَّ من وقوعه في الخطأ لأنه سلك إلى ذلك العرقان سبيلاً خاطئاً ، وعلى الإنسان أن يتحرَّر من سيطرة الحواسِّ قبل انطلاقه إلى الحديث عن الخالق .

محجوباً عن نظري .

المصوّر :

صَغُبْتُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْبَصِيرَ أَنْ تَكُونَ لَهُ عَيْنٌ تَنْظُرُ
مَاذَا حُلٌّ بِالشَّرِّ مِنْ رُؤْيَا الْعَالَمِ .

فلتقتنعي أيتها الجاهلة بهذا الخبر - إِنَّ النظر ليس إلا
الغَمُّ والأَلَمُ والْحَمِيَّةُ والنَّشَاطُ .

المُصَوِّرَةُ :

الخبرُ عَجَزُ الْعَقْلِ وَالْفِكْرِ

النَّظَرُ حَيَاةُ الْقَلْبِ الْخَالِدَةِ

ليس جدُّ وجُهدُ هذا الزَّمانِ

لَا ثَقَاً بِحَدِيثِ ﴿ كُنْ تَرْنِي ﴾

المصوّر :

أَنْتِ مِنْ رَوَائِعِ فَنِّي

وَلِذَلِكَ فَلَا تَبْأَسِي مِنْ مُبْدِيهِكَ .

ليسَ هناك شرطٌ لرؤيتي

سوى ألا تختفي أنتِ عن نظركِ .

عَالَمُ الْبَرْزَخِ

الْمَيِّتُ (يَخَاطَبُ قَبْرَهُ) :

مَا هَذَا ؟ وَأَيُّ يَوْمٍ تَكُونُ الْقِيَامَةُ عِنْدَهُ ؟

يا بيتي القديم : ما القيامة ؟

القبر :

ألا تعرفُ بعدُ ، يا مَيِّتَ المِثَّةِ عام ؟
بأنَّ القيامة هي المطلبُ الخفيُّ لكلِّ موت .

المَيِّتُ :

أنا لستُ أسيراً في شَرَكِ ذلكِ المَوْتِ
الذي يخفي بداخله القيامة .

فمع أنني مِتُّ منذ مئة سنة
إلا أنني لستُ متضابقاً من هذا البيتِ الأرضي المَظْلَمِ .
آه لو تلبسُ الرُّوحُ هذا الجسمَ الهزيلَ مرَّةً أخرى
فإنني لستُ راغباً في شراءِ هذه القيامة .

نداء من الغيب :

ليسَ الموتُ من نصيبِ الثُّعبانِ والعقُربِ أو الغَزَالِ والوَخْشِ
فإنَّ الموتَ الأبديَّ ليس إلا للآمِ المستعبِدة .
صوتُ إسرَافيل^(١) لا يستطيعُ أن يبعثَ أولئك
الذينَ كانتْ أجسادُهم خاليةً مِنَ الرُّوحِ في دنياهم .
ولو أنَّ مُستَقَرَّ كلِّ ذي روحٍ هو حِضْنُ اللَّحْدِ
إلا أنَّ القيامةَ بعدَ الموتِ ليسَ إلا شأنُ الأحرار .
القبرُ (يخاطبُ ميتَه) :

آه أيُّها الظَّالِمُ ، أكنتَ عبداً محكوماً في الدُّنيا ؟

(١) إسرَافيل هو الملك الذي ينفخ في الصور يوم القيامة ، فيبعث الموتى .

لَمْ تَرَأِيْ مُلْتَهَبٌ هَكَذَا ؟

ازدادتْ ظُلُمَاتِي بِجَسَدِكَ ظُلْمَةً

وَتَمَزَّقَتْ سِتَارَةُ نَامُوسِ الْأَرْضِ بِجَسَدِكَ .

الحذرُ من جسدِ الميتِ المحكوم ، الحذرُ مِنَّةَ مَرَّةٍ

يا إسرافيلُ ! يا ربَّ الكائناتِ ! النجدةُ أَيْتُهَا الرُّوحُ الطَّاهِرَةُ .

نداءُ من الغيبِ :

مع أنَّ النِّظامَ الكونيَّ مضطربٌ بسببِ القيامةِ

إلا أنَّ هذا الاضطرابَ يكشفُ أسرارَ الوجودِ .

بالزَّلَازِلِ تطيرُ الجبالُ كالسَّحابِ

وتظهرُ في الوُديانِ عيونٌ جديدةٌ .

لا بدُّ لكلِّ تعميرٍ جديدٍ منْ تخريبٍ كاملٍ

ففي هذا حلٌّ لكلِّ مشكلاتِ الحياةِ .

الأرضُ :

آهٍ مِنْ هذا الموتِ الدَّائمِ ، آهٍ مِنْ معركةِ الحياةِ

هل ينتهي صِراعُ الكائناتِ إلى الأبدِ ؟

لا يجدُ العقلُ النجاةَ مِنْ أصنامِهِ

العارفُ ، العالمُ ، العامَّةُ ، جميعُهم صاروا عبيداً لِلْأَتِ وَمَنَةِ .

كم صارَ خاضعاً ذليلاً هذا الأدميُّ المتمثِّلُ لصفاتِ الله

فبقاءُ هذا العالمِ ثَقِيلٌ على هذا القلبِ والنَّظَرِ .

فلماذا لا يكونُ ليلٌ هذا الإنسانِ العظيمِ سَحَرًا ؟

المَلِكُ المَعزُولُ^(١)

فلنُبَارِكْ هذا المَلِكَ الطَّيِّبَ
الَّذِي فَضَحَتْ تَضَحِيَّتُهُ أَسْرَارَ المُلُوكِيَةِ .
المَلِكُ فِي المَعْبَدِ البَرِيطَانِيِّ لَيْسَ إِلَّا صَنَمًا مِنَ الثَّرَابِ
يُمْكِنُ أَنْ يَحْطُمَهُ العِبَادُ حِينَما يَشَاوِرُونَ .
هَذَا المِصْنُوكُ مَمزُوجٌ بِالْأَفْيُونِ لَنَا نَحْنُ العَبِيدُ
أَيُّهَا السَّاحِرُ الإِنْجِلِيزِيُّ انْحَثْ لَنَا سَيِّدًا آخَرَ !



مُنَاجَاةُ جَهَنَّمِيِّ

العِبَادُ فِي هَذَا الدَّيْرِ الْقَدِيمِ ذَوُو احتِياجٍ
يَذْكُرُونَ اللهَ حِينَ يَتَأَلَّمُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ .
وَلَا تَفِيدُهُمُ الصَّلَاةُ ، وَلَا تَفِيدُهُمُ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ
فَحِظْ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ لَيْسَ إِلَّا التَّوَّاعُجُ وَالْعَوِيلُ .
مَعَ أَنَّ العِمَارَاتِ تَطَاوُلُ الفَلَكُ رَفْعَةً
لَكِنَّ الحَقِيقَةَ أَنَّ كُلَّ مَدِينَةٍ كَخَرَابَةِ عَامِرَةٍ .
انْظُرْ إِلَى تَقَلُّبَاتِ خَطِّ الْفَاسِ
فَبِرُوزِ مَزْتَوِيٍّ ، وَفِرْهَادِ عِلْمَانٍ كَبِدُهُ^(٢) .
هَذَا الْعِلْمُ ، هَذِهِ الْحِكْمَةُ ، هَذِهِ السِّيَاسَةُ ، هَذِهِ التَّجَارَةُ

(١) أنشد هذه الأبيات بعد عزل ملك الهند ، وأعتقد أنه يشير إلى : Edward Assamen .

(٢) انظر خط الفأس كيف كان حين استعمالها برويز ، وكيف كان حين استعمالها فرهاد .

جميعها أشياء من إبداع المَلَكِيَّة .

شكراً لك يا إلهي ، فإنَّ هذه القطعة من الأرض الملتهبة^(١)
حرَّة من عبوديَّة التَّاجِر الأوربي .



مسعود المرحوم^(٢)

هذه الشَّمْسُ ، هذا القَمَرُ ، هذه النُّجُومُ ، وهذه السَّمَاءُ الزُّرْقَاءُ
من يدري أهذا عالمُ الوجودِ أم الفناء ؟
التَّفكيرُ في الرُّحلة والهدفِ ما هو إلا خُرَافَةٌ
فالحياةُ كُلُّها رَحِيلٌ دون هدف .

والسَّفاةُ لم يَبْقَ في يدِ الزَّمانِ تَذْكَارُ
كمالاتِ أحمد ومحمود^(٣) .

تأسَّفَ العِلْمُ والفنُّ لموتِهِ المفاجئِ .
فقد كان متاعاً غالياً للقافلة .

تُبْكِينِي جَفْوَةُ أَهْلِ الدُّنْيَا
فإنَّهُم يَعْتَقِدُونَ أَنَّ بَكَاءَ طَيُورِ الشَّجَرِ نَغَمَاتٌ .
لَا تَقُلْ : إِنَّ عِلَاجَ حَزَنِ الصَّدِيقِ يُمْكِنُ بِالصَّبْرِ
لَا تَقُلْ : إِنَّ حُلَّ لُغْزِ الْمَوْتِ كَامِنٌ فِي الصَّبْرِ .

(١) جهنم .

(٢) هو صديق محمد إقبال ، وحفيد السر سيد أحمد خان ، وكان زميلاً لإقبال في
الدراسة ، وأشارت إلى هذه القصيدة في الفصول السابقة

(٣) أحمد هو سر سيد أحمد خان ، ومحمود هو ابنه ، ووالد مسعود . وكان مسعود هو
ذكرى كمالاتهم .

القلبُ الذي يَعشَقُ وَيَضْبِرُ ليس سوى حجر
فبينَ العِشْقِ والعُصْبِ ألفُ فرسخٍ^(١) .

لا تسَلِّني عن العُمُرِ الذي يمرُّ بسرعة
فلا أحدٌ يدري ما هذا التغيُّرُ والجاذبية .

كلُّ من خُلِقَ من التُّرابِ سيوارى فيه
أهله هي الغيبةُ الصُّغرى أم هذا هو الفناء ؟ ماذا ؟

وهِبْ لُغَارَ الطَّرِيقِ ذوقَ الجمال
والعقلُ لم يستطع أن يكشفَ المعنى الخفي .

أليسَ القلبُ والنَّظَرُ من إعجازِ هذا الماءِ والطَّينِ^(٢) ؟ وإنْ لم يَكُنْ
فما نهايةُ حضرةِ الإنسانِ إذا ؟

إنَّ « لا إلهَ إلا هو » هي رُوحُ الدُّنيا الخالدة
فما معنى المسيحِ والمسمارِ والصليبِ ؟

مِمَّنْ نَطْلُبُ القِصاصَ لدمِ الآمالِ
مَنِ المُنْذِبُ ؟ وما هي الفِذْيَةُ ؟

لا تَحْزَنْ فنحنُ مكْبَلُونَ بَقيدِ الدُّنيا
فالقلبُ الذي نملكُ يحطِّمُ الطَّلاسِمَ^(٣) .

لو أنَّ معرفةَ الذاتِ حياةٌ ، فالموتُ مقامٌ في الحياة ،
لأنَّ العِشْقَ يختبرُ ثباتها بالموت .

(١) هذا البيت من شعر سعدي وقد ضمنه إقبال قصيدته .

(٢) الإنسان نفسه .

(٣) هذا البيت بالفارسية :

غمین مشوکہ بہ بندِ جہانِ گرفتاریم طلسمها بشکند آن ولی کہ مادریم

لو تَكُنِ الذَّاتُ حَيَّةً ، فَبَحْرُكَ لَا شَاطِئَ لَهُ
 وَمَوْجُ النِّيلِ وَالْفِرَاتِ يَتَوَقُّ لَأَنْ يَنْدَمِجَ مَعَكَ .
 لو تَكُنِ الذَّاتُ مَيِّتَةً فَهِيَ كَأَعْوَادِ الْقَشِّ أَمَامَ النَّسِيمِ ؛
 لو تَكُنِ الذَّاتُ حَيَّةً فَهِيَ سُلْطَانُ كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ .
 لو أَنَّ الْبَصِيرَةَ حُرِّمْتَ مِنْ تَجَلُّ وَاحِدٍ
 فَإِنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى مِثَّتِي تَجَلُّ لَتَعْوِضَ مَا فَاتَ .
 اللَّاتُ وَمَنَاةُ مُتَشَرِّعَةٌ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى الثَّرَيَّا
 بَيْنَمَا مَقَامُ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَرَاءَ الْفَلَكَ .
 مَقَامُهُ الْأَبَدِيُّ هُوَ حَرَمُ الذَّاتِ
 وَلَيْسَ مَكَانُهُ الْقَبْرُ الْمَظْلَمُ وَلَا مَكَانَ تَجَلِّي الصِّفَاتِ .
 أُولَئِكَ الَّذِينَ مَلَكَوا مَعْرِفَةَ الذَّاتِ وَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا .
 قَدْ حَطَّمُوا طَلْسَمَ الشَّمْسِ وَالْفَلَكَ وَالنُّجُومَ ^(١) .



صوت من الغيب

يَأْتِي صَوْتُ مِنَ الْعَرْشِ الْأَعْلَى ذَاتَ صَبَاحٍ ، يَهْتِفُ :
 « كَيْفَ ضَاعَ جَوْهَرُ إِدْرَاكِكَ ؟ »
 كَيْفَ أَصْبَحَ مُشْرَطُ التَّحْقِيقِ لَدَيْكَ كَالْأُ ؟
 لِمَاذَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمَرِّقَ أَكْبَادَ النُّجُومِ ؟
 لَقَدْ كُنْتَ جَدِيرًا بِخِلَافَةِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ

(١) أصله فارسي .

هل تكون الشعلة أسيرة للأعشاب الجافة^(١) ؟

لماذا لا تخضع لك الشمس والقمر ؟

لماذا لا ترتجف الأفلاك من أنظارك ؟

مع أن الدّم يجري في عروقك

لكنك لا تملك حمية الأفكار ، ولا الفكر الجريء ..

العين التي لا يوجد في ثناياها النظر الطاهر

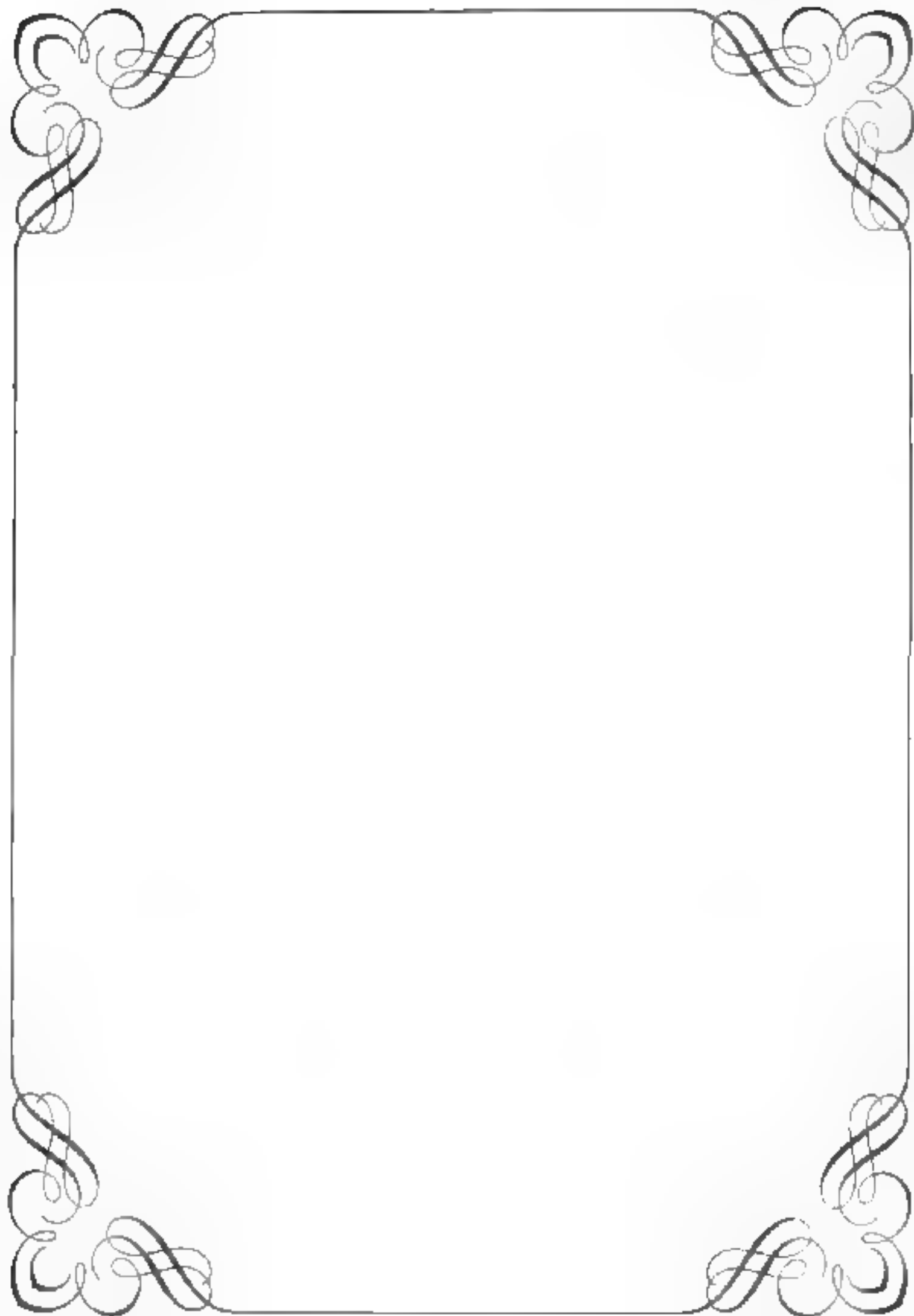
تكون مضيئة لكنها لا ترى العالم .

لم يبق في أحضانك صفاء مرآة ضميرك

يا قاتل السلطنة والملأ والمشيمة !



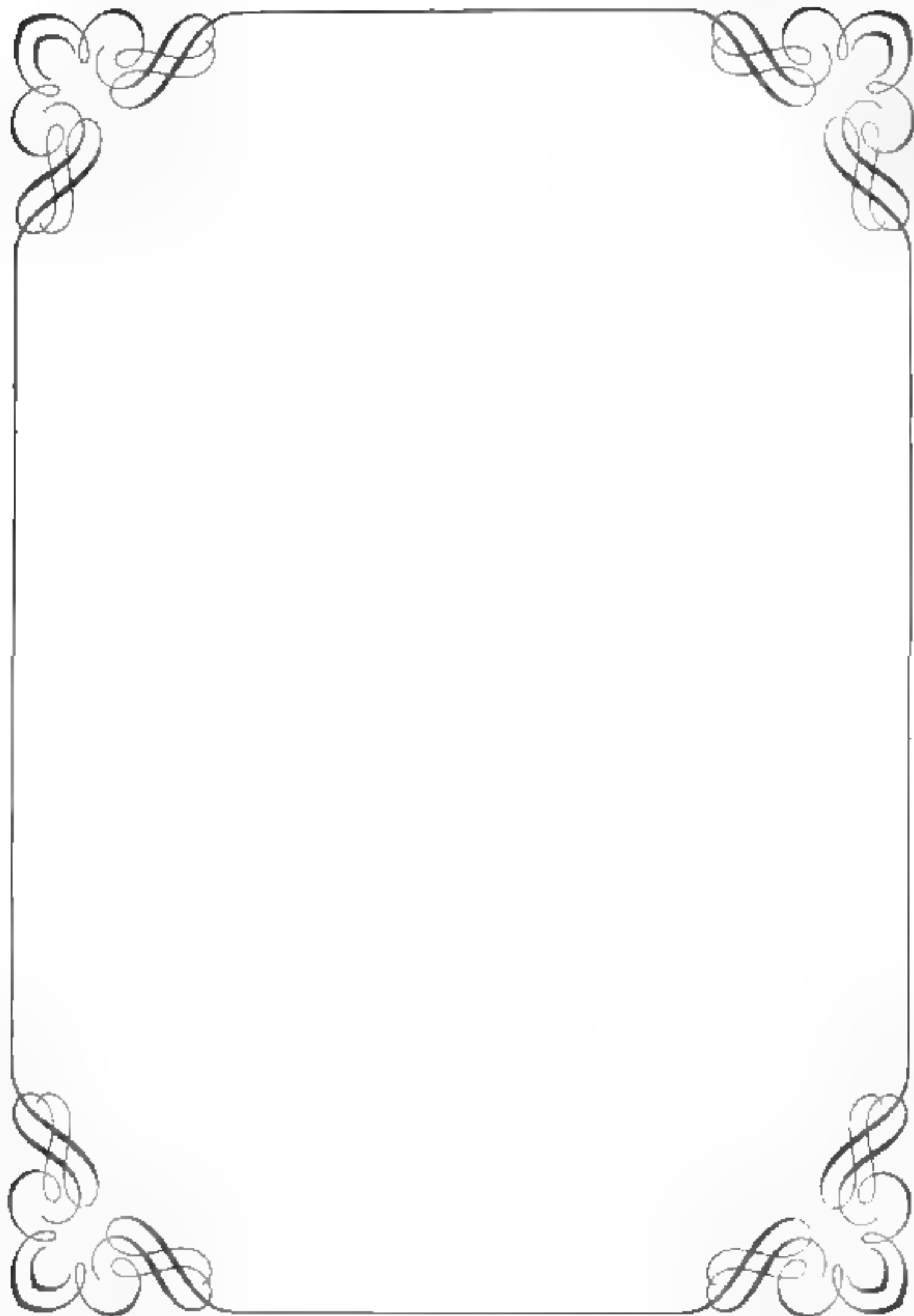
(١) حرفياً : النجس والتشادة .



القسم الخامس

رَبَائِعَات





(١)

١ - لا أدري ما هي ثمرة غضبي أملني
فأني دراية لي بتقديرك
بُزعمُ الزهرة يحتاجُ اليومَ إلى التفتح
فما فائدة انتظار نسيم صُبحِ الغد ؟

٢ - حرّزهُ من عمَلِ الدُّنيا
حتى يتحرّر من امتحانِ كلِّ نفس
صارَ تفكيرُ الشَّيطانِ بسببِ الكِبَرِ تفكيراً قديماً
فمن أين يأتي بإثمٍ جديد ؟^(١)

٣ - غيّرْ وبدِّلْ عالمَ الماءِ والسَّحَرِ
أقْلِبْ هذه الدُّنيا الجافّة والطَّرِيقَ
ولتبقِ الوهيّتك طاهرةً من الوصمة
واخذِرْ من الشُّجودِ الخالي من أيِّ ذوق .

(٢)

■ - أنا في حالةِ الفقرِ محسودُ الغنى
لأنَّ فقري ذو غيرة

(١) المفروض أن تكون آثامه قديمةً قدَمَ تفكيره ، وهنا استفهامٌ استنكاري .

الحذر من ذلك الفقر والتصوف
الذي علم المسلمين الذل والخضوع .

٥ - الغوث الغوث من ضيق ذيل العقل ١١
الغوث الغوث من زيادة التجلي ١١
إن النظر يُفضل النظر في غير الله
الغوث الغوث من كفر النظر .

٦ - قال إقبال لشيخ الحرم :
من الذي نام تحت محراب المسجد ؟
أجايت جدران المسجد :
هو الذي تاه في بيت أوثان الإفرنج .

٧ - صارت الهيجانات القديمة رغبة باردة سقيمة
دماء المسلم أصبحت باردة
فلتبارك للأصنام كفري
إذ إن تار « الله هو » أصبحت اليوم باردة .

٨ - حديث العبد المؤمن يتعلق بالقلب
الكبد مليء بالدم ، النفس مضيئة ، النظرة حادة
كيف تتيسر رؤية المؤمن الذي يضيء المحفل
فهو لا يختلط بنا إلا قليلاً .

٩ - صفاء ضمير الضُّبْح المنير
يعرف التمييز بين الشوك والزهر
حماية الزهر غير ممكنة
لو أن في الشوك طبع الحرير .

١٠ - لا تذكر الفراق واللقاء
لأن أصل الحياة نفسه هو الظهور
إن انفصال اللؤلؤ من قلب البحر
ليس فيه أي ضرر للبحر ولا للؤلؤ .

١١ - لماذا لا يجتاح الطوفان بحرَك ؟
لماذا لا تكون ذاتك مسلمة ؟
عبث تلك الشكوى من تقدير الله
لماذا لا تكون أنت قدر الله ؟

١٢ - لو ينظر العقل بعين القلب
يرى العالم مضاء بنور « لا إله »
ولو ينظر إلى نور الشمس والقمر
لا يحسبه إلا دوران الليل والنهار^(١) .

١٣ - أحياناً ترتفع من البحر كالموج

(١) أي : العالم .

وأحياناً تنزلُ إلى صدرِ البَحْرِ
وأحياناً تمرُّ على ساحلِ البَحْرِ
فأظهرْ لنا سرَّ مقامِ ذاتِكَ واضحاً .

مُذاكرات مُلاً زاده ضيغم اللؤلؤابي^(١) الكشميري

(١)

ماءُ عيونِكَ كالترُّبُّوقِ الرَّجراج
طيورُ السَّحَرِ قلقةٌ في أجوائِكَ
يا واديَ اللُّولاب .

لو لم يكنْ خطيبُ المنبرِ والمحرابِ ذا همّةٍ ونشاطٍ
فالدِّينُ للعبدِ المؤمنِ إمّا الموتُ ، وإمّا الحُلُم
يا واديَ اللُّولاب .

النغماتُ المُخرِقةُ للقلبِ إنّما تنبعُ من الآلةِ الموسيقيّةِ
فلو كانت أسلاكُها رِخوةً فلا فائدةٌ تُرجى من مِضْرابِها
يا واديَ اللُّولاب .

بصيرةُ المؤمنِ خاليةٌ من نُورِ الفِرَاسةِ^(٢)
والخمرُ الصّافيةُ في حانةِ الصّوفيةِ خاليةٌ من الحُرقةِ
يا واديَ اللُّولاب .

(١) ضيغم هو الأسد ، لولاب : اسم وادي في كشمير . والواقع أن إقبال كتب هذا الشعر إلى أهل كشمير .

(٢) تلميح إلى الحديث : « اتقوا فِرَاسةَ المؤمنِ فإنّه يرى بنورِ الله » .

إِنَّ الْفَقِيرَ^(١) الَّذِي تَشِيقُ الْقُلُوبُ مِنْ آهَتِهِ السَّحَرِيَّةِ
لَا يَوْجَدُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْذُ زَمَانٍ
يَا وَادِي اللَّوْلَابِ .

(٢)

الْمَوْتُ الصَّعْبُ اسْمُهُ الْعِبُودِيَّةُ
أَلَا لَيْتَ الْعَبْدَ يَفْهَمُ مَكْرَ وَخِدَاعِ السَّادَةِ .
انْظُرْ تَنْوَعِ الْأَحْكَامِ فِي شَرْعِ الْمُلْكِيَّةِ
غَوْغَاءُ الصُّورِ حَلَالٌ ، لَذَّةُ الْخَشْرِ حَرَامٌ .
يَا مَنْ ذُبِلَتْ^(٢) رَوْحُكَ مِنَ الْعِبُودِيَّةِ
أَتَبْحَثُ عَنْ مَقَامِ الذَّاتِيَّةِ فِي الصَّدْرِ الْخَالِي مِنَ الْخُرْقَةِ ١٩

(٣)

كَشْمِيرُ الَّتِي سَمَّاهَا أَهْلُ النَّظَرِ بِالْأَمْسِ إِيْرَانُ الصَّغِيرِ
هُوَ الْيَوْمَ بِلَدٍّ خَاضِعٍ وَفَقِيرٍ .
حِينَ يَخَافُ رَجُلُ الْحَقِّ السُّلْطَانَ وَالْأَمِيرَ
تَخْرُجُ آهَاتُ مُخْرِقَةٍ مِنْ صَدْرِ الْأَفْلَاكِ .
مَنْزِلُ الْحَزَنِ لِفَلَاحِ عَجُوزٍ عَلَى مَفْجِ الْجَبَلِ
يَحْكِي لَنَا حِكَايَةَ قَسْوَةِ الْأَيَّامِ :
وَالْأَسْفَاءُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ النَّجْبَاءِ ذِي الْأَيْدِي النَّشِيطَةِ وَالْأُفْعَالِ الْخَلَّاقِ^(٣) .

(١) استخدم كلمة « درویش » بمعناها الصوفي .

(٢) استخدم اللفظ العربي « مضجع » مع الروح . وقد استبدلتها في الترجمة بكلمة « ذبلت » .

(٣) في الأصل : (تردماغ) أي : الدماغ الندي .

أيها الإله يا من تمهل الناس^(١) . أين يوم الجزاء ؟

(٤)

حين تثور الشعوب المغلوبة على أمرها
بضطرب هذا العالم ذو الأطراف الأربعة ، واللون والرائحة^(٢) .
ضمير الإنسان يتطهر من الظن والتخمين
ويجعل مصباح الأمل يضيء كل طريق .
ذلك الفتى القديم الذي لم يستطع العقل رنقه
يُخيطه العشق دون حاجة إلى إبرة أو خيط الرقاء .
صنم الحكم له قلب حجري ووجه من زجاج
وهو يصبح في النهاية قطعاً مبعثرة من الدق المستمر .

(٥)

عظمة الشاهين وشوكته توجد في طيران النراج
والضياء في حيرة شاهين هذا أم دراج .
تلاطمت أفكار كل قوم
فالיום مظهر لغد القيامة في الشرق .
الميت الذي كان في حاجة إلى صور إسرافيل
اضطر للقيام ثانية استجابة لمطالب الفطرة !

(١) أصله : خدا ديركي ، أي الرب الذي يقبض ويحاسب الإنسان في النهاية وبعد تمهل شديد .

(٢) في الأصل : جهان جار سو ، عالم رنگ و بو ، وهو تعبير أدبي يعبر عن العالم المحسوس الذي نعيش فيه .

حتى السُّكَّيرون^(١) أيضاً يعرفون كمالات الصُّوفية
مع أنَّ كراماتهم غيرُ معروفة ، وغيرُ مشهورة .
حين يكون السَّالِكُ حُرّاً فهذه هي مقاماته :
عِزَّةُ النَّفْسِ وثباتُها والصَّوْتُ الحسنُ القائل « أنا الحق »^(٢) .
حين يكون السَّالِكُ محكوماً فالعبودية هي كلُّ شيء له
فهو نفسه مَيِّتٌ ، وهو المريدُ ، وهو الموتُ المفاجئ . نفسه .

أخرج من الخانقاهات ، وقم بتقليد شبير
فليس فقرُ الخانقاهات إلَّا الهم .
من دينك وأدبك تهبُّ رائحةُ الرُّهبان
إنَّ هذا عالمُ الشيوخوخة للأمم التي حان موتُها .
في عيون شياطين المَلَكِيَّةِ يوجدُ السُّحْرُ
الذي يخلق في قلب الصَّيَّادِ طَبْعَ المَصِيدِ
كيف مَضَوْا غيرَ مكرثين بأهاتي السُّحْرِيَّةِ
ومن الذي ذهب بالنَّشوة والنَّشاط من العيون الكشميريَّة السوداء^(٣) ؟

إذا اعتقدت أنَّ هذا القلبَ قطرةٌ من دمٍ فهو كذلك
فقلبُ الإنسان إنما هو - فقط - جذبةٌ عالية .

(١) أصله : « رند » وهو من لا يهتم بالأحكام الدينية الظاهرة ولا يتمسك بها .
(٢) إشارة إلى قول الحلاج « أنا الحق وما في العجة غيرُ الله » .
(٣) « تمتاز العيون الكشميرية بسوادها وكثيراً ما تغنى بها الشعراء » .

لا يُعْجِبُهُ دوران القمر والنجوم
فهو الذي يَخْطُطُ سَحْرَةً ومِساءً .

لا يمكنُ أن يَتَرَدَّ ذلك الثَّرَابُ الْأَصِيلُ
الذي تَكْمُنُ في ضمير تِرابه نَارُ چنار^(١) .

(٩)

حين انفتحت في الرّوضة مكتبة الورود
فإنَّ العِلْمَ الكتابيَّ لم ينفع المُلّا .
كَانَ هَوَاءُ الرَّبِيعِ مُحْطَماً لِلجَدِّيَّةِ
فبدأ شيخ « أندراب »^(٢) يُنشدُ الغزل .
قالت زهرة شقائق النعمانِ ذاتُ القميصِ الأحمرِ
إنَّني مظهرَةٌ لأسرار الرُّوح^(٣) .
من الذي يعتقدُ أنَّ النُّومَ في القبر هو الموتُ
إنَّ سرَّ تعميرِ كُلِّ شيءٍ يَكْمُنُ في تخريبه^(٤) ؟
ليستِ الحياةُ سلسلةَ الأيامِ والليالي
ليستِ الحياةُ نشوةً وغفوةً .
الحياةُ والاحتراقُ في ناركِ
فما أسعدَ اللحظاتِ حينما تستعيدُ هذه الحِكْمَةُ :

-
- (١) چنار : شجرة ذات أوراق كثيرة ، تشبه كف اليد ، وتكون خضراء في الصيف ، بينما تحمر جداً في الخريف وتصبح في لون النار الملتهبة خاصة في الأصل .
(٢) أندراب : اسم مكان بكشمير .
(٣) لأنها مفتحة في الوسط .
(٤) أشار إلى هذه الفكرة جلال الدين الرومي بأبيات متوالية في أنشودة الناي - انظر المثنوي .

« لو تأخذ شرارة من نار القلب
فإنك تستطيع أن تجعلها شمساً تحت الفلك » .

(١٠)

شِرْيَانُ الْحَرِّ صُلْبُ كَثِيرَيَانَ الْحَجَرِ
شِرْيَانُ الْمُحْكُومِ رَقِيقُ كَثِيرَيَانَ الْكَرَمِ .
قَلْبُ الْمُحْكُومِ مِثْتُ سَقِيمٍ يَأْسُ
قَلْبُ الْحُرِّ حَيْثُ مَفْعَمٌ بِالْحَرَارَةِ يَبْعَثُ الطُّرْبَ .
ثَرْوَةُ الْحَرِّ قَلْبُ مُضِيٍّ وَنَفْسٌ حَامِيَةٌ
ثَرْوَةُ الْمُحْكُومِ لَيْسَتْ إِلَّا عَيْنًا دَامِعَةً .
الْمُحْكُومُ غَرِيبٌ عَنِ الْإِخْلَاصِ وَالْمَرْوَةِ
مَعَ أَنَّهُ بَارِعٌ فِي الْبِرَاهِمِينَ الْمُنْطَقِيَّةِ .
لَيْسَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ الْمُحْكُومُ نَذًّا لِلْحُرِّ
فَهُوَ عَبْدٌ لِلْأَفْلَاقِ وَالْحُرُّ سَيِّدُهَا .

(١١)

جَمِيعُ الْعَارِفِينَ وَالْعَامَّةِ غُرَبَاءُ عَنِ الذَّاتِ
فَلْيَقُلْ أَحَدٌ إِنْ اسْتَطَاعَ : أَهَذَا مَسْجِدٌ أَمْ خِمَارَةٌ ؟
لَقَدْ أَخْفَى هَذَا السِّرَّ عَنَّا « مير واعظ »^(١) .
إِنَّ الْفَرَّاشَةَ الَّتِي تَدْوِرُ حَوْلَ مُصْبَاحِ الْحَرَمِ هِيَ الْحَرَمُ .
طَلَسُمُ الْجَهْلُ هُوَ الْكُفْرُ وَالتَّدْيُنُ

(١) شخصية سياسية في كشمير واسمه محمد يوسف مير واعظ كشميري ، مات في باكستان
حوالي عام ١٩٦٦ م .

وحديثُ الشيخِ والبرهمن ليس إلا مِسْحَرٌ وخرافة .
 فليكن ذلك العبدُ الذرويشُ نصيبَ هذه الأرض
 ففي فقره تكمنُ طرقُ الكلیم .
 إلى متى تبقى لآلئ بحيرةٍ ولر^(١) الفريدة من نوعها .
 مختفية عن أعين الزمان .

(١٢)

العالمُ مضطربٌ من قوّة عملهم
 فالأممُ الحيّة خاضت معاركَ كبيرةً .
 إنَّ تقويمَ المنجمِ للغدِ باطلٌ
 فالنجومُ القديمةُ سقطت من السماء .
 ضميرُ العالمِ ملتهبٌ بدرجة عظيمة
 حتى أنَّ أمواجَ البحرِ كَسَرَتِ النجومَ .
 الأرضُ لم تُعُدْ خاليةً من الزلازل
 فالدلائلُ الدقيقةُ للفطرة ظاهرة .
 إنَّ الخضرَ - قابعٌ - يفكرُ على شاطئِ بحيرةٍ ولر^(٢)
 إلى متى تفورُ عيونُ الهملايا !!

(١٣)

هذا هو دليلُ الشعوبِ الخالدةِ على مرِّ الزمانِ :
 أنَّ تقديرَهم يتغيرُ صباحَ مساء .

(١) بحيرة ولر : بحيرة رائعة في كشمير يذهب إليها الأثرياء للاستمتاع بالشجديف ، وكانوا من المسلمين .

(٢) وردت قصة الخضر في سورة الكهف الآيات (٦٥ - ٨٢) .

حياتهم هي كمالُ الصّدقِ والمروءةِ
حتى الفطرةُ أيضاً تعفو عن تقصيرِهم .
أعمالُهم كأعمالِ القَلندرِ ، وجلالُهم كالجلالِ الإسكندري
هذه الأئمةُ في العالمِ كالسُّيوفِ المسلولةِ .
إنَّ جمالَ وجلالَ الرَّجلِ العارفِ يَكْمُنُ في معرفةِ ذاتيته
هذا هو الكتابُ ، وما تبقى كُلهُ تفاسيرُ له .

أنا لا أنكرُ عظمةَ العيد
لكنَّ ما يُقبَلُ هو تكبيراتُ الحرِّ .
كيفَ يَعْرِفُ الحكيمُ سرَّ نعماتي
وأنَّ تدابيرَ أهلِ الجنونِ فيما وراءَ العقلِ ؟

(١٤)

كيف تقامرُ - قمارِ الحياة - كالكاfer ؟
ذلكَ أنكَ تسيرُ مع الزَّمانِ ولا تسيرُ مع نفسك .
لم أرَ في مدارسِ الحَرَمِ مرَّةً ثانيةً
قلبَ جنيدٍ ونظرةَ الغزاليِّ والرَّازي .
في حُكْمِ الفتى الأعظمِ الذي هو نفسه حُكْمُ الفطرةِ الأزليَّةِ :
أنَّ أعمالَ الصُّقورِ حرامٌ في عقيلةِ الصَّغوةِ .
قالَ ذلكَ الفقيهُ الأزليُّ للصَّغيرِ الصَّغيرِ :
عليكَ أنْ ترتبطَ بالسَّماءِ ولا تتعلّقَ بالأرضِ .
أنا الذي لها أقلعُ عن الكلامِ الصَّريحِ
خوفاً من وشيهم بي لدى السُّلطانِ .
قدمَ التحياتِ منّا نحنُ الفقراءُ إلى تركِ شيرازَ

(١٥)

ضميرُ الغربِ ضميرُ الثُّجَارِ ، ضميرُ الشرقِ ضميرُ الرُّهبانِ
هناكَ التَّغْيِيرُ المُسْتَمِرُّ في كُلِّ لَحْظَةٍ ، وهنا لَا يَتَغَيَّرُ الزَّمَانُ .
قالَ لي الخُضْرُ على شاطئِ البحرِ وكأَنِّي مُحْرَمٌ لِأَسْرَارِهِ :
إِنَّ طَرِيقَ الإسْكَندَرِ^(٢) والقَلَنْدَرِ كُلُّهُمَا طَرِيقٌ سَحَرِيَّةٌ .

آلهة الخانقاهات يعتبرونني نِدَاءَ لَهُمْ
وَيَخْشَوْنَ أَلَّا يَنْشُقَّ حَجَرُ عَنَبَتِهِمْ مِنْ نَوَاحِي
النَّصِيحَةِ الواضِحَةِ والْعَلَامَةِ المُمَيِّزَةِ لِعِلْمٍ ومَعْرِفَةِ الأُمَمِ المُسْتَعْبَدَةِ :
أَنَّ الأَرْضَ لو ضَاقَتْ فِهَا هو فِضَاءُ الفَلَكِ بِلا حُدُودٍ .
لَا أَعْرِفُ بِمَاذَا أَسْمِيهِ ، هَلْ أَسْمِيهِ اخْتِبَارَ اللهِ^(٣) ، أَمْ خِدَاعَ النَفْسِ ؟
إِذْ إِنَّ المُسْلِمَ أَصْبَحَ خَالِيًا مِنَ الْعَمَلِ بَعْدَ أَنْ اخْتَلَقَ مِنَ الْقَدَرِ عُذْرًا لَهُ .
قالَ غَصَنُ الوَرْدِ عَنْ أَسْرِي قَوْلًا أَبْكَى الصِّيَادَ :
إِنَّ عُشَّ هَذَا المَغْرَدِ المَفْعَمِ بِالْحُرْقَةِ لَمْ يَكُنْ ثَقِيلًا عَلَيَّ .

(١٦)

يَا أَيُّهَا الوَطَنُ العَزِيزُ لَا حَاجَةَ لِلشَّرْحِ والبَيَانِ
عَنْ صُورَةِ قَلْبِنَا المَلِيءِ بِالدَّمِ ، كَشَفَائِقِ النُّعْمَانِ .

(١) إشارة إلى شعر حافظ :

اگر این ترک شیرازی بدست آرد دل مارا بخال هندوش بخشم سمرقند وبخارا

(٢) طرق الإسكندر هي طرق الحياة .

(٣) في الأصل المعنى (خداع الله) ، أم خداع النفس ؟

إِذْ إِنَّ المُسْلِمَ أَصْبَحَ خَالِيًا مِنَ الْعَمَلِ بَعْدَ أَنْ اخْتَلَقَ مِنَ الْقَدَرِ عُذْرًا لَهُ .

التقدير هو اسمٌ لمكافأة الأعمال

هذه هي رسالة آلهة الهمالايا .

جسده عارٍ في ربح الشتاء

ذلك الذي يقدم للأمراء رداءً من الصوف بفته وإبداعه .

لا تأمل في وفاء دولة الدنيا

فهي كالغزال ، الهروب من طيعها .

(١٧)

حرامٌ على من علّمته معرفة الذات نسيان الجسد

حرامٌ على هذا الرجل المجاهد أن يلبس الدرع !

(١٨)

اخمل على ذلك العزم الرفيع ، واستمع إلى عويلي

لكي تقوم القيامة في صدرك أيضاً .

(١٩)

أنا غريبٌ هذه المدينة ، فاستمع إلى عويلي

لكي تقوم القيامة في صدرك أيضاً .

أغنياتي الممزوجة بالغم والحزن متاعٌ عزيزٌ

ونعمة القلب الحزين ليست عامة في هذه الدنيا .

أنوح وأشكو من ذوق هذا الزمان الأعمى

الذي فهم محتتي على أنها محنة فرهاد .

أعرف أن الصوت الذي ينبعث من ضرب الفأس على الحجر

أعرف أنه آخر ، فهو صوت الفأس والكبد معاً .

إلى سر أكبر حيدري رئيس وزراء حيدر آباد الدكن^(١)

كَانَ هَذَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَنْ يُعْطَى الْقَلَنْدَرُ

ذُو الصِّفَاتِ الْمَلَكِيَّةِ عَظْمَةً بِرُوزِ^(٢) .

قَالَ لِي : خُذْ وَصِرْ حَاكِمًا وَأَعْطِ الثَّبَاتَ

لِحَسَنِ التَّدْبِيرِ لِكُلِّ مَا هُوَ آتٍ وَلِكُلِّ مَا فَاتَ .

كُنْتُ مُسْتَعِدًّا لِأَنْ أَتَحْمِلَ عِبَةَ هَذِهِ الْأَمَانَةِ عَلَى كَتْفِي

لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ مَرَّةً طَعْمَهُ يَصِيرُ فِي حَلَقِ الدَّرْوِيشِ الشُّكْرِ .

وَلَكِنْ غَيْرَةُ فَقْرِي وَعَظَمَتُهُ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَقْبَلَ مَا قَدَّمَهُ

حِينَ قَالَ ، إِنَّ هَذِهِ هِيَ زَكَاةُ لَالُوهِيتِي .

حسين أحمد^(٣)

لَا يَعْرِفُ الْعَجَمُ حَتَّى الْآنَ أَسْرَارَ الدِّينِ

وَحُسَيْنُ أَحْمَدُ الدِّيُونَدِي - مَا هَذَا الْعَجَبُ الْعَجَابُ .

مَنْ يَخْطُبُ عَلَى الْمَنِيرِ قَائِلًا بِأَنَّ الْعِلَّةَ قَائِمَةً عَلَى الْوَطَنِ

كَمْ هُوَ جَاهِلٌ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ^(٤) !

عَلَيْكَ أَنْ تَصِلَ بِنَفْسِكَ إِلَى النَّبِيِّ فَإِنَّ الدِّينَ كُلَّهُ

(١) كان رئيس وزراء الهند ، وأرسل شيكاً بمبلغ ألف روية إلى إقبال في ذكرى ميلاده .

(٢) أي : المال والدنيا .

(٣) كان من علماء الهند ويُعدُّ من مؤسسي مدرسة ديوبند ، ومن أنصار حزب المؤتمر ، وهذا الشعر بالفارسية .

(٤) يقصد الدين .

فَإِنْ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ فَكُلُّ هَذَا يَعْدُ مِنْ أَعْمَالِ أَبِي لَهَبٍ .

السَّيِّدُ الْإِنْسَانِ

وَصَلَّتْ دَرَجَةُ الْعِلْمِ وَالْفِكْرِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَى دَرَجَةٍ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لَشَيْءٍ أَنْ يَخْتْفِيَ ، فَهَذَا عَالَمٌ نُورَانِي .

لَوْ نَظَرَ أَحَدٌ لِرَأْيِ أَنْ حِجَابَ الْفِطْرَةِ رَقِيقٌ إِلَى دَرَجَةٍ :
أَنَّ السَّمَاتِ الْخَفِيَّةَ لِلْمَلَائِكَةِ تَظْهَرُ وَاضِحَةً .

هَذِهِ الدُّنْيَا دَعْوَةٌ لِابْنِ آدَمَ أَنْ يَشَاهِدَ وَيَنْظُرَ
فَكُلُّ مُسْتَوٍ قَدْ وَهَبَ ذَوْقَ التَّعَرِّي .

هَذَا هُوَ ابْنُ آدَمَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ الْأَنْهَارَ
تَفِيضُ مِنْ دُمُوعِهِ الدَّامِيَةِ .

مَاذَا يَعْرِفُ الْقَلْبُ ؟ مَقَرُّ مَنْ هَذَا الْمَسْكَنُ التُّرَابِيُّ ؟
وَالْهَدَفُ مِنْ خَلْقِ النُّجُومِ هُوَ حِرَاسَةُ بَيْتِ مَنْ ؟

لَوْ أَنَّنِي مَقْصُودُ الْكُلِّ فَمَاذَا « مَا وَرَاتِي »
وَمَا هِيَ نَهَايَةُ اضْطِرَابَاتِي الْمُتَجَدِّدَةِ !!



